موسوعة

الموصل الحضارية

المجلد الخامس

٥



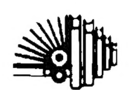


موسوعة الموصل الحضارية



دار الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل

الطبعة الاولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م
٩١٠٢٥ / ٤٠٠٠ / ٥

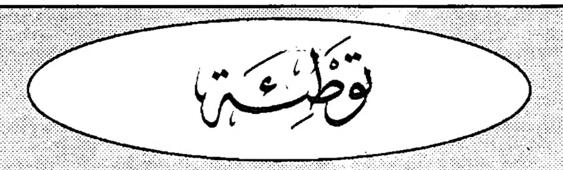


نشر وطبع وتوزيع :
دار الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل
شارع ابن الاثير- الموصل- جمهورية العراق
هاتف ٧٦٣٢٣١
تلكس ٨٠٩٢



بسم الله الرحمن الرحيم





توطئة

شهد العراق بعد ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨ القومية التقدمية ، تحولات عظيمة في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وفي حقل الثقافة والابداع كان التحول واضحاً ، حتى ان جامعة الموصل التي تزامن تأسيسها مع الثورة المباركة ، أصبحت واحدة من أبرز مراكز الأشعاع العلمي والحضاري في العراق الناهض . ففضلاً عن دورها العلمي والتربوي ، فقد اضطلعت الجامعة بمهمة النهوض الثقافي والحضاري لبيئة توطنها : مدينة الموصل ومنطقتها .

و «موسوعة الموصل الحضارية» التي تتشرف الان بتقديم جزئها الخامس ، جاءت لتؤكد الملامح البارزة للنهضة الثقافية في العراق . وهذا الجزء يتناول تاريخ الموصل وتطوراتها السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية منذ الاحتلال البريطاني لها سنة ١٩١٨ وحتى الخمسينات من القرن العشرين .

لقد كان من الممكن ان تستمر الموسوعة في متابعة الاحداث والتطورات حتى الوقت الحاضر، لكن هيئة التحرير وجدت نفسها أمام كم هائل من الحقائق والمنجزات التي تتطلب دراسات لاحقة ؛ لهذا قررت ان تقف في هذا الجزء عند اواسط القرن العشرين . وقد إستندت الهيئة في ذلك الى قاعدة معروفة في الدراسات التاريخية ، وهي انه لابد من مضي وقت مناسب على الحدث ، لكي تتضح معالمه وتظهر وثائقه وتتبلور مفاهيمه . وكما هو معروف فان موسوعات مماثلة صدرت في القطر التزمت بهذه القاعدة نذكر منها على سبيل المثال موسوعة «حضارة العراق» (١٩٨٥) وموسوعة «تاريخ القوات العراقية المسلحة» (١٩٨٥) .

وثمة حقيقة أخرى ، وهي أن رصد ومتابعة ماحدث في الفترة اللاحقة التي تنتهي في التسعينات ، من ابداع ثقافي وانجاز حضاري ، مهم وضروري ، إلا انه يحتاج الى مزيد من الوقت والتمحيص والدراسة ، خاصة ان التطور الابداعي بحاجة لأن يستكمل أبعاده ويأخذ مكانته وتتوضح مناهجه وهذا يتطلب مباحث مستقبلية ، وبمنهج قد يكون مختلفاً عن المنهج الذي التزمت به هذه الموسوعة .

لقد اتخذت الموصل في اثناء الحرب العالمية الاولى وما اعقبها من تسويات ، أهمية دولية ، وخاصة في السياسة الاستعمارية البريطانية . لذلك اقدمت القوات البريطانية على احتلالها في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨ .

وسرعان ماظهر للقوى الوطنية في الموصل نوايا بريطانيا الاستعمارية وتنكرها لحقوق العراقيين خاصة والعرب عامة ، في الاستقلال والوحدة . عندئذ عَبّرَ الموصليون من خلال تنظيماتهم السياسية ، السرية والعلنية ، عن مواقفهم الرافضة للمحتلين وعلى الصعيدين السياسي والعسكري.وكانت انتفاضة تلعفر في ٤ حزيران ١٩٢٠ تمهيداً للثورة العراقية الكبرى وإزاء هذه الثورة اضطرت بريطانيا ان تُغَيّر من سياستها وان تذعن لمطالب الشعب العراقي بوضع هيكل حديث للدولة العراقية ، ومن ذلك تشكيل حكومة وطنية والتمهيد لاقامة نظام ملكي . وكان هادي باشا العمري الموصلي واحداً من الذين رُشحوا لتولي عرش العراق ، لكن الانظار توجهت الى فيصل بن الحسين ، وهو الرجل الذي عَرَفَهُ الضباط العراقيون ، ومنهم الموصليون ، جيداً إبان عملهم تحت قيادته في الثورة العربية سنة ١٩١٦ .

وفي ٢٣ آب ١٩٢١ توج فيصل ملكاً على العراق . وكانت مشاركة الموصليين في عملية تأسيس الدولة العراقية الحديثة ، وإرساء ركائزها ، واضحة للعيان . وحين ظهر ماسمي بـ «مشكلة الموصل» إثر احتجاج تركيا



على احتلال «الولاية» الذي حدث بعد عقد هدنة مودروس سنة ١٩١٨ ، دافع الموصليون عن مدينتهم أزاء تلك الادعاءات . ولم يهدأ لهم بال حتى صدر قرار عصبة الأمم التحكيمي في ١٦ كانون الاول ١٩٢٥ برفض الادعاءات التركية ، وتأكيد صيرورة الموصل جزءاً من أرض العراق .

لقد واكبت الموصل ، العاصمة بغداد ، والمدن العراقية الاخرى في كل الأحداث الوطنية بكل تفاصيلها . وغدا سجلها الوطني حافلاً بالأصالة والمواقف التي اكدت وحدة العراق ، ورسوخ مكانته ، وعلو شأنه ، وعمق حضارته ، فتصدت لكل المعاهدات غير المتكافئة التي عقدتها بريطانيا مع العراق . وإنتفضت سنة ١٩٣٧ عسكرياً ضد التوجهات الشعوبية والاقليمية التي ظهرت في أعقاب انقلاب ١٩٣٦ . وفي ثورة نيسان – مايس ١٩٤١ أسهمت الموصل ، إسهاماً نشيطاً . ولم تقف مكتوفة الأيدي إبان وثبة كانون الثاني ١٩٤٨ ووقفت مع مصر سنة ١٩٥٦ حينما حدث العدوان الثلاثي الأثيم عليها بعد تأميمها لقناة السويس ، وكانت القضية الفلسطينية والقضايا العربية الأخرى مثار إهتمام الموصليين ودعمهم المستمر شأنهم في ذلك شأن إخوانهم في جميع أنحاء العراق .

وحين إنفجرت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وسقط النظام الملكي ، إندفعت جماهير الموصل للترحيب بها وإسنادها . وفي اذار ١٩٥٩ قدر للموصل الباسلة ، مرة أخرى ، أن تثور ضد القوى الشعوبية والدكتاتورية التي تنكرت لأهداف الثورة . ومع ان ثورة الموصل فشلت عسكرياً ، لكنها كانت بداية لمسيرة التغيير التاريخي التي قادها حزب البعث العربي الاشتراكي ، وذلك في ثورة رمضان (٨ شباط ١٩٦٣) ، ثم في ثورة ١٧ – ٣٠ تموز ١٩٦٨ ، وعندئذ بدأت حقبة جديدة متميزة في تاريخ العراق المعاصر ، كان للموصليين فيها دور بارز ، ومن ذلك نيلهم شرف الاسهام في الدفاع عن التربة العراقية والبوابة الشرقية للوطن العربي ضد العدوان الفارسي طيلة ثمان سنوات امتدت من سنة ١٩٨٠ – ١٩٨٨ . وكذلك صدت الموصل ، مع شقيقاتها المدن العراقية الأخرى ، العدوان الثلاثيني الأثيم على العراق من خلال مشاركتها الفعلية في ملحمة ام المعارك الخالدة .

وكما جرى في الأجزاء الأخرى المكرسة لتاريخ وتراث الموصل الحضاري ، في العصور القديمة والوسيطة والحديثة ، فان الأهتمام في هذا الجزء لم ينصب على التطورات السياسية وحسب ، وإنما إتسع ليشمل مظاهر حضارية اساسية . ومن ذلك تخصيص حيز واسع لرصد خارطة الأبداع الثقافي والعلمي في الموصل ، فجرت متابعة لتطور حركة التأريخ ورواده والقصة والشعر واتجاهاته وحركة نقده . وثمة مباحث كرست للصحافة والمسرح والامثال والشعر الشعبي والخط والحركة التشكيلية والتربية والتعليم . وأفرد مبحث خاص لجامعة الموصل ، وإسهاماتها في التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والتقدم العلمي .

وأخيراً ، لابد من القول ، ان وراء هذا العمل الموسوعي الحضاري جهوداً كبيرة ، بذلها أُناس مخلصون ومثابرون . فالى جانب الباحثين ، كان هناك خبراء إنصرفوا لتقويم البحوث وتصويبها . وثمة من بذل جهداً في تحرير المباحث وتهيئتها وإعدادها للنشر . وإذا كان من المناسب ان نذكر بعض الاسماء ، فان الدكتور غانم محمد الحفّو عضو لجنة التاريخ الحديث والمعاصر ، يأتي في المقدمة لما بذله من تعاون بناء مع رئيس اللجنة في إنجاز العمل في موعده المحدد . ولايفوتني كذلك ان اتوجه بالشكر للاستاذ الدكتور جليل رشيد فالح ، على مابذله من جهد في قراءة مباحث الموسوعة وتقويمها لغوياً وللاستاذ الدكتور يوئيل يوسف عزيز على ترجمة مقدمة الموسوعة ومضامين محتوياتها الى اللغة الانكليزية .

أما العاملون في مديرية دار الكتب للطباعة والنشر في جامعة الموصل ، فقد كان لدقتهم وصبرهم ودأبهم المخلص ، أثر كبير في اخراج الموسوعة بالشكل الذي ظهرت عليه . ومن الله التوفيق

رئيس لجنة التاريخ الحديث المعاصر



المحتويات

الموصل في التاريخ المعاصر

الموصل منذ الاحتلال البريطاني حتى النصف الثاني من القرن العشرين

التطورات السياسية

التطورات الادارية والاقتصادية





خارطة العراق



الموصل في التاريخ المعاصر





الموصل منذ الاحتلال البريطاني حتى النصف الثاني من القرن العشرين

التطورات السياسية

الاحتلال البريطاني والمقاومة الموصلية

(١٣٣٦ – ١٣٣٩ هـ   ١٩١٨ – ١٩٢١ م)

د. ابراهيم خليل أحمد

مقدمة :

أبدت بريطانيا اهتماماً متزايداً بالعراق منذ النصف الاول من القرن التاسع عشر، حماية للهند، وتأميناً لطرق مواصلاتها وما كان يهددها. وظهر ذلك بشكل بعثات كشفية اولاً ومشاريع اقتصادية ثانيا، واشتراك في لجان تحكيمية تتعلق بالحدود ثالثاً. تمثلت الاولى في بعثة جسني Chesney ١٨٣٠–١٨٣٧ وتوضحت الثانية في شركة Lenych ١٨٦١ ومعارضتها لمد الالمان، الجزء الجنوبي من سكة حديد بغداد– برلين الى سواحل الخليج العربي والاصرار على الاستئثار به. اما النقطة الثالثة فقد عبرت عنها لجان التحكيم الدولية التي كانت مهمتها تثبيت الحدود العثمانية – الفارسية وخاصة في الجهات العراقية.

هذا وقد اتخذت الموصل، اهمية دولية خاصة في السياسة الاستعمارية البريطانية في اثناء الحرب العالمية الاولى وما اعقبها من تسويات. وتتلخص تلك الأهمية في كل من القضايا الستراتيجية اولاً والاقتصادية ثانياً.

اولاً : القضايا الستراتيجية :

ترتبط هذه القضايا ارتباطاً وثيقاً بالستراتيجية البريطانية المتعلقة بحماية الهند، وتأمين جميع طرق المواصلات المؤدية لها. وتتناول في هذه القضايا ناحيتين مهمتين هما طبيعة الموقع الجغرافي واهميته السوقية العسكرية وسكة حديد برلين– بغداد، ومخاوف كل من الانكليز والروس منها.

أ– طبيعة الموقع الجغرافي وأهميته السوقية :

لقد انصب اهتمام بريطانيا على ثلاث طرق تؤدي الى ممتلكاتها الشاسعة آنذاك في الشرق، وهي شبه جزيرة الملايو وشمال بورنيو وبورما والبحرين وعدن والهند قلب امبراطوريتها النابض. على ان الذي كانت تهتم به اكثر من هذا هو ان تضمن لنفسها السيطرة على الطريق البرية الى الهند[1]. وهذه الطريق هي التي تنقل منها المنتجات الشرقية بحراً الى الخليج العربي فالبصرة فبغداد ومن هنا تتشعب الى فرعين: الاول يحاذي



دجلة صاعداً الى الموصل فحلب فالبحر المتوسط حيث تنقل البضائع الى الموانىء الاوربية. والفرع الثاني يسير محاذياً لنهر الفرات حتى الموانىء السورية، ويتصل بهذا الطريق من جهة الموصل طريق اخرى الى الجزيرة فالاناضول فاستانبول، ومن هنا تسير حتى تنتهي في لندن.[٢]

ولأهمية هذه الطريق فقد اصبحت السيطرة على العراق او الحصول على نفوذ فيه «ضرورة حيوية للامبراطورية البريطانية». هذا فضلاً عن ان العراق يتمتع بموقع ستراتيجي يجعله مسيطراً على الطرق البرية المؤدية الى القفقاس عن طريق بحيرتي اورمية ووان. وبهذا الوجه فان في مقدور العراق ان يقوم بدور مهم في حالة نشوب حرب بين بريطانيا وروسيا.[٣] وهناك ما يدل على ان السلطات العسكرية البريطانية في الهند كانت تنوي احتلال منطقة ما بين النهرين Mesopotamia قبل الحرب العالمية الاولى بثلاث سنوات، وربما قبل ذلك بكثير[٤]. كما اقترح المقيم البريطاني في بغداد خلال شهر شباط ١٩١٣ مشروعاً يقضي بجعل بلاد ما بين النهرين بأسرها منطقة نفوذ بريطاني. ومن بين مقترحاته ادخال (ولاية الموصل في هذه المنطقة).[٥]

وجدت بريطانيا في نشوب الحرب العالمية الاولى وانضمام الدولة العثمانية الى جانب الدول المركزية بزعامة المانيا، فرصة سانحة لاحتلال النقطة الاولى من الطريق البرية التي تخترق العراق من أدناه الى اقصاه. وقد تظاهرت بريطانيا انها تكتفي ببسط نفوذها على جنوبي العراق وحده، غير انها سرعان ما تقدمت صعداً الى الشمال، فاحتلت الموصل.[٦]

لقد اثارت تلك القضية تساؤل المؤرخين فيما اذا كان في نية الانكليز عند ابتداء حملتهم العسكرية ان يتوغلوا داخل العراق، وبغض النظر عن المحاولات التي نشبت حول هذه النقطة فان ما ذكرنا آنفاً، وما حدث بعد ذلك يدحض كل الأقاويل التي ادعت ان رغبة بريطانيا اقتصرت على احتلال البصرة.

تقدمت القوات البريطانية نحو بغداد فاحتلتها في ١١ آذار ١٩١٧. ولم يقف الأمر عند احتلال بغداد، لأن بغداد لم تكن حصينة نظراً للطرق المؤدية اليها. كما كان من الممكن حصارها في موسم الفيضان بكسر السدود المحيطة بها، من الناحية العسكرية الصرف، هذا فضلاً عن الاعتبارات السياسية كان على الجيش البريطاني ان يتقدم في الجهات الاخرى وعلى هذا اندفع الجيش البريطاني شمالاً في اتجاه الموصل علماً بان جزءاً من ولاية الموصل (كانت تضم الموصل واربيل وكركوك والسليمانية)، من نصيب فرنسا بموجب اتفاقية سايكس- بيكو.[٧] فما العوامل التي كانت وراء ذلك؟ وما سر الاندفاع العسكري البريطاني نحو الموصل؟

لقد كان لنشوب ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا سنة ١٩١٧ الاثر الكبير في احراج موقف الانكليز في الشرق الامر الذي جعلهم يعيدون النظر في خططهم العامة لاحكام جبهة الدفاع ضد (النفوذ السوفيتي) خاصة بعد ان اذاعت الثورة الاشتراكية نصوص الاتفاقات السرية واخذت تحرض السكان في اسيا على الثورة ضد المحتلين.[٨] وكان ذلك احد الاسباب الجوهرية في ازدياد اهمية الموصل العسكرية والستراتيجية. ويؤكد ذلك ما كتبه السر ارنولدولسن sir A.T. Wilson وكيل الحاكم المدني العام في العراق بين ١٩١٨ - ١٩٢٠ حيث ادعى قائلاً: «لم يذهب البريطانيون الى الموصل من اجل النفط... وانما للحيلولة دون تغلغل النظام السوفيتي جنوباً».[٩]

حاولت بريطانيا التملص من اتفاقية سايكس- بيكو وطالبت بتعديلها، في ٢٠ حزيران ١٩١٨ صرح بلفور Balfour وزير خارجية بريطانيا في



مجلس العموم بان الاتفاقات السرية، التي عقدت خلال الحرب بموجب اوضاع معينة، تعتبر عقبة في طريق السلام ولابد للحلفاء من ان يعالجوا ذلك. [١٠] وكان التخلي عن الاتفاقية معناه مد السيطرة البريطانية نحو الشمال لتضم ولاية الموصل.
وبعد خروج روسيا من الحرب اوضح مارك سايكس في اوائل تشرين الاول ١٩١٧ وجهة نظره بهذا الخصوص وهي وجوب دخول الموصل تحت السيطرة البريطانية. كما أن لويد جورج Lloyd George رئيس الوزراء البريطاني كان تواقاً ايضا الى ضم الموصل بسبب ثروتها النفطية. [١١] وعليه تم للانكليز ما ارادوا ووضعوا فرنسا امام الامر الواقع كما سنرى.

ان نظرة يسيرة الى خارطة ولاية الموصل تظهر بوضوح اهميتها من الناحيتين العسكرية والجغرافية، وخاصة في حفظ وتأمين الطريق البرية نحو الهند. [١٢] كما ان التقاء طرق المواصلات فيها من جهات ايران، ومن حلب والاسكندرونة غرباً ومن سيواس وارضروم وبدليس شمالاً جعلها من اهم المواقع خطورة للمحافظة على طريق الهند البري الذي يجتاز منطقة التقاء هذه الطرق. هذا فضلاً عن انها كانت تعد سداً منيعاً امام الخطر الروسي في الشرق الادنى الذي كان يهدد نفوذ بريطانيا في المنطقة. [١٣] هذا وقد أجمل كاتب في ملحق لمجلة «لازي فرانسيز» اهمية الموصل الستراتيجية بقوله: «ان طريق الهند هو ايضاً طريق ينابيع نفط آسيا». [١٤] كما وضح تقرير رسمي بريطاني نشر سنة ١٩٤٨ النوايا البريطانية تلك بقوله: ان المبدأ الاول الذي ضحت بريطانيا من اجله بأرواح كثيرة خلال حرب ١٩١٤-١٩١٨ هو عدم فسح المجال لأية قوة معادية تهدد مواصلاتها الامبراطورية. هذا فضلاً عن ان لها مصالح اقتصادية اهمها: حقول النفط في الموصل. [١٥]

ان اهمية الموصل العسكرية والجغرافية تتوضح لنا بصورة خاصة بعد الوقوف على ما كتبته الصحف البريطانية والفرنسية في اثناء مطالبة تركيا بالموصل. حيث كتبت جريدة يوركشاير بوست تقول:

«انه قد حدثت تغييرات كثيرة ومهمة بسبب الحرب العالمية الاولى في منطقة الشرق الاوسط والتي لها اهمية خاصة في نظر بريطانيا العظمى. فقبل الحرب كان الدفاع العسكري عن الهند مسألة بسيطة يتفق عليها اكثر الخبراء العسكريين لان الطبيعة أمدت الهند بأقوى حدود طبيعية في العالم يمكن ان تدافع عنها القوات العسكرية المجهزة بجميع الأسلحة الحديثة بسهولة تامة. ولكن الحرب العالمية الاولى غيرت وضعيتنا العسكرية في الشرق ووسعت احتلالنا العسكري ومسؤوليتنا في الاراضي القديمة التي تنتهي في الموصل»

ثم واصلت الجريدة قولها:

«ان قطعة الارض الطويلة والضيقة المحصورة بين دجلة والفرات معرضة للهجوم من ثلاثة جوانب وخصوصاً من جهة الشمال الذي يحتمل الهجوم منها غالباً وهنا تقع الموصل التي هي تشابه من الوجهة الجغرافية والطبيعية جبال هملايا في الهند. والعراقيل الناتجة من شمالي الهند ليست عظيمة كما هي في ولاية الموصل وخاصة فيما اذا استعملت كمركز للهجوم على الاودية الكائنة بين الرافدين... وبالتالي فان ذلك يعرض امبراطوريتنا في الهند الى الاخطار...» [١٦]

وقد أدرك هذه الضرورة عدد من الساسة

البريطانيين الذين عملوا في وزارة المستر اسكويث منذ سنة ١٩١٥ اذ نبهوا الأذهان الى وجوب الزحف على الموصل[١٧] . اما مجلة «ذي انكلش رفيو» فقد كتبت تقول ان البريطانيين لايستطيعون الاحتفاظ بمصالحهم الخطيرة في رأس الخليج العربي بدون الموصل.[١٨] وكتب كنث وليامز مقالاً في احدى المجلات البريطانية قال فيه: ان اهمية الموصل في جوهرها استعمارية، وأما الامور الاخرى فثانوية. وأضاف ان الموصل مرحلة من مراحل تكوين دول الحدود على طريق الهند لانها مفتاح سياسة بريطانيا في الشرق الاوسط جميعها.[١٩] وقد اقتبست جريدة الموصل من مجلة «لازي فرانسيز» مقالة أوضحت اهمية الموصل بقولها:

«كانت ولاية الموصل خلال الحرب العالمية الاولى مطمح انظار القادة العسكريين من الانكليز والروس والاتراك على السواء وذلك لان الخطر العسكري الذي يمكن ان يهدد القسم الجنوبي من العراق لابد أن يأتي من جبالها التي تمتد على شكل نصف دائرة من شمال وشرق سهول ولاية الموصل. كما ان انفصال الولاية عن الشعوب القفقاسية والطورانية بسلاسل جبلية واتصالها مع ايران وكردستان بممرين جبليين مهمين هما مضيق كولور في طريق وان - تبريز وممر زاكروس على طريق همدان - بغداد اعطى لها تلك القيمة الستراتيجية لاسيما وان الطرق الباقية في هذه الجبال المرتفعة وعرة جداً ومن الصعوبة اجتيازها وان ذلك لايمكن ان يحدث بدون استخدام ممر راوندوز - اوشنوي»[٢٠].

ومهما يكن من أمر فان الاهمية الستراتيجية هي من جملة العوامل المهمة التي جعلت الزحف البريطاني نحو الموصل امراً ضرورياً. واذا كان الرأي القائل: بأن احتلال الانكليز للموصل لم يكن من اجل النفط وانما كان لاهميتها الستراتيجيه[٢١] عرضة للمناقشة فإن (هانز كون) كان اكثر اقتراباً من الحقيقة في تفسيره احتلال الانكليز لولاية الموصل اذ كتب يقول:

«انه كان لدى الانكليز اعتقاد إستمر قائماً بعض الوقت في ان احتلال القسم الجنوبي من العراق كاف لتحقيق اغراضهم الا انهم عندما تبينوا أهمية مصادر النفط في القسم الشمالي منه وكذلك الاهمية الستراتيجية التي للجبال هناك في الدفاع عن القسم الجنوبي تولد في نفوسهم الاغراء باحتلاله ايضاً».[٢٢]

وبوجه الاجمال فقد اهتمت بريطانيا بولاية الموصل، على حد تعبير احد الكتاب، لأمرين اثنين هما النفط .. والامبراطورية.[٢٣]

ب - سكة حديد بغداد - برلين:

هذا وقد يقود ازدياد اهتمام الانكليز بالاهمية الستراتيجية لولاية الموصل خاصة والعراق عامة الى مشروع سكة حديد بغداد - برلين الذي منحه السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٨٩٩ للالمان كجزء من خطة التعاون بين البلدين.

لقد أثار التعاون بين عبد الحميد الثاني وامبراطور المانيا وليم الثاني حفيظة كل من روسيا وفرنسا وانكلترا معتبرة اياه حدثاً دولياً خطيراً.

حقاً لم يكن التعاون بين السلطان عبد الحميد والقيصر وليم الثاني تعاوناً اعتباطياً عاطفياً كما يصوره اعداؤهما. بل انه نتيجة لظروف وتطورات كل من البلدين. ولزيارة القيصر الالماني للاستانه مرتين الاولى في سنة ١٨٨٩ والثانية في سنة ١٨٩٨ أثر



كبير في تدعيم سياسة «الاندفاع نحو الشرق» اوكما يعبر عنه «بالتغلغل السلمي في الدولة العثمانية». وقد اصبح وليم الثاني رمزاً للصداقة الالمانية - العثمانية. ولعبت عوامل عديدة في هذا التقارب الالماني - العثماني منها ان السلطان رأى في الامبراطورية الالمانية الوحيدة من بين الدول الكبرى التي ليست لها اطماع توسعية في بلاده، هذا فضلاً عن خطته الرامية الى انهاض شعوب امبراطوريته اقتصادياً وعسكرياً للوقوف امام التحديات الاستعمارية لكل من روسيا وانكلترا وفرنسا والنمسا والمحافظة على ما تبقى من وحدة الامبراطورية العثمانية. وقد رأى عبد الحميد ان خير من يسنده في اهدافه الداخلية ودبلوماسيته الخارجية هو وليم الثاني المنافس الاكبر للدول التقليدية الاستعمارية على حساب الممتلكات البلقانية العثمانية. هذا مع العلم بان المانيا قد اصبحت منذ سنة ١٨٧١ امبراطورية عظمى ترهب اوربا عسكريا وتخيفها اقتصادياً لما لثورتها الصناعية من قوة وفاعلية، وأنها اخذت تتطلع الى مجالات عالمة لاستثمار رؤوس اموالها وايجاد اسواق جديدة. فلا عجب ان التقت مصالح كل من عبد الحميد ووليم الثاني في ضرورة التعاون خاصة في المضمارين الاقتصادي والعسكري. ذلك التعاون الذي نعته اعداء الالمان بالاستعمار المبطن وصبوا من اجله جام غضبهم على عبد الحميد فراحوا يشوهون سمعته بمختلف الطرق ويدسون له الدسائس.

لقد كان من التعاون الالماني العثماني في المجالات الاقتصادية، بناء السكك الحديد ولعل من أخطرها شأناً سكة حديد بغداد الذي جاء ثمرة من ثمرات زيارة وليم الثاني الثانية ١٨٩٨ للسلطان. اذ أعلنت الحكومة العثمانية في ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٨٩٩ رسمياً منح امتياز مد سكة من قونية الى خليج البصرة، الى شركة سكة حديد الاناضول الالمانية وتم الاتفاق [٢٤] على تفصيلات المشروع في ٥ آذار سنة ١٩٠٣ والتي لانرى حاجة للتطرق اليها خشية الابتعاد عن جوهر البحث.

أثار امتياز سكة حديد بغداد اهتمام بريطانيا وروسيا بصورة خاصة ونظرت اليه كل منها على انه تهديد لمصالحها في الدولة العثمانية.

أما بالنسبة لروسيا فقد بدأت معارضتها مبكرة اي منذ سنة ١٨٩٩ اذ شجبت صحف موسكو وبتروغراد المشروع معلنة بانه يهدد المصالح الاقتصادية الحيوية لروسيا [٢٥]. وقد اتخذت المعارضة الروسية وجهين احدهما اقتصادي والآخر ستراتيجي. فبالنسبة للاول رأت روسيا في السكة وخاصة القسم الذي يمر عبر بلاد مابين النهرين خطراً على التجارة الروسية في اسواق فارس وافغانستان فيما بعد اذ ان ذلك سوف يفتح اسواق هذه المناطق للمنافسة الالمانية. كما ان مد السكة سوف يعمل على تغلغل الرأسمال الالماني في تطوير امكانات بلاد مابين النهرين الزراعية والنفطية ولايخفى مافي ذلك من خطر على منتوج روسيا من الحبوب والنفط. اما بالنسبة الى الناحية الثانية فقد وجدت روسيا في السكة تهديداً مباشراً لطموحاتها في الشرق الادنى ورأت ان اكمال الخط سوف يمكن الحكومة العثمانية من تحريك جيوشها بسرعة على طول جبهة ارمينيا. لهذا فقد اخبر زينوفيف الوزير المفوض الروسي في استانبول الباب العالي بان اقتراح مد السكة من انقره الى الموصل وبغداد عن طريق ارمينيا يشكل خطراً ستراتيجياً على حدودها في القفقاس وفي مثل هذه الحالة سوف لاتسمح الحكومة الروسية بذلك. وازاء تهديد روسيا اضطرت الحكومة العثمانية الى اختيار طريق قونية. ومهما يكن من أمر فقد كانت الحكومة الروسية والصحافة الروسية مدركة تماماً لتهديد سكة حديد بغداد للمصالح الامبريالية الروسية في الشرق الادنى [٢٦].

اما بالنسبة لبريطانيا فقد عدته تهديداً



ستراتيجياً لمصالح الشرقية. إذ عبر عن ذلك اللورد فتز موريس سنة ١٩٠٣ في مجلس العموم بقوله:

«ان الذي جعل المجلس يبدي اهتماماً ملحوظاً بالقضية هو الشعور بان مستقبل السكة قد يكون مرتبطاً بمستقبل السيطرة السياسية على مناطق واسعة من آسيا الصغرى وعلى بلاد مابين النهرين والخليج»(٢٧).

لهذا اتخذت بريطانيا التدابير التي تساعدها على ضمان هذه المصالح فسارعت الى بسط سيطرتها على الكويت فعقدت اتفاقية مع مبارك الصباح في الكويت سنة ١٨٩٩ بقصد رفع يد العثمانيين عنها وايقاف التغلغل الالماني في المنطقة(٢٨). وقد قابل الالمان ذلك بتعزيز صداقتهم مع الدولة العثمانية والسير قدماً في مشروع انشاء السكة الحديد(٢٩).

لقد شهدت الفترة ما بين سنتي ١٩٠٠ و ١٩١٤ صراعاً عنيفاً بين المصالح البريطانية والالمانية. وقد اصبح العراق مسرحاً لذلك الصراع فمن جهة ظهر الالمان ليحلوا محل الروس كقوة تهديد للنفوذ البريطاني ومن جهة اخرى اخذ الاتراك ينظرون الى النوايا البريطانية في الامبراطورية العثمانية نظرة ملؤها الشك والريبة(٣٠).

لقد عمل الالمان على تطوير مصالحهم في العراق. ففي ١٨٩٤ قاموا بتعيين قنصل لهم في بغداد. كما تأسست قنصلية المانية في الموصل سنة ١٩٠٥ وفي بغداد سنة ١٩٠٨. وزارت العراق منذ ١٨٨٧ بعثات آثارية المانية(٣١). وفي ١٩١٢ وصلت بعثة آثارية المانية منطقة الشرقاط في الموصل(٣٢). وقد توغل الالمان في شمالي العراق وتجول كثير منهم في المناطق الكردية واتصلوا بعدد من رؤساء العشائر الكردية. وكان الالمان يرمون من وراء ذلك ليس فقط اقامة الصلات السياسية بل وايجاد اسواق اقتصادية ايضاً. وقد توسع اهتمام الالمان بولاية الموصل خلال الحرب العالمية الاولى وذلك لأن حدودها الشمالية كانت احدى جبهات القتال ضد روسيا. واتخذ الاتراك والالمان من هذه المنطقة كذلك مركزاً لنشر دعوة الجهاد في إيران لابعاد المسلمين فيها عن التعاطف مع روسيا. وقد أثمرت بعض مساعيهم بهذا الشأن اذا استطاعوا حشد عدد من العشائر الكردية لقطع الارتباط بين الجيشين الروسي والبريطاني في العراق(٣٣).

بدأ الالمان تنفيذ مشروع سكة حديد بغداد. وفي ١٩٠٩ اعلن رئيس البنك الالماني، فون كوينر عن انجاز (٩٤٦) كيلومتراً من اصل (٢٨٩٣) كيلومتراً وهي المسافة بين الاستانة والبصرة. وان (٨٤٠) كيلومتراً والتي تمر عبر جبال طوروس وامانوس على وشك الانجاز وانه لم يبق غير (١١٠٠) كيلومتراً. عندئذ شعرت بريطانيا ان مصالحها في بلاد مابين النهرين باتت مهددة خاصة بعد ان شرع الالمان في انجاز القسم الممتد من بغداد الى سامراء(٣٤).

اضطر الالمان لضخامة المشروع ولصعوبات مالية وفنية ولاعتبارات سياسية واقتصادية الى الدخول في مفاوضات مع الانكليز للتفاهم حول المشروع. ومع هذا فان المفاوضات اظهرت عزم بريطانيا (اولا) على ان تحتفظ لنفسها بالارجحية في بلاد مابين النهرين و (ثانيا) على ايقاف امتداد السكة عند مدينة البصرة. وعلى هذا تم الاتفاق مبدئياً بين الطرفين في ١٥ حزيران ١٩١٤ فكان ذلك دليلاً على ماظلت تتمتع به بريطانيا من نفوذ(٣٥). فقد اعترف الالمان بمبدأ السيادة البريطانية على الخليج والقسم الجنوبي من العراق. ومن جهة اخرى اعترف الانكليز بالمصالح الالمانية الخاصة في هضبة الاناضول وفي الاقسام الشمالية من سوريا والعراق. ولم يكن هذا الاعتراف عن قناعة وزهد في هذه المناطق وانما يرجع ذلك الى ان



بريطانيا كانت تدرك- على حد قول احد الباحثين- بان لفرنسا اطماعاً في سوريا وفي الجزء الشمالي من العراق. كما ان لروسيا اطماع في الاناضول ولابد ان يصطدم النفوذ الالماني بهذه الاطماع عندئذ يتدخل الانكليز لتصفية المصالح الالمانية التي تضمنتها الاتفاقية المشار اليها (٣٦).

لم تنفذ الاتفاقية المذكورة بسبب نشوب الحرب العالمية الاولى. حين سارعت بريطانيا- كما هو معروف- لارسال حملة عسكرية كانت تعدها منذ بضع سنوات لاحتلال الفاو. ولاغرو في ان يكون من اهداف تلك الحملة احباط مشروع سكة حديد برلين بغداد الذي كان الالمان يسرعون بانشائه تسهيلاً للتعبئة العامة في هذه الجبهة (٣٧). ويبدو ان هذه الفكرة كانت في مخيلة الانكليز عند احتلالهم ولاية الموصل والى شئ من هذا القبيل اشارت- فيما بعد- جريدة يوركشاير بوست سنة ١٩٢٤ قائلة :

> «وهناك مسألة اخرى وهي سكة الحديد ، فان هذا المشروع العظيم كان في النية ان... يصل اوربا بالشرق الاقصىٰ ، وان النتائج الناجمة من هذا المشروع واضحة وترافقها نتائج سياسية وعسكرية... فان سكة الحديد من البوسفور الى نصيبين التي هي على بعد قليل من الموصل تمر من اراضي تركية وتكون واسطة كبرى لحشد القوات العسكرية »(٣٨).

ويؤكد ذلك ماجاء في تعليمات رئاسة هيئة الاركان البريطانية الى الجنرال مارشال في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٧ من ان «اهم ماسيقوم به (العدو) في سنة ١٩١٨ هو تمديد السكة الحديد الى الموصل. ومن المهم جداً ان تبذلو جهدكم للحصول على جميع المعلومات التي تتعلق بهذا الموضوع »(٣٩).

وهكذا شاءت الاوضاع الناجمة عن الحرب ان يقوم الانكليز باكمال مد سكة حديد بغداد. فقاموا بين سنتي ١٩١٦ و ١٩١٩ بوصل بغداد بتكريت ثم اتجهوا بالخط نحو الشمال الى بيجي ثم الى الشرقاط التي لاتبعد عن مدينة الموصل باكثر من (١٠٠) كيلومتر (٤٠).

ثانياً- القضايا الاقتصادية :

تحتل الموصل موقعاً جغرافياً مهماً أدىٰ الىٰ أن تكون من مراكز التجارة المهمة في الشرق الأدنى آنذاك. وذلك لان طريق الموصل يعتبر أوفر اقتصاداً وأقصر مسافة من طريق البحر الاحمر بالنسبة لسفن بريطانيا الذاهبة الى الهند أو القادمة منها. لهذا فقد احتلت ولاية الموصل اهمية كبيرة في نظر بريطانيا(٤١). وقد أولت بريطانيا هذه الناحية اهتماماً كبيراً فسعت لدراسة الامكانات الاقتصادية والتجارية لهذه البلاد منذ أمد بعيد. وتعد بعثة الضابط الانكليزي فرنسيس رودن جسني Ches-ney سنة ١٨٣٠ وماأنجزته من مسح عام في جهات الفرات ودجلة في السنوات التالية من اولىٰ البعثات التي أوفدها الانكليز لهذا الغرض. وقد اوضح جسني في كتابه المعنون «حملة مسح ودراسة نهري دجلة والفرات» اهمية ولاية الموصل للتجارة البريطانية في غرب اسيا. واقترح جسني انشاء مؤسسات مالية بريطانية في الموصل ودياربكر. وذكر بان الموصل والمناطق المجاورة لها تعدّ من المراكز المستهلكة للبضائع البريطانية على الرغم من عدم وجود مؤسسات بريطانية مالية هناك. وقال في مذكرة مرفقة بكتابه المعنون «المشاريع التجارية في غرب اسيا» ان البضائع البريطانية تحمل الى الموصل من حلب ودمشق وبغداد بوساطة التجّار المحليين وتباع لذلك باسعار عالية نتيجة لمرورها بايدي عدد كبير من الوسطاء. واكد ضرورة قيام مؤسسات تجارية بريطانية تتولى عملية التجارة مع الموصل مباشرة واعتقد ان ذلك سيؤدي الى خفض



اثمان البضائع البريطانية الى النصف وبالتالي يزداد الاقبال على البضائع البريطانية. ورأى جسني ان موارد الموصل، ومن اهمها الصوف والجلود والعفص وعرق السوس وشعر الماعز، سلع مربحة للتصدير. واشار جسني الى التجارة الروسية التي تأخذ بالازدياد في اسواق مابين النهرين وكردستان مما يهدد التجارة البريطانية وأكد أن قدرة التجارة الروسية على معرفة اذواق السكان من عوامل نجاحها وهذا مما لايتوفر للتجارة البريطانية لعدم وجود مؤسسات تجارية بريطانية واقترح تنظيم سوق البضائع البريطانية من الاسكندرية الى دياربكر ثم الى الموصل عبر دجلة او عن طريق القوافل البرية مباشرة الى الموصل وقال ان ذلك سيمكن التجارة البريطانية من ان تجد لها موقعاً متميزاً في العراق(٤٢).

ازداد اهتمام بريطانيا باقتصاديات ولاية الموصل على نحو ملحوظ منذ اواخر القرن التاسع عشر. ويعود ذلك الى اتساع التجارة الموصلية وخاصة في القطاع الزراعي. اذ ان الملاكين الجدد أخذوا يلحون على زيادة الانتاج على الرغم من عدم تبدل وسائله. وبذلك ازداد الاقبال على توسيع المساحات المزروعة مثلاً جنوبي جبل سنجار والاقسام الغربية من ولاية الموصل(٤٣). وقد بدأت العوامل الجديدة بالظهور من اجل ايجاد روابط قوية بالسوق الخارجية وساعدت على ذلك عوامل عديدة داخلية وخارجية(٤٤). فبعد افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ برزت ظاهرة نشوء واتساع تجارة التصدير الى اوربا. فقد ازدادت قيمة صادرات الموصل في الفترة من سنة ١٨٨٤ – ١٨٨٥ على (٢٥٠) الف دينار صدر ثلثاها او ماقيمته (١٧٥,٧٠٤) دينار الى بريطانيا واوربا(٤٥). اما الباقي فصدر الى الهند وسوريا وايران. وتتضمن صادرات الموصل: الحبوب والصوف والعفص(٤٦) والجلود والماشية وغير ذلك.

ولم تقف تجارة التصدير عند هذا الحد اذ مالبثت في الزيادة. وعمت صادرات الموصل وجهها شطر الاسواق الاوربية الى درجة اصبحت معها هذه الاسواق قبل نشوب الحرب العالمية الاولى تشتري اكثر من ثلثي صادرات هذه الولاية. فقد أظهرت التقارير القنصلية البريطانية في ولاية الموصل للسنوات من ١٩٠٩ – ١٩١٢ أن هناك زيادة في صادرات ولاية الموصل الى بريطانيا. ففي الوقت الذي بلغت فيه قيمة الصادرات السنوية في المتوسط تقريباً (٤٣٧,٠٠٠) جنيه استرليني صدر منها ماقيمته (١٩٥,٠٠٠) جنيه استرليني الى بريطانيا وحدها(٤٧). وقد بلغت النسبة المئوية لصادرات الموصل الى بريطانيا في سنة ١٩١٠ (٢٨٪) وفي سنة ١٩١١ (٤٧٪) وفي سنة ١٩١٢ (٣٨٪) من مجموع الصادرات(٤٨).

حاولت الاسواق الالمانية ثم الامبركية، بعد أن رصدت اتجاه صادرات الموصل نحو الاسواق البريطانية السيطرة على صادرات ولاية الموصل من المصارين وعرق السوس. فأنشأ الامريكان على سبيل المثال شركة تتعاطىٰ استخراج وكبس عرق السوس في الموصل وتصديره سنة ١٩١١. الا أن الاسواق الالمانية والاميركية لم تستوعب قبل الحرب الا نسبة قليلة من صادرات الموصل(٤٩).

تدفقت رؤوس الأموال الأوربية على العراق عامة والموصل خاصة نتيجة لنمو الصادرات واستثمار رؤوس الاموال الاجنبية عن طريق البنوك. ومن هذه البنوك؛ البنك الامبراطوري العثماني(٥٠). وهو مؤلف من رؤوس اموال انكليزية وفرنسية. وقد تأسس سنة ١٨٦٣ وفتح له فرعاً في مدينة الموصل(٥١). والذي ظل مستمراً في عملياته المصرفية حتى اغلقه البريطانيون عند احتلالهم الموصل سنة ١٩١٨ لفترة قصيرة ثم اعادوا فتحه بعد ذلك(٥٢). وهناك ايضاً (البنك الشرقي) المسمى (ايسترن بنك Eastern Bank) ورأسماله



مؤلف من أسهم انكليزية فقط. اما ادارته المركزية فهي في لندن وله فرع في الموصل(٥٣).

هذا وكان لتجار الموصل فعاليات مهمة في مجالات الاستيراد. اذ تشير التقارير القنصلية البريطانية للسنوات من ١٩٠٩ - ١٩١٢ أن هناك تزايداً في استيراد البضائع الاوربية خاصة البريطانية منها. اذ بلغت قيمة مستوردات ولاية الموصل لهذه السنوات حوالي (١٥٠,٠٠٠) جنيه استرليني منها ما قيمته (١٢٠,٠٠٠) جنيه استرليني جاءت من بريطانيا والهند والدول الاوربية الاخرى والبقية اتت من بغداد وحلب ودياربكر(٥٤). وقد بلغت النسبة المئوية لاستيرادات ولاية الموصل من بريطانيا سنة ١٩١٠ (٢٦٪) وفي ١٩١١ (٢٠٪) وفي سنة ١٩١٢ (٢٨٪) من مجموع الواردات(٥٥). واهم البضائع المستوردة: الاقمشة القطنية والاجواخ والسكر والانية النحاسية والزجاجية وتأتي هذه من اوربا. أما الوارد اليها من الهند عن طريق بغداد فهو الشاي والأقمشة وانواع الحلويات ومن بلاد فارس البسط بانواعها والأقمشة الحريرية والطنافس(٥٦).

وعليه فان الأهمية الاقتصادية لولاية الموصل كانت سبباً من اسباب اهتمام بريطانيا بها. وتعاظم هذا الاهتمام قبيل قيام الحرب العالمية الاولى وفي اثنائها وخاصة بعد ان تبين ان الموصل زاخرة بالنفط. لهذا فلا غرابة ان تستهدف كل من روسيا وبريطانيا في عملياتها العسكرية منطقة العراق الشمالية.

تعرضت ولاية الموصل الى خطر الزحف الروسي على جبهتي راوندوز والسليمانية. ففي جبهة راوندوز تقدمت القوات الروسية ودحرت قطعات جحفل الموصل واحتلت بلدة راوندوز في ١٣ آيار سنة ١٩١٦. اما في جبهة السليمانية فقد تقدمت القوات الروسية واستهدفت بنجوين التي اضطر العثمانيون في ٣٠ حزيران ١٩١٧ الى اخلائها فتم للروس احتلالها.(٥٧)

وازاء ذلك طلب الجنرال البريطاني السر روبرتسون رئيس اركان الجيش الامبراطوري من الجنرال البريطاني ستانلي مود Maude ان يتقدم نحو بغداد، وحذّره) من ان يدع الروس يصلونها قبله.(٥٨) ويعلق احد النقاد العسكريين الاتراك على هذا الامر بقوله: «انه لم يكن يود الانكليز ان يروا الروس يتقدمون قبلهم ويحتلون ولايتي بغداد والموصل الغنيتين بالنفط».(٥٩) وفي ١١ آذار ١٩١٧، احتل مود بغداد كما أشرنا الى ذلك من قبل وذلك في اثناء ورود اخبار ثورة كيرنسكي في روسيا، وقد اثيرت الشكوك حول رغبة الروس في متابعة الحرب(٦٠). وعلى الرغم من ذلك كانت ثمة ارتال روسية تتقدم شطر نهر دجلة بين بغداد والموصل من الشرق، ولكن الثلوج المتساقطة بشدة حالت دون تقدم ذلك السير. كما كانت وسائط النقل والتموين غير كافية، هذا فضلاً عن ان اخبار الاحداث الداخلية في روسيا بدأت تصل الى القوات الروسية فشرعت، بناء على أوامر القيادة الجديدة التي اسقطت النظام القيصري، بالانسحاب منذ اوائل تشرين الثاني ١٩١٧ نحو سنة وساقز.(٦١) واذاع لينين زعيم الثورة الاشتراكية تصريح السلام في ٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ دعا فيه الى نبذ الحرب واحلال السلام بين جميع شعوب العالم، وشرعت الحكومة الجديدة في روسيا في مباحثات مع المانيا وحليفاتها بعقد الهدنة والتي انتهت بمعاهدة صلح سميت بـ «برست ليتوفسك Brest – Litovsk»(٦٢). وفي ٢٣ كانون الاول سنة ١٩١٧ بدأت في مدينة الموصل مباحثات بين وفد عسكري روسي ووفد عسكري عثماني وتم الاتفاق على خط الهدنة وبذلك توقفت العمليات العسكرية الروسية.(٦٣)

قررت القيادة العامة التركية في آيار ١٩١٧ تشكيل جيش سابع يتعاون مع الجيش السادس



العثماني لاسترجاع بغداد واطلقت على العملية اسم يلدرم اي (الصاعقة). اما الجنرال مود Maude فقرر انزال ضربة قاضية بالقوات العثمانية بعد ان تأكد من حرج قواتهم في جبهة فلسطين، وقد نجحت القوات البريطانية في دفع الفيلق العثماني الاول الى جهات الفتحة جنوبي الشرقاط وحرر ذلك الانتصار القوات البريطانية للتفرغ الى جبهة كركوك. واثناء ذلك تسلم الجنرال وليم مارشال William Marshall القيادة العامة للقوات البريطانية في العراق بعد وفاة الجنرال مود. وكان لانتصارات الجنرال ادموند اللنبي Edmund Allenby في جبهة فلسطين ضد القوات العثمانية اثر كبير في الشروع بعمليات عسكرية واسعة على جبهة دجلة انتهت، بعد معارك قاسية، بوصول القوات البريطانية، عند اعلان هدنة مودروس Mudros في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨، الى مشارف مدينة الموصل.[٦٤]

إحتلال الموصل وملابساته:

كانت القوات البريطانية في الاول من تشرين الثاني ١٩١٨ في ناحية حمام العليل على بعد (١٢) ميلاً جنوبي مدينة الموصل. وفي ٢ تشرين الثاني، التقى الكولونيل ليجمن Leachman الضابط السياسي البريطاني مع علي احسان باشا وكيل والي الموصل واخبره بوجوب سحب القوات العثمانية خارج الموصل الى مسافة (٥) أميال على الاقل تاركاً قوة كافية لحفظ الامن والقانون. وقد رفض علي احسان باشا ذلك. وبعد ظهر يوم ٢ تشرين الثاني استلم الجنرال البريطاني (كاسلس) برقية من الجنرال مارشال تنص على ان المادة (٧) من شروط هدنة مودروس تبيح لقوات الحلفاء «الحق في احتلال اي نقاط استراتيجية» اما المادة (١٦) فتنص على وجوب تسليم جميع الحاميات المرابطة في بلاد ما بين النهرين الى اقرب قائد حليف ولذلك يجب احتلال الموصل.[٦٥]

تقدم الجنرال كاسلس بقواته واحتل النقاط المهمة والطرق المؤدية الى مدينة الموصل. وفي صباح يوم ٣ تشرين الثاني ذهب لمقابلة القائد العثماني علي احسان باشا وطلب منه اخلاء الموصل بموجب المادتين (٧ و١٦) من شروط الهدنة. إلا ان علي احسان باشا رفض ذلك وادعى بان الموصل وما حولها ليست واقعة في بلاد ما بين النهرين، وعلى ذلك ليس هناك ما يدعوه لتسليم قواته التي هي جيش ميدان، وليس حامية ومعنى هذا ان المادة (١٦) لاتنطبق على قواته من الناحية العملية. اما بصدد االمادة (٧) فهو في انتظار تسلم اوامر حاسمة من حكومته بخصوص كون الموصل مشمولة بذلك.[٦٦]

دعي علي احسان باشا الى مؤتمر يعقد في الموصل في ٧ تشرين الثاني، يحضره الجنرال



القائد العثماني علي إحسان باشا

مارشال والسر ارنولد ولسن وكيل الحاكم المدني العام في بغداد. وفي المؤتمر اعلن مارشال انه ليس على استعداد لمناقشة تفسيرات علي احسان باشا لشروط الهدنة، وانه مصمم على الاستيلاء على السلطة في ولاية الموصل بأجمعها، واذا قاوم علي احسان باشا، فانه يتحمل مسؤولية اية دماء تسفك نتيجة ذلك[٦٧]. ووضع الجنرال مارشال بضعة شروط امام علي احسان باشا لتوقيعها ومن هذه الشروط:



١- اخلاء ولاية الموصل جميعها خلال عشرة ايام اعتباراً من ٨ تشرين الثاني .
٢- السماح للقوات العثمانية بالاحتفاظ بما لديها من أسلحة ومعدات وذخيرة .
٣- يجب تسليم جميع السجلات المدنية الى السلطات البريطانية سليمة وكاملة .
٤- اصدار التعليمات الى القائمقامين ومدراء النواحي لتحمل المسؤولية وحماية الامن والقانون حتى يتمكن الموظفون الذين تعينهم السلطات البريطانية استلام الأمر منهم[٦٨] .

اعترض علي احسان باشا على تلك الشروط ، وبعد مناقشة طويلة و «غضب وهياج شديدين» وافق على الشروط محتجاً[٦٩] . وفي ٩ تشرين الثاني ابرق الاميرال كالثروب قائد الاسطول البريطاني في البحر المتوسط ، وممثل الحكومة البريطانية في مفاوضات هدنة مودروس الى وزارة البحرية البريطانية قائلاً : ان الحكومة العثمانية اصدرت اوامرها الى قائدها في الموصل بالانسحاب من المدينة والتحرك بجيشه الى المكان الذي يحدده القائد البريطاني هناك . وقد جاءت موافقة الحكومة العثمانية «بشرط ان تحتلها بريطانيا احتلالاً عسكرياً وقتياً» ، وان يظل الموظفون يؤدون اعمالهم باسم الحكومة العثمانية[٧٠] . وفي ١٠ تشرين الثاني شرعت القوات البريطانية بالدخول الى مدينة الموصل في حين انسحبت القوات العثمانية الى نصيبين .[٧١]

اما علي احسان باشا ، فقد عين في الموصل ، اليوزباشي الممتاز حسن بك الكركوكي نائباً عنه ، وبقي في الموصل وكيل الوالي نوري بك الذي ابرق في ١١ تشرين الثاني الى قائمقامي الأقضية يخبرهم بدخول الجيش البريطاني الى مدينة الموصل ، ويطالب من الموظفين الاستمرار في وظائفهم كالسابق باعتبار ان ذلك «من موجبات المنافع العليا الوطنية»[٧٢] . وقد طلب الكولونيل ليجمن من وكيل الوالي وجوب مغادرة الموصل وقد غادرها في ١٣ تشرين الثاني بعد ان اذاع بياناً على الأهالي اشار فيه الى ان الادارة المدنية العثمانية في الموصل ستبقى على حالها ، وكذلك تبقى الشرطة والدرك ويكونون هم والموظفون المدنيون العثمانيون مسؤولين عن تأمين النظام وتطبيق احكام القوانين ، امام الجنرال فانشو القائد العام للجيش البريطاني في الموصل ، والذي تسلم القيادة من الجنرال كاسلس يوم ٤ تشرين الثاني ١٩١٨ .[٧٣]

عين الكولونيل ليجمن حاكماً سياسياً وعسكرياً في الموصل[٧٤] . وقد اتخذ في الحال بعض الاجراءات الضرورية للسيطرة على الموقف ، فاعلن منع التجول في المدينة ، واستفاد من ذلك في تفتيش بيوت الموظفين العثمانيين ودوائرهم بجمع السجلات الرسمية واعتقال من يشتبه بهم . وأمر باطلاق النار على بعض الاهالي الذي عمدوا الى السلب والنهب ، واصدر التعليمات بحق الضباط الذين قاموا بحرق السجلات الرسمية ولم تأت نهاية تشرين الثاني ١٩١٨ حتى احكمت القوات البريطانية سيطرتها على مقدرات الموصل .[٧٥]

لقد احتل البريطانيون ولاية الموصل مستندين في ذلك على تفسيرهم لشروط الهدنة التي لم تكن تحوي ما ينص على «التخلي عن الموصل» لذلك نشأ ما عرف بـ «مشكلة الموصل» وكان هذا الادعاء ، احدى الحجج العديدة التي قدّمها الاتراك ، كما سنرى ، عند مطالبتهم بهذه الولاية .[٧٦]

المقاومة الموصلية :

احدث الاحتلال البريطاني للموصل ردود فعل محلية مختلفة . وكان لردود الفعل هذه اثر كبير في تبلور التيار السياسي القومي العربي الذي امتزج بتيار اسلامي . ومع ان المحتلين حاولوا منذ البداية



احتضان بعض الاقليات وتطوير مواقفها للوقوف بوجه التيارات الاخرى، الا انهم فشلوا في ذلك على الرغم من ان عدم وضوح مستقبل الولاية السياسي والاحتجاج العثماني على الاحتلال البريطاني كان يدعو الى ان مواقف بعض السكان تتسم بالتذبذب وعدم الاستقرار. وقد اتسمت مواقف غالبية سكان الموصل بمقاومة الاحتلال سياسياً وعسكرياً. فعلى الصعيد السياسي عبر الموصليون عن مواقفهم بصورة رئيسة عن طريق نشاطاتهم في التنظيمات السياسية التي شهدتها الموصل آنذاك وخاصة جمعية العلم والنادي العلمي وجمعية العهد العراقي فرع الموصل. كما تمثلت في مساهمة بعض الموصليين في المؤتمر العراقي بدمشق. وعلى الصعيد العسكري تمثلت المقاومة الموصلية بالمقاومة المسلحة التي حدثت في تلعفر في الرابع من حزيران ١٩٢٠ واستهدفت تحرير الموصل من السيطرة البريطانية (٧٧).

جمعية العلم السرية والانكليز:

اشرنا فيما سبق الى جمعية العلم المؤسسة منذ سنة ١٩١٤ ونوهنا بنشاطاتها المعادية للعثمانيين. واثناء وجود القوات البريطانية على مشارف الموصل قررت الجمعية ايفاد مندوب عنها لمقابلة القائد البريطاني في قرية البوسيف، الواقعة جنوبي الموصل ببضعة كيلومترات وذلك للاحاطة علماً بالموقف الغامض الذي اوجدته الهدنة. وقد التقى هذا المندوب، وهو (يحيى ق الشيخ عبد الواحد) احد اعضاء الجمعية بالكولونيل ليجمن الضابط السياسي في ٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ وسلمه كتاب من مرخص الجمعية مكي الشربتي ويتضمن شرحاً حول حراجة موقف الموظفين العرب الذين كانوا قد تخلفوا عن الالتحاق بالقوات العثمانية عند محاولتها الانسحاب من المدينة اثر اقتراب الجيش البريطاني من الموصل قبل عقد الهدنة ونوه بنشاط الجمعية ضد العثمانيين وطلب من القائد البريطاني ان يضع أمام الجمعية حقيقة الموقف على اعتبار ان بريطانيا هي حليفة العرب، وانها قطعت لهم الوعود اثناء مفاوضاتها مع الشريف حسين على نيل استقلالهم حتى تكون الشبيبة الموصلية على بينة من أمرها. وقد عرض مندوب الجمعية في اللقاء «المساعدة الادبية لاخراج الاتراك من الموصل». وقد استوضح الكولونيل ليجمن من المندوب بعض الامور عن نشاطات الجمعية، وطلب منه مرافقته عند دخول المدينة. وقد رافق المندوب الكولونيل ليجمن في دخوله الموصل ورفعه العلم البريطاني بعد تنزيل العلم العثماني من على الثكنة الحجرية وبعد ذلك ودع ليجمن مندوب الجمعية وأوصاه بتبليغ سلامه الى الشبيبة الموصلية. وأكد عليه ان يوعز الى مرخص الجمعية بمقابلته بعد ثلاثة ايام ليتفاوض معه حول بعض امور المستقبل (٧٨).

عقدت الهيئة المركزية للجمعية بعد دخول الانكليز اجتماعاً قررت فيه التعرف على النوايا البريطانية، فاوفدت مرخصها مكي الشربتي لمقابلة الكولونيل ليجمن، فقابله وذكره بتحالف الانكليز مع العرب، والعهود التي قطعوها للشريف حسين باستقلال البلاد العربية، فكان جواب ليجمن إنه لايعرف الشريف حسين إلا ثائراً على الاتراك، وان ثورته تلك لم تكن ذات اهمية في نظر الانكليز. اما البلاد المحتلة فستعمل بريطانيا على تقدمها من جميع النواحي حتى يستطيع العراقيون الوصول الى مستوى يتمكنون به من التفاهم مع بريطانيا، فيما يتوقف عليه كيانهم ومصالحهم الاقتصادية والاجتماعية. وان ما كانوا يرومونه من التحرر من النير التركي قد حصلوا عليه فلم تبق اية فائدة بعد ذلك للجمعيات من اي نوع كانت وخاصة السرية منها، وان بابه مفتوح لمقابلة اي



واحد منهم ، والتحدث معه في مختلف القضايا التي تهم الولاية (٧٩) .

اضطر مرخص الجمعية بعد ان سمع بتلك التصريحات وانكشفت له حقيقة الموقف ، الى ان يصرح للكولونيل ليجمن قائلاً : «بان الجمعية قد انحلت من تلقاء نفسها نظراً الى وصولها الى غايتها من تحرير البلاد من النير التركي» . وهكذا استطاعت جمعية العلم اقناع الانكليز بانحلالها وبعدم وجودها من جهة . اما من جهة اخرى فانها غيرت بعض تشكيلاتها السابقة ، وقررت استئناف العمل من جديد . ولكن ظروف المقاومة الايجابية لم تكن متوافرة انذاك فوجدت ان تطبع نشاطها في تلك الفترة بالطابع الادبي . عندئذ تبلورت فكرة إنشاء «النادي العلمي» (٨٠) .

تأسيس النادي العلمي ونشاطه :

قررت قيادة جمعية العلم انشاء النادي العلمي «ليكون ملجأ لهم ولرواد العلم والادب وواسطة لاثارة الشعور الوطني ضد سلطان الاحتلال» (٨١) . وقد تم وضع منهاج للنادي في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨ وذلك في اجتماع حضره حوالي (٩٠) شخصاً . وقد جرى التصويت على المنهاج المقترح المؤلف من (٣٢) مادة مقسمة الى ثمانية فصول وقدمت الرخصة الى الحاكم السياسي فاقترنت بالمصادقة (٨٢) .

وقد عقد اعضاء النادي اجتماعاً يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩١٨ وانتخبوا من بينهم هيئتين احداهما للادارة والاخرى للمراقبة . وكانت الهيئة الادارية تتألف برئاسة الدكتور عارف معروف بك ، وهو طبيب سوري كان يعمل في الموصل انذاك وعضوية كل من شريف الصابونجي (تاجر) ومكي الشربتي (مرخص جمعية العلم) وحمدي جلميران (تاجر) وسليم حسون (مدرس) وفاروق الدملوجي (طبيب بيطري) . وقد إنضم الى النادي عدد كبير من علماء الموصل ومثقفيها ووجوهها منهم السيد عبد الغني ، نقيب الاشراف ، وقاضي الموصل احمد الفخري والشيخ محمد الصوفي . وقد افتتح النادي رسمياً مساء يوم الاربعاء ١٨ كانون الاول ١٩١٨ (٨٣) .

اصدر النادي مجلة باسم «مجلة النادي العلمي» جاء في ترويستها انها «مجلة علمية فنية ادبية اخلاقية تاريخية» وصدر العدد الاول منها في ١٥ كانون الثاني ١٩١٩ ولم يصدر منها سوى (٨) أعداد اذ توقفت عن الصدور في ٣٠ نيسان ١٩١٩ . وقد اسهم في تحريرها نخبة من مثقفي الموصل منهم : علي الجميل وحنا خياط وفتح الله سرسم ورشيد الخطيب وروفائيل بطي وفاضل الصيدلي واحمد الفخري . وقد نشرت المجلة مقالات عديدة في موضوعات سياسية واجتماعية وثقافية شغلت الناس انذاك ومن ذلك قضايا تحرر المرأة واهمية الزواج في حفظ كيان الامة وبقائها (٨٤) . كما نظم النادي سلسلة محاضرات ثقافية دورية وخصص ليلتي الاحد والاربعاء في كل أسبوع لذلك . وقد تابعت الهيئة الادارية للنادي نشر اخبار ومضامين تلك المحاضرات في صفحات المجلة ومن الذين أسهموا في إلقاء تلك المحاضرات : سليم حسون ، وياسين العريبي ، وحنا خياط (٨٥) .

عقد اجتماع في النادي في ايار ١٩١٩ وذلك للتداول في شؤون النادي . وقد حضر الاجتماع مصطفى آل عبيد اغا الجليلي (محام ، وهو عضو في



مصطفى آل عبيد أغا الجليلي

جمعية العلم) ومحمود الملاح وفاضل الصيدلي وقد أدركت سلطات الاحتلال ان النادي، ماهو الا واجهة من واجهات جمعية العلم، لذلك قام عدد من افراد الشرطة بمداهمة الاجتماع واخراج اعضاء الهيئة الادارية واغلاق النادي ووضع اليد على محتوياته من كتب ونشرات وغير ذلك[86].

جمعية العلم والاستفتاء الاول ١٩١٨ - ١٩١٩:

شهدت الموصل خلال الفترة بين ١٩١٨ و ١٩٢١ العديد من الاجراءات السياسية البريطانية التي استهدفت وضع الخطط لمستقبل الحكم في العراق. ففي ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ ارسل ارنولد ولسن وكيل الحاكم المدني العام في بغداد برقية الى وزارة الهند البريطانية اقترح فيها تأسيس حكومة عربية تضم البصرة وبغداد والموصل يرأسها امير عربي. وقدم اربعة اسماء مقترحة وهم. (١)



هادي باشا العمري

هادي باشا العمري عميد الاسرة العمرية في الموصل (٢) احد اعضاء الاسرة الحاكمة في مصر (٣) احد ابناء الشريف حسين (٤) نقيب اشراف بغداد. واعتقد ولسن ان المرشح الاول أنسب المرشحين، وان الناس سيرحبون به لاسيما في الموصل منشأ الاسرة العمرية[87].

صدرت التعليمات الى ولسن بخصوص التأكد من معرفة اراء العراقيين حول الاسئلة المحددة التالية:

١- هل يفضلون دولة عربية واحدة تقوم بارشادها بريطانيا تمتد من الحدود الشمالية لولاية الموصل حتى الخليج العربي؟

٢- وفي هذه الحالة هل يرون ان الدولة الجديدة يجب ان تكون برئاسة رئيس عربي؟

٣- واذا كان ذلك كذلك، فمن هو الذي سيريدونه[88].

استدعى السر ارنولد ولسن الحكام السياسيين في الالوية وزودهم بالاسئلة الثلاثة وطلب اليهم الحصول على مذكرات (مضابط) بالاجوبة: وقد حصلت السلطات البريطانية على عشر مضابط من لواء الموصل وجميعها لاتخرج عن التصريح بما اراده الكولونيل ليجمن الحاكم السياسي في الموصل، وهو ان يكون مضمون المضابط معبراً بما اسماه بـ «بيان رغبة الشعب في بناء ادارة حكومة الاحتلال»[89].

لذلك اسرع رجال جمعية العلم السرية في الموصل الى تنظيم مضبطة ضد المضابط التي حصل عليها الانكليز ووقع عليها جماعة من المقربين من سلطات الاحتلال ومعظمهم من اثرياء الموصل والذين ترتبط مصالحهم الاقتصادية بمصالح الانكليز. وقد استحصل رجال الجمعية على تواقيع كثيرة فيها جانب كبير من العلماء والتجار ورؤساء الحرف والاصناف وغيرهم، يشرحون فيها الموقف ويعرضون فيها مطالبهم. وقد بعثوا بمضبطة مؤرخة في ٢٠ كانون الثاني ١٩١٩ الى اخوانهم العراقيين في الشام لايصالها الى مؤتمر الصلح بباريس وحملها مرخص الجمعية مكي الشربتي الذي غادر الموصل الى دمشق في اواخر كانون الثاني ١٩١٩ ومما جاء في المضبطة:

«نعرض باسم الموصل، نحن الواضعين اسماءنا ادناه فنقول الموصل هي بلدة عربية محضة... وان الحسيات



الحقيقية التي يتحسس بها سكان الموصل انما هو استقلال الملة العربية والحاق الموصل بالحكومة العربية. وان جميع المضابط التي اخذتها الحكومة الانكليزية العسكرية المحلية من بعض الاشخاص من الاهليين انما هي مخالفة ومضادة لافكار اكثرية الاهالي. وقد اعطيت تلك المضابط تحت تأثيرات مختلفة هذا وان جميع اهالي الموصل لايقدرون ان يعلنوا عن افكارهم بحرية وصراحة تامة مازالوا محكومين من قبل حكومة عسكرية ...»[٩٠].

وطلب واضعو المضبطة تشكيل لجنة مختلطة تشترك بها كل من حكومات فرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا والحكومة العربية لافساح المجال للاهالي في الموصل بالتعبير عن ارائهم بحرية[٩١].

اتسع نشاط جمعية العلم، وازداد عدد المنتسبين اليها. لذلك قررت تقوية الاتصالات مع كل من حلب ودمشق وبغداد في محاولة لتوحيد المساعي بين الوطنيين في الموصل وبين اخوانهم في هذه المدن. في اواخر كانون الثاني ١٩١٩ اوفدت الجمعية مرخصها مكي الشربتي الى دمشق للاتصال بالزعماء العراقيين هناك. كما اوفدت الى بغداد عبدالمجيد شوقي البكري ويحيى ق الشيخ عبد الواحد للاتصال بيوسف السويدي والسيد محمد الصدر، وهما من القادة البارزين في جمعية حرس الاستقلال التي تأسست في بغداد اواخر شباط ١٩١٩ بقصد الدعوة الى استقلال العراق استقلالاً مطلقاً. وقد اتصل يحيى ق الشيخ عبد الواحد كذلك بالشيخ سعيد النقشبندي رئيس جمعية العهد العراقي فرع بغداد. وناقش معه بعض القضايا الوطنية. كما ارسلت الجمعية مندوباً عنها الى البصرة، وهو موفق البغدادي وكان ضابطاً سابقاً في الجيش العثماني، وذلك للاطلاع على سير الحركة الوطنية هناك[٩٢].

لقد قامت جمعية العلم، فضلاً عن الاعمال التي اشرنا اليها سابقاً، باعمال اخرى اهمها: [٩٣]

١- تنظيم دعاية واسعة لمناهضة الاحتلال البريطاني والمطالبة بالاستقلال.
٢- الاتصال بجمعية العهد العراقي بدمشق.
٣- تنظيم مضابط توكيلية، لكل من الامير فيصل وياسين الهاشمي ومولود مخلص، وثابت عبد النور، وعلي جودت الايوبي وناجي السويدي للدفاع عن حقوق العراقيين.
٤- تقديم احتجاجات على سياسة الحكومة المحتلة في العراق الى زعماء القضية العربية في سوريا. وقد حمل بعض هذه الاحتجاجات محمود الملاح من ادباء الموصل، ومظهر بك ارسلان قائمقام زاخو السابق في العهد العثماني.
٥- توزيع المناشير التي كانت ترد اليها من جمعية العهد العراقي داخل المدينة وخارجها.
٦- كتابة المناشير السرية وتوزيعها على السكان.

لقد تألفت الهيئة الادارية لجمعية العلم بعد مغادرة مرخصها مكي الشربتي الى دمشق من: محمد رؤوف الغلامي، وعبدالله باشعالم العمري ومصطفى ذهني الجليلي وعبد المجيد باشعالم العمري وضياء يونس وياسين العربي وداود الجلبي وسعيد ثابت وابراهيم عطار باشي ومحمد امين العمري[٩٤].

جمعية العهد العراقي فرع الموصل ودورها في مقاومة الاحتلال:

اما بالنسبة للجمعية الثانية، وهي جمعية العهد العراقي فرع الموصل، فقد اشرنا في فصول سابقة الى أن جمعية العهد اسست في استانبول في ٢٨ تشرين الاول ١٩١٣، وبعد دخول الجيش



العربي دمشق في الاول من تشرين الاول سنة ١٩١٨ بقيادة الامير فيصل بن الحسين، وتأسيس الحكومة العربية بدمشق، اعيد تشكيل جمعية العهد من جديد. وسرعان ما قرر اعضاؤها من السوريين والعراقيين شطرها الى قسمين: عهد عراقي وعهد سوري، على ان يبذل كل قسم منها جهده في سبيل تحرير القطر الذي ينتمي اليه، ويتحدوا عند سنوح الفرص. وسبب هذا الانقسام، كما اوضحته الجمعية في بيانها عدم موافقة الحلفاء على تأسيس دولة عربية مستقلة تمتد من سواحل البحر المتوسط الى الخليج العربي (٩٥).

على الرغم مما تركه هذا الانقسام من رنة حزن عميق في نفوس الغيارى من العرب، فانه كان اكثر ملائمة للتطورات الجديدة التي حدثت في اعقاب الحرب العالمية الاولى، وللوقوف ضد التدخل الفرنسي في سوريا ومقاومة الاحتلال البريطاني في العراق (٩٦).

عين مكي الشربتي، مرخص جمعية العلم بالموصل، سكرتيراً لجمعية العهد العراقي في دمشق وعضواً في لجنتها السرية وكان للجمعية جريدة باسم «العقاب» تصل الموصل وتوزع سراً. وقد نشرت الجمعية برنامجها الذي نص في مادته الاولى على ان غاية الجمعية الاساسية العمل على استقلال العراق استقلالاً تاماً ضمن الوحدة العربية وداخل حدوده الطبيعية (٩٧).

وفي ١٧ نيسان ١٩١٩ اقترحت جمعية العهد العراقي (المركز العام) في دمشق على جمعية العلم بالموصل استبدال اسمها الى اسم جمعية العهد العراقي فرع الموصل من اجل توحيد برامج الكفاح. وفي ٢٤ ايار ١٩١٩ وافقت الهيئة الادارية لجمعية العلم على المقترح بشرط الغاء المادة (ب) من المادة الاولى من برنامج الجمعية والذي ينص على طلب المساعدة الفنية والاقتصادية من بريطانيا. وقد وافق المركز العام على ذلك (٩٨).

كان فرع جمعية العهد في الموصل اكثر نشاطاً من فرع بغداد. ويمكن ان يعزى ذلك الى عاملين اولها استمرار جمعية العلم العربية على العمل منذ العهد العثماني ومعرفتها بظروف النضال ضد المحتلين الاجانب وثانيها قرب الموصل من مركز الجمعية العام في الشام. وكانت جمعية العهد فرع الموصل منظمة تنظيماً حسناً، ولم يكن بوسع السلطات المحتلة حتى في أواخر ايار ١٩٢٠ ان تتأكد من معرفة حتى عدد قليل من الاعضاء البارزين في الجمعية معرفة اكيدة، وهذا مما جعل الحاكم السياسي في الموصل الكولونيل (نولدر) يقول في تقريره الى وكيل الحاكم المدني العام ببغداد في ٢٥ حزيران ١٩٢٠ ما يأتي: «ان المسألة التي تعصر قلبي عصراً اننا لم نستطع لحد الان ان نسبر غور جمعية في الموصل تستعمل ختم «العهد» والتي توزع منشوراتها بحرية، كما علمت الان، في المناطق العربية والكردية على حد سواء» (٩٩).

اتجهت جمعية العهد في بادئ الامر، الى مقاومة سلطات الاحتلال بالوسائل السلمية، ومن ذلك تنظيم المضابط الاحتجاجية والتوكيلية. كما اخذت الجمعية تظهر عداءها العلني للادارة البريطانية عن طريق عقد الاجتماعات، ولصق المنشورات المعادية لسلطات الاحتلال على الجدران. واتخذ المعنيون بالحركة الوطنية في الموصل من القيام بالمظاهرات وسيلة اخرى لمقاومة سلطات الاحتلال، اذ وضعوا برنامجاً واسعاً لتنظيم المظاهرات امام اللجنة الاميركية التي كان من المقرر وصولها الى الموصل للتحقيق في اوضاع العراق، وعرفت باسم لجنة كنك - كرين، نسبة الى عضويها المستر جارلس كرين والدكتور هنري كنك. ولم يتيسر للجنة زيارة العراق وذلك لمحاولة السلطات البريطانية وضع العراقيل في طريقها واكتفت اللجنة بمقابلة بعض قادة الحركة الوطنية في العراق، اثناء وجودهم في الشام وحصلت منهم على مضابط



اكدت مطالبتهم بالاستقلال التام والدعوة الى ان يكون هناك في العراق حكومة مدنية ودستورية وملكية ويكون ملكها أحد انجال الشريف حسين[١٠٠].

كما قامت الجمعية بدور كبير منذ ٢٤ ايار ١٩١٩ بجهود واسعة لتعبئة الرأي العام الموصلي في هذا المجال فوزعت المنشورات في مختلف انحاء الولاية واكدت فيها المطالبة بالاستقلال ووقاية «قطرنا العراقي بما فيه الجزيرة وولاية الموصل من دسائس الانكليز، وعدم الالتفات الى اقوال نفر قليل لاتمثل الامة من اجراء الانكليز». وقد قدمت لجنة كنك - كرين توصياتها الى الرئيس الاميركي وودرو ولسون في تقرير مفصل وذلك في ٢٨ آب ١٩١٩ ومما جاء في التقرير ان اللجنة توصي بالمحافظة على وحدة العراق واعطاء الانتداب على العراق الى بريطانيا وهذا مما يدل على توافق المصالح الاستعمارية البريطانية والاميركية منذ ذلك الوقت[١٠١].

ولم تتوقف جمعية العهد فرع الموصل عن المقاومة اذ انها قادت في ايار من السنة ذاتها حركة عرفت باسم «حركة العلم العربي» وقد سرت في الموصل من جراء ذلك ظاهرة رفع الاعلام العربية على الدور والمحلات ووضع شارات العلم العربي على الصدور اظهاراً للشعور الوطني في طلب الاستقلال. وكان من نتائج هذه الحركة ان اقدم الكابتن بيز ناظر المعارف على فصل (٢٠) طالباً من طلاب المدرسة الخضرية لوضعهم شارات العلم العربي على صدورهم[١٠٢].

وجدت جمعية العهد فرع الموصل، ان الوسائل السلمية لم تؤثر في سلطات الاحتلال. فقامت في ٧ حزيران ١٩١٩ بارسال انذار الى الحاكم السياسي، جاء فيه ما يفيد ميل الجمعية الى استخدام العنف ضد المحتلين فقد تأكد ذلك حين هاجمت قوة مسلحة من عشيرة شمر قافلة بريطانية بين الموصل وبغداد.[١٠٣]

وفي تموز سنة ١٩١٩ تصدت الجمعية الى محاولات سلطات الاحتلال التدخل في انتخابات بلدية الموصل بشكل ادى الى الحيلولة بين السلطة المذكورة ومقاصدها السياسية في هذا الامر. وقد اضطر الحاكم السياسي الى الاعلان عن عدم القيام باجراء الانتخابات بدعوى ان اهل الموصل غير لائقين للاضطلاع بمثل هذه الامور، وقال انه سيتولى مهام رئيس البلدية، وعين المستر (داس) الهندي معاوناً له.[١٠٤]

وبدات موجة من المضايقات ازاء العشائر والقوى الوطنية في الموصل. ومن ذلك اقدام سلطات الاحتلال على فرض الاقامة الجبرية على بعض شيوخ شمر في مدينة الموصل ومنهم الشيخ



الشيخ عجيل الياور وابنه احمد

عجيل الياور (توفى ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٠).[١٠٥] كما أدركت جمعية العهد فرع الموصل ان سلطات الاحتلال غير جادة في ادعاءاتها بمنح الاستقلال للعراق، وانها لم تدع اسلوباً من اساليب القسوة الا استعملته مع الاهالي. كما بلغ الضغط على الحريات أقصى شدته ومنعت السلطات المحتلة اصدار الصحف الوطنية وبثت الجواسيس بين الناس وشددت المراقبة على المدارس، والاستمرار في اعتقال العناصر الوطنية. لذلك قررت الجمعية توضيح الاوضاع العامة للمركز العام، فارسلت رسالة وقعها معتمد

الجمعية (محمد رؤوف الغلامي) باسمه المستعار وهو (المنصور) في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٩ . ومما جاء في الرسالة : «ان الناس سئموا من الوسائل السلمية في طلب الاستقلال» و «ان الانكليز لايتركون العراق إلا اذا اضطروا بقوة السلاح». وذكر معتمد الجمعية المركز العام ان الثورة قادمة ، وان الوسائل السلمية في مقاومة الاحتلال قد فشلت .(١٠٦)

في اوائل نيسان ١٩٢٠ كتبت جمعية العهد في الموصل رسالة الى مولود مخلص حاكم دير الزور ذكرت فيها استعدادها وعشائر الموصل للعمل ضد سلطات الاحتلال . وكان عدد من الضباط والجنود العراقيين قد تجمعوا في دير الزور بتحريض من جمعية العهد وذلك لجعلها نقطة وثوب نحو الموصل والقيام بحركات مسلحة ضد سلطات الاحتلال البريطانية . ومما هو جدير بالذكر ان دير الزور كانت لواءاً تابعاً للحكومة العربية في دمشق منذ منتصف كانون الاول ١٩١٨ . وتعد دير الزور اصلح منطقة يسهل الاتصال منها بالعراق .(١٠٧)

اصبح قادة الحركة الوطنية في الموصل على استعداد للثورة ، وعمدت جمعية العهد الى توزيع منشورات عديدة في نيسان وآيار ١٩٢٠ تدعو الى الثورة . كما حصلت بعض الغارات على خطوط المواصلات البريطانية في ايار ١٩٢٠ والتي اسفرت عن تحطيم قطار قرب عين الدبس في ٢٤ ايار. وقد التقى وفد مؤلف من بعض الموصليين النشطين في الحركة الوطنية ومنهم علي جودت الأيوبي وجميل المدفعي وثابت عبدالنور بالملك فيصل . وقد وافق الملك فيصل على اعطائهم الاموال ولكنه تردد في تزويدهم بالسلاح .(١٠٨)

تألفت هيئة من علي جودت الأيوبي رئيساً وتحسين علي وجميل المدفعي اعضاء باسم «الهيئة الوطنية لادارة الحركات المسلحة في العراق».(١٠٩) وقد حصلت الهيئة على كمية من الأسلحة في المخازن التي في حراسة جنودهم دون علم الحكومة العربية بذلك . وحصل احد الضباط الذين اوفدتهم الهيئة الى دمشق على (١٥٠) بندقية و(٥٠) صندوقاً من العتاد من الحكومة العربية بحجة اكمال نقص قوة الدرك المرابط في لواء دير الزور.(١١٠)

وقد تحركت القوة الوطنية في دير الزور بقيادة جميل المدفعي وكانت مؤلفة من اربع سرايا يقودها نديم السنوي ومحمود اديب وسليم الجراح ومصطفى شوقي وقد قدرت استخبارات الموصل العسكرية هذه القوة بالف رجل مسلّح. وفي ٢٦ آيار وصلت بلدة الفدغمي الواقعة على نهر الخابور وتقرر ان يكون الهجوم الاول على قضاء تلعفر ، وذلك لوجود بعض رؤساء العشائر الموالين لجمعية العهد . وفي ٤ حزيران ١٩٢٠ هاجمت القوة تلعفر واصطدمت بالقوات البريطانية المرابطة فيها . وبعد ظهر اليوم المذكور نجحت القوة في السيطرة على القضاء ورفع العلم العربي على بناية الحكومة في القلعة . وقد قدرت خسائر الانكليز بين ٢٠-٣٠ قتيلاً ، ابرزهم الميجر بارلو Barlow مساعد الحاكم السياسي والكابتن ستيوارت Stiwart قائد الدرك . اما خسائر الوطنيين فلم تزد عن (٦) شهداء .(١١١)

كان سقوط تلعفر بمثابة الاشارة التي حركت عشائر المنطقة ، وهم شمر والجحيش والبومتيوت والكركرية والبو بدران والبو حمد الذين انضموا الى الحركة ، فبدأت سلسلة من الغارات على مواقع القوات البريطانية ، وتوجهت مجموعات مسلحة الى طريق الموصل- الشرقاط بقطع خط المواصلات ، وباتت كل الطرق المؤدية الى الموصل في خطر.(١١٢)

اتخذ جميل المدفعي من بناية مدرسة تلعفر الاولى (القديمة) مقراً له وبقي مع قواته (٣) أيام ، وفي اليوم الرابع تحركت القوة نحو الموصل ، الا ان الطائرات البريطانية هاجمت القوة في الطريق . كما ارسلت قيادة الفرقة ١٨ في الموصل رتلاً في مساء



يوم ٥ حزيران لمواجهة الوطنيين والحيلولة دون وصولهم الموصل. واسهمت الطائرات بقصف مواقع القوات العشائرية في تلول ابو كدور، مما أدى الى حدوث ارتباك في صفوف العشائر وتفرق الفرسان. وتقدمت قوة بريطانية كانت تتألف من فصيلين من الخيالة تحت حماية المدفعية باتجاه قوات الثورة، وتمكنت من اجبارها على الانسحاب الى قرية الشيخ ابراهيم وقضت ليلتها في مكان لايبعد عن تلعفر كثيراً ومن هناك ارسل المدفعي مفرزة بقيادة عبدالحميد الدبوني لانزال العلم العربي وحرق مركز القيادة والسيارات المعطلة، وفي فجر ٩ حزيران تحركت قوات المدفعي متجهة نحو الفدغمي، وبعد ذلك مباشرة زحفت القوات البريطانية نحو تلعفر فاعادت احتلالها. وقد تعرضت تلعفر لاعمال التدمير والتخريب والقتل.[١١٣]

وخلال الفترة من تموز ١٩٢٠ وحتى تشرين الاول ١٩٢٠ حدثت حركات مسلحة ضد القوات البريطانية في الجرناف والخميرة وطريق الموصل- الشرقاط وكان هدفها ازعاج السلطات البريطانية وتهديد خطوط مواصلاتها بين الموصل وبغداد وقد اسهمت هذه الحركات، في اثارة الهياج والقلاقل داخل البلاد ضد الحكم الاجنبي، وبث روح الحماسة في نفوس السكان للمطالبة بالاستقلال وأدت الى ايصال صوت العراقيين في الموصل الى العالم بعدم موافقتهم على الانتداب. ولربما كان لحركة تلعفر وما اعقبها من حركات مسلحة اثر في بعض التغيير الذي حدث في السياسة البريطانية، فقد نشر وكيل الحاكم المدني العام بياناً ١٧ حزيران ١٩٢٠ ادعى فيه ان الحكومة البريطانية راغبة في «اقامة حكومة مستقلة في العراق». ثم جاءت الثورة العراقية الكبرى التي أندلعت في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ وشملت بغداد والنجف والفرات الاوسط وشمال العراق، لتسهم في خلق واقع جديد اضطر الحكومة البريطانية، ازاء الثمن المروع الذي كلفتها اياه الثورة، ان تغير خططها وتعلن بانها سوف ترسل مندوباً سامياً جديداً، وهو السر برسي كوكس Percy Cox، للعمل على تحقيق بعض مطامح العراقيين السياسية. وعندما قدم كوكس للعراق اعلن الخطوط العامة للسياسة الجديدة، وبين ان العلاقات بين بريطانيا والعراق ستنظم في المستقبل بموجب معاهدة جديدة لابصك الانتداب القديم. وشفع كوكس اقواله بخطوة عملية حين عين اول وزارة عراقية برئاسة عبدالرحمن النقيب.[١١٤] وفي القاهرة بدأت بريطانيا تمهد الاجواء بعقد مؤتمر للدبلوماسيين البريطانيين بقصد النظر في مستقبل العراق. وقد انعقد المؤتمر في ١٢ آذار ١٩٢٠ وتمخض عن ترشيح فيصل بن الحسين ملكاً على العراق. وكان المؤتمر العراقي في دمشق، والذي انعقد في ٨ آذار ١٩٢٠ قد اعلن استقلال العراق ومبايعة الامير عبدالله بن الحسين ملكاً والامير زيد بن الحسين نائباً له. وقد اسهم في المؤتمر بعض الموصليين من العاملين في الحركة الوطنية امثال جميل المدفعي وعلي جودت الأيوبي وعبدالله الدليمي من العسكريين وابراهيم كمال توحلة وثابت عبدالنور ومكي الشربتي والحاج محمد خيري من المدنيين. ولكن الحكومة البريطانية فضلت ان ترشح فيصلاً لعرش العراق بدلاً من أخيه، ويظهر ان نوعاً من التفاهم حصل بين الانكليز وكل من الاميرين فيصل وعبدالله، وقد نص ذلك على ان يتولى فيصل عرش العراق، في حين يتسلم الامير عبدالله الحكم في منطقة شرقي الأردن.[١١٥]

الموصل والبيعة للملك فيصل الاول:

اما تجربة الاستفتاء الثانية فقد تمثلت بالتصويت العام سنة ١٩٢١ لتأييد قرار مؤتمر الدبلوماسيين البريطانيين في القاهرة والمنعقد في ١٢ آذار ١٩٢١ والخاص بترشيح فيصل بن الحسين ملكاً على العراق.[١١٦] وقد وصل فيصل بغداد في





الملك فيصل الاول ١٩٢١– ١٩٣٣

٢٩ حزيران ١٩٢١ واسرع الموصليون بتشكيل وفد كبير للسفر الى بغداد والدعوة الى « ضرورة اعلان فيصل ملكاً على العراق في الحال » . وكان من أبرز اعضاء الوفد : عثمان الديوه جي ، وداود الجلبي ، ومحمد حبيب العبيدي ، وخير الدين العمري ، وعبدالله النعمة ، ومصطفى الصابونجي ، وعلي خيري الامام ، وناظم المفتي ، وعزيز عبدالنور. (١١٧)

وقد نشر احد اعضاء الوفد ، وهو داوّد الجلبي وكان من اعضاء جمعية العهد العراقي ، مقالاً في جريدة الموصل بعنوان « احساساتي في بغداد » قال فيه :

« ... ولذا يسرني اتحاد كلمة الامة في الموصل كما في سائر البلاد العراقية على ان تكون حكومة بلادنا ملوكية برأسها فرع سلالة ذلك النبي العظيم » . (١١٨)

وفي ١١ تموز ١٩٢١ اجتمع مجلس الوزراء وقرر بناء على اقتراح الرئيس المناداة بفيصل ملكاً على العراق على ان تكون حكومته : « دستورية ، نيابية ، ديمقراطية ، مقيّدة بالقانون » . (١١٩)

وقد نظمت وزارة الداخلية صيغة المضبطة التي يجري التصويت بموجبها وقد بلغ عدد المضابط المؤيدة لترشيح فيصل في لواء الموصل (٦٨) مضبطة . ولم تعط في الموصل مضبطة ضده . واسفرت نتيجة التصويت العام في العراق عن ٩٦٪ من المشتركين في الاستفتاء انتخبوا فيصلاً و٤٪ من المشتركين عارضوه . (١٢٠) وقد شارك وفد كبير من الموصل باحتفالات التتويج التي جرت يوم ٢٣ آب سنة ١٩٢١ . واسهمت العناصر العاملة في الحركة الوطنية بوفد مستقل اطلق عليه اسم « وفد الشبيبة » مؤلف من امين الجليلي رئيساً وعضوية كل من : مولود مخلص ، وسليمان فيضي ومصطفى العمري . (١٢١)



مصطفىٰ العمري

احتفلت الموصل كذلك بيوم التتويج ، حيث رفعت الاعلام العربية وعقدت الاجتماعات ونظمت التظاهرات التأييدية للملك فيصل وكان من أبرز الذين تحدثوا في تلك الاجتماعات : محمد رؤوف الغلامي ومحمد سعيد الجليلي ويحيىٰ ق الشيخ عبدالواحد ، وهم من العاملين في الحركة الوطنية . (١٢٢)

لقد أسهمت الموصل في كل النشاطات السياسية التي شهدها العراق خلال فترة الانتداب البريطاني . فبعد تتويج الملك فيصل اصبحنا نلاحظ اتجاهاً يضم كافة القوى الوطنية . وقد بدأ ذلك الاتجاه يتوضح في مناسبات مهمة اخرى كموقف بعض العناصر الوطنية من الموصليين من قضايا مصيرية عراقية مهمة كقضية مطالبة الاتراك



بالموصل، وقضية المعاهدة البريطانية – العراقية، ورفضهم القبول بأي معاهدة لايصادق عليها المجلس التأسيسي (البرلمان) ودعوتهم الى تأسيس الأحزاب السياسية ومعارضتهم لاستمرار الانتداب البريطاني على العراق وكان للاتجاه الوطني العربي العراقي الذي ساد في الموصل اثر كبير في تأكيد أمر صيرورة الموصل جزءاً لايتجزأ من الدولة العراقية الحديثة. (١٢٣)

الهوامش

(١) اما الطريقان الآخران فهما الطريق الشمالي الذي يمر عبر القفقاس، والطريق الجنوبي الذي يمر عبر المحيط الهندي فالبحر الاحمر.

(٢) للتفاصيل انظر: مجيد خدوري، اسباب الاحتلال البريطاني للعراق، (الموصل، ١٩٣٣)، ص ص ١٦– ١٧.

(٣) محمد عزيز، النظام السياسي في العراق، (بغداد، ١٩٥٤)، ص ٤٣.

(٤) متي عقراوي، العراق الحديث، ترجمة عن الانكليزية المؤلف نفسه، ومجيد خدوري، ج١، (بغداد، ١٩٣٦)، ص ٢٨

(٥) La Documentation Francaise, Presidence Du Conseil, Secretariat Generale Du Gouvernement, A percu sur Le Volution politique De L' Irak. No. 1499, (Paris, 5 Juillet, 1951), p. 24.

(٦) خدوري، المصدر السابق، ص ص ٢٣– ٢٤.

(٧) عبدالرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ط٣، (بغداد، ١٩٦٧)، ص ٧٥.

(٨) عبدالفتاح ابراهيم، على طريق الهند، (بغداد، ١٩٣٥)، ص ٣٢٧

(٩) The Geographical Journal, LXVIII, P. 115; مقتبس في فاضل حسين، مشكلة الموصل، دراسة في الدبلوماسية العراقية– الانكليزية– التركية وفي الرأي العام، ط٢، (بغداد، ١٩٦٧)، ص ٢٦٨

(١٠) Ghassan R. Atiyyah, Iraq, 1908 – 1921 A political study, (Beivut, 1973, p.166

(١١) Ibid, p.166.

(١٢) للتفاصيل انظر: طه الهاشمي، «حدود الموصل من الوجهة العسكرية» المجلة العسكرية، السنة (٢) العدد (١) ١ كانون الثاني ١٩٢٥، ص ص ١–٧.

(١٣) خدوري، المصدر السابق، ص ٢٤.

(١٤) مقتبس في جريدة العالم العربي، ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٤

(١٥) Great Britain' Paiforce, The official story of the Persia and Iraq Command 1941 – 1946, (London, 1948), P,11.

(١٦) مقتبسة في جريدة الموصل، ٥ تموز ١٩٢٤.

(١٧) جريدة العالم العربي، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٥

(١٨) مقتبسة في جريدة العالم العربي، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٥.

(١٩) مقتبس في فاضل حسين، المصدر السابق، ص ٢٦٧.

(٢٠) مقتبسة في جريدة الموصل، ٢٣ تشرين الاول ١٩٢٣.

(٢١) Arnold, J. Toynbee and kenneth P. (Kirkwood, Turkey, (New Yory, 1927), PP. 276–279.

(٢٢) H. Kohn, Western Civilization in the Near East, (New York, 1936), P.172

(٢٣) Henry A. Foster, The Making of Modern Iraq, (oklahoma, 1935), P.132.

(٢٤) Morris Jastrow, The War and the Baghad Railway, (London, 1917), P. 82.

(٢٥) Edward Mead Earle, Turkey, The Great powers and The Baghad Railway, (New York, 1966), P. 147.

(٢٦) Ibid , PP. 148– 152.

(٢٧) Zaki Saleh, Mesopotamia 1600– 1914: A study in British Foreign Affairs, (Baghad, 1957)' PP. 280– 281.

(٢٨) عبد العزيز سليمان نوار، مصر والعراق، (القاهرة، ١٩٦٨)، ص ٢٤١.

(٢٩) Saleh, Op. Cit., P. 277.

(٣٠) Atiyyah, Op. Cit., P. 71.

(٣١) Ibid.

(٣٢) جريدة صدى بابل، ١٨ تشرين الاول ١٩١٢.

(٣٣) كمال مظهر أحمد «كردستان خلال الحرب العالمية الاولى» مجلة المجمع العلمي الكردي، السنة الاولى، العدد ١، بغداد، ١٩٧٤، ص ٣٠٩.

(٣٤) Saleh, Op. Cit., P. 281.

(٣٥) زكي صالح، مقدمة في دراسة العراق المعاصر، (بغداد، ١٩٥٣)، ص ٩.

(٣٦) شريف، المصدر السابق، ص ٩٧.

(٣٧) خدوري، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٣٨) مقتبسة في جريدة الموصل، ٥ تموز ١٩٢٤.

(٣٩) Official History of the Great War: The Campaign in Mesopotamia, 1914– 1, 18, Vol, IV (Brig–Gen F. J. Moberley, editor, P. 87; Hereafter Cited as, Official History.

(٤٠) منشورات جريدة العراق، تقويم العراق، دائرة معارف عامة لسنة ١٩٢٣، (بغداد، ١٩٢٢)، ص ٢٢٦.

(٤١) جريدة الموصل، ٣ تموز ١٩٢٣، محمد طاهر العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية، ج١، (بغداد، ١٩٢٥)، ص ١٦١.

(٤٢) F. R. Chesney, The Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris, Vol, 2, (London,



1850), Appendix, N, Commercial openings in Western Asia, PP. 702 – 703.

(٤٣) ل. ن. كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية، ترجمة عن الروسية عبد الواحد كرم، (بغداد، ١٩٧١)، ص ص ٧٦ – ٧٧.

(٤٤) تتمثل العوامل الخارجية في دخول طرق المواصلات الحديثة الرخيصة وفي السياسة التجارية العثمانية وخاصة تخفيف التعرفة الكمركية على الصادرات في سنة ١٨٦١. اما العوامل الداخلية فتتمثل في اخضاع شيوخ العشائر والاغوات للسلطة المركزية. فتوحيد الولايات العراقية حول محور بغداد منذ ثلاثينات القرن التاسع عشر وتطبيق قانون الولايات واصلاحات مدحت باشا الادارية والاقتصادية. انظر دراسة جيدة لهذا الموضوع في: محمد سلمان حسن، التطور الاقتصادي في العراق، التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي ١٨٦٤ – ١٩٥٨، جـ١ (صيدا – بيروت، ١٩٦٥)، ص ص ٨٧ – ٨٨.

(٤٥) المصدر نفسه، ص ١٣١.

(٤٦) كانت ولاية الموصل لوحدها تصدر من العفص ومواد اخرى الى بريطانيا حوالي السنة ١٩٠٧ ماقيمته (١٠٦٥٠٠) ليرة عثمانية، انظر: خدوري، المصدر السابق، ص ٦٠.

(٤٧) دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفات البلاط الملكي، ملفة تركيا وقضية الموصل والحدود رقم ة/ ٤/ ١، جواب الحكومة البريطانية على المذكرة التركية الى عصبة الامم في جنيف، في ٣ كانون الاول سنة ١٩٢٤، من الآن يشار الى دار الكتب والوثائق (د. ك. و).

(٤٨) Great Britiain, Admiralty, Intelligence Depart-mant, A Handbook of Mesopotamia, Vol, I, (London, 1918), P. 104; Hereafter Cited as, A Handbook of Mesopotamia.

(٤٩) حسن، المصدر السابق، ص ١٣١.

(٥٠) A Handbook of Mesopotamia, Vol, 1, P. 207.

(٥١) خدوري، المصدر السابق، ص ٦٩.

(٥٢) مجموعة البيانات والاعلانات وغيرها التي هي الان نافذة والمتعلقة باهالي العراق وادارتها الملكية والمصدرة من القائد العام او بتفويض منه من ١١ ايار ١٩١٧ الى ٣٠ أيلول ١٩٢٠، (بغداد، ١٩٢١)، ص ٢٠.

(٥٣) خدوري، المصدر السابق، ص ٦٩.

(٥٤) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، ملفة تركيا وقضية الموصل والحدود رقم ة/ ٤/ ١، جواب الحكومة البريطانية على المذكرة التركية الى عصبة الامم في جنيف في ٣ كانون الاول سنة ١٩٢٤.

(٥٥) A Handbook of Mesopotamia, Vol, I, P. 201.

(٥٦) سالنامة الموصل لسنة ١٩٠٧، ص ١٣١ وكذلك سليمان صائغ، تاريخ الموصل، جـ١، (القاهرة، ١٩٢٣)، ص ٣٣٧.

(٥٧) للتفاصيل انظر: شكري محمود نديم، الجيش الروسي في حرب العراق ١٩١٤ – ١٩١٧، ط ٢، (بغداد، ١٩٦٧)، ص١٤ ومابعدها وكذلك انظر: ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل: دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨ – ١٩٢٢، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الآداب – جامعة بغداد ١٩٧٥، ص ص ٢٤٦–٢٦٠.

(٥٨) Paul Guinn, British strategy and Politics 1914 – 1918, (oxford, 1965), PP. 219 – 220.

(٥٩) مقبل بك «حملة العراق» المجلة العسكرية، بغداد، السنة (١٣)، العدد (٤٩)، ١ نيسان ١٩٣٦، ص ٣٤٥.

(٦٠) Reader Bullard, Britain and the Middle East, (London, 1951), P. 76

(٦١) محمد امين العمري، حرب العراق خلال الحرب العظمى ١٩١٤–١٩١٨، جـ٣، (بغداد، ١٩٣٥)، ص ٢٥.

(٦٢) John W. Wheeler Bennett, Brest Litovsk, the forgotten peace, (London, 1963), pp. 375 – 379, 383.

(٦٣) العمري، المصدر السابق، جـ٣، ص٢٦؛ شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤ – ١٩١٨، ط٤، (بغداد، ١٩٦٤)، ص ١٧٢.

(٦٤) للتفاصيل انظر: احمد، ولاية الموصل، ص ص ٢٦٩ – ٣١٤.

(٦٥) انظر: احمد، ولاية الموصل، ص ص ٣١٥ – ٣١٧.

(٦٦) Official History, Vol. IV, P.327

(٦٧) A.J. Barker 'The Neglected War Mesopotamia 1914 – 1918, (London, 1967), P. 456.

(٦٨) Wilson, A clash of loyaltics, p.20.

(٦٩) Barker, op. Cit., p.456.

(٧٠) العمري، المصدر السابق، جـ١، ص ١٤٧.

(٧١) Official History, Vol, IV, P. 328.

(٧٢) عبدالعزيز القصاب، من ذكرياتي، (بيروت، ١٩٦١)، ص ص ١٩٢ – ١٩٣:

(٧٣) احمد، ولاية الموصل، ص ٣٢٠.

(٧٤) والكولونيل ليجمن قد زار الموصل لاول مرة في ايار سنة ١٩١٠ متنكراً، وكان يعمل في دائرة الاستخبارات البريطانية وذكر ميخائيل عواد ان ليجمن اشتغل اجيراً في محل الحداد الياس اللوس وظل يشتغل عنده نافخاً في كورة الحدادة مدة طويلة سهلت له الوقوف على واقع الموصل واسماء الشخصيات الموصلية. انظر: عبدالحميد العلوجي وعزيز جاسم الحجية، الشيخ ضاري قاتل الكولونيل ليجمن في خان النقطة، (بغداد، ١٩٦٨)، ص ص ١٤ – ٢٦.

(٧٥) Wilson, A clash of Loyalties, P.21

(٧٦) Guinn op.. cit., pp. 318 – 319.

(٧٧) للتفاصيل انظر: احمد، ولاية الموصل، ص ٣٢٢.

(٧٨) للتفاصيل انظر: عبدالمنعم الغلامي، السوانح، (الموصل، ١٩٣٢)، ص ص ١٠٢ – ١٠٨ وكذلك العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية، جـ٣، ص ص ٤٦ – ٤٧.

(٧٩) الغلامي، السوانح، ص ١٢٠.



(٨ العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، جـ ٣ ، ص ص ٤٦ - ٤٧ وكذلك ، الغلامي ، سوانح ، ص ١٢١ .

(٨ عبد المنعم الغلامي «النادي العلمي زمن الاحتلال البريطاني» ، مجلة المعرفة ، بغداد ، ١ تشرين الاول ١٩٦٢ ، ص ١٥ .

(٨ احمد ، ولاية الموصل ، ص ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .

(٨ جريدة الموصل ٩ كانون الاول ١٩١٨ ؛ احمد ، ولاية الموصل ، ص ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

(٨ ابراهيم خليل احمد ، نشأة الصحافة العربية في الموصل ، (الموصل ، ١٩٨٢) ، ص ص ٧٤ - ٨٤ .

(٨ المصدر نفسه ، ص ٨٤ .

(٨ مقابلة شخصية مع حمدي جليمران في الموصل بتاريخ ٢٠ أيلول ١٩٧٣ .

(٨ Philip W. Ireland, Iraq, A study in political Development, (New York, 1938), PP. 158 – 159.

(٨ Herbert Young, The Independent Arab, (London, 1933), PP. 280 – 281.

(٨ للتفاصيل انظر : احمد ، ولاية الموصل ، ص ص ٤٣٠ - ٤٣٨ .

(٩ نشرت هذه الوثيقة في جريدة صدى الاحرار الموصلية ضمن سلسلة المقالات التي كانت تنشر تحت عنوان «صفحات مطوية من تاريخ الحركة الوطنية» بتوقيع «مؤرخ» وهو عبد المنعم الغلامي ، المؤرخ الموصلي المعروف الذي اشار الى ان نص هذه الوثيقة عثر عليه عند محمد سعيد الجليلي . انظر : جريدة صدى الاحرار ، ١٧ نيسان ١٩٥٣ .

(٩ المصدر نفسة .

(٩ الغلامي ، السوانح ، ص ص ١١٦ - ١١٧ ، ١٦٧ - ١٦٨ .

(٩ جريدة صدى الاحرار ٣ تشرين الاول ١٩٥٢ .

(٩ جريدة صدى الاحرار ١٥ آب ١٩٥٢ .

(٩ العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، جـ ٣ ، ص ٢٩ .

(٩ عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، ط ٣ ، (صيدا ، ١٩٧٢) ، ص ٤٩ .

(٩ العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، جـ ٣ ، ص ص ٣٦ - ٣٧ .

(٩ جريدة صدى الاحرار ٢٩ آب ١٩٥٢ .

(٩ Report on the recent Attack at Tel Afar by political officer in Mosul, dated June 25, 1920, P. 3. public Record office, Foreign office 371/ 5130/ E, 9897. Herafter cited Report on the recent Attack at Tel Afar.

(١٠ احمد ، ولاية الموصل ، ص ص ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(١٠١) المصدر نفسه ، ص ٣٩٨ .

(١٠٢) للتفاصيل انظر : ابراهيم خليل احمد ، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩ - ١٩٣٢ ، (البصرة ، ١٩٨٢) ص ١١٣ .

(١٠٣) جريدة صدى الاحرار ١٤ تشرين الثاني ١٩٥٢ .

(١٠٤) عبدالمنعم الغلامي «بلدية الموصل زمن الاحتلال البريطاني» مجلة المعرفة البغدادية ، جـ ٣٩ ، ١٥ آب ١٩٦٢ ، ص ص ١٩ - ٢٠ .

(١٠٥) جريدة صدى الاحرار ١٤ تشرين الثاني ١٩٥٢

(١٠٦) جريدة صدى الاحرار ، ٣ نيسان ١٩٥٣ ؛ احمد ، ولاية الموصل ، ص ص ٥٩٨ - ٦٠٠ .

(١٠٧) Eli kedourie, England and the Middle East, (London, 1956), PP.186 – 188.

(١٠٨) علي جودت الأيوبي ، ذكريات ١٩٠٠ - ١٩٥٨ ، (بيروت ، ١٩٦٧) ، ص ص ٩٠-٩٣ .

(١٠٩) عبدالحميد الدبوني ، «ثورة تلعفر ، اهدافها وحوادثها ونتائجها» جريدة الزمان ، ١٩ نيسان ١٩٥٤ .

(١١٠) العسكري ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ص ٦٩-٧٠ .

(١١١) للتفاصيل انظر : ابراهيم خليل احمد «حركة تلعفر ١٩٢٠ من خلال تقرير سري بريطاني» مجلة الجامعة ، الموصل ، السنة (٨) ، العدد ١٤١ ، كانون الثاني ١٩٧٨ .

(١١٢) Report on the recent Attack at Tel Afar, p.3.

(١١٣) جريدة الموصل ١١ حزيران ١٩٢٠ ، احمد ، ولاية الموصل ، ص ص ٦٢٢-٦٢٣ .

(١١٤) للتفاصيل انظر : عبدالله الفياض ، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ ، (بغداد ، ١٩٦٣) ، ص ص ٣١٨ ، ٣٢٧ - ٣٢٨ .

(١١٥) العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، جـ ٣ ، ص ١٩١ ؛ احمد ، ولاية الموصل ، ص ٦٠١ .

(١١٦) فقد فيصل عرشه في سوريا بعد احتلال الفرنسيين دمشق ، اثر معركة ميسلون بين الجيش العربي والقوات الفرنسية في ٢٤ تموز ١٩٢٠ .

(١١٧) جريدة الموصل ، ٢٤ حزيران ١٩٢١ .

(١١٨) جريدة الموصل ٨ تموز ١٩٢١ .

(١١٩) جريدة العراق ، ١٥ تموز ١٩٢١ .

• وكان من ابرز أعضاء الوفد مصطفى الصابونجي وضياء بك آل شريف بك ، وناظم العمري وعبدالغني النقيب والدكتور يحيي سميكة ومار شمعون ومار يعقوب اوجين والشيخ نوري البريفكاني والسيد عبدالله السيد وهب وسعيد بك .

(١٢٠) احمد ، ولاية الموصل ، ص ص ٤٤٧ - ٤٥٠

(١٢١) المصدر نفسه ، ص ٤٥١ - ٤٥٢ .

(١٢٢) انظر : جريدة العراق ٦ أيلول ١٩٢١ ؛ جريدة لسان العرب ، ٩ أيلول ١٩٢١ .

(١٢٣) احمد ، ولاية الموصل ، ص ص ٦٢٩ - ٦٣٥ .



تكوين الحكم الوطني واسهام الموصليين في تأسيس الدولة العراقية الحديثة

د. سيار كوكب علي الجميل

مقدمة : المراحل التاريخية

يعدّ تكوين الحكم الوطني وتأسيس الدولة العراقية الحديثة من ابرز المواضيع التاريخية المهمة في الدراسات التاريخية العراقية المعاصرة، إذ يعتبر ذلك، منطلقاً واقعياً، ومرتكزا اساسياً لفهم تاريخ العراق المعاصر، وتطور اجهزته الادارية، ومؤسساته الدستورية والسياسية والاقتصادية. اضافة الى معرفة جذور مسيرة الشعب العراقي وتطور تفكيره ووعيه الوطني والقومي ووحداته الاجتماعية.. وصدى ذلك كله في ادبياتهِ السياسية والثقافية.. سواء في اروقة وزارات الدولة ودواوينها ام في اركان مجالسه النيابية، ام في جمعياته وانديته ومؤتمراته الحزبية.. او على صفحات جرائدهِ ومجلاتهِ ومجالاته الاعلامية المختلفة.

ولقد كان دور النخبة العراقية المثقفة والواعية في تلك الميادين اساسياً وفعالاً في تدعيم الحكم الوطني، وتدعيم اركان الدولة الحديثة، وبناء المجتمع المعاصر.. بغضّ النظر عن اسبقياتهم وانحداراتهم وانتماءاتهم المحلية التي كانوا عليها قبيل تكوين الحكم الوطني وتأسيس الدولة العراقية. وتعدّ المراحل او العهود التاريخية الاولى من القرن العشرين حقبة زمنية تفاعلت فيها مختلف العناصر والمسبّبات لولادة حالة جديدة، واطر معينة من الجغرافية السياسية والبناء الداخلي.. كيف؟

١ . لقد سجّل عهد نهايات الدولة العثمانية، وخصوصا للفترة بين ١٩٠٨ - ١٩١٤ / ١٩١٨، تطوراً مشهودا لمساهمة العراقيين الجادة الاصلية في الحركة القومية العربية. ليس في تنظيمات الجمعيات القومية فحسب، مدنية كجمعية المنتدى الادبي او عسكرية كجمعية العهد في اسطنبول.. بل كان للعراقيين دورهم الفعّال في البطولة والقيادة للاحداث القومية المصيرية، وفي مقدّمتها: «الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦» وما اعقبها من أحداث، وخصوصاً في بلاد الشام. وتوضح الوثائق والكتابات التاريخية الحديثة ذلك الدور المشهود الذي قام به الموصليون في الحركة القومية العربية، وفي ميادين الاحداث سواء كان ذلك في استانبول ام في الحجاز ام في البصرة وبغداد.. أم في بلاد الشام والقاهرة[1].

٢ - وقد سجّل عهد الاحتلال البريطاني في العراق ١٩١٤ / ١٩١٨ - ١٩٢١ م حالة جديدة في تبلور نزعة الانتماء للارض، وغرس الحسّ الوطني، واعلاء شأن الهوية العراقية.. بل واشعال فتيل الثورة المسلحة على الانكليز من اجل الحصول على الاستقلال والسيادة الوطنية.. وتمثّل ذلك بالعمل السريّ المضاد او المواجهة النضالية العلنية.. مع ما رافق ذلك كله من تحوّلات في التفكير والممارسة والتجربة.. اضافة الى حالة التصادم التي سببتها اختلافات في وجهات النظر السياسية والايديولوجية والتي نلحظها متمثلة ببعض الاتجاهات والاجتهادات.. ناهيكم عن بروز بعض المنتديات الثقافية وتأسيس دور العلم والمرافق التربوية.. ونشر المقالات والادبيات الصحافية، واعمال المتابعة والتضامن، اضافة الى التظاهرات والاحتجاجات وتبلور ظاهرة الشارع السياسي. وكان للموصل الدور المؤثّر والفعّال في الميادين اعلاه كما تعلمنا بذلك مواقف رجالها، وادبياتها المحلية



المتنوّعة[٢].

٣. وقد سجّل عهد الملك فيصل الاول ١٩٢١ – ١٩٣٣، وعهد الملك غازي ١٩٣٣ – ١٩٣٩م مرحلة التكوين وتأسيس الدولة بجملة مرافقها واجهزتها ومؤسساتها المختلفة، إذ جددّت تلك التي ورثتها عن العثمانيين، وطورّت تلك التي انشأت خلال عهد الاحتلال البريطاني.. الى جانب تفاقم حالة النضال الوطني خلال عقد العشرينات، والنضال القومي خلال عقد الثلاثينيات.. مع بروز جيل عراقي جديد بدأ يناضل من اجل الاستقلال والسيادة الوطنية ومن اجل تحقيق الاهداف القومية.. متمثلاً ذلك كله بانبثاق العديد من الاحزاب والتنظيمات وبعض الاتجاهات السياسية والثقافية الجديدة، مع وفرة في صدور الصحف والمجلات العراقية التي رفدت نتاجاتها الرصينة مسألة تكوين الحكم الوطني وتأسيس الدولة العراقية. وكان للموصل ايضاً ذلك الدور المبرز والمؤثر في تطوّر الاحداث التاريخية للدولة الجديدة.. بل واستطاع العديد من ابنائها ان يشاركوا في صنع القرار، ويساهموا في مختلف السلطات، ووقعت عليهم عدة مهام جسام في العاصمة بغداد، منها – مثلا – ميادين الصحافة والجيش والمرافق العلمية.. الخ.

هكذا، يمكننا القول بأن مدينة الموصل كانت ابرز مدينة عراقية استطاعت ان تؤثّر بعد العاصمة بغداد تأثيرا فعالاً واساسياً في تكوين الحكم الوطني وتأسيس الدولة العراقية في العقود الاولى من القرن العشرين.. فكيف كان ذلك؟

مكانة الموصل الاستراتيجية:

يصف محمد امين العمري – صاحب تاريخ مقدرّات العراق السياسية – مدينة الموصل بأنها «رأس العراق وحصنه الحصين تلك البلدة الطيبة مفتاح الشرق الاوسط. ومفرق طرقهِ المهمة واتصالها برا ونهرا بقلب العراق والهند وبلاد العجم وسوريا وفلسطين والاناضول وكردستان ولاشك في ان الموصل قلعة العراق تجاه الخطر العسكري الذي يمكن ان يهدّد البلاد العراقية من جبال كردستان التي تمتد على شكل نصف دائرة في شمال وشرقي سهول الموصل... فمن يتحصّن من الدول في الموصل.. يمسك بيده مقاليد بلاد الشرق الاوسط خاصة.. اما خطورة الموصل من الوجهة الاقتصادية فهي كثيرة وجسامة منابعها المعدنية كمنابع البترول والفحم وحجر الكحل والمغنيسا والحديد والكبريت والزيبق وغيرها من المعادن.. وقد صدق السياسي القائل: اذا كانت بغداد قلب العراق فالموصل تكون رأسه»[٣].

وكانت الموصل احدى ابرز الحواضر العربية التي كان لها دورها التاريخي المؤثّر في حياة العلاقات الدولية والعثمانية خلال القرن التاسع عشر. وبدأت تؤثر فيها سياسة بغداد الاقليمية بعد زوال الحكم الجليلي في الموصل عام ١٨٣٤م، وعلى الاخص في عهد الوالي الشهير داود باشا الذي حكَم ولاية بغداد للفترة ١٨١٨ – ١٨٣١م، والذي ازدادت في عهدهِ الانشطة الاستعمارية – البريطانية كثيرا، وتفاقمت خطط الانكليز ليس في البصرة وبغداد فحسب، بل وصلت مؤثراتها حتى مدينة الموصل من خلال تأسيسهم لقنصليتهم فيها عام ١٨٣٩م، بعد ان كانت عدة بعثات تبشيرية ايطالية وفرنسية قد وصلت الموصل وعملت فيها منذ القرن السابع عشر. ولكن يبدوان سباقاً سياسياً محموماً كان يجري بين البريطانيين والفرنسيين حول الموصل خلال القرن التاسع عشر. وكان التأثير للانكليز اكبر من الفرنسيين. نظرا لعمق التغلغل البريطاني في العراق الذي يعود الى العقد الثاني من القرن السابع عشر[٤]، إذ كانت شركة الهند الشرقية قد بدأت ترسّخ اقدامها في العراق بحثاً عن مسالك تجارية واسواق جديدة لتصريف الاقمشة الصوفية وبضائع اخرى[٥].

بقي العراق بولاياته الكبرى الثلاث: الموصل وبغداد والبصرة تحت الحكم العثماني حتى الحرب العالمية الاولى، وكانت اوضاعه في مطلع القرن



العشرين قد وصلت الى حالة بائسة ، وقد عانت الموصل ابان الحرب المذكورة أسوأ كارثة حلّت باهاليها إذ تشردّ الكثير من ابنائها في مختلف الجبهات العسكرية البعيدة ، وعانى الناس في داخل اسوارها من اسوء مجاعة عرفتها في تاريخها[٦] .. وبعد دخول الانكليز الى الاراضي العراقية جوبهوا بمقاومة عنيفة ، واعلنوا بعد احتلالهم بغداد انهم جاؤوا «محررّين لا فاتحين» وان «عداء الاتراك هو الذي اضطر بريطانيا الى اتخاذ خطوتهم في بلاد وادي الرافدين لحماية الاصدقاء وحفظ المصالح»[٧] .

كانت القوات البريطانية على بعد (١٢) ميلا من الموصل ، حينما اعلنت الهدنة في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ ، بعد ان بقيت تلك القوات عند الشرقاط في حالة تقّدم بطيٍ حتى اعلان الهدنة ، ولكنها زحفت بعد اعلان الهدنة ، فاحتلت مدينة الموصل على الرغم من احتجاج القائد التركي علي احسان باشا الذي عدّ ذلك مخالفة علنية صريحة لبنود هدنة (مودروس)[٨] . لقد احتل الانكليز الموصل بحجة ان المادة السابعة من شروط الهدنة تخولهم الحق للقيام بذلك ، ثم استمروا في احتلال الأجزاء الاخرى المكوّنة لولاية الموصل ، فغدت واقعة ضمن نطاق الاحتلال البريطاني للاراضي العراقية ، بعد ان غادرها القائد التركي علي احسان باشا. ويتابع العمري كتاباته في مذكراته قائلاً : «فكان خبر عقد الهدنة قد احدث سروراً عظيماً في الموصل خاصة وفي العراق عامة لانتهاء المصائب والويلات»[٩] وقد اعلن نائب والي الموصل نوري بك بلاغاً في ١٢ تشرين الثاني ١٩١٨م الى جميع اجهزة ولايته الادارية والعسكرية اوضح فيه ان مسؤولية ذلك قد غدت امام الحاكم السياسي البريطاني[١٠] . فتولى الانكليز ادارة الموصل : الكولونيل ليجمن حاكماً سياسياً والجنرال فانشو قائداً عسكرياً والذي ابلغ المأمورين الملكيين (الموظفين المدنيين) العثمانيين لزوم المواظبة على ادارة شؤون البلدة .. ثم اصدرت الادارة الجديدة تبليغات الحاكم العسكري ووكيله الحاكم السياسي الذي تولى امور الولاية ، ونظم شؤونها الادارية والاقتصادية والامنية[١١] . وورد في بغداد افرادا من البوليس الى الموصل لتشكيل دائرة الشرطة ، ونصب الانكليز قاضياً للموصل ، وشكلوا مجلساً علمياً استشارياً في القضايا الشرعية والوقفية[١٢] .

التواصل الاجتماعي ورفض الانتداب :

كان العراق قد اصبح خلال الحرب العالمية الاولى خاضعاً لـ «ادارة المناطق المعادية المحتلة» اسوة بالمناطق الاخرى المحتلة من اراضي الامبراطورية العثمانية. وقد انيطت تلك المناطق بالادارة المدنية المرتبطة بحكومة الهند[١٣] ، في حين اختفت الادارة العثمانية– التركية من العراق بعد الاحتلال البريطاني مباشرة أما كيف فرض الانتداب البريطاني على العراق؟

كانت الحرب العالمية الاولى تمضي لتضع اوزارها ، وعند اقتراب نهايتها ، بدأ الحلفاء يفكرّون في مصير المستعمرات الجديدة من الاراضي العثمانية او الالمانية المحتلة وغيرها ، وكيف يتمّ التصّرف بها ، فابتدع نظام استعماري جديد هو «نظام الانتداب» للانكليز و «نظام الحماية» بالنسبة للفرنسيين بديلا عن التدويل أو سيطرة عصبة الامم ، او الضم العلني الصريح ، او الاستيطان المباشر. فالانتداب : هو نظام سياسي جديد له نمطهُ واسلوبه وسياساته التي كرّستها اتفاقية سايكس– بيكو عام ١٩١٦م. وتقرّر في مؤتمر سان ريمو ٢٥ نيسان ١٩٢٠م صيغة انتداب بريطانيا على العراق ، ولم يمض وقت طويل على اعلان ذلك رسمياً في ٣ مايس ١٩٢٠ م حتى اندلعت نيران ثورة العشرين على مختلف الجبهات العراقية منطلقة من الجهة الغربية للموصل (دير الزور ——> تلعفر) ، ومتفجّرة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠م في اصقاع جنوبي العراق[١٤] . وكانت الثورة نتاج خمسة عناصر وقفت مناوئة لحكم الانتداب البريطاني على



العراق، ومشكلّة بذلك قاعدة ارتكاز لتكوين العراق المعاصر:-

١- الضباط العراقيون المغتربون.
٢- العشائر العراقية الساخطة.
٣- الجماعات الدينية.
٤- المدنيون المثقفون العراقيون.
٥- الجماهير العراقية العريضة.

وعلى الرغم من تفاعل اسباب عديدة في نشوب الثورة واستمرارها طويلا في اكثر من مكان من العراق، فقد كان للموصل مكانة بارزة ولابنائها دور تاريخي في تفاعل تلك الاسباب، اضافة الى الدور «اللوجستي» الذي لعبه ضباطها القوميون وهم في دير الزور وحركاتهم العسكرية بالاتفاق مع عشائر الجبور وشمر في السيطرة على تلعفر وانطلاق الشرارة الاولى.. ناهيكم عن الموقع الجغرافي للموصل وتأثيره في اقتصاديات العراق الاقليمية ابان عهد الاحتلال.

الموصل بين تأسيس السلطات وتكوين الدولة العراقية:

بعيدا عن تفاصيل الاحداث التاريخية- التي سجلتها العديد من المصادر والمراجع- فان الثورة العراقية كان لها اكبر الاثر في تدعيم النزوع الوطني للمطالبة بالحكم الوطني من خلال تأسيس كيان سياسي مستقل. وهكذا، فنتيجة للضغوطات العراقية التي انتجتها ثورة ١٩٢٠ في دواعيها ومداخلاتها ونتائجها التي اتخذها مثقفو المدن ورجالاتها من الادباء والخطباء والمدرسين والصحافيين.. وسيلة للضغط على الانكليز من اجل الحصول على اكثر ما يمكن تحصيلهُ من المصالح الوطنية. وقد استطاعوا ان يحققّوا ذلك الهدف الاسمى، إذ وعدهم الانكليز ببعض التنازلات، وانشاء مؤسّسات ادارية محلية لهم مشاركتهم فيها.. فجاء قرار السلطات البريطانية بتشكيل اول حكومة عراقية انبثقت تحت ثقل الاحداث التاريخية- العراقية المريرة، اضافة الى عوامل خارجية اخرى تتعلق باوضاع الانكليز انفسهم الذين ارادوا حكومة عراقية تمثل «سيادة» بريطانية [١٥] !

تألفت الوزارة العراقية المؤقّتة برئاسة السيد عبد الرحمن الكيلاني (نقيب اشراف بغداد) [١٦] في ٢٥- ٢٧ تشرين الاول ١٩٢٠، وهي حكومة شكلّت لتضع الهيكل الدستوري للدولة العراقية الجديدة. وكان محمد علي فاضل النائب الموصلي الاسبق في مجلس المبعوثان العثماني مشاركاً فيها إذ كلّف بوزارتي «الاشغال العامة والمواصلات» والاوقاف [١٧]. وكان محمد علي فاضل شخصية موصلية مرموقة، قد انتخب في الموصل رئيساً لبلديتها في ٢١ تموز ١٩٢٠، وسافر الى بغداد في ٣١ تموز ١٩٢٠ للاشتراك في وضع قانون انتخاب المؤتمر العراقي الذي كان من المقرّر تشكيله [١٨].

لقد استمرت حياة هذه الوزارة التأسيسية حتى ٣ آب ١٩٢١، وبجهود مكثفّة بذلها السير پرسي كوكس الحاكم المدني العام في العراق.. وهي وزارة مهدّت الطريق لتكوين دولة ملكية عراقية. وجرت بعد ذلك الانتخابات العامة لتشكيل مجلس تأسيسي. واظهر الواقع السياسي والاجتماعي حاجة العراق الى حكومة عراقية ترعى مصالح الشعب العراقي الذي ناضل كثيرا من اجل تأسيس حياة وطنية جديدة حافلة بالسيادة ومكلّلة بالاستقلال. كما واقترح تشكيل لجنة برئاسة وزير الدفاع جعفر العسكري لدرس النظام العسكري في البلاد. وقد اظهرت طبيعة عمل الوزارة المؤقتّة ثنائية في الحكم بينها وبين نظارة المندوب السامي وتوجيهاته [١٩]. كما وأسس السر پرسي كوكس مجلساً استشارياً من بعض الاعيان والوجوه والاشراف العراقيين، فاختار بمساعدة سكرتيرته الشرقية المس كيرترود بل اثني عشر ذاتاً جعلهم وزراء بلا حقيبة وزارية يدعوهم للاستشارة، وكان ممن اختارهم من الموصل داود يوسفاني [٢٠] الذي كان يمتلك رصيداً اجتماعياً معروفاً في الموصل، وله



تاريخ سياسي منذ العهد العثماني.

ان ابرز ما قامت به الحكومة المؤقتة، تقسيم العراق لاول مرة الى وحدات ادارية تشتمل على: الالوية ← الاقضية ← النواحي (وهو تقسيم اداري قديم). لكل وحدة ادارية موظف عراقي والى جانبه مستشار بريطاني.. وتأسست لاول مرة الدواوين والدوائر الجديدة المهمة التي يديرها اداريون عراقيون، ويقوم الى جانبهم مفتشون بريطانيون[٢١].

العراق والعرش الهاشمي: تأسيس الملكية العراقية

برز على الساحة اكثر من مرشح محلي - عراقي لتولّي عرش العراق ومقاليد السلطة العليا، وكانت هناك ثلاثة اسماء بارزة من ثلاث ولايات عراقية كبرى، إذ كان السيد طالب النقيب يطمح بامارة او دولة صغيرة في البصرة، او عرش عراقي في بغداد، ولكن سلوكه السياسي ومواقفه ضد الهاشميين ابعداه عن الوصول الى هدفه. وكان المرشح الثاني هو السيد عبد الرحمن الكيلاني (نقيب اشراف بغداد) ورئيس الحكومة المؤقتة وقد منعتهُ ظروف شيخوختهِ ومرضهِ وزهده عن تولّي عرش العراق. وكان المرشح الثالث هو هادي باشا العمري سليل الاسرة العمرية المعروفة في الموصل، والذي كان له انصاره فيها، ولكن «ليس له من الظهور في العراق كلّه، ما يخولّه لهذا المطمح العظيم»[٢٢]. وقد اعتبره السير ارنولد ولسن المرشح الاول للعرش سنة ١٩٢٠[٢٣]. وكان) هادي باشا العمري ضابطاً عثمانياً كبيراً، ولد في سنة ١٨٦٠ بالموصل، ووصل الى رتبة فريق اول ركن بجدارة واستحقاق، إذ كان قد دخل في عمليات حربية عديدة، ونال اوسمة ونياشين عديدة من الدولة، وكان واسع المعلومات والخبرات العسكرية، وقد حاضر في مدرسة الاركان العثمانية بالعاصمة استانبول[٢٤].. وتوفي الرجل في سنة ١٩٣٢م دون ان يتوّج ملكاً على العراق.

كانت الانظار العراقية موجّهة الى البيت الهاشمي، والى الامير فيصل بن الحسين بالذات، ذلك الرجل الذي عرفه الضباط العراقيون جيدا في عملياتهم تحت قيادته في الثورة العربية الكبرى وفي الحكومة العربية في الشام[٢٥]. وكان صيت فيصل وادواره مثار اهتمام العراقيين واعجابهم منقطع النظير، فكان ان فضّلهُ الانكليز على غيره. وقد تمّ ترشيح الامير فيصل بن الحسين لعرش العراق بصورة نهائية في مؤتمر القاهرة الذي انعقد برئاسة ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانية عصر ذاك في ٢١ آذار سنة ١٩٢١[٢٦]. وقد ذللّت الصعوبات امام فيصل، واعطيَ الضمانات اللازمة، وخطط لذلك بكلّ دقّة. فابحرَ فيصل في ١٢ حزيران سنة ١٩٢١ نحو العراق. ولما وصلت الباخرة البريطانية المياه العراقية ابرقَ الى رئيس الحكومة المؤقتة يعلمه بوصوله البصرة، وانه في شوق لمشاهدة «البلاد التي هي محط مفاخر الاجداد»[٢٧]، وقد استقبل الامير فيصل بن الحسين بترحاب عراقي شديد قلّ نظيره[٢٨].

ما ان استقرّ الامير فيصل بن الحسين في بغداد، حتى سارعَ اشراف الموصل ووجهائها واعلامها الى عقد اجتماع موسّع في مقرّ بهو البلدية، تمخّض عنهُ تشكيل وفد كبير حددّت مهمتّه بالسفر الى بغداد لتقديم تحيات اهالي الموصل وتهانيهم له[٢٩]. وقد ضمّ الوفد كلاً من: عثمان افندي الديوه چي ومحمد حبيب العبيدي وعبد الله افندي النعمة وامين المفتي (وكيل رئيس البلدية)، ونامق آل قاسم أغا، ومصطفى الصابونچي وعبد الباقي آل حمو القدو، وعلي افندي الامام، آصف آل قاسم اغا، وضياء آل شريف بك، وناظم العمري وعزيز عبد النور وفتح الله سرسم وررؤوف شماس الوس، وحاخمباش افندي والدكتور داود الجلبي والدكتور حنا خياط وخير الدين العمري وعبد الله الدملجي[٣٠].. وقد كانت نفقات الوفد المذكور على حساب بلدية الموصل التي بادرت الى ارساله قبل صدور التعليمات اليها من بغداد[٣١].

وكان يوم ٢٣ آب سنة ١٩٢١ الموافق لـ ١٢

ذي الحجة سنة ١٣٣٩ هـ هو يوم تتويج فيصل بن الحسين ملكاً على العراق[٣٢] . وفي حفل التتويج ، ألقي بلاغ تلاه سكرتير مجلس الوزراء قال فيه :

ان مجلس الوزراء كان قد اقترح في تموز «المناداة بالامير فيصل ملكا على العراق ، على ان تكون حكومة سموه حكومة دستورية نيابية وديموقراطية مقيّدة بالقانون. وبعد اجراء التصويت العام.. استقرت نتيجة التصويت على اكثرية كلية ممثّلة ب ٩٦٪ من مجموع الناخبين على ان سمو الامير فيصل نجل الملك حسين قد انتخب ملكا على العراق».

هكذا ، بدأت حياة تاريخية جديدة في العراق منذ صباح يوم ٢٣ آب سنة ١٩٢١ ، وبعد اعلان تتويج فيصل ملكا على العراق ، احتفلت ارجاء مدينة الموصل بهذه المناسبة ، ومن ابرز الاحتفالات ، ذلك الاحتفال الذي اقامتهُ بلدية الموصل ، وقد تكلّم فيه الخطباء وصدح في ارجائه



ارشد العمري

الشعراء[٣٣] : تكلّم ارشد العمري مهندس البلدية باسم البلدية ، ثم تلاه كل من علي الامام ، وآصف آل قاسم اغا ، وياسين العريبي ، والدكتور حنا خياط ، وعلي الجميل ، والدكتور داوٌود الچلبي ، ورؤوف الغلامي.. واخيراً تكلّم الكولونيل نولدر شاكرا البلدية تنظيم الحفل وهتف بحياة الملك فيصل[٣٤] .

الموصل وركائز الدولة العراقية :

وهكذا إذن ، كانت مشاركة مدينة الموصل مشاركة فعلية في عملية التأسيس وارساء ركائز الدولة العراقية ، سواء بالنسبة للكفاح الوطني إبّان ثورة ١٩٢٠ ، او بالنسبة لانبثاق الحكومة المؤقتة ، او بالنسبة لتتويج فيصل بن الحسين على عرش العراق. وبدأ عهد التكوين للاجهزة والمؤسسات ، إذ لم يكن التأسيس الا المرحلة الاولى من مراحل التطور السياسي في تاريخ العراق المعاصر. وكان لابد ان تعقبها مراحل اخرى ، تتوثق خلالها علاقة السلطة بالمجتمع اولا ، وتبتعد خلالها ايضا علاقة الانكليز بالدولة الجديدة. ولم يكن عرش العراق الا السقف التاريخي لولادة الشرعية السياسية ، ذلك «العرش» الذي جمع ولاء ابناء الشعب العراقي قاطبة بمختلف فئاته وعناصره السكانية ، قومياته واقلياته.. اديانه وطوائفه[٣٥] .

وقد عملت الدولة الجديدة والذين اشتركوا في تأسيسها وترسيخ كيانها على انتزاع السلطة الحقيقية من الايدي البريطانية ، في حين كان البريطانيون يحرصون على الاستئثار بها حتى في ظل معاهدات بين الطرفين امتدت خلال سنوات عقد العشرينات وحتى توقيع معاهدة ١٩٣٠ التي ادخلت العراق عضوا في عصبة الامم ونال من خلالها «استقلاله».

وعلينا ان نوضح ماواكب عهد التكوين من عمليات ومشكلات (وكانت الموصل احد ابرز الاطراف التي نمت من خلالها التطورات اللاحقة) :

١ - القيام بتأسيس ماتتطلّبه الدولة الحديثة من اجهزة ومؤسسات حكومية وشبه حكومية تراعي متطلبات ابناء المجتمع ومصالحه العامة ، اضافة الى ما تقتضيه الحياة الحديثة من النواحي المختلفة : اقتصادية واجتماعية وثقافية وعمرانية.. الخ.

٢ - تكريس صفة الشرعية السياسية للعهد الجديد ، واسباغها على «الدولة الوليدة» باجراء انتخابات عامة لابناء الشعب ، ينبثق عنها مجلس تأسيسي يعمل على وضع «دستور» للبلاد وفق المفاهيم السياسية الحديثة التي تعمل قبل كل شيء



على تكريس «السلطات» والعمل على الفصل بينها ومن خلال تحديد علاقاتها بعضها بالبعض الآخر.

٣ – تحديد طبيعة العلاقة بين العراق وبريطانيا من خلال «معاهدة» تعدّ وسيلة لذلك التحديد دولياً وصولا الى الاستقلال الحقيقي، اما بالنسبة لبريطانيا فقد رأت في «المعاهدة» بديلا عن صك الانتداب!

٤ – العمل المباشر بشتى الوسائل على حل «مشكلة الموصل» التي غدت هاجساً مؤلماً بالنسبة للعراقيين، اضافة الى العمل على تثبيت حدود العراق، وتنظيم العلاقة بينه وبين الدول المجاورة له.

الموصليون في معترك الحياة السياسية الجديدة:

أ– السلطة التنفيذية:

لقد بدأت حياة سياسية عراقية جديدة مع تولّي فيصل الاول مقاليد الامور، وتشكّلت الوزارة الاولى بعد التتويج برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب الكيلاني [٣٦].. وقد اشترك معه فيها من الموصل كل من: محمد علي فاضل للاوقاف والدكتور حنا خياط للصحة.. وبدأ النشاط السياسي والحياة الحزبية بوضوح، واخذت الوزارة بالغاء القوانين القديمة. وكان للموصل احزابها المستقلّة عن احزاب بغداد السياسية. كما كان للموصل ادبياتها السياسية والصحفية التي تعبّر تعبيراً خالصاً عن حياتها وواقعها السياسيين. وقد بقي محمد علي فاضل فقط وزيراً للاوقاف في الوزارة النقيبية الثالثة للفترة ٣٠ ايلول – ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢، وغدت وزارة الصحة بمستوى مديرية عامة مرتبطة بوزارة الداخلية. وقد اعتمد الدكتور حنا خياط منهاجاً علمياً رصيناً امام الملك لتطوير الصحة والمرافق الطبية في العراق على مدى عشر سنوات [٣٧]. اما في الوزارة السعدونية الاولى للفترة ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٢ – ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٢٣ والتي شكلها عبد المحسن السعدون فلم تدخلها اية شخصية موصلية.. في حين اختير السيد احمد الفخري (الشاعر والقاضي الموصلي المعروف) وزيرا للعدلية في وزارة جعفر العسكري للفترة ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٣ – ٢ آب ١٩٢٤، ويكون هذا الوزير الشاعر هو آخر شخصية موصلية في الوزارات العراقية التي تشكّلت خلال عقد العشرينات فيما بعد سواء وزارة ياسين الهاشمي او عبد المحسن السعدون او جعفر العسكري او توفيق السويدي او ناجي السويدي حتى وزارة نوري السعيد الاولى التي شكلها في ٢٥ آذار/ مارس ١٩٣٠ والتي دخلتها ابرز ثلاث شخصيات موصلية مهمة في تطور تاريخ العراق السياسي المعاصر: جميل المدفعي وزيرا للداخلية وعلي جودت الايوبي للمالية والدكتور عبد الله الدملوجي للخارجية [٣٨].

ولقد برز خلال عقد العشرينات (عهد التأسيس) العديد من رجالات الموصل في مرافق الادارة والمؤسسة العسكرية التي وقف على رأسها جعفر العسكري، فكان ان انجبت الموصل عدة من المتصرفين والقائمين والمدراء والموظفين المدنيين الذين خدموا اغلبهم في دوائر وزارة الداخلية، كما وكان في الموصل عدد من القضاة والمحامين المعروفين الذين خدموا في المحاكم الشرعية والمدنية وفي دوائر الاوقاف.. ناهيكم عن عدد من الضباط المرموقين الذين خدموا الجيش العراقي. هذا وقد برز في الفترة اللاحقة من تاريخ العراق المعاصر العديد من ابناء الموصل كوزراء ورجال مؤسسات وقادة وقضاة ومدراء واساتذة جامعة.. وقد استقطبتهم العاصمة بغداد واحداً بعد الآخر.

ب– المجلس التأسيسي:

تأسّس المجلس التأسيسي العراقي إثر صدور الارادة الملكية في ٢٢ آذار سنة ١٩٢٤، بدعوة ذلك المجلس الى الانعقاد في ٢٧ من الشهر نفسه [٣٩]، والذي القى الملك فيه خطاب العرش الذي اكدّ فيه على الركائز المتينة التي يجب ان يقوم عليها نظام الحكم العراقي، وهي:

١ – البت في المعاهدة العراقية.



٢- سن الدستور العراقي.
٣- سن قانون المجلس النيابي.

يقول الدكتور عبد الرحمن البزاز : «ومن الحق علينا.. ان نسجل باعجاب الجرأة التي ابداها كثير من اعضاء المجلس التأسيسي من سكان المدن او رؤساء القبائل، والحرية التي سادت الجو في معظم جلساته.. مما يدل على قابليات برلمانية ممتازة، واستعداد للحياة النيابية كان يبشر بمستقبل زاهر..»[٤٠]. لقد مثل لواء الموصل في المجلس التأسيسي اربعة عشر عضوا، هم: آصف آل قاسم اغا السعرتي والسيد احمد الفخري وامجد الفخري والسيّد عبد الغني النقيب وعلي جودت الايوبي وامين المفتي ومحمد آل شمدين اغا والدكتور داؤود الچلبي وحمدي چلميران والشيخ عجيل الياور والحاج رشيد البرواري وفتح الله سرسم والدكتور حنا زبوني والدكتور يحيى سميكه[٤١]. وسيبرز من الموصل العديد من النواب الذين حفل بنشاطاتهم البرلمان العراقي.

ج- القانون الأساسي:

بعد ان صدر القانون الاساسي العراقي (الدستور) في ٢١ آذار ١٩٢٥، بدأت حياة السلطات في نظام الدولة العراقية، وذلك بتكوين كل من السلطتين: التشريعية والتنفيذية. ونصّ الدستور العراقي على ان العراق «دولة ملكية برلمانية حرّة ذات سيادة واستقلال»: ولكنه حدّد ببنود المعاهدة العراقية- البريطانية لعام ١٩٢٢[٤٢]. واظهرت السلطة العليا المتمثّلة بالملك فيصل الاول تأخذ وضوحها بادارة زمام الامور وخصوصاً في عملية تشكيل الوزارات وسقوطها. ولقد صدرت الارادة الملكية التي تمّ بموجبها انتخاب النواب في حزيران سنة ١٩٢٥ ،كما تم تعيين اعضاء مجلس الاعيان في شهر تموز من العام نفسه. واجتمع اول برلمان عراقي في ١٦ تموز ١٩٢٥[٤٣]. وكان لنواب الموصل في دوراتهم الاولى دورهم الفعّال والكبير في بناء السلطة التشريعية للبلاد، وقد مثّلوا اهالي الموصل تمثيلاً طيباً وصادقاً، وبرز في عقد العشرينات ابان تكوين الدولة العراقية الحديثة، العديد من النواب الموصليين الذين اثروا بآرائهم وتفكيرهم وتجاربهم: الحياة السياسية والنيابية العراقية، فقد كان هناك من اعضاء الدورة الاولى: ثابت عبد النور ورؤوف اللوس وارشد العمري وغيرهم. ومن الدورة الثانية: خير الدين العمري وضياء يونس والدكتور عبد الاله حافظ.. وغيرهم[٤٤]. كما وكان لبعض رجال الموصل تأثيرهم في الحياة الحزبية العراقية، فقد كان الدكتور عبد الاله حافظ - مثلا - احد اعضاء قيادة حزب الاخاء الوطني[٤٥].. وقد ازدادت- فيما بعد- ادوار الموصل في ترتيب اوضاع السياسة العراقية، وبناء نظام الحكم وتطوره خلال السنوات والعقود اللاحقة.

مشكلة الموصل:

كان العراق يسعى منذ انبثاق دولته للاحتفاظ بولاية الموصل، وحلّ مانشأ من خلافات حولها. فمن المعلوم، ان جزءاً من ولاية الموصل كانت تدخل ضمن نطاق منطقة (A) التابعة للنفوذ الفرنسي حسب اتفاقيات سايكس- پيكو، ولكن فرنسا تنازلت عن الموصل لبريطانيا سنة ١٩١٩، وبشكل رسمي في مؤتمر سان ريمو سنة ١٩٢٠، في حين بقيت الحكومة التركية تطالب بها.. وعلى الرغم من كل الملابسات التي حدثت، فقد تقرّر في ٣٠ ايلول سنة ١٩٢٤ تكليف لجنة دولية لدراسة المشكلة: دراسة وثيقة وتقديم التوصيات الى عصبة الامم لاصدار قرارها[٤٦].

واثناء وجود اللجنة في بغداد والموصل والمناطق الشمالية المتنازع عليها، مستوضحة عن الموضوع من النواحي: الجغرافية والعنصرية والتاريخية والاقتصادية والسياسية.. وكانت النتيجة النهائية تقضي بعدم انقسام ولاية الموصل، واوصت بضم المنطقة الواقعة جنوب «خط بروكسل» أي بكليّتها الى العراق[٤٧]. وقد قام اهالي مدينة الموصل،



وعلى الاخص رجالاتها ومثقفيها بادوار تاريخية بارعة في الحفاظ على عراقية الموصل.. كما ونهضت صحافة الموصل بدور بارز في بث الوعي، ونشر الاسانيد التاريخية والمعلومات السكانية والجغرافية[48] من اجل حفاظ العراق على حقّه «كما كان لبعض المؤسسات القومية في الموصل ذاتها شأن يذكر في القضاء على افكار بعض الاسر المحافظة المتنفّذة التي كانت لها روابط وثيقة مع الاتراك... ولاشكّ في ان ضمّ ولاية الموصل الى العراق حادث خطير في تأريخ الدولة الناشئة»[49].

يقول علي الجميل في ترحيبه بحمدي الپاچه چي في جمعية الدفاع الوطني بالموصل: «لئن اوفدك اخواننا البغداديون للسلام علينا وتجنيد اعمالها في سبيل قضيتنا فما ذاك الاّ بعض ماتقتضيه شهامة ابناء العاصمة ولا فخر لنا بذلك ولا مِنّة لنا على احد بما قمنا به من التفاني في سبيل قضيّتنا الوطنية.. فالجهاد في سبيل الحق واجب في ذمة كل من عرف الحق وعرف معنى الحق، وما نحن وانتم الا كافراد عائلة واحدة، العربية تربط بيننا، واللواء العراقي المقدس يضمّنا، خلقنا عرباً وعشنا عرباً وسنموت عرباً ونبعث عرباً رغم كل معارض او معاند... وفي الختام اهتفوا معي قائلين: فلتحيا البلاد العراقية مرتبطة لا تتجزأ...»[50].

لقد تفانى الموصليون في الحفاظ على عراقيتهم خلال عقد العشرينات المزدحم بالمشاكل وفي خضم التطورات السياسية والاقليمية، وكان عليهم ان يرتّبوا خصوصيتهم ضمن اطار النزوع الوطني العراقي والحفاظ على هويتهم وعروبتهم من خلال العمل السياسي المكثف لاكثر من حزب سياسي كالحزب الوطني العراقي وحزب الاستقلال اضافة الى جمعية الدفاع الوطني، وكلها احزاب موصلية عملت ببراعة واسهام حقيقي في التأسيس والتكوين.. كما وكان للصحافة الموصلية السياسية — المحلية الدور المؤثر كميدان حقيقي للتعبير والجهر بالارادة والايمان في ان تبقى الموصل جزءاً حيوياً واستراتيجياً من العراق والذي تقف لتشكّل رأسه. وكان للنخبة الموصلية المثقّفة والسياسية اكبر الادوار سواء في الموصل او بغداد بخصوص حسم مشكلة الموصل لصالح تكوين الدولة ومصير العراق ومستقبله.

اسهامات الرواد الاوائل:

بوسع المرء ان يدرك ويتعلم الكثير عن مكانة الموصل في عملية تكوين الحكم الوطني وتكوين الدولة العراقية من خلال دراسة وفحص المزيد من الميادين والاطر والانماط والاجراءات والخطابات والمقالات، وعلى مختلف الاصعدة: السياسية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية والثقافية، ويبدو لنا من بعض خطابات وافكار الملك فيصل الاول انه كان يقدّر تلك «المكانة» التي حظيت بها الموصل قبل قدومه الى العراق، وخصوصا من خلال اعتماده على العديد من الضباط العراقيين، وزادت ثقته بمكانتها بعد اول زيارة له اليها، ثم زياراته الاخرى، معتزّا بتاريخها وآثارها وتراثها الاصيل وخصوصيتها الاجتماعية[51].

لقد اثرت مجمل القيم الحضارية والاجتماعية التي امتلكها الرجال الاوائل في عملياتهم الوطنية وتنفيذ واجباتهم كافة وخصوصا في الجيش والادارة والسياسة، واتصفوا بالحزم والمثابرة والجلد والجودة في اداء المهام. ولكن كان لبعضهم سلبياتهم الكامنة في سلوكياتهم الوظيفية والاجتماعية والتي تعكسها المنافسات الشخصية والعائلية، أو تشكلها الانحدارات الطبقية وبقايا ازمات المجتمع. وكثيرا ما كانت الظروف الصعبة التي مرّت بالموصل منذ القرن التاسع عشر وراء انتشار بعض السلوكيات والممارسات، دفعت بالعديد من ابنائها وعوائلها الى الهجرة والاستقرار ليس في بغداد فحسب، بل في اماكن اخرى خارج العراق.. بل جاءت بعض الانتقالات نتيجة للعمل الوظيفي بعد



تأسيس الدولة العراقية، وخصوصاً في فترة مابين الحربين العظيمتين. فكان ذلك هو حالة مكملة لما بدأهُ الرواد الاوائل خلال العقدين الاولين من القرن العشرين.

السؤال الآن: كيف كانت طبيعة اسهامات اولئك الرواد الاوائل؟ والجواب على ذلك يأتي من خلال الوقوف على نماذج عديدة من تلك الاسهامات والتعمق في اسبابها وعواملها والخروج بمعرفة نتائجها وآثارها كما نجمله في الآتي:

١ - المكانة الاقتصادية التي حظيت بها مدينة الموصل، وعلاقاتها ليس بالاقاليم المجاورة فحسب، بل بالاقاليم البعيدة وخصوصاً علاقاتها الوثيقة بالعاصمة العثمانية استانبول وبلاد الشام واقاليم الاناضول.. وقبل اكتشاف النفط في اراضيها.

٢ - المكانة التاريخية التي وجدت الموصل نفسها عليها بتقاطر رجال الآثار والقناصل والرحالة الاجانب جعلها محط انظار الجميع.. ناهيكم عن اولئك الذين قدموا اليها لاغراض تبشيرية وسياسية متعددة.

٣ - المكانة الثقافية والعلمية والادبية التي تمتعت بها الموصل.. وصلاتها بالمدن العربية الاخرى في العراق وبلاد الشام.. اضافة الى دورها المبكر في النهضة ونضوج النزعة القومية - العربية فيها.

٤ - المكانة الادارية - المحلية وما توارثته من القيم والاجراءات والاجهزة.. اضافة الى تأسيس العديد من المرافق والمؤسسات الادارية والقضائية والمجالس البلدية فيها.. وقبل غيرها من الاماكن والاقاليم.

٥ - الاوضاع الداخلية والمستويات الاجتماعية والاحوال السكانية التي حفلت داخل اسوارها، سواء كانت ايجابية ام سلبية قد احدثت تناقضات واسعة النطاق في مختلف قسماتها الاجتماعية.. وبالصورة التي لم نجدها في غيرها من الاماكن.

إن كل ماتقدم كان من جملة الاسباب التي دفعت بالعديد من ابنائها في البحث عن هوية وانتماء جديدين كالذي سنجده - فيما بعد - مؤطرا بالوطنية العراقية ومرسّخاً بالعمل على تكوين الدولة العراقية الجديدة.. وبوسائل وادوات متعددة كأن تكون من خلال «الفكرة القومية» أو «الجمعيات العربية» او «الاناشيد الوطنية» او «الاشعار الحماسية» او «الثورة العربية الكبرى» او «المدارس الاهلية» او «المنتديات الادبية» او «ثورة العشرين» او «المقالة السياسية» او «العمليات العسكرية».

لقد كان لعدد كبير من الرواد الموصليين اسهامات حقيقية، وانشطة عملية في استخدام اغلب تلك الوسائل والادوات للتعبير عما كان يخالج ضمائرهم. وعلى الرغم من اختلاف النزعات او المشارب او الافكار السياسية، فان ذلك يعود بالدرجة الاساس الى تباين مصادر الثقافة الى جانب الاختلاف في العوامل الاجتماعية التي حكمت طبيعة توجهاتهم.. إذ كان لكل من البيئة والثقافة الدور المبرّز في فرز مختلف التباينات، بل وحتى بعض الانقسامات التي طغت على السطح فيما بعد.

كان للعسكريين الموصليين القدامى دور بارز واسهام واضح في ترسيخ الحكم الوطني والاكثر من ذلك، بناء اسس الدولة العراقية. وقد افادتهم كثيرا، تجاربهم ومعلوماتهم التي اكتسبوها في مدارسهم العسكرية - العثمانية او في ميادين القتال المتعددة التي استبسلوا فيها، وتكفينا اسماء: علي جودت الايوبي ومولود مخلص وجميل المدفعي وعبد الله الدليمي ومحمد امين العمري وعبد الله صالح الموصلي وعبد الحميد الدبوني وصلاح الدين الصباغ وغيرهم.

وكان للاطباء الموصليين القدامى دورهم واسهامهم العملي في تحديث الانشطة الصحية من خلال تأمين برنامج رصين بعد قيام الدولة العراقية، ومنهم: الدكتور حنا خياط والدكتور داوود

الجلبي والدكتور استراجيان والدكتور فاروق الدملوجي (بيطار). والدكتور يحيى نزهت علي والدكتور حنا زبوني والدكتور جميل دلالي والدكتور عبد الكريم قليان والدكتور يحيى سميكه والدكتور احمد وجداني. وساهم قضاة ومحامو الموصل ورجالات القانون فيها بتعزيز السلطة القضائية سواء في جوانبها الشرعية او في قوانينها الوضعية، وبرز العديد منهم في الساحة العراقية، اذكر: السيد احمد الفخري والسيد محمد نوري الفخري ومحمود نشأت الفيضي وعبد الله فائق وحسن الاطراقچي وعمر خلوصي وسليمان فيضي واحمد سعد الدين زيادة وعلي محمود الشيخ علي وضياء يونس.. ومتّي بيثون ونوئيل رسام ومحمد صديق شنشل وجليل قسطو ويوسف الحاج الياس وغيرهم.

عبدالرحمن صالح

وكان للمعلمين والمدرسين ادوارهم الناصعة في غرس النزعة الوطنية في قلوب النشىء الجديد، وتربيتهم تربية عراقية مستندة الى روح العروبة والانتماء الاسلامي، نذكر منهم: رشيد الخطيب، رؤوف الغلامي، عبد المجيد شوقي البكري، محمد سعيد الجليلي، عبد الرحمن صالح، داؤود سليم، قاسم الجليلي، محمد توفيق الدباغ وغيرهم.

ويعتبر الموسيقار الملا عثمان الموصلي قيمة فنية وطنية منذ عهد مبكر، وقد عبّرت وطنيته الصادقة عن مواقفه السياسية في قلب احداث ثورة العشرين التي كانت وراء تبلور الكيان السياسي للعراق المعاصر.. كما لحّن الرجل وغنّى عندما كان يعيش في أزقة بغداد القديمة مسجلاً مواقفه الوطنية ضد الانكليز، وقد تعلّم منه العديد من تلامذته ومريديه والمعجبين جدا به.

وفي ميدان الصحافة، فقد كان للموصل خلال عهد التأسيس والتكوين، ذلك الدور الحقيقي المؤثّر.. وعلى لسان اربعة من اشهر صحف الموصل الرصينة والتي شاركت جميعا في ارساء الوعي الوطني، ونشر الاحداث، ومتابعة الخطط والقوانين وكافة عمليات بناء الدولة.. فضلا عن نشرها للعشرات من المقالات السياسية والاقتصادية والثقافية التي أثارت في الرأي العام ارساء تقاليد في المتابعة والاصلاح.. ومن اشهر صحف الموصل: جريدة الموصل وجريدة العهد وجريدة الجزيرة وجريدة صدى الجمهور وجريدة فتى العراق وغيرها.

لقد ترك بعض مثقفي نخبة الموصل مدينتهم نحو بغداد التي استقروا فيها واصدروا صحفهم الشهيرة فيها، إذ لابد ان نذكر فضل كل من: سليم حسون وروفائيل بطّي وپولينا حسون وتوفيق السمعاني وغيرهم من الذين نشروا العشرات من مقالاتهم في الصحف البغدادية، بل واصدروا عدة صحف رصينة اشتهرت في بغداد.

وكان لتلك «النخبة» من المثقفين الموصليين الدور الفعال في تبلور التفكير السياسي والنضال من اجل استقلال العراق، وما كان ذلك «النضال» بغريب على ابناء المدينة الذين عرفوه منذ ايام حكم الاتحاديين التي انطلقت خلالها- ولأول مرة- «الاناشيد الوطنية» و«المسرحية التاريخية».. اضافة الى فنون الشعر والخطابة التي تتغنى جميعها بقدسية الوطن وهيبة الدولة.. وتبلورت صيغ النضال ضد الانكليز وخصوصا ذلك التعبير الساخط الذي تمثلهُ التجمعات الوطنية والاحزاب السياسية والتي كان لها دورها الفعّال في الكفاح والتصدّي كجمعية العهد وجمعية العلم..

العدد ١١٤ — السنة الثانية

صدى الجمهور

صدى الجمهور

العنوان : الموصل صدى الجمهور

بدل الاشتراك :

سنة ١٠ روبيات بالموصل — عن نصف سنة ٥ روبيات

١٥ خارجها

جميع ما يتعلق بشؤون التحرير يراجع به

رئيس التحرير

علي الجليلي

لا تقبل الرسائل ما لم تكن موقعة بامضاء صريح

اجرة الاعلانات

يتفاوض ويتفق عليها مع ادارة المطبعة بتساهل عظيم

الجمعة في ١١ ايار سنة ١٩٢٨ — في كل اسبوع يصدر عددان مرتباً — الموافق ٢٢ ذي القعدة ١٣٤٦

جريدة صدى الجمهور

وقد وصل الموصل العديد من المثقفين والرجال المختصين العرب ليزاولوا عملهم في التدريسات واعداد المثقفين، ومنهم : انيس زكريا النصولي ودرويش المقدادي وغيرهما الذين تربى على ايديهم جيل عراقي مؤمن بوطنه وقوميته.

من جانب آخر، فان بغداد — كعاصمة جديدة لدولة جديدة — استقطبت «العدد الكبير من المثقفين والادباء والصحافيين العراقيين، فطارت شهرة البعض ممن قدم اليها ثم استوطن فيها. في حين ان من بقي في مدينته — الموصل — بقي مغمورا رغم مؤهلاته وثقافته العليا ومواقفه الفكرية. ان استحواذ بغداد على الدور الثقافي المؤثر، جاء برفقة التكوين المعاصر، فغدت لها مركزيتها، وطغت كثيراً على دور الاطراف والحواضر العراقية الاخرى»(٥٢).

خاتمة : المساهمات الفكرية

ان ذلك الجيل من الرواد الموصليين كانوا من البناة الحقيقيين الذين ساهموا مساهمة اصيلة في اثراء الدولة والمجتمع العراقي في ميادين متنوعة كالصحافة والقضاء والتربية والتعليم والسياسة والنيابة والوظائف الحكومية والمناصب العسكرية وغيرها. والى جانب المواقف السياسية التي كرّسها العديد من رجال الموصل بهدف الاستقلال والسيادة الوطنية التي عبّرت عنها التجمعات الوطنية والتظاهرات والاحتجاجات والنضال القوي الذي مارسه رجال امثال : سعيد ثابت وثابت عبد النور ورؤوف الغلامي ومحمد يونس السبعاوي وغيرهم.

كانت هناك الكتابات والمقالات الفكرية والسياسية والخطابات العصماء والقصائد المؤثرة فعلى سبيل المثال لا الحصر، كان للدكتور داؤود الچلبي نائب الموصل خطاباته المؤثّرة في المجلس النيابي العراقي، كما وكانت له اراؤه في تأسيس كيان الدولة وانشاء الحكومات، إذ يقول : «ان لتأسيس الحكومات نظاماً مشت على نبراسه الامم الراقية، فاهتدت الى سبيل النجاح، وكان ذاك عفو الساعة وبديهة الوقت كما يبدي احدنا رأيه. بل هو سجل حقائق محصّتها الاراء وقررتها التجارب.. الا ان ذلك النظام قد منع الفوضى ومنح الفرد حقّه في مثل مانحن فيه على لسان ممثلي الامة في ندوة التأسيس، ليصان حق الفرد ويتجلّى معنى الحكم الذاتي باوضح معانيه»(٥٣).

وكان نواب الموصل في البرلمان العراقي من ابرز المثقفين الذين كان لهم تأثيرهم الواضح في ذلك البرلمان، ومنهم : خير الدين العمري، والدكتور داؤود الچلبي، والدكتور عبد الاله حافظ، وارشد العمري وغيرهم، ان خطبهم وتدخلاتهم في مناقشات حامية لقضايا أساسية ومصيرية في تاريخ العراق المعاصر، تعبر عن ذهنياتهم واساليب تفكيرهم، اضافة الى واقعيتهم بتحسّسهم مستقبل بلادهم وامتهم عهد ذاك. يقول الدكتور داؤود الچلبي في مناقشات وضع الدستور العراقي عام ١٩٢٥ : «افتكروا ايها النواب فيما جرى بالامم الاخرى من الثورات الدموية، انكم ربما تكتبون



مادة بقطرة من الحبر ثم تحتاج الامة في المستقبل لمحوها الى سيل غزير من الدماء»(٥٤) . لقد كان الجلبي قد دعا الى ممارسة الحياة الديمقراطية والى صيانة حقوق الفرد عن طريق سن دستور للبلاد !(٥٥)

وهناك الكاتب والصحفي الموصلي المخضرم يونان عبو اليونان الذي نشر افكاره السياسية على صفحات جريدة «الموصل» وطالب بالمستلزمات الاساسية الكفيلة لعملية بناء الدولة العراقية الحديثة ، وخاصة في المراحل الجنينية الاولى من تأسيس الحكم الوطني.. مؤمناً بحرية الفكر والديمقراطية.. وناقش مفهوم «الدولة» قائلاً : «الدولة او الحكومة هي الجمعية السياسية والادارية الثابتة الاركان والمزوّدة بسلطة كاملة حرة مستقلّة ابتغاء الخير العمومي واستتباب الامن والعدالة بين الاهلين مع مراعاة انظمتهم الداخلية والمحافظة على حقوقهم الخارجية..»(٥٦) . وافرز هذا الكاتب ثلاثة انواع من الدول :

١ . الدولة الملوكية ٢ . الدولة الارستقراطية ٣ . الدولة الديمقراطية . ويختتم قوله بـ(مفهوم الدولة المثلى): «اما الدولة المثلى فهي التي تكون موافقة نظرياً وعملياً لاحتياجات الشعب ولاخلاقهِ وآمالهِ واعلاء شأنه»(٥٧) .

لقد كان يونان عبو اليونان يمتلك رصيدا من الثقافة السياسية التي عالج من خلالها مواضيع كان العراق بحاجة اليها وهو يؤسس كيان دولته الحديثة .

وهناك علي الجميل الذي اهتمّ كثيرا في كتاباته بتحديث المجتمع في اطار الدولة وكان يندّد باولئك المتشدّقين بالوطنية ولايترجمون اقوالهم الى عمل ملموس ويكتفون باطلاق الاحكام لاغير ، «وانطلاقاً من طروحاته النظرية.. فقد تطرّق الى مسألة (الوطنية) ، وعدّ الوطنية مصطلحاً شاملاً يرتكز على اللغة والقومية والوطن»(٥٨) . ومن الناحية الاجتماعية «اكدّ على حاجة المجتمع الى حماية الانتاج الوطني وحماية العمولات الوطنية واعتبر البطالة داءً وبيلاً ، واكدّ على احترام القانون وحاجة المجتمع الى اصلاح القوانين والاصول الجزائية بما يتفق وتقدم المجتمع في مناشدته لنواب الامة . ودعا الى قيام ثورة زراعية في العراق لتوفر وسائل وعناصر الانتاج ، والى نهضة صناعية والى تشجيع التجارة...»(٥٩) .

وعلى مستوى توثيق الاحداث التاريخية المعاصرة ، كتب محمد أمين العمري كتابهُ المهم «تاريخ مقدرات العراق السياسية» بثلاثة مجلدات ، ونشره باسم اخيه محمد طاهر آل المصيب العمري ولاسباب تتعلق بعمله العسكري انذاك(٦٠) . وحفظ فيه مجموعة مهمة من التواريخ الاساسية في تكوين الدولة العراقية خلال اخطر مراحلها الاولى مفصّلا وضعية العراق الادارية والاقتصادية والسياسية. واخيرا ، يمكننا القول بأن الموصل كان لها دور نبيلٌ وفعّالٌ في تكوين الحكم الوطني وان اسهامات جليلة ومؤثّرة كانت لابنائها في تأسيس الدولة العراقية ، ورفد ذلك كله بالمزيد من الافكار والآراء والطروحات والمفاهيم. ناهيكم عن دورهم في بناء المؤسسات السياسية والدستورية والقضائية والاجهزة الادارية والتعليمية والصحية ، فضلاً عن العسكريين ولابدّ ان نذكّر ان اغلب تلك العناصر من المدنيين والعسكريين كانوا من المخضرمين الذين عاشوا نهايات حياة الدولة العثمانية ، فعانوا كثيرا من حدّة التحولات السياسية والفكرية وخلال مرحلة انهيار الاقتصاديات العالمية بعد الحرب الاولى.. ولكنهم نجحوا في عملياتهم ومساهماتهم ليس في جعل الموصل لواءاً عراقياً ، بل في تكوين العراق المعاصر خلال القرن العشرين.

الهوامش

(١) من ابرز المصادر التاريخية العراقية هو كتاب محمد امين العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية (المجلدات الثلاثة) ، الموصل/ بغداد ، ١٩٢٤ - ١٩٢٥ ، اضافة الى مانشره : احمد عزت الاعظمي في كتابهِ : القضية العربية : اسبابها مقدماتها تطوراتها ونتائجها (٦ اجزاء) ، بغداد ، ١٩١٣ - ١٩٣٤ . ولابد من الاشارة الى كتابات عدد واسع من المؤرخين العراقيين المختصين منهم الدكاترة فيض نظمي وابراهيم خليل أحمد



ومحمد هليل الجابري وسيّار الجميل..

(٢) ماسجله عبد المنعم الغلامي في كتابه: اسرار الكفاح الوطني في الموصل، بغداد، ١٩٥٨. وانظر حجم ومضمون مانشر من مقالات صحفية على صفحات جرائد الموصل.

(٣) محمد امين العمري، المصدر السابق، جـ ١، ص ١٦٠-١٦١.

(٤) لوريمر، دليل الخليج (القسم التاريخي)، الدوحة، جـ ٧، ص ٣٩٤٦.

(٥) التفاصيل التاريخية والجغرافية في:
Col. Chesney, The Expedition for the Survey Rivers Euphretes and Tigris. vol. I, London, 1850.

(٦) د. ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل: دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨- ١٩٢٢ (رسالة ماجستير غير منشورة). كلية الآداب/ جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ٢٠٦.

(٧) راجع كتابات لونكريك في كتابه:
S.H. Longrigg, Iraq: 1900– 1950, London, 1953, p. 78.

(٨) التفاصيل في «المقدرات..»، ١/ ١٤٨.

(٩) المصدر نفسه، ١/ ١٤٩.

(١٠) المصدر نفسه، ١/ ١٥٢.

(١١) المصدر نفسه، ١/ ١٥٥.

(١٢) المصدر نفسه، ١/ ١٥٩.

(١٣) ل. ن. كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية، ترجمة عن الروسية: د. عبد الواحد كرم، بغداد، ١٩٧١، ص ٧٠.

(١٤) د. وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، ط ١، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٧٧ وما بعدها.
وللتفاصيل عن احداث الثورة المنطلقة من دير الزور الموصل، انظر ماكتبه علي جودت الايوبي في: ذكريات ١٩٠٠- ١٩٥٨، بيروت، ١٩٦٧.

(١٥) راجع تحليلات تاريخية تحمل وجهة النظر البريطانية، كالتي يمثلها فوستر وايرلند والمس بل ولونكريك وريشارد كوك وغيرهم.

(١٦) انظر ماكتبه خيري العمري في كتابيه حكايات سياسية في تاريخ العراق الحديث، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٢٢٠- ٢٢١. وشخصيات عراقية، بغداد، ١٩٥٥، جـ ١، ص ١٣- ٢١.

(١٧) انظر: الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦، حرره الياهو دنكور ومحمود فهمي درويش (بغداد، ١٩٣٧).

(١٨) نقلا عن اوراق قديمة رسمية وشبه رسمية بحوزة كاتب البحث.

(١٩) د. عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، بغداد، ١٩٦٧، ص ١١٧- ١١٩.

(٢٠) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، جـ ١، صيدا، لبنان، ١٩٥٧، ص ١٥٩- ١٦٠.

(٢١) د. عبد الرحمن البزاز، المرجع السابق، ص ١١٩.

(٢٢) المرجع نفسه، ص ١٢٢.

(٢٣) فيليب ويلارد ايرلند، العراق: دراسة في تطوره السياسي، ترجمة: جعفر خياط، بيروت، ١٩٤٩، ص ٥٨.

(٢٤) وزارة الدفاع العراقية (مديرية التطوير القتالي)، تاريخ القوات العراقية المسلحة، ط ١، بغداد، ١٩٨٦، جـ ١، ص ١٥١. وعن طبيعة الموقع الاجتماعي لـ هادي باشا العمري، انظر: «الشجرة العمرية» تخطيط حسن زيور العمري (نسخة بحوزة كاتب البحث).

(٢٥) تفاصيل تاريخية وبايوغرافية تجدها في:
Th.E. Lawrence, The Seven Pillars of Wisdom: A Triumph, Harmondsworth. Eng. Penguin, 1969.

(٢٦) وراجع آراء المس كيرترود بل:
Lady G. Bell. The Letters of Gertrude Bell (1914– 1926), Vol. 2, London, 1927, p. 602.

(٢٧) البزاز، المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٢٨) المرجع نفسه، ص ١٢٩.

(٢٩) Lady G. Bell, op. cit., pp. 602– 3.

(٣٠) جريدة الموصل، العدد (٣٨٩)، ٢٢ حزيران ١٩٢١.

(٣١) المصدر نفسه، ص. ن.

(٣٢) امين الريحاني، فيصل الاول، ط ٢، بيروت، ١٩٠٨.

(٣٣) جريدة الموصل، العدد (٤١٣) بتاريخ ٢٤ آب سنة ١٩٢١.

(٣٤) راجع نصوص الخطابات كاملة في جريدة الموصل، العددان (٤١٦- ٤١٧)، بتاريخ ٢١- ٢٤ آب سنة ١٩٢١.

(٣٥) من المفيد جدا مراجعة «مذكرة الملك فيصل» التي نشرها عدد من الساسة والمؤرخين منهم: علي جودت في ذكرياته (سبق ذكرها) ملحق بنهاية الكتاب.

(٣٦) انظر: د. ابراهيم خليل احمد ود. جعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، الموصل، ١٩٨٩، ص ٣٢- ٣٣.

(٣٧) انظر: د. موسيس هاكوبيان، حالة العراق الصحية في نصف قرن، الموصل، ١٩٤٨، ص ١٣- ١٩.

(٣٨) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، جـ ١، ط ٥، بغداد، ١٩٨٧، ص ٧٨.

(٣٩) كتب التفاصيل د. محمد مظفر الادهمي، المجلس التأسيسي العراقي، بغداد، ١٩٧٦.

(٤٠) أنظر كتابه: العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ص ١٥٦.

(٤١) تجد التفاصيل في كتاب علي الجميل، نوابنا في الميزان، جـ ١، ورقة ٤٤ (مخطوط بحوزة كاتب البحث).

(٤٢) انظر: د. مجيد خدوري، نظام الحكم في العراق (قام مؤلفه بتعريبه والتوسّع فيه رفقة فيصل نجم الاطرقجي)، بغداد، ١٩٤٦، ص ٧١. ايضاً: هنري أ. فوستر، تكوين العراق الحديث، ترجمة: عبد المسيح جويدة، بغداد، ١٩٤٥، ص ٣٣٧- ٣٤٧.

(٤٣) علي الجميل، المصدر السابق، ورقة ٥٦/ اوراق ٥٩- ٧١.

(٤٤) المصدر نفسه، اوراق مختلفة.

(٤٥) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، جـ ٣، صيدا/ لبنان، ١٩٥٧، ص ٨٩.

(٤٦) من ابرز المراجع التاريخية واهمها في دراسة هذه المشكلة الدولية:



كتاب د. فاضل حسين، مشكلة الموصل: دراسة في الدبلوماسية الانكليزية العراقية التركية وفي الرأي العام، بغداد، ١٩٦٧.

(٤٧) د. فاروق العمر، المعاهدات العراقية - البريطانية واثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢ - ١٩٤٨، بغداد، ١٩٧٧، ص ١٤٠ وما بعدها.

(٤٨) مراجعة دقيقة للمقالات التي دبجتها الفئة المثقفة سياسياً في الصحف الموصلية.

(٤٩) د. البزاز، المصدر السابق، ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٥٠) جريدة الموصل، العدد (٩٢٧) في ٢٥ شباط ١٩٢٥.

(٥١) مراجعات لعدة مقالات نشرتها جريدة «صدى الجمهور» الموصلية للفترة ١٩٢٧ - ١٩٢٩.

(٥٢) د. سيار الجميل، «النخبة العراقية وتكوين الدولة ١٩٢١ - ١٩٤١»، آفاق عربية، العدد (١١)، السنة (١٦)، تشرين الثاني ١٩٩١، ص ٤٦.

(٥٣) جريدة الموصل، العدد (٣٧٧)، ٢٥ أيار سنة ١٩٢١.

(٥٤) د. سيار الجميل، «انتلجينسيا العراق: التكوين.. الاستنارة.. السلطة»، مجلة المستقبل العربي، العدد (١٣٩) السنة (١٣) ايلول ١٩٩٠.

(٥٥) جريدة الموصل، العدد (٤١٧)، ٢٥ ايلول ١٩٢١.

(٥٦) جريدة الموصل، العدد (٤٤٦)، ٧ تشرين الثاني ١٩٢١.

(٥٧) جريدة الموصل، العدد (٤٤٦)، ٧ تشرين الثاني ١٩٢١.

(٥٨) جريدة الموصل، العدد (١٣٨)، ٢١ تشرين الاول ١٩٢٠.

(٥٩) ذنون يونس الطائي، الاتجاهات الاصلاحية في الموصل في اواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب/ جامعة الموصل، ١٩٩٠، ص ٢٣٦ (نقلا عن مقالاته واوراقه ومخطوطاته).

(٦٠) انظر مقدمة تاريخ مقدرات العراق السياسية (سبق ذكره).

المساومات الدولية حول ولاية الموصل

(١٣٣٤-١٣٤٤هـ ١٩١٦ - ١٩٢٦م)

أ. د. فاضل حسين

أعادت الدولة العثمانية تشكيل «ولاية الموصل» سنة ١٨٧٩ فشملت مناطق الموصل وأربيل والسليمانية وكركوك. تلك المناطق صارت تعرف بعد الحرب العالمية الأولى بألوية الموصل وأربيل والسليمانية وكركوك (تشمل الآن محافظات نينوى ودهوك وأربيل والسليمانية والتأميم). وتمثل ولاية الموصل نحو ربع مساحة دولة العراق الحديثة ونحو ربع سكانها.

نفط ولاية الموصل:

في سنة ١٨٨٨ أصدر السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) فرماناً حصر به حق منح التفتيش عن النفط وإعطاء الامتيازات لاستثماره في ولاية الموصل حصراً تاماً بخزانته الخاصة. في ١٩٠٤ حصلت شركة سكك حديد الاناضول، وهي شركة المانية، على عقد من خزانة السلطان الخاصة تعهدت فيه بالقيام بمسح تمهيدي لحقول النفط ونالت حق استثماره.

وفي ١٩٠٦ انهت الخزانة الخاصة عقدها مع شركة الأناضول ودخلت في مفاوضات مع جماعة دارسي البريطانية لاستثمار حقول النفط. وفي ١٩٠٩ استؤنفت المفاوضات مع وزارة المالية التركية التي نقل اليها امتياز نفط الموصل من خزانة السلطان الخاصة[1].

وفي ١٩١٢ حاولت الجماعة الألمانية الحصول على تأييد الحكومة التركية للترتيبات التي اجريت في ١٩٠٤. تعاونت هذه الجماعة الألمانية مع جماعة بريطانية لتكوين شركة بريطانية تسمى بشركة النفط التركية يكون قسم من رأسمالها المانياً وقسم آخر بريطانياً. وفي ١٩ آذار أمضيت اتفاقية، قسم النفط بها بنسبة ٥٠٪ لجماعة دارسي البريطانية و٢٥٪ للبنك الألماني و٢٥٪ لشركة النفط الانكلوسكسونية. ومنح كالوست سركيس كلبنكيان (ارمني) تركي الجنسية، ثم تجنس



بالجنسية البريطانية) ٥٪ في شركة النفط التركية من دون حق التصويت، مكافأة لخدماته في الحصول على امتيازات النفط، وهذه الخمسة بالمئة قدمت بالتساوي من جماعة دارسي ومن الشركة الانكلوسكسونية.

وفي ٢٨ حزيران ١٩١٤ أخبر سعيد حليم باشا (رئيس الوزارة التركية) رسمياً السفير البريطاني في استانبول ان وزارة المالية التركية وافقت على إجازة المنابع المكتشفة والتي ستكتشف في ولاية بغداد والموصل. ولكن الحرب العالمية الأولى أجلت إمضاء الاتفاقية النهائية[٢].

اتفاقية سايكس - بيكو:

خلال الحرب العالمية الاولى اتفقت بريطانيا وفرنسا وروسيا وايطاليا على اقتطاع بعض اجزاء الدولة العثمانية. وفي ١٦ مايس ١٩١٦ تم الاتفاق بين وزير خارجية بريطانيا والسفير الفرنسي في لندن على تقسيم العراق وسوريا ولبنان وفلسطين، وألحقت بالاتفاقية خارطة. وقع الاتفاقية مارك سايكس بالنيابة عن بريطانيا، وجورج بيكو بالنيابة عن فرنسا فعرفت الاتفاقية بإسميهما.

قسمت حصة فرنسا الى قسمين: واحد ازرق والثاني يشار اليه بالحرف A، وجعلت حصة بريطانيا في قسمين: واحد احمر والثاني يرمز له بالحرف B. في القسمين الأزرق والأحمر تكون الدولتان حرتين في إقامة ادارة خاصة بها. وتكون الادارة في A وB تحت سيادة عربية تعترف بها وتسندها الدولة المختصة على ان تكون لتلك الدولة الأولوية في المشروعات الاقتصادية وحق الانفراد في تزويد الادارة العربية المقبلة بما قد تحتاج اليه من موظفين ومستشارين[٣].

بهذه الاتفاقية صارت اكثرية ولاية الموصل ضمن حصة فرنسا في منطقة A. وعندما امضيت اتفاقية سايكس - بيكو فكرت بريطانيا في جعل فرنسا حاجزاً بين الامبراطوريتين البريطانية والروسية، ولذلك وافقت على اعطاء ولاية الموصل الى فرنسا.

بعد ذلك وافق كلمنصو رئيس وزراء فرنسا على نقل ولاية الموصل الى منطقة نفوذ بريطانيا على ثلاثة شروط: (١) ان تنال فرنسا حصة من نفط الموصل (٢) ان تؤيد بريطانيا فرنسا تأييداً تاماً ضد اعتراض الولايات المتحدة الاميركية (٣) اذا عمل بنظام الانتداب فيجب ان توضع دمشق وحلب والاسكندرونة وبيروت تحت الانتداب الفرنسي.

باتفاقية سان ريمو (٢٥ نيسان ١٩٢٠) نالت فرنسا حصة المانيا البالغة ٢٥٪.

معاهدة سيفر:

في ١٠ آب ١٩٢٠ وقع الحلفاء مع تركيا معاهدة سيفر وبها وافقت تركيا على الانتداب البريطاني على العراق وبضمنه ولاية الموصل. لكن تركيا لم تنفذ هذه المعاهدة ولا الحلفاء[٤].

تركيا الكمالية:

في ١٩١٩ التف الوطنيون الاتراك حول مصطفى كمال، ثم عقدوا مؤتمراً في سيواس في ١٣ أيلول ١٩١٩ وافق على «الميثاق الوطني» الذي اقره مجلس النواب في استانبول في ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٠. وقد اكد مضمون المادة الاولى من الميثاق الوطني «على اعتبار ولاية الموصل جزءاً من تركيا».

في مؤتمر مودانيا بين تركيا والحلفاء في ١١ تشرين الأول ١٩٢٢ أصر مصطفى كمال على اعتبار الميثاق الوطني حداً ادنى من لائحة حقوق تركية وطالب باسترجاع الاراضي المفقودة (أي ولاية الموصل).

في اول تشرين الثاني ١٩٢٢ شرع المجلس الوطني التركي الكبير في انقره قانوناً اعتبر فيه نفسه صاحب السلطة العليا في البلاد والغى السلطنة[٥].

مشكلة الموصل

معاهدة لوزان :

في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٢ افتتح مؤتمر في لوزان (سويسرا) من اجل عقد معاهدة صلح جديدة بين الحلفاء وتركيا الكمالية لتحل محل معاهدة سيفر. كان من بين مواد جدول اعمال المؤتمر حل مشكلة الموصل.

تبادل كرزن وزير خارجية بريطانيا وعصمت باشا وزير خارجية تركيا وجهات نظرهما حول مشكلة الموصل في مذكرات مكتوبة وزعت على وفود الحلفاء وذلك بين ١٤ كانون الاول ١٩٢٢ و ٣١ منه. احتوت تلك المذكرات حجج الطرفين عن اسباب وجوب احتفاظ العراق بها او اعطائها الى تركيا لأسباب عنصرية وسياسية وتاريخية وجغرافية واقتصادية وعسكرية.

في ٢٤ تموز ١٩٢٣ وقع الحلفاء وتركيا معاهدة الصلح في لوزان. نصت الفقرة الثانية من المادة الثالثة من معاهدة لوزان على ان يعين خط الحدود بين تركيا والعراق بترتيب ودي بين تركيا وبريطانيا خلال تسعة أشهر، واذا لم يتوصلا الى اتفاق بينها خلال ذلك يرفع النزاع الى مجلس عصبة الامم، والى حين التوصل الى قرار بشأن النزاع تتعهد الحكومتان البريطانية والتركية بأن لاتحدث أية حركة عسكرية او غير عسكرية تغير الحالة الراهنة(٦).

احالة مشكلة الموصل الى عصبة الامم :

اتفقت تركيا وبريطانيا على عقد مؤتمر في استانبول في ١٩ مايس ١٩٢٤ لبحث مشكلة الموصل وفقاً للمادة الثالثة من معاهدة لوزان. وقد رأس الوفد التركي فتحي بك رئيس المجلس الوطني الكبير ورأس الوفد البريطاني السر برسي كوكس ورافق الوفد البريطاني طه الهاشمي رئيس اركان الجيش العراقي مستشاراً. كرر فتحي بك الحجج التركية العنصرية والجغرافية والعسكرية للاحتفاظ بولاية الموصل، وبيّن أهمية استفتاء الاهلين لأجل معرفة رغبات سكان الولاية واكد الحاجة الى سلام دائم بين الطرفين. وأثار كوكس مشكلة مستقبل الآثوريين لاعادة اسكانهم في مواطنهم السابقة في تركيا تحت الحماية البريطانية وطالب بانضمام المنطقة الآثورية الى العراق. اجاب فتحي بك ان المسيحيين لايزالون يجدون في تركيا السكينة والرفاهية، وقال ان الجمهورية التركية مؤلفة في الغالب من اتراك واكراد وهم في رأيه من جنس ودم واحد، وقال ان هناك بعض النواب الاكراد من ولاية الموصل في المجلس الوطني التركي الكبير، ورفض مطالب بريطانيا بشأن الآثوريين. ولذلك انتهى مؤتمر استانبول الى الفشل.

ثم كتب رئيس الوزارة البريطانية ووزير خارجيتها الى السكرتير العام لعصبة الامم في ٢١ مايس ١٩٢٤ طالباً ادخال مادة(العراق)في جدول اعمال مجلس العصبة المقبل.

في العراق ابرم المجلس التأسيسي العراقي المعاهدة العراقية- البريطانية لسنة ١٩٢٢ بشرط ان تحافظ الحكومة البريطانية على حقوق العراق في ولاية الموصل بأجمعها(٧).

تأليف لجنة التحقيق الدولية :

في ٣٠ أيلول ١٩٢٤ وافق مجلس عصبة الامم بالاجماع على تعيين لجنة تحقيق من ثلاثة اعضاء لتقدم للمجلس كل المعلومات والاقتراحات التي قد تراها تساعده في الوصول الى قرار، وللجنة ان تشرع بالتحقيق في منطقة ولاية الموصل نفسها. وفي ٣١ تشرين الاول اذيع ان اللجنة أُلفت من الكونت پول تلكي الجغرافي المعروف ورئيس وزراء المجر سابقاً واى. آف. فرسن وزير السويد المفوض في بخارست و أ. بولس عقيد متقاعد من الجيش البلجيكي.



خط بروكسل :

تردى الوضع على خط الحدود بين تركيا والعراق فعقد مجلس عصبة الامم اجتماعاً طارئاً في بروكسل عاصمة بلجيكا في ٢٧ تشرين الأول ١٩٢٤ ، وافق الطرفان فيه على خط حدود مؤقت يمثل الحد الأقصى لكل طرف يسمح له باحتلاله ، ثم وافق مجلس العصبة بالاجماع على ذلك الحد الذي صار يعرف بخط بروكسل[٨] .

تقرير لجنة التحقيق :

اجتمع اعضاء اللجنة في جنيف مقر عصبة الامم يوم ١٧ تشرين الثاني ١٩٢٤ ، وانتخب اي. اف. فرسن رئيساً. وقد خصصت اللجنة بضعة أيام للتعرف على الوثائق التي اعدتها سكرتارية عصبة الامم التي تخص خط الحدود بين تركيا والعراق ، فدرست محاضر جلسات مؤتمر لوزان ومجلس العصبة ومذكرات الحكومتين البريطانية والتركية. زارت اللجنة لندن وانقره قبل سفرها الى بغداد.

عينت الحكومة البريطانية آر. ايف. جارون مساعداً للجنة ورافقه صبيح نشأت الوزير العراقي السابق للمواصلات والاشغال ممثلاً للحكومة العراقية. وعينت الحكومة التركية الجنرال جواد باشا مفتش الجيش العام في منطقة ديار بكر مساعداً للجنة ورافقه كامل بك وناظم بك وفتاح بك خبراء.

وصلت اللجنة الى بغداد يوم ١٦ كانون الثاني ١٩٢٥ فدرست العلاقات الاقتصادية بين ولايتي بغداد والموصل. وقدم الملك فيصل الى اللجنة مذكرة مكتوبة ذكر فيها الاتفاق المرتقب حول استغلال حقول النفط ، وذكر ان تجريد العراق من حدوده الطبيعية ضربة مميتة لمستقبله وان الرأسمال الاجنبي لن يأتي الى العراق اذا تعرض لأخطار الفوضى والغزو.

زارت اللجنة في بغداد عدداً من الوزارات والكلية العسكرية والمستشفيات ومعاهد التعليم ، وقابلت شخصيات بارزة وممثلي الطبقات والطوائف ، وتفقدت الأسواق ومخازن الحبوب والاخشاب ، ودرست احصائيات الكمارك وتقارير القناصل في فترة ماقبل الحرب العالمية الاولى[٩] .

تحقيقات اللجنة في ولاية الموصل :

وصلت اللجنة الى مدينة الموصل يوم ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٥. إذ تمكن اعضاء اللجنة ، وهم متنكرون ، ان يكّونوا فكرة عامة عن آراء الناس ، وزاروا بعض الاشخاص من ذوي الخبرة والمعرفة في مدينة الموصل. قابلوا واستوضحوا السلطات المحلية واللجان السياسية والجمعيات المهنية وجميع طبقات الناس.

ثم قررت اللجنة ان تجري تحقيقاتها في الاقسام البعيدة من ولاية الموصل في آن واحد من قبل لجان فرعية. بقي فرسن في الموصل مع جواد باشا وجارون لأجل الاستمرار بالتحقيق في ضواحي مدينة الموصل.

واجرى تلكي تحقيقه في لواء اربيل يصحبه ناظم بك وليونز الضابط السياسي البريطاني وكريمز مترجم اللجنة. واجرى بولس تحقيقاته في لواء كركوك يصحبه صبيح نشأت وكامل بك. بعد ذلك اجتمع اعضاء اللجنة والمساعدان في كركوك وتوجهوا الى السليمانية.

عادت اللجنة الى الموصل يوم ٨ آذار ١٩٢٥ ، وفيها تابعت تحقيقها ، ثم سافرت الى زاخو والعمادية ودهوك للغرض ذاته. ولم يقتصر غرضها على النواحي السياسية بل درست نفسيّة الناس ومشكلاتهم الاقتصادية والتجارية ، ودرست القضايا العنصرية والجيولوجية ، وجمعت المعلومات عن وسائل المواصلات والمرافق الزراعية. في نهاية آذار رجعت اللجنة الى مدينة الموصل وقضت بضعة أيام في تنسيق المعلومات التي جمعتها. ثم سافرت الى جنيف. وفي ٢٠ نيسان بدأت بكتابة تقريرها[١٠] .

اساليب العمل:

كانت تركيا منذ مؤتمر لوزان حتى تعيين اللجنة قد أصرت على الاستفتاء كأحسن وسيلة، في حين فضلت بريطانيا تأليف لجنة لجمع المعلومات الضرورية.

خلاصة التقرير:

الحجج الجغرافية:

تبلغ مساحة الاراضي المتنازع عليها جنوبي خط بروكسل نحو ٨٧٨٩٠ كيلو متراً مربعاً، وتبلغ نفوسها نحو ٨٠٠,٠٠٠ نسمة. ولذا لم يكن النزاع حول تعيين خط حدود بل تقرير مصير منطقة واسعة وعدد كبير من السكان. ان خط الحدود الشمالي الذي طالبت به الحكومة البريطانية (جيد جداً) من الوجهة الطوبوغرافية، ولكن خط بروكسل (مناسب) لتحديد الحدود مثل الخط المذكور. اما الخط الجنوبي الذي طالبت به الحكومة التركية فهو (جيد) في قسمه الغربي ولكنه (غير جيد) في القسم الشرقي. وفي داخل الولاية يمكن استعمال دجلة والزاب الكبير والزاب الصغير وديالى كحدود جغرافية.

تؤلف الاراضي المتنازع عليها وحدة قائمة بذاتها فهي محاطة بحدود طبيعية من اكثر جهاتها، وهي منطقة انتقال بين الصحراء المنبسطة الجافة والجبال الكروية التي تتلقى كمية اكبر من الامطار وبين المنطقة الغربية (سوريا وارمينيا) والمنطقة الجنوبية الشرقية (العراق ولورستان في ايران). وللقسم الشمالي الذي مركزه الموصل خصائص مشابهة لخصائص نصيبين وماردين وديار بكر وأرفة، بينما يرتبط القسم الجنوبي بالعراق ولورستان.

ان افضل خط لتقسيم الولاية هو الزاب الصغير. إذ ان أحد مظاهر الوحدة في الاراضي المتنازع عليها هو التقاء جميع الطرق في الموصل، ولاسيما في القسم الشمالي، وهذه الوحدة الاقتصادية قررت تاريخ الولاية.

وعن الآثوريين قالت اللجنة انه ليس من العدل فصل اراض من تركيا لاسكان الآثوريين الذين حملوا السلاح ضد سلطاتهم.

وعن الناحية القانونية قالت اللجنة ان تركيا ظلت تحتفظ بسيادتها على ولاية الموصل مادامت لم تتنازل عن حقوقها. ولكن يحق للعراق ادبياً ان تكون له حدود تسمح له بالبقاء السياسي والاقتصادي. وقالت اللجنة ان وضع العراق الداخلي غير مستقر لأنه تعوزه الخبرة السياسية ولوجود الفروق بين سكانه، ولذلك قالت بوجوب استمرار الانتداب بشكل المعاهدة العراقية- البريطانية القائمة لمدة خمس وعشرين سنة، واذا لم يمدد الانتداب بعد انتهاء معاهدة ١٩٢٢ فأنه من الافضل ان تعطى ولاية الموصل الى تركيا وهي اكثر استقراراً من العراق بدون انتداب بكثير. ويلاحظ أن توصيات اللجنة هنا، بقصد أو بغير قصد، قد أخذت بنظر الاعتبار مصلحة بريطانيا كدولة منتدبة على العراق.

وقالت اللجنة انه ربما كانت عواطف سكان ولاية الموصل لحدما الى جانب العراق، وبعضهم فضلوا العراق لأسباب اقتصادية وللاحتفاظ بالمساعدة الأجنبية عن طريق الانتداب[١١].

نتائج اللجنة النهائية:

اذا اخذت مصالح الاهلين بنظر الاعتبار فاللجنة تعتقد انه من المفيد لحد ما تقسيم ولاية الموصل، وارتأت ان الحجج المهمة ولاسيما الاقتصادية والجغرافية وعواطف اكثرية السكان تميل الى تأييد ضم جميع الاراضي الواقعة جنوبي خط بروكسل الى العراق بشرطين: الأول أن تبقى هذه الاراضي تحت الانتداب الفعال لمدة خمس وعشرين سنة، والثاني ان تؤخذ بنظر الاعتبار رغبات الاكراد بتعيين موظفين اكراد في المحاكم والمدارس وبأن تكون اللغة الكردية اللغة الرسمية فيها.



واعربت اللجنة عن اقتناعها بأنه لو انتهى انتداب العصبة مع انتهاء المعاهدة العراقية- البريطانية واذا لم يعط الاكراد بعض ضمانات ادارية محلية فان اكثرهم «يفضلون الحكم التركي على الحكم العربي». وقالت اذا لم يحتفظ بالانتداب فستظهر صعوبات سياسية خطيرة، وفي تلك الحالة توصي اللجنة باعطاء الولاية الى تركيا.

وقالت اللجنة انه اذا قرر مجلس عصبة الامم تقسيم الاراضي المتنازع عليها فانها تعتقد ان افضل خط هو الذي يمتد مع الزاب الصغير تقريباً.

وفي توصية خاصة قالت اللجنة اذا رجعت الولاية الى تركيا فيجب عقد اتفاقيات اقتصادية بين العراق وتركيا لكي يستفيد من قدرة الولاية على انتاج الاطعمة. واذا اعطيت الولاية الى العراق فيجب اعطاء سكانها حرية تامة بالاتجار مع تركيا وسوريا. ويجب عقد اتفاقيات مماثلة اذا قسمت الولاية بين العراق وتركيا[١٢].

قرار مجلس عصبة الأمم عن مشكلة الموصل:

في ١٩٢٥ قامت حركة كردية في المنطقة الواقعة بين بتليس وديار بكر شمالي خط بروكسل. ثم وقعت بعد ذلك حوادث على حدود البلدين تركيا والعراق. فعين مجلس عصبة الامم ممثلاً عن عصبة الامم يذهب الى منطقة الحدود ليخبر المجلس عن حوادث المستقبل وهو الجنرال ليدونر الاستوني.

في ٣ أيلول ١٩٢٥ أجتمع مجلس العصبة لدراسة تقرير لجنة التحقيق الدولية. قال مندوب بريطانيا ان لجنة التحقيق سجلت رأيها باعتبار المنطقة المتنازع عليها تركية قانوناً الى ان تتنازل تركيا عن حقوقها فيها. ولكنه قال ان الحكومة التركية وافقت مقدماً في المادة الثالثة من معاهدة لوزان وبالتصريح الرسمي الذي ادلى به ممثلها امام المجلس على التنازل عن سيادتها على كل المنطقة جنوبي الخط الذي يقرره المجلس كخط حدود. وقال عن المدة التي اقترحتها اللجنة التي يحتاج فيها العراق مساعدة واستشارة خارجية اي خمس وعشرين سنة ان الرقم مجرد تقديري ولايستطيع احد ان يقترح مقدماً وبدقة الفترة اللازمة لتطور دولة من الدول، وان الحكومة البريطانية لاتزال تتمسك بسياستها المعلنة في استعمال وساطتها لضمان قبول العراق في عضوية عصبة الامم بأسرع مايمكن، وقال انه عن هذا الأمر تتكلم الحكومة البريطانية بالنيابة عن الحكومة العراقية والبرلمان العراقي. وعن الاهتمام برغبات الاكراد في العراق قال ممثل بريطانيا ان حكومته تؤكد أن النظام الحاضر الذي يحقق توصيات اللجنة الى حد كبير سيستمر ويزداد أثره. وعارض ممثل بريطانيا اقتراح اللجنة بتقسيم الاراضي المتنازع عيها، وقال ان تجزئة العراق تهدد استقراره وكرر رأي الحكومة البريطانية «بأن المشكلة هي تعيين خط الحدود بين تركيا والعراق لا مستقبل ولاية الموصل».

الحجج العنصرية:

يسكن ولاية الموصل عناصر واجناس قومية (اكراد وعرب واتراك) ودينية (مسيحيون ويزيديون ويهود) مرتبين حسب اهميتهم العددية. يؤلف الاكراد اكثرية سكان الولاية وهم ليسوا تركاً ولا عرباً ويتكلمون «لغة آرية». اتراك ولاية الموصل من جنس اتراك تركيا. ان الجماعات الوحيدة المتماسكة التي تسكن مناطق واسعة هم الاكراد والعرب.

اذ يبلغ عدد الاكراد في الاراضي المتنازع عليها نحو ٥٠٠,٠٠٠ نسمة، ولكن هذا العدد يشكل نسبة ضئيلة بالنسبة لنفوس العراق.

وبسبب اختلاط الاجناس استنتجت اللجنة انه في تحديد الحدود لا يمكن اخذ القضايا العنصرية المحضة بنظر الاعتبار.

الحجج التاريخية:

لعب الاتراك دوراً راجحاً في تاريخ الولاية. وقالت اللجنة انه على الرغم من انها متأكدة «ان العرب او الايرانيين او الاتراك او المغول لم يكونوا اسياد الموصل بصورة مستمرة» فانها واثقة من ان



الموصل كانت تحت سيطرة السلاطين العثمانيين خلال اربعة القرون الماضية ، ولكن هذه السيطرة لم تكن دوماً فعالة ولا شاملة لكل الولاية . وقد شاركت ماردين والجزيرة وديار بكر بغداد في تاريخها ولذلك فان اي خط يقترح سيكسر السلسلة التاريخية . وبمعنى آخر أن الولاية مرتبطة تاريخياً بالعراق . كما أن اللجنة هنا على مايبدو لم تكن دقيقة حينما خلطت بين العرب – لاسيما الذين استقروا في المنطقة منذ الفتح العربي الاسلامي – وبين الاقوام الاخرى المذكورة ، والتي غالباً ماجاءت الى المنطقة متخذة شكل الغزو أو التوسع أو الاعتداء فيما بعد .

الحجج الاقتصادية :

قالت اللجنة انه من وجهة النظر الاقتصادية الصرفة ان افضل تسوية لولاية الموصل هي الحاقها بالعراق ، ومن الخطأ فصل الموصل عن الاراضي المرتبطة بها اقتصادياً ، ولكن اذا اقتضت الضرورة فلا مانع من فصل أقضية زاخو والعمادية وربما دهوك ، ومن الصعب فصل كركوك وكفري والسليمانية من بغداد ، واذا فصلت فمن الضروري جداً عقد اتفاقية اقتصادية مع بغداد .

واذا كان من المرغوب فيه تقسيم ولاية الموصل لأسباب اخرى غير اقتصادية فان التسوية المقبولة اقتصادياً هي ان يرسم خط الحدود شمالي الزاب الصغير تاركاً كويسنجق وطاق طاق ورانية في العراق . وعلى كل حال يجب ترك منطقة ديالى في العراق .

الحجج العسكرية :

قالت اللجنة ان الخط الذي أقترحته الحكومة البريطانية شمالي خط بروكسل خط عسكري ممتاز ، اعترف بأن لخط بروكسل مزايا الخط المقترح نفسها تقريباً . وقالت اللجنة ان الخط الذي اقترحته الحكومة التركية ينقسم الى قسمين : الأول يمتد في الصحراء غربي نهر دجلة ، والثاني يمتد بين نهر دجلة والحدود الايرانية ، وقالت ان الصحراء تؤلف خطاً عسكرياً ممتازاً كما برهنت الحرب العالمية الاولى ، ولكن قيمة القسم الثاني ضعيفة .

الحجج السياسية :

قالت اللجنة ان تحقيقاتها كشفت عن وجود «ضعف في المشاعر الوطنية العراقية» في ولاية الموصل وقتئذٍ باستثناء ماعند بعض العرب المثقفين . ووجدت اللجنة نمو الشعور القومي الكردي واضحاً عند الاكراد . ووجدت الشعور القومي بارزاً نوعاً ما بين اتراك ولاية الموصل . ووجدت اللجنة ان الآراء المؤيدة للعراق كانت مبنية في بعضها على المصالح الفردية أو على مصالح الجماعات وليست على الوطنية المشتركة ، كما وجدت ان تأكيدات الحكومة التركية بأن اكثرية سكان منطقة السليمانية ترغب فعلاً بالرجوع الى تركية غير صحيحة . ووجدت بين الاتراك من يميل الى العراق . ولهذا جاء استنتاج اللجنة في حينه «ان القومية واللغة لاتصلحان دوماً دليلاً موثوقاً على الآراء السياسية» .

ثم تكلم مندوب تركيا عن تقرير اللجنة فقسمه الى ثلاثة اقسام : ١ – الحقائق التي لاحظتها اللجنة ٢ – وضع الولاية القانوني ٣– النتائج . وزعم ان الاعتبارات الجغرافية والتاريخية والعسكرية والاقتصادية «هي في صالح تركيا» ولايمكن ان تكون عوامل حاسمة ، لكن الاعتبارات السياسية ورغبات السكان ووضع الولاية القانوني وعدم استقرار السياسة الداخلية للعراق واختلاف العادات والتقاليد السياسية والدينية بين الاكراد والاتراك والعرب في الشمال واكثرية العرب في الجنوب هي امور مهمة في الدرجة الاولى . كما زعم ان وضع ولاية الموصل تحت الحكم البريطاني يجعل سلامة تركيا مهددة ، واذا اعطيت ولاية الموصل الى تركيا فيؤدي هذا الحل الى الاستقرار . وأشار مغالطاً أن التقرير اظهر مبلغ رغبة السكان في البقاء تحت السيادة التركية . اضافة الى مزاعم اخرى منها ان الاكراد موجودون في تركيا وايران فقط وليس ثمة منهم احد في العراق . واكد ان تركيا ترغب بالسلام



الدائم ، وقال ان الحكومة التركية تعتقد ان مبادئ السياسة الدولية الحديثة المستوحاة من مبدأ العدالة والاحترام المتبادل للحقوق بين الدول يجب ان تتنزه عن الطابع البغيض للسياسة الدولية القديمة . وأكد أن اللجنة أوصت بعدم تقسيم الولاية ، وذكر أن الحكومة التركية لم تعترف بالانتداب البريطاني على العراق. وطلب من مجلس العصبة ان يدرس الناحية السياسية والقانونية منفصلة عن قضية الانتداب .

وقال المندوب البريطاني ان المندوب التركي اكد التشابه التام بين الاكراد والاتراك ، في حين ذكرت اللجنة ان الاكراد جنس يختلف عن الاتراك والعرب ، وانه لااساس لادعاء الاتراك بأن سكان الولاية يطالبون مطالبة شديدة بعودتهم الى تركيا . ورجا المجلس ان يقرر ما اذا كانت « الثورة الكردية » في تركيا تشجع الاكراد خارج تركيا على الرغبة في الخضوع للحكم التركي . واقر المندوب البريطاني بأن الاراضي المتنازع عليها تابعة للسيادة التركية بالمعنى الفني الخاص للفقه الدولي فقط ، ولكن مايقرره المجلس يصبح السيادة القانونية[١٣] .

الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية الدائمة :

اقترح مقرر مجلس عصبة الامم ان يعين المجلس لجنة فرعية لدراسة المشكلة وتقديم تقرير عنها . وفي وقت لاحق قال المقرر ان لجنة المجلس درست بعض المسائل الأولية منها اثنتان مهمتان : (١) ماصفة القرار الذي يصدره المجلس بموجب الفقرة الثانية من المادة الثالثة من معاهدة لوزان : هل هو قرار تحكيمي ام توصية ام توسط بسيط ؟ (٢) أيجب ان يكون القرار اجماعياً ام يجوز أن يؤخذ بالأكثرية ، أيجوز لممثلي الطرفين المتنازعين ان يشتركا بالتصويت؟ أقترحت اللجنة على المجلس تقديم السؤالين الى محكمة العدل الدولية الدائمة لأخذ رأيها الاستشاري .

وقال المندوب البريطاني ان قرار مجلس العصبة سيكون قراراً تحكيمياً ملزماً للطرفين وليس بتوصية ولا بتوسط . وقال مندوب تركيا ان قرار مجلس العصبة الذي تمثل فيه تركيا سيكون اجماعياً . وقال ان رأي المحكمة الاستشاري لايمكن ان يؤثر بحقوق تركيا بموجب معاهدة لوزان ، وان المجلس الوطني التركي الكبير غير ملزم بأي عهد عدا القوانين التي ابرمها .

في ٢١ تشرين الثاني أصدرت محكمة العدل الدولية الدائمة رأيها . قالت فيه ان القرار الذي يصدره مجلس عصبة الامم بموجب الفقرة الثانية من المادة الثالثة من معاهدة لوزان ملزم للطرفين المعنيين ويكون تحديداً باتاً لخط الحدود بين تركيا والعراق ، وقالت ثانياً بوجوب اخذ القرار بتصويت اجماعي ويشترك الطرفان المتنازعان بالتصويت ولكن صوتيها لايحسبان لغرض الاجماع .

وفي ٨ كانون الأول ١٩٢٥ اجتمع مجلس العصبة لمناقشة رأي المحكمة الاستشاري فأكد مندوب بريطانيا قبول حكومته لقرار المجلس . وقرر مندوب تركيا ان حكومته غير ملزمة برأي المحكمة الاستشاري . ثم وافق مجلس العصبة بالاجماع على رأي المحكمة الاستشاري ماعدا المندوب التركي .

وفي ١٠ كانون الاول ١٩٢٥ سمع مجلس العصبة تقرير الجنرال يوهان ليدونر عن الوضع على الحدود بين تركيا والعراق .

قرار مجلس العصبة التحكيمي :

في ١٦ كانون الأول ١٩٢٥ اجتمع مجلس العصبة . قال مقرر لجنة مجلس العصبة ان هناك حلين ممكنين : (١) الحاق كل المنطقة جنوبي خط بروكسل بالعراق (٢) تقسيم المنطقة المتنازع عليها بخط يمتد في الغالب مع مجرى نهر الزاب الصغير. وقد استشار اعضاء اللجنة زملاءهم فظهر لها ان الحل الأول أفضل .

وطلب مقرر لجنة المجلس استمرار النظام المتفق عليه في معاهدة التحالف بين بريطانيا والعراق لسنة

١٩٢٢ لمدة خمس وعشرين سنة ، ولتحقيق هذه الغاية يجب عقد معاهدة جديدة بين الحكومتين البريطانية والعراقية. وسألت اللجنة المندوب البريطاني عن الوقت الذي تحتاجه حكومته لتقديم المعاهدة الجديدة الى مجلس العصبة فأجاب : خلال ستة اشهر.

ووافق المجلس على توصيات لجنة التحقيق الدولية بمنح الاكراد بعض الضمانات بالادارة المحلية . واقترحت اللجنة على المجلس ان يوافق على قرار ذي اربع مواد :

١ – يجب اتخاذ خط بروكسل خط حدود بين تركيا والعراق.

٢ – يجب دعوة الحكومة البريطانية لتقدم للمجلس معاهدة جديدة مع العراق تضمن استمرار نظام الانتداب لمدة خمس وعشرين سنة كما هو محدد بمعاهدة التحالف المعقودة بين بريطانيا والعراق ، مالم يقبل العراق الى العصبة قبل انتهاء هذه المدة. وحالما يخبر المجلس خلال ستة أشهر ابتداء من ١٦ كانون الأول ١٩٢٥ بتنفيذ هذا الشرط ، على المجلس أن يعلق ان قراره أصبح نهائياً.

٣ – يجب دعوة الحكومة البريطانية لأن تقدم الى المجلس التدابير الادارية لتأمين الضمانات للاكراد.

٤ – يجب دعوة الحكومة البريطانية لأن تطبق توصيات لجنة التحقيق الدولية الخاصة.

وافق مجلس عصبة الامم على اقتراح لجنة المجلس بالاجماع . وقرأ وزير الخارجية البريطانية بياناً باسم الحكومة البريطانية جاء فيه ان الحكومة البريطانية الآن مستعدة لبحث اي اقتراح تتقدم به الحكومة التركية يتفق مع واجب بريطانيا كدولة منتدبة على العراق(١٤) .

التسوية النهائية لمشكلة الموصل :

بعد اذاعة قرار مجلس العصبة ابرق رئيس وزراء العراق الى رئيس وزراء بريطانيا يخبره ان العراق مستعد للمفاوضات من اجل عقد المعاهدة الجديدة المقترحة . ولذلك اعدت الحكومة البريطانية مشروع المعاهدة وارسلته الى المندوب السامي البريطاني في العراق لكي يحيله الى الحكومة العراقية.

المعاهدة العراقية – البريطانية لسنة ١٩٢٦ :

نصت المادة الاولى من المعاهدة على ان معاهدة التحالف العراقية – البريطانية لسنة ١٩٢٢ تبقى نافذة لمدة خمس وعشرين سنة ابتداء من ١٦ كانون الاول ١٩٢٥ مالم يصبح العراق قبل انتهاء هذه المدة عضواً في عصبة الامم ، وتبقى الاتفاقيات الملحقة بمعاهدة التحالف نافذة للمدة نفسها. ونصت المادة الثانية على ان يدرس الطرفان المتعاقدان تعديل الاتفاقيتين العسكرية والمالية. ونصت المادة الثالثة على انه عند انتهاء معاهدة التحالف بموجب بروتوكول ٣٠ نيسان ١٩٢٣ (أي في ٥ آب ١٩٢٨) وفي فترات اربع السنوات التالية حتى تنتهي مدة الخمس والعشرين سنة أو حتى دخول العراق في عصبة الامم ستأخذ الحكومة البريطانية بنظر الاعتبار مسألتين : (١) ما اذا كان من الممكن لبريطانيا ان تلح في قبول العراق في عصبة الامم (٢) واذا كان ذلك غير ممكن ماذا كان من الواجب تعديل الاتفاقيتين العسكرية والمالية بسبب تقدم العراق او لأي سبب آخر.

رفض المندوب السامي البريطاني طلب العراق تعديل مدة الاتفاقيات الملحقة بالمعاهدة وكتب الى الملك فيصل انه يوجد مجالان للاختيار فقط : اما قبول العراق للمعاهدة كما كتبتها الحكومة البريطانية واما تسليم ولاية الموصل الى تركيا ، ولذلك قبلت الحكومة العراقية المعاهدة. في ١٨ كانون الثاني ١٩٢٦ وافق مجلس النواب العراقي على المعاهدة ، وفي اليوم التالي وافق مجلس الاعيان عليها. ووافق البرلمان البريطاني عليها في ١٨ شباط ١٩٢٦ . وفي



٢ آذار أرسلت الحكومة البريطانية رسالة الى سكرتير عصبة الامم العام تقدم فيها المعاهدة العراقية – البريطانية لسنة ١٩٢٦ الى مجلس العصبة ورجته ان يعلن ان المادة الثانية من قراره المؤرخ في ١٦ كانون الاول ١٩٢٥ اصبحت نهائية.

وقالت الحكومة العراقية ان نسبة عالية من الاكراد مستخدمون في وزارات العراق المالية والداخلية والعدل في المناطق الكردية وغير الكردية، ونسبة عالية مماثلة من الاكراد مستخدمون في المصالح المختلفة. وللاكراد نصيب كامل في الحكومة المركزية أي عضوان من مجموع عشرين عضواً في مجلس الاعيان واربعة عشر نائباً من مجموع ثمانية وثمانين ووزيران في الوزارة. وثمة نسبة عالية جداً من الاكراد في الشرطة والجيش. وقالت انه يوجد خمس وعشرون مدرسة في المناطق الكردية، خمس منها مسيحية، وتستعمل اللغة الكردية في ست عشرة مدرسة، وتستعمل اللغتان العربية والكلدانية في خمس مدارس، وتستعمل العربية في اربع، إن الاكثرية الساحقة من المعلمين اكراد، وهناك عدد كبير من المعلمين الاكراد في المدارس غير الكردية. وقد كان في السليمانية منذ بضع سنوات جريدة كردية، وفي بغداد تنشر جريدتان كرديتان.

في ١١ آذار ١٩٢٦ وافق مجلس العصبة على قرار ينص على ان المجلس يعتبر المعاهدة العراقية – البريطانية لسنة ١٩٢٦ كافية لاستمرار نظام الانتداب لمدة خمس وعشرين سنة. وارسل المجلس الى لجنة الانتدابات الدائمة المذكرة البريطانية المتعلقة بادارة المناطق الكردية في العراق(١٥).

مفاوضات مباشرة بين بريطانيا وتركيا:

في ٢٥ كانون الأول ١٩٢٥ قرر المجلس العسكري التركي الاعلى برئاسة مصطفى كمال عدم محاولة ضم ولاية الموصل بالقوة الى تركيا. وكانت الحكومة البريطانية مستعدة للمساومة ولتعويض تركيا بطريقة ما. وقررت ان يذهب السفير البريطاني في تركيا من استانبول الى انقرة لتبادل وجهات النظر مع الزعماء الاتراك. وحاولت تركيا من جهتها ان تساوم. وهدد البريطانيون تركيا بصورة غير مباشرة ولوحوا بتدخل ايطاليا واليونان وحتى بلغاريا لتحقيق اطماعها في الاناضول. وفي الوقت نفسه حاول البريطانيون اغراء تركيا فعرضوا عليها قرضاً بمبلغ عشرين مليون جنيه مع تخفيض كبير في الدين العثماني، ولكن الحكومة التركية رفضت العرض.

لم تستطع تركيا تحدي عصبة الامم وبريطانيا الى مالانهاية. فدارت مفاوضات بين السفير البريطاني في تركيا ووزير الخارجية التركية ونجحت، وبها وافقت تركيا على الاعتراف بضم ولاية الموصل الى العراق مقابل احداث تعديل بسيط في خط الحدود وحصة من نفط الموصل.

المعاهدة العراقية – البريطانية – التركية لسنة ١٩٢٦:

في ١١ مايس ١٩٢٦ ارسل المندوب السامي البريطاني في العراق كتاباً الى رئيس الوزراء العراقي عن المفاوضات التي دارت بين بريطانيا وتركيا وارفقه بمشروع معاهدة تعقد بين بريطانيا وتركيا والعراق. وقد وافق العراق على تلك المعاهدة وامضيت في انقرة يوم ٥ حزيران ١٩٢٦.

قال الفرقاء المتعاقدون ان المعاهدة عقدت وفقاً لمعاهدة لوزان ولأجل تسوية الحدود بين تركيا والعراق، وفيها اعترفت تركيا باستقلال العراق وبعلاقاته الخاصة مع بريطانيا.

نصت المادة الأولى من المعاهدة على ان خط الحدود بين تركيا والعراق قد عين بصورة نهائية بخط بروكسل. ونصت المادة الرابعة على ان جنسية سكان الاراضي التي اعطيت للعراق تنظم بالمواد ٣٠ – ٣٦ من معاهدة لوزان، ويمكن استعمال حق الخيار لمدة اثنى عشر شهراً ابتداء من دخول هذه المعاهدة حيز التنفيذ، ولكن تحتفظ تركيا بحرية



العمل في الاعتراف بخيار السكان الذين قد يختارون الجنسية التركية. (وكانت المادة الثلاثون من معاهدة لوزان قد نصت على ان المواطنين العثمانيين الساكنين في الاراضي التي فصلت عن تركيا يصبحون مواطنين للدولة التي نقلت اليها تلك الاراضي. اما المواد ٣١ – ٣٦ فقد نظمت حق الخيار ونقل الاقامة).

ونصت المادة الرابعة عشرة على ان تدفع الحكومة العراقية الى الحكومة التركية لمدة خمس وعشرين سنة ابتداء من تنفيذ المعاهدة عشرة بالمئة من كل عائداتها من: (١) شركة النفط التركية (٢) الشركات او الاشخاص الذين قد يستغلون النفط عملاً باحكام امتياز شركة النفط التركية (٣) الشركات الفرعية التي قد تؤلف عملاً باحكام الامتياز المذكور. ونصت المادة السادسة عشرة على تعهد الحكومة العراقية بمنح العفو للاشخاص الذين قاموا بنشاط سياسي في مصلحة تركيا حتى توقيع هذه المعاهدة.

دخلت المعاهدة العراقية – البريطانية – التركية حيز التنفيذ يوم ١٨ حزيران ١٩٢٦.

النواحي القانونية من مشكلة الموصل:

يبدو من وجهة النظر الفنية الخالصة للقانون الدولي ان ولاية الموصل كانت تحت السيطرة العثمانية قبل امضاء معاهدة لوزان في ٢٤ تموز ١٩٢٣. ولكن تركيا تنازلت عن إدعاءاتها في الولاية بالمادتين الثالثة والسادسة عشرة من المعاهدة المذكورة، وبقي تنازلها معلقاً حتى اصدار مجلس العصبة قراره في ١٦ كانون الاول ١٩٢٥ باعطاء ولاية الموصل للعراق. ان المادة الثالثة من معاهدة لوزان واضحة وان قرار المجلس نهائي وملزم للطرفين، والا فقد يبقى النزاع من دون حل الى مالانهاية. وقد منحت هذه المادة مجلس العصبة صلاحية التحكيم وعمل المجلس كحكم لا كجزء من عصبة الامم. تقول القاعدة العامة السائدة في محاكم التحكيم انه تكفي الاكثرية البسيطة في التصويت لاصدار قرار المحكمين، ولايجوز اشتراك اطراف النزاع بالتصويت لأنه لايجوز لمتقاضٍ ان يكون قاضياً في قضيته الخاصة[١٦].

الرأي العام العراقي ومشكلة الموصل:

لم يقتصر بحث مشكلة الموصل على مجلس العصبة ومحكمة العدل الدولية الدائمة والهيئات الرسمية الاخرى بل بحثتها ايضاً جماعات كثيرة من الناس في كثير من الاقطار.

خشي العراقيون من انهم يدفعون ثمناً غالياً لولاية الموصل. وفي ١١ و١٨ تشرين الأول ١٩٢٣ نشرت جريدة **الأمل** لصاحبها الشاعر معروف الرصافي مقالين عن مشكلة الموصل هاجمت فيها مطامع الاتراك في ولاية الموصل. وذكرت جريدة **الموصل** في ١٠ مايس ١٩٢٤ ان تركيا بحاجة الى الرأسمال الاجنبي فقامت بمناورات من اجل التوصل الى اتفاق اقتصادي مع بريطانيا[١٧].

في المجلس التأسيسي العراقي قدمت المعارضة مشروع قرار بالموافقة على معاهدة التحالف العراقية – البريطانية مع تحفظات منها ان تعطى بريطانيا ضماناً بالدفاع عن حقوق العراق في ولاية الموصل جميعها، وقدم مؤيدو الحكومة مشروع قرار بقبول المعاهدة مع تحفظات منها ان تصبح معاهدة التحالف واتفاقياتها لاغية لا حكم لها اذا لم تحافظ حكومة بريطانيا على حقوق العراق في ولاية الموصل جميعها[١٨].

في ١٦ حزيران ١٩٢٤ نشرت جريدة **الموصل** مقالة ذكّرت فيها الناس عن الأيام الأخيرة للحكومة التركية في الموصل من مآسٍ ووباء ومجاعة وسجون.

وفي ١٨ كانون الأول ١٩٢٤ أعلن الملك فيصل في مدينة الموصل ان ولاية الموصل جزء لايتجزأ من العراق[١٩].

في اول أيلول ١٩٢٤ ألف حزب الاستقلال



العدد ١ | [illegible] | السنة الأولى

العهد جريدة سياسية يومية عربية تصدر مرة في كل يوم الثلاثاء مؤقتاً وهي لسان حال حزب الاستقلال العراقي المكاتيب والمراسلات ان تكون باسم ادارة الجريدة خالصة الاجرة ولا تعاد لاصحابها انشرت ام لم تنشر العنوان البرقي : موصل العهد ادارة الجريدة في جادة نينوى	ليس للانسان الا ما سعى **العهد** واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا	ويدفع سلفاً عن سنة في الموصل ٥ روبيات وفي الخارج ٧ روبيات ولا تنشر الرسائل ما لم تكن مطبوعة ومختومة بختم الادارة وتوقيع المسلم الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

في ٢٥ جماد الاخرة سنة ١٣٤٣ | [الثلاثاء] | الموافق ٢٠ كانون ثاني سنة ١٩٢٥

العراقي في مدينة الموصل بغية الدفاع عن حقوق العراق في ولاية الموصل، ونشر جريدة **العهد** لسان حاله، ظهر العدد الأول منها في ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٥. واذاع الحزب بيانه في العدد الثاني الصادر بعد اسبوع. وذكر البيان العراقيين بمجاعة الموصل ورفض الاتراك اعتبار اللغة العربية لساناً رسمياً في المدارس والمحاكم.

وفي ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٥ ألف بعض الموصليين «لجنة الدفاع الوطني» لتأييد حزب الاستقلال في الدفاع عن حقوق العراق في ولاية الموصل وهي مكونة من اكثر من مئة وخمسين شخصاً من المسلمين والمسيحيين.

في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٥ قدم حزب الامة في بغداد مذكرة الى لجنة التحقيق الدولية تحتوي على بحث القضية العربية والثورة العربية ضد الاتراك وعلى الحجج الجغرافية والتاريخية والسياسية والقومية والاقتصادية والعسكرية التي تؤيد حق العراق في ولاية الموصل. وفي ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٥ قدم ثلاث مئة موصلي من المقيمين في بغداد مذكرة الى لجنة التحقيق معلنين ان الموصل جزء لايتجزأ من العراق وبمثابة الرأس من الجسد. وفي ٣ شباط ١٩٢٥ ابرق رؤساء الطوائف المسيحية الى قداسة البابا وكرادلة لندن وبروكسل وفينا وبودابست يحتجون على مطالب الاتراك في ولاية الموصل[٢٠].

الآراء الكردية:

في اول تشرين الأول ١٩٢٤ أرسلت الجمعية الكردية في السليمانية الى مجلس عصبة الامم مذكرة تعارض فيها المطالب التركية في ولاية الموصل.

مؤيدو تركيا في العراق:

قال الدكتور جميل دلالي الذي كان سكرتيراً لحزب الاستقلال الموصلي ان الاتراك في اواخر أيامهم حاولوا القضاء على اقتصاديات الموصل وذكر ان مصطفى الصابونجي وجماعته، وهم عرب، كتبوا مضبطة ارسلوها الى الاتراك يطالبون بعودتهم، وقال ان الصابونجي كان هو وطبقة التجار في الموصل ضد آل العمري وضد السادة (أي آل النقيب وآل المفتي وآل الفخري) الذين ايدوا الحكومة العراقية. وفسر الدكتور جميل دلالي تأييد آل النجفي، وهم عرب، وآل كشمولة للاتراك بخصومتهم مع آل توحلة الذين ايدوا الحكومة العراقية. وفسر تأييد بعض افراد آل النقيب وآل سليمان بك للاتراك بثقافتهم التركية وعواطفهم الدينية، واما تأييد اغوات باب البيض للاتراك فنسبه الى رد الفعل ضد الانكليز[٢١].

ومهما يكن من أمر، فان موقف مؤيدي تركيا، يدل في حينه على ان اولئك ليسوا إلا أقلية ضعيفة التأثير في حياة الموصل السياسية انذاك. هذا فضلاً

عن ضعف تمييزهم آنذاك بين المصالح الوطنية والمصالح الذاتية القصيرة النظر.

معارضة المعاهدة العراقية – البريطانية لسنة ١٩٢٦ :

رحب العراقيون بقرار مجلس عصبة الامم عن ولاية الموصل بتاريخ ١٦ كانون الاول ١٩٢٥ ، لكنهم استنكروا الشرط الملحق بقرار المجلس الذي يدعو الى تحديد الانتداب على العراق لمدة خمس وعشرين سنة ، ولذلك عارضوا المعاهدة العراقية – البريطانية لسنة ١٩٢٦. في ١٨ كانون الثاني ١٩٢٦ ناقش مجلس النواب العراقي المعاهدة بجلسة سرية. عارض النواب المعارضون سرية الجلسة وأحدثوا ضوضاء وصياحاً. ولما طلب رئيس الوزراء من رئيس المجلس ان يحافظ على النظام صاح احد نواب المعارضة «اسكت». ورمى احد النواب المعارضين على رئيس المجلس بنسخ المعاهدة ، وبعضهم مزقها ، وصاح صوت «خونة ! هذه اكثرية غاشمة ظالمة ! فلتسقط الاكثرية الغاشمة ! » ولما قال حكمت سليمان وزير الداخلية للمعارضين «اخرجوا» اجاب احد المعارضين «صدقوا المعاهدة ايها الخونة» وتأثر معارض آخر تأثراً بلغ حد البكاء ، وقال نائب آخر «لماذا تطلب منا ان نخرج ياخائن» وصرخ معارض في الخارج «فليبع حكمت بك البلاد» [٢٢] .

النفط وأثره في مشكلة الموصل :

كانت قصة النفط أقدم من مشكلة الموصل نفسها. وكان النفط أهم عامل مؤثر في سير حوادث مشكلة الموصل. وقد عين النفط مواقف تركيا وبريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا من المشكلة. ارادت بريطانيا ان تجعل من مشكلة الموصل تهديداً متواصلاً للعراق لكي تضطره الى تسليم النفط اليها. لم تهتم بريطانيا بغير مصالحها ولكن كانت مصالحها تتطابق مع مصالح العراق في هذه المشكلة [٢٣] .

امتياز نفط الموصل :

لما شرعت لجنة عصبة الامم في ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٥ باستجواب الاهالي عن مستقبل ولاية الموصل اتضح للحكومة العراقية خلال تساؤلات اللجنة ان عصبة الامم لن تسمح بحصول العراق على الولاية مالم تمنح شركة النفط التركية امتياز نفط الولاية. قال المندوب السامي البريطاني في العراق ان اهتمام شركة النفط التركية بنفط ولايتي الموصل وبغداد فيه ضمانة فعالة على ثبات الدولة العراقية.

وفي الوقت نفسه كانت المفاوضات تجرى بين بريطانيا والعراق من اجل الحصول على امتياز النفط لشركة النفط التركية ، وقد نجحت تلك المفاوضات. وفي ١٤ آذار ١٩٢٥ امضت الحكومة العراقية وشركة النفط التركية اتفاق الامتياز.

المنافسة الانكليزية – الاميركية حول نفط الموصل :

حاولت بريطانيا عبثاً التخلص من منافسة الولايات المتحدة في الحصول على النفط. فبعد اذاعة اتفاقية سان ريمو دخلت الحكومة الاميركية في مراسلات طويلة مع الحكومة البريطانية حول الامتيازات الاقتصادية في الاراضي المنتدبة بدأت في ١٢ مايس ١٩٢٠ . وتمسكت الولايات المتحدة بسياسة «الباب المفتوح» والمعاملة العادلة للمواطنين الاميركيين. استمرت المفاوضات السرية بعد مؤتمر لوزان بين الحكومتين البريطانية والأميركية بغية اشراك الاميركيين في شركة النفط التركية.

في نيسان ١٩٢٦ توصلت الاطراف المعنية الى تسوية اعطيت بها الجماعات الاميركية ٢٥٪ من اسهم شركة النفط التركية. وفي سنة ١٩٢٨ وافق اعضاء شركة النفط التركية على توزيع الاسهم كما يلي :

شركة استثمار دارسي (تمثل شركة النفط الانكليزية – الفارسية) ٢٣,٧٥٪ شركة النفط الانكليزية – السكسونية (تمثل شركتي رويال دتش



وشل) ٢٣,٧٥٪ شركة النفط الفرنسية ٢٣,٧٥٪ شركة استثمار الشرق الادنى (تمثل الجماعات الاميركية) ٢٣,٧٥٪ شركة التعاون والاستثمار (تمثل كلبنكيان) ٥٪ .

وابتداء من ٨ حزيران ١٩٢٩ أبدل «اسم شركة النفط التركية» باسم شركة نفط العراق[٢٤] .

الهوامش

(١) فاضل حسين، مشكلة الموصل. دراسة في الدبلوماسية العراقية – الانكليزية – التركية وفي الرأي العام. ط ٣. مطبعة اشبيلية، بغداد، ١٩٧٧، ص ٣٠٣.

(2) Earle Edward Mead: "The Turkish petroleum company" in the political science Quarterly, xxxIx, 1924, pp. 270 – 278.

(٣) جورج أنطونيوس، يقظة العرب. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٦، ص ص ٣٥٠ – ٣٥١.

(٤) حسين، المصدر السابق، ص ص ٧ – ١٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ص ٢٤ – ٢٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ص ٢٩ – ٣٩.

(٧) المصدر نفسه، ص ص ٤١ – ٤٩. أنظر أيضاً مذكرات المجلس التأسيسي العراقي، الحكومة العراقية – وزارة الداخلية، ج١، بغداد، ١٩٢٤، ص ص ٤٤٠ – ٤٤١.

(٨) حسين، المصدر السابق، ص ص ٥٠ – ٥٨.

(9) League of Nations (Geneva, 1925, 1926), League Report, pp. 5 – 9.

(10) Ibid, pp. 9 – 12.

يلاحظ ايضاً: جريدة العراق، ٢٥ آذار ١٩٢٥.

(11) League Report, pp. 53 – 88.

(12) Ibid, pp. 88 – 90.

(١٣) للتفاصيل ينظر: حسين، المصدر السابق، ص ص ١٣٢ وما بعدها.

(١٤) المصدر نفسه، ص ص ١٦٢ – ١٧٥.

(١٥) المصدر نفسه، ص ص ١٧٦ – ١٧٧. يلاحظ ايضاً: عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج٢، صيدا – لبنان، ١٩٤٨، ص ص ١٠٥ – ١٠٨. جريدة العالم العربي، ١٩ كانون الثاني ١٩٢٦.

(١٦) حسين، المصدر السابق، ص ص ١٨١ وما بعدها. ينظر ايضاً: فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية – البريطانية واثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢ – ١٩٤٨. دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧، ص ١٤٦.

(١٧) جريدة الامل، ١١، ١٨ تشرين الاول ١٩٢٣. جريدة الموصل، ١٠ مايس ١٩٢٤.

(١٨) انظر، مذكرات المجلس التأسيسي العراقي، المصدر السابق، ص ص ٣٢ وما بعدها.

(١٩) جريدة الموصل، ١٦ حزيران ١٩٢٤، ١٨ كانون الاول ١٩٢٤.

(٢٠) للتفاصيل ينظر: جريدة العراق، ١٩ أيلول ١٩٢٤. جريدة المهد، ١٧، ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٥. جريدة العالم العربي ٢٤، ٢٨، ٣٠ كانون الثاني ١٩٢٥. وللمزيد من التفصيلات يلاحظ: فاروق صالح العمر، الاحزاب السياسية في العراق ١٩٢١ – ١٩٣٢. مطبعة الارشاد، بغداد، ص ص ١٤١ – ١٥٥.

(٢١) حسين، المصدر السابق، ص ص ٢٣٠ – ٢٣٦

(٢٢) جريدة العالم العربي، ١٧، ١٩، ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٦. انظر ايضاً: جريدة نداء الشعب، ٣١ كانون الثاني، ٣ شباط، ١٩٢٦

(٢٣) حسين، المصدر السابق، ص ص ٣١١ – ٣١٢.

(٢٤) للتفاصيل ينظر: نوري عبد الحميد خليل، التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق ١٩٢٥ – ١٩٥٢. ط١، بيروت – لبنان، ١٩٨٠، ص ص ٥٤ – ١٢١. يلاحظ كذلك، العمر، المعاهدات العراقية – البريطانية ...، ص ص ١٤٦ – ١٥٠.

الحركة الوطنية في الموصل منذ ١٩٢١ حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية

د. غانم محمد الحفو

مقدمة :

خضع العراق بعد انتهاء السيطرة العثمانية الى سيطرة أجنبية جديدة، تمثلت بالاحتلال البريطاني له. واستغرقت عملية الاحتلال هذا قرابة أربعة أعوام (١٩١٤ – ١٩١٨). أما الموصل فقد دخلتها القوات البريطانية الغازية في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨ بعد اعلان هدنة مدروس في ٣٠ تشرين



الاول من العام ذاته[1]. لذا فقد وقع على عاتق الحركة الوطنية في الموصل مهمة شاقة أوجدتها هذه الظروف الدولية في مقاومة هذا الاحتلال، الذي أوشك أن يعرّض مستقبل الموصل للخطر المحدق.

ومن المناسب هنا الاشارة الى أن الموصل، وقبيل الاحتلال البريطاني للعراق كانت مركزاً لما يعرف بـ «ولاية الموصل» إذ تشمل في التقسيم الاداري العثماني السابق، كلاً من الموصل وأربيل ودهوك وكركوك والسليمانية. فضلاً عن أن المعاهدة السرية الاستعمارية المعروفة بـ «إتفاقية سايكس- بيكو ١٦ أيار ١٩١٦» قد أكدت على وقوع جزء من هذه «الولاية» ضمن منطقة النفوذ والهيمنة الاستعمارية الفرنسية. وبهذا عمل الانكليز المحتلين بادئ الأمر، على إخضاعها للأدارة العسكرية الصرفة. وبعد التسوية الاستعمارية بين فرنسا وبريطانيا في أيلول ١٩١٩ اندمجت إدارة ولاية الموصل ببغداد والبصرة[2].

وفي واقع الحال كانت جذوة اليقظة الوطنية والقومية في الموصل قد اخذت تفعل فعلها منذ أواخر السيطرة العثمانية على العراق. وظهرت أولاً على شكل نهضة فكرية ثم اتخذت وجهة قومية سياسية عن طريق تشكيل الجمعيات والأحزاب السرية والعلنية من أجل استقلال العرب وانصاف حقوقهم من الاتراك، ومن بينها (جمعية العهد) وفرعها في الموصل منذ عام ١٩١٣ و (جمعية العلم السرية) التي تأسست مطلع عام ١٩١٤. كما عملت كلتا الجمعيتين معاً على التنديد بسياسية الاتحاديين العنصرية القائمة على «التتريك». وفي خاتمة المطاف تكلل كفاح اعضاء جمعية العهد بالنجاح بعد اندحار الاتراك ومغادرتهم الموصل في تشرين الثاني ١٩١٨. الاّ أنهم واجهوا الاحتلال البريطاني الجديد ومارافقه من سياسة إدارية غاشمة قائمة على السيطرة على مقاليد الأمور في العراق[3].

تمثلت المقاومة الوطنية في الموصل للاحتلال البريطاني بأساليب عدة، لكنها تركزت في مجالين اساسيين: (الأول)- اتباع الاسلوب السلمي السياسي. و (الثاني)- تبني الصيغة العسكرية والكفاح المسلح واتخاذه طريقاً لمقاومة الغزاة البريطانيين. وفي المجال الاول اضطلعت جمعيتا العلم والعهد العراقي بدور فعال[4]. لاسيما بعد أن أقرّ (مؤتمر سان- ريمو) الاستعماري نيسان ١٩٢٠ وقوع العراق ومن ضمنه ولاية الموصل تحت الانتداب البريطاني. وكان ذلك بمثابة الصدمة للعراقيين التي أحبطت آمالهم في إنشاء دولة عراقية مستقلة[5]. ومع هذا فقد ضاعف من نشاط الجماهير الشعبية والقوى الوطنية لمقاومته[6].

أيقن زعماء الحركة الوطنية ان حسم مسألة استقلال البلاد بالمفاوضات والوسائل السلمية قد أخفقت. فكان رفع السلاح بوجه المحتلين الانكليز هو الصفحة الثانية للمقاومة. وبالفعل اندلعت حركات مسلحة ضدهم وشملت معظم مناطق ولاية الموصل لاسيما في زاخو والسليمانية والعمادية وعقرة[7]. بل إن أغلب الحركات التي قامت في جهات دير الزور والموصل ضد الانكليز قد جرت بتأييد ومعونة جمعية العهد العراقي بسوريا وفرعها بالموصل[8]. حيث قامت القبائل الثائرة تهاجم مراكز الانكليز مابين عنة ودير الزور على الفرات وتكريت والشرقاط على دجلة[9]. وفي ٤ حزيران ١٩٢٠ وبتأييد ومعونة فرع جمعية العهد بالموصل كذلك قامت حركة تلعفر التي كانت غايتها تحرير الموصل من الاحتلال البريطاني مقدمة لاشعال الثورة في انحاء العراق كافة[10].

وهكذا عند اندلاع الثورة في جنوب العراق في ٣٠ حزيران ١٩٢٠، كانت المقاومة المسلحة الوطنية في شماله قد أقضت مضاجع الانكليز بتوجيه وتدبير من جمعية العهد والقوى العشائرية. ومع ذلك توقفت اعمال المقاومة من قبل فرع جمعية



العهد في الموصل مع بدايات تأسيس «الحكم الوطني» ثم اعتلاء فيصل بن الحسين عرش العراق. كما تفرّق اعضاء هذه الجمعية فمنهم من أخذ يمارس وظائف حكومية وسياسية، ومنهم من فضل ممارسة أنشطة اجتماعية وسياسية عن طريق إنشاء النوادي والجمعيات والمؤسسات الثقافية[١١].

الحركة الوطنية في الموصل خلال فترة الانتداب ١٩٢٠ - ١٩٣٢:

أسفرت ثورة العشرين عن شعور الانكليز بعجزهم عن حكم العراق عن طريق الوصاية المباشرة ومنطق الأدارة العسكرية الصارمة. فحاولوا من جديد إخفاء ذلك تحت غطاء الصبغة المدنية. وفي ١١ تشرين الاول ١٩٢٠ أقدمت بريطانيا على تعيين برسي كوكس Percy Cox مندوباً سامياً لتهدئة الوضع بدلاً من ارنولد ولسن المعروف بنزعته العسكرية المتشدّدة. وقد عزم كوكس بعد وصوله على تكوين «حكومة وطنية مؤقتة» تكون خاضعة لمراقبته. في ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٠ تأسست أول حكومة عراقية برئاسة عبدالرحمن الكيلاني (نقيب أشراف بغداد). وتبع ذلك تمهيد الاجواء لاختيار الملك المناسب لعرش العراق. وفي آذار ١٩٢١ تمت المصادقة في (مؤتمر القاهرة) على ترشيح فيصل بن الحسين لشغل هذا المنصب. بعد ان كانت بريطانيا قد رفضت عدة مرشحين له، وعارضت في الوقت نفسه، بشدة، فكرة إقامة النظام الجمهوري[١٢].

وفي ١١ تموز ١٩٢١ قرر مجلس الوزراء في العراق تنصيب فيصل ملكاً على العراق شريطة ان تكون حكومته «دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون». كما رافق ذلك انتخابه بطريقة «التصويت العام». ثم تمخضت هذه العملية عن اكثرية ٩٧٪ بجانب فيصل[١٣]. لقد لقي هذا الأجراء بصورة عامة وقعه المقبول في الموصل. وعبّر اهالي المدينة عن ذلك بأقامة الاحتفالات للابتهاج بهذه المناسبة. كما ردّدوا خلالها الأناشيد الحماسية ومنها: «فليحيَ الملك فيصل. فليحيَ العراق. فليحيَ الاستقلال». وبهذا امتزجت لديهم خلال هذه الفعاليات المشاعر الوطنية بالقومية. فضلاً عن ذلك، ان فكرة انتخاب «ملك من العراقيين» قد قوبلت من لدن البعض في الموصل بالرفض الشديد. وقد ظهرت منشورات واعلانات مخطوطة على جدران بعض الأبنية تؤيد انتخاب أحد أنجال الشريف حسين ملكاً على العراق[١٤].

يقول (العمري)[١٥]: «ان فحوىٰ الصراع والانقسام دار حول من يحكم العراق؟ عراقي من أبناء العراق أمْ عربي من أنجال الشريف حسين بن علي».

ومع ذلك ظهرت بعض التحفظات على ترشيح وانتخاب فيصل في الموصل. لاسيما وان الكثيرين قد فضل انتخابه شريطة اعطاء «الضمانات لحماية الأقليات»[١٦]. وبهذا ظهرت اختلافات في الرأي حول هذه المسألة، وتمثلت بعدة إتجاهات، كان (الأول) منها يحبذ ترشيح فيصل وكانت وراءه جمعية العهد. أما (الثاني) فقد تمثل بالدعوة لانتخاب أحد العراقيين. في حين كان (الثالث) يفضل الرجوع الى رأي الشعب عن طريق انتخاب جمعية تأسيسية تأخذ على عاتقها البتّ بالأمر[١٧].

أما السلطات البريطانية فكانت تميل الى جانب ترشيح فيصل لأسباب لامجال لذكرها. كما أن المصالح البريطانية وقتئذٍ اقتضت ان يكون فيصلاً هو المرشح المفضل. لاسيما وان المشاورين البريطانيين والموظفين الحكوميين قد أشرفوا على عملية الاستفتاء. كما أن (جريدة الموصل) الموالية للسلطات البريطانية قد بادرت الى تأييد ترشيح فيصل كذلك.

في ٢٣ آب ١٩٢١ توج فيصل ملكاً على



العراق. وأُقيم احتفال رسمي بهذه المناسبة حضره المندوبالسامي البريطاني، إضافة الى وفود تمثل الألوية العراقية التي اشتركت في التصويت لصالح توليه العرش[١٨]. ومن المرجح، انه نتيجة للظروف المعقّدة التي كان يعيها فيصل ويعانيها قد حاول الموازنة بين اكتساب ودّ ومشاعر العراقيين من جهة، وتجنب اغضاب الانكليز الذين فضلوا ترشيحه من جهة أخرى. لذا فقد اختار أهون الأمرين، وبأن تكون العلاقة بين الجانبين العراقي والبريطاني علاقة تعاقدية أو تنتظم بـ «معاهدة» خاصة[١٩].

رفض الموصل للانتداب والتصدّي لمعاهدة ١٩٢٢:

لم يمضِ على تتويج فيصل الاّ بضعة أيام حتى بدأت المفاوضات بين الحكومتين العراقية والبريطانية لعقد المعاهدة. وبدا من خلالها وكأن معاهدة ١٩٢٢ والأتفاقيات الاربع الملحقة بها نسخة مكرّرة لنظام الانتداب وتستهدف التركيز على نفوذ بريطانيا وسيطرتها على العراق دون ذكر الانتداب نفسه، لذلك رفضتها الحركة الوطنية العراقية منذ البداية وتصدّت لها بقوة[٢٠].

شارك ابناء الموصل بقية العراقيين رفضهم لهذه المعاهدة. في نيسان ١٩٢٢ وبمناسبة «عيد النهضة العربية» عقدوا اجتماعاً حاشداً ضمَّ عدة الآف من المواطنين، وتحول الاجتماع الى مظاهرة سلمية، وخلالها رفعوا برقية الى الملك فيصل عرضوا فيها مطاليبهم التي تضمنت عدم قبولهم بأية معاهدة لم يصادق عليها المجلس التأسيسي، فضلاً عن منح رخصة لتشكيل الاحزاب السياسية. الاّ أن فيصلاً عد ذلك من قبيل التدخل في شؤون الحكومة[٢١].

في ٢٣ مايس ١٩٢٢ صرّح ونستون تشرشل Winston churchill (وزير المستعمرات البريطاني) في مجلس العموم بأنه لم يظهر من الملك فيصل وحكومته أي اعتراض على الانتداب. وكان ذلك بمثابة إهانة لها. لذا سارع الملك فيصل الى تفنيد ماجاء في هذا التصريح، من حيث انه وحكومته قد أبلغا برسي كوكس ان أهالي العراق يرفضون قبول الانتداب على العراق[٢٢].

كان التصريح المذكور مدعاة لأثارة المشاعر الوطنية التي عبرت عن ذلك بعقد الاجتماعات والقيام بالتظاهرات وتقديم المذكرات والبرقيات الى الملك فيصل وعصبة الأمم. وفي الموصل أرسل جمهور من أعيان المدينة في ١٥ حزيران ١٩٢٢ برقية الى الملك. ومما جاء فيها «إننا نحتج على تصريح تشرشل ونرفض كل لفظ يمس الاستقلال التام للبلاد...». كما أرسل أعضاء المجلس البلدي في المدينة برقية مماثلة الى الملك في ١٧ حزيران يحتجون فيها على هذا التصريح. وجاراهم في ذلك بعض من اصحاب المهن والكسبة بارسال برقيات يرفضون فيها الانتداب. أما (جريدة الجزيرة) الموصلية فقد دبّجت المقالات الكثيرة وهاجمت من خلالها تصريح تشرشل وطالبت بالاستقلال التام للعراق[٢٣]. كما هاجمت هذه الجريدة في عددها الصادر في ١٠ حزيران الانتداب بشدة. في حين نشرت (جريدة صدى الاحرار) كلمة بقلم محمد رؤوف الغلامي دعا فيها اهل الموصل الى رفض الانتداب، كما نبّه من خلالها الى مخاطر السيطرة البريطانية. وفي ٢٥ حزيران رفع بعض من أعيان المدينة ووجهائها برقية الى الملك فيصل اعلنوا فيها رفضهم للانتداب وتمسكهم باستقلال البلاد، ومنهم الشيخ عبدالله النعمة ومحمد الجليلي ومصطفى الصابونجي ونجيب الجادر وابراهيم عطار باشي ومكي الشربتي وحمدي چلميران وعبدالأحد عبد النور وغيرهم. مما دفع الحكومة العراقية ان توعز لمتصرفية الموصل بطمأنة السكان وسعيها لتحقيق استقلال البلاد وفقاً لرغبة



الشعب[٢٤].

ومع ذلك كانت حكومة عبدالرحمن الكيلاني الثالثة قد وافقت موافقة نهائية في ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢ على المعاهدة شريطة ان تنال تصديق المجلس التأسيسي العراقي. لاسيما وان أمر انتخاب هذا المجلس قد اقترن بالتوقيع على المعاهدة. وفي ٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٢ صدرت الأرادة الملكية بالشروع بأنتخابات المجلس التأسيسي، الآ أنها سرعان ماواجهت معارضة شديدة ودعوة عامة لمقاطعتها في أغلب أنحاء البلاد[٢٥].

لاقت هذه الانتخابات معارضة قوية في الموصل كذلك. وتمثل ذلك بتنظيم الاجتماعات بغية إفشالها تضامناً مع الحركة الوطنية في المدن العراقية الاخرى. وقد تدخلت الشرطة مستخدمة القمع أزاءها، كما اعتقلت ستة من المعارضين الوطنين ومنهم يحيى ق الشيخ عبدالواحد وسعيد الحاج ثابت ومكي الشربتي، وأودعتهم رهن الاعتقال الى حين الانتهاء من التصديق على المعاهدة. وفي شباط ١٩٢٤ شاع في اوساط الوطنيين ان الملك فيصل يعتزم بالاتفاق مع الانكليز على تمرير المعاهدة ، فظهرت منشورات تندّد بالانتخابات والملك والانكليز. كما عقد رجال الحركة الوطنية اجتماعاً جماهيرياً في (جامع قضيب البان) في الموصل، كانت غايته التصويت ضد الانتخابات وتوعية المواطنين بعدم المشاركة فيها. وقد حاولت السلطات الحكومية في الموصل التدخل، دون جدوى، في ترشيح اشخاص معينين في عضوية ديوان الانتخابات، لأن هؤلاء المرشحين لايتمتعون بتأييد القوى الوطنية[٢٦].

تمكنت حكومة جعفر العسكري (٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٣ - ٢ آب ١٩٢٤) من استكمال المرحلة النهائية للانتخابات في ٢٥ شباط ١٩٢٤. وتبع ذلك افتتاح المجلس التأسيسي جلسته الاولى في ٢٧ آذار ١٩٢٤. وكان من احدى مهامه الرئيسة مناقشة بنود المعاهدة ثم التصديق عليها في آخر المطاف. وخلال ذلك ظهر موقف نواب الموصل في المجلس المذكور، ومنهم امجد العمري



امجد العمري

وفتح الله سرسم وآصف وفائي والدكتور داؤود الجلبي وعجيل الياور، واضحاً خلال مناقشة المعاهدة قبل إقرارها من قبل اكثرية المجلس. فقد اشترط داؤود الجلبي تعديل المعاهدة قبل قبولها على علاتها. كما اعتبرها آصف وفائي من قبيل الانتداب الشديد الوطأة على الشعب وفيها من البنود مايتعارض واستقلال البلاد. ومع هذا فقد طالب نواب الموصل تأجيل المذاكرة في المعاهدة الى حين الانتهاء من حل «مشكلة ولاية الموصل» بصورة عادلة بما يضمن حقوق العراق فيها[٢٧].

الدفاع عن عروبة الموصل والتنديد بمعاهدة ١٩٢٦:

كانت قضية الدفاع عن عروبة الموصل من القضايا الأساسية في تكوين الدولة العراقية الحديثة[٢٨]. كما شغلت هذه القضية الحيز الأكبر من اهتمام الحكومات العراقية المتعاقبة بعد الانتهاء من التصديق على معاهدة ١٩٢٢[٢٩]. لقد تصدّت الاغلبية من أهالي الموصل لأدعاءات الاتراك المزعومة للمطالبة بهذه الولاية تضامناً مع القوى الوطنية في أنحاء البلاد كافة. كما نال هؤلاء التشجيع والدعم من الموصليين المقيمين في بغداد،

حينما عقدوا الاجتماعات الوطنية وقرّروا تحرير بيان خاص يوزع في الموصل ويدعو مواطنيها الى التمسك بالبقاء مع العراق[٣٠]. كما جاءت زيارة الملك فيصل للموصل بمثابة الدعم لمواطنيها في تعزيز الاتجاه العربي فيها. وعند وصول اللجنة الدولية الموصل في ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٥ استقبلها حشد كبير من أهالي المدينة، ومن بينهم الطلاب، وطافوا الشوارع فيها معبرين من خلالها عن انتماء الموصل للعراق. كما سارت مظاهرة كبيرة حمل فيها المتظاهرون الأعلام العربية، برغم البيان الذي اصدرته وزارة الداخلية بمنع ذلك[٣١].

ومع ذلك، حين وصلت هذه اللجنة المذكورة للموصل، كانت هناك ثلاث فئات قد بلورت لها اتجاهات مختلفة: (الأولىٰ) - وهي التي كانت تمثل رأي الاغلبية، واخذت على عاتقها توعية المواطنين بمخاطر الانضمام الى تركيا. كما أعلنوا في دعوتهم ان الموصل جزء لايتجزأ من العراق. بل هي عربية الولاء. وكانت الفئة (الثانية) - تركية النوازع والأهواء، وعملت جهاراً بهذه الفكرة. الاّ انه لم يكن لها تأثير يذكر. في حين كانت الفئة (الثالثة) - متردّدة أمام القضية وفضلت مصالحها الذاتية على الوطنية[٣٢].

شرع كثير من رجال الحركة الوطنية في الموصل وقتئذٍ بتأليف جمعيات واحزاب سياسية، اخذت على عاتقها مسؤولية الدفاع عن عروبة الموصل ازاء المطامع التركية. ففي الاول من أيلول ١٩٢٤ تشكل (حزب الاستقلال العراقي) برئاسة آصف وفائي. ومن المفيد الاشارة الى ان بعض اعضائه سبق ان كانوا من المنتمين الى (حزب العهد) فرع الموصل، وهم: عبدالله الفاروقي ومكي الشربتي وسعيد الحاج ثابت ومحمد صدقي سليمان. دعا هذا الحزب الى الوحدة العربية والاستقلال التام[٣٣]. كما اصدر (جريدة العهد) لتكون لسان حاله، وقد ظهر العدد الاول منها في ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٥، ثم نشر بيانه الاول فيها، حيث ذكّر من خلاله الشعب العراقي بعنصرية الأتراك في تجاهلهم لحقوق العرب. كما حثّ البيان العراقيين على ان يعلنوا امام لجنة التحقيق الدولية انهم عراقيون وعرب ومستعدون للتضحية بحياتهم تحت الراية العراقية من اجل الاستقلال التام. واختتم الحزب بيانه بالقول: «فلتحيَ الموصل عراقية عربية، ولتحيَ عصبة الامم العادلة، ولتسقط مطاليب الاتراك الغاشمة، وليعش العراق مستقلاً استقلالاً تاماً». كما نشط الحزب بين صفوف الطلاب العراقيين، لاسيما في حثهم على اجابة أي سؤال عن الموصل بالقول: «ان الموصل [رأس العراق] عربية ومن يفكر منّا في فصلها عن العراق خائن لوطنه وعنصره وقومه»[٣٤]. واظب هذا الحزب في نشاطه كذلك بتدبيج المقالات والمنشورات وارسال البرقيات الى الجهات العليا ومنها عصبة الأمم. أما في منهاجه الثقافي فقد اكّد على عروبة الموصل وتقديم الأدلة الجغرافية والاقتصادية والتاريخية التي تؤيد عائدية الموصل للعراق[٣٥].

في ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٥ شكل بعض الموصليين (جمعية الدفاع الوطني) برئاسة أحمد الفخري وذلك لتأييد حزب الاستقلال العراقي في الدفاع عن حقوق العراق بولاية الموصل. وضمت في عضويتها مائة وخمسين شخصاً من علماء الدين والاعيان والأدباء والخطباء والمفكرين وغيرهم. وقد أكدت هذه الجمعية في منهاجها على «المحافظة على ولاية الموصل بحدودها الطبيعية لكونها عراقية وجزءاً لاينفك من العراق». ومن نشاطها أن قدمت في ٦ شباط ١٩٢٥ تقريراً مفصلاً عن قضية الموصل وأهمية ارتباطها بالعراق[٣٦]. كما أخذت على عاتقها مهمة الاتصال بلجنة التحقيق الدولية. الىٰ جانب إصدارها البيانات الكثيرة وقيامها بالتظاهرات في سبيل هذه القضية[٣٧].

وفي ٢١ مايس ١٩٢٥ تأسس في الموصل



(الحزب الوطني العراقي) برئاسة عبدالله آل سليمان ثم تولّى رئاسته بعدئذٍ الدكتور محمد محفوظ فقد أوضح الحزب أن غاية تكوينه «هو أن نعيش سعداء في وطن سعيد». كما دعا الى مقاومة الدعاية الضارة بالوحدة العراقية والسعي وراء استقلال العراق التام. وبعد أن أنجزت لجنة الحدود مهمتها كان الركود والتفكك يسيطران على حياة الحزب. لذا لم يقم بنشاط واسع قياساً الى حزب الاستقلال وجمعية الدفاع.[38]

أقر مجلس عصبة الأمم في ١٦ كانون الأول ١٩٢٥ عائدية ولاية الموصل الى العراق. لكنه اشترط ان تبقىٰ هذه المنطقة تحت الانتداب البريطاني لمدة خمسة وعشرين عاماً الاّ اذا قبل العراق في عضوية العصبة قبل انتهاء هذه المدة وان يكون ذلك بمعاهدة بين العراق وبريطانيا وآخرى بين العراق وبريطانيا وتركيا[39]. وعلى أثر صدور هذا القرار من العصبة، رحّب به حزب الاستقلال وأبرق بذلك الى عصبة الأمم[40]. وبعد الانتهاء من قضية الموصل ضعفت هذه الاحزاب المذكورة ولم تستمر طويلاً، حيث تفرّق اعضاؤها بعدئذٍ وشرعوا في ممارسة العمل السياسي ضمن الاحزاب العراقية المتمركزة في بغداد، لاسيما الاحزاب البرلمانية ومنها (حزب التقدم) الحاكم و (حزب الشعب) المعارض.[41]

كانت المعاهدة العراقية — البريطانية المبرمة في ١٣ كانون الثاني ١٩٢٦ احدىٰ النتائج المهمة التي تمخضت عنها قضية ولاية الموصل، والتي اتخذتها بريطانيا ذريعة لتمديد معاهدة ١٩٢٢ الى خمسة وعشرين عاماً، فضلاً عن استخدامها النفط وسيلة لتهديد العراق، بجعله مرتبطاً اساساً بحل هذه القضية[42]. لذا فقد واجهت حكومة عبد المحسن السعدون الثانية (٢٦ حزيران ١٩٢٥ — ١ تشرين الثاني ١٩٢٦) معارضة وطنية قوية حينما أقدمت على عقد جلسة سرية في ١٨ كانون الثاني لغرض إبرام هذه المعاهدة الجديدة في مجلس النواب. وقد وافق عليها المجلس بالفعل بأغلبية (٥٨) صوتاً ضد (٣٠). وحينها برّر السعدون موقف حكومته بان عدم إقرار هذه المعاهدة معناه خسارة الموصل.[43]

ومن المفارقة ان نواب الموصل في المجلس قد انقسموا بين مؤيد ومعارض للمعاهدة المذكورة. وهذا خلاف ماكان عليه الحال خلال ابرام معاهدة ١٩٢٢. فقد أيّدها آصف وفائي الذي سبق أن ندّد بمعاهدة ١٩٢٢ وجاراه في ذلك أحمد الفخري. في حين عارضها ثابت عبد النور واحتج على قرار المجلس بالموافقة عليها. لذا فقد استنكر حزب الاستقلال التصديق على المعاهدة وقرّر فصل آصف وفائي من عضويته، معتبراً موقفه المذكور مخالفاً لمبادئ الحزب، كما قام بنشر البيانات ضدها. مما دفع السلطات المحلية الى تعطيل (جريدة العهد) الناطقة بلسانه، بعد أن ندّدت بمخططات الانكليز ودافعت عن سيادة البلاد. وقد التزم الحزب الوطني بهذا الموقف الذي اتّخذ حزب الاستقلال كذلك.[44]

طبيعة النشاط الوطني في الموصل ١٩٢٧-١٩٣٢:

واصلت الحركة الوطنية مساعيها في الدعوة الى تعديل الاتفاقيات البريطانية وعزمها على تحقيق الاستقلال والغاء الانتداب. وفي كانون الأول ١٩٢٦ دخلت حكومة جعفر العسكري الثانية (٢١ تشرين الثاني ١٩٢٦ — ٨ كانون الثاني ١٩٢٨) في مفاوضات مع الحكومة البريطانية في لندن لعقد معاهدة ١٩٢٧ بين الطرفين. وخلال ذلك رفع الحزب الوطني في الموصل برقية الى رئيس الوزراء يطلب فيها صيانة حقوق الأمة في المفاوضات المقبلة لعقد معاهدة مع بريطانيا، وانقاذها من بنود المعاهدة المخلّة باستقلالها الحقيقي[45]. وقد واجهت هذه المعاهدة بعد أبرامها

في ١٤ كانون الاول ١٩٢٧ معارضة شديدة أدت أخيراً الى تجميد المصادقة عليها ، لاسيما وأنها لم تأت بجديد سوى الوعد الذي قدمته الحكومة البريطانية في (المادة الثالثة) بتأييد دخول العراق عصبة الأمم عام ١٩٣٢ (٤٦) .

ومن المفيد الاشارة الى ان الحزب الوطني وحزب الاستقلال قد أظهرا برغم انهاء أعمالها ، نشاطاً محدوداً في هذه الفترة تضامناً مع الحركة الوطنية في أنحاء أخرى من البلاد . فقد كان الحزب الوطني في الموصل مطلعاً على حادثة زيارة (الفريد موند Mond)الصهيوني لبغداد في اوائل شباط ١٩٢٨ والمظاهرات الطلابية التي خرجت لتندد بها . وقد أرسل مذكرة الى رئيس الوزراء يحتج فيها على فصل بعض الطلبة ويطالب باعادتهم الى مدارسهم بعد هذه الحادثة . فضلاً عن ذلك تعاون الحزبان المذكوران في تقديم البرقيات الى الملك فيصل والمسؤولين في بغداد ، يحتجان فيها على تدخل السلطات المحلية في الموصل في اثناء عملية الانتخابات النيابية التي أجرتها حكومة عبدالمحسن السعدون الثالثة في كانون الثاني ١٩٢٨ ، وأن ذلك يشكل خرقاً فاضحاً للقوانين الدستورية المرعية في البلاد (٤٧) .

على أثر التصريح البريطاني في ١٤ أيلول ١٩٢٩ ، الذي كان أحد بنوده استعداد بريطانيا لمعاضدة ترشيح العراق للدخول في عصبة الأمم ، شكل عبدالمحسن السعدون وزارته الرابعة في ١٩ أيلول ١٩٢٩ كمحاولة أخرى لعقد معاهدة تنظم العلاقات بين العراق وبريطانيا . الاّ ان الاخيرة أصرت على مواقفها بابقاء مضمون المعاهدة على سابق عهدها . وكان من نتائج ذلك إقدام السعدون على الانتحار في ١٣ تشرين الثاني ١٩٢٩ ، فكان لهذا الحادث وقعه المؤثر في البلاد . وقد واجهت حكومة ناجي السويدي (١٨ تشرين الثاني ١٩٢٩ – ٩ آذار ١٩٣٠) التعنّت والاصرار نفسه من قبل الأنكليز . وقد جاء رد الفعل على ذلك شديداً في اوساط الحركة الوطنية وقيام مظاهرة كبرى في بغداد ، حيث أرسل المتظاهرون احتجاجاً قوي اللهجة الى الملك فيصل والمندوب السامي البريطاني وعصبة الأمم والى رئيس الحكومة البريطانية نفسه (٤٨) .

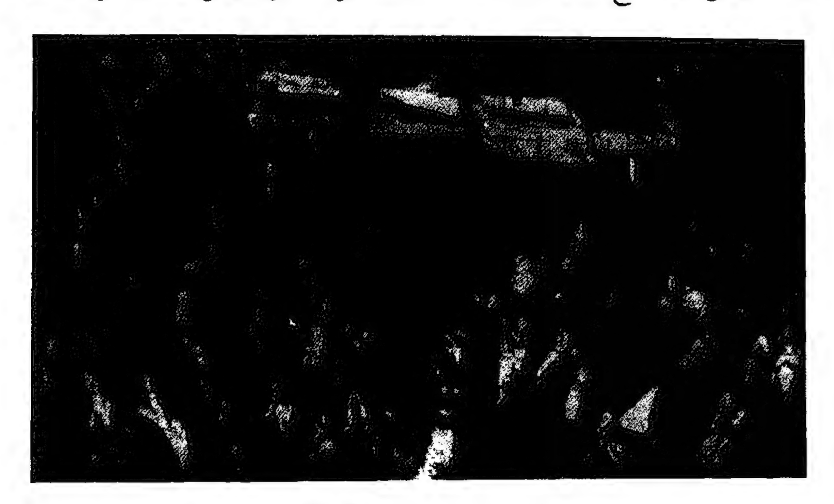
تركت هذه الأحداث صداها الواضح في أوساط الموصليين . فتضامناً مع رجال الحركة الوطنية في بغداد والمدن العراقية الاخرى ، في الاحتجاج على سياسة الحكومة البريطانية تجاه العراق عقد اجتماع جماهيري حاشد في الجامع النوري (الكبير) بمدينة الموصل . وخلاله فوّض المجتمعون بعضاً من وجوه المدينة وأعيانها ومنهم : أحمد الجليلي وابراهيم عطار باشي والدكتور يحيىٰ نزهت وغيرهم لتقديم احتجاج الى الملك فيصل الأول . في ٢١ آذار ١٩٣٠ أرسل هؤلاء بالفعل برقية الى الملك احتجوا فيها أولاً على سياسة التسويف والمماطلة التي اتبعتها الحكومة البريطانية ازاء تنفيذ وعودها للعراق . كما ندّدت البرقية بتعنت المندوب السامي تجاه قضايا البلاد الحيوية ، التي أرادت حكومة ناجي السويدي المذكورة تنفيذها بموجب الصلاحيات الدستورية للعراق . بل عدّت هذا التصلّب برهاناً على انعدام حسن النوايا البريطانية نحو العراق . كما ناشدت هذه البرقية رجال العراق الذين يغارون على مصلحة البلاد بالأحجام عن تأليف الوزارة – بعد استقالة السويدي – مالم توافق بريطانيا على تنفيذ وعودها ، وتتنازل عن تصلبها المخالف للعهود المقطوعة للعراق . وفضلاً عن ذلك فقد أبدت البرقية المذكورة مطاليب « لجنة المظاهرة » في بغداد ، وناشدت زعماء البلاد باتخاذ موقف حازم تجاه عناد الغاصب والاستمرار على مقاطعة السياسة البريطانية التي وصفتها بأنها : « لاتعرف للعهود والمواعيد معنىً غير إذلال الضعيف والازدراء به » (٤٩) .



وعندما أبرمت حكومة نوري السعيد المعاهدة الرابعة مع الحكومة البريطانية في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ واجهت كبقية المعاهدات السابقة، الانتقاد والرفض الشديدين من الحركة الوطنية. وفي الموصل لاقت هذه المعاهدة معارضة شعبية واسعة، حيث خرجت مظاهرة طلابية كبيرة إنضم اليها جمع من الشعب، فطافت شوارع المدينة مندّدة بالمعاهدة المذكورة. وعندما عرضت تلك المعاهدة في ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٠ على المجلس النيابي لغرض تصديقها، اختلف نواب الموصل بين مؤيد ومعارض لها. فقد صوّت لصالحها سبعة نواب ومنهم ثابت عبد النور وعبد الله الدملوجي واسحق أفرايم. وبالمقابل عارضها أربعة ومنهم ابراهيم عطار باشي وعلي جودت الايوبي، وغاب عن الجلسة أحمد الجليلي. ومن هنا يلحظ الاختلاف في مواقف نواب الموصل أزاء جميع المعاهدات. وقد

الموصلية قد ندّدت بهذه المعاهدة في افتتاحياتها أو المقالات التي كتبها بعض المواطنين. حيث استنكرتها (جريدة البلاغ) وطالبت بضرورة تعديلها أو الغائها. كما وصفتها (جريدة فتى العرب) بأنها: «جائرة»[٥١].

دخلت معاهدة ١٩٣٠ حيز التنفيذ، منذ دخول العراق عصبة الأمم في ٣ تشرين الأول ١٩٣٢، وقتها أعلن رسمياً ألغاء الأنتداب وأعتبار العراق «دولة مستقلة». وكان لهذا الحدث وقعه الواضح في الموصل. بل عد من قبل بعض من رجال الحركة الوطنية خطوة كبيرة نحو أستكمال أستقلال العراق. كما جرى في المدينة أحتفال رسمي، حيث أستعرضت من خلاله كشافة المدارس وقطعات من الجيش، فضلاً عن أقامة مظاهر الزينة والأبتهاج. وفي الوقت ذاته تقرّر تشكيل وفد من الموصل للأشتراك في الأحتفالات



احتفال الموصليين بيوم استقلال العراق

يعود ذلك الى قضية تبوّء بعضهم مسؤوليات عليا في الدولة الى جانب الاهتمام بالمصالح الذاتية التي شغلتهم بأجمعها عن قضايا الكفاح من اجل الاستقلال[٥٠]. وفي الوقت نفسه كانت الصحافة

التي تقام في بغداد بهذه المناسبة. وتألف الوفد من: الشيخ عبد الله النعمة وأحمد الشربتي وصالح حديد والدكتور عبد الأحد عبد النور ونعمان الدباغ ونجيب قندلا ورئيس البلدية ومتصرف

اللواء. ومع هذا طالب بعض الوطنيين من أهالي الموصل بضرورة مواصلة الكفاح بغية رفع القيود التي تضمنتها معاهدة ١٩٣٠، ليكون ذلك بمثابة «العيد الحقيقي» للعراقيين كافة.(٥٢)

دور الموصل في أحداث ١٩٣٣ - ١٩٣٩ :

بعد دخول العراق عصبة الأمم سعى الملك فيصل الى أتباع سياسة إصلاحية تتلاءم ومرحلة الأستقلال. كما عمل على الموازنة والتقارب بين البلاط الملكي والمعارضة، لاسيما تلك التي يمثلها حزب الاخاء الوطني.(٥٣) في ١٠ آذار شكل الحزب المذكور حكومته الأولى برئاسة رشيد عالي الكيلاني، لكن سرعان ماواجهت هذه الحكومة مشكلة داخلية خطيرة وهي تمرد الآثوريين، ثم وفاة الملك فيصل في ٧ أيلول ١٩٣٣ وتولي الأمير غازي عرش العراق. وكان لهذه الأحداث صداها وفعلها المؤثر في الموصل.

حركة التمرد الآثوري :

واجهت العراق في مطلع حصوله على الأستقلال عام ١٩٣٢ مشكلات داخلية كادت تهدد سيادته ووحدته الوطنية. وفي مقدمتها تمرد الآثوريين (التيارية) الذين كانوا قد نزحوا الى العراق خلال الحرب العالمية الأولى من منطقة (حكاري) شرقي الأناضول. وعلى الرغم من أن بعضاً منهم فضلوا تأييد الحكومة في حينه واستنكروا أعمال التمرد، فأن الجماعات المتمردة والمتصلة بزعيمهم الديني المدعو (المار إيشاي شمعون) حاولت أن تطرح غايات ومطامع سياسية ومنها «تأسيس وطن قومي لهم في شمال العراق» والذي يقع وقتئذٍ ضمن (لواء الموصل).(٥٤)

وقفت حكومة الكيلاني الأولى (٢٠ آذار ١٩٣٣ - ٩ أيلول ١٩٣٣) بقوة ضد هذا التمرد (مايس - آب ١٩٣٣) باتخاذها الأجراءات الفوريّة والحازمة بحقه. لاسيما بعد أن أتخذ له أبعادا دولية مبالغاً فيها، وظهر أن لبريطانيا وفرنسا يداً في ذلك. لذا نالت هذه الحكومة التأييد - ولو بصورة مؤقتة - في كل أنحاء البلاد، على أعتبار أنها تدافع عن قضية وطنية تهم صيانة وحدة البلاد.(٥٥)

غدت الموصل خلال هذا التمرد مركزاً للمباحثات بين زعماء التمرد والمسؤولين الحكوميين. كما زارها الأمير غازي (ولي العهد ونائب الملك وقتئذٍ) برفقة الكيلاني في ٢٧ آب بتكليف من والده الملك فيصل.(٥٦)

وقد استعرض غازي هناك القوات العراقية وشكر بالنيابة عن والده الآثوريين الذين لم يشتركوا مع المتمردين، وأثنى على شعور الأكراد في حفظ النظام.(٥٧)

لقد تمتع غازي بشعبية واسعة وقتئذٍ، واستقبل بحفاوة بالغة عند زيارته الموصل. يقول ستافورد Staford (المفتش الأداري للواء الموصل انذاك) وهو يصف الاستقبال الشعبي للأمير غازي في الموصل: «..لم أر مثل ذلك الجو الذي هاج عند استقباله في الموصل. كان غازي موضع هتافات عظيمة من قبل المحتشدين ولكن اسم والده الملك لم يسمع خلال الهتافات».(٥٨) وهكذا لمع اسمه في هذه الأحداث وكسب شعبية واسعة بين الذين وجدوا فيه الشخص الذي يمكنه أن يتحدى الأنكليز.(٥٩) كما أكتسب هذه الشعبية لتأييده الأتجاه الذي سارت عليه الحكومة لاسيما حكمت سليمان (وزير الداخلية) وبكر صدقي (قائد الجيش الذي قام بقمع التمرد).(٦٠)

نال حزب الاخاء الوطني (فرع الموصل) تأييد الموصليين باتخاذه أجراءات صارمة أزاء التمرد.(٦١) وكانت (جريدة البلاغ) الموصلية، لسان حال هذا الحزب، قد نشرت على صفحاتها أخبار التمرد والبلاغات الرسمية المتعلقة بقمعه، فضلاً عن تبيانها لمواقف حزب الأخاء من التمرد.



لاسيما في عقده الأجتماعات التي تمخض عنها تشكيل مايعرف بـ (جمعية الأسعاف الشعبي) التي كان من مهمتها زيارة جرحى الجيش ومواساتهم، فضلاً عن جمع الأعانات والتبرعات النقدية لعوائل شهداء الجيش والمتضررين من جراء قمع حركة التمرد.[٦٢] وفي ٢٩ آب ١٩٣٣ رفعت شعبة حزب الأخاء في الموصل عدة كتب الى رئيس الوزراء تحذر فيها من حركة التمرد هذه ومن أضرارها على البلاد. كما أيدت من خلالها تدابير الحكومة الحازمة في قمعهم ومعاقبة كل من له يد في هذه المسألة. وطالب الحكومة كذلك بأخراج «المبشرين» الذين أتخذوا - حسب رأيه - من التبشير وسيلة لأثارة القلاقل في العراق، ومحاربة الدعايات السيئة التي يبثها أعداء البلاد. بل طالب الحكومة بتدبير عاجل لسن (قانون التجنيد الأجباري) تنفيذاً لرغبة الشعب الذي أعلن أستعداده للتطوع.[٦٣] وكان لموقف الأخائيين الصارم هذا من حركة التمرد أثر في أزدياد شعبية حزب الأخاء وتصاعد نسبة المنتسبين في صفوفه.[٦٤]

صدى حركة عشائر الفرات الأوسط في الموصل:

في ٨ أيلول ١٩٣٣ تسنم الأمير غازي عرش العراق بعد وفاة والده الملك فيصل وفي ٩ أيلول



الملك غازي ١٩٣٣ - ١٩٣٩

أعاد الكيلاني تشكيل حكومته الثانية (٩ أيلول ١٩٣٣ - ٢٨ تشرين الأول ١٩٣٣). وقد أحدثت وفاة فيصل فراغاً كبيراً في السياسة العراقية. أستغل بعض الساسة هذه الثغرة فأنطلقت الصراعات السياسية من عقالها فيما بينهم للتأثير على الملك الجديد ثم الفوز بالحكم. ولم تتمكن الحكومة الأخائية الثانية من البقاء طويلاً في الحكم بعد أن تخلى حزب الأخاء عن معارضته القوية لمعاهدة ١٩٣٠. حاول الكيلاني تدارك الأمر بطلبه من الملك حل المجلس النيابي. الا أن الملك وبتأثير من علي جودت الأيوبي (رئيس الديوان الملكي) حال دون ذلك وعلى أثر ذلك قدم الكيلاني أستقالة حكومته. وأعقب ذلك موجة أستقالات من عضوية حزب الأخاء في فروع الموصل وأربيل وديالى والكوت.[٦٥]

عدّ حزب الأخاء سقوط حكومته الثانية من قبيل الأنتكاسة في مكانته السياسية. لذا حاول طوال بقائه خارج السلطة إثارة المتاعب بوجه الحكومات المتعاقبة تمهيداً لأسقاطها وعودته من جديد الى الحكم، لاسيما حكومتي جميل المدفعي الأولى والثانية (تشرين الثاني ١٩٣٣ - آب ١٩٣٤). ولما جاءت حكومة علي جودت الأيوبي (٢٧ آب ١٩٣٤ - ٢٣ شباط ١٩٣٥) شدّد حزب الأخاء من حدة الخناق عليها، لاسيما بعد أن أقدم الأيوبي على حل المجلس النيابي. ثم جاءت نتائج الأنتخابات للمجلس الجديد مخيبة لآمال حزب الأخاء، بل أضعفت من نسبة التمثيل العشائري فيه ووجد بعض رؤساء العشائر البارزين المتمين لحزب الأخاء أمثال عبد الواحد الحاج سكر (رئيس عشائر آل فتلة) وغيره أنفسهم خارج المجلس.

لم يتمكن حزب الأخاء من أسقاط حكومة الأيوبي بالوسائل الدستورية، فالتجأ الى تبني فكرة أثارة العشائر بوجهها بغية أسقاطها أسلوباً جديداً



في المعارضة السياسية. فضلاً عن تعبئة الجو الساسي العام ضدها. لقد نالت معارضة حزب الأخاء مبتغاها. حين حاول الأيوبي أسترضاء ياسين الهاشمي (رئيس حزب الأخاء) بتولي الحكم شريطة أشراكه هو والمدفعي بالحكم وأبعاد رشيد عالي الكيلاني من عضوية الوزارة الجديدة. أيّد الملك غازي مقترح الأيوبي في حين رفض الهاشمي هذا العرض وعندئذ كلف الملك المدفعي بتشكيل حكومته الثالثة في ٤ آذار ١٩٣٥. (٦٦)

الاّ أن حزب الأخاء أستمر في قيادة المعارضة ضد حكومة المدفعي مدعماً موقفه بالتحرك العشائري الذي يقوده بعض رؤساء عشائر الفرات الأوسط وفي مقدمتهم عبد الواحد الحاج سكر، بل طالب بأسقاط هذه الحكومة كذلك. وفي ٩ آذار ١٩٣٥ أعلن عبد الواحد الحاج سكر حركته المسلحة في أبي صخير والمشخاب (لواء الديوانية) وساندته بعض العشائر في عفك وديالى. وبعد أن فشل المدفعي في حل المسألة عن طريق المفاوضات قرر اللجوء الى القوة العسكرية وأتخذت حكومته الأستعدادات لقمع الحركة. الاّ أن نشاط المعارضة المتزايد في التأثير على الملك لتدارك الأمر حقناً للدماء حال دون ذلك. مما أدى بالمدفعي الى تقديم أستقالة حكومته في ١٥ آذار ١٩٣٥. وبهذا تمكن حزب الأخاء من العودة مرة أخرى الى الحكم. (٦٧)

كان لهذه التدابير التي أتخذها حزب الأخاء بالتعاون مع العشائر، صداها المؤثر في بعض الألوية الأخرى، لاسيما من قبل العناصر المؤيدة لسياسته. ففي الموصل نشطت بعض العناصر العسكرية المؤيدة لـ (الكتلة العسكرية القومية)* بالتعاون مع عددٍ من المحامين والساسة في توزيع المناشير السرية المساندة للحركة العشائرية المذكورة في الفرات الأوسط. يقول (الدّرة): «..كان الأشد حماسة - يقصد من الضباط - على أهبة الأستعداد للألتحاق بالثائرين اذا أدّى الأمر الى قتال مسلح.. في الوقت الذي كان فيه فرع أولئك الضباط في الموصل وعلى رأسهم الملازمون - محمود الدّرة - وطارق سعيد فهمي وماجد سليم ومحمد نجيب الربيعي يشترك مع عدد من الساسة وفيهم المحامي ياسين العريبي وحمدي چلميران ويونس عباوي في توزيع المناشير المؤيدة لحركة الفرات». (٦٨)

وقد أكد أحد تقارير الأستخبارات العسكرية أن مجموعة من هذه المناشير ألصقت على جدران الجوامع والشوارع الرئيسة في المدينة. في الوقت الذي كان فيه الأعتقاد السائد بادئ الأمر بين الموصليين أن هذه الحركة تصطبغ بالصبغة «الطائفية». كما أكد التقرير على أن مشاعر الأرتياح والتفاؤل طغت على هذا النشاط في الموصل بعد تأليف ياسين الهاشمي للوزارة الجديدة وعقد الآمال عليها في العمل البنّاء. (٦٩)

لقد أضفت الكتلة العسكرية القومية في حينه الطابع السياسي الوطني على هذه الحركة، وعزت أحد عوامل نجاحها لجهودها الخاصة بعد أن أنتهت دون إراقة دماء. كما عدت هذه الحركة فاتحة لتدخل الجيش بالأحداث السياسية. (٧٠) ويبدو أن النشاط الذي أظهرته عناصر هذه الكتلة قد جرى بالتنسيق مع أعضاء من حزب الأخاء (فرع الموصل). الاّ أن هذه الكتلة التي أيدت حكومة ياسين الهاشمي، أحتجت على أسلوب الشدة التي أتبعها بكر صدقي حينما كلف بأخماد حركات عشائر الفرات الأوسط الثانية. بل أوصلوا هذا الأحتجاج الى الهاشمي نفسه. (٧١)

حركة العشائر الشمالية (الكردية واليزيدية):

دعت حكومة ياسين الهاشمي الثانية (١٧ آذار - ١٩٣٥ - ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦) في بيان



لها بعد تشكيلها ، العشائر الى التزام الهدوء ونبذ المظاهر المسلحة . كما وعدتهم بمعالجة الأوضاع وفق أحكام القوانين مع مراعاة الأصلاحات الضرورية.[٧٢] ومع هذا واجهت هذه الحكومة منذ بداية تشكيلها تمرد العشائر الموالية لحكومتي الأيوبي والمدفعي السابقتين. بل أن هؤلاء عزموا على محاربة الهاشمي بالأسلوب نفسه الذي حاربهم به في إثارة العشائر.[٧٣]

وازاء ذلك ، دعا الهاشمي في ٢٤ آذار ١٩٣٥ عدداً من رؤساء العشائر العربية والكردية الى العاصمة بغداد ، بغية نبذ خلافاتهم والأتفاق على وحدة الصف الوطني ، وأظهار هيبة حكومته . وكان من بين هؤلاء عجيل الياور (رئيس عشائر شمّر) وعلي السليمان (رئيس عشائر الدليم) وفائق الطالباني (ممثلاً عن بعض العشائر الكردية في أربيل وكركوك والسليمانية).[٧٤]

أعلن الوفد المذكور بعد وصوله بغداد عن تأييده للوزارة الجديدة والأستعداد لقمع أية حركة يقصد بها تهديد وحدة البلاد. كما قابل أعضاء الوفد ياسين الهاشمي بمقره في ديوان رئاسة الوزارة. وخلالها القى فائق الطالباني كلمة بالنيابة عن أعضاء الوفد. مبيناً فيها أن هذا الوفد يمثل عشائر ألوية الموصل وديالى وأربيل وكركوك والسليمانية. ويعلن ثقته بالوزارة الجديدة ويأمل منها خيراً للوطن لأنها تضم عناصر يطمئن لها الشعب. كما أوضح أن تأييدهم لهذه الحكومة منطلق من واجبها «وهو ضمان سلامة المملكة والخدمة للصالح العام». وأختتم الطالباني كلمته مخاطباً الهاشمي : «.. إن أبناء الشمال كما عرضنا سيشدون من أزركم بكل ما أوتوا من حول وقوة ، مادمتم سالكين طريق الحق والعدل».[٧٥]

. كما أسهم في هذا التجمع كذلك عبد الواحد الحاج سكر مع جمع من رؤساء قبائل الفرات الأوسط الذين وصلوا بغداد في الأول من نيسان ١٩٣٥ بقصد تقديم الولاء للوزارة الجديدة . وقد عقد هؤلاء مؤتمراً لهم في الكاظمية في اليوم التالي ، وقرروا فيه جملة مطالب رفعوها للحكومة ، ومنها : حل المجلس النيابي وتوزيع الأراضي الأميرية بصورة عادلة وتطبيق القوانين بالعدل وأصلاح الجهاز الأداري.[٧٦]

. في الوقت نفسه أتفق رؤساء القبائل العربية المذكورين مع رؤساء القبائل الكردية على القيام بأصلاح الوضع العام في البلاد . وقد وقّع تسعة وستون رئيساً ،[٧٧] على «ميثاق» أطلق عليه البعض «وثيقة الوحدة» الذي أكد في مضمونه على الأيمان بالوحدة الوطنية العراقية .

وجاء في نصه : «نحن الموقعين أدناه نعلن أننا نستنكر كل فكرة أو حركة ترمي الى التفرقة ونحرص كل الحرص على وحدتنا العراقية تحت ظل عرش جلالة ملكنا المُفدىٰ».[٧٨] وفي المناسبة ذاتها أقام أحد رؤساء العشائر الكردية المدعو (الشيخ دارا) دعوة خاصة في (فندق الهلال) ببغداد لرؤساء العشائر العربية والكردية وبعض العناصر الوطنية . وقد تخلّل الدعوة القاء بعض الكلمات والخطب التي أكدت في مجملها على الولاء لحكومة الهاشمي ، والأنصراف كل الى عمله ومسؤوليته والألتزام بمشاعر الأخلاص للوحدة الوطنية العراقية.[٧٩]

ولغرض كسب التأييد لحكومته أقدم الهاشمي على خطوة ذكية ، وذلك عندما أعلن عن حل تنظيم حزب الأخاء الوطني في ٢٩ نيسان ١٩٣٥ تحت ذريعة «أن البلاد بحاجة ماسة الى توحيد الكلمة من أجل الوصول الى أهدافها الوطنية».[٨٠] كما تذرع الهاشمي كذلك بدمج الأحزاب السياسية في هيئة واحدة بغية تعزيز خطط وزارته الأصلاحية.[٨١]

لم يجنِ الهاشمي قطاف هذه الأجراءات السياسية التي أتبعها. ففي الفترة مابين (مايس



١٩٣٥ – تموز ١٩٣٦) قامت بوجه حكومته موجة من الحركات العشائرية المعادية لها شملت أغلب مناطق الفرات الأوسط.[٨٢] كما أندلعت في الفترة ذاتها حركات تمرد وعصيان بين العشائر الكردية واليزيدية في الشمال، لاسيما في المناطق التابعة للواء الموصل.

ومما تجدر الأشارة اليه أنه كان من بين خطط السياسة العامة الداخلية لحكومة الهاشمي، الاهتمام بالجيش وتعزيز الروح العسكرية وغرسها بين المواطنين كافة. ومن الواضح انها أرادت من ذلك وضع أسس وتقاليد لمفهوم الدولة العراقية الحديثة بعد تفاقم المشكلات الداخلية والتهديدات الخارجية. لذا أقدمت في ١٢ حزيران ١٩٣٥ على تنفيذ قانون الدفاع الوطني (قانون التجنيد الأجباري).[٨٣] ولغرض تطبيقه انتشرت في البلاد مراكز التجنيد. واهتمت الحكومة بجعل هذه المراكز بعيدة عن المناطق التي يحتمل ان تعارض أو تقاوم تنفيذه. وعلى الرغم من الحذر الذي توخته الحكومة قوبل هذا القانون في بادىء الأمر بمقاومة ومعارضة واضحة سواء في أوساط المراكز الحضرية او المناطق العشائرية. بل كان تنفيذ هذا القانون من العوامل المباشرة لاندلاع معظم حركات عشائر الفرات الأوسط.[٨٤] مثلما كان عاملاً مباشراً – كما سنرى – في حركة التمرد اليزيدي في الموصل.

حركة التمرد الكردي :

في الوقت الذي كانت فيه عشائر الفرات الاوسط قد أعلنت تمردها ضد حكومة الهاشمي، قامت بعض العشائر الكردية في أوائل آب ١٩٣٥ بحركة تمرد في منطقة (قضاء الزيبار). ولم تكن هذه الحركة الاّ استمراراً لحركة التمرد التي قام بها (احمد البارزاني) في هذه المنطقة واخمدت خلال حكومة نوري السعيد الثانية عام ١٩٣٢. حيث أن الأمن لم يستتب استتباباً تاماً هناك. قاد هذا التمرد الجديد كل من أولو بك (رئيس عشيرة شيروان وخال احمد البارزاني) وخليل خوشوي.[٨٥]

ازاء تصاعد هذا العصيان المسلح، استصدرت حكومة الهاشمي ارادة ملكية في ٥ آب ١٩٣٥ أعلنت بموجبها الادارة العرفية في نواحي (مزوري بالا) و(بارزان) و(ميركه سور) التابعة للواء الموصل وبعض المناطق التابعة للواء أربيل الى ان يعاد الأمن الى نصابه في هذه المناطق. كما تمَّ تشكيل (المجلس العرفي العسكري) برئاسة المقدم اسماعيل حقي الآغا. وكان هذا المجلس يواصل أعماله بالتنقل بين عقرة والزيبار والموصل. ولقرب حركة التمرد من الحدود العراقية – التركية، قامت السلطات التركية باغلاق حدودها بوجه المتمردين.

ولما أوشكت الحركة في الانتهاء اتفقت متصرفية لواء الموصل وقائمقامية قضاء الزيبار على جملة شروط لاستسلام المتمردين منها «تسليم زعماء التمرد للمحاكمة ومعاقبة الذين يؤوون الفارين من وجه العدالة».[٨٦]

ويظهر ان زعماء التمرد هذا كانوا قد انقسموا في الرأي. فقد قامت السلطات الحكومية بالتفاوض مع (أولو بك) لغرض حمله على التسليم. لكن الاخير اشترط لذلك بأن توافق الحكومة على اقامته مع اتباعه في بارزان، ثم الافراج عن «الشيوخ البارزانيين» المبعدين في الناصرية. وبالفعل وافقت الحكومة على قبول دخالة (أولو بك) وسمحت له بالأقامة في منطقة بارزان، وعهدت اليه كذلك بأدارة «أملاك الشيوخ». وفي الوقت نفسه وافقت السلطات الحكومية على انتقال أحمد البارزاني مع أخوته وبعض اتباعه من الناصرية الى السليمانية. وبهذا استتب الأمن في منطقة بارزان.[٨٧] وفي ٣٠ تشرين الاول ١٩٣٥ صدرت إرادة ملكية بالغاء الادارة العرفية في مناطق التمرد. مع ذلك، بقيت العناصر المتمردة التي يقودها خليل خوشوي تهدّد الأمن وتهاجم القرى. وحينما شدّدت القوات

الحكومية من تدابيرها للقضاء على حركته. تمكن خوشوي من اللجوء الى (جبال كاونده) في الأراضي التركية. عندها أرسلت السلطات (الحكومية) قوة من مفارز الاستطلاع، حيث تمكنت في ٧ آذار ١٩٣٦ وفي معركة دارت على مقربة من (قرية سيدة) من قتل (١٣) من المتمردين والقبض على (١٠) منهم. وفي ١٣ آذار تمكنت هذه القوات المذكورة من قتل خليل خوشوي وأخيه (سليم) مع ثلاثة من اتباعه. ثم القبض على ستة آخرين منهم كذلك. وما لبثت السلطات العراقية أن أعلنت في بيان لها في ١٥ آذار ١٩٣٦ عن إخمادها لحركة التمرد هذه.[٨٨]

حركة التمرد اليزيدي:

لقد فعلت الحركات العشائرية التي قامت في منطقة الفرات الاوسط، ومنطقة بارزان فعلها، على ما يظهر، لدى العشائر اليزيدية التي كانت تقطن في (قضاء سنجار) بلواء الموصل. فأعلنت أنها لاتستطيع ان تنفذ في منطقتها قانون التجنيد الأجباري، في وقت كانت فيه حكومة الهاشمي قد عقدت العزم على تطبيقه في مناطق البلاد كافة.[٨٩] وخلال آب ١٩٣٥ ساد الأضطراب في صفوف هذه العشائر بعد أن طلب عمر نظمي (متصرف لواء الموصل) من رؤساء اليزيدية في جبل سنجار تقديم تعهد مكتوب بمساندة قانون التجنيد الاجباري. وقد التقىٰ بعض من هؤلاء مع المتصرف والتمسوا منه تقديم تنازلات خاصة تلائم معتقداتهم وطقوسهم الدينية.[٩٠]

أذعن بعض من رؤساء العشائر اليزيدية للأمر. الاّ أحدهم وهو (داوُد الداوُد)،[٩١] أعلن عدم امتثاله لتنفيذ القانون وأمر أتباعه بعدم الانخراط في الخدمة العسكرية. كما أيّده في هذا التمرد (رشو قولو) كذلك. وقد قامت السلطات الحكومية في قضاء سنجار بأنذارهما بسوء العاقبة، الاّ انهما رفضا الانصياع لهذا التحذير، وقادا أتباعهما وتجمعوا في كهوف ومسالك جبال سنجار المنيعة.[٩٢]

حاولت حكومة الهاشمي استخدام وسائل عدة لغرض حملهم على التخلي عن العصيان ومنها وضع حوالي ألفي دينار من المخصصات السرية تحت تصرف وزير الداخلية لصرفها على رؤساء اليزيدية. كما أعطتهم وعداً بتكوين (فوج عسكري خاص) بهم بحيث لايتعارض ذلك مع مشاعرهم الدينية. الاّ انهم رفضوا الأذعان لهذه الوعود. وعندئذ قررت الحكومة استعمال القوة لأخماد حركتهم قبل ان يستفحل أمرها. يقول (القيسي)[٩٣]: «ان الهاشمي كان يخشىٰ من نجاح اليزيديين، إذ بنجاحهم ستنفتح عليه جبهة واسعة في المنطقة الشمالية».

أعدّت الحكومة القوة اللازمة لاخماد التمرد، وأناطت قيادتها باللواء حسين فوزي. وفي ٧ تشرين الأول بدأت الفعاليات القتالية التي اتصفت بالشدة والعنف. وسرعان ما انتهت بتشتيت جمع المتمردين. حيث استسلم منهم (٥٢٤) رجلاً. كما سلّم (رشو قولو) نفسه للسلطات الحكومية. أما (داوُد الداوُد) فقد التجأ الى مدينة القامشلي في سوريا بعد إصابته بجرح بليغ. وقد رفضت سلطات الانتداب الفرنسي هناك تسليمه. وفي ١٢ تشرين الاول أعلنت (الاحكام العرفية) في منطقة سنجار والمناطق المجاورة لها. وفي الوقت عينه تشكل (المجلس العرفي العسكري) في سنجار برئاسة المقدم عبدالوهاب عزيز لغرض محاكمة المتهمين بالتمرد. وقد أصدر هذا المجلس بحقهم أحكاماً مختلفة تراوحت بين الأعدام والحبس والنفي.[٩٤] وفي ١٧ تشرين الاول ١٩٣٥ أذاعت الحكومة بلاغاً رسمياً اكدت فيه إخمادها للحركة.[٩٥]

ومن الجدير بالذكر أن حركة التمرد هذه كانت قد وجهت اليها أصابع الاتهام بوجود مداخلات

أجنبية فيها تمسّ سيادة البلاد، لاسيما الفرنسية منها والبريطانية. وكان للدعاية غير الدقيقة والمبالغ فيها، والتي اشيعت في حينها ضد العراق في الخارج أثر واضح في ذلك. ففي أيلول ١٩٣٥ قام أحد ضباط الاستخبارات الفرنسية في (القامشلي) بتسهيل عملية تهريب السلاح ليزيدية سنجار خلال التمرد. فضلاً عن اجتماعه بأحد رؤساء اليزيدية المدعو (خضر الداؤد) وتحريضه على النزوح الى سوريا مع أتباعه.[٩٦] كما عثر المجلس العرفي العسكري على وثائق أثبتت قيام بعض من وصفوا بـ «المثقفين» بالاتصال بجهة أجنبية قيل انها فرنسية والتحريض على التمرد. وبهذا أدان المجلس المذكور إثنين ممن صدر بحقهم حكم الاعدام[٩٧].

أما السفارة البريطانية في بغداد فكان تدخلها واضحاً خلال التمرد المذكور. فقد تدخل السفير البريطاني (أرشيبالد كلارك كير) kerr في الاحكام الصادرة عن المتهمين الذين صدر بحقهم الاعدام تحت ذريعة «انه يخشىٰ ان يكون للعاطفة الدينية دخل فيها».[٩٨] بل طلب السفير كذلك تدقيق قضايا المحكومين من قبل هيئة عدلية تؤلف في بغداد لهذا الغرض. وعلى الرغم من اهتمام الحكومة بهذا الطلب.[٩٩] فقد بقي السفير على اعتقاده «بأن تنفيذ حكم الاعدام قد تمَّ - بعجالة - وان التمرد قد قمع بقسوة مفرطة وعوقب بفظاظة - لم تكن ضرورية تماماً -»[١٠٠]. لابل انّه أخذ يلح على الملك غازي بغية اصدار عفو عام عن اليزيديين الذين حكم عليهم بالسجن. كما أتهم الملك بالتلكؤ بهذا الشأن وأخذه بنصائح أصدقائه من الضباط الشباب خشية اتهامه بالضعف، برغم موافقة ياسين الهاشمي (رئيس الوزراء) على ذلك.[١٠١]

انتفاضة الموصل العسكرية عام ١٩٣٧ :

واجهت حكومة ياسين الهاشمي، لاسيما في أواخر عهدها، معارضة شديدة من قبل (جماعة الأهالي)[١٠٢] والعناصر اليسارية وبعض الساسة التقليديين. وعبثاً حاول الهاشمي تفادي ذلك. واخيرا تمكنت جماعة الاهالي بتحالفها مع كتلة من الضباط يتزعمها الفريق بكر صدقي من اسقاطها في انقلاب عسكري جرىٰ تنفيذه في ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦. وعلى اثر ذلك شكل حكمت سليمان الحكومة البديلة. في حين غدا بكر صدقي (رئيساً لاركان الجيش) والشخصية العسكرية المؤثرة في تقرير الكثير من الأمور السياسية في البلاد[١٠٣]. وهكذا، اذا كان الهاشمي قد استخدم سلاح إثارة العشائر بوجه الحكومات لأسقاطها، فقد استخدم خصومه السلاح وقوة الجيش في اسقاط حكومته.

استقبلت بعض الاوساط الموصلية نبأ الانقلاب وحكومته الجديدة بالارتياح، وجرت مظاهرات تأييد لهما على غرار ماجرىٰ في الكثير من المدن العراقية الأخرىٰ[١٠٤]. ومالبث وفد يمثل بعضاً من الوجهاء الموصليين أن زار العاصمة بغداد، بغية تقديم التهنئة لحكمت سليمان وبكر صدقي بهذه المناسبة. وقد ضم هذا الوفد كلاً من الشيخ عبدالله النعمة ورؤوف الشهواني ونعمان الدباغ وشريف الصابونچي ويونس عباوي وقاسم الديوه جي وصالح حديد وحكمت المفتي[١٠٥].

الاّ أن العناصر القومية الشّابة من الموصليين، والتي شكل سقوط حكومة ياسين الهاشمي نكسة لطموحاتها السياسية القومية، قد أبدت تحفظها من حكومة الانقلاب. وكان في مقدمة هؤلاء محمد يونس السبعاوي وجمال المفتي وحازم المفتي. بل أخذت هذه العناصر القومية المدنية بتنسيق جهودها مع مجموعة من الضباط العسكريين الذين أبعدتهم حكومة الانقلاب الى الموصل وكانوا على صلة بـ (الكتلة العسكرية القومية) التي يتزعمها صلاح الدين الصباغ. ومن هؤلاء محمد فهمي سعيد (مقدم لواء المنطقة الشمالية) وكامل شبيب وسعيد الخياط وعمر فوزي وطاهر يحيىٰ وابراهيم الراوي



صلاح الدين الصباغ

محمد خورشيد وقاسم مقصود وعزيز ياملكي (رئيس نادي الضباط في الموصل). فضلاً عن اللواء محمد امين العمري (آمر منطقة الموصل) الذي كان يظهر تعاطفه مع هؤلاء الضباط دون انتسابه للكتلة العسكرية القومية. وبالفعل قام السبعاوي بنشاط؛ بارز في عقد الاجتماعات وتعبئة الجهود بين ضباط هذه الكتلة وعدد من السياسيين بقصد التعاون للقيام بعمل منظم يستهدف الأطاحة بحكومة الانقلاب. وهذا ما جعله موضع شك وتهديد وملاحقة من قبل العناصر المؤيدة للانقلاب، فاضطر الى مغادرة العراق، الاّ انه بقي على اتصال مع هذه الكتلة للغرض ذاته[١٠٦].

إن السياسة التي اتبعتها حكومة الانقلاب وبدعم من بكر صدقي اوجدت شيئاً فشيئاً تصاعداً في حدة المعارضة السياسية لها. كما أن بريق الوعود الاصلاحية التي دعت اليها في البداية أخذ يخفت ويتعرض للأنتقاد. لا سيما بعد اتباعها سياسة العنف والاغتيال والتهديد والنفي ازاء الخصوم. كما أن ضربها للعشائر في السماوة جعل عرىٰ التحالف بينها وبين جماعة الاهالي ينفصم وينفرط عقده. هذا فضلاً عن اتباعها لسياسة اقليمية استفزت مشاعر العناصر القومية. في حين أن محاولة حكمت سليمان تدارك الأمر في نهاية المطاف لم تثبت جدواها، بعد بقاء بكر صدقي وأعوانه القوة المهيمنة على حكومته[١٠٧]. إن تزايد الاستياء من حكومة الانقلاب دفع ببكر صدقي الى توخي الحيطة والحذر، وفي الوقت نفسه أيقظت في نفسه مشاعر القلق والغرور والطموحات السياسية. لكنه غدا الهدف الذي تتربص به الكتلة العسكرية القومية للتخلص منه[١٠٨].

جرت محاولات عدة من قبل الكتلة العسكرية القومية لاغتيال بكر صدقي. وقد جاءت محاولتهم الاخيرة الناجحة، عندما استغل عناصر هذه الكتلة نبأ الزيارة التي أزمع بكر صدقي على القيام بها الى تركيا ومروره بالموصل. وحينها قام صلاح الدين الصباغ بتكليف احد عناصر هذه الكتلة وهو (حازم المفتي) بنقل رسالة منه الى اعضاء الكتلة من تنظيم الموصل القومي- السابق ذكرهم- يوصيهم من خلالها عدم اضاعة هذه الفرصة للتخلص من بكر صدقي. في ١١ آب ١٩٣٧ وصل الاخير الموصل وكان في رفقته اللواء حسين فوزي (قائد الفرقة الاولى) كما التحق به على متن طائرة عسكرية محمد علي جواد (قائد القوة الجوية). وكان في استقبالهم اللوء محمد أمين العمري والمقدم محمد فهمي سعيد.

استنفرت العناصر القومية جهودها لاغتنام الفرصة والإطاحة ببكر صدقي واغتياله. وكان على رأس العناصر التي خططت لذلك، المقدم محمد فهمي سعيد وعاونه في اعدادها النقيب الطيار محمود هندي والنقيب الخيّال محمد خورشيد والعقيد عزيز ياملكي. لقد تمَّ اعداد الخطة بأسرع وقت ممكن ونفّذها نائب العريف الخيّال محمد عبدالله الذي أجهز على بكر صدقي وزميله قائد القوة الجوية، حينما حاول التصدّي له، في حديقة مقر استراحة ضباط القوة الجوية بمطار الموصل. وعلى أثر ذلك، ابرقت متصرفية لواء الموصل الى الحكومة تعلمها بالأمر. وفي ١٢ آب أذاعت الحكومة بياناً رسمياً نعت فيه القتيلين، كما اعلنت فيه انه قد القي القبض على الفاعل والتحقيقات

جارية للوقوف على مسبّبات الحادث[١٠٩].

وقع نبأ اغتيال بكر صدقي ومحمد علي جواد وقع الصدمة المفاجئة على أعوان بكر صدقي من العسكريين وحكمت سليمان نفسه، الذي اصيب بالذهول للوهلة الأولى. بل استقبل هؤلاء هذا النبأ بالاستياء الشديد وطالبوا بأخذ الثأر له، واتخذوا تدابير عدّة بهذا الشأن. فقد تولىّ العميد اسماعيل حقي الآغا (نائب قائد الفرقة الاولى) زعامة الضباط الموالين لبكر للسيطرة على الموقف في بغداد. كما تولى العقيد شاكر الوادي (قيادة القوة الجوية). في حين غدا الفريق عبد اللطيف نوري (رئيساً لأركان الجيش) ومحمد علي محمود الشيخ علي (وكيلاً لوزارة الدفاع). وبعد ان تداول حكمت سليمان مع هؤلاء بالأمر، أيّد أخيراً رغبة أعوان بكر في الاقتصاص من مدبري الحادث. بل هدّد بانزال أشد العقاب بهم. لاسيما وأن حكمت أعلن عن رغبته هذه خلال المكالمة الهاتفية التي أجراها مع اللواء محمد امين العمري (آمر منطقة الموصل). وفي الحال اعلنت حكومته عن تشكيل محكمة عسكرية ولجنة تحقيق لمتابعة تفاصيل الحادث. ثم أرسلت المقدم أنطوان لوقا (نائب الأحكام بوزارة الدفاع) الى الموصل لهذا الغرض[١١٠].

وفي الوقت عينه تشكلت في الموصل لجنة تحقيق برئاسة حاكم جزاء الموصل ومدير الشرطة والمدعي العام. الا ان الحكومة رفضت هذا الاجراء وطلبت من العمري إرسال الموقوفين الى بغداد لاجراء محاكمتهم أمام محكمة عسكرية خاصة. في حين كان من رأي العمري إرسال اللجنة التحقيقية الى الموصل خشية انتقام أعوان بكر من المتهمين في الحادث. وبعد التحقيقات الأولية التي أجراها كل من أحمد حمدي زينل (قائد الكتيبة الثالثة في الموصل- وهو من أنصار بكر) وانطوان لوقا. أصدر الأخير أمراً باعتقال بعض الضباط المشتبه بهم. في حين بقي زينل يواصل استجواباته ويتصل مع جماعة بكر في بغداد ويتبادل المشورة معهم في هذه القضية. وأخيراً تمّ اعتقال عدد كبير من الضباط بلغ عددهم حوالي (٤٣) ضابطاً من المشتبه بهم وفي مقدمتهم محمد فهمي سعيد ومحمود هندي مع عددٍ من نواب الضباط والجنود. كما أصدر حكمت أمراً بارسال المتهمين الى بغداد لاجراء محاكمتهم هناك[١١١].

ازاء إصرار حكمت واعوان بكر على تنفيذ هذا الاجراء. قرر العمري رفضه له. واعلن في ١٤ آب ١٩٣٧ بدء انتفاضة الموصل العسكرية. كما اعلن في الوقت نفسه عن قطع علاقة الموصل مع الحكومة المركزية في بغداد. واعتقد أن هذا التبرير كافٍ لأجبارها على الاستقالة. كان العمري معارضاً للانقلاب الذي قاده حكمت- بكر منذ وقوعه. وفي خاتمة المطاف وجد نفسه متعاطفاً مع عناصر كتلة الضباط القوميين في الموصل بعد اغتيالهم لبكر. ومع هذا تعدّدت الآراء وتضاربت وجهات النظر حول هذا الموقف الذي اتخذه العمري. ويمكن إجمالها بما يأتي: (١)- إعتقاد البعض ان العمري كان متفقاً ضمناً مع العناصر المتهمة بقضية الاغتيال. وان اتخاذه الاجراءات الحاسمة ضدهم في بادئ الأمر، لم يكن الاّ مناورة منه لكسب الوقت خشية افتضاح أمره. (٢)- خضوع العمري لضغوط ومشورة بعض من آمري الوحدات العسكرية في الموصل من أمثال قاسم مقصود وعزيز ياملكي، والذين اظهروا تعاطفاً ودعماً للمتهمين بالحادث. (٣)- ان العمري قد أخذ امّا بمشورة (قاسم مقصود) أو (محمد فهمي سعيد). (٤)- قيام محمد فهمي سعيد وبعض زملائه الموقوفين باستدعاء العمري وتهديده بالصاق تهمة الاغتيال به في حالة موافقته على ارسالهم الى بغداد. وان العمري خضع للأمر الواقع بعد ان ضمن تأييد آمري الوحدات العسكرية ووكيل متصرف لواء الموصل ومدير الشرطة ورئيس البلدية[١١٢]. ومن



الجائز ان العمري إمّا كان متفقاً سراً مع مدبري الحادث. أو أنه قد وجد نفسه مطوقاً بظروف الحادث وتعقيداته ومحاطاً بمشاعر مناهضة في أغلبها لحكومة بغداد، لاسيما بين الضباط الذين تحت أمرته، وبامكانه كسبها الى جانبه، فقام بهذه الانتفاضة التي اتخذت شكل الانقلاب العسكري.

إن أول عمل قام به العمري هو اعتقاله لزينل ولوقا وبعض الضباط المناصرين لبكر صدقي. كما طالب المسؤولين في بغداد ان يكون اجراء المحاكمات والتحقيقات تحت اشرافه. بل هدّد بالاطاحة بالحكومة القائمة والزحف على بغداد في حالة رفضها لمطاليبه[113]. وكانت اشارة قطعة العلاقة مع بغداد قد تمثلت بـ «البيان الاول» الذي أعلنه في ١٤ آب والذي بدأ بعبارة «بيان الى الشعب العراقي» وكان يحمل توقيعه. لقد بيّن العمري في هذا البيان دوافع هذه الانتفاضة العسكرية من حيث ان الحكومة وانصارها من اتباع بكر قد سيطرت عليهم نزوة الانتقام، بأصرارهم على «القاء القبض على كثير من الضباط الذين لادخل لهم في الأمر بتاتاً» بعد ان كانت التحقيقات قد حصرت المسألة في الفاعلين ومحرضيهم. ثمَّ تعنت وإصرار هذه الحكومة على «ارسال الموقوفين والضباط الاخرين الى بغداد». وفي خاتمة البيان رفض العمري مطاليب الحكومة هذه. بل قطع العلاقة مع بغداد. ثم ناشد أهالي الموصل بالتزام الهدوء وعدم القيام بأيّ عمل مخالف للأمن والنظام.

كان لهذا البيان وقعه المقبول في الأوساط الوطنية الموصلية. ولم يلبث العمري أن أعلن «البيان الثاني» الذي ابتدأ بعبارة «بيان الى الشعب العراقي النبيل» حاول من خلاله توسيع مسؤوليات الانتفاضة العسكرية. بل أعلن فيه لاول مرة أن «حكومة الموصل» المتضامنة بجيشها وإدارتها تعلن

بيان الى الشعب

العراقي

عقيب حادثة مقتل المرحومين بكر صدقي ومحمد علي جواد كانت قد جرت التحقيقات اللازمة والقي القبض على القاتل ومحرضيه وكانت التحقيقات تجري في نطاق يحصر الامر في الفاعلين ومحرضيهم غير ان الوزارة القائمة في بغداد وذوي الأرب شددت بلزوم القاء القبض على كثير من الضباط الذين لا دخل لهم في

ان المطلوب من جميع الاهلين المحافظة على السكون التام وعدم القيام بأي عمل من شأنه تعكير صفو الامن

١٩٣٧/٨/١٤

محمد امين العمري
امير اللواء
آمر المنطقة

البيان الذي اصدره محمد امين العمري في الموصل في ١٤ آب ١٩٣٧

خروجها على «الحكومة المركزية في بغداد». كما ذكّر البيان الشعب بأعمال الانتقام التي قامت بها الحكومة ازاء خصومها، وانها تريد بعد اغتيال بكر أن تعيد الكرّة، ولكن ازاء الاكثرية من ضباط الجيش، ثم دعا البيان الموظفين والشعب لمؤازرة «حكومة لواء الموصل» ومقاطعة الحكومة المركزية. وشدّد البيان في الختام من لهجته بالتأكيد على ان «حكومة الموصل» تتوعدّ بعقوبة الاعدام «لكل من يحاول الخروج عن طاعتها ويخلّ بالأمن العام»[114].

وقد شاع في حينه أن الحكومة وأعوان بكر، كانوا يعدون العدّة للاستعانة بالقوات المرابطة في بغداد بغية الزحف على الموصل لانهاء الانتفاضة. فما كان من العمري الاّ ان عمل على تحصين مدينة الموصل عن طريق اقامة المتاريس في مدخل المدينة وطرقاتها، وضبط الدوائر الحكومية كافة. فضلاً عن وضعه أجهزة الهاتف والبرق تحت الرقابة العسكرية. ثم تعزيز سلاح المدفعية فوق المرتفعات تحسباً لأيّ طارئ. وفي الوقت نفسه ضمن العمري دعم واسناد بعض آمري الحاميات العسكرية في الديوانية والحلة وكركوك والسليمانية[115]. كما أبرق العمري الى الملك غازي معلناً إخلاصه للعرش. في

وقت قيل فيه ان الملك كان قد توجّس خيفة من أمر الانتفاضة واستكبر موقف الضباط في عدم انصياعهم لأوامر الحكومة[١١٦].

وبعد أن وثق العمري من موقفه أرسل الى الحكومة في بغداد، مطاليب العناصر الوطنية والقومية في الموصل. وقد تضمنت عدة نقاط هي: (١)– التشديد على استقالة حكومة الانقلاب باعتبارها حكومة «غير شرعية» وتأليف حكومة بديلة لها يرأسها جميل المدفعي. (٢)– عدم الاستجابة لطلب الحكومة بتسليمها المتهمين بحادث الاغتيال. (٣)– القبض على قتلة جعفر العسكري وضياء يونس ومحاكمتهم مع قاتل بكر وزميله محمد علي جواد في محكة واحدة[١١٧].

كانت هذه الشروط كافية لأن تضع الحكومة في موقف لاتحسد عليه. وفي عين الوقت حاول حكمت سليمان التشبث في السيطرة على زمام الامور. لا سيما بعد ان تغير الموقف وغدا الى جانب انتفاضة الموصل. فقد أعلن العقيد محمد سعيد التكريتي (آمر معسكر الوشاش في بغداد) وقوفه بجانب قيادة الانتفاضة في الموصل متوسماً «وحدة الجيش والبلاد». كما أيده بموقفه هذا كبار الضباط في المعسكر وفي مقدمتهم العناصر القومية. وقد حاول حكمت ثني محمد سعيد التكريتي عن موقفه. الاّ انه أخفق في ذلك بعد أن وضع التكريتي شروطاً للتفاهم، منها «إبعاد بعض الضباط من أنصار بكر عن مناصبهم لحين هدوء الاحوال، وعدم تدخل الجيش في السياسة». وقد أدرك حكمت ضعف موقف حكومته بعد أن أوعز له الملك غازي بتقبل الأمر الواقع وقبول مطاليب آمري معسكر الوشاش ومنطقة الموصل. وهنا اضطر حكمت الى تقديم استقالة حكومته في ١٧ آب ١٩٣٧. وسرعان ماانفرج الموقف بعد تشكيل جميل المدفعي للوزارة البديلة، والتي كانت في تشكيلتها واجراءاتها الاولية مقبولة بالنسبة للتكريتي وللعمري والعناصر القومية في الجيش[١١٨]. كما أصدر العمري بياناً رسمياً أعلن فيه انتهاء الانتفاضة واعادة العلاقة مع العاصمة بغداد[١١٩].

لاقت هذه الانتفاضة التي دامت أياماً معدودة فقط تأييداً واضحاً في الموصل، بل غدت في حينها حديث الساعة. فقد ذكرت (جريدة البلاغ) ان قرار العمري بقطع علاقة الموصل مع الحكومة المركزية في بغداد كان قد قوبل بارتياح وشكر شديدين في المدينة، وقد تمثل ذلك في احد اشكاله باستتباب الأمن في جميع انحاء اللواء. أمّا (جريدة فتى العراق) فقد وصفت موقف أهالي الموصل من هذه الانتفاضة بـ «الموقف الرزين» و «الموقف النبيل» وبأنهم وبموقفهم هذا انما يعبرون عن «الأخلاص التام لمصلحة البلاد». في الوقت الذي اضفت هاتين الصحيفتين على العمري ألقاب «البطولة» و «النبالة» واعتبرت قيادته للانتفاضة من قبيل «التدابير الحازمة» و «الخطة الحكيمة»[١٢٠]. ومع ذلك كانت هذه الانتفاضة برغم صبغتها الوطنية، مؤشراً محفوفاً بالمخاطر، يعبر في مضمونه عن تصفية الحسابات بين الكتل العسكرية المتصارعة داخل الجيش، ومظهراً فعالاً من مظاهر تدخل الجيش في شؤون البلاد السياسية.

ردود فعل الموصل ازاء مصرع الملك غازي:

كان الملك غازي في أواخر عهده قد اكتسب شعبية متنامية في أوساط الشعب العراقي. لاسيما بعد أن أخذ يظهر ميولاً واضحة لتعزيز النزعة الوطنية والقومية في العديد من مواقفه. وقد ظهر ذلك جلياً من خلال الاذاعة الخاصة التي كان قد اسسها منذ حزيران ١٩٣٧ والمعروفة بـ (اذاعة قصر الزهور). فمن خلالها جاهر الملك غازي بالدعوة من أجل عودة الكويت الى العراق. فضلاً عن دفاعه بحماسة عن الثوار العرب في



فلسطين والهابه مشاعر العرب في سوريا ضد الانتداب الفرنسي. بل مطالبته الاقطار العربية بالتحرر من النفوذ الأجنبي ، وكان هذا كافياً لايقاد غضب الانكليز عليه والتفكير بغلق إذاعته هذه وايقافه عند حدّه أو خلعه عن العرش ، وربما وضع حدٍّ لحياته كذلك. وفي وقت كانت فيه بريطانيا تواجه مواقف مقلقة لمصالحها في العراق منها نشاط المفوضية الألمانية في بغداد ، ونمو التيار القومي ، والنشاط السياسي المتزايد داخل الجيش ، ثم توقّع اندلاع الحرب العالمية الثانية ، والتي ستكون طرفاً رئيساً فيها لامحالة[١٢١].

في ٣/ ٤ نيسان ١٩٣٩ نشرت الحكومة العراقية بلاغاً رسمياً ، جاء فيه أن الملك غازي قد توفي أثر اصطدام السيارة التي كان يقودها بنفسه بأحد أعمدة الكهرباء بالقرب من قصر الحارثية[١٢٢]. كانت هذه الحادثة بمثابة الصدمة المفاجئة والمؤلمة لعموم الشعب العراقي في حينه. فانطلقت في أغلب المدن العراقية ، وفي بغداد على نحو خاص ، مسيرات استنكار شعبية واسعة ومظاهرات طلابية تندب الملك الفقيد وتندّد بسياسة الانكليز. لاسيما بعد ان شاع في الأوساط الوطنية اتهام لنوري السعيد والانكليز بأنهما كانا وراء تدبير الحادث. كما أتاح ذلك الفرصة للصراعات الألمانية – الانكليزية الخفية أن تظهر للعيان بل اعتقد الانكليز ان هذه التهمة الموجهة ضدهم كانت من صنع الألمان[١٢٣].

تلقىٰ أهالي الموصل نعي الملك غازي بألم بالغ. واتسم رد الفعل لديهم بالشدة والعنف والحماسة ، لاسيما بعد ان شاع في اوساطهم ، كما هو الحال في بغداد ، أن الانكليز وراء مصرع الملك. وفي صباح يوم ٤ نيسان نظمت في المدينة مظاهرات كبرىٰ اقامها طلاب المدارس الثانوية ، وانضم اليها الكثير من قطاعات الشعب. واضرب اصحاب الحوانيت عن أعمالهم تضامناً مع المتظاهرين. وكانت هذه التظاهرات من السّعة بحيث تجاوز عدد المشاركين فيها العشرين ألف شخص. طاف المتظاهرون شوارع المدينة الرئيسة ، وهم يهتفون بكلمات حماسية مثيرة تندّد بسياسة الانكليز. ثم توجهوا الى مقر القنصلية البريطانية (القريبة من محطة سكك حديد الموصل). وسرعان ماطوقت جموع المتظاهرين دار القنصلية ، حيث هاجموها بالحجارة وأنزلوا العلم البريطاني واحرقوه. كما احرقوا سيارة تابعة للقنصلية بعد تحطيمها. وقد اقتحم فريق من المتظاهرين باب القنصلية ، وأدىٰ الأمر بعدئذٍ الى مقتل القنصل (مونك ميسن) حينما كان يحاول التظاهر بالخروج أمام الجمهور الغاضب واستطلاع الوضع[١٢٤]. وفي الوقت نفسه ، كانت الصحف الموصلية ، قد شرعت بنقل مشاعر الرأي العام على صفحاتها كجريدة (الرقيب) و (فتى العراق) و (البلاغ). بل كتبت الأخيرة قائلة ان الملك الفقيد «كان خير مدافع عن حقوق وكرامة واستقلال الاقطار العربية»[١٢٥].



بناية القنصلية البريطانية في الموصل

اتخذ الانكليز من مقتل القنصل ميسن في الموصل ذريعة لمطاردة العناصر الوطنية والقومية، وللتغطية على مصرع الملك نفسه على الرغم من مشاعر التنديد له من قبل الوجهاء والجمعيات وأصحاب المهن وبعض الصحف الموصلية(١٢٦) كما استغل الانكليز مقتل القنصل بغية الضغط على الحكومة العراقية نفسها لتقوم بتخفيف حدّة الاتهامات الموجهة ضدهم أثر مصرع الملك. حيث طلبت السفارة البريطانية من حكومة نوري السعيد شجب الهجوم على القنصلية وتقديم اعتذارها لمقتل القنصل. بل اتخذت من ذلك ذريعة للشك في مقدرة الحكومة العراقية على حماية الممثلين البريطانيين و «الممتلكات البريطانية في العراق»(١٢٧).

وبالفعل قدّم رئيس الوزراء نوري السعيد أسفه للسفير البريطاني، واعتبر حادث مقتل القنصل «صدمة قوية له ولاعضاء حكومته». كما أبلغ نوري السفير أن هذا العمل قد جاء بدفع من بعض «المحرضين»(١٢٨). لذا أعلنت حكومته عن مكافأة نقدية قيمتها خمسمائة دينار لأي أدلة تؤدي الى اكتشاف الفاعل. فضلاً عن تأييدها لمقترح السفير البريطاني بأنشاء مركز شرطة قرب القنصلية. ثم تخصيصها منحة قدرها (عشرون الف دينار) لتعويض عائلة القنصل القتيل. وفي الوقت نفسه شدّد السفير البريطاني وبالتعاون مع حكومة نوري على مراقبة العناصر الوطنية والقومية في (المدرسة الاعدادية) بالموصل وفي جميع المدارس العراقية وذلك لموقفهم المناهض للانكليز. لا بل نشط نوري وبالتعاون مع السفير البريطاني في فرض رقابة صارمة على المفوضية الألمانية في بغداد والألمان العاملين في العراق. كما وجهت السفارة البريطانية الى الدكتور خاجيك (أخصائي في أمراض العيون بالموصل) تهمة العمل لصالح الألمان وإثارة العداء ضد الانكليز(١٢٩).

لم تكتفِ حكومة نوري بذلك. فقد أقدمت على فرض الاحكام العرفية على مدينة الموصل وضواحيها، وفي ١١ نيسان ١٩٣٩ تمَّ تشكيل (المجلس العرفي العسكري) برئاسة العقيد فرج عمارة، فأخذ على عاتقه التحقيق في الحادث. ثم مالبث أن أصدر أحكاماً مختلفة على المتهمين بهذه القضية والذين كانوا في أغلبهم من التلاميذ والعمال والكسبة(١٣٠). وقد بقيت الاحكام العرفية معلنة في الموصل وضواحيها الى حين صدور إدارة ملكية بألغائها في ١٢ آب ١٩٣٩(١٣١). ومع ذلك، أوضح هذا الحادث بجلاء طبيعة الأحاسيس الوطنية الجّياشة والمناهضة للسياسة البريطانية الاستعمارية. كما يلحظ من خلاله شدّة الأجراءات الانتقامية التي اتخذتها السفارة البريطانية بالتعاون مع حكومة نوري لملاحقة العناصر الوطنية والقومية بغية وضع حدٍ لنشاطها. لاسيما وأن السفير البريطاني نفسه كان قد كتب في احدى تقاريره مؤكداً وقتئذٍ من «أن الموصل قد غدت بؤرة مؤثّرة للدعاية المضادة لبريطانيا»(١٣٢).

ومهما يكن من أمر، فأنه على أثر موت الملك غازي، كان مجلس الوزراء قد اجتمع في قصر الزهور الملكي مساء يوم ٣/ ٤ نيسان ١٩٣٩ واتخذ قرارات عدة أهمها، اعلان الامير ولي العهد (فيصل) ملكاً على العراق بأسم (فيصل الثاني) وفقاً للدستور. ثم تسمية الامير عبد الأله (وصياً على الملك). فضلاً عن دعوة مجلس الامة للاجتماع بغية البت في أمر (الوصاية) نهائياً وفقاً للدستور(١٣٣) وفي ٦ نيسان ١٩٣٩ عقد مجلس الأمة اجتماعاً طارئاً، ووافق بالأجماع على تعيين الأمير عبدالأله وصياً على الملك الى ان يبلغ سن الرشد القانونية(١٣٤). ومنذئذٍ بدأ الوصي المذكور بمزاولة مهامه السياسية. ومع هذا، فأن مصرع الملك غازي المفاجئ قد أعاد من جديد الجو المليء بالصراعات السياسية الداخلية والخارجية. في



وقت كانت فيه بريطانيا تعتقد ان أهم العقبات التي يمكن ان تجابهها تتعلق بموقف العراق من العمل بمعاهدة ١٩٣٠ في حالة إندلاع الحرب العالمية الثانية[١٣٥].

الهوامش

(١) كانت القوات البريطانية قد احتلت الموصل مستندة الى المادة (٧) من هدنة مدروس التي تؤكد بان «للحلفاء الحق أن يحتلوا اي نقاط ذات أهمية عسكرية في حالة حدوث مايهدد سلامة الحلفاء». انظر: احمد رفيق البرقاوي ، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢- ١٩٣٢. دار الرشيد للنشر، (بغداد ، ١٩٨٠) ، ص ٩٥.

(٢) كيرترود بيل (المس) ، فصول من تاريخ العراق القريب . ترجمة جعفر خياط ، ط ٢ ، مطبعة دار الكتب (بيروت ، ١٩٧١) ، ص ١٥٤.

(٣) نوري أحمد عبدالقادر: الموصل والحركة القومية العربية ١٩٢٠ - ١٩٤١ . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ١٩٨٨. ص ص ٣٩ ، ٦٤- ٦٧.

(٤) ابراهيم خليل احمد ، محافظة نينوى في العصور الحديثة ، في عامر سليمان وآخرون ، محافظة نينوى بين الماضي والحاضر. دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل ، ١٩٨٦) ، ص ص ١١٥- ١١٦.

(٥) عبدالله الفياض : الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ . مطبعة الأرشاد (بغداد ، ١٩٦٣) ، ص ١٢٥.

(٦) عبد ألامير هادي العكام : الحركة الوطنية في العراق ١٩٢٠- ١٩٣٣ . مطبعة دار الآداب ، (النجف ، ١٩٧٥) ، ص ص ٣٥- ٣٦.

(٧) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية . ج ٣ ، مطبعة دار السلام (بغداد ، ١٩٢٥) ، ص ص ١١٣ ومابعدها.

(٨) الفياض ، المصدر السابق ، ص ١٧٦.

(٩) العمري ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٥٠.

(١٠) الفياض ، المصدر السابق ، ص ١٧٩ ، العكام ، المصدر السابق ، ص ٣٤.

(١١) للتفاصيل ينظر: عبدالقادر، المصدر السابق ، ص ص ٨٨ ومابعدها.

(١٢) العكام ، المصدر السابق ، ص ص ٤٦- ٥٢.

(١٣) خيري أمين العمري : حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث. منشورات مكتبة آفاق عربية للنشر والتوزيع ، (بغداد ، لا. ت.) ، ص ص ٨٣- ٨٨.

(١٤) عبدالقادر، المصدر السابق ، ص ص ٩٠- ٩٢.

(١٥) انظر كتابه : حكايات سياسية ... ، ص ٧٦.

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٨٨. العكام المصدر السابق ، ص ٦٣.

(١٧) عبدالقادر، المصدر السابق ، ص ص ٩١- ٩٢.

(١٨) العمري ، حكايات سياسية ... ، ص ص ٧٣- ٨٩ ؛ العكام ، المصدر السابق ، ص ص ٦٢- ٦٣.

(١٩) العكام ، المصدر السابق ، ص ٦٤.

(٢٠) فاروق صالح العمري : المعاهدات العراقية- البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢ - ١٩٤٨ . دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٧٧). ص ٤٢.

(٢١) عبدالقادر، المصدر السابق ، ص ١٠٣.

(٢٢) العمر، المصدر السابق ، ص ٦٤.

(٢٣) العكام ، المصدر السابق ، ص ص ٩٣- ٩٥.

(٢٤) عبدالقادر، المصدر السابق ، ص ١٠١.

(٢٥) العمر، المصدر السابق ، ص ٤٠.

(٢٦) العكام، المصدر السابق ، ص ص ١٣١- ١٣٤ ؛ عبدالقادر، المصدر السابق ، ص ص ١٠٤- ١٠٦.

(٢٧) العكام، المصدر السابق ، ص ص ١٣٩- ١٤٤ ؛ عبدالقادر، المصدر السابق ، ص ص ١٠٧- ١١١. كان التصديق على المعاهدة قد جرى في ١١ حزيران ١٩٢٤ وبفارق خمسة أصوات. كما كان احد شروطه : اعتبار المعاهدة واتفاقياتها لاغية في حالة عدم تمكن الحكومة البريطانية من المحافظة على حقوق العراق التامة في ولاية الموصل ، انظر: جاسم محمد حسن العدول(وآخرون): تاريخ الوطن العربي المعاصر. دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل ، ١٩٨٦) ، ص ٦٣.

(٢٨) زكي صالح : مقدمة في دراسة العراق المعاصر. مطبعة الرابطة (بغداد ، ١٩٥٣) ، ص ٧٣.

(٢٩) البرقاوي ، المصدر السابق ، ص ٩٥.

(٣٠) لطفي جعفر فرج : عبدالمحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر. ط ٢ ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٨٠) ، ص ٧٨.

(٣١) فاروق صالح العمر: الاحزاب السياسية في العراق ١٩٢١- ١٩٣٢ . مطبعة الارشاد ، (بغداد ، ١٩٧٨) ، ص ٤٦.

(٣٢) عبدالقادر، المصدر السابق ، ص ص ١٢٨- ١٣١.

(٣٣) العمر، الأحزاب السياسية ... ، ص ص ١٤٤- ١٤٥.

(٣٤) فاضل حسين: مشكلة الموصل. دراسة في الدبلوماسية العراقية- الانكليزية- التركية وفي الرأي العام. ط ٣ ، مطبعة اشبيلية ، (بغداد ، ١٩٧٧) ، ص ص ٢٢٦- ٢٢٧.

(٣٥) العمر، المصدر السابق ، ص ١٤٥ ؛ عبدالقادر، المصدر السابق ، ص ١٣٥.

(٣٦) فاضل حسين، المصدر السابق ص ص ٢٢٧- ٢٢٨ ؛ العمر، المصدر السابق ، ص ص ١٤٧- ١٤٨.

(٣٧) العكام ، المصدر السابق ، ص ٤٦٩.

(٣٨) المصدر نفسه ، ص ٤٧١ ؛ العمر، المصدر السابق ، ص ص ١٥٢- ١٥٣.

(٣٩) في ٥ حزيران ١٩٢٦ عقدت المعاهدة العراقية- البريطانية- التركية. وفيها اعترفت تركيا بان الموصل جزءاً لايتجزأ من العراق. اضافة الى اعتبار الحدود بين العراق وتركيا «نهائية ولازمة». كما تناولت المواد من (٦- ١٣) تنظيم علاقات حسن الجوار بين البلدين. فضلاً عن حصول تركيا على حصة تقدر بـ



(١٠٪) من عائدات نفط الموصل ولمدة خمس وعشرين سنة. انظر: صالح، المصدر السابق، ص ٧٤.

(٤٠) العكام، المصدر السابق، ص ٤٦٧.

(٤١) العمر، المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٤٢) كامل الجادرجي: من أوراق كامل الجادرجي. ط ١، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٧١)، ص ١٧١، فاضل حسين، المصدر السابق، ص ص ٣٠٢ ومابعدها. البرقاوي، المصدر السابق، ص ٩٥.

(٤٣) فرج، المصدر السابق، ص ص ١٩٧ ومابعدها.

(٤٤) عبدالقادر، المصدر السابق، ص ص ١١٤ - ١١٥.

(٤٥) العكام، المصدر السابق، ص ٤٧١.

(٤٦) العدّول (وآخرون)، المصدر السابق، ص ص ٦٧ - ٦٨.

(٤٧) للتفاصيل، ينظر: العكام، المصدر السابق، ص ص ٢٦٧ - ٢٨١، ٢٩٧.

(٤٨) عبدالرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية، ج ٢، ط ٤، مطبعة دار الكتب، (بيروت، ١٩٧٤)، ص ص ٣٣١ - ٣٣٢.

(٤٩) العكام، المصدر السابق، ص ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

(٥٠) عبدالقادر، المصدر السابق، ص ص ١١٩ - ١٢١.

(٥١) وائل علي النحاس: تاريخ الصحافة الموصلية ١٩٢٦ - ١٩٥٨. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الاداب، جامعة الموصل ١٩٨٨، ص ص ٢٧٤ - ٢٧٦.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ص ٢٧٨ - ٢٨٠.

(٥٣) العدول (وآخرون)، المصدر السابق، ص ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٥٤) سامي عبد الحافظ القيسي: ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢ - ١٩٣٦. ج ٢، مطبعة العاني (بغداد، ١٩٧٥). ص ص ١٥٩ - ١٦٠. ينظر كذلك: محمود الدرّة: الحرب العراقية - البريطانية. ط ٢، دار المعرفة، (القاهرة، ١٩٨٢)، ص ٤٣. ومن الجدير بالذكر أن هذه المطامع السياسية لدى الآثوريين المتمردين قد ظهرت بعد أن عقد زعماؤهم في (سر عمادية) أواخر حزيران ١٩٣٢ أجتماعاً خاصاً وضعوا فيه مايسمى بـ «الميثاق الوطني الآثوري». للتفاصيل ينظر: الحسني، المصدر السابق، ج ٣، ص ص ١٩٠ - ١٩١.

(٥٥) ستيفن همسلي لونكريك: العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠. تأريخ سياسي، أجتماعي، وأقتصادي. ج ٢، ط ١ ترجمة سليم طه التكريتي. منشورات الفجر (بغداد، ١٩٨٨). ص ٣٨٠.

(٥٦) كان الملك فيصل قد غادر العراق منذ ٥ حزيران ١٩٣٣ في زيارة لبريطانيا. ثم قفل راجعاً على وجه السرعة الى بغداد في ٢ آب ليطلع بنفسه على سير أنهاء التمرد. ثم غادر بغداد ثانية بعد أنتهاء التمرد في الأول من أيلول الى سويسرا بقصد الأستجمام والمعالجة. وبعد ستة أيام توفي فجأة هناك. وقد أثار موته المفاجئ الشكوك والريبة في حينه. ينظر: القيسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ص ١٥٨، ١٦١ - ١٦٢.

(٥٧) لطفي جعفر فرج: الملك غازي ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي ١٩٣٣ - ١٩٣٩. منشورات مكتبة اليقظة العربية، (بغداد، ١٩٨٧). ص ٦٩.

(٥٨) بلغت هذه المشاعر الشعبية قوتها كذلك عند عودته الى بغداد في ٣١ آب. فقد قدرت الجموع التي خرجت لأستقباله والهتاف له في مطار بغداد بخمسين الف نسمة. ينظر: المصدر السابق، ص ٥٣ - ٥٤.

(٥٩) المصدر السابق، ص ص ٥٢، ٥٣ - ٥٤.

(٦٠) القيسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦١.

(٦١) كان حزب الأخاء قد أفتتح له فرعاً في الموصل بصورة رسمية في ٢٣ مايس ١٩٣٣ وغدا ضياء يونس (المحامي) معتمداً له. في حين حل محله حمدي جلميران عام ١٩٣٤. للتفاصيل ينظر: عبد الفتاح علي يحيى: الحياة الحزبية في الموصل ١٩٢٦ - ١٩٥٨. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٩٠، ص ص ٩١ - ٩٥.

(٦٢) النحاس، المصدر السابق، ص ص ٨٦ - ٨٨.

(٦٣) جريدة البلاغ، العدد ٢٦٧، ٢٩ آب ١٩٣٣.

(٦٤) المصدر نفسه، العدد ٣٠٣، ٩ كانون الثاني ١٩٣٤.

(٦٥) القيسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ص ١٦٢ - ١٦٦.

(٦٦) AL – Haffou, Ghanim M.: L'opposition politique Irakienne et Les Mouvements des Tribus au Moyen – Euphrate (1934 – 1936). Maitrise en H.cont. de L'Irak. Universite de poitiers (France 1979). pp. 19 – 34.

(٦٧) Ibid., pp. 38 – 54.

ينظر كذلك الحسني، المصدر السابق، ج ٤، ص ص ٦١ ومابعدها. القيسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ص ١٧٥ - ١٧٩.

(•) يعود أصول هذه الكتلة الى (الميثاق القومي العربي) الذي وضع أسسه في عام ١٩٢٧ بعض الضباط القوميين. ثم أزداد نشاطها خلال حكومة ياسين الهاشمي الثانية. ثم غدت بعدئذٍ الوجه العلني للحزب القومي العربي السري وكان من أبرز قادتها صلاح الدين الصباغ ومحمد فهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب.

(٦٨) الدرّة، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٦٩) دار الكتب والوثائق (بغداد). ملف وزارة الدفاع/ف ١٧. الأستخبارات والتقارير العسكرية. التقرير المرقم س/٧٤ والمؤرخ في ٣ نيسان ١٩٣٥. وثيقة رقم (٤٤).

(٧٠) صلاح الدين الصباغ: رواد العروبة في العراق (مذكرات). ط ٢، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٣). ص ص ٨٤ - ٨٥.

(٧١) عبد الرزاق الحسني: الأسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحررية. ط ١، (بيروت، ١٩٧٦). ص ص ١٥ - ١٦.

(٧٢) الحسني، الوزارات...، ج ٤، ص ٨٣.

(٧٣) القيسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١٧.

(٧٤) Public Record office (P.R.O), Foreign office (F.o) London E 2296193. No. 122. kerr to John Simon, Baghdad, March 28, 1936



(٧٥) الحسني، المصدر السابق، ج ٤، ص ص ٨٦–٨٧.

(٧٦) P.R.O.(F.O.) (London) E 2455/93.No. 126. Kerr to John Simon Baghdad, April 2, 1935.

(٧٧) ذكرت (جريدة الطريق) أن عدد الموقعين على «الميثاق» المذكور كان ست وتسعون رئيساً. العدد ٦١٤، ٩ نيسان ١٩٣٥.

(٧٨) الحسني، المصدر السابق، ج ٤، ص٩٢. جريدة البلاغ، العدد ٣٨٠٣، ١٢ نيسان ١٩٣٥.

(٧٩) دار الكتب والوثائق (بغداد). ملف وزارة الداخلية (١١١٧–وع). وثيقة رقم (١). جريدة البلاغ، العدد ٣٨٠٢، ١١ نيسان ١٩٣٥.

(٨٠) القيسي، المصدر السابق، ج ٢، ص١٩٨.

(٨١) AL – Haffou, G.M.: op. cit., p. 77.

(٨٢) وهذه الحركات هي: حركة الرميثة الأولى (٧ مايس ١٩٣٥) وحركة سوق الشيوخ (٩ مايس ١٩٣٥) وحركة عشائر المُدَيْنة في البصرة (آب ١٩٣٥) وحركة عشائر بني ركاب في لواء المنتفك (شباط ١٩٣٦) وحركة الرميثة الثانية (نيسان ١٩٣٦) وحركة عشائر الأكرع في عفك (حزيران ١٩٣٦). وقد تمكنت حكومة الهاشمي من قمعها وأخمادها بشدة بعد أن أناطت الى اللواء بكر صدقي قيادة العمليات العسكرية في هذه المناطق. للتفاصيل ينظر: الحسني، المصدر السابق، ج ٤، ص ص ٨٨ ومابعدها؛ القيسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ص ٢١٧–٢٣٦.

(٨٣) كانت حكومة المدفعي الثانية قد شرّعت هذا القانون في شباط ١٩٣٤. فضلاً عن ذلك أقرت حكومة الهاشمي لهذا الغرض كذلك (نظام الفتوة) في ٧ تشرين الثاني ١٩٣٥ محاولة منها لتشجيع روح النظام والعسكرية بين طلبة المدارس المتوسطة والثانوية. ينظر: القيسي، المصدر السابق، ج٢، ص ص ١٩٥، ٢٤٤، ٢٥٠.

(٨٤) المصدر نفسه، ج٢، ص ص ٢٤٤– ٢٤٥. كان من بين الحركات العشائرية التي أعلنت رفضها لهذا القانون في الفرات الاوسط هي: حركة سوق الشيوخ والحركة التي قامت في المدَيْنة (ناحية بقضاء القرنة التابع للواء البصرة) وحركة الرميثة الثانية وحركة عشائر الاكرع. (ينظر الهامش المرقم ٨٢ من هذا البحث).

(٨٥) محمد البريفكاني: حقائق تأريخية عن القضية البارزانية. شركة الطبع والنشر الاهلية المحدودة، (بغداد، ١٩٥٣)، ص ١٥.

(٨٦) الحسني، المصدر السابق، ج٤، ص ص ١٤٦–١٤٧.

(٨٧) البريفكاني، المصدر السابق، ص١٦. ومن الجدير بالذكر ان حركة التمرد في هذه المناطق قد اندلعت مرة اخرىٰ وبشكل واسع في آب ١٩٤٥ بقيادة (الملا مصطفىٰ البارزاني). وتمكنت حكومة حمدي الپاچه‌جي من أخمادها في منتصف تشرين الاول ١٩٤٥، بعد ان غادر الملا مصطفىٰ وأخوه احمد العراق الى ايران ثم الى الاتحاد السوفيتي، ولم يتمكن الملا مصطفىٰ من العودة الى العراق الاّ بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. للتفاصيل ينظر: الحسني، المصدر السابق، ج٦، ص ص ٣١٥–٣٣٢.

(٨٨) الحسني، المصدر السابق، ج٤، ص ص ١٤٥–١٤٦.

(٨٩) عبدالرزاق الحسني: تأريخ العراق الحديث، ج٣، ط٧، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، ١٩٨٩). ص١٤٤.

(٩٠) جاء في احد التقارير البريطانية أن هؤلاء إقترحوا على المتصرف تشكيل (وحدة عسكرية يزيدية) تحت قيادة ضباط مسيحيين ليكون ذلك بمثابة الحل الممكن للمسألة. الاّ ان المتصرف، على ما يبدو، لم يقتنع بهذا الطلب. ينظر: نجدت فتحي صفوت: العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦. ط١، منشورات مركز دراسات الخليج العربي (البصرة، ١٩٨٣). ص ١٢٥.

(٩١) جاء في أحد المصادر ان إسمه (داودي داود). كما وصف بأنه «رجل ذو ماضٍ عاصف». المصدر السابق، ص١٢٥.

(٩٢) القيسي، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٤٨.

(٩٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ص ٢٤٨–٢٤٩.

(٩٤) بلغ عدد المحكومين بالأعدام (١١) نفذ الحكم في (٩) منهم وخفف الحكم عن إثنين منهم الى السجن المؤبد. وحكم على (٤٩) بالنفي. كما حكم على (٣٢٦) منهم بالسجن لفترات مختلفة وعلىٰ (٣) منهم بالسجن الاصلاحي. كما تم القبض على (٧) آخرين بعد إنتهاء الأحكام العرفية. ينظر: الحسني، الوزارات.. ج٤، ص ص ١٥١–١٥٥. صفوت، المصدر السابق، ص١٢٥.

(٩٥) الحسني، المصدر السابق، ج٤، ص ص ١٥٢–١٥٣.

(٩٦) وردت هذه المعلومة في تقرير لآمرية منطقة الموصل الى وزارة الدفاع العراقية. ينظر: الحسني، المصدر السابق، ج٤، ص ص ١٥١، ١٥٥–١٥٦.

(٩٧) المصدر نفسه، ج٤، ص١٥١.

(٩٨) كانت السفارة البريطانية قد احتجت لدى الحكومة العراقية اثر اعتقال عشرين مسيحياً وجهت لهم تهمة التواطؤ في هذا التمرد. وقد اطلق سراحهم بعد أيام قليلة من الاعتقال. ينظر: صفوت، المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٩٩) نزولاً تحت رغبة السفير قام رشيد عالي الكيلاني بصفة كونه (وكيل وزير العدلية) بتدقيق هذه الاحكام بنفسه فلم يجد ما يستلزم ابدال عقوبة الاعدام بغيرها، ولاسيما بوجود اعترافات المحكومين فنفذ الحكم حالاً. ينظر: الحسني، المصدر السابق، ج٤، ص١٥٤.

(١٠٠) صفوت، المصدر السابق، ص١٢٥. ويظهر أن السفير البريطاني لم يكتف بذلك. فقد طلب من وزارة الخارجية العراقية في ٢ كانون الاول ١٩٣٥ تصحيح ما وصفه بـ «الانطباعات الخاطئة» التي قد تولدها في جنيف التقارير المتعلقة بالعصيان اليزيدي. الاّ ان الوزارة اكدت له ان اعدام المحامي عبدالله فائق وعبدالكريم قروكله قد تمّ بعد اعترافهما اعترافاً صحيحاً بما أدينا به. كما أنها ذكرا أسماء لفيف من المشتركين في التحريض، لكن الحكومة اكتفت باعدامها دون غيرهم. حول هذا الموضوع يراجع: الحسني، المصدر السابق، ج٤، ص١٥٦.

(١٠١) فرج، المصدر السابق، ص ١٠٧. مع هذا فقد استصدرت إدارة ملكية في ٧ أيلول باعفاء (٢٩) سجيناً مما تبقىٰ من مدة



محكومياتهم. كما تمَّ اصدار العفو عن (١٢٥) آخرين في ٦ تشرين الاول ١٩٣٦. وبعد تأليف حكمت سليمان لحكومته في ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ اطلق سراح (١٩٧) سجيناً وهم كل ماتبقىٰ من المحكومين. ينظر: الحسني، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٦.

(١٠٢) القيسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٧٦.

(١٠٣) من بين المصادر المتعدّدة التي عالجت ظهور هذه الجماعة ومبادئها صفاء عبد الوهاب المبارك: إنقلاب سنة ١٩٣٦ في العراق «ممهداته واحداثه ونتائجه». رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الاداب، جامعة بغداد، أيلول ١٩٧٣. فؤاد حسين الوكيل: جماعة الاهالي في العراق (١٩٣٢- ١٩٣٧). دار الحرية للطباعة والنشر (بغداد، ١٩٧٩). الحسني، المصدر السابق، ج ٤، ص ص ٢١١ ومابعدها.

(١٠٤) الحسني، المصدر السابق، ج ٤، ص ص ٢٤١- ٢٤٢؛ عبد القادر، المصدر السابق، ص ١٩٢.

(١٠٥) جريدة فتى العراق (الموصل)، العدد ٢٧٧، ١٧ تشرين الثاني ١٩٣٦.

(١٠٦) حازم المفتي، العراق بين عهدين (ياسين الهاشمي وبكر صدقي) مطبعة سومر (بغداد، ١٩٩٠)، ص ١٧٠؛ عبد القادر، المصدر السابق، ص ١٩٤.

(١٠٧) للتفاصيل يراجع: عبد الرزاق عبد الدراجي: جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ١٩٠٨- ١٩٤٥. دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٧٨). ص ص ٤٥٠ ومابعدها؛ الوكيل، المصدر السابق، ص ص ٤٣٤- ٤٣٥؛ الحسني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٤٣.

(١٠٨) المفتي، المصدر السابق، ص ١٧٠؛ الحسني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٤٥.

(١٠٩) الحسني، المصدر السابق، ج ٤، ص ص ٣٤٤- ٣٤٦. عبد القادر، المصدر السابق، ص ص ١٩٨- ١٩٩؛ المفتي، المصدر السابق، ص ص ١٦٨- ١٧٠.

(١١٠) المبارك، المصدر السابق، ص ص ٢٩٦ - ٢٩٧؛ المفتي، المصدر السابق، ص ١٧٥.

(١١١) المبارك، المصدر السابق، ص ص ٢٩٧- ٢٩٨؛ عبد القادر، المصدر السابق، ص ص ٢٠١- ٢٠٤.

(١١٢) للتفاصيل حول هذا الموضوع يلاحظ: الحسني، المصدر السابق، ج ٤، ص ص ٣٤٨- ٣٤٩؛ المبارك، المصدر السابق، ص ٢٩٨؛ عبد القادر، المصدر السابق، ص ص ٢٠٢- ٢٠٤.

(١١٣) المبارك، المصدر السابق، ص ص ٢٩٨- ٣٠٠.

(١١٤) ينظر نص هذين البيانين، الحسني، المصدر السابق، ج ٤، ص ص ٢٤٨- ٣٥٠.

(١١٥) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٥٢.

(١١٦) عبد القادر، المصدر السابق، ص ٢٠٦.

(١١٧) المصدر نفسه، ص ص ٢٠٦- ٢٠٧.

(١١٨) المبارك، المصدر السابق، ص ص ٣٠١- ٣٠٢.

(١١٩) النحاس، المصدر السابق، ص ٢٨٥.

(١٢٠) المصدر نفسه، ص ص ٢٨٤- ٢٨٧.

(١٢١) AL- Haffou, Ghanim: L'Irak devant La deuxieme guerre mondiale. Doctorat de 3eme Cycle. Universite de Poitiers (France, 1981). P. 21.

(١٢٢) الحسني، المصدر السابق، ج ٥، ص ٨٣.

(١٢٣) AL- Haffou, G. M.: op. cit., PP. 66- 67.

(١٢٤) أحمد فوزي: أشهر الاغتيالات السياسية في العراق. مطبعة الديواني، (بغداد، ١٩٨٧) ص ١٧٨. عبد القادر، المصدر السابق، ص ص ٢١٢- ٢١٥. الحسني، الاسرار الخفية...، ص ٣١.

(١٢٥) النحاس، المصدر السابق، ص ص ٢٨٨- ٢٩٠.

(١٢٦) المصدر نفسه، ص ٢٩١؛ عبد القادر، المصدر السابق، ص ٢١٦.

(١٢٧) P. R. O. (F. O.) (London). 371/23200. E 2523. British Embassy (Baghdad) to prime minister. 5 April, 1939.

(١٢٨) P. R. O. (F. O.) (London). 371/ 23200. E 2507. From Sir M. Peterson to F. O. Baghdad, 4 April, 1939.

(١٢٩) P. R. O. (F. O.) (London). 23202. E 5412. Sir B. Newton to vicount Halifax. Baghdad, 26 July, 1939.

(١٣٠) الحسني، الوزارات...، ج ٥، ص ص ٨٨. عبد القادر، المصدر السابق، ص ص ٢١٩- ٢٢٠. ومن الجدير بالذكر أن هذا المجلس قد أدان بهذه القضية كلاً من هشام عبدالله الدباغ (تلميذ في المدرسة الثانوية) ومحمد مضحي (حجّار) وجراح فاضل الشمري (عاملا في السكك الحديد) وحسن علي الشمري (عامل في السكك الحديد) وسليمان حسن (حمّال) وحامد مصطفىٰ (سائق عربة). وقد حكم على الاول والثاني بالاعدام ولصغر سنها تم إبدال الحكم بالحبس الشديد لمدة خمس عشرة سنة. في حين حكم على الثالث والرابع بالاشغال الشاقة لمدة عشر سنوات. أما الاخيران فقد حكم عليها بالأشغال لمدة ثماني سنوات. وقد بلغ من تمَّ حبسهم مايزيد على (٣٥) شخصاً بمدد مختلفة. كما تمَّ الافراج عن البعض الآخر من المتهمين. للتفاصيل ينظر: فوزي، المصدر السابق، ص ص ١٨١- ١٨٥.

(١٣١) الحسني، الاسرار الخفية...، ص ٣١.

(١٣٢) P. R. O. (F. O.) (London). 371/23202. E 5412. Sir B. Newton to viscount Halifax. Baghdad, 26 July, 1939.

(١٣٣) دار الكتب والوثائق (بغداد). مجلس الوزراء (قرارات)، ج/ ٢/ ١١، وثيقة رقم ٥.

(١٣٤) دار الكتب والوثائق (بغداد). ملفات البلاط الملكي. و/ ١٥. وثيقة رقم ٧.

(١٣٥) رجاء حسين الخطاب؛ تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي من ١٩٢١- ١٩٤١. دار الحرية للطباعة (بغداد)، ١٩٧٩)، ص ص ٢١٤- ٢١٥.



تطور الحركة الوطنية في الموصل

(١٣٦٠ - ١٣٧٧هـ / ١٩٤١ - ١٩٥٨م)

د. غانم محمد الحفو

مقدمة :

أظهرت المدة بين تولي الوصي عبدالاله مهام الوصاية لعرش العراق في ٦ نيسان ١٩٣٩، واندلاع الحرب العالمية الثانية في الاول من ايلول ١٩٣٩، نوعاً من الهدوء السياسي النسبي. لاسيما وان الوضع الداخلي في العراق وقتئذٍ كان يتسم بالعداء لبريطانيا. وقد كان (التيار الوطني القومي) بشقيه المدني والعسكري، والنشاط الدعائي الألماني، قد تصاعدا بشكل واضح على الرغم من محاولات بريطانيا وحكومة نوري السعيد للحد من نشاطهما.

في اواخر نيسان ١٩٣٩ أجرى نوري السعيد تعديلاً على حكومته. حيث احتفظ لنفسه بوزارة الداخلية فضلاً عن رئاسته للحكومة وعهد بوزارة الخارجية الى علي جودت الايوبي. وفي ٥ حزيران ١٩٣٩ أقدم نوري على اجراء انتخابات جديدة للبرلمان ضمن فيها الأغلبية لصالح حكومته.[١] وفي ١٣ حزيران افتتح الوصي عبدالأله البرلمان الجديد، والقى فيه خطاباً حدد بموجبه السياسة العامة للبلاد. وفي مجال السياسة الخارجية، أوضح ان السلم في «الشرق الاوسط» امام الظروف الدولية المتوترة يعتمد على صلات الصداقة والتعاون مابين الدول المرتبطة بـ (ميثاق سعد آباد)[٢]، واهتمام العراق وعنايته بالقضايا التي تهم الاقطار العربية، ثم الاهتمام بروابط التحالف مع بريطانيا[٣].

ازاء تدهور الوضع الدولي في اوربا. كانت بريطانيا تبذل جلّ جهدها بأن يلتزم العراق اتجاهها كلياً ببنود معاهدة ١٩٣٠ نصاً وروحاً في حالة قيام حرب عالمية شاملة[٤]. وخلال انعقاد مجلس الوزراء في ٢٥ آب ١٩٣٩ عبّر نوري السعيد عن رغبته علانية في دخول العراق الحرب الى جانب بريطانيا في حالة اعلان الاخيرة الحرب على المانيا. وقد أيّده بذلك علي جودت الايوبي (وزير الخارجية). في حين عارضه بقية الوزراء ومنهم طه الهاشمي (وزير الدفاع). على اعتبار ان معاهدة ١٩٣٠ لاتلزم العراق باعلان الحرب[٥].

في الاول من ايلول ١٩٣٩ اجتاحت القوات الألمانية پولونيا. وفي ٣ أيلول أعلنت كل من فرنسا وبريطانيا انها في حالة حرب مع المانيا. وكان ذلك قبل اتساع دائرة الحرب لتشمل معسكرين متقابلين هما: (دول المحور) و(دول الحلفاء)[٦]. وفي اليوم نفسه القى نوري السعيد خطاباً حدّد من خلاله التزام العراق بمعاهدة ١٩٣٠ مع بريطانيا لاسيما (البند الرابع) المتضمن تسهيل المواصلات البريطانية داخل العراق. كما استبعد نوري مسألة اشتراك العراق بالحرب الى جانب بريطانيا[٧]. الاّ ان ذلك كان مناورة من نوري السعيد. ففي ٥ أيلول قطعت حكومته العلاقات الدبلوماسية مع المانيا. وايده بذلك الوصي بشكل ضمني. وسرعان ماكشف نوري عن نيته في الوقوف الى جانب بريطانيا الى آخر الشوط. ثم أعاد نوري ذلك صراحة خلال انعقاد (مجلس الدفاع الاعلى) في ٩ تشرين الاول ١٩٣٩، حينما طالب بإدخال العراق في الحرب الى جانب بريطانيا. مما أثار المعارضة الوطنية الشديدة ضده[٨].

وهكذا، احدثت الحرب وتطوراتها منذ البدء تقريباً اتجاهات متعددة في المواقف السياسية



ووجهات النظر داخل العراق على الصعيدين العسكري والسياسي. لقد مثلت المدّة بين اعلان الحرب واخفاق ثورة نيسان – مايس ١٩٤١ مايشبه (المرحلة الاولى من موقف العراق ازاء الحرب) لاسيما وان تطورات الحرب قد سمحت بشكل متدرج لـ (التيار الوطني القومي)[٩]، بالدخول بمجابهة فعلية مع (التيار المحافظ) الذي تزعمه الوصي ونوري السعيد، ومن ثم تمكنه من الوصول الى السلطة ممثلاً بحكومة رشيد عالي الكيلاني الثالثة (اذار ١٩٤٠ – كانون الثاني ١٩٤١). الا ان بريطانيا تمكنت من اسقاطها بالتعاون مع الوصي ونوري، ولاسيما بعد أن قامت هذه الحكومة باجراء اتصالات سرية وشبه رسمية مع دول المحور، بغية كسب دعمها لقضايا التحرر العربي[١٠].

لم تكن الحكومة التي شكلها طه الهاشمي (شباط – آذار ١٩٤١) الا فترة هدوء. بل هدنة مؤقتة تسبق المجابهة الفعلية بين (التيار الوطني القومي) و (التيار المحافظ) المدعوم من بريطانيا. وبعد أن فشل الهاشمي في التوصّل الى تحقيق انسجام وتوازن بين هذين التيارين، ومحاولة بريطانيا اخضاع الهاشمي وحكومته بمطالبتها له ازاحة نفوذ القادة العسكريين القوميين في الجيش وقطع العلاقات الدبلوماسية مع ايطاليا، تحرك التيار الوطني القومي بشقيه المدني والعسكري، وتمكن من إزاحة هذه الحكومة، ومن ثم تولي السلطة واعلان الثورة التحررية ضد الوجود البريطاني ومرتكزاته في العراق والاقطار العربية الاخرى. فكانت بهذا ثورة وطنية – قومية[١١].

موقف الموصل من (ثورة نيسان – مايس ١٩٤١) :

في مطلع نيسان ١٩٤١ تمكنت العناصر الوطنية والقومية، سواء العسكرية منها (العقداء الاربعة: صلاح الدين الصباغ ومحمد فهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب) او المدنية (رشيد



محمد يونس السبعاوي

عالي الكيلاني ومحمد يونس السبعاوي ومفتي القدس محمد أمين الحسيني) الذين كانوا يمثلون بنشاطهم هذا الواجهة العلنية لـ (الحزب القومي العربي السري) في العراق[١٢]، من اسقاط حكومة طه الهاشمي وتشكيل (حكومة الدفاع الوطني العسكرية المؤقتة). وفي ١٠ نيسان أعلن مجلس الامة وصاية الشريف شرف بدلاً من عبدالاله الذي غادر البلاد ووضع نفسه تحت الحماية البريطانية. وفي ١٢ نيسان شكل الكيلاني حكومته الرابعة.

وطيلة شهر نيسان واجهت هذه الحكومة عنت وضغوط الانكليز الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية، لاسيما بعد الاتصالات السرية التي اجرتها مع دول المحور بغية تحرير العراق من الهيمنة البريطانية وتحقيق الاستقلال لعموم الاقطار العربية. وفي ٢ مايس ١٩٤١ بدأت المواجهة العسكرية بين العراق وبريطانيا. وقد أظهر العراقيون خلالها موقفاً يشهد له بالكفاح من أجل الاستقلال برغم امكاناتهم المحدودة. وساندهم في ذلك بعض المنظمات والقوى الشعبية في عدد من الاقطار العربية. وفي مطلع حزيران ١٩٤١ تمكن الانكليز من اجهاض الثورة واحتلال العراق للمرة الثانية. ثم شرعوا بالتعاون مع الوصي عبدالاله وحكومتي جميل المدفعي ونوري السعيد، بشن حملة شعواء ومنظمة على عناصر الحركة الوطنية والقومية في



العراق ثمّ اعدام البعض من أبرز قادة هذه الثورة[١٣].

كان للثورة وقعها المؤثر والفعّال في الموصل. بل إتسم موقف المواطنين في تأييدها بالحماسة والاندفاع. فقد انهالت برقيات التأييد لها من مختلف القطاعات التي تمثل جمهور المدينة وممثلي الجهات الرسمية فيها وعشائر الموصل وضواحيها. وكان لطلاب المدارس لاسيما (المدرسة الاهلية) دورهم البارز في دعوتهم للتدريب على السلاح والتطوع للقتال. في حين تمّ توزيع السلاح على (فتوة المدارس) ونظم اكثر من مائتي منهم مظاهرة نددت ببريطانيا وسياستها الاستعمارية. كما أصدر علماء الموصل (الفتوى) التي دعت أهالي المدينة الى رفع (راية الجهاد المقدس). الى جانب إشادة الشعراء والادباء بقصائدهم الوطنية اللاّهبة بدعم الثورة. فضلاً عن تشكيل عدة لجان في المدينة غرضها جمع التبرعات، حيث اشترك فيها أشخاص يمثلون قطاعات وطبقات مختلفة من جماهير الموصل[١٤].

وفي الوقت نفسه، قام (الحزب القومي العربي السري) ووواجهاته في الموصل بدور فاعل في اثارة الشعور القومي لتايبد الثورة والمطالبة بالاشتراك في القتال الى جانب الجيش. فقد دعا (حازم المفتي) جماهير المدينة الى الاجتماع في الجامع النوري



حازم المفتي

(الكبير) لتوضيح مرامي السياسة البريطانية الاستعمارية في العراق. وبالفعل لبّت جموع من المواطنين الدعوة، وخلالها القى المفتي مع بعض من زملائه الخطب الوطنية الحماسية التي الهبت مشاعر الجمهور. كما نظمت عناصر هذا الحزب مظاهرة كبرى طافت شوارع المدينة وهي تحمل الاعلام وترفع الشعارات الوطنية والقومية. فضلاً عن تدبيج المقالات الصحفية المعبرة عن اهداف الثورة. ثم شكلت هذه العناصر القومية وفداً كبيراً ضمّ ممثلي المؤسسات والاصناف الحرفية واتجه الى بغداد تأييداً للثورة[١٥].

ولاهمية موقع الموصل من الناحية الجغرافية والاستراتيجية أضحت المدينة قاعدة عسكرية مهمة لدعم مجهود الجيش الحربي. لاسيما بعد أن غدت جسراً للمساعدات العسكرية الالمانية لدعم الثورة والتي بدأت تتقاطر من سوريا الى الموصل أثر الاتفاق بين الحكومة الالمانية وحكومة ڤيشي الفرنسية. في ١٠ مايس ١٩٤١ وصل فريتز غروبا (الوزير المفوض الألماني) الى الموصل قاصداً بغداد. ومنذ ١١ مايس كانت أولى التعزيزات الجوية الألمانية قد وصلت الموصل وتضمنت ثلاثة طائرات قاذفة بقيادة الميجر (نقيب) فون بلومبرغ. وفي ١٣ مايس وصل مطار الموصل أربع طائرات المانية وايطالية تحمل عدداً من الفنيين[١٦]. وفي اليوم نفسه، استقبلت الموصل عن طريق (تل كوجك) قطارين يحملان شحنة من السلاح تحت اشراف المبعوث الألماني (رودولف ران)[١٧].

وفي ١٤ مايس وقع غروبا وقاسم مقصود (وكيل متصرف الموصل) على اتفاقية أمدها ثلاث سنوات، وتتضمن تجهيز العراق بصفقة سلاح بقيمة (٣,٣) مليون مارك، مقابل ان يقدم العراق لألمانيا منتوجات عراقية وبدون فائدة مالية. وخلال وجود (ران) في الموصل طلب من الحكومة العراقية إعادة ضخ النفط العراقي الى ميناء طرابلس بهدف

تأمين الوقود للوحدات العسكرية الألمانية على نحو خاص. وبعد عودته الى دمشق، غادر الموصل باتجاه سوريا قطار محمّل بالوقود والمواد الغذائية [١٨].

وبذلك غدت الموصل- وكذلك كركوك- قاعدة لتجمع الطائرات والخبراء والفنيين الألمان والايطاليين. كما أصبحت نقطة انطلاق للطائرت الألمانية للقتال الى جانب القوات العراقية، وفي ١٦ مايس ويومي ٢٠ و ٢١ منه شاركت بقصف المواقع الانكليزية في الحبانية وفي القتال الجوي مع الطائرات البريطانية. الاّ انه في الاسبوع الاخير من القتال فقدت هذه الطائرات فاعليتها لاسباب لامجال لذكرها [١٩]. ومن هنا كانت الموصل من اكثر المدن العراقية الاخرى خطورة على النشاط البريطاني. فضلاً عن تأييد سكانها المنقطع النظير للثورة. لذا سعى الانكليز لصب جام غضبهم وحقدهم على المدينة. وقد تمثل ذلك بهجوم الطائرات البريطانية على مطار المدينة. ثم إلقاء قنابلها في احدى الغارات على منطقة (رأس الجادّة) الآهلة بالسكان. مما ادى الى مقتل حوالي (٣٥) شخصاً وجرح العشرات من المواطنين الآمنين [٢٠]. فكانت مجزرة مروعة أثارت في حينهاالاستنكار والاستياء الشديدين. بل عدّ عمل بريطانيا هذا من قبيل الأعمال الوحشية والاستهتار بالقوانين الأنسانية [٢١].

كان قادة الثورة قد فكروا بتحويل المنطقة الشمالية والموصل على نحو خاص قاعدة لمواصلة الكفاح ضد الانكليز في حالة تعرض الثورة للمخاطر. الاّ أن الظروف حالت دون تنفيذ هذه الفكرة. وبعد تعرض الثورة للاخفاق عانت الموصل من تشدد وعقاب السلطات الحكومية. فضلاً عن مضاعفة السلطات البريطانية المحتلة من وجود قواتها العسكرية في المدينة، وفرضها طوقاً من الحصار الاقتصادي عليها. كما طالت حملة الاعتقالات الواسعة العناصر الوطنية والقومية. فقد تم اعتقال بعض من مسؤولي (المدرسة الاهلية) وابعدوا الى البصرة. كما ألقت هذه السلطات القبض على حازم المفتي وابراهيم وصفي رفيق المحامي (المدير المسؤول لجريدة فتى العراق) ومتّي سرسم (صاحب جريدة البلاغ) ونوئيل رسام (صاحب جريدة النضال). وشمل الاعتقال كذلك كلاً من عبد الحميد الدبوني وروفائيل بطي وعبدالله الشرفاني وغني صبغة الله المفتي وابراهيم الحمداني ومحمد عبدالقادر وآخرون غيرهم من العناصر ذاتها [٢٢].

وعلى الرغم من هذه القيود والاجراءات الصارمة. واصلت بعض العناصر الوطنية في المدينة تصديها للانكليز ففي ٤ حزيران ١٩٤١ ظهرت في شوارع الموصل مناشير اتخذت لها اسم (شباب الحدباء) تدعو من خلالها الأهالي الى مناهضة الحكومة ومواصلة الصمود والمقاومة ومقاتلة الانكليز. وعندما أحسّت الشرطة بها جمعتها على الفور. ولغرض تشويه سمعة العناصر الوطنية التي قامت بنشرها، ادّعت السلطات الحكومية ان ذلك من تدبير «الجماعات الموالية لدول المحور» [٢٣].

وفي واقع الأمر، واصل بعض أعضاء (الحزب القومي العربي السرّي) بعد اخفاق الثورة نشاطهم لمقاومة المحتلين البريطانيين. بل أقدم تنظيم الحزب في الموصل على تنفيذ عدد من عمليات الاستيلاء على مخازن السلاح. مواصلاً مساعيه كذلك في توزيع المناشير المناهضة للانكليز والحكومة [٢٤].

فقد أقدم هذا التنظيم المذكور في ٢٥ نيسان ١٩٤٢ بتوزيع المنشور المعنون بـ «الى الانكليز الطغاة» والموقع بأسم (جمعية اليد البيضاء) في شوارع الموصل. ومن خلاله وجهت العناصر الوطنية والقومية انذاراً شديد اللهجة الى الحكومة والانكليز. ومما جاء فيه: «اننا نقدم اليكم انذاراً، اذا قتلتم زعماء العرب وهم يونس السبعاوي



وجماعته.. يجب ان تعلموا بأن كل عربي سوف يبذل جهده في سبيل هؤلاء الابطال الذين سعوا في اعلاء كلمة العرب [وتخليصهم] من نير الاستعمار الغاشم...»[٢٥]. ثم وصف المنشور الذين ساعدوا الانكليز في القاء القبض على قادة الثورة بـ «الخونة». كما خاطب الانكليز قائلاً: «اذا قتل احداً منهم فسوف نقتل عشرة من اكبر شخصياتكم بدلاً منه... اذا كان عندكم عهود ومواثيق يجب عليكم ان تقتلوا الخونة الخارجين عن العروبة والاسلام، الذين باعوا ضمائرهم بثمن بخس..» بل أنذر المنشور الانكليز والحكومة بعزم العناصر الوطنية والقومية على مواصلة الكفاح بالقول: «ان العرب ودول المحور عامة والعراق خاصة سوف يبذلون النفس والنفيس في سبيل هؤلاء الابطال اذا قتلوا..». واختتم المنشور قوله مذكّراً الانكليز بقوة المشاعر الوطنية لدى العرب: «... لاتحسبونا أقواماً خاملة... لاننا عندنا شعور وروح وطنية نعرف كيف ندافع عن أبطالنا...»[٢٦]. وبالرغم من لهجة هذا المنشور المملوءة بالثقة والحماس فأن قمع الحكومة والانكليز للعناصر الوطنية والقومية لم يفت من عضدها، وان هي خمدت الى حين، لاسيما بعد فرض الرقابة القاسية على نشاطها.

فضلاً عن ذلك، فقد بقيت القيود الآمنية الشديدة على الموصل طيلة سنوات الحرب. مقابل قيام السلطات الحكومية بتعبئة جهودها من أجل تشجيع الدعاية لصالح بريطانيا على نحو خاص ودول الحلفاء بصورة عامة[٢٧].

أبعاد الحركة الوطنية في الموصل ١٩٤٦–١٩٥٨ :

ما أن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى ظهرت الدعوة واضحة في اوساط الحركة الوطنية، الى اطلاق الحريات الديمقراطية، واجازة الاحزاب السياسية، والغاء أو تعديل معاهدة ١٩٣٠، وانهاء الاحوال الاستثنائية التي تطلبتها الحرب، وتحسين الاحوال العامة في البلاد. بعد معاناة شديدة من الضائقة الاقتصادية وكبت الحريات وثقل وطأة الاحتلال البريطاني بعد فشل ثورة نيسان– مايس ١٩٤١. لاسيما وان الوعي السياسي كانت قد تصاعدت حدة انتشاره في العراق خلال هذه الحرب[٢٨].

وفي نيسان ١٩٤٦ تشكلت خمسة احزاب سياسية هي: الاستقلال والأحرار والوطني الديمقراطي والشعب والاتحاد الوطني. كما تأسست بعدها احزاب اخرى هي: حزب الاصلاح (تشرين الثاني ١٩٤٩) وحزب الاتحادالدستوري (تشرين الثاني ١٩٤٩) وحزب الجبهة الشعبية المتحدة (مايس ١٩٥١). هذا الى جانب قيام بعض الاحزاب والتنظيمات السرية ففضلاً عن تنظيمات الحزب الشيوعي العراقي وواجهاته، ظهرت في العراق اولى تنظيمات حزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٤٧، التي سرعان ماتنامت وقامت بدورها في تعبئة الجماهير والمساهمة الفعالة في الحركة الوطنية، لاسيما وانه قد اتخذ له في بداية التنظيم اسماء مختلفة مثل (الشباب العربي في العراق) و (الشباب العربي الجامعي) و (الاشتراكيون العرب)[٢٩]. كما ظهرت تنظيمات سياسية اخرى محدودة النشاط تعبر عن اتجاهات دينية منها حزب التحرير وحركة الأخوان المسلمين. لقد أسست هذه الاحزاب والتنظيمات السياسية فروعاً لها في عدد من المدن العراقية ومنها مدينة الموصل[٣٠].

نظرة في نشأة حزب البعث العربي الاشتراكي في الموصل :

تجمع العديد من المصادر على ان مدينة الموصل كانت قد تعرّفت الى بعض البعثيين الاوائل منذ احداث ثورة نيسان– مايس ١٩٤١ حينما احتشد



فيها المجاهدون العرب من اعضاء (حركة نصرة العراق) التي كان البعثيون الاوائل قد عملوا على تشكيلها وقتئذٍ بغية حث العناصر الوطنية والقومية على دعم هذه الثورة بمختلف الوسائل المتاحة [٣١].
ومنذ أواخر الاربعينات كان العديد من المثقفين في المدينة على اطلاع ودراية بأفكار حزب البعث العربي ولاسيما وأنه في عام ١٩٤٨ كان مجموعة من شباب حزب الاستقلال في الموصل قد اسسوا مكتبة في منطقة باب الجديد تعرف بـ (مكتبة الشباب العربي) التي اختصت ببيع وترويج الكتب القومية مثل كراس (أحاديث البعث العربي) للاستاذ ميشيل عفلق وكتاب (الوعي القومي) للاستاذ قسطنطين زريق وبعض مؤلفات المفكر العربي ساطع الحصري وغيرهم من الكتاب العرب القوميين [٣٢].

كما كانت بعض الصحف الموصلية قد دأبت بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٥٢، على نشر عدد من الاحاديث والمقالات لبعض قادة حزب البعث، ومنها (جريدة نصير الحق) و (فتى العرب). في حين كانت (جريدة النضال) لسان حال حزب الاستقلال فرع الموصل، تعد الجريدة العراقية الاولى وقتئذٍ في اقدامها على نشر وتوضيح افكار وأهداف وشعار حزب البعث وبشكل صريح [٣٣].

مع ذلك، كانت النواة التنظيمية الاولى لحزب البعث في الموصل قد تشكلت في بداية أمرها من الطلاب الذين كانوا يدرسون في معاهد وكليات دمشق وبغداد. فقد انتمى عادل محمد البكري للحزب سنة ١٩٥٠ عندما كان طالباً في كلية الطب بجامعة دمشق، في حين انتمى الى صفوف الحزب في بغداد واثناء دراستهم بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٤ كل من عبدالغفار الصائغ وعبدالله فاضل العمري وحكمت عبدالله البزاز وسعدالله فاضل الحسيني وادور نعيم قصيرة ومحمد سعيد الخياط (طالب في كلية الزراعة) ومحي الدين توفيق ابراهيم ومحمد شريف الخياط (طالب في دار المعلمين الابتدائية في بعقوبة) ومعينة نايف سلطان. وخلال العطلة الصيفية كان هؤلاء الطلبة ينشرون أفكار الحزب بين أبناء المدينة [٣٤]. وقد اتسم نشاط الرعيل الاول هذا من البعثيين في الموصل بالعفوية في نشر افكار الحزب وتعريف المواطنين باهدافه ومفاهيمه حيث استخدموا وسائل عديدة لهذا الغرض، منها استنساخ وقراءة ادبيات الحزب ونشرها بين الأقارب والاصدقاء، ثم نشر المقالات المبسطة في جريدة النضال الموصلية، فضلاً عن كتابة شعار الحزب على جدران بعض الدور وفي الاسواق وبعض الاحياء الشعبية [٣٥].

في مطلع عام ١٩٥٤ تبلورت فكرة ايجاد تنظيم للحزب في الموصل. وقد أُختير أدور نعيم قصيرة مسؤولاً لقيادة تنظيم بالمدينة. وقبيل نهاية العام الدراسي ١٩٥٣–١٩٥٤ تشكلت أول نواة تنظيمية للحزب في الموصل من: أدور نعيم قصيرة (طالب في كلية الطب) وعبدالغفار الصائغ وعبدالله فاضل العمري وحكمت البزّاز (طلاب في دار المعلمين العالية). وقد ركز التنظيم في هذا الوقت على مسألة تعزيز هويته بين أوساط الاحزاب السياسية السرية والعلنية، ثم توسيع قاعدة الكسب الحزبي عن طريق الاتصال بالعناصر الوطنية والقومية المعروفة في المدينة وفي الاوساط المهنية والشعبية [٣٦]. وبالفعل شرع تنظيم الحزب في كسب عدد من العناصر الفعالة الى صفوفه ومنهم: احمد محمد المختار (موظف في مديرية اعاشة الموصل) وعبدالمالك قاسم (صاحب مكتبة) وابراهيم الصوّاف (كاسب) وطه فتحي داود (طالب) وفاضل حمادي الشكرة (سكرتير نادي الهواة الرياضي في الموصل) وجاسم محمد السبعاوي (أول عسكري– جندي– انتمى للحزب في الموصل) [٣٧]. كما تمكن تنظيم الحزب في هذه الفترة من كسب العديد من طلبة المدارس النشطين



الذين قاموا بدور فاعل في حياة الحزب ونشاطاته في الموصل ومنهم : موفق عسكر ونديم احمد الياسين وعصام عائد شيت ، وهشام صباح فخري فضلاً عن بعض المدرسين والمعلمين[٣٨].

في صيف عام ١٩٥٥ تولى فاضل الشكرة مسؤولية التنظيم في المدينة ، وذلك بحكم بقائه الدائم في المنطقة وعدم استقرار البقية لكونهم موظفين او طلاباً. ثم حل محله عادل البكري في صيف عام ١٩٥٦. وفي نهاية العام ذاته غدا تنظيم الحزب بمستوى فرقة حزبية. في شباط ١٩٥٧ تشكلت (جبهة الاتحاد الوطني) في العراق ، حينها كلفت قيادة الحزب في بغداد عادل محمد البكري ليكون ممثلاً للحزب في (اللجنة العليا) لهذه الجبهة التي شكلت فرعاً لها في الموصل كما سنرى. وبعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ غدا تنظيم الحزب في المدينة علنياً. مما شجع على التوسع في قاعدته التنظيمية ، فضلاً عن احتلاله موقعاً مؤثراً في الاحداث السياسية الى جانب الاحزاب السياسية الاخرى[٣٩].

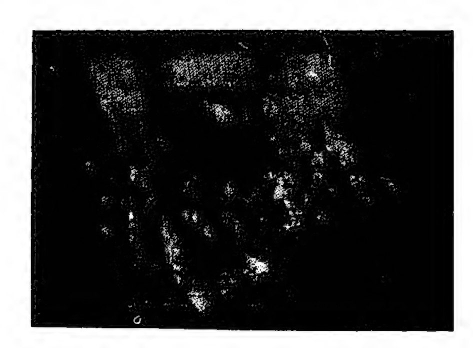
وبهذا كان لهذه اليقظة السياسية المتمثلة على نحو خاص بتصاعد العمل الحزبي وقتئذٍ ، مكانتها الواضحة في تطور الحركة الوطنية في الموصل ، من خلال قيادتها للاحداث الوطنية والقومية والتصدي للنظام الملكي ، وفي مقدمتها وثبة كانون الثاني ١٩٤٨ والانتفاضة الوطنية في عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٦ وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي وضعت حداً نهائياً للنظام الملكي وأقامت النظام الجمهوري.

صدى وثبة كانون الثاني ١٩٤٨ في الموصل :

أقدمت حكومة صالح جبر في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٨ على ابرام معاهدة جديدة مع الحكومة البريطانية لتكون بديلاً لمعاهدة ١٩٣٠ ، وعرفت بـ (معاهدة بورتسموث). لقد ظهر للحركة الوطنية ان المعاهدة الجديدة هذه لاتختلف عن سابقتها. بل أضافت قيوداً عسكرية جديدة على العراق لصالح بريطانيا. لذا فقد تصدت لها القوى الوطنية في مختلف انحاء البلاد معلنة شجبها واستنكارها لهذه المعاهدة. كما طالبت باستقالة حكومة جبر نفسها. وتحول الوضع في بغداد الى مصادمات دامية بين المتظاهرين والشرطة ، سقط خلالها بعض لشهداء. فكان ذلك إيذاناً لانتقال صدى هذه الوثبة الوطنية الى المدن العراقية الاخرى ومنها الموصل[٤٠].

استجابة لذلك نظمت الحركة الوطنية في الموصل مظاهرات كبرى اشتركت فيها الفئات السياسية الوطنية والقومية كافة ولاسيما الطلاب منهم. وفي مقدمتهم مؤيدو حزب الاستقلال من طلاب (اعدادية الموصل) الذين نظموا مظاهرة حاشدة امام مبنى بلدية الموصل. وفي ٢١ كانون الثاني قرر المسؤولون عن المظاهرة الاستمرار بالاضراب عن الدراسة الى حين الغاء المعاهدة الجديدة ومحاكمة المسؤولين عن مصرع الشهداء في تظاهرات بغداد. وما لبثت السلطات المحلية ان اعتقلت الطالب عبد الباسط يونس رجب بتهمة التحريض على التظاهر والاضراب. حينها تطوّع اكثر من عشرين محام للدفاع عنه.

في ٢٢ كانون الثاني احتشدت اعداد من الطلاب والأهلين في ساحة المحكمة . وبعد صدور قرار الحكم باطلاق سراح الطالب المذكور. انطلقت مظاهرة واسعة من أمام بناية المحاكم يتقدمها نخبة من المحامين من أعضاء حزب الاستقلال ومنهم : قاسم المفتي وحازم المفتي وغربي الحاج أحمد وعبدالقادر العبيدي. ولم تتفرق هذه المظاهرة على الرغم من تصدي قوات الشرطة لها ، الاّ بعد أن اختار المتظاهرون وفداً من المحامين ليقدم احتجاجهم الى الوصي عبدالاله بواسطة مصطفى اليعقوبي (متصرف لواء الموصل). وبالفعل قابل هذا الوفد المتصرف وقدم له صورة الاحتجاج المتضمن شجب المعاهدة هذه والمطالبة بالغائها لكونها وضعت



وفد مدينة الموصل الى بغداد لتعزية ذوي شهداء وثبة كانون الثاني ١٩٤٨

مقدرات العراق تحت رحمة بريطانيا وتحمل في طياتها معاني الأذلال [٤١].

وعلى الرغم من ذلك استمرت القوى الوطنية في المدينة في تصديها للسلطات المحلية. ففي



الشيخ بشير الصقال

٢٣ كانون الثاني ألقى الشيخ بشير الصقّال خطبة في جامع الأغوات (جامع أبي عبيدة الجراح حالياً) ألهب فيها مشاعر المصلين، حيث ندّد بمعاهدة بورتسموث وشبه صالح جبر بـ «نيرون الطاغية» الذي أحرق روما. وفي يومي ٢٦ و ٢٧ كانون الثاني استمرت التظاهرات في المدينة وتحول بعضها الى مصادمات مع قوات الشرطة، الى الحد الذي طلب فيه المتصرف من قوات الجيش التدخل بمساندة الشرطة في السيطرة على الموقف [٤٢].

ومع ذلك لم يهدأ الوضع في الموصل الاّ بعد ان نجحت الحركة الوطنية في إرغام صالح جبر على تقديم استقالة حكومته في ٢٧ كانون الثاني، والاعلان عن تشكيل حكومة بديلة لها. اضافة الى قيام قادة الاحزاب الثلاثة (الوطني الديمقراطي والاستقلال والأحرار) باصدار بيان الى الشعب العراقي طالبوا فيه بالغاء معاهدة بورتسموث «الجائرة» واجراء التحقيق عن اطلاق النار ضد أبناء الشعب وحل المجلس النيابي القائم واحترام الحريات الدستورية وإفساح المجال للنشاط الحزبي وحل أزمة الغذاء بشكل يوفر للشعب قوته [٤٣].

لاقى البيان المذكور وقعة المؤثر في الموصل. فقد أبرق رؤساء المهن الى رئيس الوزراء الجديد (محمد الصدر) يناشدونه الاخذ ببنوده. كما أرسل المحامون والصحفيون ورؤساء الأصناف برقية الى الوصي عبدالأله يعبرون فيها عن ارتياحهم للاجراء الذي اتخذه آخر المطاف في الوقوف الى جانب الحركة الوطنية في رفضها للمعاهدة. وفي الوقت عينه اقيمت في الموصل عشرات الفواتح والمآتم في الجوامع والمدارس، كما تُليت الصلوات في الكنائس، شاركت في اقامتها الاصناف المهنية وأرباب الحرف وجميع الفئات السياسية. فضلاً عن ذلك ذهبت بعض الوفود الموصلية الى بغداد وكربلاء والنجف والكوفة لتقديم التعازي ومواساة الجرحى، منها وفد أصحاب الحرف والصنائع (برئاسة الشيخ عبدالله النعمة) ووفد جمعية المعلمين فرع الموصل (برئاسة محمد السّراج) ووفد طلاب الاعدادية (برئاسة أحمد الفخري). وفي آذار ١٩٤٨ أقامت بعض المدارس ونقابات العمال وممثلو الاصناف في المدينة حفلاً تأبينياً تكريماً لشهداء الوثبة. وفي نيسان ١٩٤٨ تشكلت في المدينة لجنة من ممثلي فروع الاحزاب السياسية والوجوه القومية والوطنية لجمع عينات نقدية بغية إعالة عوائل هؤلاء الشهداء. وهكذا تجسدت خلال هذه الوثبة الوحدة الوطنية بكل معانيها في الموصل، وذلك بالوقوف صفاً واحداً ضد هذه



المعاهدة، وفي التلاحم مع القوى الوطنية في انحاء البلاد[٤٤].

موقف الحركة الوطنية في الموصل من الدعوة الى تأميم النفط (١٩٥١ - ١٩٥٢):

أعلنت حكومة نوري السعيد في ٣ أب ١٩٥١ أنها توصلت بعد مفاوضات مع شركات النفط الاجنبية الاحتكارية الى اتفاقية جديدة أكدت على «مناصفة الأرباح» مع هذه الشركات دون الأخذ بـ «التأميم». كما قامت هذه الحكومة، وبعجالة، بدعوة مجلس النواب الى المصادقة عليها في ١٧ شباط ١٩٥٢ دون أن يتسنى لممثلي القوى الوطنية مناقشتها داخل المجلس المذكور والاطلاع على تفاصيلها بدقة. من هنا لم تحظ هذه الاتفاقية بقبول القوى والاحزاب الوطنية وعدتها رضوخاً لمطاليب الشركات الاحتكارية. بل نظمت المظاهرات الاحتجاجية ضدها في انحاء البلاد كافة. وحددت يوم ١٩ شباط ١٩٥٢ يوماً عاماً للاحتجاج والاضراب العام[٤٥].

تضامناً مع الحركة الوطنية في البلاد، رفع أهالي الموصل عريضة الى رئيس الحكومة ورئيس مجلس النواب والصحف، طالبوا فيها بـ «تأميم النفط» والتحرر من غبن الشركات والتمسك بكرامة العراق وصيانة حقوقه المشروعة[٤٦]. كما دعا فرع حزب الاستقلال في الموصل الى الأخذ بفكرة «التأميم»[٤٧]. في حين أكد فرع حزب الجبهة الشعبية المتحدة في الموصل من خلال جريدته (الهدى)[٤٨]: ان حكومة نوري السعيد قد أبرمت هذه الاتفاقية دون إقامتها وزناً لموقف الاحزاب والهيئات والنقابات في معارضتها الشديدة لهذه الاتفاقية[٤٩].

كما قام أنصار حزب الاستقلال في (الاعدادية الشرقية) بتنظيم مظاهرة طافت شوارع المدينة وردد الطلاب خلالها هتافات نادت بسقوط حكومة نوري السعيد والاتفاقية النفطية الجديدة واطلاق سراح الطلاب المعتقلين في بغداد. وفي الوقت عينه اصدر الحزب المذكور بياناً الى أهالي المدينة دعا فيه الى الالتزام بالاضراب العام في ١٩ شباط تضامناً مع نداء الاحزاب الوطنية في البلاد. وبالفعل لبّى الموصليون هذه الدعوة، حيث أضربت المدينة، واقفلت الحوانيت والمخازن والمحلات التجارية[٥٠].

إنتفاضة تشرين الثاني ١٩٥٢ وصداها في الموصل:

ظهرت الدعوة الى الاصلاحات السياسية على نحو فعّال في العراق، على أثر المذكرات التي قدمتها احزاب المعارضة العلنية وهي: الوطني الديمقراطي والاستقلال والجبهة الشعبية المتحدة والأمة الاشتراكي في ٢٨ تشرين الاول ١٩٥٢ الى الوصي عبدالأله. الاّ ان استجابة الاخير لهذه المذكرات ومضامينها الاصلاحية اتسمت بالشكلية. كما فشل (مؤتمر البلاط) الذي انعقد برئاسة الوصي في ٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ وضم رؤساء الوزراء السابقين وقادة الاحزاب المعارضة بغية التداول بشأن هذه المذكرات وضرورة القيام بالأصلاحات العامة فى البلاد. لقد حاول قادة الاحزاب المعارضة من خلال هذا المؤتمر اطلاع الوصي على الامور التي شخصتها في مذكراتها جلياً. الاّ ان الوصي غضب وكابر ورفض الأصغاء الجاد لنداء الاصلاح وتهجم على قادة المعارضة واستهان بمذكراتها ومنهم بالذات طه الهاشمي (رئيس حزب الجبهة الشعبية المتحدة). ومن هنا انفضّ المؤتمر وانتهى دون جدوى[٥١].

وسرعان ماأخذت الاوضاع في التدهور، حيث بدأت باضراب طلبة الكليات والمعاهد في بغداد وانتهت بسلسلة من التظاهرات والمصادمات بين المتظاهرين وقوات الشرطة. استمرت هذه الانتفاضة بين ٢٠ و ٢٤ تشرين الثاني ونالت تأييد الاحزاب الوطنية والمعارضة. وعلى الرغم من انها



تمكنت من اسقاط حكومة مصطفى العمري، الاّ انها اخمدت بعد تشكيل حكومة عسكرية مؤقتة برئاسة الفريق نور الدين محمود (رئيس اركان الجيش) التي قبضت على زمام الأمر وتصدّت للحركة الوطنية لاسيا بعد اعلانها الاحكام العرفية وتعطيلها للصحف والأحزاب(٥٢).

تضامنت أغلب مدن العراق مع هذه الانتفاضة الوطنية. وفي الموصل كانت استجابة الاحزاب العلنية لها ضعيفة. كما ان فرع حزب الجبهة الشعبية المتحدة في المدينة، لم يجد أية جدوى في اقامة وتنظيم التظاهرات في الموصل بعد ان تمّ أخماد الانتفاضة في بغداد على وجه السرعة. وعلى العكس من ذلك كانت الانتفاضة فرصة للاحزاب السرية لكي تعلن عن دورها في تعبئة الجماهير والتصدي للفئة الحاكمة. فقد قام عدد من الطلاب الموصليين (ممن كانوا يواصلون الدراسة في بغداد) وهم من أوائل المنتمين الى (حزب البعث العربي الاشتراكي) وعدد من عناصر الاحزاب الاخرى بتنظيم مظاهرة اخترقت الشوارع الرئيسة في المدينة، حيث هتفوا خلالها بسقوط الوصي عبدالأله وحكومة نورالدين محمود العسكرية. كما طالبوا بالنظام الجمهوري متحدين بذلك الفئة الملكية الحاكمة بشكل ظاهر. لقد استفاد المتظاهرون البعثيون بالفعل من هذه الفرصة لتعريف الجماهير بأفكار الحزب واهدافه وموقفه من الانتفاضة، فقاموا بتوزيع نسخ من بيان الحزب على المتظاهرين لهذه الغاية. وقد انتهت المظاهرة بالاشتباك مع قوات الشرطة والقاء القبض على بعض المتظاهرين(٥٣).

وكانت بعض الصحف الموصلية قد تابعت الانتفاضة في بدايتها. ولم يكن بمقدروها تبيان موقفها وموقف الرأي العام من هذه الانتفاضة الاّ بعد رفع الحظر عن نشاطها. فقد أشارت (جريدة النضال) الى ان الانتفاضة اثبتت «قوة الشعب التي تجاهلها رجال العراق وأصروا على بقاء الفساد رغم مطاليب الاحزاب الوطنية والحاحهم بوجوب القيام بالاصلاح الجذري». في حين خاطبت (جريدة المثال) لصاحبها الصحفي المعروف عبد الباسط يونس، الفريق نور الدين محمود (رئيس الحكومة العسكرية المؤقتة) قائلة: «ماذا ستتحدث الأجيال ياجنرال وهذه دماء الضحايا سقت أرض بغداد(*).. أردّت أن تقتل الحرية في نفوس الشعب وتناسيتَ حكاماً من قبلك اسقطهم الشعب بعد أن قدّم ضريبة الدم والحياة...»(٥٤).

موقف الحركة الوطنية في الموصل من مشاريع الاحلاف الغربية:

حاولت بعض الدول الاستعمارية الغربية في مطلع الخمسينات كالولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا التغلغل الى المنطقة العربية تحت ستار الاحلاف الدفاعية العسكرية والمعونات الاقتصادية، لاسيا (مشروع قيادة الشرق الاوسط عام ١٩٥١) و (حلف بغداد عام ١٩٥٥). لقد لاقت هذه الاحلاف ومنذ البدء عن إعلانها استنكار ومقت الاحزاب والقوى الوطنية في العراق(٥٥).

وفي الموصل ندّدت فروع الاحزاب الوطنية فيها بهذه الاحلاف، من خلال صحفها أمثال (صدى الاحرار) و (الهدى) و (نصير الحق) و (النضال) ووقفت موقفاً معارضاً من المحاولات الجارية لارغام الدول العربية للانضمام اليها داعية في الوقت نفسه الى التمسك بـ «سياسة الحياد» بين المعسكرين الغربي والشرقي. كما دعت الاقطار العربية الى التلاحم والوقوف صفاً واحداً والابتعاد عن سياسة التوتر وأجواء الحرب الباردة بين هذين المعسكرين(٥٦).

كما تصاعدت حدة المعارضة الوطنية لحكومة نوري السعيد بعد أن توصلت مع الحكومة التركية الى توقيع (ميثاق التعاون المتبادل) في ٢٤ شباط

١٩٥٥ ، الذي انضمت اليه بريطانيا كذلك تحت ذريعة الغاء معاهدة ١٩٣٠ ، ومن ثم انضمت اليه كل من ايران وباكستان واصبح يعرف بـ (حلف بغداد). لقد حاولت بريطانيا ومعها بعض الدول الغربية عن هذا الطريق عزل العراق عن الاقطار العربية الاخرى وجعله منطقة وثوب لضرب حركات التحرر فيها. ومن هنا فقد تصدّت له القوى والاحزاب الوطنية ودعت الى إبطاله وتحرير العراق من ربقته(٥٧).

فقد دعا حزب البعث العربي الاشتراكي الى النضال وتحطيم مشاريع الاستعمار واحلافه. وفي ١٥ كانون الثاني ١٩٥٥ أصدر حزب البعث بياناً ندّد فيه بالبيان العراقي – التركي الذي مهد لحلف بغداد. ودعا فيه كذلك الى تنظيم اضراب طلابي لعرقلة عقد الاتفاق. كما قام اعضاء الحزب بتوزيع المنشورات التي دعت جماهير الشعب والهيئات الوطنية الى مواصلة الكفاح لاسقاط حكومة نوري السعيد وإلغاء معاهدة ١٩٣٠ واحباط الاتفاق المذكور أو أية مؤامرة استعمارية اخرى(٥٨).

وفي ٢٥ شباط ١٩٥٥ نظّم البعثيون في الموصل مظاهرة ندّدوا خلالها بالاتفاق العراقي – التركي. وعدّوه تمهيداً للصلح مع «اسرائيل» وبديلاً لمعاهدة ١٩٣٠. لا بل عدّوه بمثابة صك عبودية جديد(٥٩).

الحركة الوطنية وإضراب الموصل عام ١٩٥٦ :

كان لاضراب الموصل الذي بدأ في اواخر آب ١٩٥٦ دوافع إقتصادية وسياسية. كما كان مرتبطاً بشكل او بآخر بمجمل الاضرابات التي عمت البلاد احتجاجاً على تدابير واجراءات حكومة نوري السعيد الداخلية لاسيما في المجال الاقتصادي ، فضلاً عن سياسة هذه الحكومة الخارجية الداعية الى ربط العراق بالاحلاف الغربية ومناهضة حركة التحرر العربية(٦٠).

وكانت بوادر الاضراب قد ظهرت بعد أن عانت بلدية الموصل من عجز في ميزانيتها وقد خوّلتها وزارة الداخلية فرض ضرائب غير مباشرة تداركاً للأمر. حينها قررت البلدية زيادة رسوم المجازر والذبحية. وعلى أثر ذلك قرر الحرفيون وفي مقدمتهم القصابون وتجار الأغنام بدورهم وبالاتفاق مع الاحزاب الوطنية في المدينة وهي (البعث والاستقلال والشيوعي والوطني الديمقراطي) على اعلان الاضراب العام(٦١).

في ٢٨ آب ١٩٥٦ بدأ اضراب تجار الأغنام وأعقبه في ٣١ آب اضراب القصابين. وسرعان ما امتد هذا الاضراب ليشمل بقية الاصناف والمهن. حيث سانده الخبازون والخياطون والمحامون والصاغة وسوّاق السيارات وأصحاب المحلات. وفي ٣ أيلول عمّ الاضراب مدينة الموصل وتوسع ليشمل بعد ذلك أقضية ونواحي (لواء الموصل) فشمل تلعفر وزاخو وسنجار والعمادية. وكان الاضراب من السعة بحيث ترك السلطة المحلية في وضع يسوده القلق والأضطراب. لاسيما بعد أن أعلنت شرطة الموصل أن «أجواء الاضراب أصبحت غير اعتيادية»(٦٢).

وقد نهض حزب البعث العربي الاشتراكي الى جانب الاحزاب الوطنية الاخرى في المدينة بدور مؤثر خلال هذا الاضراب. وكان سالم حمدون ملاّ عَلُوْ من أعضاء الحزب النشطين في التهيئة للاضراب والاعداد له. وفي ٨ أيلول قامت منظمة الحزب في المدينة بتوزيع بيان الحزب الذي يحمل عنوان : «وزارة نوري السعيد تفرض على الشعب سياسة التجويع وسياسة الارهاب. إضراب الموصل يظهر يقظة الشعب واستعداده للنضال». وقد ربط البيان المذكور بين الازمة السياسية والضائقة الاقتصادية لاسيما في قوله : «...سياسة الافقار والتجويع التي واجهها الشعب هي ذاتها سياسة الكبت والارهاب ومصادرة الحريات...».

كما ندّد البيان باجراءات نوري السعيد الاقتصادية التي تهدد معاش الشعب وقوته وطالب برفع الضرائب وعدم فرض ضرائب جديدة. وأوضح ان الاضراب اعطى مثلاً رائعاً ليقظة الشعب واستعداده للنضال دفاعاً عن حياته وحريته ومعاشه. ومن هنا فقد دعا البيان الشعب الى التكاتف والوحدة واليقظة (٦٣).

وفي الوقت نفسه تشكلت في المدينة (لجنة للاضراب) أخذت على عاتقها تنسيق العمل مع بعض ممثلي الاحزاب السياسية في الموصل (٦٤). في حين استخدمت السلطات المحلية مختلف الوسائل للقضاء على الاضراب. بل لجأت حتى الى الاستعانة ببعض رجال الدين، حيث أصدر محمد حبيب العبيدي (مفتي الموصل) بياناً طالب فيه بالكف عن الاضراب بحجة انه يلحق الضرر بـ «الفقراء والمساكين» (٦٥).

وأخيراً تكلل الاضراب بالنجاح بعد أن صادق مجلس إدارة اللواء على الغاء الضريبة الجديدة (٦٦). الاّ أن حكومة نوري السعيد هالها الأمر فأصدرت في ٩ أيلول (مرسوم الطوارئ) لهذه الغاية (٦٧). وعلى أثر ذلك وصل سعيد قزاز (وزير الداخلية) الى الموصل، حيث أمر باعتقال (١١) شخصاً من القائمين على الاضراب ومنهم قاسم المفتي وغربي الحاج أحمد وفخري الخيرو وعبدالغني الملاح. وفي ١٠ أيلول صدر بيان اعلن بموجبه إنهاء حالة الاضراب. ومع ذلك مهّد هذا الاضراب السبيل أمام الحركة الوطنية للقيام باضرابات اخرى لمقاومة حكومة نوري السعيد (٦٨).

وعلى الرغم من انتهاء حالة الاضراب في الموصل على هذه الشاكلة. نشطت منظمة حزب البعث العربي الاشتراكي في المدينة بالتصدي لسياسة حكومة نوري السعيد. ففي اوائل تشرين الاول ١٩٥٦ نشرت جريدة الاشتراكي (جريدة الحزب الداخلية) مقالاً تحت عنوان: «نهاية السعيد رهن بائتلاف القوى الوطنية» حيث أشاد باضراب الموصل هذا، وعدّه دليلاً على استعداد الشعب للدفاع عن قضاياه القومية ورفضه السياسة الداخلية التي تسير عليها حكومة نوري السعيد. الاّ أن السلطة المحلية أقدمت بعدها على اعتقال كل من عبدالغفار الصائغ وحكمت البزاز فكانا أول بعثيين يعتقلان في الموصل (٦٩).

نشاط جبهة الاتحاد الوطني في الموصل:

قبيل قيام ثورة ١٤ تموز تألفت في شباط ١٩٥٧ جبهة وطنية موّحدة اطلق عليها (جبهة الاتحاد الوطني). وكانت بمثابة ائتلاف وتنسيق لعمل الحركة الوطنية في البلاد. وقد ضمت أربعة احزاب رئيسة هي: (حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي والحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال) وعدد من الشخصيات الوطنية (المستقلة). ولغرض تنظيم العمل في هذه الجبهة تمّ تشكيل (لجنة عليا للجبهة) تضم ممثلاً عن كل حزب. فضلاً عن قيادة تنفيذية عرفت بـ (اللجنة التنظيمية العليا) مؤلفة من ممثلي الاحزاب وبعض العناصر المستقلة. في ٩ آذار ١٩٥٧ أصدرت الجبهة بيانها الاول الذي طالبت فيه باسقاط حكومة نوري السعيد واطلاق الحريات الديمقراطية الدستورية والخروج من حلف بغداد ومقاومة التدخل الاستعماري بشتى اشكاله وانتهاج سياسة عربية مستقلة اساسها «الحياد الايجابي» والغاء الادارة العرفية واطلاق سراح المعتقلين السياسيين. الاّ ان الجبهة لم تركز في بيانها الاول هذا على اسقاط النظام الملكي برمّته بصورة علنية (٧٠).

بعد أن تقرر في اللجنة التنظيمية العليا للجبهة تشكيل (لجان وطنية) تمثل معظم مناطق العراق، تشكلت في الموصل لجنة للجبهة من ممثلي الاحزاب الاربعة المذكورة. وكانت مهمتها تهيئة الرأي العام



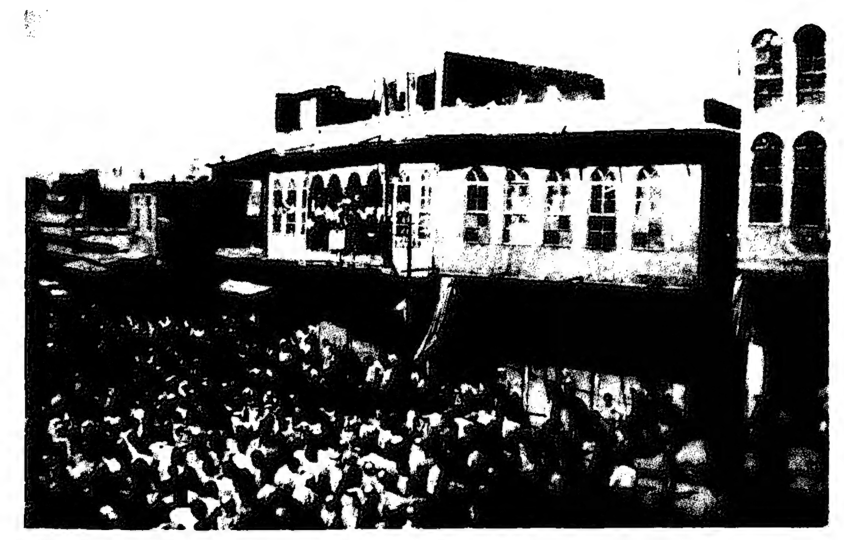
في حالة اسقاط النظام الملكي. وبالفعل نشط حزب البعث وعناصر من الحزب الشيوعي في الاعلان عن شعارات هذه الجبهة الوطنية والدعوة لها بين المواطنين. كما قام عدد من أعضاء حزب البعث في المدينة ومنهم موفق عسكر وطه فتحي وجاسم السبعاوي بحملة كتابة شعارات الجبهة وأهدافها على الجدرات للغاية ذاتها. وفي الوقت الذي عزّزت فيه لجنة الجبهة العليا من اتصالاتها السرية مع (اللجنة العسكرية العليا للضباط الاحرار) في بغداد، شرع بعض اعضاء لجنة الجبهة في الموصل ومنهم: محمد حديد وعبدالغني الملاح بالاتصال مع بعض الضباط الاحرار، لاسيا العقيد الركن ناظم الطبقجلي (آمر موقع الموصل). فكان هذا التنسيق بين نشاط الجبهة الوطنية العلني ونشاط الضباط الاحرار السري، بمثابة التمهيد المنظم لقيادة وتعبئة الجماهير عندما تقتضي الضرورة إسقاط النظام الملكي[٧١].

سعت لجنة الجبهة الوطنية في الموصل الى استغلال كل فرصة مناسبة للتنديد بسياسة الفئة الملكية الحاكمة. فقد اعلنت جبهة الاتحاد الوطني في احدى بياناتها مقاطعة الانتخابات النيابية التي أزمعت السلطة الملكية إجراءها في ٥ مايس ١٩٥٨. وفي الموصل صعّد حزب البعث من نشاطه في تعبئة الجماهير لمقاطعة الانتخابات، وكلّف بعضاً من اعضائه بتوزيع بيان الحزب بهذه المناسبة، فضلاً عن كتابة الشعارات على الجدران في المدينة، والتي تدعو المواطنين من خلالها الى مقاطعة الانتخابات. وبالرغم من محاولة السلطة الملكية الحاكمة تحديد نشاط عناصر الجبهة ومراقبته. كانت السلطات المحلية في الموصل تواجه ظروفاً مقلقة وفي غير صالحها. كما كان الشعب يكتم في داخله حالة الانفجار والغيض والاستياء. وبدا وكأنه كان مهيئاً للثورة على السلطة الملكية[٧٢].

موقف الحركة الوطنية في الموصل من قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ :

أحيطت الاحزاب السياسية المؤتلفة في جبهة الاتحاد الوطني علماً في ١١ تموز ١٩٥٨ بساعة الصفر لاعلان الثورة من تنظيم الضباط الاحرار. الاّ انه لم يكن في الموصل من يعلم الموعد المحدد لقيامها. ومع ذلك سمع اعضاء لجنة الجبهة في الموصل نبأ قيام الثورة من دار الاذاعة العراقية ببغداد، بعد اذاعة البيان الاول للثورة منها، والذي أعلن عن إسقاط النظام الملكي واعلان النظام الجمهوري في صبيحة يوم ١٤تموز ١٩٥٨. وسرعان ما خرجت جماهير الموصل حال سماعها هذا النبأ مندفعة بحماس منقطع النظير الى الطرقات والشوارع وهي تهتف مرحبة بالثورة وقادتها. كما شارك ممثلو الاحزاب الوطنية الشعب مشاعره الوطنية. فكانوا على رأس التظاهرات الحاشدة بهذه المناسبة. كما ألقى بعض ممثلي هذه الاحزاب ومنهم عبدالغفار الصائغ (عن حزب البعث) وسعدبحيي (عن الحزب الشيوعي) وغربي الحاج أحمد (عن حزب الاستقلال) ومحمد حديد وعبدالغني الملاح (عن الحزب الوطني الديمقراطي) كلمات وخطب حماسية دعوا من خلالها الجماهير الى تأييد الثورة واسنادها[٧٣].

وتبع ذلك ارسال برقيات التأييد الى قادة الثورة، اعلنوا فيها تطوعهم واستعدادهم للدفاع عن الثورة الفتية. كما قام حزب البعث في الموصل باصدار بيان هنأ فيه قادة الثورة واعلن تطوعه وتضحيته في سبيل الوطن ومما جاء فيه: «... وهكذا خرج شعب بأكمله من السجن الكبير الذي فرضه عليه العملاء الخونة نوري وعبد الاله واتباعهما... واخيراً خرج العملاق من القمقم فتهاوت الاصنام وسقطت العروش الكاذبة...»[٧٤].



استقبال الموصليين لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

وفي البيان الثاني للثورة ، الذي أعلن من خلاله التشكيلة الوزارية الجديدة.. وهي اول حكومة عراقية في العهد الجمهوري ساهم البعض من الموصليين المشهود لهم بمواقفهم الوطنية بمناصب عالية. فقد عين الدكتور عبدالجبار الجومرد (من المستقلين) وزيراً للخارجية. في حين تمّ تعيين محمد حديد (من الحزب الوطني الديمقراطي) وزيراً للمالية. ومحمد صديق شنشل (عن حزب الاستقلال) وزيراً للارشاد. أما غربي الحاج أحمد



غربي الحاج أحمد

(من حزب الاستقلال) فقد عيّن بمنصب (مدير التوجيه والاذاعة العام)[٧٥].

كما كان للصحف الموصلية موقفها من نبأ اعلان الثورة. حيث استبشرت بالقضاء على النظام الملكي وولادة النظام الجمهوري. في مقال لجريدة (فتى العراق) جاء فيه : «... آن لنا اليوم أن نعمل بحرية بعد أن ظل العراق يرزخ تحت نير العبودية والطغيان وكتم الحريات مدة طويلة حكمت خلالها أصنام سخرت نفسها لخدمة الاستعمار ومآربه من أجل السيطرة على هذه البلاد». أما(جريدة الرائد) فقد كتبت في مقالٍ لها تقول : «في صبيحة يوم ١٤ تموز استيقظ الشعب العراقي الكريم ليسمع أجمل نبأ في حياته وهو ولادة الجمهورية العراقية واعلان تحرير العراق الناجز من ربقة الاستعمار وبدئه الحياة الكريمة اللائقة بأبنائه المخلصين»[٧٦]. كما زخرت اعداد هذه الصحف بعد اعلان الثورة ببرقيات التأييد والقصائد والمقالات التي كتبها عدد من الكتّاب والسياسيين الوطنيين والقوميين التقدميين من أبناء المدينة[٧٧].



وبهذا واكبت الموصل إبان العهد الملكي الاحداث الوطنية بكل تفاصيلها، وغدا سجلها الوطني حافلاً بالأصالة والمواقف التي تؤكد على وحدة العراق وحضارته العريقة.

الهوامش

(١) عبدالرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية ج٥، ط٤، مطبعة دار الكتب (بيروت، ١٩٧٤)، ص٩٨.

(٢) أبرم هذا الميثاق في ٨ تموز ١٩٣٧ وضمّ في عضويته كل من العراق وتركيا وايران وأفغانستان.

(٣) الحسني، المصدر السابق، ج٥، ص ص٩٥- ٩٨.

(٤) فاروق صالح العمر: المعاهدات العراقية - البريطانية واثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢- ١٩٤٨. دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٧٧) ص ٣٤٦.

(٥) طه الهاشمي، مذكرات طه الهاشمي ١٩١٩- ١٩٤٣. ط١، منشورات دار الطليعة، (بيروت، ١٩٦٧)، ص ص٣١٥- ٣١٧.

(6) Baumont, Maurice; Les origines de la deuxieme guerre mondiale. Etude et documents. (Paris, 1969). p. 347.

(7) Khadduri, Majid: Independent Iraq. A Study in Iraqi Politics from 1932 to 1950.(London, 1960). p. 145.

(٨) صلاح الدين الصباغ: فرسان العروبة في العراق. (دمشق، ١٩٥٦)، ص٤٥.

(٩) لقد نشط هذا التيار بشكل واضح بعد لجوء محمد أمين الحسيني (مفتي القدس) و(رئيس اللجنة العربية العليا) الى العراق في ١٥ تشرين الاول ١٩٣٩.

(١٠) للتفاصيل ينظر: اسماعيل أحمد ياغي، حركة رشيد عالي الكيلاني. دراسة في تطور الحركة الوطنية العراقية. ط١ دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت، ١٩٧٤)، ص ص٥١ وما بعدها. الحسني، المصدر السابق، ج٥، ص١٣٧ وما بعدها. ينظر كذلك:

Khadduri, M., op. cit. pp. 178-195.

(١١) للتفاصيل ينظر: ياغي، المصدر السابق، ص ص٧٢ وما بعدها. الصباغ، المصدر السابق، ص ص٢١٩، ٢٨٩. الهاشمي، المصدر السابق، ص ص٤٢٠- ٤٢٦.

(١٢) عبدالفتاح علي يحيى، الحياة الحزبية في الموصل ١٩٢٦- ١٩٥٨. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٩٠. ص ص ١٢٢- ١٢٤.

(١٣) من بين المصادر المتعددة التي عالجت هذا الموضوع بالتفصيل: يلاحظ: جعفر عباس حميدي: التطورات السياسية في العراق ١٩٤١- ١٩٥٣. مطبعة النعمان (النجف، ١٩٧٦)، ص٣٩ ومابعدها. ياغي، المصدر السابق ص١١٢ وما بعدها.

(١٤) نوري أحمد عبدالقادر، الموصل والحركة القومية العربية ١٩٢٠- ١٩٤١. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٨. ص ص٢٢٧- ٢٣٤.

(١٥) يحيى، المصدر السابق، ص ص ٤٢٣- ٣٢٤. ينظر كذلك: جريدة البلاغ، العدد ٩٧١، ١٨ نيسان ١٩٤١، والعدد ٩٧٤، ٢ أيار ١٩٤١.

(١٦) بلغ مجموع الطائرات التي وصلت مطار الموصل حتى ١٧ مايس أربع عشرة طائرة وجاء على متنها حوالي اربعمائة من الألمان والايطاليين نزلوا في الموصل. ينظر: عبدالقادر، المصدر السابق، ص٢٣٩.

(١٧) في مجال اكمال شحن السلاح للعراق، وصل الموصل يومي ٢٦ و ٢٨ مايس قطاران آخران محملان بالسلاح. وكان من المقرر شحن دفعة ثالثة يومي ٣ و ١٠ حزيران. الا ان النهاية العاجلة للثورة حالت دون ذلك. وثبت بعدئذٍ ان الاسلحة المذكورة لم تكن ذات قيمة فعالة ولم يستفد منها الجيش العراقي في القتال، بل تكدست في الموصل ووقع أغلبها في قبضة الانكليز. للتفاصيل انظر: غانم محمد الحفّو: «ثورة العراق مايس ١٩٤١ في استراتيجية الدول الكبرى»، مجلة آداب المستنصرية (بغداد)، العدد ٩، ١٩٨٤. ص ص٦٠١- ٦٤٠.

(18) AL-Haffou, Ghanim: L'Irak devant La deuxième guerre mondiale.. Doctorat de 3eme cycle. Universite de Poitiers (France, 1981).p.187.

(19) Ibid., p. 188.

(٢٠) بلغ مجموع شهداء لواء الموصل خلال الثورة (٢٣٩) شهيداً. عدا الجرحى الذين لم تتمكن جمعية الهلال الأحمر في الموصل من معرفة عددهم الدقيق. ينظر: يحيى، المصدر السابق ص ص٣٢٤- ٣٢٥.

(٢١) وائل علي النحاس، تاريخ الصحافة الموصلية ١٩٢٦- ١٩٥٨. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٨. ص٣٠٣.

(٢٢) المصدر نفسه، ص٣٠٣. عبدالقادر، المصدر السابق، ص ص٢٤٠- ٢٤١.

(٢٣) عبدالقادر، المصدر السابق، ص٢٤١.

(٢٤) يحيى المصدر السابق، ص٣٢٦.

(٢٥) من المناسب هنا الاشارة الى ان حكومة نوري السعيد كانت وقتئذٍ تعمل على إعادة محاكمة قادة ثورة نيسان مايس من جديد بعد إلقاء القبض على بعضهم بالتواطؤ مع السلطات البريطانية. وكانت عازمة على استئصال شأفة العناصر الوطنية والقومية التي قادت هذه الثورة أو شاركت بها أو أيدتها بمختلف الوسائل لذا اصدرت في ٤ مايس ١٩٤٢ حكمها بإعدام كل من محمد يونس السبعاوي ومحمد فهمي سعيد ومحمود سلمان ثم نفذته في اليوم التالي مباشرة. اما كامل شبيب فقد اعدم في ٢٠ آب ١٩٤٤. في حين جرى اعدام صلاح الدين الصباغ في ١٦ تشرين الاول ١٩٤٥.

(٢٦) جاء في الاوراق الرسمية الحكومية وقتئذٍ أن معاون شرطة قضاء الموصل قد عثر على هذا المنشور ملصقاً على الجدار الخلفي



لحديقة الطيران في الساعة الثانية عشرة ليلاً. دار الكتب والوثائق (بغداد). ملفات البلاط الملكي. 311/1218 (جريدة الاستخبارات السياسية)، وثيقة رقم ٨.

(٢٧) عبدالقادر، المصدر السابق، ص٢٤١.

(٢٨) حميدي، المصدر السابق، ص ص١٦٤- ١٦٦.

(٢٩) من بين المصادر المتعددة التي عالجت مسألة البدايات التنظيمية لحزب البعث ودوره في الحركة الوطنية. يلاحظ: فاضل حسين: الفكر السياسي في العراق المعاصر ١٩١٤- ١٩٥٨. مؤسسة الخليج للطباعة والنشر (الكويت، ١٩٨٤)، ص ص١٢٣- ١٣٣؛ هادي حسن: دور حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق في الحركة الوطنية منذ تأسيسه حتى ١٤ تموز ١٩٥٨. ط٢، مطبعة معهد الثقافة العالمة، (لا.ت؛ لا.م)، ص ص١٢٥ وما بعدها.

(٣٠) للتفاصيل عن هذه التنظيمات والاحزاب التي اسست لها فروعاً في الموصل وقتئذٍ ينظر: يحيى، المصدر السابق ص ص٢٢٤ وما بعدها.

(٣١) المصدر نفسه، ص٢٨٠ ينظر كذلك: شبلي العيسمي: حزب البعث العربي الاشتراكي. مرحلة الاربعينات التأسيسية ١٩٤٠- ١٩٤٩.ج١، ط٦، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، ١٩٨٦)، ص ص٢٧- ٢٨.

(٣٢) يحيى، المصدر السابق، ص٢٨٠.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ص٢٨١- ٢٨٢.

(٣٤) المصدر نفسه، ص٢٨٣- ٢٨٥. هادي حسن، المصدر السابق، ص١٢٧

(٣٥) يحيى، المصدر السابق، ص ص٢٨٦- ٢٨٨

(٣٦) المصدر نفسه، ٢٨٨- ٢٨٩

(٣٧) المصدر نفسه، ٢٩٠- ٢٩١

(٣٨) المصدر نفسه، ص ص ٢٩١، ٣٠٩. وللتفاصيل عن تنظيمات الحزب في الاوساط الطلابية والهيئة التدريسية في الموصل بين عامي ١٩٥٦- ١٩٦٠. ينظر: هشام صباح فخري: خواطر بعثية من ربى الحدباء. دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨٣)، ص ص٢٠ وما بعدها.

(٣٩) يحيى، المصدر السابق، ص ص٢٩٤- ٢٩٧. ولابد من القول بانه ليس هنا مجال لذكر تفاصيل عن نشأة حزب البعث العربي الاشتراكي في الموصل، وذلك انتظاراً لما سوف تنجزه اللجان المشكلة في القيادة القومية، التي تضطلع حالياً بوضع تاريخ رسمي للحزب ليس في العراق وحسب وانما في اجزاء الوطن العربي كله.

(٤٠) للمزيد من التفاصيل يلاحظ: الحسني، المصدر السابق، ج٧، ص٢٣٦ ومابعدها؛ حميدي، المصدر السابق، ص ص٤٧٥ وما بعدها.

(٤١) يحيى، المصدر السابق، ص ص٣٢٧- ٣٢٩.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ص٣٢٩- ٣٣٠.

(٤٣) صدر هذا البيان في بغداد مساء ٢٨ كانون الثاني ١٩٤٨. ويحمل بالتتابع تواقيع كل من كامل الجادرجي ومحمد مهدي كبة وسعد صالح. انظر: الحسني، المصدر السابق، ج٧، ص ص٣١١- ٣١٢.

(٤٤) النحاس، المصدر السابق، ص ص٣٠٩- ٣١١. يحيى، المصدر السابق، ص٣٣٧.

(٤٥) للمزيد من الاطلاع على هذه المسألة وابعادها التفصيلية. ينظر: نوري عبدالحميد خليل: التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق ١٩٢٥- ١٩٥٢. ط١، مركز الابجدية للصف التصويري (بيروت- لبنان، ١٩٨٠)، ص٣٩٢ وما بعدها. حميدي، المصدر السابق، ص ص٦٦٨- ٦٨٤.

(٤٦) جريدة فتى العراق، العدد ١١، ٨ نيسان ١٩٥١.

(٤٧) جريدة النضال، العدد ٨٥، ٢٤ آذار ١٩٥١.

(٤٨) كان الدكتور عبدالجبار الجومرد وقتئذٍ صاحب امتياز هذه الجريدة وله دور كبير في تحريرها. كما كان يمثل في الوقت ذاته معتمد فرع حزب الجبهة الشعبية المتحدة في الموصل حتى عام ١٩٥٣. انظر: عدنان سامي نذير: عبدالجبار الجومرد. نشاطه الثقافي ودوره السياسي. شركة المعرفة للنشر والتوزيع المحدودة (بغداد، ١٩٩١، ص ص١٥٥، ١٦٢.

(٤٩) جريدة الهدى، العدد ٥، ٢١ شباط ١٩٥٢.

(٥٠) يحيى، المصدر السابق، ص ص٣٤٠- ٣٤١.

(٥١) للمزيد من التفصيلات عن هذا المؤتمر ووقائعه والمجابهة الكلامية الصارخة والصريحة بين الوصي وطه الهاشمي. ينظر: كامل الجادرجي؛ مذكرات كامل الجادرجي وتاريخ الحزب الوطني الديمقراطي. ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٧٠)، ص ص٥٤٦- ٥٦١.

(٥٢) للاطلاع بشكل مفصّل عن طبيعة هذه الانتفاضة الشعبية يلاحظ: الحسني، المصدر السابق، ج٧، ص ص٣٢١ وما بعدها. حميدي، المصدر السابق، ص ص٧١١ وما بعدها.

(٥٣) يحيى، المصدر السابق، ص ص٣٤٢- ٣٤٣.

(•) لقد أسفرت الانتفاضة في بغداد عن سقوط (٢٣) شهيد من المتظاهرين و(٤) من الشرطة في يوم ٢٣ تشرين الثاني فقط. اضافة الى اعداد كبيرة من الجرحى والمعتقلين. انظر: جعفر عباس حميدي؛ التطورات والاتجاهات السياسية الداخلية في العراق ١٩٥٣- ١٩٥٨. ط١، (الكويت، ١٩٨٠)، ص٣١.

(٥٤) النحاس، المصدر السابق، ص٣١٩.

(٥٥) حميدي، المصدر السابق، ص ص١١٩- ١٢٠. نذير، المصدر السابق، ص ص١٦٧ ١٧١.

(٥٦) النحاس، المصدر السابق، ص ص ٣٢١ وما بعدها

(٥٧) حميدي، المصدر السابق، ص ص ١٢١- ١٣١.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ص ١٢٢- ١٢٣.

(٥٩) يحيى، المصدر السابق، ص ص٣٥٢- ٣٥٣.

(٦٠) حميدي، المصدر السابق، ص ص ١٣٨- ١٤١.

(٦١) يحيى، المصدر السابق، ص ص٣٦١- ٣٦٢.

(٦٢) حميدي، المصدر السابق، ص ص١٣٨- ١٤١.

(٦٣) المصدر نفسه، ص١٤١. يحيى، المصدر السابق، ص٣٧٠.

(٦٤) يحيى، المصدر السابق، ص٣٦٦.

(٦٥) حميدي، المصدر السابق، ص١٤٢.



(٦٦) يحيى، المصدر السابق، ص٣٦٧.

(٦٧) أعطى المرسوم المذكور لرئيس الوزراء صلاحيات استثنائية في فرض الرقابة على الصحف والمجلات والكتب وجميع المطبوعات. كما خوّله اعتقال الاشخاص الذين يعتقد بأن سلوكهم مخل بالأمن العام.

(٦٨) حميدي، المصدر السابق، ص١٤٢.

(٦٩) يحيى، المصدر السابق، ص٣٧٠.

(٧٠) للتفاصيل حول هذا الموضوع. ينظر: حميدي: المصدر السابق، ص ص ٢٣٦ ومابعدها.

(٧١) يحيى، المصدر السابق، ص ص٣٧١- ٣٧٤.

(٧٢) المصدر نفسه، ص ص٣٧٦- ٣٧٩.

(٧٣) المصدر نفسه، ص ص ٣٨٠- ٣٨١.

(٧٤) المصدر نفسه، ص٣٨٢.

(٧٥) نذير، المصدر السابق، ص ص٢٤١- ٢٤٣.

(٧٦) النحاس، المصدر السابق، ص ص٣٢٩- ٣٣٠.

(٧٧) يحيى، المصدر السابق، ص٣٨٣.

ثورة الموصل

(١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م)

د. عوني عبدالرحمن السبعاوي

مقدمة :

تعد مدينة الموصل من مدن العراق العريقة في معطياتها الحضارية، وكان لها دورها المشهود وطنياً وقومياً على مرّ الأزمان. وفي عصرنا الراهن كانت لها إسهاماتها المتميزة في مقارعة الاستعمار البريطاني ونظام الحكم الملكي حتى سقوطه صبيحة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨، وفي دعم الثورات والانتفاضات التي شهدها الوطن العربي في مشرقه ومغربه. كما كان لرجال الموصل إسهاماتهم الواضحة في التحضير والإعداد لثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨؛ فقد شكّل الضباط الأحرار في بغداد منذ انطلاقتهم،فرعاً لهم في الموصل، من خلال خلية تتألف من (١٠) ضبّاط[١] تشرف على تنظيم ضبّاط من موقع الموصل بلغ عددهم نحو السبعين ضابطاً من ذوي الاتجاهات القومية. وأصبح النقيب محمود عزيز لولب الحركة بين بغداد وتنظيم الموصل. وكان على صلة مباشرة مع العقيد رفعت الحاج سرّي أحد قياديّي الضباط الأحرار الذي زار الموصل قبل الثورة ببضعة أشهر، ووقف بنفسه ميدانياً على الحالة فيها[٢].

كما كانت الفئات السياسية في الموصل تتوقع حدوث تغيير ما في نظام الحكم. وهيأت نفسها لاستقبال ذلك على الرغم من عدم معرفتها بموعد حدوث ذلك التغيير. وإذ أُعلِن نبأ قيام الثورة وسقوط النظام الملكي وقيام النظام الجمهوري خرجت جماهير الموصل في تجمّعات عفويّة الى الشارع المواجه لبناية البريد القديم. ومن هناك انطلقت في تظاهرة كبيرة معبرة عن فرحتها وتأييدها للثورة. وبادرت جميع الأحزاب والقوى السياسية في الموصل مثل حزب الاستقلال والحزب الوطني الديمقراطي، وحزب البعث العربي الاشتراكي الى إعداد نفسها لمواجهة الظروف الجديدة[٣]. كما عبّرت الصحافة الموصلية عن استبشارها وتفاؤلها الكبير بقيام الثورة التي عدّتها حدثاً تأريخياً مهماً في حياة العراق المعاصر فقد كتبت جريدة «فتى العراق» في مقالها الافتتاحي قائلة: «آن للشعب اليوم أن يتكلم بعد أن ظلّ العراق يرزخ تحت نير العبودية والطغيان وكتم الحريّات مدة طويلة، حكمت خلالها أصنام سخّرت نفسها لخدمة الاستعمار ومآربه من اجل السيطرة على هذه البلاد...». وأضافت الصحيفة تقول «أصبحنا اليوم أحراراً وآن لنا أن نلحق بالركب العربي في شتّى أقطاره. ونرفع رأسنا عالياً بين الأمم الحرة التي سبقتنا في التحرر وطرد الاستعمار ونيل العزة والكرامة». واختتمت الجريدة مقالها مخاطبة قادة

الثورة بالقول «ان الشعب يعاهدكم على التضحية من أجل حرية الوطن الغالي...»[٤].

ورحبت جريدة (الرائد) من خلال مقالها الافتتاحي في ١٩ تموز ١٩٥٨ بالنظام الجمهوري في العراق فكتبت تقول: «في صبيحة يوم ١٤ تموز استيقظ الشعب العراقي ليسمع اجمل نبأ في حياته وهو ولادة الجمهورية العراقية وإعلان تحرير العراق الناجز من نير الاستعمار؛ وبثه الحياة الكريمة اللائقة بأبنائه المخلصين». وختمت الصحيفة مقالها مخاطبة جماهير الموصل بالقول «فلنحرص على انتصاراتنا وظفرنا بالتزام الهدوء ومحاربة الخونة والجواسيس والمأجورين[٥]».

اما جريدة «الأخبار التجارية» فقد ختمت عددها الأول في ظل الثورة بنشر مقال تحت عنوان «الفجر الجديد» جاء فيه «يا يوم ١٤ تموز، سوف تبقى خالداً في نفوس الشعب العراقي خاصة والعرب عامة، وسوف تبقى انتفاضة جيشنا الباسل فخراً لكل عربي في كل زمان، وسوف يسجلها التاريخ..»[٦]

وإذ بدأت تلوح في الأفق بوادر التدخل الأجنبي في شؤون العراق الداخلية، ومحاولة إجهاض الثورة واحتوائها، ولاسيما بعد إنزال القوات الامريكية والبريطانية في لبنان والأردن[٧]، بادر ابناء الموصل الى استنكار ذلك، وأعلنوا عن استعدادهم للتطوع في الدفاع عن الوطن والثورة من خلال البرقيات التي رفعوها الى قادة الثورة وهيئة الأمم المتحدة جاء فيها «ان قيام الجمهورية العراقية كان نتيجة طبيعية لكفاح الشعب العراقي.. اننا نستنكر أي تدخل أجنبي في شؤوننا الداخلية، ونعلن للعالم ان حركتنا هي حركة داخلية صرفة، وهي نتيجة طبيعية لكل شعب يريد أن يحكم نفسه بنفسه، ونستنكر احتلال الجيش الامريكي للأراضي اللبنانية، وإنزال القوات البريطانية في الأردن»[٨].

وتعبيراً عن الولاء للثورة والتأييد لها شكل اهالي الموصل وفداً شعبياً سافر الى بغداد، والتقى رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة الزعيم (العميد) الركن عبد الكريم قاسم، وقدم له التهنئة بهذه المناسبة»[٩]. هذا في الوقت الذي شغل فيه عدد من شخصيات الموصل المدنية والعسكرية مناصب مهمة في الدولة بعد قيام الثورة، نذكر من هؤلاء الدكتور عبد الجبار الجومرد الذي اصبح وزيراً للخارجية ومحمد حديد وزيراً للمالية ومحمد صديق شنشل وزيراً للارشاد وغربي الحاج احمد مديراً للدعاية والزعيم الركن (العميد) عبد العزيز العقيلي قائدا للفرقة الاولى.

ثورة الموصل ١٩٥٩:

البدايات:

ظهرت الخلافات الحادة بين القوى السياسية في مدينة الموصل، وبخاصة بين شباب حزب البعث العربي الاشتراكي وعناصر الحزب الشيوعي، بسبب الافكار والشعارات التي بدأ يروّجها الشيوعيون المناقضة للمبادئ والأهداف الوطنية والقومية والاسلامية ومعاداتهم للوحدة العربية، نتيجة الانحراف الذي دبّ في مسار الثورة ودعم عبد الكريم قاسم للحزب الشيوعي على حساب الاحزاب والتنظيمات الوطنية والقومية.

وقد انتقلت المناقشات والحوارات الفكرية والعقائدية بين الطرفين الى مجالس الموصل الادبية والثقافية، ومقاهيها الشعبية. واظهرت تبايناً واضحاً بين مبادئ الجانبين وأفكارهم وبخاصة في المواضيع المتعلقة بـ (القومية، الدين، المادية والمثالية، الاشتراكية، الوحدة ...). استمرت قرابة الاسبوعين، اضطر الشيوعيون بعدها الى الانسحاب من هذه المناقشات لعجزهم عن مواجهة الشباب البعثيين، وشعورهم بانها لاتجري لصالحهم، وان الجماهير الموصلية اخذت تميل بشكل واضح الى طروحات البعثيين وافكارهم، مما



زاد في عدد المنتمين الى خلاياه التنظيمية [١٠].

وتعمقت الخلافات بين الجانبين بعد ماشهدته الموصل من مواكب النصر القومية التي نظمها الشباب العربي حينذاك عند زيارة نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية عبد السلام محمد عارف لمدينة الموصل في ١٥ من آب ١٩٥٨، واستقبالهم الحافل له على ارض المطار [١١].

وبدأ اهالي الموصل يراجعون انفسهم ويعيدون النظر في ولائهم للسلطة الجديدة، وبخاصة بعد تنامي وتصاعد نفوذ الحزب الشيوعي ومحاولة فرض هيمنته على مقدرات الثورة وتوجيهها الوجهة التي تحقق مراميه ومصالحه المناقضة لاهداف الشعب العراقي والامة العربية.

وانعكس ذلك في المصادمات العديدة التي جرت في مدينة الموصل منذ مطلع عام ١٩٥٩ بين القوى البعثية والقومية من جهة والعناصر الشيوعية من جهة أخرى بدأت في الاعدادية المركزية وامتدت الى المقاهي والاسواق مما نتج عنها اصابة كل من الطرفين بجروح، كما تم على اثرها اعتقال عدد من الشباب البعثي [١٢].

وانتقل تأثير هذه المصادمات الى الجيش، اذ حدثت مشاحنات بين الضباط البعثيين والشيوعيين في النادي العسكري، إثر الكلمات الاستفزازية التي كان يطلقها الشيوعيون ضد العناصر القومية، وانضم قسم من الضباط من غير الضباط الاحرار لهذا الطرف او ذاك، كما انحاز القلة من ابناء الموصل الى جانب الشيوعيين، على حين بقي القسم الاكبر منهم مؤمناً بعروبته ودينه ومحافظاً على معتقده وقيمه الأصيلة [١٣].

مهرجان (أنصار السلام):

وجدت القوى الشيوعية أنّ تنامي الوعي الوطني والقومي لابناء هذه المدينة يتعارض مع بسط نفوذهم وهيمنتهم على مقدرات العراق وشعبه، سيما وان العديد من العناصر الوطنية والقومية كان لها مواقعها المهمة في المسؤولية والسلطة في المدينة، بحيث اصطدمت مع مسعى الشيوعيين في توسيع دائرة نفوذهم الذي افتعل المشاكل والازمات، دون جدوى [١٤]، مما دفعهم الى الاستعانة بالسلطة المركزية في بغداد، واستعدائها ضد اهالي الموصل واتهامهم إياهم بانهم قوى مناهضة للثورة ومهددة لنظام الحكم، فكتبت صحيفة «إتحاد الشعب» الناطقة بلسان الحزب الشيوعي العراقي تقول: «منذ أمد والانباء تتواتر عن وجود [شراذم] القوى القومية في الموصل، تمارس بعض الفعاليات المناوئة للثورة برعاية بعض الموظفين غير الأمناء على مصالح الجماهير، الا ان نشاط هذه الزمر اخذ يتفاقم لدرجة لم يعد من الصحيح السكوت عنه. ان هذا يستلزم من حكومة الثورة وقائدها المقدام تشديد الحزم ضد [الخونة والمارقين] في كل انحاء العراق واعتقال الرؤوس الشريرة!!» [١٥].

وقد اولت قيادة الحزب الشيوعي اهتمامها الكبير للحالة القائمة في الموصل، وسعت عبر الضغوط والمعاداة للقوى القومية الى محاولة تغيير الحالة القائمة في هذه المدينة بما يتفق ومصالحها. فوضعت الخطط والبرامج الهادفة الى احتواء كل الحركات المناهضة لها في العراق، وكانت الموصل على رأسها. وبهذا الاتجاه قررت قيادة الحزب الشيوعي العراقي عقد ماسمي آنذاك بـ «مهرجان انصار السلام» [١٦] في مدينة الموصل، تستهدف من خلاله حشد العناصر الشيوعية من انحاء العراق كافة والدول المجاورة في سوريا والاردن ولبنان وايران، وتكريس طاقاتها وامكاناتها وتأكيد هيمنتها على مقدرات العراق، فنشرت صحيفة «اتحاد الشعب» دعوة هذا المهرجان قالت فيه «هلموا الى الموصل للاشتراك في مهرجان السلم الكبير» [١٧].
ولقد اثار نبأ اعتزام الشيوعيين عقد هذا المهرجان في الموصل، اهالي المدينة الذين عم السخط والغضب بين صفوفهم، وعدّوه بمثابة تحد لشعورهم ومبادئهم، وبدأت الاستعدادات الرامية لمنع



انعقاده ، بعد أن تسربت المخاوف في المدينة متحدثة عن احتمال وقوع اصطدام مسلح بين العناصر القومية والشيوعية.

ومحاولة من العقيد الركن عبد الوهاب الشواف(١٨) آمر اللواء الخامس لتجنب آثار ومخاطر عقد هذا المهرجان ، وفي ضوء طلب من اهالي



العقيد الركن عبد الوهاب الشواف

الموصل ، سافر الى بغداد أكثر من مرة ، وطلب من عبد الكريم قاسم عدم الموافقة على عقد المهرجان قائلاً له : «سيادة الزعيم اني أناشدك ان تصدر الأمر بمنع عقد هذا المؤتمر الشيوعي في الموصل.. لماذا هذا التحدي لشعور الضباط وشعور الناس ، انهم قادمون باسلحة كثيرة ، واخشى عواقب حادث قد يؤدي الى صدام واسع »(١٩) .

أما قاسم فقد حاول المماطلة قائلاً : «سوف ابحث الأمر واتصل بك»(٢٠) . ثم اتصل الشواف تلفونياً بعبد الكريم قاسم للغرض نفسه وجاءه الرد من مدير مكتبه وصفي طاهر قائلاً له : «ان المؤتمر سوف يعقد في الموصل في موعده في ٦ آذار، والزعيم يحملك بصفتك قائداً عسكرياً للمنطقة مسؤولية أيّ شيء يحدث»(٢١) .

لكن الشواف استمر في محاولاته الضغط على قاسم وثنيه عن قراره بعقد المؤتمر، فاتصل بمدير الاستخبارات العسكرية العقيد رفعت الحاج سري والح بطلب تأجيل عقد المؤتمر او عقده في مكان آخر، وقال : «انكم لاتقدرون حراجة الموضوع. ومدى الخطورة لأن الطرفين يتهيآن كل منها ضد الآخر». وكان رد العقيد سري أن يتصل الشواف بالحاكم العسكري العام مباشرة احمد صالح العبدي ويوضح له الموقف ويحثه على مقترحه ، وقد فعل الشواف ذلك ، لكن الحاكم العسكري العام لم يوافق على طلب الشواف(٢٢) .

وسعت متصرفية لواء الموصل من جانبها توضيح الموقف الى وزارة الداخلية ولكن جهودها باءت بالفشل ايضاً. كما حاول الزعيم (العميد) الركن ناظم الطبقجلي قائد الفرقة الثانية في كركوك حث وزارة الدفاع على تأجيل عقد المؤتمر بناء على طلبات وردت من الموصل ، لكن وزارة الدفاع اجابت الطبقجلي بان الاجازة قد منحت لعقد المؤتمر، ولايمكن باي حال تأجيله(٢٣) .

وفي ليلة السادس من آذار ١٩٥٩ ، وضع مدير الحركات العسكرية العميد الركن طه الشيخ احمد ، وهو من قياديّي الحزب الشيوعي تحت تصرف اتباعه كل المستلزمات من وسائط النقل البرية والجوية وتوفير الحماية اللازمة لنقل اعضاء المهرجان من بغداد الى الموصل(٢٤) . وخصص قائد القوة الجوية العقيد جلال الاوقاتي وهو شيوعي ايضاً عدة طائرات حربية لحراسة القطارات اثناء سيرها نحو الموصل خوفاً من تعرضها لهجمات معادية(٢٥) .

وهكذا ، تحت سمع وبصر عبد الكريم قاسم ونظامه حيكت المؤامرة ضد مدينة الموصل واهلها بهدف تركيعها ، وتصفية العناصر الوطنية والقومية المناوئة للنفوذ الشيوعي وانحراف مسار الثورة.

ولتفادي وقوع صدام مسلح في مدينة الموصل طلب العقيد رفعت الحاج سري من العقيد الشواف الالتقاء باهالي الموصل ومحاولة اقناعهم بان مهرجان انصار السلام هو مهرجان سلمي ، وان اعضاء المهرجان سيأتون كضيوف في مدينتهم ، على أن يتصل باعضاء المهرجان أيضاً ويتكلم معهم بما يناسب ذلك ، وان يستخدم منتهى الحكمة والروية للسيطرة على الوضع. ويتخذ كل الاجراءات



الكفيلة بمنع وقوع اي حادث ومنع اي استفزاز يفضي الى وقوع تصادم بين الاطراف المتناحرة[٢٦].

وبغية الحفاظ على الأمن والنظام اثناء انعقاد المهرجان وبعد انتهاءه، قام العميد الركن ناظم الطبقجلي قائد الفرقة الثانية في كركوك بارسال سرية مدرعات الى الموصل في ٣ آذار ١٩٥٩، لكن عبد الكريم قاسم أمر باعادة السرية الى كركوك في ٧ آذار، اي بعد يوم واحد من انتهاء المهرجان[٢٧].

بدأت جموع الشيوعيين الوافدة لمدينة الموصل تجاهر في اجتماعاتها التمهيدية واستقبالها وفود الانصار بتحديها للمشاعر القومية والدينية واستفزازاتها للفئات الوطنية والقومية على اختلاف ميولها واتجاهاتها. وقد قاطع اهالي المدينة الشيوعيين الوافدين مقاطعة تامة، اذ قاموا باغلاق حوانيتهم منذ يوم الخميس ٥ آذار ١٩٥٩، أما العناصر الشيوعية فقد كانت تجوب الشوارع على شكل تظاهرات، وهي توزع المناشير العدائية وتهتف «اهل الموصل ياكرام، جاكم انصار السلام، ديمقراطية ووئام، احنا انصار السلام، رفرف وطير ياحمام السلام»[٢٨]. كما إعتدت على بعض العناصر الوطنية والقومية في المدينة. ولم تكتف بذلك بل قامت بتقديم شكوى الى عبد الكريم قاسم بشأن تصرفات الشواف وضباط جحفل اللواء الخامس المناوئين للشيوعية، وطالبوا بما اسموه باجراءات تطهيرية في اللواء[٢٩].

وفي هذا الجو الاستفزازي للعناصر الشيوعية الموجّه ضد العناصر الوطنية والقومية في الموصل عقد مهرجان «انصار السلام» يوم الجمعة المصادف ٦ آذار ١٩٥٩ في ملعب الادارة المحلية (في باب سنجار) في ظل الشعارات الشيوعية واعلامهم الحمر. فكان تظاهرة مكرسة لدعم عبد الكريم قاسم وتأكيد وجود الحزب الشيوعي، حيث القيت الخطب الحماسية في هذا الاطار، ثم خرج الحاضرون في تظاهرة صاخبة تنذر وتهدد وتتوعد[٣٠].

وقد اظهرت القوى الوطنية والقومية في ذلك الحين انضباطية عالية في عدم الانجرار لاستفزازات الشيوعيين وشعاراتهم المعادية لهم، اذ أسهم الشواف والقيادات الوطنية والقومية في الحفاظ على هذه الانضباطية، والدعوة الى وحدة الصفوف والابتعاد عن المهاترات، منطلقين في ذلك من نظرة صائبة وادراك واع للامور في الربط بين مايجري في المدينة وما يجري في عموم البلاد، وان مايحدث في الموصل انما يشكل جزءاً من الانحراف الخطير في مسيرة ثورة الرابع عشر من تموز الذي يتطلب عملية تصحيح شاملة[٣١].

وتعبيراً عن مشاعرها الوطنية والقومية، وازاء التحدي الاستفزازي الذي اظهرته القوى الشيوعية خرجت مجموعات كبيرة من اهالي مدينة الموصل في اليوم التالي في ٧ آذار ١٩٥٩ بتظاهرة سلمية تحتج فيها على ماجرى على ارض مدينتهم وكانت بمثابة نذير للثورة ورأس الرمح فيها. وسار التجمع في شوارع المدينة، وازدادت جماهيره، وحين وصل شارع الفاروق واستدار باتجاه منطقة (باب الجديد) تحوّل التجمع إلى اكبر تظاهرة تشهدها المدينة بطابع هدوئها وشعاراتها التي كانت تطالب بتصحيح مسيرة الثورة، ووضع حد لاستفزازات الشيوعيين. وقد اعترض الشيوعيون هذه المسيرة وطالبوا اللواء الخامس بالتدخل لتفريقها دون جدوى، ثم مالبثوا ان هاجموا المسيرة باطلاق النار عليها وضربها بالحجارة والهجوم على مقاهي ومكتبات العناصر القومية والاعتداء على روّادها ونهبها وحرقها، فضلاً عن تدمير السيارات في الشوارع العامة، ولم تتمكن قوات الشرطة من التدخل والسيطرة. واخذت الامور تهدد بوقوع اشتباكات دامية بين الطرفين[٣٢].

وازاء استمرار مظاهرات الشيوعيين التي وصلت المنطقة المسماة (باب البيض) التي كانت بمثابة «منطقة مقفلة للقوى القومية» حسب اعتقاد الشيوعيين، واقتحامهم بيوت المواطنين فيها واخراج من كان فيها عنوة. واعتدائهم على بعضهم الآخر،



تدخل الجيش ومنع التجول في المدينة تطبيقاً للخطة الأمنية ، فتفرق الشيوعيون ، وسرت في صفوفهم توصيات الحيطة والحذر والتأهب الدائم[٣٣] .

بداية الثورة :

في هذا الوقت بالذات كان العقيد الركن عبد الوهاب الشواف ومجموعة من المدنيين والعسكريين تتهيأ للقيام بثورة مسلحة في الموصل بداية لتحرك عسكري اوسع في مناطق اخرىٰ من العراق وبخاصة في بغداد. وقد حاول الشواف منذ الايام الاولى لثورة الرابع عشر من تموز الاتصال بالضباط الاحرار الناقمين على عبد الكريم قاسم وعبد السلام محمد عارف لعدم اخبارهم بموعد الثورة وعدم تشكيل مجلس قيادة الثورة حسب ماهو مقرر. وبعد الخلافات التي نشبت بين قاسم وعارف التي انتهت بابعاد الأخير عن السلطة وسجنه تهيّأ العديد من الضباط الاحرار والضباط القوميون للقيام بحركة مسلحة ضد عبد الكريم قاسم والحزب الشيوعي. وأخذ زمام المبادرة في ذلك كل من العقيد رفعت الحاج سري والعميد الركن ناظم الطبقجلي والعقيد الركن عبد الوهاب الشواف ، واستقر رأيهم على ان يعلن الطبقجلي العصيان في المنطقة الشمالية يسانده الشواف في الموصل ، ثم تتحرك العناصر العسكرية المؤيدة للحركة في بغداد فتستولي على معسكر الوشاش ومعسكر الهندسة في الرستمية وحامية وزارة الدفاع ، وتقوم باعتقال قاسم واتباعه ومطالبته بتقديم استقالته ثم يقوم فوج المدرعات الموالي للحركة باحتلال محطتي الاذاعة والارسال. اما القطعات المرابطة في الديوانية والمسيب واربيل وعقرة ، فتتحرك فجر يوم الحركة بعد اعلانها من محطة الاذاعة في الموصل. كما جرت اتصالات مع زعماء الاحزاب القومية ، وكلفوا بتنظيم مظاهرات للسيطرة على الشارع والتصدي للعناصر الشيوعية ، وحماية المراكز المهمة. وقد وافق على هذه الخطة ايضاً الفريق الركن محمد نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة دون ان يطلع على تفاصيلها ، واتفق بعد نجاح الثورة على اجراء تعديل وزاري ، كما تم الاتفاق على اطلاق سراح عبد السلام محمد عارف من سجنه دون اسناد اي منصب له. وتحميله مسؤولية انحراف الثورة الى جانب عبد الكريم قاسم ، والابقاء على مجلس السيادة برئاسة الربيعي ، وتشكيل مجلس قيادة الثورة ، واحتفاظ قادة الفرق العسكرية بمراكزهم[٣٤] .

ويعزى السبب في اختيار الموصل منطلقاً للثورة الى أن اغلب الضباط فيها كانوا ذوي ميول قومية ، فضلاً عن تأييد أهالي الموصل لهم ، والاطمئنان الى مساندة الفرقة الثانية في كركوك بقيادة ناظم الطبقجلي التي تعد آنذاك من اهم الفرق العسكرية بحيث تعطي للثورة زخماً قوياً على القطعات العسكرية الأخرى ، حتى في بغداد[٣٥] .

وقد أسهمت تطورات عقد مهرجان (انصار السلام) في الموصل ، والصراعات بين العناصر القومية والشيوعية في المدينة الى تهيئة الاجواء المناسبة لبدء حركة التغيير ، في الوقت الذي جرت فيه الاتصالات بين الشواف وسلطات الجمهورية العربية المتحدة التي وعدت بتقديم الدعم والاسناد. فقد ذكر رئيس المخابرات المصرية العامة آنذاك صلاح نصر ان وزير الداخلية في الجمهورية العربية المتحدة عبد الحميد السراج قام بالاتصال بعبد الوهاب الشواف بعد موافقة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وارسل من خلال ضباط المخابرات السورية وعلى رأسهم (برهان ادهم) عبر الصحراء مروراً بدير الزور محطة اذاعة* ، شحنت من القاهرة فضلاً عن أسلحة ومعدات فنية[٣٦] .

بيان الثورة :

وبعد الاتصالات العديدة التي تمت بين الشواف وكل من ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري اعلنت اذاعة الموصل في الساعة السابعة من صباح يوم الأحد الموافق ٨ آذار ١٩٥٩ ، بصوت الرائد محمود الدرة ، بيان الثورة وجاء في مقدمته: «ان الجيش العراقي الباسل عندما اعلن ثورته



الجبارة في صبيحة يوم ١٤ تموز وقضى على النظام الملكي الفاسد، واقام نظامه الجمهوري الخالد، لم يدر بخلده ولا بخلدكم ان يحل طاغية مجنون محل طاغية مستبد، وتزول طبقة استغلالية جشعة لتحل محلها فئة غوغائية تعبث بالبلاد والنظام والقانون فساداً، ويستبدل مسؤولون وطنيون بآخرين يعتنقون مذهباً سياسياً لايمت لهذه البلاد العربية الاسلامية العراقية بصلة».

واشار البيان الى ان عبد الكريم قاسم «خان ثورة ١٤ تموز» وعاث بمبادئها واهدافها ونكث بالعهد، وغدر باخوانه الضباط الاحرار، ونكل وأبعد اعضاء مجلس الثورة الاشاوس ليحل محلهم زمرة انتهازية رعناء.. واعتمد على فئة تدين بعقيدة سياسية معينة لاتملك من رصيد التأييد الشعبي غير التضليل والهتافات والمظاهرات.. وركب رأسه واعلنها دكتاتورية غوغائية فنحىٰ زعماء الثورة عن المسؤولية، واطلق للاذاعة والصحف عنان الفوضىٰ، لتخاصم جميع الدول وتشنها حرباً عدوانية على الجمهورية العربية المتحدة التي جازفت بكيانها من اجل نجاح ثورتنا، ودعم كيان جمهوريتنا، واستهتر بدستور جمهوريتنا المؤقت وسلب مجلس السيادة المؤقت كل مسؤولياته الدستورية، واعلنها حرباً شعواء على الجهات الوطنية والعناصر القومية المخلصة».

ومضى البيان يقول: «لهذه الاسباب عزمنا على تحرير وطننا الحبيب من الاستعباد والاستبداد وتخليصه من الفوضى، ونطالب بعزم واصرار بتنحي الطاغية المجنون وزمرته الانتهازية الرعناء عن الحكم فوراً، والقضاء على السياسة الغوغائية التي اخذت تمارسها فئة ضالة من شعبنا، لكي يسود النظام وحكم القانون». واكد البيان على ان مجلس السيادة ينبغي ان يقوم بمسؤولياته الدستورية، وتؤلف وزارة شرعية في العاصمة بالتعاون مع مجلس قيادة الثورة. وحذر البيان من اي تدخل خارجي في شؤون العراق الداخلية وقال «ان حركتنا حركة داخلية محضة من اختصاص الشعب العراقي وحده». ودعا البيان في الختام المواطنين ليخلدوا الى الهدوء والسكينة[٣٧].

وقد تناقلت وكالات الانباء والاذاعات المختلفة نصوص البيان، ورحبت اذاعة القاهرة وصحافة الجمهورية العربية المتحدة بثورة الموصل، وتابعت احداثها مستهجنة بلاغات اذاعة بغداد، ومعززة الاخبار القائلة بانتصار الثورة. مما حمل اذاعة بغداد على اتهام الجمهورية العربية المتحدة بالتحريض على الثورة ودعم الشواف، لكن الاخيرة انكرت مسؤوليتها المباشرة عن الثورة ووصفت اتهامات قاسم بانها تلفيقات ترمي الى تأجيج مشاعر العداء ضد الجمهورية العربية المتحدة[٣٨].

ويذكر اللواء الركن حسين العمري في هذا الصدد ان اجتماعاً تم بين بعض قادة الثورة في الموصل مع ناظم الطبقجلي وتقرر بموجبه السيطرة على القطار القادم من بغداد الى الموصل حاملاً عناصر مايسمىٰ «انصار السلام» وسحبه الى الحدود العراقية، في حين اقترح آخرون سحب القطار الى الحدود وحجز ركابه بصفة ضيوف عند شيوخ شمر. وقد اتفق على الرأي الأخير وتم ابلاغ رفعت الحاج سري بذلك لكن الاخير لم يوافق على هذه الفكرة وطلب تأجيل تنفيذها[٣٩].

كانت الفكرة الاساسية لدى الشواف وقادة الثورة انهم ان استطاعوا الصمود بضعة ايام فان وحدات الجيش العراقي سوف تساندهم[٤٠]. وتحلى العسكريون وجماهير المدينة باليقظة وضبط النفس بلا اعمال عنف أو حوادث مخلة بالأمن سوى اعتقال ابرز العناصر التي اشتركت في قيادة مظاهرات الشعب[٤١].

ردود فعل عبد الكريم قاسم تجاه الثورة:

وقد حاول عبد الكريم قاسم، فور سماعه نبأ الثورة المسلحة في الموصل اثناء حضوره احتفال يوم المرأة العالمي، الاتصال هاتفياً مع مقر آمرية موقع الموصل والتحدث مع بعض قادة الثورة مطالباً



اياهم بعدم تأييد الشواف لزرعه على حدّ قوله الفتنة والشقاق بين كبار ضباط الثورة. لكنه اخفق في مسعاه [٤٢] .

وكان لعدم تحرك قطعات كركوك لاسناد الثورة في الموصل اثر في تردد القطعات في بغداد وكذلك القطعات الاخرى في باقي انحاء العراق عن التحرك [٤٣] . وكذا الحال بالنسبة للقوى والاحزاب الوطنية والقومية باستثناء جماهير حزب البعث العربي الاشتراكي في بغداد التي خرجت بمظاهرة في جانب الكرخ تأييداً لثورة الموصل رغم شعورها بانتكاسة الثورة وعدم قدرتها على استقطاب قوى جديدة من الجماهير لمواجهة نظام قاسم [٤٤] . مما أعطى الفرصة لقاسم للتحرك السريع والفوري لقمع الثورة وهي في مهدها عن طريق الترغيب والتهديد واستخدام القوة العسكرية ، اذ استطاع منذ اليوم الاول عزل القوة العسكرية التي كانت بأمرة الشواف [٤٥] ومحاصرة العناصر القومية الموجودة في وزارة الدفاع واعتقالهم [٤٦] . بعد أن اكتشفت اجهزة أمن عبد الكريم قاسم نشاط الشواف واتصالاته مع السراج ، كما تسربت معلومات عن الثورة الى الاوساط الرسمية الدبلوماسية في بغداد. فقد ذكر صلاح نصر ان السفير البريطاني في بغداد «همفري تريفليان» كان اول من حذر قاسم من الخطر الذي ينتظره [٤٧] .

اجتمع قادة الثورة في الموصل في مقر اللواء الخامس برئاسة الشواف لبحث الموقف وخاطب الشواف المجتمعين بقوله «مالم يتحرك الجيش كله فاظنكم تعرفون ان معركتنا يائسة». ثم استطرد «بحسبنا على اي حال ومهما كانت النتائج فأنا اعلنا رأي الجيش العراقي باعلى صوت ، وليكن مايكن بعدها.. ومع ذلك فلو اننا صمدنا اربعة أيام او خمسة فاني واثق ان الجيش سيؤيدنا وكذلك الشعب». واستمر الاجتماع في تدارس الموقف واحتمالاته حتى الصباح ، ولم يكن قادة الثورة يدرون ماذا كان يجري داخل العراق ، وما اصداء حركتهم خارج العراق [٤٨] . بل وجدوا انفسهم وحيدين فكان ان اصبحت الثورة في وضع صعب للغاية [٤٩] .

تحرك سرب من الطائرات في بغداد ، وقصف صباح يوم ٩ آذار مقر الشواف ، في نفس الوقت الذي استقل فيه اثنان من طياري قاعدة فرناس الجوية في الموصل طائرتيها لقصف مقر عبد الكريم قاسم في وزارة الدفاع ومرسلات الاذاعة في ابي غريب ، لكن الاول عدل عن تنفيذ واجبه وفشل الثاني في اصابة هدفه [٥٠] .

استشهاد الشواف :

وقد اصيب الشواف بجراح اثناء الغارة الجوية على مقره ، ونقل بسيارة الى مستشفى وحدة الميدان الطبية السادسة في معسكر القوة الجوية ، في الوقت الذي بدأ فيه الارتباك والفوضى بين قطعات الجيش التي انقسمت على بعضها بين مؤيد للثورة ومؤيد لعبد الكريم قاسم. وقد اختلفت الروايات بشأن مصير الشواف ، فمنهم من يقول بانه انتحر عندما وجد نفسه امام بعض العناصر المؤيدة لقاسم في وحدة الميدان الطبية وهو جريح مفضلاً الموت على ان يقع بايدي اعدائه [٥١] . في حين يروي بعضهم الآخر انه اشتبك بقتال مع تلك العناصر حتى قتل [٥٢] . بينما تشير رواية اخرى الى ان احد العاملين في وحدة الميدان الطبية ويدعى (طه المختار) الذي كان يضمده استغل خلع الشواف لسترته وسحب مسدس الشواف واطلق النار عليه حتى نفذت كل طلقات المسدس وارداه قتيلاً في الحال ثم ولى هارباً الى خارج الموصل [٥٣] .

وعلى اية حال فقد تم نقل جثة الشواف الى بغداد وتم ايداعها في مستشفى الرشيد العسكري ، وبقيت هنالك يومين ثم دفنت بعد منتصف الليل من قبل ضابط عسكري واربعة جنود بسرية تامة في مقبرة الغزالي الواقعة شرقي بغداد في شارع الشيخ عمر. وقد مسح قبره مع



الارض بلا علامة يستدل بها الى موضع القبر[٥٤].

مجازر الشيوعيين في الموصل :

وكان من نتائج مقتل الشواف[٥٥]، وعدم حصول تحرك عام في المناطق الأخرىٰ من البلاد وبخاصة في بغداد الى جانب ثورة الموصل ان اختل توازن القوى، وحدث التراجع غير المنظم لدى أنصار الثورة والمسهمين فيها، فاستغل الشيوعيون هذا الوضع وتحركوا لينفذوا مآربهم الاجرامية ويرتكبوا ابشع صفحة دموية في تاريخ الموصل. ويحكموا سيطرتهم عليها باسناد ودعم السلطة لهم حيث جرى اعتقال بعض العناصر الوطنية والقومية واخراج بعضهم من دورهم وقتلهم وسحلهم في الشوارع، كما جرت عمليات نهب لدورهم وحرقها، يشاركهم فيها اتباع الملا مصطفى البارزاني الذين دخلوا بقواتهم الموصل وسيطروا على الجزء الشمالي من المدينة بأمر من عبد الكريم قاسم[٥٦]. كما فرض بعض العناصر اليزيدية تحت زعامة رئيسهم المدعو يزيدخان اسماعيل سيطرتهم على شرقي الموصل متخذين من منطقة النبي يونس (عليه السلام) قاعدة لهم. فيما قامت بعض فصائل الجيش ولاسيما افراد كتيبة الهندسة بالسيطرة على منطقة باب سنجار المؤدية للحدود السورية، وعلى مراكز الشرطة والنوادي ومنطقتي الساعة وباب الجديد[٥٧].

وشكل الشيوعيون محكمة فورية[٥٨] قامت باصدار احكام الاعدام بحق المشاركين في الثورة والتمثيل بجثثهم وتحويل المدينة الى حالة من الرعب والارهاب استمرت اربعة ايام لم يشهد العراق لها مثيلاً، وقد راح ضحيتها الكثير من الشهداء، وبلغت وحشيتهم أقصاها حين أقدموا على قتل حفصة علي العمري ووالدها وعلقوهما على عمود كهرباء[٥٩].

واستغل الشيوعيون العلاقات السلبية بين بعض الاهالي وبعض الاسر الغنية المعروفة في الموصل لاسباب اجتماعية وشخصية، وعملوا على اثارة عداء ضدها من قبل بعض الفئات كان من نتائجه وقوع الكثير من الضحايا وحوادث الطرق والنهب والاعتداءات. كما بادر الشيوعيون الى تحويل الصراع السياسي الى صراع دموي رهيب وواسع ضد سكان المدينة فارتكبوا ابشع الجرائم والممارسات الخطيرة. وادى ذلك كله الى تعميق شقة الخلافات بين اطراف الحركة الوطنية والاضرار بمصالح الشعب العراقي. وامتد هذا الوضع الى مناطق اخرى في العراق وبخاصة في كركوك التي ارتكبت فيها مذابح شنيعة بعد اربعة اشهر من ثورة الموصل[٦٠].

ولم يوافق عبد الكريم قاسم على طلب الطبقجلي المقدم الى رئيس اركان الجيش العميد الركن احمد صالح العبدي،بارسال قوات الى الموصل لاستعادة الأمن والنظام فيها، حيث اصر على ارتكاب المجازر بحق ابناء المدينة[٦١].

كما شهدت الموصل في الاشهر الاربعة التي اعقبت الثورة اقسىٰ فترات الظلم والطغيان، فامتلأت السجون والمعتقلات بالمئات من العناصر الوطنية والقومية وشرد منهم من شرد، وسخرت الاذاعة والصحافة للتشهير الرخيص بالمواطنين المشاركين في الثورة[٦٢].

وقد هدأت الاوضاع بعد ان احكمت قوات قاسم سيطرتها على المدينة، وتم اعتقال كبار القادة العسكريين، وفي مقدمتهم ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري وعبد العزيز العقيلي وغيرهم، واحيلوا الى المحكمة العسكرية العليا الخاصة[٦٣].

كما جرت اعتقالات واسعة بين صفوف العناصر الوطنية والقومية من المدنيين والعسكريين، ومثل امام المحكمة العسكرية العليا الخاصة والتي عرفت بمحكمة المهداوي نسبة الى رئيسها انذاك العقيد فاضل عباس المهداوي (وهو ابن خالة عبد الكريم قاسم) خمسة وسبعون متهماً من ضباط الجيش ومن العناصر المدنية، كان في مقدمتهم ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري وعبد العزيز العقيلي



وفاضل حمادي الشكرة وغيرهم. وصدرت الاحكام باعدام اثنين وعشرين من ضباط الجيش والمدنيين[٦٤]. وحكم بالسجن المؤبد والاشغال الشاقة على سبعة وعشرين من ضباط الجيش والمدنيين، وبرأت المحكمة ثمانية عشر من العسكريين والمدنيين ايضاً، ونفذ حكم الاعدام باربعة ضباط طيارين[٦٥]. وفي ٢٠ أيلول ١٩٥٩ نفذ حكم الاعدام بكل من ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري وداؤود سيد خليل وعزيز احمد شهاب[٦٦] وخليل سلمان وعلي توفيق واسماعيل هرمز وتوفيق يحيىٰ اغا ومجيد حميد الجلبي ويحيىٰ حسين الحماوي وزكريا طه وحازم خطاب وهاشم الدبوني.

لقد قوبلت احكام الاعدام بسخط شعبي عارم، عبرت عنه المظاهرات الكبرىٰ التي شهدتها بغداد والمدن العراقية الأخرى قامت بتنظيمها العناصر الوطنية والقومية وفي مقدمتها حزب البعث العربي الاشتراكي، الذي ادرك ضرورة التخلص من حكم عبد الكريم قاسم والتسلط الشيوعي على مقدرات البلاد[٦٧] كما اصدر حزب البعث العربي الاشتراكي العديد من البيانات التي دعا فيها جهازه الحزبي وجماهير الشعب العراقي الى مضاعفة النضال لازاحة الشيوعيين عن النقابات والجمعيات والاتحادات وفضح جرائمهم واعمالهم المشينة ضد الشعب[٦٨].

اسباب اخفاق الثورة :

وهنا لابد من تبيان اهم الاسباب التي ادت الى اخفاق ثورة الموصل ونجملها بما يأتي :

اولا – فقدان الانسجام بين الضباط القائمين بالثورة لاختلاف ميولهم وطموحاتهم الشخصية.

ثانياً – تحمل الضباط العاملون في وزارة الدفاع المسؤولية في عدم توسيع نطاق الثورة بسبب موقفهم السلبي منها، والذي لايفسر الا ان كل طرف من هذه الاطراف قد اعتمد على الطرف الآخر لانجاح الثورة من دون الإسهام فيها[٦٩]. وترك الشواف يواجه الموقف بمفرده على الرغم من تأكيداتهم المستمرة بالتحرك الفوري كل حسب الواجب المناط به فور اعلان الثورة في الموصل.

ثالثاً – تحسب الاجهزة الامنية من قيام اية حركة مضادة لنظام الحكم، بعد ورود معلومات عن تحركات الشواف ونشاطاته المناوئة لعبد الكريم قاسم وتسلط الحزب الشيوعي.

رابعاً – فقدان الاحتياطات الامنية لقاعدة الثورة في الموصل وتحسبها لاي طارئ، ولاسيما تعرضها لقصف جوي من قبل الطائرات الحربية الموالية لقاسم.

خامساً – قيام بعض عناصر الغدر والخيانة والارهاب بالتسلل الى داخل مدينة الموصل وقيامها باعمال القتل والنهب والتخريب، الى جانب العناصر الشيوعية مما اثر في معنويات سكان المدينة.

سادساً – الحملة الاعلامية التي كانت تقودها اجهزة الاعلام الرسمية ضد الثورة وقادتها.

سابعاً – مقتل قائد الثورة عبد الوهاب الشواف، وعدم وجود بديل يحل مكانه لمواصلة الثورة أسهم بشكل كبير في فشلها وانهيارها.

تقييم ثورة الموصل :

وبعد فلابد هنا من اعطاء تقييم لثورة الموصل والاشارة الى نتائجها وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة في الاوضاع السياسية في العراق على الرغم من اخفاقها وهي :

اولا – جاءت ثورة الموصل كانفعال وجداني بسبب سوء الاوضاع السياسية والاقتصادية... وازدياد نفوذ الشيوعيين واستفزازاتهم المتكررة. وهي ثورة قومية صادرة عن القلق من خطر الشيوعية، ووضحت للشعب لاول مرة في تاريخه كيف يمكن ان يكون حكم الشيوعيين.. كما كشفت الطريقة التي



من شهداء ثورة الموصل



من شهداء ثورة الموصل

نافع داود

اسماعيل هرمز

محسن عموري

غانم عموري

زكريا طه

يحيى حسين الحماوي

هاشم الدبوني

حازم خطاب

عبد الجواد حميد

محمد طاهر احمد

يونس خليل

صائب الصافي

محمد سعيد شهاب

سعد الله الزاوي

محمد فتحي

عبد الغني الجلبي

احمد عاشور



اخمدت بها هذه الثورة للشعب كذلك ان الحكم الشيوعي لايمكن ان يستغني عن منطق القوة والارهاب والتصفية ضد معارضيه(٧٠).

ثانياً- كانت ثورة، مدنية- عسكرية كما كانت في الوقت نفسه مظهراً من مظاهر حركة المعارضة الواسعة في البلاد طبيعتها قومية انفجرت في ظروف خاصة ضمن ظروف موضوعية صعبة(٧١).

ثالثاً- ان الأغلبية المطلقة من المشتركين في الثورة من مدنيين وعسكريين كانوا من الذين أسهموا دوماً في النضال الوطني والقومي، ولم يكونوا يوما من الايام في الصف المعادي للشعب، واغلبهم من الشباب المتحمس وطنياً وقومياً.

رابعاً- اثارة الشيوعيين للنعرات الطائفية والعرقية وتكريسهم الجهود لاستعداء بعض العناصر من الاقليات على القوى القومية المسهمة في الثورة أو المؤيدة لها، الأمر الذي ترك آثاره السلبية على المجتمع الموصلي ولفترة طويلة فيما بعد.

خامساً- ادرك عبد الكريم قاسم ان لثورة الموصل مضامين عديدة، حيث ان الذين قاموا بالثورة ليسوا من العناصر القومية فحسب، بل ان الانشقاق كان عميق الجذور في صفوف الجيش العراقي، ومما يمكن ان يؤدي الى انقسام البلاد، وحدوث صراعات دموية داخلية، ولذلك عمل على اتخاذ اجراءات حاسمة من اجل توحيد الجيش وعدم تقديم الدعم للشيوعيين بدرجة تجعلهم من القوة بحيث يتمردون عليه، او يصعب السيطرة عليهم(٧٢).

سادساً- كانت ثورة الموصل، والمجازر التي ارتكبت في اعقاب فشلها، الشرارة التي ولدت الانفجار، ولكن كان انفجاراً عفوياً غير منظم، أو فقد تنظيمه نتيجة الظروف المحيطة به. فكانت الثورة عملية فدائية كشفت الستار عن كل ما كان يدور على مسرح السياسة في العراق آنذاك. وكان في ثورة الموصل من الفروسية والحماسة والاندفاع اكثر ما كان فيها من دراية وتدبير وتنظيم بحيث إمتزجت فيها العاطفة الجياشة بالمشاعر الوطنية والقومية والكبرياء اكثر مما كان فيها من القدرة على التحكم بالظروف وحساب التحرك والخطوات ضمن خطة علمية مفصلة. ومع ذلك فقد كانت البداية الحقيقية التي صححت مسار ثورة الرابع عشر من تموز التي تحققت بقيام ثورة الثامن من شباط عام ١٩٦٣.

الهوامش:

(١) الضباط هم: (النقباء) محمود عزيز وحازم حسن العلي ومجيد الجلبي وعلي حسين الخفاف ومحمد سليم احمد، و(الملازمون الاولون) زكريا طه وكامل اسماعيل وسالم سلو و(الملازمون) حازم خطاب وهاشم الدبوني. انظر: خليل ابراهيم حسين، الصراع بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين وعبد الوهاب الشواف وضباط الموصل الوحدويين ج/ ٤ (بغداد، ١٩٨٩) ص ص ٤٠- ٤٢.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٢.

(٣) عبد الفتاح علي يحيى، الحياة الحزبية في الموصل ١٩٢٦- ١٩٥٨. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث غير منشورة (كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٩٠) ص ٣٨٠.

(٤) وائل علي احمد النحاس، تاريخ الصحافة الموصلية ١٩٢٦- ١٩٥٨، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة (كلية الآداب- جامعة الموصل ١٩٨٨) ص ٣٢٩.

(٥) صحيفة (الرائد)، ١٩ تموز ١٩٥٨.

(٦) النحاس، المصدر السابق ص ٣٣٠.

(٧) للتفاصيل انظر: عوني عبد الرحمن السبعاوي، العلاقات العراقية التركية ١٩٣٢- ١٩٥٨ (الموصل، ١٩٨٦) ص ص ٢٠١- ٢٢٣.

(٨) انظر، نص البيان في صحيفة (فتى العراق)، ٢٤ تموز ١٩٥٨.

(٩) يحيى: المصدر السابق ص ٣٨٣.

(١٠) المصدر نفسه ص ٣٨٤.

(١١) صحيفة (فتى العراق)، ١٠ آذار ١٩٦٣.

(١٢) يحيى: المصدر السابق ص ٣٨٥.

(١٣) حسين: المصدر السابق ص ص ٤٥- ٤٦.

(١٤) سمير عبد الكريم، اضواء على الحركة الشيوعية في العراق، الجزء الثاني، ١٤ تموز ١٩٥٨- ٨ شباط ١٩٦٣ (بيروت، دار المرصاد د. ت) ص ٦٢.

(١٥) صحيفة (اتحاد الشعب)، ٢٧ شباط ١٩٥٩.



(١٦) انصار السلام، منظمة اسست في بغداد عام ١٩٤٦، عندما سمح للاحزاب السياسية باستئناف نشاطها. ولكن منظمة انصار السلام الغيت بعد سنتين بقرار من الحكومة لكونها تدعو في الخفاء للافكار الشيوعية، ثم عاودت المنظمة نشاطها بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ تحت قيادة عزيز شريف. وكانت هذه المنظمة قد عقدت بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عدداً من الاجتماعات في بغداد وفي غيرها من مدن العراق الجنوبية بغية الترويج لافكارها وسياستها. وفي اوائل عام ١٩٥٩، قررت المنظمة نقل نشاطها الى المدن الشمالية في العراق انظر:
M. kadduri, Independent Iraq 1932– 1958, (London 1960) pp. 71 – 72.
وكذلك: مجيد خدوري، العراق الجمهوري (بيروت، الدار المتحدة للنشر ط/ ١، ١٩٧٤) ص ١٤٧.

(١٧) صحيفة (اتحاد الشعب)، ٢ آذار ١٩٥٩.

(١٨) ولد عبد الوهاب عبد الملك الشواف في بغداد عام ١٩١٦، في عائلة عرفت بالعلم والتمسك بالدين. وكان والده من كبار العلماء في اللغة والادب والفقه، وشغل العديد من المناصب الدينية والادارية كان آخرها رئيساً لمحكمة التمييز الشرعي. تخرج في كلية الاركان، ورحل الى باريس لمدة تسعة اشهر في اجازات متوالية، ولم يعد الى العراق الا في سنة ١٩٥٢.
وبعد ان دخل مدرسة الاقدمين في بريطانيا. انتمى الشواف لحركة الضباط الأحرار عام ١٩٥٣ واصبح من الضباط البارزين فيها. وكان يدعو الى تبني الاهداف الوطنية والقومية، ومن الداعين لانضمام العراق الى الوحدة السورية المصرية التي قامت في شباط ١٩٥٨ وسميت بالجمهورية العربية المتحدة. وكان الشواف احد ثلاثة قادة تولوا الاعداد للقيام بمحاولة الثورة ضد الحكم الملكي في العراق في ١١ مايس ١٩٥٨ مع رفعت الحاج سري وعبد اللطيف الدراجي. ولم يكن الشواف على وفاق مع عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف في المناقشات التي كانت تدور قبل قيام ثورة ١٤ تموز حول الثورة ومستقبل نظام الحكم في العراق وانشاء مجلس قيادة الثورة. وعين الشواف بعد قيام الثورة آمراً للواء الخامس في الموصل. للتفاصيل انظر، حسين، المصدر السابق ص ص ١٦ – ٢٧.

(١٩) ثورة الموصل على حقيقتها، كيف بدأت وكيف انتهت وماذا اثرت، مجلة الحرس القومي، العدد الرابع (خاص). تشرين الاول، ١٩٦٣ ص ٢٧.

(٢٠) المصدر نفسه ص ٢٧.

(٢١) المصدر نفسه ص ٢٧.

(٢٢) دفاع الشهيد رفعت الحاج سري، مجلة الحرس القومي، المصدر السابق ص ٣.

(٢٣) دفاع الشهيد ناظم الطبقجلي، مجلة الحرس القومي، المصدر نفسه ص ٢.

(٢٤) قام العميد الركن طه الشيخ احمد بتخصيص اربع قطارات، كل قطار مكون من خمس عشرة عربة من الدرجتين الاولى والثانية لنقل اعضاء مهرجان انصار السلام من بغداد الى الموصل، على ان تبقى هناك الى ان ينتهي المؤتمر من اعماله ليعود بهم الى بغداد، وان تضاف الى كل قطار عربة نوم مخصصة لرؤساء المهرجان. كما اتفق الشيوعيون مع شركة الرافدين لنقل اعضاء المهرجان بالسيارات من بغداد الى الموصل، ثم بدأت الطائرات تحمل زعماء الحزب الشيوعي الى الموصل. انظر: يونس بحري، ثورة ١٤ رمضان المباركة (بيروت، دار الاندلس للطباعة والنشر ط/ ٢، ١٩٦٣) ص ٦٥؛ ثورة الموصل الباسلة على حقيقتها، المصدر السابق ص ٢٦.

(٢٥) رشيد البدري، مجزرة الموصل (القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، د. ت) ص ١٨.

(٢٦) دفاع الشهيد رفعت الحاج سري، المصدر السابق ص ٣.

(٢٧) دفاع الشهيد ناظم الطبقجلي، المصدر السابق ص ٢.

(٢٨) قدري قلعجي، تجربة عربي في الحزب الشيوعي (بيروت، دار الكاتب العربي، د. ت) ص ص ٢٤٤ – ٢٤٥.

(٢٩) عبد الكريم، المصدر السابق ص ٦٥.

(٣٠) قلعجي، المصدر السابق ص ٢٤٥.

(٣١) عبد الكريم، المصدر السابق ص ٦٧.

(٣٢) لمزيد من التفاصيل انظر: عبد الستار الهماوندي، مجازر الدم في الموصل (لا.د.ت) ص ص ١٢٦ – ١٣٥.

(٣٣) البدري، المصدر السابق ص ص ٢٦ – ٢٧.

(٣٤) لمزيد من التفاصيل انظر: ليث عبد الحسن الزبيدي، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق (بغداد، دار الرشيد للنشر ١٩٧٩) ص ص ٤٣٠ – ٤٣٣.

(٣٥) قلعجي، المصدر السابق ص ٢٤٦.

* كانت اذاعة الموصل آلة متنقلة لايزيد حجمها عن متر مكعب واحد، وكانت لاتذيع الاّ على الموجة القصيرة مما تعذر سماع بيان الثورة من المواطنين في انحاء العراق وخارجه، وحمل قادة الثورة الى الاتصال بدمشق واذاعة البيان من جديد من اذاعة دمشق بعد حوالي خمس ساعات انظر: محمود الدرة، ثورة الموصل القومية، فصل في تاريخ العراق المعاصر (بغداد، منشورات مكتبة اليقظة العربية ط/ ١، ١٩٨٧) ص ١٢٨.

(٣٦) صلاح نصر، عبد الناصر وتجربة الوحدة (القاهرة، ١٩٧٦) ص ١٧٧.

(٣٧) انظر: نص البيان في، الدرة، المصدر السابق ص ص ١٣٣ – ١٣٦، فوزي، المصدر السابق ص ص ١٣٩ – ١٤٢، عبد الكريم، المصدر السابق ص ص ٦٩ – ٧١. يشير المحامي رمزي العمري الى ان بيان الثورة الاول كان قد كلف بكتابته من قبل طاهر يحيى مدير الشرطة العام والمحامي سامي باش عالم، والذي اطلع عليه الطبقجلي ووافق على ماجاء بمضونه واعيد الى الموصل لاذاعته. لكن البيان استبدل ببيان آخر كتبه محمود الدرة. وكان البيان الاول قد اخذ بنظر الاعتبار واقع عبد الكريم قاسم الشعبي في ذلك الوقت، واستعرض الانحرافات التي حدثت بعد الثورة، وعودة الخلاف بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، وتسليم المراكز القيادية والحساسة الى القوى والعناصر الشعوبية والشيوعية، وفيه الطلب من عبد الكريم قاسم بتصحيح هذا الانحراف وذلك بان يشكل مجلس قيادة الثورة من كبار الضباط الاحرار يكون هو السلطة العليا في الدولة،



واستبدال الوزارة باخرى، وانه اذا لم يلب مطالب الجيش خلال ١٢ ساعة فانه سيقوم بتنفيذ مطاليبه ويتحمل عبد الكريم قاسم مسؤولية ذلك انظر: حمزة مصطفى، الجوانب الخفية في ثورة الشواف، (مجلة آفاق عربية، العدد الثالث ١٩٨٨) ص ٥١. وقد اكد محمود الدرة من جانبه ذلك وذكر أنه هو الذي قام باستبدال البيان ببيان آخر كتبه بخط يده وسلمه الى الشواف مساء يوم ٧ آذار ١٩٥٩ ووافق عليه. لان البيان الذي كتبه رمزي العمري حسب رأي الدرة لم يكن سوى عريضة مرفوعة لعبد الكريم قاسم يطالب موقعوها فيه بالتنازل عن بعض مناصبه وبتعديل وزاري فحسب، وهذا لاينسجم وروح الثورة انظر: الدرة، المصدر السابق ص ١٢٥.

(٣٨) Benjamin shwadran; The power struggle in Iraq (New york 1960) P. 41.

(٣٩) مصطفى، المصدر السابق ص ٤٨.

(٤٠) قلعجي، المصدر السابق ص ٢٤٦.

(٤١) ثورة الموصل الباسلة على حقيقتها، المصدر السابق ص ٢٧.

(٤٢) للتفاصيل، انظر: احمد فوزي، قصة عبد الكريم قاسم كاملة، (القاهرة، ١٩٦٣) ص ص ١٥٦ - ١٦٠.

(٤٣) قلعجي، المصدر السابق ص ٢٤٦.

(٤٤) فؤاد الركابي، الحل الاوحد (القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٣) ص ٢٤.

(٤٥) قلعجي، المصدر السابق ص ٢٤٦، الزبيدي، المصدر السابق ص ٢٣٨.

(٤٦) للتفاصيل، انظر: الزبيدي، المصدر السابق ص ص ٤٣٩ - ٤٤٢.

(٤٧) نصر، المصدر السابق ص ١٧٨.

(٤٨) ثورة الموصل الباسلة على حقيقتها، المصدر السابق ص ٢٨.

(٤٩) حازم حسن العلي، انتفاضة الموصل (بغداد، منشورات الدار العربية، ١٩٨٨) ص ٨٢.

(٥٠) فوزي، المصدر السابق ص ١٦٢.

(٥١) انظر: خليل ابراهيم حسين، الصراع بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين وعبد الوهاب الشواف وضباط الموصل الوحدويين ج/ ٤ (بغداد، ١٩٨٩) ص ٢٠٢، وكذلك: حازم حسن العلي «انتفاضة الشواف في الموصل»، مجلة آفاق عربية، العدد ٢٦١، ١٩٨٦ ص ٥٥؛ دفاع الشهيد رفعت الحاج سري، المصدر السابق ص ٢٦.

(٥٢) وزارة الدفاع، محاكمات، المحكمة العسكرية العليا الخاصة ج/ ١٢ (بغداد- مطبعة الحكومة ١٩٥٨ - ١٩٦١) ص ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٥٣) فوزي، المصدر السابق ص ص ١٦٣ - ١٦٤.

(٥٤) خالد قادر، طريق الى ام الطبول (بيروت، شركة الطبع والنشر الاهلية، ١٩٦٠) ص ص ٨٤ - ٨٦.

(٥٥) الضباط الذين استشهدوا في الموصل اثناء الثورة هم: العقيد الركن عبد الوهاب الشواف والمقدم صديق زين العابدين والمقدم سعد الله الراوي والمقدم جلال الخشالي والرائد محمد سعيد شهاب والرائد يونس خليل والرائد احمد فتحي والرائد محمد طاهر عمر اغا والنقيب عبد الجواد عبد الحميد الصائغ والنقيب اسماعيل قصاب باشي والملازم الاول عبد الغني مصطفى الجلبي والملازم الاول خيري الخيرو والملازم الاول حسام الدين شاكر والملازم الاول غانم عموري والملازم حازم الحمطاني والملازم الطيار صائب الصافي والامام توفيق علي النعيمي. اما ضباط الصف الذين استشهدوا اثناء الثورة في الموصل فهم النائب ضابط كاتب عبد الله عزيز والعريف محمد محمود ونائب العريف داود جلود ونائب العريف يونس فتاح. اما عدد المدنيين الذين استشهدوا اثناء الثورة فكانوا ٧٢ شهيداً. انظر، حسين، المصدر السابق ص ص ٣٠٦ - ٣٠٨. وكذلك العلي، المصدر السابق، ص ص ٢٢١ - ٢٢٣.

(٥٦) للتفاصيل انظر، عبد الكريم، المصدر السابق ص ص ٧٤ - ٨٢.

(٥٧) الدرة، المصدر السابق ص ١٦١.

(٥٨) وكان من ابرز عناصر هذه المحكمة عبد الرحمن القصاب الذي هرب بعد ذلك الى خارج العراق. انظر: البدري المصدر السابق، ص ٢٧.

(٥٩) لمزيد من التفاصيل، انظر: هلال ناجي، حتى لاننسى، فصول من مجزرة الموصل (بغداد، ١٩٦٣)؛ شاكر مصطفى سليم، نصال وحبال، الجزء الثالث من مذكرات (قومي متآمر)، (بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٣)؛ الكتاب الاسود «اعترافات الشيوعيين»، السلسلة السياسية (١)، (بغداد- وزارة الارشاد، طبع دار الجماهير، ١٩٦٣).

(٦٠) عبد الكريم، المصدر السابق ص ص ٨٢ - ٨٣.

(٦١) البدري، المصدر السابق ص ١٩.

(٦٢) ابراهيم خليل احمد «الموصل في العصور الحديثة» في، عامر سليمان (وآخرون): محافظة نينوى بين الماضي والحاضر (الموصل، ١٩٨٦) ص ١٢٦.

(٦٣) Shwadran; op. cit. p. 44

(٦٤) لمعرفة جميع اسماء الذين مثلوا امام محكمة المهداوي انظر (المحاكمات، المجلد الثاني عشر ص ١٦٩ - ١٧٠ والمجلد الثالث عشر من ص ١ - ص ٨، والمجلد الثامن عشر من ص ١ - ص ٧ والمجلد التاسع عشر من ص ١ وما بعدها، ويلاحظ كذلك محاضر محاكمات القادة في المجلدين الثامن عشر والتاسع عشر.

(٦٥) نفذ حكم الاعدام فيهم في ٢٧ آذار ١٩٥٩، وهم: عقيد الجو عبد الله ناجي والنقيب الطيار قاسم محمد علي العزاوي والملازم اول الطيار احمد عاشور والملازم الطيار فاضل ناصر.

(٦٦) نفذ حكم الاعدام يوم ٢٥ آب ١٩٥٩ في كل من: النقيب الركن نافع داود والنقيب محمد امين عبد القادر والملازم الاول سالم حسين السراج والملازم مظفر صالح الأمين والملازم محسن اسماعيل عموري. واعدم شنقاً في سجن بغداد المركزي الرفيق فاضل حمادي الشكرة. وهناك غيرهم ممن حكم عليهم بالاعدام ثم خفض الى السجن مع الاشغال الشاقة وعددهم سبعة ضباط وهم؛ المقدم كامل الدبوني والمقدم يوسف كشمولة والمقدم عبد الله الجبوري والنقيب صديق سيد علي الصفار والنقيب حازم حسن العلي والنقيب صديق اسماعيل الكتبي



والنقيب محمد سعيد قاسم. وهنالك ايضاً نحو ستة وعشرين ضابطاً وضابط صف واحداً ممن حكموا بالسجن فقط ثم افرج عنهم فيما بعد. للاطلاع على هذه الاحكام انظر: المحاكمات، المجلد الثاني عشر ص ٣٠٧، والمجلد الثالث عشر ص ٣٤٨ و٣٥٣ والمجلد الثامن عشر ص ٤١٦ - ٤١٧ والمجلد التاسع عشر ص ٤٥٧. والتجأ نحو اربعة عشر ضابطاً من جحفل اللواء الخامس بعد فشل الثورة الى سوريا.

(٦٧) شفيق عبد الرزاق السامرائي، حزب البعث العربي الاشتراكي ودوره في السياسة العربية، منذ نشأته حتى الانفصال (بغداد، ١٩٨٠) ص ٢٣٩.

(٦٨) نضال البعث، ج/ ٧ (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر ط/ ٣،١٩٧٦) ص ص ٣٣، ٣٩، ٤٣.

(٦٩) الدرة، المصدر السابق ص ص ٣٦٢- ٣٦٤.

(٧٠) نضال حزب البعث العربي الاشتراكي عبر بيانات قيادته القومية ١٩٥٥-١٩٦٢، (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر ط/٢، ١٩٧١) ص٥٧.

(٧١) نضال البعث، ج ٧، المصدر السابق ص ٤٤.

(٧٢) Middle East Affairs, London Vol, 2 Feb 1960. p. 60.

التطورات الادارية والاقتصادية

النظام الاداري

د. سيار كوكب علي الجميل

مقدمة:

لقد مرت ادارة البلاد العراقية بعد زوال الحكم العثماني باربع مراحل خلال النصف الاول من القرن العشرين، تطوّرت خلالها آليات العمل الاداري واساليب السياسة الداخلية وتأسيس الاجهزة والمؤسسات والمرافق الادارية، ويمكننا اجمالها في الآتي:

١- مرحلة الاحتلال البريطانية للفترة من ١٩١٤- ١٩٢٠م وهي مرحلة فرض الهيمنة الاستعمارية والتخلّص من رواسب النظام العثماني وتشكيل الادارات الجديدة وظهور التقسيمات والهياكل في المناطق المختلفة، اضافة الى انبثاق الجيش العراقي(١)..

٢- المرحلة التأسيسية للفترة ١٩٢٢- ١٩٢٧م بعد تأسيس «الدولة» عام ١٩٢١م سيطر الانكليز خلالها على ادارة البلاد. وكان المندوب السامي اقوى سلطة في العاصمة. «وفي الألوية العراقية كان المفتشون الاداريون الانكليز يقومون بالادارة الحقيقية، ولم يكن للمتصرفين سوى دور ثانوي. وكان المفتشون الانكليز يحيطون المندوب السامي علماً بجميع الشؤون المحلية..»(٢).

٣- المرحلة شبه المستقلة الثالثة للفترة ١٩٢٧- ١٩٣٢م، استطاع العراقيون خلالها ان يشاركوا مشاركة فعّالة في ادارة البلاد، فبموجب معاهدة سنة ١٩٢٧م (غير المصدّقة) حصل العراق على استقلال اوسع مما كان عليه الحال في معاهدتي سنة ١٩٢٢م، وسنة ١٩٢٦م فقلّ دور الموظفين البريطانيين، ونقص عددهم في حين ازدادت مشاركة العراقيين في الادارة زيادة واضحة(٣).

٤- المرحلة المستقلة الرابعة للفترة ١٩٣٢ - وما بعدها، وقد تحقّق خلالها ما كان يصبو اليه العراقيون من طموحات بزوال الانتداب عام ١٩٣٢، اثر عقد معاهدة ١٩٣٠، والواقع ان السياسة الادارية التي اتبعها الانكليز في العراق قد



تميّزت بصفة «التدرّج البطيء». فقد انتقلت من الادارة المباشرة الى الادارة المشتركة، ثم اخيرا الى الادارة المستقلة[٤].

الحياة الادارية القديمة:

التشكيلات العثمانية: عهد الاصلاحات:

كانت الموصل أبانَ العهد العثماني تمثل ولاية مهمّة في كيان الدولة العثمانية، وعلى الاخص ابان القرن الثامن عشر عندما حكمها الجليليون للفترة ١٧٢٦ - ١٨٣٤م، ولم تتجدّد حياتها الادارية على عهد الوالي محمد باشا اينجه البيرقدار ١٨٣٣ - ١٨٤٣م على الرغم من اصلاحاته المتنوعة فيها والتي اداها في مرافق اخرى[٥]. وقد ضعفت أهميتها ومكانتها الادارية على عهد الولاة الاتراك الذين حكموها خلال القرن التاسع عشر، والذين ارتبطوا ارتباطاً مباشرا بالمركزية العثمانية. وفي سنة ١٨٧٩م، اصبحت ولاية الموصل تضمّ سنجقي (لواءي) كركوك والسليمانية اضافة الى سنجقها الاداري. فبلغت مساحتها حوالي (٩١,٠٠٠) كيلو متراً مرّبعاً[٦]. وبلغ عدد نفوسها سنة ١٩٠٧م قرابة (٣٥١,٢٠٠) نسمة[٧].

لقد ضمت سناجق ولاية الموصل عدة أقضية، هي:

١ - ستّة أقضية في سنجق الموصل، هي: الموصل/ العمادية/ زاخو/ سنجار/ عقرة/ دهوك.

٢ - ستّة أقضية في سنجق كركوك، هي: كركوك/ أربيل/ رانية/ راوندوز/ كويسنجق/ كفري.

٣ - خمسة أقضية في سنجق السليمانية، هي: السليمانية/ كلعنبر/ معمورة الحميد/ بازيان/ شهربازار[٨].

وكان الجهاز الاداري لولاية الموصل قد جدّد على عهد مدحت باشا والي العراق ١٨٦٩ - ١٨٧٢م، فغدت تُديرها مجموعة من الموظفين العثمانيين (= الافندية) الذين يقف الى جانبهم عدد من الاعضاء المنتخبين لهيئة دعيت بـ «مجلس الادارة» ويقف على رأس الجميع «الوالي» الذي يمّثل سلطة الدولة في الولاية، وله اختصاصاته التي حدّدها قانون الولايات لسنة ١٨٦٤م وقانون ادارة الولايات العمومية لسنة ١٨٧١م. وقد طرأت على هذين القانونين عدّة تعديلات حتى صدور قانون الولايات الجديد لسنة ١٩١٣. وكانت هيئة من الموظفين الاداريين الكبار تعمل تحت امرة الوالي، وتتكّون من نائبه والدفتردار والمكتوبچي والقاضي وقائد الجندرمة ومفتش الصحة ومدير الدفتر الخاقاني ومدراء المعارف والزراعة والاوقاف والاملاك والبلدية وغيرها[٩].

وقد نظّمت الادارة في ولاية الموصل على غرار بقية الولايات العثمانية من خلال مجالس ادارة، كانت تعمل جنباً الى جنب مع رؤساء الوحدات الأدارية الذين لا يمكنهم التفرّد بالسلطة الادارية، والمجالس هي:-

١ - مجلس الولاية العمومي برئاسة الوالي واجتماعه سنوي.

٢ - مجلس ادارة الولاية من الموظفين ومن المنتخبين.

٣ - مجلس ادارة اللواء.

٤ - مجلس ادارة القضاء.

٥ - مجلس ادارة الناحية.

٦ - مجلس ختيارية القرية[١٠].

التقسيمات السابقة:

اشتهرت الموصل منذ العهد العثماني بكثرة تقسيماتها الادارية نظراً لكثرة توابعها ونواحيها والعدد الكبير لقراها وعشائرها المتنوعة، إذ بلغ عدد قرى الموصل في القرن التاسع عشر (٣٣٢١) قرية، في حين بلغ عدد قرى بغداد (٤٧) قرية فقط، اما البصرة، فبلغ عدد قراها (٢١٠) قرية[١١]. ومن هنا تبرز لنا أهمية الموصل من جميع النواحي عند مطلع القرن العشرين.

وبعد عهد الاصلاحات العثمانية في النصف

الثاني من القرن التاسع عشر، عهد تحوّلات واسعة النطاق على مستوى النظام الاداري بين الولاية ومتصرفية اللواء. فضلاً عن بناء وتأسيس مؤسسات جديدة في مركز الولاية، عملت جنبا الى جنب مع اجهزة الولاية الاخرى.. ان دوائر جديدة كالبلدية والمتصرفية ومجالسها الادارية والبلدية والطابو والاملاك السنية وغيرها كانت نتاجات حقيقية لتلك الاصلاحات الشهيرة، وعلى الاخص في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦-١٩٠٩م.

السيطرة البريطانية: احتلال الموصل

عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م، كان العراق جزءاً من أثمن الممتلكات الاستراتيجية للدولة العثمانية التي دخلت الحرب مع المانيا القيصرية ضد الحلفاء، فكان العراق عرضة للهجوم والاحتلال البريطاني بولاياته الثلاث: الموصل وبغداد والبصرة. وكان لكل ولاية ثلاث متصرفيات.. وعندما وضعت الحرب الاولى أوزارها، غدا العراق واقعاً تحت سيطرة الاحتلال البريطاني من شماله حتى جنوبه.. فماذا جرى من تغيّرات تاريخية؟ وماهي طبيعة الادارة البريطانية في الموصل؟ وما المؤسسات الجديدة؟

بقيت الموصل آخر مدينة عراقية كبرى دخلها الانكليز بعد زحفهم اليها من بغداد وذلك بعد استسلام القائد العثماني علي احسان باشا لشروط الهدنة (= هدنة مدروس) وجاءت الاوامر من استانبول بجلاء الاتراك العثمانيين، فاحتلّت القوات البريطانية مدينة الموصل[١٢]. وكان الكولونيل (العقيد) جيرارد أ. ليجمن قد لعب دوراً سرّياً خطيرا قبل ذلك بزمن طويل في ترتيب ذلك الحدث، عندما بقي يعيش في مدينة الموصل واطرافها متخفياً بزي اعرابي فقير ينام في الازقة والطرقات، دارساً اوضاعها كافة[١٣]. وكان ليجمن أول الداخلين مع ثلّة من جنده الى سراي الموصل في يوم ٨ تشرين الثاني ١٩١٨، ورفع العلم البريطاني فوقهُ، وتسلّم البلد كأوّل حاكم سياسي لاقليم الموصل بعد انسحاب علي إحسان باشا وجيشه العثماني[١٤]. وبدأت منذ هذا الحدث حياة الموصل في تاريخها المعاصر وهكذا ايضا، كان ليجمن مع بعض افراد جنده قد ذهب الى بعض اقضية الموصل ليرفع العلم البريطاني فوق دوائرها الادارية، وعلى الاخص سنجار وتلعفر.. وغيرها[١٥].

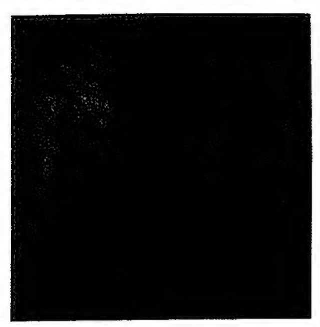
الادارة البريطانية:

لقد كان جيرارد أ. ليجمن lieut Col. G.E. Leachman اول حاكم عسكري وسياسي معا للموصل، إذ تسلّم مقاليد السلطة من القاضي مستخدماً جميع امكانياته العسكرية وقوته السياسية وانشطتهِ الادارية الى حد أقصى.. ولما يزل الضباط الاتراك يتسارعون لحسم امورهم وبيع ذخائرهم وعددهم العسكرية، في حين كان الموظفون الاداريون الاتراك يقومون باخفاء السجلات المدنية أوحرقها، كما كانت الشرطة التركية تعرقل توسيع النفوذ البريطاني في انحاء الولاية الواسعة بقراها ونواحيها.. بجبالها وفيافيها. وكان ليجمن يُصدر بياناته ومنها اعلانه بمنع التجول، وقام بغارات على دور الموظفين والضباط الاتراك وعلى الدوائر الرسمية بهدف جمع السجلات الرسمية واعتقال من يشتبه بهم.. ثم أصدرَ اوامره بتعيين البعض من وجهاء المدينة في مناصب رسمية في المدينة وأقضيتها، كما اتخذ اجراءات عدّة لتدبير شؤون الامن والنظام[١٦] ويشير المؤرخ الموصلي عبد المنعم الغلامي الى الاساليب الفظة القاسية التي استخدمها ليجمن في فرض سلطته على الموصل[١٧]. وقد استطاع ليجمن ان يسيطر على اوضاع الموصل الامنية والادارية بسرعة قصوى، ويفرض قوّته السياسية.

كانت اعادة تنظيم الادارة في الموصل باشراف

البريطانيين– كما تذكر المس گيرترود بيل– اسهل بكثير مما كانت في باقي المدن العراقية، وذلك لأنّ سجلاتها الرسمية كانت مضبوطة، ومؤسساتها الادارية قائمة واكثرية موظفيها العاملين في العهد العثماني كانوا متواجدين في الموصل [١٨] .

باشر الحاكم السياسي البريطاني ليجمن بادارة الشؤون الداخلية للموصل حسب مارآه مناسباً ومطبقاً للتعليمات الصادرة له من قبل الحاكم العسكري العام ببغداد الذي منحهُ صلاحيات عزل الموظفين أو تعيينهم، وكذلك معاقبة الاهالي إذا اساءوا واكرامهم إذا اصابوا (كذا). وعملت السلطات البريطانية المحتلة على تغيير البنية الادارية العثمانية السابقة، فقفلوا المدارس، وعطلّوا المحاكم، وألغوا الدوائر الاخرى، واتخذوا تشكيلات ادارية جديدة. واستحدثت دائرة جديدة هي وظيفة (مستشار الحاكم السياسي) فوقع الاختيار على النائب الموصلي السابق في مجلس المبعوثان داؤد يوسفاني الذي اصبحَ اعتباراً من ٢١ آذار ١٩١٩ مستشاراً للكولونيل ليجمن [١٩] . وبقي



داؤد يوسفاني مستشار الحاكم السياسي

الوضع هكذا حتى اعلان صيغة الانتداب على العراق سنة ١٩٢٠.

وقد بدأت السلطات البريطانية باعتماد صيغة «المجالس البلدية» التي بررّت وجودها: التدريب على الحكم الذاتي من خلال تلك المجالس، فكانت تلك «المجالس» بمثابة خطوة اولى على طريق تأسيس حكومة وطنية ومنح العراقيين فرصة التدريب الاوّلي على اسلوب القيادة الجماعية، فتأسّست المجالس البلدية في كل من البصرة وبغداد والموصل، فجرت انتخابات المجلس البلدي في الموصل في ٢١ تموز ١٩١٩ ليحّل محل المجلس البلدي العثماني السابق، ثم بدأت عملية الانتخابات لعشرة اسماء من رجالات الموصل [٢٠] .

طبيعة الادارة البريطانية في الموصل:

لم يكن هناك تمايز واضح بين ماهو سياسي وعسكري، وبين ما هو خدمي او تنفيذي. ولكن يبدو لنا من خلال دراسة بعض التقارير البريطانية: أن الميادين التنفيذية شغلتها نسبة أعلى من الموظفين العراقيين الموصليين الذين ورثوا وظائفهم واعمالهم من العهد العثماني، والذين وقف الى جانب رؤسائهم مستشارون بريطانيون، في حين بقيت الشؤون الشرعية والقضائية والوقفية وغيرها.. كلها بيد أبناء البلد. أما المناصب العليا، فقد احتكرها الانكليز. وقد غدت الموصل تحت حكم ضابط سياسي يستقّر في مركز المدينة.. اما الوحدات الادارية التابعة الاصغر، فكان يديرها معاونو الضابط السياسي الذي يرتبطون به في المركز. بمعنى: ان المناصب الخطيرة التي تتخذ السلطة والقرار كانت بيد الانكليز، اما المناصب غير الفعالة سياسياً او عسكرياً او ادارياً فكان بعضها بيد ابناء المدينة وبرواتب منخفضة، وقد اشتغل بعضهم في دوائر الشرطة والليفي ولكن برتبٍ غير ادارية [٢١] . ومن المعروف ان جيش الاحتلال كان يتألف من البريطانيين والهنود والسيخ، ولم يكن في صفوفه أياً كان من العراقيين، سواء اكانوا ضباطاً ام مراتب.

الكفاءات الادارية لرجالات الموصل:

نجح المثقفون الموصليون من الخريجين والضباط والاداريين والمدرسّين والعلماء ان يثيروا جملة مشاكل حيال الحكم البريطاني المباشر للموصل الذي لم يدمْ طويلاً مقارنة بزمنهِ في كلٍّ من البصرة



وبغداد.. وان السياسة الادارية البريطانية كانت قد شحنت العراق كلّه بالخطورة واثارة روح الوطنية. كونها اعتمدت على الملاكات البريطانية والهندية في الادارة المؤقتة بحجة النقص في الكفاءة والتخصص.. وهو تبرير لايتفّق في مجمله والواقع العراقي بشكل عام والحياة الاصلاحية – العثمانية في الموصل بشكل خاص هذا فضلاً عن الواقع المثقل بالتناقضات ما كان يدركه الا اهله من الواعين والمثقفين[٢٢] .. اضافة الى ان تلك البداية ستكون خطوة تمهيدية لتشكيل حكومة عراقية صرفة، خصوصاً وان الموصل ستختلف عن بغداد والبصرة نظراً لقدم التجربة الاصلاحية البيروقراطية العثمانية في الموصل، فضلاً عن احتوائها على العدد الكبير من الموظفين والضباط والمتعلمين[٢٣] .

يقول بيرترام توماس: «يتوضح من خلال التعرّف على المجتمع العراقي بأن طبقة الموظفين هناك يشكّلها بدرجة كبيرة سكان بغداد والمدن الشمالية»[٢٤] . وقد سبّبت الادارة البريطانية سخطاً عارماً لدى المثقفين والموظفين العراقيين لاسيما وان اعداداً كبرى منهم قد رجعت الى العراق من بلاد متفرقة مثل: تركيا وبلاد الشام واوربا ومصر والحجاز.. وكان اغلبهم من القوميين المتلهفين الى تأسيس ادارة حديثة في كيان سياسي عراقي، كما وتفشّت رغبة عارمة في الموصل للمشاركة في الادارة والوظيفة الرسمية[٢٥] .

لقد أثبتت الاحداث التاريخية في مطلع القرن العشرين، بأن موظفي الموصل وضباطها القديرين، كانت لهم القدرة الفائقة ليس في ادارة الموصل فحسب، بل في عدة اماكن اخرى سواء في العراق او في بلاد الشام عندما اشتغلوا في الادارة المدنية، في حين كان الانكليز يعانون نقصاً في الملاك والهياكل والتشكيلات واجهزة الادارة، اضافة الى معاناتهم النفسية المتأتّية من عدم معرفة اغلبهم بالعراق وبالمجتمع العراقي وعادات الناس وتقاليدهم.. زيادة على جهلهم بما كان من انظمة وتعليمات وقوانين لسلطات النظام الاداري العثماني القديم[٢٦] .. وكان هذا كله قد أضّر بالعمل الاداري الجديد في العراق، لا سيمّا وان خبرة الانكليز كانت مستلهمة من تجاربهم الاستعمارية في الهند.. ففرضوا بعض اساليبهم في غير محلّها، إذ ان العراقيين لم يتقبّلوا تلك التّصرفات والاساليب. وتوضّح لنا الوثائق البريطانية – أيضاً – بأنّ حكومة الاحتلال البريطاني في بغداد قد كافأت «لجمن» على «حسن ادارته وحزمه واساليبه في حكم الموصل والذي كانت له معرفة سابقة بالموصل مدينة وولاية، وتضيف قائلة بأنَّ «لجمن» كان بيروقراطياً بريطانياً بارزاً ومهّماً في اطار الحكم البريطاني للعراق»[٢٧] .

اعادة تنظيم الادارة:

تقول المس گروترود بل: «وقد كانت إعادة تنظيم الأدارة في الموصل اسهل منها في الاماكن الأخرىٰ من ناحية واحدة. إذ بينما كانت السجلات والملفات الرسمية في بغداد والبصرة مفقودة، وبينما كان موظفوا الحكومة التركية قد انسحبوا مع الجيش، نجد ان السجلات كّلها والموظفين اكثرهم كانوا موجودين في الموصل»[٢٨] . اما كيف تأسّست الادارة الجديدة في الموصل؟

لم تتغّير التشكيلات الادارية القديمة على يد البريطانيين الذين حافظوا عليها، اذ غدا معاون الحاكم السياسي مكان قائمقام القضاء، وادمجت الادارة بالمالية، وقسّمت كلّ منطقة الى قسمات مالية متعّددة يشغل في كلٍّ منها مأمور مال عربي، ويرتبط هؤلاء بمدير المالية المتواجد في مركز الموصل[٢٩] . وكانت الموصل في العهد العثماني المتأخر مركزاً لادارة الاملاك السنّية في جميع انحاء العراق، والمرتبطة باستانبول مباشرة دون أية علاقة بمركز الولاية.

التقسيمات الادارية الجديدة:

لقد توضحت تشكيلات الموصل الادارية





خارطة لواء الموصل في مطلع الحكم الوطني

وتقسيماتها عام ١٩١٨، كونها تضّم ثلاثة الوية و (١٤) قضاء و (٢٣) ناحية و (٣٣٢١) قرية. وينقسم (لواء الموصل) الى سبعة اقضية، هي: الموصل والعمادية وزاخو ودهوك وعقرة وسنجار وتلعفر. وتألف (قضاء الموصل) من ناحيتين: الشيخان (= عين سفني) والعشائر السبعة، اما (قضاء العمادية) فتألف من اربع نواح، هي: داودية وبراوري بالا وبراوري زير ونيروه ريكان. اما (قضاء زاخو) فكانت له ناحية واحدة هي: سندي گلي، ولقضاء دهوك ناحية اسمها مزوري، ولقضاء عقرة ناحية اسمها زيبار.

اما (لواء كركوك) فيتشكّل من ستة أقضية، هي: كركوك وراوندوز واربيل وكويسنجق وكفري (= صلاحية) ورانية. يتألف قضاء كركوك من عدّة نواح، هي: ملحه وداقوق والتون كوپري وكيل وشوان. اما قضاء راوندوز فيتالف من نواحي: ديره حرير وبالك وبرادوست وشيروان. اما قضاء اربيل فيتألف من نواحي: سلطانيه ودبزه لي وشقلاوة. ولقضاء كفري (= الصلاحية) ناحيتان هما: قره تپه وطوزخورماتو.

اما (لواء السليمانية) فيتشكّل من اقضية: كلعنبر وشهربازار وبازيان (= چمچمال) ومعمورة الحميد[٣٠].

وفي السنة ذاتها (= ١٩١٨م)، ظهرت للوجود، منطقتان اداريتان في شمالي العراق، هما: الموصل والسليمانية. وفي سنة ١٩١٩م، اصبحت اربع مناطق، إذ ظهرت كل من كركوك التي انفصلت عن السليمانية، واربيل التي انفصلت عن الموصل، واصبحت كل واحدة من المناطق الاربعة منطقة (ادارية) ،قائمة بذاتها[٣١].

انبثاق الدولة العراقية :

عند تأسيس الحكم الوطني عام ١٩٢١ وتولّي الملك فيصل الاول مقاليد حكم العراق ، برزت تقسيمات العراق الادارية بـ (١٤) لواءاً ، هي الوية : بغداد والكوت والدليم وديالى والبصرة والحلة والديوانية والمنتفك والعمارة والموصل وكركوك والسليمانية واربيل وكربلاء. واحتفظ لواء الموصل باقضيتهِ : عقرة ودهوك والعمادية وزاخو وسنجار وتلعفر[٣٢] . وقد تسّمى الحاكم الاداري لكل لواء بـ « المتصرف » ، ووقف كل من القائمقام على رأس ادارة القضاء ، « ومدير الناحية » في ادارة الناحية .. وبقي (المختارون) يقومون بترتيب العلاقة بين الادارة وسكان القرية. وبقي هذا القانون الاداري ساري المفعول حتى صدور قانون المحافظات رقم (١٥٩) لسنة ١٩٦٩ ، بالغاء « الالوية » وظهور « المحافظات ».

نفوس الموصل : النمو الديمغرافي

يمكننا التوقف قليلاً عند احصاء عدد سكان ولاية الموصل (بموجب ما نشرته حكومة الاحتلال البريطاني سنة ١٩٢٠) ، حسب الجدول الآتي[٣٣] :

اللواء	المجموع
الموصل	٣٥٠,٣٧٨
اربيل	١٠٦,٠٠٠
كركوك	٩٢,٠٠٠
السليمانية	١٥٥,٠٠٠
المجموع العام	٧٠٣,٣٧٨

– اما عدد سكان لواء الموصل (لوحده) فقد بلغ (حسب تعداد سنة ١٩٦٥م) هو (٧٨٣,٠٢٠) ألف نسمة. وقد ازداد عدد السكان في لواء الموصل (الذي غدا يسّمى بـ محافظة نينوى) في عام ١٩٧٤م كثيراً ، إذ بلغ (١,٠١٩,٩٩٦) مليوناً وتسعة عشر الف وتسعمائة وستة وتسعون نسمة ، منها (٥٢٦,١٩٠) ذكوراً ، و (٤٩٣,٨٠٦) إناثاً[٣٤] .

المتصرفية :

كان لمتصرفية لواء الموصل ديوان كبير يشكّله جهاز اداري يقف على رأسه « المتصرّف » وينّظم دائرته عدد من الدوائر ، منها : قلم التحرير. وهناك « مجلس ادارة اللواء » وهو جزء من ميراث قديم عرفته الموصل مذ كان لواؤها جزءاً من ولايتها ، ثم اعيد وجدّد العمل بـ مجلس الادارة بموجب قانون ادارة الالوية رقم (١٦) لسنة ١٩٤٠م وللمجلس مهامه في عملية تصديق بعض القرارات . ويترأسّه المتصّرف. كما ويرتبط بالمتصرف عددٌ من القائمقامين في الاقضية المنتشرة في لواء الموصل.

ويمكننا ان نقدم ادناه جرداً باسماء الحكام السياسيين والحكام الاداريين (المتصرفين) للموصل للفترة ١٩١٨ – ١٩٥٨م[٣٥] :

الحكام الاداريون	تاريخ تسلم المنصب
١– وكيل الوالي نوري بك	١٩١٨ م
(احتلال بريطانيا لولاية الموصل)	١٠ تشرين الثاني ١٩١٨
٢– الكولونيل ليجمن (الحاكم السياسي)	٧ تشرين الثاني ١٩١٨م
٣– الكابتن بيل	١٩١٩ م
٤– الكولونيل نولدر	١٩٢٠م
٥– المتصرف السيد حامد بك (كان مقتله يوم وصوله المدينة)	٢٠ شباط ١٩٢١ م
٦– وكيل المتصرف الكولونيل نولدر	٢١ شباط ١٩٢١م
٧– الحاج وهبي الأمين	١٤ تشرين الثاني ١٩٢١م
٨– رشيد الخوجه	١٩ شباط ١٩٢٢م
٩– وكيل المتصرف المستر جاردن	١٨ تشرين الاول ١٩٢٣م
١٠– وكيل المتصّرف القاضي احمد الفخري	٢١ تشرين الثاني ١٩٢٣ م.
١١– المتصّرف جعفر العسكري	٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٣م
١٢– المتصرف عبدالعزيز القصاب	٢٣ كانون الاول ١٩٢٤ م
١٣– المتصرف ناجي شوكت	٢٧ تموز ١٩٢٦م
١٤– وكيل المتصرف القائممقام عبدالحميد عبدالمجيد	١٩ حزيران ١٩٢٧م
١٥– المتصرف عبدالله الصائغ	٢٠ آب ١٩٢٧م
١٦– المتصرف تحسين علي	١١ نيسان ١٩٣٠ م



١٧- المتصرف عبدالعزيز المظفر ١٨ نيسان ١٩٣١م

١٨- وكيل المتصرف ماجد مصطفى (قائممقام العمادية) ٣ أيلول ١٩٣١م

١٩- المتصرف تحسين العسكري ٥ كانون الاول ١٩٣١م

٢٠- المتصرف عمر نظمي ١٦ مايس ١٩٣٤م

٢١- المتصرف حسام الدين جمعة ٥ تشرين الاول ١٩٣٥م

٢٢- وكيل المتصرف جلال الدين خالد ١٦ شباط ١٩٣٧م

٢٣- المتصرف تحسين علي (للمرة الثانية) ٣٠ نيسان ١٩٣٩م

٢٤- وكيل المتصرف قاسم مقصود (آمر الفرقة) ٥ نيسان ١٩٤١م

٢٥- وكيل المتصرف سالم نامق ١ حزيران ١٩٤١م.

٢٦- المتصرف تحسين علي (للمرة الثالثة) ٥ حزيران ١٩٤١م

٢٧- المتصرف حسام الدين جمعة (للمرة الثانية) ١٨ تشرين الثاني ١٩٤١م.

٢٨- المتصرف عبد المجيد اليعقوبي (استقال) ٢٠ مايس ١٩٤٢ م

٢٩- وكيل المتصرف القائممقام طاهر القيسي ٢١ آب ١٩٤٢م

٣٠- المتصرف عبدالمجيد اليعقوبي (عاد بعد سحب استقالته) ٢ أيلول ١٩٤٢م.

٣١- معاون المتصرف عبدالوهاب مصطفىٰ الدباغ ١٥ كانون الثاني ١٩٤٤ م

٣٢- المتصرف عبدالوهاب القصاب ٤ آذار ١٩٤٤م

٣٣- معاون المتصرف احمد زكي المدرس ٣١ مايس ١٩٤٦م

٣٤- المتصرف مظفر احمد ١٤ حزيران ١٩٤٦م

٣٥- المتصرف مصطفى اليعقوبي ١٢ تشرين الاول ١٩٤٦م

٣٦- معاون المتصرف مصطفى عاصم اسماعيل ١ آذار ١٩٤٨م

٣٧- المتصرف أمين خالص ١٥ آذار ١٩٤٨م

٣٨- معاون المتصرف مصطفىٰ عاصم اسماعيل ١ نيسان ١٩٤٨م

٣٩- المتصرف خليل عزمي ١٥ نيسان ١٩٤٨م

٤٠- وكيل المتصرف عبدالجبار فهمي (مدير شرطة الموصل) ١٥ حزيران ١٩٤٩م.

٤١- المتصرف سعيد قزاز ٢٥ حزيران ١٩٤٩م.

٤٢- وكيل المتصرف صبحي علي عبداغا ٢٤ كانون الاول ١٩٥٢م.

٤٣- المتصرف احمد زكي المدرس ٢٠ كانون الاول ١٩٥٢م.

٤٤- وكيل المتصرف صبحي علي ١ تموز ١٩٥٤م.

٤٥- المتصرف مزاحم ماهر ٢٤ تموز ١٩٥٤م.

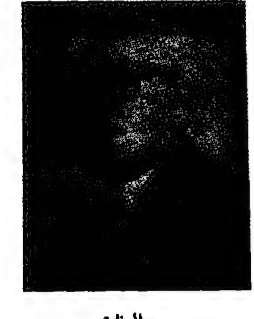
٤٦- وكيل المتصرف القائممقام محمودالبكري ١٤ آذار ١٩٥٥م.

٤٧- المتصرف رشيد نجيب ٢٢ آذار ١٩٥٥م.

٤٨- وكيل المتصرف صبحي علي ٢٣ أيلول ١٩٥٧م.

٤٩- المتصرف عبدالكافي عارف ١ تشرين الاول ١٩٥٧م.

(اعلان الجمهورية وسقوط النظام الملكي ١٤ تموز ١٩٥٨م.



سالم نامق

المحاكم المدنية في الموصل:

صدرقانون تشكيل المحاكم المدنية في مراكز الولايات والالوية والاقضية العراقية في عام ١٢٩٦ هـ/ ١٨٧٩ م. وقد شملت به مدينة الموصل، فتأسست بموجبه المحاكم الآتية: المحكمة الشرعية ومحكمة الحقوق البدائية ومحكمة جزائية بدائية ومستنطق حاكم جزاء ومدعٍ عام للبداءة. وكان حكام وقضاة هذه المحاكم ينصّبون من قبل نظارة العدلية. اما الاعضاء فتنتخبهم المجالس الادارية. اما احكام هذه المحاكم فتستأنف لدى محكمة استئناف بغداد. وليس للادارة المحلية أيّ حقّ بالتدّخل في شؤون المحاكم كونها: سلطة قضائية منفصلة عن بقية السلطات. وقد زادت حالة استقلاليتها في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦- ١٩٠٩م. وكان ملاك المحاكم في الموصل يتألف للفترة

١٨٩٠ - ١٩٠٨ م من : المحكمة الشرعية ، ومحكمة الحقوق البدائية ومحكمة الجزاء البدائية ومقام المدعي العام. وحاكم التحقيق ومحكمة التجارة البدائية ومأمور الاجراء وكاتب العدل ورئيس كتّاب محكمة الحقوق البدائية والجزائية.

وفي عام ١٩١١ م ، تغّير ملاك المحاكم المدنية والشرعية ، ليغدو على النحو الآتي : لجنة العدلية والمحكمة الشرعية ومحكمة الاستئناف والمدعي العام للاستئناف (واستمرت حالة التغير في ملاك المحاكم حتى يوم ١١ نيسان ١٩١٢ م) ، إذ اصدرَ البرلمان العثماني قانون الدعاوى الصلحية تسهيلاً لحسم القضايا والدعاوى الحقوقية البسيطة ، وعلى اثر ذلك ، تأسست محكمة صلح الموصل. وقد استمّرت هذهِ المحاكم تقوم بواجباتها حتى الاحتلال البريطاني للموصل عام ١٩١٨ م [٣٦] .

وفي عهد الاحتلال البريطاني ، رتبّت الادارة القضائية على اسس جديدة مع الابقاء على الهيكل العام للمحاكم المدنية والشرعية بعد ان توقفت المحاكم عن العمل نظراً للظروف الصعبة التي عاشتها الولاية والنقص في عدد الحكام المؤهلين لتسيير نظام القضاء بشكل اصولي ، وقد اخضعت المحاكم في ولاية الموصل الى الجهاز نفسه الذي بدأ عمله ببغداد. وكانت محكمة بداية الموصل هي المحكمة الوحيدة التي استمرت تعمل كما كانت منذ العهد التركي.

لقد ادخلت تغييرات واسعة النطاق على مجموعة القوانين المدنية في العراق باسم «القانون العراقي» ، ونظّمت المحاكم الشرعية بما يتفق والتقسيمات الادارية. اما بالنسبة للقضاء الجنائي فقد بدأ العمل والتطبيق بـ «قانون العقوبات البغدادي» و «قانون اصول المحاكمات الجزائية البغدادي» وكلاهما اعتمدا على «قانون العقوبات العثماني» و «قانون العقوبات المصري» المستمد من «قانون العقوبات الفرنسي» اضافة الى «قانون اصول المحاكمات الجزائية السوداني» وتأسست على اصوله اربعة اصناف من المحاكم الجزائية. كما وتأسست في بغداد محكمة الاستئناف العليا لجميع المناطق المحتلة والتي حلّت محل محاكم الاستئناف التركية الثلاث في ولايات بغداد والبصرة والموصل. وكانت محكمة البداية في الموصل تتألف من رئيس بريطاني وحاكمين عربيين، اضافة الى محكمة الصلح التي تأسست في الموصل [٣٧] . لقد صنّفت محاكم الموصل إبّان حكم الاحتلال البريطاني الى :

١) **دائرة العدلية** : وظيفتها مراقبة اعمال سائر المحاكم في الداخل والخارج ، وحسم الدعاوي



«محكمة بداءة الموصل وقضاتها» خلال الاربعينات



المتعلّقة بالاتحاد العام.

٢) **المحكمة الحقوقية المتصرفية والعائلية**: وظيفتها النظر في المناكحات والمفارقات التي تحدث بين الملل غير المسلمة داخل المدينة وخارجها.. كما وكانت تنظر في دعاوى التصرّف في الاملاك غير المنقولة.

٣) **محكمة الصلح**: وظيفتها النظر في الامور التي تتعلق بالحقوق العادية والتجارية حسب قانون الصلح التركي.

٤) **المحكمة الجنائية**: وظيفتها التحقيق في الجرائم والجنايات.

٥) **المحكمة الشرعية**: وظيفتها حسم القضايا الشرعية للمسلمين كالزواج والطلاق وقسمة المواريث... الخ [٣٨].

ويخبرنا «تقويم العراق لسنة ١٩٢٣» عن **رجالات القضاء في الموصل حسب الآتي:**

٣- المحاكم الشرعية:

قاضي الشرع الشريف في الموصل: السيد احمد الفخري.

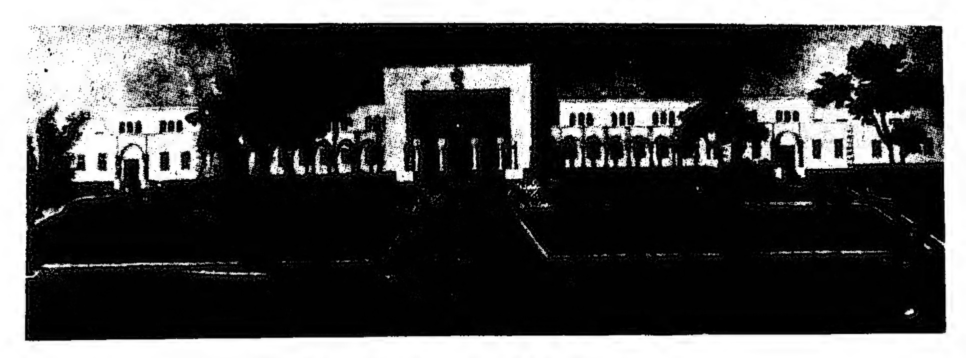
٤- محكمة الجزاء:

حاكم الجزاء: داود وهبي سليمان.

٥- دائرة الايتام:

المدير: حسيب بن خليل [٣٩]

كانت محاكم الموصل والدوائر التابعة لها تقوم في سراي الحكومة (القشلة الملكية)، ولما لم يقو ذلك الديوان على الصمود بتصدّع اركانه وتداعي بنيانه، فقد استأجرت المحاكم لها دارا وانتقلت اليها.. ولما اخذت تشكيلات المحاكم بالتوسّع خلال عهدي الملك فيصل الاول ١٩٢١ - ١٩٣٣ والملك غازي ١٩٣٣- ١٩٣٩، فسعى رؤساء



بناية محاكم الموصل عند افتتاحها بريشة الفنان نجيب يونس سنة ١٩٤٨.

١- محكمة البداءة:

الرئيس: المستر جي بريچارد.

نائب الرئيس: محمود نشأت الفيضي.

عضو: سعيد لطفي.

نائب عضو: مصطفى الجليلي.

٢- محاكم الصلح:

حاكم الصلح في الموصل: محمد رؤوف.

حاكم الصلح السيّار في منطقة الموصل: محي الاعرجي.

المحاكم الذين تعاقبوا في الرئاسة الى تشييد بناية كبرى للمحاكم تتناسب وهيبتها وتطور تشكيلاتها منذ عام ١٩٣٠، وقد نفذ المشروع للفترة ١٩٤٥- ١٩٤٨، وافتتحت في عهد رئيسها ابراهيم الواعظ الذي ترك فيها مآثر جليلة.. [٤٠] وهي البناية نفسها التي لم تزل تقوم حتى يومنا هذا.

جهاز الشرطة في الموصل:

لقد تأسست في الموصل اوّل قوة محلية من



الشرطة على عهد الاحتلال البريطاني والتي اتصفت بالنظام والضبط بعد ان كانت الفوضى ضاربة اطنابها بجهاز الجندرمة ايام العهد التركي. ولقد تنوع افراد تلك القوة الجديدة، فهناك بقايا الجندرمة التركية وبنسبة كبيرة، وهناك من تمّ تجنيدهم لسدّ الحاجة العاجلة لذلك. كما شكّلت قوة من الشرطة العسكرية او هي التي اطلق عليها اسم «الشبانة» لكي تنشط في اعمالها الخارجية وعلى الحدود وفي المناطق الصعبة. كما وعين ضابط بريطاني ليتولى شؤون الكمارك، ومهمته جمع رسوم الكمارك على البضائع والواردات القادمة من سوريا وتركيا، اضافة الى جباية رسوم التبوغ. (٤١)

اما مديرية شرطة لواء الموصل فقد تشكلت في عام ١٩٢١، وكانت تسمّى بـ «المركز العام» والذي اتخذ له قلب المدينة (مركز السراي) قرب باب الطوب مكاناً له. وكان يديره معاون شرطة آنذاك.. ثم بدأت «المديرية» بالتطور فازدادت تشكيلاتها ومرافقها واجهزتها. ويكون مديرها مسؤولا بشكل مباشر امام مدير الشرطة العام ببغداد ومتصرف اللواء في الموصل، وذلك عن تنفيذ جميع الواجبات والاوامر والتعليمات وفق احكام القانون.

ومن ابرز تشكيلات هذا الجهاز: التحريّات والآليات والنجدة والبلدة والمرور والقوة السيارة والحدود والجنسية والسفر والاقامة والاقضية والكمارك والمكوس.. الخ.

أما اشهر مدراء الشرطة في لواء الموصل فهم: تحسين علي ١٩٢١ – ١٩٢٥، تحسين العسكري ١٩٢٥ – ١٩٢٨، صالح حمام ١٩٢٨ – ١٩٣١، حسام الدين جمعة ١٩٣١ – ١٩٣١، حسن فؤاد ١٩٣١ – ١٩٣٣، وجيه يونس ١٩٣٣ – ١٩٣٣ عبد الرزاق الفضلي ١٩٣٣ – ١٩٣٤، عبدالله عوني ١٩٣٤ – ١٩٣٦، درويش لطفي ١٩٣٦ – ١٩٣٧، بهجت الدليمي ١٩٣٧ – ١٩٣٩، كامل يحيى (معاون) وكالة ١٩٣٩ – ١٩٤١، علي غالب قاسم ١٩٤١ – ١٩٤٤، مزاحم ماهر ١٩٤٤ – ١٩٤٦، عبدالجبار فهمي ١٩٤٦ – ١٩٥٠، خضر عبدالجليل ١٩٥٠ – ١٩٥٢، علي غالب البياتي، ١٩٥٢ – ١٩٥٢، نجيب علي ١٩٥٣ – ١٩٥٥، عبدالرحمن الدربندي ١٩٥٦ – ١٩٥٦، عبدالله سعيد ١٩٥٦ – ١٩٥٨. (٤٢)

بلدية الموصل:

تأسست بلدية الموصل سنة ١٨٦٩ م على عهد الوالي مدحت باشا؛ وهي مؤسسة خدمية تدير الشؤون العامة التي تعود بالنفع العام للاهالي في بيئة اجتماعية معينة. وكان لبلدية الموصل مجلس يتألف من رئيس ومعاون و(٦) اعضاء. وكانت مدة العضوية في المجلس البلدي (سنتان)، واجتماعه: اسبوعي وقد اضطلع المجلس البلدي بانشاء المباني وتوسيع الشوارع واصلاحها وانشاء الارصفة والمجاري، والمحافظة على النظافة، وتسجيل السكان، وتفتيش المكاييل وتحديد الاسعار والمحافظة على الآداب وجباية الرسوم وانارة البلدة، ومنع الاحتكار للسلع والبضائع.

وتطبيقاً لقانون بلدية الولايات العثمانية لسنة ١٨٨٩، فقد نصّ على ان تضمّ البلدية خمس شعب هي:

شعبة الهندسة وطبابة البلدية وشعبة المحاسبة وشعبة التفتيش وشعبة التحرير. (٤٣)

لقد تعاقب على رئاسة بلدية الموصل منذ تأسيسها حتى سنة ١٩٢٢ م، خمسة عشر رئيساً ومنهم من تناوب على رئاستها اكثر من مرة. وكان لبعضهم ادوارهم المهمة في تطوير المدينة عمرانياً وتنظيمياً، ومن ابرزهم: حسن زيور العمري للفترة (١٨٨٧ – ١٨٩٢ م)، ويعدّ من ابرز الشخصيات الاصلاحية في الموصل وكانت له انجازاته وتجديداته. وهناك ايضاً سعيد بن قاسم اغا السعرتي الذي ترأس بلدية الموصل لمرتين (١٨٩٨ – ١٩٠٢ م)، (١٩٠٨ – ١٩١٢ م) وكانت له خدماته وتجديداته للموصل. (٤٤)





سعيد بن قاسم اغا

ووقع على كاهل البلدية خلال عهد الاحتلال البريطاني عبء ثقيل من الواجبات التي تطلبت اناساً جديين وحقيقيين يدركون مشاكل البلد.. وقد فتح شارعان رئيسيان في الموصل خلال عام ١٩١٩ ، وبدأ العمل ببناء جسر جديد بدل الجسر القديم ، وانجز في مطلع الثلاثينات واطلق عليه (جسر الملك غازي) كما بدأ العمل بمشروع اسالة الماء ، وبدأت تنفّذ العديد من الخدمات العامة.[٤٥]

وقد تطوّرت بلدية الموصل خلال العهد الملكي وازدادت وارداتها وكثرت مشاريعها وتسلم رئاستها عدة رجالات ساهموا باخلاص في تطوير المدينة ، كان من ابرزهم خيرالدين العمري للفترة (١٩٣٢ – ١٩٥٠) ، وكان اخوه ارشد العمري مهندس بلدية الموصل في العشرينات قد قدّم خدمات جليلة للموصل.[٤٦]

الادارة المحلية وانجازاتها :

صدر القانون الاساسي العراقي (= الدستور) في ٣١ آذار ١٩٢٥ م ، وقد ورد في الباب السابع منه مايتعلق بادارة الاقاليم ، واستناداً الى المادة (١٠٩) من هذا القانون ، صدر قانون ادارة الالوية في سنة ١٩٢٧ م . وهو قانون يقسم العراق الى (١٤) لواء ، ويترأس اللواء ، «المتصرف» الذي يرتبط بمركز وزارة الداخلية العراقية . وكانت الادارة العراقية مركزية صرفة . وقد استخدمت «الادارة المحلية» ، ولكن ضمن مفهوم المركزية الادارية .. ولم تعرف بمفهومها اللامركزي في العراق الآ بعد أن نصّ عليها صراحة «قانون ادارة الالوية» رقم (١٦) لسنة ١٩٤٥ ، ولكنها بقيت معنوية لم تزاول وظائفها بالشكل الرسمي حتى سنة ١٩٥٠ .

اما الجهاز الاداري للادارة المحلية ، فيتكّون من مديرية خزينة الادارة المحلية وهندسة الادارة المحلية والادارة والذاتية ومديرية املاك الادارة المحلية وشعبة المشاريع والمتابعة والتخطيط وشعبة الضمان الاجتماعي.[٤٧]

لقد أسدت الادارة المحلية للموصل خدمات واسعة ، كان من ابرزها : صيانة الاحراش الخضراء وتوسيعها بتأسيس غابات نموذجية مع تحسين الاشجار. تأسيس غرف ومدارس صناعية ومعاهد مهنية ومعارض تجارية وتوسيع الثروة الحيوانية واقامة المستوصفات البيطرية وتأسيس العديد من المدارس ومراكز تربوية وتشييد المئات من الدور السكنية وبيعها او ايجارها ، وتأسيس مصلحة نقل الركاب داخل شوارع المدينة .

تعد الانجازات الكبرى التي قدمتّها الادارة المحلّية لمدينة الموصل ذات أهمية بالغة ، فقد كانت عمرانية خدمية افادت الموصل واهاليها قاطبة وعلى مدىً زمني بدأ بشكل فعّال في مطلع عقد الخمسينات الذي تطوّرت الموصل خلاله تطوّراً مشهوداً بجهود الادارة المحلية.

الدوائر العسكرية :

انتشر الجيش البريطاني في الموصل بعد ان تشتّت الجيش التركي اثر انسحابه ، وفي اواخر شهر شباط سنة ١٩٢٠ ، باشر الانكليز بتشكيل قوة عسكرية – محليّة تحت اسم «الليفي» ، وقاموا باستدعاء بعض ضباط الدرك من العراقيين ، فرفض هذا الطلب بعضهم وقبله ضباط آخرون وعدد كبير من الجنود المرتزقة وألفّوا جيشاً خاصاً ،

وكان اغلبهم من «التيارية» الذين كانوا قد هربوا من تركيا وايران ولجأوا الى العراق اثر احتلاله من قبل البريطانيين، [٤٨] وسرعان ماانحل هذا الجيش.

وكان تأسيس الجيش العراقي في ٦ كانون الثاني ١٩٢١ علامة تاريخية فارقة في تاريخ العراق المعاصر، واحد ابرز العوامل في تكوين دولته، وبدأ النظام العسكري يتشكّل وطنياً بريادة جعفر العسكري وعدد غير قليل من الضباط العراقيين. واتخذ المقر العام للجيش العراقي على عاتقه تشكيل الوحدات العسكرية من قبل وزارة الدفاع. وفي ١ حزيران سنة ١٩٢١، فتح مقر التجنيد في بغداد، وبأمرته عدّة لجان في انحاء عديدة من العراق، كما وتشكّلت عدّة تجانيد بلغ عددها عدا المقر العام (١٨) لجنة، كان تجنيد الموصل احداها، وتألّفت لجنة تجنيد الموصل من:

الحاج احمد سرّي	
ابن صالح	ضابط تجنيد الموصل.
عبد الجليل بن محمد	مساعد تجنيد الموصل.
فائق احمد	نائب مساعد ضابط تجنيد الموصل.
عبد الوهاب بن عبدالرزاق	كاتب من الدرجة الاولى في تجنيد الموصل. [٤٩]

وبعدتأسيس المملكة العراقية عام ١٩٢١ كانت الموصل موقعاً سوقياً- استراتيجياً مهماً في تجمع العديد من القطعات العسكرية التي اتخذت ثكناتها في جنوبي المدينة قرب منطقة الغزلاني ذات الروابي المرتفعة، وتأسّس بالقرب من ذلك مطار الموصل العسكري. وتعاقب في الموصل العديد من القادة والضباط والآمرين والمراتب، وكانت الموصل معقلاً لزهرة الالوية في الجيش العراقي والذي ساهم فيها بالعديد من الاحداث السياسية التي حفل بها تاريخ العراق المعاصر.

دائرة الاوقاف:

وهي دائرة قديمة من دوائر ولاية الموصل، وقد تطورت كثيرا على عهد رئيسها اسعد افندي العمري عند تأسيس الدولة العراقية. وكان الانكليز قد شكلّوا قبل ذلك «المجلس العلمي» في اواخر كانون الاول ١٩١٨ لاغراض الاستشارة فيما يتعلّق بالامور الشرعية واصول الاوقاف الاسلامية وجعلوه يرتبط بدائرة الاوقاف وقد اصبحت هذه الدائرة- فيما بعد -مرتبطة برئاسة ديوان الاوقاف العامة في بغداد قبل ان تشكّل وزارة للاوقاف. وتقوم هذه الدائرة بالاشراف على الوقوفات وتنظيم موارد الوقف وما يصرف منها، فضلا عن تنظيم الامور الدينية في لواء الموصل [٥٠].

دائرة الاحوال المدنية:

وهي احدى دوائر وزارة الداخلية، تأسست في الموصل عام ١٩٢٧م بأسم «مأمورية نفوس لواء الموصل» ثم ابدل الى «ملاحظية نفوس لواء الموصل» ثم الى «مديرية نفوس لواء الموصل»، ثم الى «مديرية تسجيل الاحوال المدنية». وظيفتها تأشير جميع وقائع الاحوال المدنية من ولادات ووفيات وزواجات وطلاقات.. مع منح المواطنين دفاتر وهويات شخصية كانت تسمى بـ «دفاتر الاحوال المدنية»، اضافة الى قراراتها بصدد تغيير الاسماء والاعمار والمهن حسب الطلبات التي تعززها الوثائق والمستندات المؤيدة لذلك [٥١].

دائرة الطابو (التسجيل العقاري):

هي دائرة قديمة يعود تاريخ تأسيسها الى العهد العثماني قرابة عام ١٨٥٨م وبعد صدور قانون الطابو العثماني، ووظيفتها تنظيم التسجيلات العقارية في السجلات العينية من اجل حفظ الحقوق للمالكين وصيانتها من التلف والتلاعب والضياع [٥٢].

مديرية التسوية:

وهي دائرة تعنى بامور «تسوية» الاراضي وقضاياها، اضافة الى تصحيح المعاملات والحدود



والضبط للاراضي الصالحة وغير الصالحة. وهناك مديريات اخرى كالواردات والضرائب والاجراء..

السجن :

دائرة في بناية قديمة من مخلفات الاتراك كانت تقع قرب محلة باب السراي. ثم اشرف الانكليز على سجن الموصل وعينّوا المستر كوين لان مديرا له في ١٣/ اذار/ ١٩٢٠ ثم انتقل الى جنوب المدينة عام ١٩٣٤ (٥٣).

الدوائر المالية والخدمية :

دائرة المالية :

تشكلّت هذه الدائرة من كاتبين وكاتب مبيّض وكاتب حسابات برئاسة ناظر انكليزي اسمه (بولارد)، وظيفتها : المحافظة على الاموال العشرية المجباة من المزروعات ورسوم المواشي.. الخ.

دائرة رسم الاملاك :

تشكلت هذه الدائرة تحت رئاسة الحاكم البريطاني، ويديرها مدير وثلاثة كتاب، ووظيفتها جباية ضريبة الاملاك والتي تقدّر من قبل هيئة تخمينية بنسبة واحد من عشرة من بدل ايجار المسقفّات.. اضافة الى تخمين ايجار الامكنة المشغولة من قبل الحكومة. وكانت المعاملات ادارية بحتة.

دائرة الاشغال العمومية :

التابعة لوزارة المواصلات والاشغال، وكان يترأسها المستر أ.سلتر وهو مهندس اجرائي.. ومعيته اثنان اطلقوا على كل واحد منهما اسم رئيس العمال.

دائرة الزراعة :

واسسّت هذه الدائرة لترعى الشؤون الزراعية وبادارة انكليزية.

دائرة البريد والبرق :

وهي دائرة جديدة نظمت بشكل جديد آخر يختلف عن الدائرة السابقة التي الغاها الانكليز.

دائرة النفوس :

لم تؤسس مثل هذه «الدائرة» المهمة الا فيما بعد، بعد ان الغيت «الدائرة» القديمة التي كانت تقوم بمهامها.

- اما **البنوك** والمصارف في الموصل فكان هناك دائرة فرع بنك «ايسترن بنك ليمتد Eastern Bank Ltd. وكان مديره المستر رين. **وغرفة تجارة الموصل** التي بقيت تعمل بجدّ كما كانت على العهد القديم، وكان تجار الموصل يقسمون حسب اعراف «الغرفة» الى ثلاثة اصناف.

اما **المطابع**، فهناك : مطبعة الحكومة ومطبعة آثور ومطبعة الآباء الدومينكان (معّطلة).

دائرة الانواء الجوية :

تأسست عام ١٩٢٣، ووظيفتها تقديم المعلومات عن الاحوال الجوية كالضغط الجوي والرطوبة والحرارة والرياح وحالات الطقس.. مع اعطاء المعدلات اليومية والشهرية لذلك (٥٤).

وهناك دوائر ومؤسسات واجهزة اخرى استحدثت خلال الخمسينيات والستينيات من هذا القرن.

خاتمة :

لقد تطورّت التشكيلات الحكومية في الحياة الادارية للموصل كثيرا خلال النصف الاول من القرن العشرين؛ سواء بالنسبة للتجديدات التي اصابت هياكل وابنية الاجهزة العثمانية القديمة التي تأسست في عهد الاصلاحيات خلال القرن التاسع عشر، ام بالنسبة لاستحداث المؤسسات الجديدة التي برزت للوجود خلال فترة مابين

الحربين العظميين. وقد تطورت الموصل كثيرا بعد سنوات الحرب العالمية الثانية وخصوصاً اثر تشكيل الدوائر والمؤسسات الخدمية والاقتصادية. وترافق ذلك كله مع تزايد حجم عدد السكان سواء في داخل المدينة ام في توابعها من الاقضية والنواحي والقرى.

وشهدت الحياة الادارية وتشكيلاتها المعاصرة في الموصل تولّي عدد كبير من رجالات الموصل والعراق عدة مواقع مهمة سواء كان ذلك من الادارة او القضاء او البلدية او الشرطة او الاجهزة الخدمية، سيما وقد كانت مدينة الموصل ثاني مدن العراق اتصالاً بالعالم مع ازدياد نسبة المتعلمين ومن خريجي المعاهد والكليات.. اذ اسهم ابناء الموصل في رفد الحياة العراقية الحكومية وفي مختلف التخصّصات التي خدمت اجهزة وزارات: الدفاع والداخلية والعدلية بشكل ملفت للنظر وعلى امتداد عقود طويلة من الزمن من العهد الملكي ١٩٢١-١٩٥٨.

وتعلمنا نتائج البحث بأن لواء الموصل بتوابعه كان من المناطق المعقّدة في حياته الادارية والبلدية والداخلية.. وعليه، فان من ينجح في ادارة اللواء نجاحاً متميزاً خلال الحكم الملكي، فتسند له الدولة مسؤوليات اضخم، فالعديد من متصرفي هذا «اللواء» اسندت لهم حقائب وزارية وخصوصا «وزارة الداخلية».. كما وكان لواء الموصل مثار اهتمام السلطات العليا نظرا للاهمية البارزة التي يتمتع بها من النواحي الامنية والاقليمية والاقتصادية في حياة العراق خلال القرن العشرين.

الهوامش

(١) من ابرز المصادر التي يمكن الرجوع اليها:

أ- فيليب وبلارد ايرلند، العراق: دراسة في تطوره السياسي، ترجمة: جعفر الخياط، بيروت، ١٩٤٩.

ب- Stuart A. Cohen, British Policy in mesopotamia 1903– 1914, Middle East Center St. Antony's College, Oxford, London., 1975.

جـ- أ.م. متشاشفيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة: د. هاشم صالح التكريتي، بغداد، ١٩٧٨.

(٢) د. محمد عزيز، النظام السياسي في العراق، بغداد، ١٩٥٤، ص ٩٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ٩٩، وأنظر Stephen Hemsley L'ongrigg, Iraq 1900– 1950: A Political Social and Economic History, London, 1956, p.51

(٤) جريدة الوقائع العراقية، العدد (٣) بتاريخ ١٩ كانون الثاني ١٩٣٠.
جريدة الوقائع العراقية، العدد (٥) بتاريخ ٢ شباط ١٩٣٠.

(٥) د. سيار الجميل. تكوين العرب الحديث، ١٥١٦ - ١٩١٦، جامعة الموصل، ١٩٩١، ص ٣٦٠ - ٣٦٢.

(٦) محمد نصر الله وآخرون، ممالك محروسة شاهانية مخصوص ومكمل مفصل اطلاسي، استانبول، ١٣٢٥ هـ، ص ١٠٢.

(٧) د. ابراهيم خليل احمد، «التشكيلات الادارية والعسكرية في ولاية الموصل اواخر العهد العثماني»، مجلة بين النهرين، العددان (٣٧/٣٨)، الموصل، ١٩٨٢، ص ١٤٨.

(٨) انظر: سالنامه موصل در ولايتي رسمية، موصل، ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧م، ص ١٣٠.

(٩) راجع التفاصيل: جاسم محمد حسن، العراق في العهد الحميدي (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ٤٢ ومابعدها.

(١٠) راجع التفاصيل: فيصل الارحيم، تطور العراق في عهد حكومة الاتحاديين، الموصل، ١٩٧٢، ص ٧٥ ومابعدها.

(١١) د. سيار الجميل، المصدر السابق، ص ٣٥١ (نقلاً عن: ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط٢، بيروت ١٩٦٠، ص ٢٣٠- ٢٤٩).

(١٢) راجع التفاصيل في: محمد امين العمري، تأريخ مقدرات العراق السياسية (نشر باسم اخيه: محمد طاهر العمري آل المصيب)، المجلد ١، الموصل، ١٩٢٤، ص ١٠٩ ومابعدها، المجلد ٣، بغداد، ١٩٢٥، ص ٢ ومابعدها.

(١٣) نقلاً عن رواية وثقّها لي كل من المؤرخين: الدكتور محمد صديق الجليلي بتاريخ ١/نيسان/١٩٧٥، والأستاذ سعيد الديوه‌جي بتاريخ ١٦/ نيسان/١٩٧٥.

(١٤) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: جعفر الخياط، ط٢، بيروت، ١٩٧١، ص ١٥٣.

(١٥) العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية (سبق ذكره)، ٣/ ٢٩.

(١٦) المس بيل، المصدر السابق، م رقم (١) ص ١٥٣.

(١٧) انظر ما كتبه عبدالمنعم الغلامي عن «اعمال الانكليز وحكمهم في الموصل»، مجلة المعرفة، بتاريخ ١٤ تموز ١٩٦٢، ص٧.

(١٨) المس بيل، المصدر السابق، ص ١٥٣-١٥٤.

(١٩) راجع التفاصيل التاريخية في: د.ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل: دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨ - ١٩١٢ (رسالة



ماجستير غير منشورة) كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥ ، ص ٢٢٤ ، ومابعدها (وانظر : ملحق رقم (١) أ) ص ٦٣٨.

(٢٠) Sir Arnold Talbot Wilson, Mesopotamia 1917–1920: A Clash of Loyalties: A Personal and Historical Record, London , New York, Oxford Univ.Press. 1930, pp. 101 – 127.

(٢١) د. وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، ط١ (بيروت؛ مركز دراسات الوحدة العربية) ١٩٨٤ ، ص٢٠٤– ٢٠٥.

(٢٢) انظر: د. سّيار الجميل.«النخبة العراقية وتكوين الدولة ١٩٢١ – ١٩٤١». مجلة آفاق عربية، العدد (١١) ، السنة (١٦) ، تشرين الثاني ١٩٩١، ص ٤٥.

(٢٣) د. وميض جمال عمر نظمي، المرجع السابق، ص ٢٠٦– ٢٠٧.

(٢٤) Bertram Thomas, Alarms and Excursions in Arabia, New York, 1931, p.81.

(٢٥) مراجعة لاعداد متفرّقة من جريدة «الموصل» وعلى الأخص: العدد (١٠) في ١٦ كانون الاول ١٩١٨/ العدد (١٨) في ١٠ كانون الثاني ١٩١٩/ العدد (٢١) في ١٧ كانون الثاني ١٩١٩.

(٢٦) ما كتبه بعض السياسيين والمراقبين الانكليز عن الأوضاع العراقية ابان الاحتلال البريطاني، ومنهم :المس بيل وايرلاند ولونكريك وفوستر..

(٢٧) عن نسخ مصورة (بحوزة كاتب البحث) من الوثائق البريطانية: Colonial office [C.O.] 6961/2, "Adminisration Reports, Mosul Division , 1919" , pp.6 – 8.

(٢٨) المس بيل، المصدر السابق ، ص ١٥٦ .

(٢٩) Sir John p. Hewett, Some Impressions of Mesopptamia in 1919,London, 1920, p.51.

(٣٠) نقلاً عن: جريدة الموصل، ٢٥ شباط ١٩٢١.ومن أجل تفاصيل موسعة عن تقسيمات العراق الادارية والقانون الاساسي العراقي وتشكيل السلطات القضائية والتنفيذية وادارة الاقاليم وتشكيلات الاوقاف والموظفين الاداريين في الالوية العراقية والقائمقامين ومدراء النواحي.. انظر: دليل العراق لسنة ١٩٣٦، ص ٥٠، ١٩٥، ص ٦٩٦ – ٧٠٣.

(٣١) المس بيل: المصدر السابق ، ص ٢٣٣.

(٣٢) انظر: ادارة العراق / قلم تحرير العراق، تقويم العراق لسنة ١٩٢٣، (السنة الاولى) ، بغداد: مطبعة العراق، ١٩٢٢ ، ص ٧٩– ٨٧.

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٥.

(٣٤) عبدالجبار جرجيس، دليل الموصل العام، الموصل ١٩٧٥، ص ١٣٨.

(٣٥) زود المرحوم الدكتور محمد صديق الجليلي كاتب البحث بهذه القائمة من ولاة وحكام ومتصرّفي الموصل في امسية يوم ١/ نيسان/ ١٩٧٥ (وتعتبر من اوثق المصادر التاريخية الدقيقة المنقولة عن مذكراته).

(٣٦) احمد الصوفي، تأريخ محاكم الموصل من سنة ١٥٣٤–١٩١٨، الموصل ، ١٩٤٩.

(٣٧) المس بيل،المصدر السابق، ص ٢٧٤ – ومابعدها.

(٣٨) عبدالمنعم الغلامي: «التشكيلات الحكومية في الموصل زمن الاحتلال البريطاني» مجلة المعرفة ، العدد (٣٦) ، السنة (٢) في ١ تموز ١٩٦٢، ص ٢٥.

(٣٩) تقويم العراق لسنة ١٩٢٣، (سبق ذكره)، ص ٦٢– ٦٣.

(٤٠) راجع ما كتبه الأستاذ ابراهيم الواعظ في تذييلاته وتحقيقاته على كتاب ابيه: مصطفى نورالدين الواعظ، الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر، الموصل ١٩٤٨، ص ٥٥٧– ٥٦١.

(٤١) المس بيل ،المصدر السابق، ص ١٦٦.

(٤٢) نقلاً عن الاوراق الشخصية والمذكرات التي كتبها المرحوم كوكب علي الجميل رئيس محاكم الجزاء الأول غير المحدودة، الموصل ، ١٩٦٥ (في حوزة كاتب البحث).

(٤٣) انظر: احمد الصوفي، تاريخ بلدية مدينة الموصل، الموصل،١٩٧٠.

(٤٤) نقلاً عن الأوراق الشخصية والمذكرات التي كتبها الاستاذ خيرالدين العمري رئيس بلدية الموصل ١٩٣٢– ١٩٥٠ (في حوزة السيدة جنان سالم نامق).

(٤٥) مراجعات لجريدة الموصل في اعدادها لسنة ١٩١٩.

(٤٦) تفاصيل موسعة عن بلدية الموصل وانجازاتها تزخر بها صحف الموصل الشهيرة؛ الموصل ، صدى‌الجمهور، فتى العراق..الخ.

(٤٧) انظر: علي مهدي حيدر،الادارة العامة للالوية في الجمهورية العراقية، ط٢، بغداد ، ص ١٦٢– ١٦٣.

(٤٨) الغلامي ، المرجع السابق، ص ٢٧.

(٤٩) مديرية التطوير القتالي بوزارة الدفاع، تأريخ القوات العراقية المسلّحة، ج١، (تأسيس الجيش العراقي ١٣٣٩ هـ/ ١٩٢١م)، ط١، بغداد ، ١٩٨٦، ص ١٩٨.

(٥٠) انظر: دليل العراق لسنة ١٩٣٦، وتقويم العراق لسنة ١٩٢٣، (سبق ذكره) ص٧٧.

(٥١) معلومات مأخوذة عن مديرية تسجيل الاحوال المدنية في مدينة الموصل.

(٥٢) انظر التفاصيل: الحكومة العراقية (وزارة العدلية): مجموعة البيانات والنظامات العدلية وماصدر بين ١ تشرين الاول سنة ١٩٢٠و ٣١ كانون الاول سنة ١٩٢٢ من القوانين ،(بغداد ؛ مطبعة العراق)د.ت. ص ١٠٤.

(٥٣) معلومات مستقاة عن اوراق خاصة بحوزة كاتب البحث (انظر الملاحظة ٤٢ اعلاه)

(٥٤) معلومات تجد تفاصيلها في تقويم العراق لسنة ١٩٢٣ و دليل العراق لسنة ١٩٣٦، وكتاب المس بيل ، (سبق ذكره)، صفحات متعددة.



حيازة الأرض الزراعية

أ. د. خليل علي مراد

مقدمة :

لايمكن فهم مسألة حيازة الأرض الزراعية في الموصل في التاريخ المعاصر دون معرفة الخلفية التاريخية لهذه المسألة وتطوراتها في عهد السيطرة العثمانية ١٥١٦– ١٩١٨ ، لاسيما منذ منتصف القرن التاسع عشر. ذلك ان جميع قوانين الأراضي التي صدرت في العراق خلال النصف الاول من القرن الحالي استندت الى القوانين العثمانية ، وخاصة قانون الاراضي العثماني لسنة ١٨٥٨ وقانون الطابو لسنة ١٨٥٩[١] . وقد عُدّ القانون الأول وماتلاه من تعديل وتحوير وذيول وملاحق ، وما جاء به من احكام ، وما احاط بتطبيقه من ظروف سياسية وتاريخية «اساس المشاكل في نظام الاراضي في العراق»[٢] .

تمثلت حيازة الأرض الزراعية في الموصل قبيل صدور قانون الاراضي العثماني سنة ١٨٥٨ في ثلاثة أشكال رئيسة هي :

اولاً– الأراضي المملوكة للأفراد والتي سبق للعثمانيين ان ابقوها ملكاً حراً بيد اصحابها بعد تقديمهم سندات ملكية «حجة شرعية» ، او الأراضي التي ملّكها العثمانيون لبعض الافراد في مناسبات معينة[٣] . وبصورة عامة كانت نسبة هذه الاراضي ضئيلة في العراق[٤] .

ثانياً– الاراضي الموقوفة .

ثالثاً– الأراضي الأميرية أي المملوكة للدولة ، وكانت هذه تشمل معظم اراضي ولاية الموصل تقريباً . فقد عد العثمانيون جميع الاراضي ، عدا المملوكة والموقوفة ، ملكاً للدولة . ويشكل هذا الصنف محور هذه الدراسة .

لم تكن أساليب التصرف في الأراضي الأميرية في ولاية الموصل تقوم على أسس ثابتة ، شأنها في ذلك شأن بقية الولايات العثمانية . ففي المناطق التي شكلت فيها القرية وحدة الانتاج الرئيسة ، وفي المناطق الواقعة عند اطراف الموصل والمدن الأُخرىٰ في الولاية ، كان الفلاح يحصل على حق زراعة الاراضي الاميرية بعد دفع مبلغ من المال يُسمىٰ برسم الارض «رسم زمين» ، وهذا المبلغ يُعد بمثابة ايجار للأرض يدفعه الفلاح في شهر آذار سنوياً . وكان على الفلاح زراعة الارض وعدم تركها بلا زراعة لأكثر من ثلاث سنوات ، وعليه دفع ضريبة العشر المفروضة على انتاج الارض . وكانت حقوق تصرفه في الارض تقتصر على زراعتها فقط ولايجوز له بيعها او رهنها او تحويلها الى اوقاف[٥] . وفي المراحل الاولىٰ من العهد العثماني كان الفلاح يدفع الرسوم والضرائب المقررة الى اصحاب الاقطاعات العسكرية بوصفهم ممثلي الدولة[٦] . فقد طبق العثمانيون منذ القرن السادس عشر اسلوبهم الاقطاعي المعروف في الموصل والمناطق الشمالية الأخرىٰ من العراق نظراً لظروفها المتميزة في وفرة أمطارها وقرب الاراضي الزراعية من الادارة المركزية التي اعطتها درجة من الامان والاستقرار وجعلت الزراعة والسكنىٰ ممكنة[٧] . ولم يكن الاقطاع العثماني اقطاع «تمليك» ، بل ان حق صاحب الأقطاع كان محصوراً في جباية الضرائب والرسوم المقررة للدولة ضمن المنطقة المخصصة له نظير



خدماته الحربية للدولة. ومع تدهور الاسلوب الاقطاعي العثماني وانحلاله لعوامل لا حاجة بنا لذكرها هنا توقفت الدولة العثمانية عن منح الاقطاعات كما لم تعد تمنح الاقطاعات الشاغرة بل تعهد بجباية الضرائب والرسوم فيها الى الملتزمين، ومعظمهم من المتنفذين المحليين وأثرياء المدن. وقد تفنن هؤلاء الملتزمون في جباية اقصىٰ قدر من الضرائب والرسوم من الفلاحين مما دفع الكثيرين منهم الى هجر قراهم واراضيهم وتدهور الزراعة[٨]. وعلى الرغم من الغاء الدولة العثمانية الاقطاعات الحربية رسمياً سنة ١٨٣١، فان احفاد اصحاب تلك الاقطاعات في العراق ظلوا متمسكين بالوثائق والعقود التي خولتهم منزلتهم الاقطاعية وسوغت لهم حفظها، وكان بيع اراضي الدولة وشراؤها يجريان من غير علم الحكومة أو اعترافها[٩].

اما في المناطق الكردية من ولاية الموصل[١٠] فان إدارة الأراضي الأميرية وجباية الضرائب والرسوم فيها تركت منذ القرن السادس عشر لأسباب سياسية، بيد الأغوات المحليين على غرار اصحاب الاقطاعات الآنفة الذكر مع فارق واحد هو عدم تدخل الدولة في شؤونها الداخلية[١١]. وبمرور الزمن ونتيجة لضعف الدولة العثمانية، والنفوذ الذي تمتع به هؤلاء الاغوات في مناطقهم، لكونهم زعماء قبليين او لانتمائهم الى سلالات اقطاعية ذات منشأ ديني احياناً، فأنهم تحولوا الى مالكين فعليين للاراضي الاميرية.

وفي المناطق الاخرىٰ من ولاية الموصل كانت هناك بعض العشائر العربية التي تبسط نفوذها وهيمنتها على مناطق واسعة فيها. ومن هذه العشائر العربية شمر الجربا والجبور والعبيد والجحيش والبومتيوت وطي والبوحمد وغيرها. وتعد عشيرة شمر الجربا من ابرز وأقوىٰ العشائر العربية في ولاية الموصل حيث قدر عددها في سبعينات القرن التاسع عشر بحوالي ١٢٠٠٠ خيمة[١٢]. وكانت تنتشر في اماكن متفرقة من ولاية الموصل، فهناك اقسام منها عند نهر الخابور بالقرب من نصيبين، واقسام اخرىٰ في شرق دجلة حول الزاب الكبير، ولعل القسم الاكبر منها يوجد في المنطقة المحصورة بين دجلة والفرات حوالي الحضر[١٣]. اما عشائر الجبور فقد سكنت اواسط دجلة بين سامراء والموصل كما استقر قسم منها بجوار نهر الخابور ورأس العين. والعبيد في منطقة حوض العظيم، والبوحمد في منطقة الزاب الاسفل شمال كركوك[١٤]. وكانت اغلبية هذه العشائر تدفع الخوة الى عشيرة شمر، مثل عشيرة طي والجحيش والبوحمد والحديديين والجبور[١٥]. ولم يكن مفهوم الملكية الفردية للارض وارداً لدىٰ هذه العشائر التي كانت تعد مناطقها «الديرة» ملكاً مشتركاً فيما بين افرادها. ولم يكن لهذا النظام اي اساس قانوني ولا اية حماية من قبل الدولة، وبموجب هذا النظام لم يكن افراد العشيرة يعتبرون ملاكاً فرديين ولكنهم كانوا مزارعين في ارض مشاعة بينهم[١٦]، ان كانوا يمارسون الزراعة او يشتركون جميعاً في الانتفاع منها في الرعي ان كانوا من البدو. وفي ضوء اعتبار «الديرة» العشائرية ملكاً للعشيرة فانها حرصت على فرض الخوة على القوافل او الاشخاص الذين يمرون بها، لان الخوة اعتبرت مظهراً من مظاهر السيادة العشائرية على الارض[١٧]. وفضلاً عن ذلك فان هذه العشائر لم تكن، بصورة عامة، تميل الى الاعتراف بسلطة الحكومة المركزية، كما كانت ترفض دفع ما بذمتها من ضرائب في احيان كثيرة بل وتهاجم القوافل التجارية والقرى واطراف المدن. ولم تفلح الحملات العسكرية العثمانية المتكررة ضد هذه العشائر في وضع حد لتجاوزاتها، ذلك ان عدم استقرار تلك العشائر وسرعة تحركها كان يقلل، في احيان كثيرة، من فعالية تلك الحملات.

لقد كان الهدف من اصدار قانون الأراضي العثمانية سنة ١٨٥٨، ومن القوانين اللاحقة



المتصلة به وضع أسس ثابتة في مسألة التصرف بالارض[١٨]، وقد جاء القانون في ١٣٢ مادة[١٩]، وكانت احكامه مستمدة من الشريعة الاسلامية وبعض القوانين الاوربية الحديثة، وما جرى به العرف. وقد قسم القانون المذكور اراضي الدولة العثمانية الى خمسة اصناف: وهي الاراضي المملوكة للافراد والاراضي الموقوفة والأراضي الأميرية والأراضي المتروكة والأراضي الموات. وكانت معظم مواد القانون واحكامه تتعلق بالاراضي الاميرية وكيفية التصرف بها. ويمكن تلخيص المبادئ المهمة التي احتواها ذلك القانون في النقاط الآتية[٢٠]:

اولاً- اكد القانون ضرورة التمسك بمبدأ ابقاء رقبة الارض (اي ملكيتها القانونية) للدولة مع تخويل اجهزتها المختلفة بصلاحية تأجيرها الى الافراد ايجاراً دائمياً لقاء تعهدهم بدفع ضريبة العشر فقط سواء اكانوا مسلمين او غير مسلمين.

ثانياً- الغى القانون الملكية المشاعة وأكد ضرورة تصفية آثارها كلية لصالح الحيازة الفردية الصغيرة حيث اكدت المادة الثامنة منه على «عدم جواز منح كامل أرض قرية الى كل ساكنيها منحاً جماعياً» وعلى وجوب منح كل ساكن على انفراد قطعة منفصلة وتزويده بسند يثبت حقه في حيازتها حيازة دائمية.

ثالثاً- اشترط القانون ان يكون المستأجر الدائمي فلاحاً سبق له ان شغل ارضاً وقام باستغلالها لمدة عشر سنوات متتالية.

رابعاً- نص القانون على وجوب الاعتراف بحق الفرد في استئجار الارض استئجاراً دائمياً في حالة ثبوت اشغاله الفعلي لها مع تثبيت هذا الاعتراف مجاناً في سجلات دوائر الطابو التي تؤسس لهذا الغرض وتزويد المستفيد بسند رسمي يؤيد ذلك صراحة.

خامساً- خول القانون الحكومة صلاحية الامتناع عن تأجير الأرض لأي شخص ايجاراً دائمياً في حالة فشل ذلك الشخص في اثبات اشغاله واستغلاله الفعلي لها للمدة القانونية المنصوص عليها إلا بعد قيامه بدفع البدل المخمن للارض. ويصار الى منح الارض بالمزاد العلني الى شخص آخر في حالة اخفاق الشخص المعني في دفع البدل المطلوب.

سادساً- اجاز القانون تسجيل اية قطعة من ارض الموات مجاناً باسم الشخص الذي استصلحها وطورها بعد أخذ موافقة الدولة.

وبعد قانون الأراضي لسنة ١٨٥٨ أصدرت الدولة العثمانية قانون الطابو سنة ١٨٥٩ وجاء في ٣٣ مادة[٢١]. وقد وضع هذا القانون أمر تسوية الحقوق المتعلقة بالأراضي الاميرية وتحديدها على أسس أصح مما سبقه، وانشأ نظاماً قانونياً لتسجيل الحجج والعقود المختصة بالاراضي. وقد عالج هذا القانون والنظام الصادر بعده سنة ١٨٦٠ مسألة منح سندات تمليك او تفويض لأصحاب الأراضي الاميرية[٢٢]. وفي سنة ١٨٦٤ اصدرت الدولة العثمانية التعليمات الخاصة بتفويض الأراضي في العراق، ولكن لم يتسن لها تنفيذ هذه التعليمات لحين تعيين مدحت باشا والياً على العراق[٢٣].

كان مدحت باشا (١٨٢٢- ١٨٨٣) أحد أبرز رواد الحركة الاصلاحية العثمانية في القرن التاسع عشر، وقد عُين والياً على بغداد سنة ١٨٦٩ وبقي في منصبه هذا حتى سنة ١٨٧٢. وكان مؤهلاً لدوره الاصلاحي برصيد غني من الخبرة توافر بالدراسة والترحال في اوربا، ثم بالخدمة في اجزاء مختلفة من الدولة العثمانية مثل سوريا وبلاد الصرب ومقاطعات الدانوب، واخيراً خلال عمله لمدة سنة كرئيس لمجلس الدولة وهو هيئة استشارية

للسلطات والحكومة[٢٤]. وقد اظهر حماسة واضحة في اثناء ولايته لتنفيذ عدة اصلاحات في مجالات مختلفة وقد وجه عناية خاصة لاصلاح نظام الاراضي وايجاد حل لمشكلة العشائر العربية من خلال السعي الى توطينها واستقرارها، وفقاً لاحكام قوانين الاراضي والطابو المشار اليها اعلاه. وقد جاء هذا المسعى اثر فشل السياسة التي اتبعها الولاة الذين سبقوا مدحت باشا، وخاصة خلال الفترة ١٨٣١ - ١٨٦٩، وهي السياسة القسرية في توطين القبائل وجعلها خاضعة للحكومة[٢٥]. وكان مدحت باشا يأمل ان تنجح عملية تفويض الأراضي بالطابو في تثبيت حقوق التصرف بالأرض في العراق والقضاء على المشاكل والفوضىٰ في هذا المجال، وتفكيك النظام القبلي سياسياً باضعاف الرابطة بين الشيوخ والأفراد عن طريق تمليك الأخيرين مساحات صغيرة من الارض لتكون علاقاتهم بالحكومة رأساً لا بالشيخ، وتشديد قبضة الدولة على الشيوخ بمنحهم أراضي يستوطنون فيها ليسهل على الحكومة معرفة محلاتهم والوصول اليهم لاستيفاء الضرائب واخذ الجنود منهم او القبض عليهم ان دعت الحاجة. فضلاً عن انهم سيصبحون معرضين للعقاب بالنظر لسيطرة الحكومة على الماء، ومعتمدين على الحكومة بصفتها هي الضامنة لحقوقهم المكتسبة في استحصال حقهم من الحاصلات. وأخيراً كان مدحت باشا يأمل ان تؤدي هذه العملية الى زيادة مساحات الاراضي المزروعة، وبالتالي زيادة ايرادات الدولة[٢٦].

بدأت سياسة مدحت باشا في مجال الاراضي منذ سنة ١٨٧٠ ببيع حقوق التصرف بالاراضي الاميرية باسعار اسمية. وقد مُنح اصحاب حق التصرف في تلك الاراضي سندات الطابو الاميرية (سندات أراضي الدولة) التي أدت الى نشوء بعض الضمان في حقوق التصرف بالأراضي وان لم تؤد الى الملكية المطلقة لها[٢٧]. وكانت سندات الطابو هذه مفتوحة لحملة الحقوق غير الثابتة، وللقرويين الذين فتحوا قناةً او زرعوا حقلاً، ولجميع شيوخ العشائر في ديرتهم العشائرية واخيراً، وليس آخراً، الى اعيان المدن[٢٨]. وبعد انتهاء فترة ولاية مدحت باشا استمرت عملية تفويض الاراضي في عهد الولاة الذين اعقبوه في العراق. ولكن هذه السياسة لم تعد تنفذ بصورة مطلقة كسياسة تهدف الى توطين العشائر وربطها بالارض، فقد كانت مساحات من الأراضي تعلن بالمزايدة فيتقدم الى طلبها شيوخ بعض العشائر فقط واغنياء المدن من تجار وموظفين[٢٩]. وقد ادت بعض المشكلات الناجمة عن تطبيق سياسة تفويض الأراضي بالطابو في العراق الى صدور مرسومين «ارادة» من السلطان العثماني في سنة ١٨٨٠ وسنة ١٨٩٢ بوقف عملية التفويض في وسط العراق وجنوبه، اما في شمال العراق، اي ولاية الموصل، فقد استمرت العملية حتىٰ نهاية العهد العثماني، ولذلك كانت مساحة اراضي الطابو فيها اوسع بكثير من المناطق الاخرىٰ في العراق[٣٠]. وطبقاً لما ذكره خبير شؤون الاراضي السير ارنست دوسن E. Dowson في سنة ١٩٣٠ فان عدد سندات الطابو في الموصل بلغ ٧٨٧٠ سند ملكية من اصل ١٥٠٤٠ حيازة[٣١].

واجهت سياسة تفويض الأراضي بالطابو في العراق عقبات عدة أدت الى فشل تلك السياسة في تحقيق اهدافها. فلم تكن دوائر الطابو تملك الخرائط، ولم يكن لها مساحون، ولا موظفون مثقفون نزهاء. ومن اجل هذا ضاعت الدقة بين الغموض والارتشاء. فكانت تلك الدوائر تعطي أناساً سندات طابو لاراض يملكها الغير، أو اراضي يُشك في موقعها الحقيقي او ليس لها حدود معلومة[٣٢]. وكان يُكتفىٰ بوصف حدود القطع وصفاً تقريبياً بعبارات مبهمة حتىٰ انه كان يتعذر معرفة مساحة قطع الارض المسجلة ومواقعها



بالضبط. وكثيراً ما كانت تُعطى سندات يُمنح فيها حق التصرف بالارض يظهر من منطوق السند ان مساحتها صغيرة، ولكن اذا اخذ بالحدود المبينة في السند يظهر ان مساحتها تصل الى عدة اميال مربعة. وكان القصد من تخفيض المساحة في السند التخلص من دفع رسوم الطابو (بدل المثل) كاملاً، واما ماذُكر من حدود واسعة فالقصد منه وضع اليد على ارض اكثر اتساعاً مما يقابل بدل المثل المدفوع[٣٣]. وقد ترتب على مثل هذا التسجيل الاعتباطي في اواخر العهد العثماني والمراحل اللاحقة خسارة مساحات غير قليلة من الاراضي الاميرية التي لم يكن ممكناً استثمارها لكونها مبعثرة ضمن المقاطعات، ولصغر مساحتها حتىٰ ان بعضها لايتجاوز بضعة دونمات وخاصة في مناطق ناحية القوش وناحية زمار والحمدانية التابعة للموصل[٣٤]. ومن العقبات التي واجهت سياسة التفويض بالطابو أيضاً تردد كثير من الفلاحين وابناء العشائر في تسجيل الارض بأسمائهم خوفاً من ان يكون ذلك مقدمة لدفع ضرائب اعلى او لاداء الخدمة العسكرية في الجيش العثماني. وقد استفاد الزعماء القبليون وملاك الاراضي من اغنياء المدن ومتنفذيها لكي يشجعوا الفلاحين على تسجيل الاراضي باسمائهم بل ولجأوا للارهاب والرشوة لتحقيق هذا الغرض، وهكذا ادت تلك العملية الى تسجيل الاراضي باسماء هؤلاء الأخيرين في المقام الأول. وقد قدر لشروط حيازة الارض في العراق والاستقطاب الاقصىٰ لملكية الاراضي ان يستمرا، في الاقل، حتىٰ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ لتظهر كم كانت «ماحقة هزيمة هدف مدحت من تسجيل الاراضي»[٣٥].

وبقدر تعلق الأمر بولاية الموصل فان عملية تفويض الأراضي بالطابو، منذ عهد مدحت باشا وحتىٰ نهاية عهد السيطرة العثمانية سنة ١٩١٨، أفضت الى النتائج الآتية:

اولاً— تمكن قليل من القرويين فقط من الاحتفاظ بحقوقهم التصرفية في الاراضي وسجلت باسمائهم، وان كون نسبة هؤلاء عالية في مناطق معينة من ولاية الموصل لايشكل قاعدة عامة وانما استثناءً. ومن ذلك ان ٩٥٪ من الزراع في عقرة والعمادية كانوا يملكون اراضيهم ويزرعونها بأنفسهم، وفي بعض الأحوال يستخدم الاغنياء منهم رجال العشائر عمالاً زراعيين بالطرق المألوفة[٣٦].

ثانياً— استحوذ الاغوات واثرياء المدن ومتنفذوها على كثير من الأراضي وسجلوها باسمائهم صفقة واحدة مستغلين مركزهم السابق في القرية كملتزمين لضرائبها، وكذلك نفوذهم لدىٰ الولاة، دون اعتبار للحقوق القديمة التي اكتسبها اولئك الذين ظلّوا سنين طويلة يستغلون الارض بصورة منتظمة فيحرثونها ويرعون مواشيهم فيها[٣٧]. وبمرور الزمن تمركز نفوذ الاغوات واستقر وتوسع في كثير من القرىٰ واصبحوا مالكين لها[٣٨]. ويرىٰ البعض ان سكوت الدولة العثمانية عن تسجيل مجموعات من القرىٰ باسماء وجهاء ومتنفذي اربيل والسليمانية وكركوك والموصل خلافاً لما ورد في المادة (٨) من قانون الاراضي، وقد سبقت الاشارة اليها، يرجع الى رغبة تلك الدولة في ضمان الامن والاستقرار في تلك المناطق[٣٩]. وقد اعطت قوانين الطابو، الاغوات الملاكين نوعاً من الاطمئنان حملهم على الانتقال الى المدينة باعتبارها المكان الجديد اللائق بهم، فساعد ذلك على ظهور مشكلة ملاك الارض الغائبين نتيجة لذلك، وكذلك بسبب انتقال

الاراضي بأساليب مختلفة الى ملاكي المدن ممن لايمتون الى الأرض بصلة (٤٠).

ثالثاً— كان السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ — ١٩٠٩) اكبر المستفيدين من نظام الطابو في العراق، فقد استحوذ منذ أواخر الثمانينات على اراضٍ زراعية واسعة في ولايات بغداد والبصرة والموصل، وتم ذلك بنفس الطريقة التي حصل عليها حملة سندات الطابو ممن اشتروا الأرض من الدولة من فوق رؤوس فلاحيها (٤١). وقد عُرفت هذه الاراضي باسم «السنية»، واسندت ادارتها الى دائرة خاصة شكلت لهذا الغرض والتي كانت لها فروع عديدة في زمار والشرقاط وشمامك وترجيل والصلاحية (كفري) وطوزخورماتو وقره تبه وسرجنار ومركه وبازيان وكلعنبر (٤٢)، مما يشير الى انتشار اراضي السنية في هذه المناطق. وبعد انقلاب سنة ١٩٠٨ واعلان الدستور العثماني تنازل السلطان عبد الحميد الثاني عن هذه الاراضي فدورت باسم الخزانة العامة وصارت تعرف بالاراضي المدّورة (٤٣).

رابعاً— لم تحقق سياسة تفويض الأراضي بالطابو نجاحاً يكاد يذكر في مناطق العشائر العربية. صحيح ان شيخ عشائر شمر الجربا فرحان ابن صفوك، المعروف بعلاقاته الودية مع الاتراك العثمانيين (٤٤)، قد استقر في الشرقاط واصبح واسطة لاسكان افراد عشيرته من البدو (٤٥)، الا ان عدداً كبيراً من افراد عشيرته لم يتحمسوا لفكرة الاستقرار وعارضوها. وقد ترتب على ذلك حدوث خلافات وانشقاقات في اوساط قبائل شمر الجربا (٤٦)، واستمرت عمليات فرض الخوة ومهاجمة القرىٰ والقوافل التجارية حتىٰ مطلع القرن العشرين. وعلىٰ اية حال يبدو ان المجموعة التي استقرت في الشرقاط واصلت استقرارها واهتمت بزراعة الارض. فقد ذكرت كيرترود بيل G. Bell في تقريرها المعروف عن الادارة البريطانية المدنية في العراق ١٩١٤— ١٩٢٠، وفي الجزء الخاص منه بالادارة البريطانية في ولاية الموصل بعد احتلالها من قبل بريطانيا في تشرين الثاني ١٩١٨، ان عجيل الياور، وهو من شيوخ شمر الجربا، كان يزرع في نجمة بالقرب من الشورة بالاشتراك مع أحد اثرياء الموصل وهو محمد النجفي (٤٧). وفيما عدا محاولة توطين شمر الجربا فان الفترة ١٨٧٠ — ١٩١٤ كانت بداية لتوطين عشائر عربية اخرىٰ في أراضٍ زراعية، فقد حثت الحكومة العثمانية عشائر اخرىٰ، مثل الجبور والبكارة والعكيدات على الاستقرار على امتداد نهر الخابور (٤٨).

يلاحظ مما سبق ان سياسة تفويض الارض بالطابو، والظروف التي احاطت بتطبيقها، ادت الى فقدان الكثير من الفلاحين لأراضيهم التي استحوذ عليها الزعماء القبليون واغنياء الموصل ومتنفذوها. وقد تسابق هؤلاء من اجل الحصول على الاراضي الزراعية التي اصبحت مصدراً مهماً لتحقيق الأرباح منذ اواخر القرن التاسع عشر. ويرجع ذلك الى حقيقة أن افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ م واقامة خط مباشر للمواصلات بين العراق (عن طريق ميناء البصرة) واوربا، قد اديا الى تسهيل التطور اللاحق للزراعة في العراق (٤٩). فقد دخل العراق النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي، وارتبط باحتياجات السوق الدولية، فازداد الطلب على المنتجات الزراعية على نحو



ملحوظ، كما ازداد التبادل السلعي للمنتجات الزراعية والحيوانية زيادة كبيرة، وبذلك اتسعت المساحات المزروعة بوتائر سريعة، خاصة في جنوبي جبل سنجار والاقسام الغربية من المنطقة الكردية الشمالية (٥٠).

وعلى اية حال فان السبيل الى تملك مساحات واسعة من الأراضي الزراعية من قبل الفئات المذكورة لم يقتصر على سياسة تفويض الأرض بالطابو حسب، بل كانت هناك أساليب اخرىٰ لجأوا اليها لتحقيق تلك الغاية. فقد كتبت بيل في معرض حديثها عن ولاية الموصل قائلة: «هناك مايدل على ان معظم الأراضي في المنطقة كانت في الاصل بيد ملاكيها الفلاحين، الذين يفلح كل منهم ارضه الخاصة. لكن معظم الاراضي في الحال الحاضر تعود الى ملاكين كبار هم في العادة من سكنة الموصل، وهم يملكونها بواسطة سندات طابو. ولدينا شكاوىٰ كثيرة عن كيفية تملك مثل هذه الاراضي. فقد قيل مثلاً إن بعض الفلاحين كان يعرض عليهم شراء أرضهم بسعر يقدر بمقدار ٢٥٪ من السعر الحقيقي، وعندما يرفضون البيع تلفق عليهم بعض قضايا القتل فيرسلون الى السجن ليقضوا فيه سنين عدة مالم يبدلوا فكرهم ويوافقوا على البيع. والظاهر ان ادخال نظام الطابو قد مهد لاشراف المدينة الفرص للاحتيال على الفلاحين وغبنهم في اخذ اراضٍ واسعة وشرائها بوثائق مزورة وما اشبه. وكان رهن الاراضي من الاسلحة الأخرىٰ التي كان يستخدمها اولئك الناس لسلب الارض. فهناك عدد غير يسير من اصحاب الملك الطابو لم يروا اراضيهم باعينهم مطلقاً...» (٥١). وتضيف ايضاً أن المسيحيين وحدهم قد نجحوا في اخراج اراضيهم من قبضة الملاك الموصلي. وقد يكون السبب في ذلك ان قرىٰ المسلمين لم يكن لها من يحميها ويوصل ظلاماتها الى مسامع الحكومة، عدا استظلالها بظل زبائن من وجهاء المدينة (بشمن). في حين كان للمسيحيين رجال دينهم الذين ينطقون بأسمهم. كما كان بوسع الدول الاجنبية ان تتدخل مدعية حماية الذين يتبعون الكنائس الكاثوليكية (٥٢).

وفي المناطق الجبلية من ولاية الموصل انتقلت ملكية الارض في حالات كثيرة من الفلاحين الى الاغوات ولكن لاسباب مختلفة قليلاً. فقد كان الفلاح هناك معرضاً الى غارات الاكراد الرحل الذين كانوا يغيرون على الحضر ويسلبونهم المحصول ويأخذون منهم الماشية (٥٣). وعلى هذا لم يكن بوسع الفلاح العيش مالم ينضوِ تحت الحماية التي كان يحصل عليها من الرجل المتنفذ في محيطه، لقاء التنازل عن عشر الارض التي يدفع منها السيد الاقطاعي ضريبة للحكومة اقل ما يمكن ان يقنع الاتراك بتقبله منها (٥٤). اما اليزيديون فقد اضاعوا الكثير من اراضيهم، كما يبدو، ابان حملات التنكيل المتعددة التي قادها ضدهم الاتراك في مناسبات مختلفة، ويبدو هذا واضحاً في منطقة عين سفني بوجه خاص (٥٥).

ادت التطورات السابقة الى تحول عدد كبير من الفلاحين ضمن حدود ولاية الموصل من مالكين الى مستأجرين للأرض الزراعية التي استحوذ عليها الاغوات والشيوخ وكبار الملاكين من اغنياء المدن. وكان استئجار الارض يتم على اساس نظام المحاصصة. ووفقاً لهذا النظام كان اغنياء الموصل يؤجرون الأراضي الخصبة المحيطة بالمدينة الى الفلاحين لقاء اعطاء المستأجر للمالك نسبة ١٠٪ من الحاصل اذا كانت الأرض لاتروىٰ بالواسطة، اما اذا كانت تروىٰ بالواسطة او سيحاً فان حصة المالك تصل الى ٥٠٪ (٥٦). وقد ضاعف الملاكون تدريجياً استغلالهم للفلاحين من خلال تقليص حصتهم من الحاصل باستمرار. ويبدو هذا جلياً مما ذكرته بيل عن الفلاح في الموصل في مطلع عهد الاحتلال البريطاني لها. فقد



كتبت تقول «والمالك الذي يملك ارضاً اكثر مما يستطيع زراعتها هو بنفسه، ويرغب في استثمارها مباشرة، يستخدم عادة «المربعجية». ويُسمىٰ المربعجي بهذا الاسم لانه كان في وقت من الأوقات يأخذ لقاء اتعابه ربع الحاصل من الارض التي يزرعها. ويأخذ الآن الثمن، ولذلك فهو كثيراً مايكون مثقلاً بالدين لسيده بحيث يعد بوجه عام عبداً اقطاعياً يرتبط بالارض»[٥٧].

ولم يكن وضع الفلاح في المنطقة الكردية بأفضل من وضع نظيره في المناطق الاخرىٰ من ولاية الموصل. فقد كان مستأجر أراضي الطابو يدفع ١٠٪ من المحصول للحكومة و ١٠٪ اخرى للملاك. واذا قدم الملاك البذور او ماشية العمل للمستأجر فان هذا الاخير ملزم بأن يدفع له اكثر من ذلك مرتين او ثلاثاً. وكان الاغوات عادة يؤجرون عمالاً زراعيين ويدفعون لهم اجرهم عيناً على الاغلب. واذا ماعاشوا عند الأغا فانه يكتفي باطعامهم فقط وبعد انتهاء العمل يعطيهم ملابس جديدة وقليلاً من النقود[٥٨]. ويبدو ان اغلب هؤلاء العمال كانوا من اولئك القرويين الذين لاسكن لهم، والذين كانوا يعرفون في الموصل واربيل باسم «كرمانج» وفي كركوك والسليمانية باسم «مسكين». ويكاد هؤلاء ان يكونوا اقناناً لدىٰ مالك القرية[٥٩].

لقد كان لنظام المحاصصة آثار سلبية جداً علىٰ الفلاحين من حيث مستوىٰ المعيشة ونمطها سيما اذا علمنا ان وسائل واساليب الزراعة التقليدية المتخلفة لم تكن تسمح للفلاح بأن يزرع سوىٰ مساحة محدودة جداً من الارض. وقد لاحظ الكثيرون ان الفلاحين الذين يؤجرون الارض كانوا يسكنون في اكواخ حقيرة غير ملائمة[٦٠]، لانهم كانوا معرضين للطرد من قبل الملاك في اية لحظة. فقد كانت الارض تؤجر للفلاح المحاصص دون تثبيت مدة محددة للايجار، ولم يكن هناك اي عقد او اتفاق تحريري يحدد واجبات الطرفين ومسؤولياتهما والتزاماتها. ولذلك كان الفلاح اشبه بالعامل الأجير في خضوعه لرب عمله ولكنه كان يختلف عن العامل في ان اجوره لم تكن نقدية مقطوعة لساعات العمل او لأيام محدودة. كما انه كان معرضاً للطرد الكيفي المفاجئ لأتفه الاسباب، على الرغم من قيام افراد عائلته باداء شتىٰ الخدمات الشخصية لاسرة الملاك. ولم يكن امام الفلاح المطرود سوى الانتقال الى ارض اخرى للعمل فيها بعد بناء كوخ جديد لعائلته. ولايمكن لانسان غير مستقر كهذا الفلاح ان يبذل جهداً لتحسين بيئته الطبيعية[٦١].

حيازة الأرض خلال الاحتلال والانتداب البريطاني :

يمكن القول ان نظام حيازة الارض الزراعية في الموصل لم يشهد تغييراً يكاد يذكر ابان عهد الاحتلال والانتداب البريطاني ١٩١٨ - ١٩٣٢. ولقد اعترف البريطانيون ان الكثير من المنازعات والخلافات حول الاراضي كانت قائمة في ولاية الموصل، وخاصة في تلعفر وسنجار، بسبب الغش في التسجيل[٦٢]. ومع ان الموافقة صدرت في سنة ١٩٢٢ لتشكيل لجنة لتسوية منازعات الاراضي بين الملاكين في منطقة تلعفر وسنجار[٦٣]، الا انه يبدو ان هذه اللجنة لم تتمكن من تسوية جميع المشكلات القائمة. وقد ادىٰ استمرار هذه المشكلات في الموصل وانحاء اخرىٰ من العراق الى نتيجة لخصها دوسن بالقول «وليس من المبالغة ان يقال ان الارتباك الناشيء عن عدم الثقة والنزاع القائم بين الذين يدعون ملكية الارض ذات تأثير سيء في كل من تقدم البلاد الزراعي ونوعية نظامها الاجتماعي»[٦٤].

لم يكن للانكليز سابق معرفة بطبيعة النظام الذي كان يحكم مسألة الاراضي في العراق ولذا فضلوا الابقاء على النظام السائد واكتفوا بمعالجات

قاصرة لهذه المسألة تضمنتها بيانات القائد العام لقوات الاحتلال البريطاني وقرارات المندوب السامي البريطاني[٦٥]. وقد ركز غالب هذه البيانات والقرارات على الاراضي الاميرية وكيفية التصرف بها وتسجيلها باسماء مستحقيها من الافراد، دون التعرض لأراضي الملك الصرف الامر الذي يشير صراحة الى اعتبار التصنيف العثماني حقيقة ثابتة[٦٦]. اما القوانين الصادرة خلال السنوات ١٩٢١ - ١٩٣٢ فلم تتناول جوهر نظام الاراضي ولم تستحدث أسساً ومبادئ جديدة في اسلوب التعامل مع الارض[٦٧].

ولقد وجدت السلطات البريطانية ان من مصلحتها الابقاء على الأسس التي استندت عليها القوانين العثمانية، ويأتي في مقدمتها حق الدولة في الملكية القانونية لمعظم اراضي العراق اذ ان في ذلك ميزتين مهمتين: اولهما ان اعطاء السلطة البريطانية سيادة قانونية مطلقة على معظم الاراضي يمكنها من استخدامها كاداة للضغط على القوى المحلية من اجل تعزيز احتلالها. وثانيها تخفيف الأعباء المالية عن السلطات البريطانية في العراق لأنها ستستوفي من حاصلات الاراضي الحصة المقررة للدولة باعتبارها بديلة عن السلطة العثمانية. ولتسويغ ذلك ذهب الانكليز الى القول بان اجراء اي تغيير فجائي يخص القواعد التي كانت تستند اليها اعمال «تمليك الارض» حسب القوانين العثمانية، رغم اخطائها، سيكون أمراً مؤسفاً ومثيراً لاضطرابات سياسية في البلاد. كما زعموا أن قانون الأراضي العثماني جيد بحد ذاته غير ان المشكلات والمصاعب نجمت عن سوء تطبيقه. لذا فقد وصفت البيانات والنظم التي سنتها السلطات البريطانية بشأن مشكلات الأراضي بأنها موافقة لروح قانون الاراضي العثماني[٦٨].

ومن الأمور الثابتة التي لا تحتاج الى شرح أن السياسة البريطانية في العراق أكدت على ضرورة دعم الزعامات القبلية وكسبها الى جانب السلطات البريطانية بما يجعلها احدى الدعامات الاساسية للسلطة البريطانية الاستعمارية. وفي ضوء ذلك فان السياسة البريطانية حرصت على عدم السماح باي اختلال في ميزان القوة في المجتمع العراقي من خلال اضعاف قبضة الزعماء القبليين على الارض[٦٩]. بل ان السلطات البريطانية عملت على توسيع سلطة اولئك الزعماء القبليين، وخاصة اولئك الذين تعاونوا معها، وتشديد قبضتهم على الأرض وتسهيل حصولهم على مساحات اضافية واسعة على حساب الفلاحين الذين ازدادوا فقراً. وفي هذا السياق منحت السلطات البريطانية زعماء القبائل الموالين لها سلطات مطلقة على افراد قبائلهم وعلى الارض التي يستقرون فيها. ومنذ سنة ١٩٢٣ اصدرت سلطات الانتداب البريطاني سلسلة من القرارات والمراسيم تقضي بتمليك ارض القبائل ملكاً خاصاً لزعمائها وافراد القبائل. غير ان زعماء القبائل اصبحوا، بحكم الممارسة، من كبار الملاكين لا بل الملاكين الوحيدين في مناطقهم في حين تحول افراد القبائل الى مزارعين[٧٠]. وانسجاماً مع هذه السياسة، وبقدر تعلق الأمر بالموصل، فقد اشارت وثيقة بريطانية الى حصول بعض شيوخ العشائر العربية فيها على مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية. وبأن هذه الاراضي منحت لهم لأجل توطين عشائرهم لكنهم قاموا بزراعة الارض لمنفعتهم الخاصة مستخدمين مزارعين اجراء دون محاولة توطين عشائرهم[٧١]. وخلال هذه الفترة كان شيخ مشايخ شمر عجيل الياور قد برز واحداً من الشخصيات المهمة في الموصل واكبر ملاكي الاراضي فيها. وقد شملت ممتلكاته مساحات واسعة في شمال الجزيرة[٧٢] في العشرينات. ومع نهاية الثلاثينات انتشرت الاراضي العائدة لهُ في الشرقاط وتكريت وتلعفر وقرب جبل سنجار. وقد قام افراد من عشيرة الجبور بزراعتها، وقد حفر عجيل الياور



عدداً من الآبار فيها واستخدم مضخات كهربائية لتوفير المياه اللازمة [٧٣].

وفي المناطق الكردية من الموصل عمدت السلطات البريطانية الى ترجيح كفة الاغوات وتمكينهم من الاستحواذ على الاراضي مفرّطة في ذلك بحقوق الفلاحين برغم معرفتها السابقة بالكيفية التي انتقلت بها تلك الأراضي لهؤلاء الاغوات. وهكذا أصمت آذانها عن سماع مطاليب الفلاحين وشكاواهم وانشغلت في اقرار تسويات بين الاغوات قائمة على اساس الموازنة فيما بينهم [٧٤].

اما كبار ملاك الأراضي من اغنياء المدن ومتنفذيها فقد استفادوا، شأنهم شأن الشيوخ والاغوات، من بعض القوانين الزراعية التي صدرت ابان عهد الانتداب البريطاني لتوسيع ملكياتهم الزراعية على حساب بقية الفلاحين. مثال ذلك «قانون تشويق الزراع لاستعمال المضخات» الذي صدر سنة ١٩٢٦. فقد نص هذا القانون على اعفاء الحاصلات الناشئة من استعمال وسائل الري الآلية في الأراضي المزروعة وجميع الحاصلات الناشئة من استعمالها في الاراضي غير المزروعة، من الضرائب لمدة اربعة مواسم حصاد متوالية ابتداءً من تاريخ نفاذ القانون على ان يشمل الاعفاء المضخات التي اقيمت قبل نفاذ القانون المذكور أيضاً [٧٥]. وقد استفاد من هذا القانون فئة قليلة جداً من الشيوخ والتجار والمرابين. فقد استغل هؤلاء المضخات لتوسيع ملكياتهم الزراعية او للدخول الى الريف، بالنسبة للتجار، للحصول على الاراضي الزراعية التي اصبحت تُعطى لهم مجاناً من قبل سلطات الانتداب بمجرد ان يستخدم الشخص المضخة الزراعية في ارواء الارض واستغلالها للانتاج الزراعي. وبذلك فقد كثير من المزارعين ملكياتهم الزراعية وتحولوا الى محاصصين لدى صاحب المضخة لقاء نسبة معينة من الحاصل [٧٦]. مثل هذا التحول كان يتم بوسائل مختلفة اهمها شراء المضخات من قبل الشيوخ واغنياء المدن الذين كانوا يبيعونها بدورهم الى الفلاحين باقساط مؤجلة وبأرباح مفرطة. فاستطاعوا بهذه الطريقة من الحصول على الارض نتيجة اغراق الفلاحين بالديون وعجزهم عن ايفائها [٧٧]. كما استفاد اصحاب المضخات من اغنياء المدن والشيوخ من قوانين تسوية الاراضي التي صدرت في بداية الثلاثينات بوصفهم «متصرفين» في الارض كما سيرد ذكره.

لم تشهد فترة الاحتلال والانتداب معالجات جادة لتسوية مشكلات الاراضي في العراق. وكانت الدوائر التي عهدت اليها مسألة الأراضي وايراداتها [٧٨] تفتقر الى الخرائط اللازمة [٧٩]. ولم يكن في الالوية موظفون مختصون للقيام بمهام ادارة الاراضي والاملاك الأميرية حتى سنة ١٩٢٦ [٨٠]. ونتيجة لما آلت اليه مسألة حيازة الاراضي من ارتباك وتعقيد، والتدهور المستمر في احوال الفلاح العراقي، وضغط القوى الوطنية المطالبة بالاصلاح، سعت الحكومة العراقية الى ايجاد حل لهذا الموضوع. وفي نهاية العشرينات جلبت سجلات الاراضي القديمة من استانبول للمباشرة بتسوية الحقوق المترتبة على التصرف في الاراضي [٨١]. كما استقدمت خبير الاراضي ارنست دوسن، المساح العام للحكومة المصرية سابقاً وطلبت منه ان يدرس قضايا ايجار الارض والتزاماتها [٨٢].

وجد دوسن ان «الدولة تملك قانونياً غالبية الارض ولكن التصرف الفعلي فيها للقبائل وشيوخها. وهذا التصرف اما مجرد تجاوز لا سند له البتة، او أنه مستند على سندات الطابو الغامضة الوهمية والتي يجب ان لا يُعتد الا بما هو ثابت الحدود والمساحة منها». ووجد ان الطمع قد استبد بشيوخ

العشائر فاعتدوا على حقوق افرادهم وارجعوهم الى حال من العبودية والبؤس. وبان الوضع السياسي الجديد في العراق، ومقتضيات الدولة الحديثة يستلزمان القضاء على النظام القبلي واقترح لضمان ذلك:

اولاً– انشاء دائرة لها صفة قضائية للبت في حقوق الأراضي وتعيين عائديتها.

ثانياً– تقسيم الارض بين افراد العشائر حسب تصرفهم الفعلي فيها وحسب العرف المحلي، اي ان تُعطى للشيخ خمسها ويوزع اربع اخماسها على افراد العشيرة.

ثالثاً– تثبيت الحقوق في الأرض الى ساكنيها الفعليين المتصرفين بها.

رابعاً– قيام الحكومة بتفويض حقوق التصرف في الأرض فقط وابقاء رقبة الارض بيدها. اذ على الحكومة في بلد مثل العراق له امكانات كبيرة للتوسع الزراعي ان تحتفظ بملكيتها للارض لتستطيع ان تواجه التوسعات الزراعية في المستقبل.

وفضلاً عن تلك النقاط الجوهرية تضمن تقرير دوسن المفصل عن الاراضي في العراق[٨٣]، مقترحات أخرىٰ عن شؤون الري والمسح والادارة[٨٤]. وقد كان هذا التقرير اساساً لقانون تسوية حقوق الاراضي الذي اصدرته الحكومة العراقية سنة ١٩٣٢، وهي السنة التي انتهىٰ فيها عهد الانتداب البريطاني على العراق.

لم تختلف سياسة الحكومة العراقية في مجال حيازة الأرض الزراعية عن السياسة التي رسمتها سلطات الاحتلال والانتداب البريطاني سابقاً من حيث مبادؤها الاساسية. والواقع ان سياسة الحكومة العراقية في هذا المجال كانت نتيجة «منطقية» للسياسة البريطانية السابقة. فقد وضع البريطانيون اساساً قوياً ليس لنفوذ كبار الاقطاعين والزعماء القبليين في المجتمع العراقي حسب، بل ولدورهم في النظام السياسي للمملكة العراقية ايضاً. فمن خلال تسلمهم مناصب عليا في البلد. وهيمنتهم على نسبة غير قليلة من مقاعد البرلمان العراقي[٨٥]، صار هؤلاء الاقطاعيون والزعماء القبليون في مركز يمكنهم من توجيه سياسات المملكة العراقية وتشريعاتها في هذا المجال بما يخدم مصالحهم، فضلاً عن استخدام نفوذهم المتزايد لتوسيع ملكياتهم الزراعية والتجاوز على حقوق الفلاحين واستغلالهم الى اقصىٰ الحدود. ووفقاً لما ذكره احد الباحثين فان «كبار ملاكي الأراضي في العراق هم وحدهم حكام البلاد الحقيقيون، وهم وحدهم يقررون الحالة المعاشية للفلاحين وعمال الارياف»[٨٦]. وفي ضوء ذلك فان معظم القوانين التي صدرت بشأن الاراضي والزراعة كانت تهدف الى حماية مصالح كبار ملاكي الاراضي في العراق، أو انها آلت في نهاية المطاف الى مصلحة هؤلاء عند التطبيق. واهم هذه القوانين هي:

١ – قانون تسوية حقوق الأراضي رقم ٥٠ لسنة ١٩٣٢:

كان الغرض من اصدار هذا القانون تعيين صنوف الاراضي وعائديتها، وتثبيت الحقوق المتعلقة بالاراضي وكذلك العلاقات الخاصة كالتصرف واللزمة وغيرها، وتحديد حدود الاراضي وتعيين مساحتها، وتسجيلها بأسماء اصحابها. وقد قسم القانون الاراضي الى اربعة صنوف وهي المملوكة والموقوفة والمتروكة والاميرية. وجعل الصنف الاخير، اي الاراضي الاميرية، ثلاثة انواع وهي:

اولاً– الأراضي الأميرية المفوضة بالطابو: وهي التي سجل حق التصرف فيها الى من كانت لديه سندات طابو تثبت عائديتها له وكان قد تصرف فيها فعلاً مدة العشر سنوات السابقة على تسويتها.



ثانياً– الأراضي الأميرية الممنوحة باللزمة : وهي الأراضي التي مُنح حق استغلالها الى شاغليها المتصرفين فيها فعلاً مدة الخمس عشرة سنة السابقة على تسويتها ، فحق اللزمة ينبثق من السكن والزراعة في الارض . ويشمل ذلك صاحب المضخة الذي سقىٰ بمضخته الارض التي كانت غير مزروعة خلال المدة ذاتها .

ثالثاً– الأراضي الأميرية الصرف : وهي الأراضي التي تبقىٰ حقوقها وعائديتها بيد الحكومة ولوزارة المالية ان تؤجرها او تعطيها بالالتزام[٨٧] .

أناطت السلطات المختصة عملية تسوية حقوق الاراضي في العراق بلجان خاصة عُرفت بـ «لجان التسوية» . وحددت مهمة هذه اللجان بتدقيق السندات والوثائق التي يبرزها اصحاب العلاقة ثم اصدار قرار برجح الحقوق على الادعاءات لمصلحة الاشخاص المعنيين . وقد اعطت قوانين التسوية اصحاب العلاقة حق الاعتراض على القرارات التي تصدرها لجان التسوية وذلك خلال مدة محددة بعد صدورها . وقد ادىٰ توسع اعمال التسوية وزيادة الاعتراضات على القرارات التي اصدرتها لجان التسوية الى انقلاب اعمال التسوية وخروجها من ايدي الدوائر المالية الى ايدي دوائر العدل . فقد فصلت مديرية التسوية العامة عن وزارة المالية والحقت بوزارة العدل سنة ١٩٣٨ . واصدرت الوزارة الاخيرة في سنة ١٩٤٥ قراراً بتشكيل محاكم الاستئناف في ستة مناطق من العراق بضمنها الموصل[٨٨] .

ونظراً لسعة لواء الموصل فان مهمة التسوية فيه انيطت بلجنتين ، اختصت احداها بتسوية الاراضي الكائنة في الجهة اليمنى من نهر دجلة والأخرى في الجهة اليسرى منه . وكانت اعمال التسوية في الجهة اليمنى اسرع من اعمال التسوية في الجهة اليسرى لوجود مناطق جبلية كثيرة فيها مما يصعب معها الاسراع في انهاء تسويتها[٨٩] . وبحلول سنة ١٩٥١ كانت لجان التسوية في الموصل قد انجزت اعمالها في تلكيف والقوش والشورة والحمدانية والشيخان وعشائر السبعة[٩٠] . وعند قيام الجمهورية العراقية سنة ١٩٥٨ لم تكن لجان التسوية قد اتمت أعمالها ، ومع انها استمرت في العمل لغاية سنة ١٩٦٩ الا ان تغيراً ملحوظاً حصل على اعمالها ، فبدلاً من ان تكون لجان التسوية واجهزتها مطلقة اليد في اقرار التصرف او منح اللزمة وهو ماكانت تسير عليه في الماضي ، اصبح مجال عملها اعداد بعض مستلزمات عملية الاصلاح الزراعي لاغير[٩١] .

لم يحقق قانون التسوية الغرض الذي توخىٰ تحقيقه عند اصداره ، فقد سمح القانون للزعماء القبليين بالحصول على الاراضي التي كانت بالأصل مشاعة بين افراد القبيلة كملكيات خاصة . ونتيجة لذلك فقد خفض مستوىٰ رجال القبيلة ، الذين كانوا يتمتعون بحقوق عرفية لاشغال الأرض وزراعتها ، الى مستوىٰ مزارعين بالحصة او عمال زراعيين[٩٢] . وقد نشأ ذلك ، في معظم الحالات ، بسبب تحيز رؤساء لجان التسوية الذين اشتهروا بخمولهم وعدم اهليتهم وارتشائهم . وكانت اغلب اتصالات هؤلاء مقتصرة على الزعماء القبليين ونادراً ما كانوا يتصلون بالفلاحين اصحاب المصلحة الحقيقية . أما اللجان نفسها فكانت محطاً لكبار الموظفين الذين حال قصر فترة توليهم مسؤولية ادارة تلك اللجان دون اكتسابهم الخبرة التي تُعد ضرورية لفهم طبيعة واعراض مشكلة الارض الزراعية في العراق . وقد جاء معظم قرارات اللجان دعماً لادعاءات الزعماء القبليين الذين تحولوا بفضل هذا الدعم الرسمي الى مالكين شرعيين للجزء الاكبر من اراضي العشائر . ولم تقتصر محاباة لجان التسوية على الشيوخ حسب ، بل شملت ايضاً

عدداً لابأس به من كبار ملاكي الاراضي في المدينة. وقد لخص تقرير البعثة التي نظمها البنك الدولي للانماء والاعمار، هذه الحقيقة بالقول «وقع القسم الكبير من الاراضي الخالية الصالحة للتوسع في انتاج المحاصيل والعائدة للدولة في ايدي كبار الاقطاعيين في العهود السابقة. وقد عزّز مايُسمى بقانون تسوية حقوق الاراضي لسنة ١٩٣٢ هذه العملية. فهذا القانون خوّل لجان التسوية بتسجيل الأرض بأسماء الأشخاص القادرين على اثبات استغلالهم لها لفترة الخمسَ عشرةَ سنة السابقة لتشريعه. ولكن هذه اللجان اعتادت، من الناحية العملية، على الاعتراف بأتفه الاثباتات الى درجة انها لم تتردد احياناً في تسجيل الارض بأسماء اشخاص لم يقوموا باستغلالها حتى لسنة واحدة. وهكذا فقد استطاع الشيوخ والمتنفذون الآخرون من تسجيل مساحات واسعة من الارض باسمائهم دون مقابل»[٩٣].

٢ – قانون اللزمة رقم ٥١ لسنة ١٩٣٢ :

صدر هذا القانون على اساس قانون تسوية الاراضي رقم (٥٠). وقد اعطى قانون اللزمة صفة قانونية تحت عنوان «حقوق اللزمة» لنوع من طرق التصرف بالاراضي كان شائعاً في الماضي دون ان يكون مرتكزاً على اساس سوى العرف والعادة[٩٤]. ووفقاً لمنطوق المادة (١١ – أ) من قانون تسوية الأراضي رقم ٥٠ لسنة ١٩٣٢ فان حقوق اللزمة تمنح «الى الشخص الذي تصرف في الاراضي الاميرية او الى من حل محله على ان يكون قد استثمرها خلال مدة الخمس عشرة سنة السابقة لتاريخ التسوية. ويعد صاحب المضخة عادة متصرفاً في الارض المسقاة من مضخته مالم تكن قد زرعت خلال المدة ذاتها»[٩٥].

جرى تطبيق قانون اللزمة جنباً الى جنب مع قانون تسوية الأراضي من قبل لجان التسوية. وقد أسفر تطبيقه عن نفس النتائج التي آل اليها قانون تسوية الاراضي. فقد سارع الشيوخ وملاكو الاراضي في المدينة الى نصب المضخات في الارض وارشاء لجان التسوية لاثبات تصرفهم في الاراضي الاميرية. وبقدر تعلق الامر بلواء الموصل فان تطبيق قانون اللزمة فيها ادى خلال السنوات ١٩٣٣– ١٩٥٤ الى منح اراضي باللزمة في حيازات تزيد مساحة كل منها عن ١٠,٠٠٠ دونم. وقد بلغ عدد هذا النوع من الحيازات في اللواء ٢٨ حيازة بلغت مساحتها الاجمالية ٥٢١٢٥٢ دونم[٩٦]. وفي السنة التي تنتهي عندها هذه الاحصائية، اي سنة ١٩٥٤، كان المجموع العام لعدد المضخات، التي كانت وسيلة رئيسة لاثبات التصرف بالارض، قد بلغ ١٢٨ مضخة في لواء الموصل[٩٧].

٣ – قانون تحديد حقوق وواجبات الزراع رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٣ :

يُعد هذا القانون، الذي وصفه احد الباحثين بحق بانه «موغل في الرجعية والظلم الاجتماعي»[٩٨]، واحداً من الأمثلة الصارخة على موقف الحكومة العراقية في العهد الملكي المؤيد لمصالح كبار الملاكين. ويبدو ذلك واضحاً من مواد هذا القانون التي نظمت جوانب عدة من العلاقة بين الملاكين والفلاحين بشكل يضمن مصالح الفئة الاولى ويشدد قبضتها ويمكنها من مضاعفة استغلالها للفئة الثانية. فقد اكد هذا القانون الموقع الاجتماعي للملاكين سواء كانوا مستأجرين للارض أم اصحاب مضخات أم ملتزمين للارض، وذلك باعطائهم تفويضاً خطياً باعتبارهم دافعي الضريبة (احد الاسس المهمة لاثبات التصرف بالارض) وتقع على عاتقهم مهمة استثمار الارض وعمرانها، ويشمل ذلك فرز الارض الصالحة للزراعة الصيفية أو الشتوية واختيار انواع البذور وتعيين اوقات السقي وكيفية توزيع المياه بين



جماعات الفلاحين. ويقوم الملاك ايضاً بتعيين أماكن سكن الفلاحين واختيار محلات جمع الحاصلات وتعيين ميعاد الحصاد وموعد نقلها الى الأسواق. والزم القانون الفلاح بتنفيذ جميع الأوامر الصادرة من الملاك، وحُددت حصة الفلاح بنصف المحصول بعد اخراج حصة الحكومة. وعّد القانون الديون الزراعية، اي ديون الملاك المترتبة بذمة الفلاح ممتازة على سواها من الديون ماعدا الضرائب، والزم الفلاح بتسديد جميع تلك الديون. كما حظر القانون على الفلاح الانتقال من مكان الى آخر الا بتصريح خطي من الملاك صادقت عليه الحكومة. وفرض القانون عقوبات رادعة على الفلاحين في حالة مخالفتهم لاي من احكام هذا القانون[٩٩].

وفيما عدا هذه القوانين الثلاثة راحت الحكومة توطد مركز كبار المستفيدين من قانون التسوية بعدد من القوانين كقانون بيع وايجار الاملاك العائدة للحكومة رقم (٣٤) لسنة ١٩٣٦، وقانون بيع الاراضي الاميرية رقم (١١) لسنة ١٩٤٠، وقانون تفويض الاراضي الاميرية رقم (٤٨) لسنة ١٩٤١، ومرسوم بيع الاراضي الأميرية رقم (١١) لسنة ١٩٥٤. وقد كان الغرض من استصدار هذه القوانين تمليك الاراضي الزراعية للاقطاعيين وأصحاب رؤوس الاموال الذين أفلحوا فعلاً في تسجيل مساحات كبيرة من الأراضي الأميرية كملك صرف باسمائهم[١٠٠]. وقد نجم عن ذلك «خراب في الزراعة وفي الانتاج وفي الاقتصاد وفي السياسة»[١٠١]، وكان الفلاح هو الضحية الاولى.

ان كل المصادر التي درست موضوع الارض والفلاح في العراق تجمع، بلا اي استثناء تقريباً، على تدهور اوضاع الفلاحين وظروف معيشتهم وشروط عملهم في الارض إبّان العهد الملكي بدرجة كبيرة. وقد نشأ هذا الوضع عن تركز ملكية مساحات واسعة جداً من الأراضي الزراعية بيد فئة قليلة جداً من الشيوخ والاغوات واغنياء المدن. وطبقاً لاحصاء السكان سنة ١٩٥٧ بلغ عدد المشتغلين في الريف من فلاحين وملاكين حوالي ٨٥٢٠٠٠ شخص. وكان ٨٠٪ من هؤلاء، اي حوالي ٦٨٤٠٠٠ شخص، من الفلاحين المعدمين الذين لايملكون ارضاً. والى جانب هذه الظاهرة هناك ظاهرة اخرى وهي ظاهرة الملاكين الصغار والمتوسطين. فعلى الرغم من ان هؤلاء يمثلون حوالي ٩٨٪ من الملاكين الزراعيين، فانهم لايملكون الا اقل من ثلث مساحة الاراضي الزراعية. ومع ذلك فان حوالي ١٣٪ من مجموع الملاكين الزراعيين من الملاكين المتوسطين يستحوذون على ٥ ملايين دونم او ٣١,٥٪ من مجموع مساحة الملكية الزراعية في العراق، بينما لايسيطر ٨٦,١٪ من مجموع الملاكين الصغار إلا على ٢,٤ مليون دونم، اوحوالي ١٠٪ من مساحة الاراضي الزراعية في العراق، مما يقرب هؤلاء من الفلاحين المعدمين. اما كبار الملاكين والاقطاعين الذين بلغ عددهم ٣٤١٨ شخصاً، اي ٢٪ فقط من مجموع الملاكين الزراعيين فكانوا يملكون حوالي ١٥,٨ مليون دونم اي ٦٨٪ من مجموع مساحة الاراضي الزراعية في العراق. وهذا يعني ان الملاكين الكبار كانوا على المعدل يستثمرون حوالي ٢٠٠ عائلة فلاحية، في حين يستثمر كبارهم حوالي ٢٠,٠٠٠ عائلة فلاحية[١٠٢].

لقد استمر الفلاحون في زراعة اراضي الملاكين وفق نظام المحاصصة كما في السابق. الا أن هذا الشكل من اشكال العلاقة السائدة بين الفلاح والمالك لا تمنع التأكيد بان بنية المجتمع العراقي انذاك كانت بنية اقطاعية[١٠٣]. وبقدر تعلق الامر بالموصل والمناطق الشمالية الاخرى من العراق، فان نصيب الفلاح من المحصول كان يختلف حسب اختلاف وسائل الري ومدى خصوبة التربة ومقدار مايستثمره المالك من رأس المال في الارض،

وحسب نوع استقرار الفلاح في الارض ان كان حديثاً ام قديماً. ومن الممكن القول بان حصة الفلاح في القرى الجبلية[١٠٤] التي يتكفل المالك فيها بتزويده بالحبوب والآلات تبلغ ٢/٥ المحصول الشتوي و ١/٢ المحصول الصيفي. اما اذا لم يتول المالك الانفاق على الارض فان حصة الفلاح تكون ٩/١٠ المحصول الشتوي و ٢/٣ المحصول الصيفي. اما حصة الفلاح في المنطقة شبه الجبلية فتبلغ ٣/٥ المحصول الشتوي و ٢/٣ المحصول الصيفي، ولكنها تهبط الى ٢/٧ المحصول الشتوي او الصيفي في الاراضي التي تروى بالمكائن. غير ان حصة الفلاح كانت في الحقيقة اقل من النسب المذكورة لانها تخضع الى ضرائب متنوعة يفرضها المالك على الفلاح[١٠٥]. وكمعدل عام قدّر احد الباحثين حصة الفلاح من المحصول قبل صدور قانون الاصلاح الزراعي سنة ١٩٥٨ بنسبة ٤٠٪ في المناطق المروية و ٥٥٪ في المناطق الديمية[١٠٦]. وتشير نتائج احدى الدراسات الميدانية التي اجريت سنة ١٩٥٨ في احدى قرى المنطقة الشمالية من العراق الى ان معدل صافي الدخل السنوي لاسرة فلاحية متكونة من ٦ افراد قد بلغ ٥٤ ديناراً فقط، أو ٩ دنانير لكل فرد في الاسرة[١٠٧]. وتعكس هذه النتيجة مستوى المعيشة المنخفضة للغاية للفلاح في تلك المناطق، اما وضع نظيره في المناطق الجنوبية في العراق فكان اسوأ منه. وقد ادى هذا الدخل المنخفض الى ثلاثة مظاهر بارزة في حياة سكان الريف وهي سوء التغذية وتدهور المسكن وعدم كفاية الملبس، مع ماترتب على كل ذلك من امراض فتاكه مثل ذات الرئة والاسهال والانيميا والملاريا وغيرها[١٠٨]. ومما زاد من تفاقم هذه الحالة اهمال الريف وافتقاره الى الخدمات والمؤسسات الصحية والتعليمية.

ان هذا الوضع البائس في الريف العراقي عموماً دفع القوى الوطنية والصحافة العراقية والمثقفين العراقيين الى مطالبة الحكومة العراقية على نحو متواصل بضرورة العناية والاهتمام باحوال الفلاحين وتمليكهم الارض وانقاذهم من براثن الاقطاعيين، فضلاً عن تقديم وتوفير الخدمات الاساسية للريف العراقي[١٠٩]. وفي هذا السياق اولت الصحافة الموصلية اهتماماً باوضاع الفلاحين، ونقلت على صفحاتها وصفاً دقيقاً لاحوالهم البائسة، وقدمت الاقتراحات المتباينة لتخليصهم من واقعهم المزري وتحسين احوالهم الاقتصادية والاجتماعية ونبهت الحكومة العراقية الى الاهتمام بالقرية العراقية والاسراع في تقديم الخدمات الثقافية والصحية لها، كما ادانت استغلال المرابين للفلاحين ودعت الى وضع حد لجشعهم واستغلالهم للفلاحين بتأسيس مصرف زراعي، ودعت الى توزيع الاراضي على الفلاحين وتمليكها لهم، كما انتقدت بشدة النظام الاقطاعي وعدته من مشكلات البلاد الاساسية، وعارضت القوانين المجحفة بحق الفلاحين وبخاصة قانون «حقوق وواجبات الزراع» لسنة ١٩٣٣[١١٠]

وفضلاً عن ضغط القوى الوطنية وحملات الصحافة العراقية، فان الحكومة العراقية اخذت تشعر بخطورة استمرار مشكلة الاراضي وما يترتب عليها من مشكلات سياسية واقتصادية واجتماعية، وفي مقدمتها الانتفاضات الفلاحية المتكررة، وهجرة الفلاحين من الريف الى المدينة على نطاق واسع. وكانت هذه الهجرة في المناطق الجنوبية من العراق اكبر بكثير منها في المناطق الشمالية ومن ضمنها الموصل[١١١]. وقد ادت هذه الهجرة المتزايدة الى تفاقم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية في المدينة العراقية، ومن بينها ازدياد نسبة البطالة فيها.

في ضوء ما سبق قامت الحكومة باتخاذ عدة اجراءات قانونية وغيرها لتخطي القضية الزراعية، ومجابهة رأي وموقف المنادين بالاصلاح الزراعي،



ومعالجة ردود الفعل لدى الفلاحين[١١٢]. فقد اصدرت القانون رقم ٥١ لسنة ١٩٣٥ بخصوص انشاء «المصرف الزراعي - الصناعي العراقي»، الذي انيطت به مهمة تقديم القروض للفلاحين[١١٣]. كما اصدرت قانون تشييد القرى الحديثة رقم ٧٠ لسنة ١٩٣٦، لكن هذا القانون لم يجد سبيلهُ الى التطبيق نتيجة الظروف السياسية غير المستقرة انذاك[١١٤]، وهيمنة الاقطاعيين وشيوخ العشائر الذين كان همهم محصوراً في جمع المال[١١٥].

قانون اعمار واستثمار الاراضي الاميرية:

بيد ان اهم اجراء للحكومة العراقية تمثل في خطط ومشروعات الملكية الصغيرة في الاراضي الاميرية الصرفة، وبما يتضمن توطين البدو أيضاً. وقد بدأ تنفيذ هذه الخطط والمشروعات منذ اواسط الثلاثينات في مناطق مختلفة من العراق[١١٦]. اما في لواء الموصل فان تنفيذ مثل هذه المشروعات بدأ في اوائل الخمسينات بعد صدور قانون اعمار واستثمار الاراضي الاميرية الصرفة رقم ٤٣ لسنة ١٩٥١[١١٧]. وكانت اراضي مشروع الموصل تقع بشكل خاص في أقضية سنجار وتلعفر وعقرة وزاخو حيث وزعت اراضي المشروع على شكل وحدات استثمارية تتراوح مساحة كل واحدة منها بين ١٠٠ و ١٥٠ دونماً تروى معظمها ديماً. وكان الهدف الرئيس لهذا المشروع، الذي تربو مساحته على ٧,٥ مليون دونم، توطين عشائر منطقة بادية الجزيرة بواقع ٢٠,٠٠٠ نسمة من عشائر اليزيدية و ٣٠,٠٠٠ نسمة من عشيرة شمر و ١,٥٠٠ نسمة من عشيرة البومتيوت و ٣٠,٠٠٠ نسمة من عشيرة الأعافرة و ٤٠,٠٠٠ نسمة من عشائر الجبور، وبضعة الآف من العشائر الأخرى مثل الجحيش والعكيدات والبوحمدان والحياليين والبوبدران وغيرهم. وقد بدأ توزيع الوجبة الاولى من الوحدات الاستثمارية في مشروع الموصل بتاريخ ١ تشرين الاول ١٩٥٢، وبحلول سنة ١٩٥٧ كان قد تم توزيع ٣٨٣٤ وحدة استثمارية[١١٨]. وقد نفذت مشاريع اخرى مماثلة في شهرزور في لواء السليمانية والحويجة في لواء كركوك واللطيفية في لواء بغداد ومخمور في لواء اربيل وغيرها من المشروعات. وتشير الاحصائيات الى ان أوضاع الأسر التي حصلت على تلك الوحدات الاستثمارية من حيث الايرادات وتكاليف المعيشة أصبح أفضل قليلاً من الوضع المعاشي لاية عائلة فلاحية في ظل الاوضاع شبه الاقطاعية التي كانت سائدة في العراق انذاك[١١٩].

وعلى اية حال فان مشروعات الملكية الصغيرة في الأراضي الأميرية الصرفة لم تكن سوى حلاً جزئياً قاصراً لمشكلة الارض والفلاح في العراق، كما ان نصيب الاجراءات الحكومية في هذا المجال كان الفشل في اغلب الاحيان. ويرجع ذلك الى سيطرة الاقطاعيين على معظم الاراضي المراد توزيعها، أو انعدام وجود المبازل ومشاريع الري الضرورية. كما يعود سبب الفشل الى عدم دراسة الاحوال الاجتماعية والاقتصادية والنفسية المحيطة بالفلاحين، ولقلة الاشراف الاداري والفني اللازم لتحقيق نجاح هذه المشروعات، فضلاً عن الطرق غير السليمة التي اتبعت في توزيع الوحدات الاستثمارية كالمحاباة والتلاعب والتوزيع على غير الفلاحين الحقيقيين[١٢٠]. هذا فضلاً عن ان الحكومة قيدت العمل السياسي للفلاحين او المستثمرين، فقد اشترط عقد الاستثمار استناداً الى المادة (٨) من قانون اعمار واستثمار الاراضي الاميرية الصرفة رقم (٤٣) لسنة ١٩٥١ سحب الوحدة الاستثمارية من المستثمر عند قيامه بأي عمل يضر بأمن المستثمرين ومصلحتهم مما ادى الى حرمان العناصر الواعية النشطة من الاضطلاع بمهمة زيادة المشاريع الجديدة، مما قرر سلفاً مصير تلك المشاريع وفشلها. واخيراً فان اهمال العمل التعاوني على نحو ملحوظ جعل المستثمرين عاجزين في

اغلب الاحيان عن مواجهة الظروف الصعبة التي كانت تحيط بهم في تلك المشاريع النائية[١٢١].

اما فيما يخص العلاقات الزراعية، او بتعبير ادق العلاقة بين الفلاح ومالك الارض، فان الانتقادات المستمرة لنظام المحاصصة والغبن الذي كان يصيب الفلاح فيه عند تقسيم المحصول، دفع الحكومة الى اصدار مرسوم رقم (١) لسنة ١٩٥٤ بخصوص تطبيق مبدأ المناصفة في المحصول بين المالك والفلاح. الا ان نفوذ الاقطاعيين وهيمنتهم على النظام السياسي ابان العهد الملكي لم يمنع تنفيذ هذا المرسوم حسب، بل جعله بلا معنىً ايضاً. وفي ضوء هذا النفوذ والهيمنة الاقطاعية لم تفكر الحكومة، لا من قريب او بعيد، بالمساس بأسس ملكية الارض الزراعية في العراق. وتركت مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية وعشرات الآلاف من القرىٰ بيد فئة قليلة جداً من كبار الملاكين واستمر هذا الوضع حتىٰ سنة ١٩٥٨م. وبقدر تعلق الامر بالموصل فان الاحصائيات تكشف تركز اغلبية الاراضي الزراعية فيها بيد كبار الملاكين حسبما يتضح من الجدول أعلاه:

خاتمة:

يتضح من كل ماسبق ان النظام الملكي لم يكن مهيأً، بسبب طبيعته وهيمنة الاقطاعيين ونفوذهم القوي فيه، لاجراء اصلاح زراعي جذري في العراق. وان اي مسعىً لتحقيق ذلك الهدف كان لابد ان يمر من خلال اسقاط ذلك النظام ورموزه، وهذا ما تم بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وقيام الجمهورية العراقية.

كانت مسألة الارض والفلاح في العراق ومعالجتها عن طريق تنفيذ برنامج اصلاح زراعي شامل من بين الاولويات في برنامج نظام الحكم الجديد الذي استلم زمام السلطة في العراق بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. وكان الاصلاح الزراعي من جملة القضايا التي تمت مناقشتها في

ابرز الاسر المالكة للاراضي في الموصل سنة ١٩٥٨[١٢٢]

الاسرة	مساحة الملكية الزراعية (دونم)	موقع الارض الزراعية
١- آل الياور (من شيوخ شمر)	٣٤٦,٧٤٧	لواء الموصل
٢- آل الفرحان (من شيوخ شمر)	٣١٠,٣١٤	الوية الموصل وبغداد والدليم (الرمادي)
٣- آل خضير (من شيوخ جحيش)	٨٤,٥٩٢	الوية الموصل وبغداد
٤- آل الشلال (من شمر)	٦٢,٣٦٣	الوية الموصل وبغداد
٥- آل الجادر (تجار)	٥٩,٣٤٠	الوية الموصل وبغداد
٦- شمدين آغا (زعيم شبه قبلي من عشيرة سليفاني)	٥٣,٠٤٠	لواء الموصل
٧- آل الصابونجي (تجار)	٥٢,٩٤٥	لواء الموصل
٨- ناصر ميرزا (شيخ اليزيدية)	٤٧,٣٥٨	لواء الموصل
٩- آل كشمولة (تجار اغنام)	٤٢,١٧٨	لواء الموصل
١٠- آل حديد (تجار)	٣٩,٩٦٦	لواء الموصل
١١- الاغوات (تجار اغنام وحبوب)	٣٩,٥٠٩	لواء الموصل

اللجنة العليا لتنظيم الضباط الاحرار الذي تولى تنفيذ الثورة[١٢٣]. وفي غضون شهرين ونصف من نجاح الثورة تم اصدار قانون الاصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨[١٢٤] مساء يوم ٣٠ أيلول ١٩٥٨. وكانت اللجنة التي وضعت القانون برئاسة وزير الزراعة هديب الحاج حمود قد درست قوانين الاصلاح الزراعي التي سبق أن صدرت في مصر بعد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ وفي سوريا سنة ١٩٥٨ بعد قيام الوحدة المصرية السورية. كما استعانت اللجنة بخبراء مصريين[١٢٥]. وقد استهدف القانون تحقيق الاهداف الآتية:

اولاً- القضاء على الاقطاع وعلاقاته الانتاجية:
ومن اجل ذلك عمد القانون الى تقليص مساحة الحيازات التي كانت بيد الاقطاعيين فجعلها لاتزيد عن ١٠٠٠ دونم في الاراضي التي تسقىٰ سيحاً او



بالواسطة و ٢٠٠٠ دونم في الاراضي الديمية وذلك في الاراضي المملوكة والمفوضة بالطابو والممنوحة باللزمة والاستيلاء على ما زاد عن ذلك .

ثانياً– رفع مستوى الفلاحين وتوفير الفرص امامهم لاستثمار أرضهم وذلك بتوزيعها عليهم على شكل وحدات زراعية استثمارية تتراوح مساحتها بين ٣٠– ٦٠ دونماً في الاراضي التي تسقى سيحاً او بالواسطة وبين ٦٠– ١٢٠ دونماً في الاراضي الديمية .

ثالثاً– تشجيع الانتاج الزراعي وتطويره وذلك بالزام الذين توزع الارض عليهم بالانتماء الى الجمعيات التعاونية .

رابعاً– الاعتراف بأهمية العامل الزراعي في تنمية القطاع الزراعي فثبت القانون حقوقه وحدد اجرة عمله الدنيا في المناطق الزراعية المختلفة واجاز لهم تكوين نقابات تدافع عن حقوقهم .

خامساً– ايجاد علاقات زراعية جديدة تحقق العدالة وتصون حقوق المزارع ، فلا يجوز اخراج الفلاح من الارض دون رغبته الا عند الاخلال بالتزام جوهري يقضي به العقد او القانون او العرف .

سادساً– توزيع الحاصل الزراعي توزيعاً متناسباً بين عوامل الانتاج المختلفة بحيث يمكن ان يكون توزيع الناتج اكثر عدالة ويحقق قيمة الجهود التي يبذلها المزارع ، وقد حددت حصة الاخير من الحاصل بمقدار ٥٠٪ في الارض التي تروى سيحاً او ديماً و ٤٠٪ في الاراضي التي تروى بالواسطة . وفي حالة قيامه بنفس الاعمال التي كان يقوم بها قبل تنفيذ قانون الاصلاح الزراعي ، من حراثة وحصاد وجني المحاصيل فان النسبة ترتفع الى ٨٠٪ (١٢٦) .

تلا صدور قانون الاصلاح الزراعي قوانين اخرى مكملة له او معدلة بعض احكامه ، كما صدرت ايضاً بعض التفسيرات له والتي تعتبر تفسيرات تشريعية ملزمة حالما تنشر في الجريدة الرسمية (١٢٧) . ولاجل تنفيذ القانون المذكور تشكلت وزارة الاصلاح الزراعي سنة ١٩٥٩ ، كما كانت قد تشكلت لجنة الاستيلاء والتوزيع التي قامت بالاستيلاء على اراضي الحائزين الذين تتجاوز مساحة اراضيهم الحد الاعلى الذي اقره القانون ، وفضلاً عن ذلك اصبحت تحت تصرفها الاراضي الاميرية الصرفة ، والاراضي التي كانت تحت ادارة المصرف الزراعي ، ثم أُخضعت اراضي الاوقاف لقانون الاصلاح الزراعي (١٢٨) . وعلى اية حال فان تطبيق القانون واجه بعض العقبات بسبب الظروف السياسية غير المستقرة التي مر بها القطر خلال السنوات العشرة ١٩٥٨ – ١٩٦٨ . في حين جرى الاستيلاء على الاراضي الزراعية بسرعة ، فان التوزيع على الفلاحين تأخر (١٢٩) . وكان من اسباب ذلك ايضاً الاعتماد على جهاز اداري كان اكثره من الموظفين غير المختصين ، ودون ان تكون هناك ثمة مؤسسات جماهيرية منظمة قادرة على ان تساهم في التنفيذ وان تدعمه وتتولاه مما ادى الى تأخير تنفيذه وسوء تطبيقه وتهرب بعض الملاكين من احكام القانون . كما نتج عن الاعتماد على المؤسسات الادارية والاجهزة البيروقراطية في تنفيذ القانون نشوء علاقات بيروقراطية معقدة بين الفلاحين وبين مؤسسة الاصلاح الزراعي تشبه الى حد كبير العلاقات التقليدية القائمة بين الفلاحين من جهة وبين باقي الدوائر الحكومية من جهة اخرى بكل مافي هذه العلاقات من عيوب ومحاذير. ولم يقدم الاصلاح الزراعي العلاج الكافي لمشكلة الفلاح المنتج ، كمشكلة تقاليده ومفاهيمه القديمة وقيمه القبلية والعشائرية ، ومشكلة سلوكه وضعف قدرته

ونشاطه ، ومشكلة سوء تنظيمه وتخلف مستواه التكنولوجي وضعف وعيه السياسي ، وبصورة موجزة فان الاصلاح الزراعي اهتم بتكوين الملكية الطبيعية واهمل تكوين الفلاح المنتج[١٣٠]. ومن جهة اخرى فان بعض الاقطاعيين الذين استغلوا الظروف التي مر بها القطر واستعادوا نفوذهم سعوا الى عرقلة وتأجيل الاستيلاء على اراضيهم ، وقاموا باعتداءات وتجاوزات على الفلاحين في موضوع قسمة الحاصل الزراعي ، مما دفع الفلاحين الى رفع الشكاوى ضد ذلك وضد محاباة الاجهزة الادارية لاولئك الاقطاعيين وتوقيفهم الفلاحين بسبب شكاوى مفتعلة وترحيل الفلاحين بالجملة. وقد وردت عدة شكاوى بهذا الشأن من الموصل وبعض الاقضية التابعة لها خلال السنوات ١٩٦٠ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٢[١٣١]. وفضلاً عن ذلك فان انتقادات عديدة وجهت الى قانون الاصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨. ومن ابرز هذه الانتقادات ،ان تحديد حد اعلى للمساحة التي من حق الاقطاعي الاحتفاظ بها يعد بمثابة تثبيت حق شرعي للاقطاعي الذي استولى على الارض واصدر القوانين في وقت كان هو واعوانه اعضاء في المجالس النيابية البرلمانية. كما ان هذا التحديد ادى الى بقاء ٢٠١٢٦ حائزاً تتراوح مساحة حيازاتهم الزراعية بين ١٠٠ – ١٠٠٠ دونم وتبلغ مساحتها اكثر من ٥ ملايين دونم في العراق. وفضلاً عن ذلك فان منح القانون للاقطاعي حق الاختيار ادى الى بقاء ٤ ملايين دونم من اجود الاراضي المختارة بيد الاقطاعيين الخاضعين للقانون وعددهم ٣٢٧٧ حائزاً. كما انتقد القانون لعدم تفريقه بين انواع اراضي الديم من حيث خصوبتها وكمية الامطار الساقطة ونوع المحاصيل المزروعة وطبيعة المنطقة. وعدم التفريق ايضاً بين انواع الاراضي السيحية وانواع الاراضي التي تسقى بالواسطة ، سوى انه ساوى بين كل دونم من الاراضي السيحية بدونمين من الاراضي الديمية وهذا لايستند على اساس علمي. ومن المآخذ المهمة على القانون المذكور ايضاً انه أقر مبدأ التعويض عن الاراضي التي يتم الاستيلاء عليها من الاقطاعيين. وان اقرار القانون لهذا المبدأ كان نتيجة لعدم تفريقه بين من آلت اليه الارض بالشراء ، وبين من استحوذ على الارض بالتحايل والاغتصاب ثم اضفى البرلمان عليها الصفة الشرعية ، كما ان القانون حرم كثيراً من الفلاحين الذين هاجروا من الريف الى المدينة ، نتيجة الظروف التي شرحناها ، من الحصول على الارض. وذلك ان معظم هؤلاء المهاجرين اضطروا الى تغيير مهنتهم من فلاح الى عامل في حين كان القانون يشترط في من توزع عليه الارض ان تكون مهنته الفلاحة. وفضلاً عن ذلك فان القانون الزم هؤلاء الاخيرين بدفع بدل المثل للارض مضافاً اليه فائدة سنوية ومبلغ اجمالي قدره ٢٠٪ من العوض مقابل نفقات الادارة والتوزيع. وقد ادى كل ذلك الى تراكم الديون على الفلاحين الذين عجزوا ، في حالات كثيرة عن دفعها. كما وجهت انتقادات عديدة الى طريقة واسلوب التوزيع على الفلاحين. فقد كان توزيع الاراضي في احيان كثيرة يتم بطريقة القرعة دون الاخذ بنظر الاعتبار الاعتبارات العائلية الامر الذي كان يؤدي الى تشتيت العوائل التي يحصل اكثر من فرد منها على قطعة ارض اثناء عملية التوزيع. كما ان الاراضي الموزعة كان يتم على اساس تقطيعها الى شكل مربعات او مستطيلات مع عدم ترك مساحة بين قطعة واخرى لأمكانية اقامة مشاريع البزل مستقبلاٍ وكانت هذه المشكلة سبباً لمنازعات عدة بين الفلاحين فيما بعد ، وغير ذلك من الانتقادات[١٣٢].

ان النواقص التشريعية والاخطاء التي تضمنها قانون الاصلاح الزراعي رقم (٣٠) لسنة ١٩٥٨ والمشاكل التي واجهته عند التطبيق حالت دون امكانية تطبيقه. ومن هنا كان صدور قانون



الاصلاح الزراعي الثاني رقم (١١٧) لسنة ١٩٧٠ في ٣٠ آيار ١٩٧٠ الذي يعد ثمرة نتائج تجارب الاصلاح الزراعي للسنوات الاثني عشر الماضية ، حيث حاول المشرع العراقي في هذا القانون سد الثغرات وازالة العقبات التي كانت موجودة في القانون الاول ، هذا بالاضافة الى تقليل التفاوت الكبير الذي كان سائداً في تحديد الملكية الزراعية[١٣٣]. ويمكن تلخيص اهم بنود قانون الاصلاح الزراعي الثاني والتي ميزّته عن قانون الاصلاح الزراعي الاول بما يأتي :

اولاً- وضع قانون الاصلاح الزراعي رقم (١١٧) لسنة ١٩٧٠ حدوداً مختلفة للحد الاعلىٰ للملكية الزراعية تبعاً للظروف القائمة في مناطق العراق المختلفة. فني الاراضي الديمية وضعت حدود الملكية بمساحة ١٠٠٠ أو ١٣٠٠ أو ١٦٠٠ أو ٢٠٠٠ دونماً حسب كمية الامطار وخصوبة التربة ، اما في الاراضي المروية فكانت ٤٠ أو ٥٠ أو ٦٠ أو ٨٠ أو ١٠٠ أو ١٢٠ أو ١٣٣ أو ٣٠٠ أو ٤٠٠ أو ٦٠٠ دونماً حسب خصوبة التربة ونوع السقي (سيحاً او بالواسطة) وحسب المنطقة (الشمالية أو الجنوبية).

ثانياً- اعتبار الاراضي التي تزيد عن الحد الاعلى المقرر لها بموجب القانون اراضي اميرية صرفة من تاريخ نفاذه وبحكم المؤجرة الى اصحابها السابقين اعتباراً من الموسم الزراعي الذي يلي نفاذ القانون لحين رفع ايديهم عنها بصدور قرارات الاستيلاء عليها ، وهكذا الزم الملاكين بزراعتها كما انه حال بينهم وبين اعاقة اعمال لجان الاراضي كما كان يحدث سابقاً.

ثالثاً- الغىٰ القانون الجديد حق اختيار الملاكين للمساحة التي يريدون الاحتفاظ بها وكان الحق المذكور قد استخدم خلافاً لمصلحة الفلاحين والاصلاح الزراعي.

رابعاً- نص القانون الجديد على عدم التعويض عن الاراضي التي يتم الاستيلاء عليها بموجبه.

خامساً- نص القانون الجديد على تمليك الارض للفلاحين مجاناً ، ونص على اعتماد التوزيع الجماعي جنباً الى جنب مع التوزيع الفردي وذلك حسب ظروف المنطقة المقرر توزيعها ، كما شجع القانون تأسيس المزارع التعاونية الجماعية بالنظر لتوافر محاسن الوحدة الزراعية المتكاملة والانتاج الكبير على اساس الزراعة الاشتراكية.

سادساً- الغىٰ القانون الجديد قانون تسوية حقوق الاراضي وجميع تعديلاته وذيوله ، واناط مهمة تثبيت حقوق الافراد في الاراضي التي لم تنته تسويتها بلجان الاراضي والاستيلاء. ونص على اعتبار جميع الاراضي غير المملوكة ملكاً صرفاً او غير المفوضة بالطابو او غير الموقوفة اراضي اميرية صرفة اذا كانت تقع ضمن منطقة لم تتم تسويتها بعد. ويجري تثبيت حقوق الاراضي فيها وفق احكام القانون الجديد.

سابعاً- فيما يخص العلاقات الزراعية شمل القانون الجديد المغارسين وفلاحي البساتين بمبدأ تقسيم الحاصل على اساس المناصفة[١٣٤].

وفي غضون ست سنوات من صدور قانون الاصلاح الزراعي رقم (١١٧) لسنة ١٩٧٠ ، اصدرت الحكومة قانونين مهمين في مجال الاراضي والزراعة. اولها هو القانون رقم (٩٠) لسنة ١٩٧٥ وهو قانون تنظيم الملكية الزراعية في منطقة كردستان المشمولة بالحكم الذاتي. وثانيها القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٧٦ وهو قانون توحيد اصناف اراضي الدولة. فقد ادت التشريعات المتعددة التي

صدرت في العراق سابقاً منذ قانون الاراضي العثماني لسنة ١٨٥٨ الى تعدد أصناف الاراضي ، فكانت هناك اراضٍ اميرية صرفة ومتروكة ومفوضة بالطابو وممنوحة باللزمة ... الخ . وكان كل صنف من هذه الاصناف يعني مركزاً قانونياً مختلفاً عن الآخر ، فكان هذا التعدد يثير الكثير من التعقيد مما جعل منه عاملاً معرقلاً في سبيل انجاز التحولات التقدمية في المجتمع . وحيث ان رقبة هذه الاصناف تعود الى الدولة وان حقوق ذوي العلاقة لا تتعدىٰ حق التصرف والانتفاع بها ولذلك فقد اقتضىٰ توحيد اصناف جميع هذه الاراضي بصنف واحد هو « الاراضي المملوكة للدولة » مع الابقاء على الحقوق التصرفية للافراد فيها . وهكذا تحررت هذه الاراضي من الملكية غير المشروعة للافراد واصبح للدولة حق استعادة حيازة اراضيها عند اقتضاء المصلحة العامة ذلك ، والتعويض عن الحقوق التصرفية فيها تعويضاً عادلاً دون الحاجة الى اللجوء الى الاستيلاء او الاستملاك ، وقد سميت هذه العملية « حق اطفاء التصرف » . ولاجل وضع الاراضي الزراعية في متناول الزراعيين الفعليين القادرين على استثمارها وتنمية الثروة الزراعية والحيوانية ، ولقطع دابر الاستغلال فقد نص هذا القانون على عدم جواز منح الحقوق التصرفية في الاراضي المملوكة للدولة ، بعد نفاذ هذا القانون ، الا للزراع الفعلي الذي يتولىٰ زراعة الارض بنفسه أو بواسطة احد افراد عائلته المكلفة باعالته شرعاً[١٣٥] .

ان صدور هذه القوانين منذ سنة ١٩٥٨ وتنفيذها تحت اشراف الأجهزة المختصة ، وآخرها المجلس الزراعي الأعلى الذي تشكل بموجب القانون رقم (١١٦) لسنة ١٩٧٠ ، ادىٰ الى حدوث تغييرات جوهرية في حيازة الارض والعلاقات الزراعية في العراق . وبقدر تعلق الأمر بالموصل (محافظة نينوىٰ) فان هذه التغيرات تمثلت في جوانب عديدة . فمنذ صدور قانون الاصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ ولغاية ٣١ كانون الاول ١٩٧٦ بلغت مساحة الاراضي المستولىٰ عليها بموجب قوانين الاصلاح الزراعي ٤٥٦٧١١ دونماً ، منها ٣٤٨٦٢٤ دونماً تم الاستيلاء عليها بموجب قانون الاصلاح الزراعي الاول الذي صدر سنة ١٩٥٨ ، و ٤٩٥٥٣ دونماً تم الاستيلاء عليها بموجب قانون الاصلاح الزراعي الثاني الذي صدر سنة ١٩٧٠ ، اضافة الى ٥٨٥٣٤ دونماً اراضي اميرية صرفة[١٣٦] .

وفيما عدا ذلك فان مساحة الاراضي التي كانت تحت الادارة المؤقتة[١٣٧] في سنة ١٩٧٦ في محافظة نينوىٰ بلغ ١٤٥٦٨٥٥ دونماً فيما بلغ عدد الفلاحين المتعاقدين مع الادارة المؤقتة ٤٤١٢٥ فلاحاً في المحافظة[١٣٨] . وخلال الفترة ذاتها تقريباً كان قد تم توزيع ١,٦٦٨,٠٠٠ دونم من الأراضي في المحافظة[١٣٩] . وقد وزع قسم من هذه الاراضي على ابناء العشائر البدوية فيها منذ اوائل عقد الستينات في محاولة لتشجيعها على الاستقرار والتوطن . وكان هذا استمراراً للمحاولات التي بدأت منذ العهد الملكي ايضاً . وهكذا بلغ عدد القرىٰ المنشأة في منطقة الجزيرة فيما بين ١٩٥١ – ١٩٦٥ في المنطقة الممتدة من جنوب جبل سنجار حتىٰ مدينة الحضر مايقارب ٤٠٠ قرية جديدة يسكنها حوالي ٤٧٢٠١ شخصاً ، وجميعها تقع ضمن قضاء الحضر . وكذلك بلغ عدد المستوطنات البدوية في المنطقة الواسعة شمال وشمال شرق جبل سنجار لغاية سنة ١٩٦٥ حوالي ١٥٢ قرية تقع جميعها ضمن قضاء تلعفر . وهناك ١٧٤ قرية اخرىٰ تقع مجموعة منها ضمن ناحية سنجار ويبلغ عدد نفوسها ٣٢٢٠٠ نسمة وتقع المجموعة الاخرىٰ ضمن ناحية الشمال ويلغ عدد نفوسها ٢٧٤٧٦ نسمة خلال تلك الفترة ايضاً . وكان معظم هؤلاء من عشيرة شمر . بيد ان هذه المحاولات واجهت بعض العثرات في البداية . فبالرغم من الجهود الحكومية التي بذلت



لتهيئة الظروف المناسبة لنجاح عملية التوطين باعداد المرشدين الزراعيين وتوزيع البذور على المستوطنين وحفر آبار المياه ، بل وحتىٰ تهيئة المكائن الزراعية الحديثة ، الا ان المستوطنين البدو قاموا في حالات كثيرة بتأجير اراضيهم الى ملاك المدن وخاصة في الموصل وسنجار، والذين عُرفوا محلياً باسم (اصحاب المصالح) ، لاستثمارها في الزراعة مقابل نسبة معينة من الحاصل. ولعل مرجع ذلك الى المصاعب النفسية والمادية التي واجهها اولئك المستوطنين في حياتهم الجديدة[١٤٠].

ومنذ اوائل الستينات ايضاً بدأ تشكيل الجمعيات التعاونية الزراعية في محافظة نينوىٰ استناداً الى الفقرة (أ) من المادة (٣١) من قانون الاصلاح الزراعي لسنة ١٩٥٨ بشأن تشكيل جمعيات تعاونية زراعية ممن وزعت عليهم الارض بمقتضىٰ ذلك القانون. وقد تأسست اول جمعية تعاونية زراعية في المحافظة سنة ١٩٦٣ في منطقة ربيعة. ثم ازداد عددها بدرجة كبيرة بحيث بلغ عددها ٢٠٣ جمعية تعاونية سنة ١٩٧٥ ثم ارتفع الى ٢٤٢ جمعية تعاونية سنة ١٩٨٠[١٤١]. وقد حظيت هذه الجمعيات بدعم كبير من الحكومة تمثل اساساً في القروض التي قدمها المصرف الزراعي التعاوني من خلال فروعه الأربعة في المحافظة (فرع الموصل وفرع الشرقاط وفرع سنجار وفرع تلعفر) الى الجمعيات التعاونية الزراعية. ففي حين قدم المصرف ما قيمته ٤٤٣٧٠ ديناراً من القروض الى الجمعيات سنة ١٩٦٩ فان هذا الرقم ارتفع الى ١,٠٧٢,٩٦٦ ديناراً سنة ١٩٧٤ والى ٣,٣٢٧,٥٩٦ ديناراً سنة ١٩٧٨[١٤٢].

كان من نتيجة التطورات السابقة تحسن وضع الفلاحين بدرجة كبيرة وارتفاع مستوىٰ معيشتهم وانعتاقهم من العلاقات الاقطاعية التي كانت سائدة قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. وخلال السنوات الاخيرة تم انشاء الكثير من القرىٰ العصرية ، وايصال الخدمات الاساسية الى الريف العراقي من مؤسسات صحية وتعليمية وتنفيذ برامج واسعة لمحو الامية بين الفلاحين ، وربط الريف بالمدينة من خلال شبكة ممتازة من طرق المواصلات ، وكهربة الريف ، وتقديم تسهيلات كثيرة للفلاحين فيما يخص الارشادات الزراعية وتجهيزهم بالبذور والاسمدة والآلات الزراعية ووسائط النقل وغير ذلك مما شكل تحولاً نوعياً مهماً في حياة الفلاح العراقي.

الهوامش

(١) سعيد حمادة ، النظام الاقتصادي في العراق (بيروت — ١٩٣٨) ص ١١٧.

(٢) عبد المجيد حسيب القيسي ، «تطور نظام حيازة الارض» في ، عبد الصاحب العلوان وآخرون ، الاقتصاد الزراعي ومشكلاته (بغداد — د. ت) ص ص ٤٩ — ٥٠.

(٣) مثال ذلك منح السلطان العثماني محمود الاول (١٧٣٠ — ١٧٤٥) قرية قره قوش بمثابة ملك مطلق لوالي الموصل حسين باشا الجليلي تقديراً لدوره في الدفاع البطولي عن الموصل بوجه عدوان نادر شاه سنة ١٧٤٣. راجع نص فرمان التمليك في ، عماد عبد السلام رؤوف العطار ، الموصل في العهد العثماني (النجف الاشرف — ١٩٧٥) ملحق رقم (٧)

(٤) خليل ابراهيم الخالد ومهدي محمد الازري ، تاريخ احكام الاراضي في العراق (بغداد — ١٩٨٠) ص ٥٢.

(٥) خليل علي مراد ، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني ١٦٣٨ — ١٧٥٠ (رسالة ماجستير غير منشورة — كلية الاداب — جامعة بغداد — ١٩٧٥) ص ص ٣١١ — ٣١٣.

(٦) راجع تفاصيل الاسلوب الاقطاعي العثماني وخصائصه وتطبيقه في الموصل في مبحث سابق من هذه الموسوعة (المبحث الاول من الفصل الثالث — الباب الاول — القسم الثالث).

(٧) عماد احمد الجواهري ، تاريخ مشكلة الاراضي في العراق ١٩١٤ — ١٩٣٢ (بغداد — ١٩٧٨) ص ١٨.

(٨) اعترفت الدولة العثمانية في اول مرسوم اصلاحي أصدرته في بداية عهد الاصلاحات «التنظيمات العثمانية» في سنة ١٨٣٩ ، وهو «خط شريف كلخانه» بمساوئ اسلوب الالتزام والخراب الذي ترتب عليه بالنسبة للفلاحين والزراعة في الدولة العثمانية راجع نص مرسوم خط شريف كلخانة في ، محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية (بيروت — ١٩٧٧) ص ص ٢٥٤ — ٢٥٦.

(٩) ستيفن هيمسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث (بغداد — ط٣ — ١٩٦٢ — ترجمة جعفر خياط) ص ٣١٠.

(١٠) دخلت ضمن حدود ولاية الموصل بعض المناطق الكردية في شمال العراق منذ القرن السادس عشر. ثم صارت جميع المنطقة الكردية في شمال العراق تقريباً ضمن الحدود الادارية لولاية الموصل في اواخر العهد العثماني. وكانت اربيل وكركوك والسليمانية ودهوك وتوابعها ضمن الحدود الادارية لولاية الموصل. انظر؛ غانم محمد علي؛ النظام المالي العثماني في العراق ١٨٣٩ - ١٩١٤ (رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة الموصل - ١٩٨٩) الملحق رقم (١).

(١١) خليل علي مراد؛ تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني ١٦٣٨ - ١٧٥٠ (رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة بغداد - ١٩٧٥) ص ص ٧٠ - ٧٣.

(١٢) Laddy Anne Blunt; Bedouin tribes of the Euphrates (London - new impression - 1968) vol. 2, P. 188.

(١٣) ابراهيم خليل احمد؛ «الحياة الاجتماعية في ولاية الموصل ١٥١٥ - ١٩١٨» في الحياة الاجتماعية في الولايات العربية اثناء العهد العثماني، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي (زغوان - ١٩٨٨) جـ ١ - ٢، ص ٥٢٠.

(١٤) محمد احمد محمود؛ احوال العشائر العراقية العربية وعلاقتها بالحكومة ١٨٧٢ - ١٩١٨ (رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة بغداد - ١٩٨٠) ص ٩.

(١٥) المصدر نفسه، ص ١٦.

(١٦) حول خصائص هذا النظام انظر؛ صالح حيدر؛ «التطور الاقتصادي في العراق» مجلة غرفة تجارة بغداد - جـ ٩ - ١٠، تشرين الثاني - كانون الاول ١٩٥٤، ص ص ٥٠ - ٥١.

(١٧) حول هذه النظرة للديرة لدى عشائر شمرالجربا في الموصل انظر، ابراهيم خليل احمد؛ «اوضاع ولاية الموصل الاقتصادية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والعقد الاول من القرن العشرين» مجلة اداب الرافدين - العدد ٧ - تشرين الاول ١٩٧٦، ص ٢٣٩.

(١٨) الجواهري؛ المصدر السابق، ص ٢٨.

(١٩) راجع نص قانون الاراضي العثماني لسنة ١٨٥٨ في مجموعة القوانين والتنظيمات العثمانية المنشورة باسم الدستور (بيروت - ١٣٠١ هـ - ترجمة نوفل نعمة الله نوفل) م ١، ص ص ١٤ - ٤٣.

(٢٠) عبد الخالق محمد عبدي؛ اقتصاديات الارض والاصلاح الزراعي في النظرية والتطبيق (بغداد - ١٩٧٧) ص ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢١) راجع نص قانون الطابو في الدستور، م ١، ص ص ٤٤ - ٥١.

(٢٢) حمادة؛ المصدر السابق، ص ١١٧.

(٢٣) الجواهري؛ المصدر السابق، ص ٣٢.

(٢٤) ز. ي. هرشلاغ؛ مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط (بيروت - ١٩٧٣ - ترجمة مصطفى الحسيني) ص ص ٤٧ - ٤٨.

(٢٥) Ghassan Atiyyah; Iraq 1908 - 1921, A socio - political Study (Beirut - 1973) P. 28.

(٢٦) القيسي؛ المصدر السابق، ص ٥١؛ فيليب وبلارد آيرلند؛ العراق، دراسة في تطوره السياسي (بيروت - ١٩٤٩ - ترجمة جعفر خياط) ص ٥٨.

(٢٧) برغم ان الطابو كان يعني تأجير الارض الأميرية لأشخاص غير رسميين ايجاراً طويل الأمد ليس لهم بيعها او رهنها او وراثتها، فان الغاء هذه القيود اعتباراً من سنة ١٨٧٣ جعل اراضي الطابو لاتختلف في حقيقة الامر عن الملك الخاص. انظر؛ البرت م. منتشاشفيلي؛ العراق في سنوات الانتداب البريطاني (بغداد - ١٩٧٨ - ترجمة د. هاشم صالح التكريتي) ص ٦٦ هامش ٧٣.

(٢٨) محمد سلمان حسن؛ التطور الاقتصادي في العراق (صيدا - ١٩٦٥) جـ ١، ص ص ١٨٧ - ١٨٨.

(٢٩) محمود؛ المصدر السابق، ص ٩٨.

(٣٠) Atiyyah; op. cit, P. 30.

(٣١) Ibid, P. 31.، مسعود ظاهر؛ المشرق العربي المعاصر، من البداوة الى الدولة الحديثة (بيروت - ١٩٨٦) ص ٢٣٤. وكانت النسبة في الالوية الاخرى الشمالية التي كانت ضمن حدود ولاية الموصل اداريا حتى سنة ١٩١٨ كالتالي: في اربيل ٢٤٢٠ سند ملكية من اصل ٧١٧٠ حيازة، وفي السليمانية ٢٧٨٠ سند ملكية من اصل ٢٥٥٠ حيازة وفي كركوك ٦٢٨٠ سنداً من اصل ١٥٢٦٠ حيازة.

(٣٢) لونكريك؛ المصدر السابق، ص ٣٢٣.

(٣٣) حمادة؛ المصدر السابق، ص ١٦٣.

(٣٤) وزارة الزراعة، رئاسة لجنة اعمار واستثمار الاراضي الاميرية الصرفة، الملكية الصغيرة في العراق (بغداد - ١٩٥٣) ص ٨٣.

(٣٥) هرشلاغ؛ المصدر السابق، ص ٤٨.

(٣٦) الجواهري؛ المصدر السابق، ص ١١٨.

(٣٧) حمادة؛ المصدر السابق، ص ١٥٥؛ حيدر؛ المصدر السابق، ص ٦٦.

(٣٨) حيدر؛ المصدر السابق، ص ٦٦.

(٣٩) دورين وورنر؛ الارض والفقر في الشرق الاوسط (القاهرة - ١٩٥٠ - ترجمة د. حسن احمد السلمان) ص ١٧٧.

(٤٠) الجواهري؛ المصدر السابق، ص ١١٨.

(٤١) Charles Issawi (ed.); The economic history of the Middle East 1800 - 1914 (Chicago - 1975) P. 168.

(٤٢) سالنامة ولاية الموصل - سنة ١٣١٠ هـ، ص ص ٩٠ - ٩١.

(٤٣) الجواهري؛ المصدر السابق، ص ٤٤.

(٤٤) تولى فرحان المشيخة عند أو بعد وقت قصير من مقتل والده صفوك سنة ١٨٤٧. وقد امضى ثمان سنوات في اسطنبول كمحتجز أو رهينة سياسي وقد تعلم التركية وتشرب بالافكار التركية. وقد اعيد الى المشيخة، حيث بقي فيها لحين وفاته سنة ١٨٩٠، ومنح راتباً سنوياً قدره ٣٠٠٠ جنيه مقابل حفظ الامن والنظام في منطقة عشيرته وتشجيعها على التوطن. انظر؛ Blunt; op. cit, vol. 1, PP. 255, 265 - 266; G. G. Lorimer; Gazetter of the [Arab] Gulf, Oman and



Central Arabia (Holland – 1970) historical Part, 1B, P. 1500.

(٤٥) احمد؛ الحياة الاجتماعية، ص ٥٠٥.

(٤٦) راجع التفاصيل في؛

John F. و Lorimer; op. cit, PP. 1500–1501

Williamson; A political history of the Shammar Jarba tribe of Al-Jazirah 1800–1958 (Unpublished PH. D thesis, Indiana university 1974) PP. 112–119.

(٤٧) المس بيل؛ فصول من تاريخ العراق القريب (بيروت– ١٩٧١ – ترجمة جعفر الخياط) ص ١٦٤.

(٤٨) Williamson; op. cit, P. 124.

(٤٩) منتشاشفيلي؛ المصدر السابق، ص ٦٨.

(٥٠) ل. ن. كوتلوف؛ ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق (بغداد– ١٩٨٥ – ترجمة د. عبد الواحد كرم) ص ٧٦.

(٥١) بيل؛ المصدر السابق، ص ص ١٦٩ – ١٧٠.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ١٧١.

(٥٣) منتشاشفيلي؛ المصدر السابق، ص ٥٥.

(٥٤) بيل؛ المصدر السابق، ص ١٧٠.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ١٦١. وتجدر الاشارة هنا الى ان كثيراً من قرىٰ اليزيدية في الشيخان دخلت في ايدي الملاكين الموصليين، فقد أصبح احدهم يمتلك بين ٣ – ٥٠ قرية. في الوقت الذي عجز احد من هؤلاء ان يمتلك شبراً واحداً من قرىٰ سنجار في منطقة الجبال حيث القوة والعصبية. ولكن سرعان ما امتدت ايدي هؤلاء الى قرىٰ سنجار بعد ان مال اليزيدية الى الطاعة، واخذت تنال منهم بواسطة الحاكم. انظر؛ احمد؛ اوضاع ولاية الموصل الاقتصادية، ص ٢٤٤.

(٥٦) منتشاشفيلي؛ المصدر السابق، ص ص ٨٨ – ٨٩ز

(٥٧) بيل؛ المصدر السابق، ص ١٧٠.

(٥٨) منتشاشفيلي؛ المصدر السابق، ص ٦٩.

(٥٩) سي. جي. ادموندز؛ كرد وترك وعرب (بغداد– ١٩٧١ – ترجمة جرجيس فتح الله) ص ١٦.

(٦٠) بيل؛ المصدر السابق، ص ١٧٠ : كوتلوف؛ المصدر السابق، ص ٧٢.

(٦١) عبدي؛ المصدر السابق، ص ٢٨٦.

(٦٢) بيل؛ المصدر السابق، ص ١٧١. ويبدو ان مثل هذا الغش في التسجيل يعود الى الفترة القصيرة التي سبقت الانسحاب التركي من العراق. وذلك ان الموظفين الاتراك كانوا عند انسحاب قواتهم من العراق، يتلفون السجلات احياناً، وفي احيان اخرىٰ كانوا قبل رحيلهم يبيعون سندات مزورة لاشخاص تطاوعهم ذمتهم على مثل هذا التلاعب. انظر؛ حمادة؛ المصدر السابق، ص ١٦٣.

(٦٣) الجواهري؛ المصدر السابق، ص ١٧٧.

(٦٤) وورنر؛ المصدر السابق، ص ١٧٠.

(٦٥) راجع نصوص هذه البيانات والقرارات في؛ الخالد والازري؛ المصدر السابق، ص ص ٦٧ – ٩٩.

(٦٦) حسن هاشم خلف؛ الملكية الزراعية في العراق وآفاق تطورها (رسالة ماجستير غير منشورة – الجامعة المستنصرية – ١٩٧٩) ص ٧٢ – .

(٦٧) المصدر نفسه، ص ٧٧.

(٦٨) الجواهري؛ المصدر نفسه، ص ١٢٣.

(٦٩) Hanna Batatu; The Old social classes and the revolutionary movements of Iraq (Princeton – 1978) P. 92.

(٧٠) ظاهر؛ المصدر السابق، ص ٢٣٠.

(٧١) Batatu; op. cit, P. 114

(٧٢) المقصود هنا المنطقة الممتدة شرق نهر دجلة من تكريت الى الشرقاط، وهناك منطقة اخرىٰ بهذا الاسم وهي البادية الممتدة الى الشمال الغربي حتىٰ الحدود السورية والتركية من نهر دجلة وحتىٰ نهر الخابور.

(٧٣) Williamson; op. cit, P. 182

(٧٤) الجواهري؛ المصدر السابق، ص ١٧٥.

(٧٥) كمال محمد سعيد خياط؛ القطاع الزراعي في العراق (بغداد– ١٩٧٠) ص ١٨٨.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ١٨٩.

(٧٧) وورنر؛ المصدر السابق، ص ١٧٥.

(٧٨) عند انشاء الحكومة العراقية سنة ١٩٢١ أنيطت ادارة الاراضي الاميرية الصرفة بمديرية الواردات في وزارة المالية. وربما كان اهم باعث لهذا الترتيب الفكرة السائدة في زمن الحكم التركي. أن اهم وظيفة للارض هي ان تدر ريعاً للخزينة. ولهذا اعتبرت مهمة مديرية الاراضي مقتصرة على تخمين الايراد العائد منها الى الخزينة وجبايتها. وفي سنة ١٩٢٣ فصلت مديرية الاراضي الاميرية عن مديرية الايرادات حيث انشأت لها مديرية جديدة وضعت تحت رئاسة موظف بريطاني من موظفي مديرية الايرادات. وفي سنة ١٩٢٧ نقلت مديرية الاملاك والاراضي الاميرية الى وزارة الري والزراعة ووضعت تحت ادارة موظف بريطاني. وبقيت الحال كذلك حتىٰ سنة ١٩٣٠ حين نقلت الى وزارة المالية بعد ان خفضت مرتبتها فاصبحت شعبة بدلاً من مديرية عامة. وفي تلك السنة عُين بدل البريطاني موظف عراقي بدرجة وكيل مدير. انظر؛ حمادة؛ المصدر السابق، ص ص ١٣٢ – ١٣٣.

(٧٩) ايرلند؛ المصدر السابق، ص ٣٤٦.

(٨٠) حمادة؛ المصدر السابق، ص ١٣٤.

(٨١) عبدي؛ المصدر السابق، ص ٢٤٠؛ خلف؛ المصدر السابق، ص ٧٣.

(٨٢) ايرلند؛ المصدر السابق، ٣٤٦.

(٨٣) لم يتسن لنا، عند كتابة هذا المبحث، ولظروف معينة الاطلاع على النص الكامل للتقرير الذي نشره داوسن سنة ١٩٣١ في لتشورث Litchworth بعنوان ((An inquiry into land tenure and related questions)).

(٨٤) راجع خلاصة التقرير في؛ القيسي؛ المصدر السابق، ص ص

٥٦- ٥٧ ، عبدي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٤١- ٢٤٤ ، الجواهري ، المصدر السابق ، ص ص ٢٦٠ - ٢٦٤ ، خلف ، المصدر السابق ، ص ص ٧٩- ٧٤.

(٨٥) بلغت نسبة الشيوخ والاغوات في المجلس التأسيسي العراقي سنة ١٩٢٤ نسبة ٣٤,٣٪ ، اما في البرلمان العراقي فان النسبة كانت تزيد عن الثلث وبصورة خاصة منذ اواخر الحرب العالمية الثانية وحتىٰ قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. وكان من بين من تولىٰ عضوية البرلمان العراقي ابان العهد الملكي أفراد من أسر كبار ملاك الأراضي في الموصل مثل آل الياور وآل الفرحان (من عشيرة شمر الجربا) وآل الجادر وشمدين آغا (زعيم قبلي من عشيرة سليفاني) وآل الصابونجي وآل كشمولة وآل حديد وأسرة الاغوات. كما تولى افراد من بعض هذه الأسر مناصب وزارية. انظر ؛ Batatu; op. cit, PP. 58 — 61, 103.

(٨٦) الفرد بون ، «مشاكل العراق الاجتماعية والاقتصادية» مجلة الرابطة- نيسان ١٩٤٦ ، ص ٣٧٢ ، نقلاً عن ، الجواهري ، المصدر السابق ، ص ٣١٩.

(٨٧) حمادة ، المصدر السابق ، ص ١٢١ ، القيسي ، المصدر السابق ، ص ص ٥٧- ٥٨ ، الجواهري ، المصدر السابق ، ص ص ٢٦٤ - ٢٦٦.

(٨٨) عماد احمد الجواهري ، تاريخ مشكلة الاراضي والاصلاح الزراعي في العراق ١٩٣٣- ١٩٧٠ (رسالة دكتوراه غير منشورة- كلية الاداب- جامعة بغداد- ١٩٨٢) ص ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٨٩) وزارة الزراعة ، الملكية الصغيرة في العراق ، ص ٨٧.

(٩٠) الجواهري ، تاريخ مشكلة الاراضي والاصلاح الزراعي ، ص ٢٢٨.

(٩١) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠.

(٩٢) دورين وورنر ، الاصلاح الزراعي بين المبدأ والتطبيق (بيروت- ١٩٧٥- ترجمة خيرالدين حسيب وحسن احمد السلمان) ص ٩٩.

(٩٣) عبدي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٧١- ٢٧٢ ، الجواهري ، تاريخ مشكلة الاراضي والاصلاح الزراعي ، ص ٢٣٤.

(٩٤) حمادة ، المصدر السابق ، ص ١١٩.

(٩٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٨.

(٩٦) عبدي ، المصدر السابق ، ص ٢٦٨ ، ويقدم الدكتور عماد الجواهري جدولاً يظهر ان عدد الحيازات التي منحت باللزمة في الموصل لغاية ١٩٥٤ ، والتي سجل كل واحد منها باسم شخص واحد فقط ، بلغ ١٥ حيازة ، تراوحت مساحة ١٣ واحدة منها مابين ١٠,٠٠٠ و ٢٠,٠٠٠ دونم ، اما الاثنتين الاخريين فقد تراوحت مساحة كل واحدة منها مابين ٢٠,٠٠٠ و ٣٠,٠٠٠ دونم ، الجواهري ، تاريخ مشكلة الاراضي والاصلاح الزراعي ، ص ٢٣٧.

(٩٧) عبدالرزاق الهلالي ، معجم العراق (بغداد- ١٩٥٦) جـ ٢ ، ص ١٣٧.

(٩٨) الجواهري ، تاريخ مشكلة الاراضي ١٩١٤- ١٩٣٢ ، ص ٣٥٠.

(٩٩) راجع حول القانون المذكور ومغزاه واحكامه ، المصدر نفسه ، ص ص ٣٤٧- ٣٤٩ ، حمادة ، المصدر السابق ، ص ص ١١٩ - ١٢٠ ،
Batatu; op. cit, P. 133.

(١٠٠) عبدي ، المصدر السابق ، ص ٢٥٠.

(١٠١) القيسي ، المصدر السابق ، ص ٦٠.

(١٠٢) حسن ، المصدر السابق ص ص ١٩٨ – ٢٠١.

(١٠٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ ، الجواهري ، تاريخ مشكلة الاراضي ١٩١٤- ١٩٣٢ ، ص ٣٣١.

(١٠٤) كانت دهوك وتوابعها من المناطق الجبلية ضمن لواء الموصل انذاك.

(١٠٥) شاكر خصباك ، العراق الشمالي ، دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية (بغداد- ١٩٧٣) ص ص ٣٣٦- ٣٣٧.

(١٠٦) عبدي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٣.

(١٠٧) A. M. AL — Bayati; Amonoqraph of a village in Northern Iraq (Unpublished PH. D thesis, Univ. of Ankara — 1958) PP. 43, 159.
نقلاً عن عبدي ، ص٢٩٢

(١٠٨) خصباك ، المصدر السابق ، ص ٢٩٢.

(١٠٩) انظر تفاصيل ذلك في ، الجواهري ، تاريخ مشكلة الاراضي والاصلاح الزراعي ، ص ص ٩٣- ١٧٧.

(١١٠) انظر معالجة مسألة الارض والفلاح في الصحف الموصلية (البلاغ ، الموصل ، الهدىٰ ، صدىٰ الاحرار ، الاخلاص ، فتىٰ العراق ، العمال ، المثال ، وحي القلم وغيرها) في ، وائل احمد علي النحاس ، تاريخ الصحافة الموصلية ١٩٢٦- ١٩٥٨ (رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة الموصل- ١٩٨٨) ص ص ٢٠٥- ٢١٣.

(١١١) بلغ عدد المهاجرين من الريف الى المدينة في لواء الموصل ١٩,٤٠٥ اشخاص خلال السنوات ١٩٤٧- ١٩٥٧ ، بينما كان العدد ١٥٩,٠٤٦ في بغداد و ٤٢,٨٢٣ في البصرة خلال الفترة نفسها. انظر ، عبدي ، المصدر السابق ، ص ٣٠٢.

(١١٢) حسن ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤.

(١١٣) تشكل المصرف الزراعي – الصناعي سنة ١٩٣٦ على اساس القانون المذكور اعلاه. وفي سنة ١٩٤٠ صدر قانون الفصل بين المصرف الزراعي والمصرف الصناعي ، الا ان هذا الفصل لم يُنفذ الا بعد الحرب العالمية الثانية. وكان المصرف يقدم السلف الى الفلاحين بضمان الأموال غير المنقولة والحقوق المستقرة عليها او بضمان الحاصلات الزراعية او المواشي او الآلات الزراعية او المضخات. ولذا فان اغلب الفلاحين ، وهم من المعدمين ، لم يستفيدوا في الواقع من سلف المصرف. انظر حول تأسيس المصرف وشروط التسليف ، خياط ، المصدر السابق ، ص ١٩٢- ١٩٣.

(١١٤) الاشارة هنا الى انقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٦.

(١١٥) عبد الرزاق الهلالي ، «مساكن العمال والفلاحين في العراق» مجلة البعث العربي- العدد ١٦- ١٧ ، آب ١٩٥٢ ، ص ١١.



(١١٦) الجواهري، تاريخ مشكلة الاراضي والاصلاح الزراعي، ص ٢٤٢ ومابعدها.

(١١٧) راجع نص القانون في؛ وزارة الزراعة، الملكية الصغيرة في العراق، ص ص ٣- ٨.

(١١٨) المصدر نفسه، ص ١٠٧، الجواهري؛ تاريخ مشكلة الاراضي والاصلاح الزراعي، ص ص ٢٧٧- ٢٧٨.

(١١٩) انظر الجداول المنشورة في؛ الجواهري، تاريخ مشكلة الاراضي والاصلاح الزراعي، ص ص ٢٨٠- ٢٨١.

(١٢٠) عبد الوهاب مطر الداهري؛ اقتصاديات الاصلاح الزراعي (الموصل- مطبعة- جامعة الموصل- د. ت) ص ٣٣٤.

(١٢١) الجواهري؛ تاريخ مشكلة الاراضي والاصلاح الزراعي، ص ٢٨٥.

(١٢٢) أخذت معلومات وارقام هذا الجدول من؛

Batatu; op. cit., PP. 58-61.

(١٢٣) ليث عبد الحسن الزبيدي؛ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق (بغداد- ١٩٧٩) ص ١١٩.

(١٢٤) راجع النص الكامل للقانون في؛ الجمهورية العراقية، وزارة الزراعة؛ قانون الاصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ (بغداد- مطبعة الحكومة- ١٩٥٨).

(١٢٥) Majid Khadduri; Republican Iraq (Oxford- 1969) P. 151.

(١٢٦) هادي احمد مخلف؛ حيازة الارض الزراعية واستثمارها في محافظة بغداد (بغداد- ١٩٧٧) ص ص ٨٠- ٨٢.

(١٢٧) الداهري؛ المصدر السابق، ص ٣٣٧، وحول هذه القوانين والتعديلات راجع، الخالد والازري؛ المصدر السابق، ص ص ١٦٧ - ١٨٧.

(١٢٨) مخلف، المصدر السابق، ص ٨٣.

(١٢٩) يونر؛ الاصلاح الزراعي، ص ١٠٢، وتأكيداً لذلك يذكر الجواهري انه عند انهيار حكم عبدالكريم قاسم في ٨ شباط ١٩٦٣ كان مجموع الاراضي المستولىٰ عليها قد وصل الى ٥,٩٨٢,٠٠٥ دونم، بينما لم تتجاوز مساحة الاراضي الموزعة ١,٦٦٤,٣٦٥ دونم. انظر، الجواهري؛ تاريخ مشكلة الاراضي والصلاح الزراعي، ص ٣٤٠.

(١٣٠) الداهري؛ المصدر السابق، ص ص ٣٦١- ٣٦٢.

(١٣١) الجواهري، تاريخ مشكلة الاراضي والاصلاح الزراعي، ص ص ٣٤١- ٣٤٢.

(١٣٢) الداهري؛ المصدر السابق، ص ص ٣٦٣- ٣٦٩، مخلف؛ المصدر السابق، ص ص ٩٢- ٩٩.

(١٣٣) الداهري، المصدر السابق، ص ٣٧١.

(١٣٤) بشأن تفاصيل اكثر راجع؛ الجواهري؛ تاريخ مشكلة الاراضي والصلاح الزراعي، ص ص ٤٨٢- ٤٨٤.

(١٣٥) الخالد والأزري؛ المصدر السابق، ص ص ٢١٠- ٢١١.

(١٣٦) الداهري؛ المصدر السابق، ص ٤٣٤.

(١٣٧) تعد الادارة المؤقتة فترة اعداد الاراضي التي استولت عليها الدولة والتي في حيازتها لتكون صالحة للتوزيع، وتوفير المتطلبات الضرورية للاستثمار السليم. وتكون مهمة الاصلاح الزراعي في هذه الفترة ادارة هذه الاراضي عن طريق تأجيرها الى المزارعين الفعليين فيها وذلك بوساطة جهاز الادارة المؤقتة التابع لمؤسسة الاصلاح الزراعي والمجالس الزراعية في المحافظات. ان ادارة الاراضي في فترة الانتقال تعتبر من المراحل التنفيذية المهمة لقانون الاصلاح الزراعي، ففيها يتم اعداد المتعاقدين من الفلاحين ليصبحوا مالكين فيها بعد. انظر؛ المصدر نفسه، ص ٤٣٥.

(١٣٨) المصدر نفسه، ص ٤٤٣.

(١٣٩) محمد خيري محمد العبيدي؛ دراسة تحليلية للنشاط الاقتصادي للتعاونيات الزراعية العراقية (رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الزراعة- جامعة القاهرة ١٩٧٨) ص ١٢٨.

(١٤٠) خصباك، المصدر السابق، ص ص ٢٠٦- ٢٠٧.

(١٤١) عدنان احمد ثلاج البدراني؛ دراسة اقتصادية تحليلية للتسليف الزراعي للجمعيات التعاونية الزراعية في محافظة نينوى (رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الزراعة- جامعة الموصل- ١٩٨٢) ص ص ٣٠- ٣١.

(١٤٢) المصدر نفسه، ص ٦٧.

الزراعة والثروة الحيوانية

د. خليل اسماعيل محمد

مقدمة:

بدأت حركة الاهتمام بالزراعة في العراق في ظل التشريعات والقوانين الزراعية التي كانت تهدف الى تنظيم استثمار الارض والعلاقات الانتاجية منذ قانون عام ١٨٥٧، أعقب ذلك توسع في تطبيقات هذا القانون خلال ولاية مدحت باشا لبغداد (١٨٦٩-١٨٧٢) ثم كانت قوانين تنظيم الري وتوسيع رقعة الأرض الزراعية بعد ذلك.

من جهة اخرى، فان تطبيق تلك التشريعات



خارج حدود المراكز الحضرية كان ضعيفاً، حيث لم تصل تأثيراتها المناطق الريفية والاطراف البعيدة حتى نهاية الحكم العثماني للعراق. ويمكن القول إن الحكومة العثمانية لم تنجح في توفير نظام قادر على تنظيم شؤون الاراضي، لذلك استمرت مشكلة الارض والعلاقات الانتاجية الزراعية قائمة حتى بعد خروج العراق من السيطرة العثمانية.(١)

وفي ظل الاحتلال البريطاني لم يحاول الانكليز احداث تغير جوهري في نظام التصرف بالارض، بيد انهم اصدروا قرارات خاصة عززوا بها مكانة الشيوخ ووسعوا نفوذهم.(٢)

وبعد حصول العراق على الاستقلال تم الاستعانة بالخبير «دوسن» لدراسة المشكلة الزراعية. وقد اقترح الخبير إنهاء سيادة النظام العشائري، واعتماد سياسة علمية تقوم على المسح الشامل للأرض الزراعية مع بقاء ملكية الارض للدولة وهي تتولى تفويض حق التصرف الى المستغلين الفعليين.

وفي ضوء ذلك شرعت الحكومة العراقية عدداً من القوانين لتسوية حقوق التصرف بالارض من بينها قانون رقم (٥٠) لسنة ١٩٣٢ وقانون (٢٩) لسنة ١٩٣٨ وقانون (١١) لسنة ١٩٤٠، وقانون (٤٨) لسنة ١٩٤١، ثم قانون رقم (١١) لسنة ١٩٥٤.

وبرغم ذلك فان نظام الملكية في العراق كان في مقدمة العوامل التي عرقلت التطور الزراعي، وحدّ من امكانات التوسع في الارض الزراعية، كما قامت بدور في هجرة الفلاحين الى المدن.

وقد عمدت الحكومة العراقية الى تشريع قوانين لاصلاح حالة الملكية الزراعية، الا ان نتائجها لم تكن مرضية. ومن بين هذه التشريعات قانون تسوية حقوق الارض لعام ١٩٣٢، وتعديلاته عامي ١٩٣٨ و١٩٣٩. كما شرع قانون عام ١٩٤٠ لتنظيم العمل الزراعي. واتجهت الدولة عام ١٩٤٥ الى توزيع الأراضي الاميرية على اساس الملكيات الصغيرة، ومع ذلك فان بيانات التعداد الزراعي (١٩٥٧-١٩٥٨) اشارت الى ان مساحة الاراضي الاميرية الموزعة خلال الفترة بين عامي (١٩٤٥-١٩٥٥) كانت حوالي (٢,٢) مليون دونم وعلى (١٥,٥٠٠) فلاح فقط. ويلاحظ ان نصف هذه المساحة منح الى شيخ عشائر شمر في الموصل(٣) وحتى صدور قانون الاصلاح الزراعي رقم (٣٠) لسنة ١٩٥٨، كان (٨٥٪) بين المالكين لاتتجاوز ملكياتهم (١٢٪) من مجموع مساحة الارض الزراعية، فيما كان نحو (١٥٪) منهم يملكون (٨٨٪) من مجموع الملكيات الزراعية في القطر. كما ظهر ان الغالبية العظمى من الفلاحين محرومون من الارض الزراعية (٤) اما معدل حجم الملكية فكان في المحافظة أعلى منه في القطر(٥).

ويمكن القول بأن ثمة فئات ثلاث ظهرت آنذاك، هي فئة صغار المالكين، وكبار المالكين والمالكين الغائبين، وكان نظام المحاصصة هو المعمول به حيث يقسم الناتج بين اربعة اطراف لم يكن للفلاح فيه سوى نصيب ضئيل لايزيد على ٥٥٪ في المناطق الديمية، واقل من ذلك بكثير في المناطق الاروائية، انظر الجدول (١).

الجدول (١)
الانتاج الزراعي في نظام المحاصصة قبل عام ١٩٥٨

الاطراف	الاراضي المروية	الاراضي الديمية
الدولة	١٠	٥,٠
السركال	٢,٥	—
المالك	٤٧,٥	٤٠,٠
الفلاح	٤٠,٠	٥٥,٠
المجموع	١٠٠	١٠٠

المصدر: عبد الخالق عبدي، اقتصاديات الارض والاصلاح الزراعي، ص٢٨٣.



ثم جاءت التشريعات والقوانين الزراعية بعد عام ١٩٥٨ ، لتعمل على اعادة توزيع الارض الزراعية على الفلاحين ، وفق اسس وقواعد تحقق زيادة الانتاج ورفاهية المجتمع . ومن هذه التشريعات قانون الاصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ وتعديلاته عام ١٩٦٩ ، وقانون الاصلاح الزراعي رقم ١١٧ لسنة ١٩٧٠ ، ثم قانون رقم ٩٠ لسنة ١٩٧٥ ، وهكذا ظهر الى جانب التوزيع الفردي للأرض الزراعية التوزيع الجماعي . وفضلا عن التعاونيات الزراعية المشتركة ظهرت المزارع الجماعية ومزارع الدولة في حين لم تكن في المحافظة سوى (٣) جمعيات تعاونية عام ١٩٦٣ بلغت (٢٤٣) جمعية عام ١٩٧٧ . كما زاد عدد اعضائها من (٣٢٠) عضو، الى (٥٩٤٠٤) عضو خلال تلك الفترة . وفضلاً عن ذلك فان المحافظة تتصدر حالياً محافظات القطر من حيث عدد التعاونيات الزراعية ومجموع عدد اعضائها والمساحات التي بحوزتها[٦] .

الزراعة :

يمثل القطاع الزراعي واحداً من اهم القطاعات الأنتاجية التي تسهم في تنمية الدخل القومي في العراق . بل ويعد حجر الزاوية في التوجهات الحقيقية للتنمية القومية .

ولقد تهيأ للعراق ، خلال امكاناته الطبيعية والبشرية ،ان تكون للزراعة قاعدة متميزة وذات جذور تأريخية في اقتصاديات القطر ، وان تكون مياه الأنهار المصدر الرئيس لقيام الزراعة واستقرار السكان ، دفع بالانسان للسيطرة على تلك المياه وتحقيق المستوى الافضل لحاجات الزراعة والسكان .

وتعد محافظة نينوى في مقدمة محافظات القطر مساهمة في القطاع الزراعي ، سواء من حيث المساحات المزروعة ، أو من حيث كميات الانتاج .

واذا كانت المساحة المزروعة في عموم القطر لاتتجاوز ١٧٪ من مجموع الأراضي الصالحة للزراعة ، فان هذه النسبة ترتفع الى نحو ٦٤٪ في تلك المحافظة[٧] .

وتشير البيانات الى ان المساحة المزروعة في محافظة نينوى بلغت اكثر من اربعة ملايين دونم تمثل ٣٩٪ من مجموع المساحات المزروعة في القطر . كما بلغ حجم انتاجها الزراعي نحو ٥٠٪ من مجموع الانتاج الزراعي لعام ١٩٨٨[٨] .

ومع تباين نسب المساحات الزراعية وكميات الانتاج بين سنة واخرى ، فانها تتباين على مستوى الوحدات الادارية الاصغر كذلك ، لاحظ الخريطة (١) ، حيث تمثل الشيخان وتلعفر وتلكيف وسنجار، والحمدانية اهم المناطق التي تضم الامكانات الزراعية على نطاق واسع .

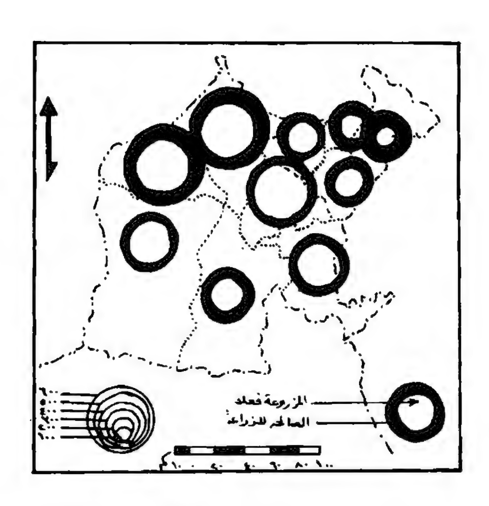
من جهة اخرى ، فان المساحات المزروعة بالمحاصيل الشتوية تحتل مركز الصدارة في الاستثمار الزراعي ، ولاسيما الحنطة والشعير .

ويلاحظ ان الموسم الزراعي ١٩٥٨-١٩٥٩، كان قد كشف عن نسبة متميزة في استثمار الارض وزراعتها ، بلغت نحو ٥١٪ من مجموع الاراضي الصالحة للزراعة . بيد ان هذه النسبة ارتفعت خلال السنوات التالية ، بحيث بلغت نحو ٦٤٪ للموسم الزراعي ١٩٧٦/١٩٧٧ .

وبينما كانت الزيادة في الارض الزراعية تجاوزت ١٩٪ خلال الفترة بين موسمي (١٩٥٧/١٩٥٨ و١٩٦٣/١٩٦٤) ، فانها بلغت نحو ٢٤٪ للفترة (١٩٦٣/١٩٦٤-١٩٦٨/١٩٦٩)، فيما عانت انخفاضاً خلال الفترة (٦٨/٩٦٩- ٩٧٦/ ١٩٧٧) وبنسبة ١٥٪ ، كما كانت الزيادة في مساحة الارض المستثمرة زراعياً للفترة بين (١٩٨١-١٩٨٨) نحو (٢٠٪) .[٩]

ويلاحظ ان المساحات المزروعة بالمحاصيل الشتوية قد احتلت اكثر من ٩٨٪ من مجموع





الارض الزراعية والصالحة للزراعة في محافظة نينوى (١٩٨٦).

الاراضي المزروعة فعلاً، مما يجعلها الاساس في مجمل الفعاليات الزراعية مساحة وانتاجاً. لاحظ جدول رقم (٢). ومع ذلك فان الزيادة في الانتاج الزراعي الصيفي ارتفع من (١,٢-١,٨)٪ خلال الفترة بين موسمي (٩٥٧/ ٩٥٨- ٩٧٦/ ١٩٧٧)، وقد قامت الزراعة الصيفية حيث الانهار وتفرعاتها بصورة خاصة، فضلاً عن العيون والينابيع والكهاريز والآبار المنتشرة في المحافظة، لاحظ جدول رقم (٢) بيد انها عانت انخفاضاً جديداً للموسم ١٩٨٧-١٩٨٨ سواء بالنسبة للمحاصيل الصيفية او للخضراوات.

ومن الطبيعي أن التوسع في المشاريع الاروائية ساهم الى حد كبير في عمليات التوسع في الزراعة الأروائية، كما سيرد في حينه.

وتظل الحبوب الغذائية تمثل حجر الزاوية في استثمار الأرض الزراعية في المحافظة، وذلك للحاجة المتزايدة لمثل هذه الغلات بسبب النمو السريع للسكان من جهة، وارتفاع المستوى المعاشي من جهة اخرى. واذا كانت المساحات المزروعة

الجدول (٢)

المساحات المزروعة بحسب نوع الانتاج (١٩٥٧- ١٩٨٧)

نوع الانتاج	الموسم ١٩٥٧-١٩٥٨	الموسم ١٩٧٦-١٩٧٧	١٩٨٧-١٩٨٨
المحاصيل الشتوية	٩٨,٧	٩٨,١	٩٨,٦
المحاصيل الصيفية	٠,٩	٠,٦	٠,٣
الخضراوات الشتوية	٠,١	٠,١	٠,١
الخضراوات الصيفية	٠,٣	١,٢	١,٠

وزارة التخطيط، المجموعات الاحصائية السنوية للسنوات المعنية.

بالحبوب الغذائية تضم النسبة الاكبر من الأراضي المستثمرة في المحافظة، فانها تمثل ثلث الاراضي المستغلة بزراعة الحبوب في البلاد، و(٣٩)٪ من مجموع الانتاج. وبينما، تبلغ المساحة المزروعة بالقمح (٣٥)٪ من الارض المزروعة به في القطر ونحو ٤٦٪ من الانتاج عام ١٩٨٥، فان هذه المساحة تجاوزت ٣٨٪ للموسم الزراعي ١٩٨٨، فيما انخفض الانتاج الى اقل من ٤٣٪ من مجموع انتاجه، لاحظ جدول رقم (٣). اما بالنسبة للشعير، فقد ارتفع حجم الانتاج من (٣٦-٦٢)٪ من مجموع انتاجه في القطر، وذلك للتوسع في زراعته بحيث زادت الرقعة المزروعة من نحو (٣٢-٤٤)٪ من جملة الأراضي المزروعة بالشعير للفترة من ١٩٨٥ - ١٩٨٨).

وفضلاً عن ذلك فان في المحافظة اعداداً كبيرة من الاشجار ذات الثمار المختلفة. وقد بلغ عدد هذه الاشجار «٢,٢٩٤,٠٠٠» شجرة وتحتل اشجار التفاح والحمضيات والزيتون نسباً متميزة، فيما بلغت مساحة البساتين نحو (١١) الف دونم[١٠].

وتعتمد الزراعة اساساً على الامطار، ولاسيما



الجدول (٣)
المساحات المزروعة والانتاج في محافظة نينوى بحسب الغلة بالنسبة للعراق (٪)

الغلة	المساحة (١٩٨٥)	الانتاج	المساحة (١٩٨٨)	الانتاج
الحنطة	٣٥,١	٤٥,٩	٣٨,٢	٤٢,٥
الشعير	٣١,٥	٣٦,٤	٤٣,٦	٦١,٨
الشلب	٠,٩	١,٨	٠,٨	١,١
القطن	٠,٠٣	٦,٩	٢,٠	٢,٦
الذرة	٧,١	١٠,٠	٣,٥	٧,٦
عباد الشمس	٢٠,٣	٣٠,٨	٤,٨	٧,٥
المجموع	٣١,١	٣٧,٦	٣٩,٢	٤٩,٥

المجموعة الاحصائية السنوية ١٩٨٥ و ١٩٨٨.

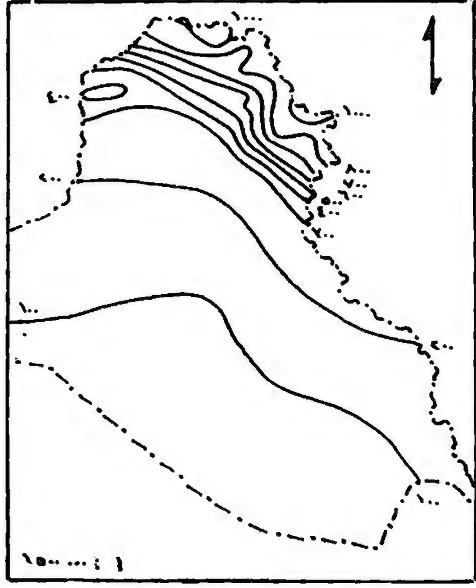
زراعة الحبوب الغذائية. ومن المعروف ان كميات الامطار الساقطة في المحافظة تبلغ في معدلها «٣٩٠» ملم موزعة على نحو «٩٠» يوماً وتتركز في شهر كانون الثاني، وشباط وآذار وشهر كانون الاول[١١] وتقع المساحات القابلة للزراعة شمال خط المطر «٣٠٠» ملم سنوياً، انظر الخريطة رقم «٢». من جهة اخرى فان للمياه الجوفية اهمية لاسيا في الزراعة الصيفية حيث تتركز عند العيون والينابيع والآبار والكهاريز وتحديداً في الشمال الشرقي والغرب والشمال الغربي من المحافظة، وطبيعي فان التذبذب في كمية الامطار تعكس آثارها على مستوى المياه الجوفية، مما يؤثر سلبياً على كميات المياه في مصادر الزراعة الصيفية.

وقد اثبتت الدراسات الحقلية ان انتاج الحبوب في المحافظة وخاصة «الحنطة والشعير» يستجيب طردياً لكمية الامطار الساقطة خلال فترتي الانبات والنمو، فكلما زادت تلك الكمية مالت الغلة الى الارتفاع[١٢].

وعليه، فان الانتاج الزراعي يتأثر كماً وكيفاً بالبيئة الطبيعية للمحافظة، لاسيا في الجهات التي تعتمد على الامطار في انتاجها الزراعي مباشرة. ومن المعروف ان محافظة نينوى تقع في ظل المعايير المناخية لانتاج الحبوب في اقليم الزراعة المطرية شبه المضمونة حيث تزيد كمية الامطار الساقطة على كمية الاستهلاك المائي في معظم اشهر النمو[١٣].

وعلى الرغم من ان الزراعة الشتوية تسود المنطقة المطرية في المحافظات الشمالية من القطر فان الاراضي المنبسطة والصالحة للزراعة، هي الافضل في عمليات الاستغلال الزراعي. وتمثل هضبة الموصل «سهل شمر» وضفاف دجلة والاراضي بين نهري دجلة والكومل، من اكثر جهات المحافظة في الزراعة انتاجاً.

ويمكن تقسيم المحاصيل الزراعية في المحافظة بحسب اهميتها الى:



المعدلات السنوية للامطار في العراق - ملم -

أ- المحاصيل الحقلية الشتوية: وتشمل الحنطة والشعير والعدس والحمص والباقلاء.



ب- المحاصيل الحقلية الصيفية : واهمها : الرز والذرة والقطن والسمسم والبنجر السكري.
جـ- الخضراوات الشتوية : وتتمثل في الباقلاء والبصل الاخضر والفجل والسلق.
د- الخضراوات الصيفية : ومن بينها ، الرقي والبطيخ والخيار، والطماطة والبامية.

وفيما يأتي دراسة لأهم هذه المحاصيل :

أ- المحاصيل الحقلية الشتوية :

وتبلغ المساحة المزروعة بمثل هذه المحاصيل نحو «٣,٩٩٤,١٢٤» دونم ونحو ٢٢١٧٣٤ طناً من الانتاج[١٤]. وتمثل اكثر من ٩٨٪ من مجموع المساحات المزروعة في المحافظة وما يزيد على ٥٦٪ من الانتاج. ولاشك فان مقدار كميات الامطار الساقطة وزمن سقوطها يقومان بدور فاعل في رسم حدود زراعة مثل هذه المحاصيل ، ومن بعد تؤثر في كميات انتاجها. فلا غرو ان تتباين غلة انتاج الدونم الواحد بين سنة واخرى ، كنتيجة لاختلاف كميات الامطار الساقطة ، فضلاً عن عوامل اخرى سنأتي على ذكرها لاحقاً.

وبينما تتراوح كميات الامطار السنوية الساقطة في المحافظة بين (٨٥٠) ملم في اطرافها الشرقية والشمالية الشرقية ، فانها تقل عن (١٧٥) ملم في جهاتها الجنوبية والجنوبية الغربية. من جهة اخرى ، فان هذه الامطار تتباين زمانياً ايضا. فخلال الفترة بين عامي (١٩٥٧-١٩٧٧) تجاوزت كميات الامطار الساقطة في المحافظة (٦٠٠) ملم سنوياً في المتوسط للموسم الزراعي ١٩٦٢/١٩٦٣ ، في حين انحبست الامطار للسنة التالية ، بحيث بلغت (١٧٢) ملم ، وتجاوزت (٥٩٤) ملم في عام ١٩٨٨.

وفي ضوء هذا التذبذب في كميات الامطار الساقطة صدر قرار لمجلس قيادة الثورة بجعل خط سقوط المطر (٤٠٠) ملم ، النطاق المضمون للزراعة الشتوية[١٥].

ومن المناسب دراسة اهم المحاصيل الزراعية في المحافظة :

القمح :

تتصدر نينوى محافظات القطر في زراعة القمح مساحة وانتاجاً ، فقد بلغت المساحة المزروعة بالقمح في المحافظة اكثر من ٣٨٪ من مجموعها في البلاد. ومع ان محافظة التأميم تأتي بالدرجة التالية ، فانها لاتمثل سوى ١٤٪ من مجموع المساحة المزروعة قمحاً. وبلغت كميات الانتاج نحو ٤٣٪ من مجمل انتاج القمح في العراق.[١٦]

وتحتل المساحات المزروعة بالقمح نسبة تبلغ اكثر من ٣٩٪ من مجموع الارض المزروعة في المحافظة ، ونحو ٣١٪ من كمية الانتاج ، لاحظ الجدول (٤).

الجدول (٤)
الغلات الزراعية في محافظة نينوى (١٩٨٨)
بحسب المساحة والانتاج

الغلة الزراعية	المساحة ٪	الانتاج ٪
القمح	٣٩,٢	٣٠,٦
الشعير	٦٠,٥	٦٨,٨
الشلب	٠,٠٤	٠,١
القطن	٠,٠٣	٠,٠٣
الذرة	٠,٢	٠,٤
عباد الشمس	٠,٠٦	٠,٠٦

المجموعة الاحصائية السنوية (١٩٨٨/ ١٠١- ١٠٢)

وتتباين زراعة القمح بين جهات المحافظة ، فهي تزداد في اقضية : تلعفر مركز الموصل ،

سنجار، والبعاج، في حين تقل في تلكيف والحمدانية والشيخان وعقرة.

وتشتهر الموصل بالحنطة القندهارية، وهي على نوعين:

١- الحنطة الناعمة: وتستعمل للخبز ومنها حميرة وبويضة، ومانية.
٢- الحنطة الخشنة: وتستعمل غالبا لصنع البرغل[١٧]. واصنافها: سن الحمل وكروكة وصندولة والسماقية، والأخيرة اكثرها شيوعاً.[١٨]

وجدير بالذكر ان ثمة انواعاً نجحت زراعتها من اهمها: صنف «صابر بك» وصنف «المكسيباك» نتيجة تحملها للظروف الطبيعية والطلب المتزايد عليها فضلا عن الصنف «الايطالي» الخشن. ومن المعروف أن القمح هو الغلة الاساسية، سواء من حيث كونها تمثل المادة الغذائية للسكان، او لاهميتها في عدد من الصناعات الغذائية.

ويبدو ان المساحات المزروعة بالقمح، وكميات الانتاج تتباين من فترة لاخرى، حيث تتراوح المساحة الزراعية بين ما يزيد على ثلاثة ملايين ونصف دونم الى اقل من المليون كما تتحرك الكميات المنتجة بين (٨٠,٦٠٠) طن و(٦٤٤,٨٠٠) طن خلال الفترة بين عامي (١٩٥٠-١٩٨٨)، انظر جدول رقم (٥).

ان الظروف الصعبة التي واجهت القطاع الزراعي في العراق، سواء الطبيعية منها (كالامطار وعدم انتظام مناسيب المياه، وانخفاض درجات الحرارة، او البشرية من بينها: السلبيات التي رافقت تطبيق القوانين والتشريعات الزراعية، والبيروقراطية في اجهزة الدولة الى جانب قلة الكادر المتخصص، والآفات الزراعية، ودرجة الاستفادة من التقنية الزراعية. كلها عوامل كانت تقف وراء التذبذب في الانتاج الزراعي، لاسيما بالنسبة للحبوب الغذائية ولاسيما القمح. كما تركت ذات

الجدول (٥)
القمح مساحة وانتاجاً في محافظة نينوى
(١٩٥٠-١٩٨٨)

السنة	المساحة (دونم)	الانتاج (طن)
١٩٥٠	٩٥٢,٠٠٠	١٥٠,٠٠٠
١٩٥٥	٢,٢٠٠,٠٠٠	١٧٧,٠٠٠
١٩٥٨	٢,٧٢٧,٠٠٠	٢٦٢,٠٠٠
١٩٦٢	٢,٣٣٣,٠٠٠	٤٤٦,٠٠٠
١٩٦٨	٣,٥٢٧,٠٠٠	٥٥٦,٠٠٠
١٩٦٩	٣,٠٠١,٣٠٠	٤٣٠,٣٠٠
١٩٧٠	٣,٠١٨,٩٠٠	٣٧٦,٤٠٠
١٩٧١	٧٧٠,٤٠٠	٨٠,٦٠٠
١٩٧٤	٣,٢٦٤,٠٠٠	٤٩٠,٠٠٠
١٩٧٥	٢,٤٠٤,٤٠٠	٢٣١,٣٠٠
١٩٨١	٢,١٥٠,٤٠٠	٣٦٦,١٠٠
١٩٨٥	٢,١٩٨,٠٠٠	٦٤٤,٨٠٠
١٩٨٨	١,٦٧٢,٥٠٠	٣٩٤,٥٠٠

المجموعات الاحصائية للسنوات ١٩٧٤ و ١٩٨١ و ١٩٨٥ و ١٩٨٨.

العوامل بصماتها بوضوح على انتاجية الدونم الواحد في المحافظة فبينما وصل انتاج الدونم الواحد من القمح (٢٣٦) كغم سنة ١٩٨٨، لم يتجاوز الانتاج عام ١٩٥٥ «٨٠» كغم فقط. مما يعكس الى جانب التذبذب في انتاجية الغلة، التطور الذي رافق الفترة المذكورة في هذا المجال، انظر جدول رقم (٦).

وفي مقارنة لمتوسط انتاج الغلة مع اقطار اخرى يظهر الفرق الكبير بين انتاجية الدونم الواحد. ففي مصر، بلغ المتوسط (٦٩٠) كغم/ دونم، وفي البانيا (٦٣٣)، وبلغ في اليابان (٦١٣) كغم/دونم[١٩].

الجدول (٦)

تباين انتاج القمح في محافظة نينوى من حيث الغلة الزراعية

(١٩٥٠-١٩٨٨)

السنة	الغلة (كغم/ دونم)	السنة	الغلة (كغم/ دونم)
١٩٥٠	١٦٠	١٩٧١	١٠٥
١٩٥٥	٨٠	١٩٧٤	١٥٨
١٩٥٨	٩٦	١٩٨٠	١٧٨
١٩٦٢	١٩١	١٩٨١	١٨٦
١٩٦٨	١٥٧	١٩٨٢	٢٠٤
١٩٦٩	١٤٣	١٩٨٤	٦٣
١٩٧٠	١٢٥	١٩٨٥	٢٣٩
		١٩٨٨	٢٣٦

ومع ذلك فان ثمة ارتفاعاً صاحب النصف الثاني من هذا القرن، ويبرز بوضوح في فترة الثمانينات،

ولاريب في ان زيادة استخدام المكننة الزراعية تتناسب طردياً مع انتاجية الغلة، كما ان الاستخدام الافضل للموارد المائية بما يحقق استمراريتها بمقادير مناسبة للاستثمار الزراعي، فضلاً عن استخدام البذور المحسنة والاسمدة الكيمياوية، برعاية وارشاد المعنيين في الارشاد الزراعي، ومكافحة الآفات الزراعية.. من شأنها ان تعكس آثارها ايجابياً على مستوى الانتاج ونوعيته.

الشعير:

وقد تقدم بقية المحاصيل الزراعية في الآونة الاخيرة، مساحة وانتاجاً، حيث تجاوزت المساحات المزروعة في المحافظة (٦٠٪) من مجموع الاراضي الزراعية، ونحو (٦٩٪) من مجموع الانتاج[٢٠]. وتمثل نحو (٤٤٪) من المساحة المزروعة بالشعير في البلاد، و (٦٢٪) من مجموع انتاجه، لاحظ جدول رقم (٧).

الجدول (٧)

الشعير في محافظة نينوى مساحة وانتاجاً

(١٩٦٩- ١٩٨٨)

السنة	المساحة ٪	الانتاج ٪	السنة	المساحة ٪	الانتاج ٪
١٩٦٩	٣٣,٨	٣٠,١	١٩٨٢	٤٥,٤	٣٤,٠
١٩٧٠	٢٥,١	١٤,٤	١٩٨٤	٢٤,٥	٨,٣
١٩٧١	٦,٧	٢,٤	١٩٨٥	٤٢,٨	٣٦,٤
١٩٨٠	٣٢,٨	٢٩,٩	١٩٨٨	٤٣,٦	٦١,٨
١٩٨١	٣٣,٧	٣٥,٤			

المجموعة الاحصائية للسنوات ١٩٦٩- ١٩٨٨

ومثل ما عانى القمح تذبذباً في مساحاته المزروعة، وفي انتاجه، كذلك عانى الشعير. فبينما لم تتجاوز المساحة المزروعة مليون دونم سنة ١٩٨١، بلغت نحو (٢,٦) مليون دونم سنة (١٩٨٨). كما زاد الانتاج من (٣٢٧) الف طن الى اكثر من (٨٨٨) الف طن خلال الفترة نفسها[٢١].

وتتركز المساحات المزروعة بالشعير في اقضية: تلعفر والموصل، وسنجار وعقرة، والشيخان، فيما تقل في قضائي، الحضر والبعاج. ويبدو ان الشعير قد توغلت زراعته بعيداً، خارج حدود مناطقه الزراعية، بسبب تحمله للمناخ المتطرف، وحيث يمكن نجاح زراعته في ظروف حرارية لاتتناسب وكثير من المحاصيل الزراعية الاخرى، وبمقدار اقل من المياه[٢٢].

المحاصيل الحقلية الصيفية:

الرز:

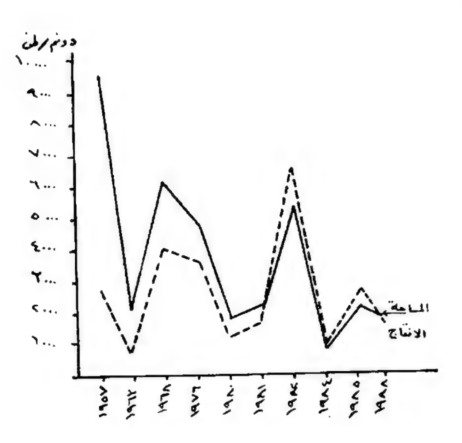
ويمثل اهم الغلات الصيفية في المحافظة، وقد



بلغت نسبة المساحة المزروعة بالرز اكثر من (٢٠٪) من مجموع المساحات الحقلية المزروعة صيفاً ، ونحو (٨٪) من مجموع الانتاج الصيفي في المحافظة .

ويلاحظ من البيانات المتوافرة أن المساحات المزروعة بالرز قد أنخفضت خلال العقود الثلاث الاخيرة (لاحظ الجدول (٨)) بحيث لاتزيد في الوقت الحاضر على (١٪) فقط من مجموع المساحات المزروعة في المحافظة ، ونحو (٢٪) من مجموع الانتاج[٢٣] . وبينما كان الاستغلال للارض الزراعية بمحصول الرز يبلغ اكثر من (٩٥٠٠) دونم للسنة الدراسية ١٩٥٧ فان المساحة المزروعة لم تتجاوز (١٧٠٠) دونم سنة ١٩٨٨ ، وبانتاج بلغ (١٥٠٠) طن لاحظ شكل (١) . وهو لايمثل سوى (٠,١٪) من مجموع الانتاج الزراعي[٢٤] .

وتباينت كذلك انتاج الغلة بين (٢٨٨) كغم في الدونم الواحد الى اكثر من (١٢٤٩) كغم ، خلال الفترة بين عامي (١٩٥٧-١٩٨٨) .



الشكل رقم -١- الرز في محافظة نينوى للفترة (١٩٥٧ - ١٩٨٨)

الجدول (٨)

الرز مساحة وانتاجاً في محافظة نينوى

(١٩٥٧- ١٩٨٨)

السنة	المساحة (دونم)	الانتاج طن
١٩٥٧	٩٥٣١	٢٦٥٥
١٩٦٣	٢٠٥٢	٩١٦
١٩٦٨	٦١١٤	٣٩٥٧
١٩٧٦	٤٨٢٠	٣٤٥٦
١٩٨٠	١٩٠٠	١٢٠٠
١٩٨١	٢٢٠٠	١٧٠٠
١٩٨٢	٥٣٠٠	٦٦٠٠
١٩٨٤	٧٠٠	٨٠٠
١٩٨٥	٢٢٠٠	٢٦٠٠
١٩٨٨	١٧٠٠	١٥٠٠

المجموعات الاحصائية للسنوات المذكورة.

ومن المعروف ان الرز يحتاج الى درجات حرارة عالية لاتقل عن (٣٤)°م في المتوسط ، مما لايتناسب وظروف المحافظة المناخية ، فضلاً عن الحاجة الى الموارد المائية صيفاً . فلاغروان تبلغ مساهمة المحافظة نسبة (١٪) فقط من مجموع انتاج الرز في البلاد[٢٥] .

وتتركز زراعة الرز في النطاق الشرقي من المحافظة ، وذلك حيثما توافرت مياه العيون والابار والينابيع ، او توافرت ظروف الارواء الاخرى . ويعد قضاءا عقرة والشيخان اهم مناطق زراعته .

الذرة الصفراء

وتحتل الذرة الصفراء مساحة صغيرة نسبياً من الارض الزراعية في المحافظة ، تتراوح بين (٠,١-٠,٥) ٪ من مجموع المساحة المزروعة في القطر ، وبحدود مماثلة في الانتاج .

ومن المعروف ان لتوفر السوق الاستهلاكية ،



وكميات المياه اللازمة، دور في المساحة المزروعة بالذرة، وفي كمية الانتاج. وقد لوحظ تباين كبير في المساحات المزروعة بها، وكميات الانتاج، بحيث بلغت في الموسم الزراعي ١٩٨٨ نحو (٩٢٨٥) دونم من حيث المساحة، وبلغ حجم الانتاج، (٥٨٥٥) طن، فيما لم تكن تتجاوز المساحة المزروعة للموسم الزراعي (١٩٨٥) حدود (٩٧) دونم فقط وبكمية انتاج لاتزيد على (٤١) طن. انظر جدول رقم (٩). وتمثل اقضية الحمدانية وعقرة والشيخان وتلعفر، وتلكيف، المناطق الرئيسة لانتاجه.

الجدول (٩)
الذرة الصفراء في محافظة نينوى مساحة وانتاجاً (١٩٥٧-١٩٨٨)

السنة	المساحة (دونم)	الانتاج (طن)
١٩٥٧	٩٨٢	٢٠٧
١٩٦٣	٤٩٣	٩٩
١٩٦٨	٦٦٨	٢١٦
١٩٧٦	٣٤٢	١٠٣
١٩٨٠	١٨١	١٩٣
١٩٨٢	٣٩٨	—
١٩٨٤	٤٧٧	١٨٨
١٩٨٥	٩٧	٤١
١٩٨٨	٩٢٨٥	٥٨٥٥

المجموعات الاحصائية للسنوات ١٩٥٧-١٩٨٨.

القطن:

من المحاصيل النقدية الصيفية المهمة، والتي تحتاج الى كثير من الجهد والعناية، لذا فان مجال زراعته محدود نسبياً، وقد بلغت المساحة المزروعة بالقطن اقل من (١٪) من الارض المزروعة في المحافظة. وتمثل هذه النسبة (٢٪) من المساحة المزروعة قطناً في البلاد كما بلغ الانتاج ٢,٦٪ من مجموع الانتاج.

وتتركز زراعة القطن في اقضية: تلعفر، وسنجار، والحمدانية.

ويبدو ان فترة السبعينات كانت فترة ازدهار زراعة القطن في المحافظة، ويمكن ان نعزو ذلك الى الزيادة في الطلب عليه اليافاً وبذوراً، بسبب زيادة حجم السكان، واتباع الطرق الحديثة في مكافحة الآفات الزراعية، فضلاً عن استعمال البذور المحسنة، والاسمدة الكيمياوية. وقد تمثلت الفترة المذكورة باستعمال واسع للاسمدة في المحافظة، حيث ارتفعت الكمية المستثمرة من (١٢٤٢) طن للموسم الزراعي ٩٧٣-١٩٧٤، الى (١٧٣٦٦) طن للموسم ١٩٧٦-١٩٧٧، كما ارتفعت المساحة التي تم تسميدها من (١٦٥١٧-١٠٠٢٠٠) دونم للفترة نفسها[٢٦]. ومع ذلك فان التباين في انتاج الغلة مازال قائماً كذلك بالنسبة لانتاجية محصول القطن.

ان اسباب تذبذب القطن مساحة وانتاجاً، يعود في الغالب الى:

١- العناية الكبيرة التي تحتاجها زراعة القطن، مما يقلل من رغبة الفلاح التوسع في زراعته.
٢- الحاجة المستمرة الى استعمال الاسمدة.
٣- الآفات الزراعية التي قد تؤدي بالناتج في بعض المواسم.
٤- التذبذب في مستوى المياه صيفاً مع حاجة القطن الى المياه في هذا الفصل.

وفضلاً عما سبق من غلات اشتهرت بها المحافظة، فان ثمة مساحات تزرع سنويا بمحاصيل ذات اهمية فصلية، منها: السمسم، والعدس والمرطهان والباقلاء وعباد الشمس.. وقد بلغ الانتاج من المرطهان في المحافظة ٩٧٪ من مجموعه في العراق



ومثل ذلك من المساحة ونحو ٤٧٪ من العدس ، اما المساحات المزروعة بالحمص والكتان فقد تجاوز ثلث المساحات المزروعة بها في البلاد ومثل ذلك في الانتاج[٢٧] . وتعد الشيخان وعقرة وتلكيف والحمدانية اهم اقضية المحافظة مساحة وانتاجاً للعدس والحمص.

ج - اشجار الفاكهة :

لقد شجعت الظروف الطبيعية في المحافظة ، سواء من حيث الارض او المياه ودرجات الحرارة ، على زراعة اشجار الفاكهة ، كما تتسم بامكانات في التوسع بها . وقد كان لتزايد الطلب على الفاكهة اذ شجع المزارعين على الاهتمام بهذا النوع من الاشجار، لاسيما وان ايرادها السنوي يزيد على عشرة اضعاف الايراد المتأتي من زراعة الحبوب. وفي مقدمة هذه الاشجار: الزيتون والجوز والفستق والتين والعنب . فمن الزيتون تضم المحافظة نحو ٧٢٪ من مجموع اشجاره في العراق . وتعتبر بعشيقة اهم مناطق زراعته . ومن اشجار الجوز تضم اكثر من ٦٠٪ من اشجاره في القطر ومن الفستق ما يزيد على ٥٠٪ ، بالاضافة الى ٤٣٪ من اشجار التين[٢٨] . وتعد اقضية عقرة والشيخان وتلعفر وسنجار اهم مناطق زراعتها . بيد ان القطع المتعمد والحرق او عدم العناية بها ، حد من التوسع في زراعتها . ومع ذلك فقد ادخلت محاصيل جديدة ، كالمانجو، والعنبة ، واللالنكي والينكي دنيا . وتدل البيانات ان عدد اشجار الفاكهة في المحافظة قد زاد وبنسبة تقرب من ١٠٪ خلال الفترة بين عامي ١٩٥٨-١٩٧٨[٢٩] ، الا انها لاتمثل سوى ١,٥٪ من مجموع اشجار الفاكهة في العراق[٣٠] .

الثروة الحيوانية :

يمثل الانتاج الحيواني مورداً مهماً من موارد الدخل القومي في العراق ، بحيث بلغت القيمة الصافية حوالي ٤٥٪ من مجموع القيم التي ساهم بها القطاع الزراعي . ومع ذلك فان تربية الفلاحين للحيوانات ، لاتعد جزءً اساسياً من الاقتصاد الزراعي ، وانما جزءً اضافياً ،[٣١] حيث ترتبط الثروة الحيوانية بالانتاج الزراعي ، الى حد كبير. فتربى الاغنام ، والماعز، والابقار، والجاموس في المزارع والحقول الريفية .

وتتمتع محافظة نينوى بظروف نموذجية لتربية مختلف انواع الحيوانات ، فهي الى جانب الاراضي الجبلية التي تربى عليها الماعز تضم مناطق مثالية لتربية الاغنام في الجهات الجنوبية والشمالية الغربية من المحافظة ، كما تعد بواديها الغربية والجنوبية الغربية ، مناطق مهمة لتربية الجمال . وعليه فان كثرة الاغنام في منطقة الدراسة، تعزى الى سعة المراعي ، وتوافر العشب ، والمناخ الملائم . كما ان مقاومة الماعز للظروف الطبيعية سهل استغلال الاراضي المغرسة في المحافظة . فلا غرو ان تضم اكثر من ربع مجموع الاغنام في القطر، و(١٤٪) من الماعز، وما يزيد على ٧٪ من مجموع الابل ، انظر الجدول (١٠) .

الجدول (١٠)

الثروة الحيوانية في محافظة نينوى (١٩٨٦)

النوع	العدد	٪ من مجموعها في العراق
الاغنام	٢٣٣٥١٠٠	٢٦
الماعز	٢٠٧٨٠٠	١٤,١
الابقار	١١٣٢٠٠	٧,٢
الجاموس	٦٠٠٠	٤,٣

المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٨٦ : نتائج مسح الثروة الحيوانية في القطر لسنة ١٩٨٦ - بالرونيو-



وللخيول في المحافظة اهمية خاصة، فثمة ما يزيد على (١٢) نسباً من الخيول العربية الاصيلة. وهي ذات عناية واهتمام، لاسيما لدى عشائر شمر. وتضم (٤٪) من مجموع الخيول في البلاد.

ويلاحظ ان هناك تبايناً في تطور حجم الثروة الحيوانية في المحافظة. فعلى الرغم من الزيادة في عدد الاغنام والجاموس والابقار، فانها لاتمثل الحد الأدنى لحاجات السكان المتزايدة.. ويشير الجدول (١١) الى ان الزيادة في الاغنام بلغت ٣،٣٪ سنوياً خلال الفترة (١٩٦٥-١٩٧٨)، ثم (١،٩)٪ فقط للفترة التالية (٩٧٨-١٩٨٦). وكانت نسب الزيادة السنوية في عدد الماعز (٠،١)٪ ثم عانت انخفاضاً بنسبة ٢٪ تقريباً للفترتين المذكورتين على التوالي. وتنسحب نسب الانخفاض في اعداد الجاموس والابل ايضاً، واذا اخذنا بنظر الاعتبار، الزيادة في وتائر نمو سكان المحافظة والتي تجاوزت (٥٪) سنوياً، وارتفاع مستوى الدخل الفردي، مما اضاف عنصراً جديداً

الجدول (١١)

نسب التغير في حجم الثروة الحيوانية في المحافظة (١٩٦٥- ١٩٨٦)٪ سنوياً

النوع	١٩٦٥- ١٩٧٨	١٩٧٨- ١٩٨٦
الاغنام	٣،٣	١،٩
الماعز	٠،١	١،٩-
البقر	٢،٨	٠،٧
الجاموس	٣،٩	٠،٠٣-
الابل	٦،٧-	—

المجموعة الاحصائية السنوية / ١٩٨٤
ودليل القطاع الزراعي لسنة ١٩٦٨-١٩٦٩
مسح الثروة الحيوانية في القطر ١٩٨٦

ساهم في زيادة الطلب على اللحوم والمنتجات الحيوانية الاخرى ادركنا الحاجة المتزايدة باستمرار الى مثل هذه المنتجات. وتدل البيانات على ان نسبة استهلاك اللحوم في المحافظة بلغت (٣،٤)٪ سنوياً خلال الفترة بين عامي (١٩٦٨-١٩٧٧)[٣٢]. وارتفعت كثيراً خلال الفترة التالية (٧٧-١٩٨٦) من جهة اخرى، فان نسبة الاغنام في المحافظة، قد اتسمت بارتفاعها النسبي حيث بلغت (٢٦)٪ من مجموعها في القطر سنة ١٩٨٦ وكذلك ارتفعت نسبة الماعز ومثل ذلك الابقار والجاموس، لاحظ الجدول (١٢).

الجدول (١٢)

الثروة الحيوانية في محافظة نينوى بالنسبة الى مجموعها في العراق (٩٦٥-١٩٨٦) (٪)

النوع	١٩٦٥	١٩٧٨	١٩٨٦
الاغنام	١٢،٨	٢٠،٩	٢٦،٠
الماعز	١٣،٠	١١،٩	١٤،١
الابقار	٥،٤	٦،٣	٧،٢
الجاموس	١،٨	٣،٥	٤،٠
الابل	١٩،٣	٧،٣	—
الخيول	—	٤،٣	—

- المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٨٤/ نتائج مسح الثروة الحيوانية لسنة ١٩٧٨
- المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٨٦/ نتائج مسح الثروة الحيوانية لسنة ١٩٨٦
- دليل القطاع الزراعي لسنة ٩٦٨/ ١٩٦٩ ص١٩.

وفي ضوء ما سبق، وبرغم الظروف المناسبة للتوسع في انتاج وزيادة الثروة الحيوانية في منطقة الدراسة، فان ثمة معوقات لاتزال تحول دون ذلك، منها معوقات طبيعية ذات علاقة بالمناخ او المياه. او معوقات بشرية تتصل بوسائل تربية



الحيوان او الرعي المفرط ، والنقص في المراعي الصناعية ، وضعف الخدمات البيطرية .

وقد ظهر اهتمام واسع ، في الآونة الاخيرة بتربية الدواجن ، بهدف توفير اللحوم والبيض والحليب .. من خلال الاستفادة من التوسع في المشاريع الحديثة لتربية الدواجن ومساهمة الدولة في هذا الاتجاه ، كما دخلت الاسماك منافساً للحوم الحمراء في غذاء الانسان ، مما كان له دور في التحول اليها ، وقلل من بعد ذلك اهتمام الرعاة بتطوير الاصناف القديمة .

السياسة الزراعية :

ان مسألة تنمية وتطوير القطاع الزراعي في العراق تحتل اهمية متميزة في خطط التنمية القومية ، وذلك لما تمثله الزراعة اساساً في مواجهة الحاجات المتزايدة للغذاء ، بسبب الارتفاع الملحوظ في القوة الشرائية والنمو السريع للسكان كما اشرنا الى ذلك من قبل .

ان هدف السياسة الزراعية هو تحقيق الاستخدام الامثل والفعال للموارد والثروات الزراعية في اطار المتاح من الامكانات المتوافرة ، للاستثمار وصولاً الى اعلى الانتاج في العمليات الزراعية ، وبما يعيد التوازن بين معدلات الانتاج ومعدلات الاستهلاك .

ومن المعروف ان التوسع في المساحات الزراعية افقياً او عمودياً ، لم يزل دون الطموح الذي يحقق ذلك التوازن المطلوب . ومع ذلك فان في المحافظة امكانات واسعة في التنمية والتطور الزراعي ، من شأنه الاسهام الفعال في مشروعات الامن الغذائي .

وتعتمد استراتيجية التنمية الزراعية على الموارد الطبيعية المتاحة والتي تتباين بوضوح في المحافظة كما ونوعا ، مما يتطلب دراسة تفصيلية في الاستخدام الامثل لها ، دون اغفال الجوانب الاجتماعية والعمرانية الاخرى .

ولاشك في ان قيام مجموعة المشاريع الاروائية في المحافظة سواء تلك التي تقوم على اساس الخزن والارواء المحلي ، او التي تمثل مشاريع رئيسة تتولى فضلاً عما سبق ، توليد الطاقة الكهربائية والعمل على الاستغلال الامثل للموارد المائية ، سوف يصار الى التوسع في الارض الزراعية وفي زيادة الانتاج .

ويعد «سد صدام» ابرز المشاريع الاروائية في هذا المجال[٣٣] . ويقع الى الشمال من مدينة الموصل بنحو ٥٦كم ، وقد صمم لاستيعاب (١٢,٥) مليار م^3 من المياه لاغراض التنمية القومية ولاسيما الزراعية . وارواء مساحات جديدة من الاراضي القابلة للزراعة في منطقة الجزيرة ، اضافة الى دره خطر الفيضانات وتوليد الطاقة الكهربائية . وقد قسم المشروع الى :

١ - مشروع ارواء الجزيرة الشمالي : ويتضمن استغلاله في زراعة الحنطة والبنجر السكري والبطاطا والباقلاء والذرة الصفراء .
٢ - مشروع ارواء الجزيرة الشرقي ، ويستغل حالياً في زراعة الحبوب وبحدود مطرية بين ٣٥٠-٤٥٠ ملم ، اضافة الى تربية الحيوانات من مخلفات الحنطة والشعير . والمشروع المقترح يتضمن انتاج الحبوب والبنجر والباقلاء والذرة الصفراء والجت .
٣ - مشروع ارواء الجزيرة الجنوبي : ويستغل حالياً بالحبوب الديمية الى جانب تربية الحيوانات في منطقة الامطار التي تتراوح بين (٢٠٠-٢٥٠) ملم . وقد أُقترح ان تخصص نحو ٦٢,٥٪ للمحاصيل الشتوية و(٣,٥)٪ للمحاصيل الصيفية ، و (٢,٥)٪ للمحاصيل المعمرة ، لاحظ الجدول (١٣) .

وقد عمد المسؤولون في الزراعة من اجل ذلك الى :

١ - التوسع الافقي للمساحات الزراعية .
٢ - التوسع العمودي باستعمال المخصبات واتباع الدورة الزراعية وزراعة الاصناف المحسنة

الجدول (١٣)

الانتاج الزراعي المتوقع لمشروع منطقة الجزيرة

المحصول	الانتاج (الف طن)
الحنطة	٤٠٠
الشعير	١٠٥
البنجر	٥٨٠
البطاطا	٥٨٠
مخاليط علف شتوية	٣٣٥
خضراوات	٣٠٠
ذرة صفراء	١١٦
اعلاف صيفية	١٢٠
بقوليات	٢٤

المصدر: عبدالله الفخري، الاستغلال الزراعي لمشروع ري الجزيرة

والتوسع في استخدام المكننة الزراعية.

٣- انتاج المحاصيل الرعوية في الأراضي التي لاتصلح لزراعة الغلات الانتاجية.

٤- الاستثمار الأمثل للموارد المائية.

٥- التوسع في الأرشاد الزراعي، سواء من خلال وسائل الاعلام او الدوائر المعنية.

٦- تنظيم التسويق الزراعي.

وتظل قضية الحبوب الغذائية تمثل الاساس في مجمل السلع الاستهلاكية والغذائية منها على وجه التحديد، مما يجعل قضية تطوير انتاجها هدفاً في برامج التنمية القومية.

وهناك احتمالات للتوسع في رقعة الارض الزراعية لاسيا الحبوب الغذائية، وذلك اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان نصف الاراضي الزراعية تبقى «بوراً» كل سنة، وهي تمثل مجالاً للعمل في زيادة الانتاج ومضاعفة الرقعة الزراعية.

ولقد خططت الدولة من اجل التوسع في القطاع الزراعي واولته جلّ اهتماماتها، فعمدت الى التوسع في المزارع التعاونية، ومزارع الدولة والمزارع الجماعية، متجاوزة الاساليب الانتاجية الكلاسيكية، الى علاقات اكثر فاعلية تقوم على اساس العدالة الاجتماعية و الاستخدام الاوسع للمكننة الزراعية.

من جهة اخرى، فان الحاجة الى الزراعة ادى الى زيادة في الاستثمار الزراعي من (٢٣٩) مليون دينار، الى (٢٠٢٩) مليون دينار خلال الفترة من (١٩٦٨-١٩٧٤) و (١٩٧٥- ١٩٨١). كما ارتفع الانتاج الزراعي بمعدل يقرب من (١٠٪) و (٢٢)٪ للفترتين على التوالي. فيما زادت مساهمة القطاع الاشتراكي في الزراعة بحيث بلغت اكثر من (٤٣٪) من قيمة الانتاج الزراعي للعام ١٩٨١ مقابل (١,٤)٪ فقط عام ١٩٧٤.

المكننة الزراعية:

ان ابرز تشخيص للوضع الزراعي القائم هو الحاجة الى التقنية الزراعية والتوسع في مجال استخدام الالة في العمليات الانتاجية. ومن المعروف ان المكننة الزراعية تعد من الاسباب الجوهرية للنهوض الزراعي. فارتفاع الانتاجية والتوسع في رقعة الارض الزراعية. يعتمدان على التقدم المستمر في مكننة العملية الزراعية. ولعل من جملة الاسباب التي تشجع على ذلك، سعة الارض الزراعية، وهجرة الفلاح الى المدينة وقلة الحيوانات العاملة في هذا المجال.

ومن شأن المكننة الزراعية[٣٤]

أ- توفير الجهد عن كاهل الفلاحين.

ب- انخفاض كلفة الانتاج.

جـ- السرعة في انجاز العمليات الزراعية.

د- زيادة مردود الانتاج بنسب عالية.

وقد سبقت الاشارة الى التباين في انتاجية الغلة للدونم الواحد، ولاشك في ان اعتماد الفلاح على الوسائل القديمة من جملة اسباب انخفاض الانتاجية مقارنة بتلك التي تستخدم الالة الزراعية



الحديثة او حيثما يتم تسميد التربة بالطرق العلمية ، وتتفاعل الجهود للحد من خطر الآفات الزراعية .

وتشير الدراسات بهذا الصدد الى ان غلة الدونم الواحد يمكن زيادتها بنسبة (٢٠-٣٠)٪ باستخدام المحراث الحديث[٣٥] وبمقارنة بسيطة في تقنية العمليات الزراعية ، نجد ان حراثة الفدان الواحد تستغرق اكثر من يومين بالعمليات اليدوية ، فيما لانحتاج سوى ساعة واحدة بالنسبة للجرارات الحديثة . وبينما تتطلب دراسة فدان واحد للحنطة والشعير اربعة بالوسائل القديمة ، فان بالامكان دراسة اكثر من (٨٠) فدان خلال الفترة نفسها[٣٦] .

وقد شهدت محافظة نينوى تحولاً نوعياً في استعمال المكننة الزراعية لاسيما في مجال استعمال الساحبات الزراعية ، انظر الجدول (١٤) .

الجدول (١٤)
المكننة الزراعية في محافظة نينوى
١٩٥٨- ١٩٧٧

السنة	الالات والمكائن الزراعية
١٩٥٨	٣٦٥
١٩٧١	٤٨٨٥
١٩٧٣	٣٤٢١
١٩٧٧	٧٧٤٠

ويلاحظ ان المحافظة تضم ما يزيد على ٢٨٪ من المجموع الكلي للمكائن والالات الزراعية في العراق من بينها ٨٦٪ من مجموع الحاصدات ، لاحظ الجدول (١٥) .

ومن الملاحظ ايضا أن الزيادة في عدد الساحبات في المحافظة للعمليات الزراعية اكبر بكثير من مثيلاتها في محافظات العراق الأخرى بحيث تجاوزت نسبة الزيادة ثلاثة اضعاف خلال الفترة بين عامي (١٩٦٠- ١٩٧٣) ، وبينما بلغت

الجدول (١٥)
المكننة الزراعية في محافظة نينوى بالنسبة الى مجموعها في العراق (١٩٧٧)

نوع الآلة	٪ من مجموعها في العراق
الساحبات	٢٠
الحاصدات	٨٦
السيارات	٢٤,٤
المجموع	٢٨,٢

المصدر: وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي ، التقرير الاحصائي لسنة ١٩٧٧/ ص ١١٥ .

نحو (٦٠٪) سنوياً في المحافظة ، كانت النسبة في القطر لاتزيد على ١٨,٣ ٪. انظر الجدول (١٦) .

الجدول (١٦)
المكننة الزراعية في محافظة نينوى والعراق بحسب الزيادة السنوية (١٩٦٠- ١٩٧٣)

السنة	محافظة نينوى	العراق
١٩٦٠- ١٩٦٥	٢٥,١	١٠,٩
١٩٦٥- ١٩٦٨	٢١,٦	١١,٤
١٩٦٨ - ١٩٧٣	٢٦,٦	١٢,٦
١٩٦٠- ١٩٧٣	٥٨,٨	١٨,٣

المصدر: بيانات سناء العمري ، انتاج واستهلاك المنطقة في العراق ص ٣٣٣.

وكذلك تم التوسع في استخدام المضخات حيثما كان الارواء ضرورياً ومن نهر دجلة متعذراً ، لارتفاع ضفافه بالنسبة لمستوى المياه فيه. ففي خلال الفترة بين عامي (١٩٥٨-١٩٧٧) ، زاد عدد المضخات المستعملة في الزراعة من (١٠٠) الى (٣٩٧٥) مضخة، مما ادى الى التوسع في الرقعة الزراعية الاروائية من (٣٩٦٨٣) دونم الى (٨٩٥٢٥) دونم خلال الفترة نفسها. وكان للدولة دور مهم في تيسير عملية امتلاك المزارعين

للمضخات[٣٧].

لقد ظهر مما سبق الاهمية الزراعية للمحافظة سواء في نسب استثمار الارض الزراعية او من حيث حجم الانتاج قياسا الى نظيراتها في محافظات القطر الاخرى. كما تبين ان ثمة تركيز في زراعة القمح والشعير بحيث بلغت نسبة المساحة المزروعة بها (٣٨,٢)٪ للقمح و (٤٤)٪ ن مجموع انتاج الشعير في البلاد. كما تجاوز الانتاج (٤٢٪) و (٦١,٨)٪ لهما على التوالي بالنسبة لمجموع الانتاج في القطر.

بيد ان ذلك لايمنع من القول إن المحافظة تتسم بأحادية الانتاج حيث تضم زراعة الحنطة والشعير نحو ٩٩٪ من مجموع الاراضي المزروعة فيها. ولما كانت هذه الاراضي تعتمد في انتاجها على الامطار، لذا فان اية تغيرات في كمية او وقت سقوطها. تعكس اثارها على مستوى الانتاج الزراعي.

من جهة اخرى، فان اعادة النظر في استثمار الموارد المائية في المحافظة، والتوسع في المشاريع الاروائية، ولاسيما «سد صدام» الكبير، سيعمل على زيادة رقعة الارض الزراعية، وخاصة في فصل الصيف، الامر الذي سيؤدي الى زيادة الانتاج الزراعي فيها.

الهوامش

(١) انظر: عبدالخالق عبدي، اقتصاديات الارض والاصلاح الزراعي، القسم الاول، مطبعة الاعظمي، بغداد، ١٩٧٧، ص ٢٣٤.

(٢) عبدالصاحب علوان، دراسات في الاصلاح الزراعي، بغداد، ١٩٦١، ص١٣٥.

(٣) راجع محمد سلمان حسن، دراسات في الاقتصاد العراقي، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٦، ص ٢٨.

(٤) انظر عبدالوهاب الداهري، اقتصاديات الاصلاح الزراعي، بغداد، ١٩٧٠.

(٥) وزارة الزراعة، مديرية الديوان العامة، دليل القطاع الزراعي في العراق لعامي ١٩٦٨-١٩٦٩، بغداد، ١٩٧٠، ص ١٢.

(٦) انظر عدنان اسماعيل ياسين، التغير الزراعي في محافظة نينوى، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٤ ص ٣٣٨- ٣٥٨.

(٧) رئاسة المنطقة الزراعية، محافظة نينوى، - بالرونيو-

(٨) المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٨٨ ص ١٠١- ١٠٢.

(٩) انظر عدنان اسماعيل ياسين، المصدر السابق، ص ٤٢٨-٤٣٥ وايضاً المجموعة الاحصائية للسنتين ١٩٨١ و ١٩٨٨، الزراعة.

(١٠) المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٨٨، ص ١١٢.

(١١) انظر: المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٨١ ص ١٨-٢٣.

(١٢) راجع سناء العمري، المصدر السابق، ص ٧١.

(١٣) انظر نافع القصاب، اقاليم الزراعة المطرية لمحصولي الحنطة والشعير، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية م١٦، ص ٢٦-٢٧.

(١٤) عدنان اسماعيل ياسين، المصدر السابق، ص ٤٢٨- ٤٣٥.

(١٥) قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٢٤٩ في ١٩٧٣/٣/٢٤.

(١٦) المجموعة الاحصائية السنوية (١٩٨٨/ ١٠١).

(١٧) البرغل: طعام شائع الاستعمال وخاصة في منطقة الموصل، وهو قمح يسلق ويجرش ويستعمل بدلا من الأرز، وتصنع منه اكلات خاصة مثل الكبة.

(١٨) انظر: جاسم محمد الخلف، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، ط٢، القاهرة، ١٩٦٥ ص ٢٤٤.

(١٩) خطاب صكار العاني، جغرافية العراق الزراعية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٢/ ١١٠.

(٢٠) المجموعة الاحصائية السنوية (١٩٨٨/ ١٠١).

(٢١) المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٨٨/ ١٠٢.

(٢٢) انظر شاكر خصباك، العراق الشمالي/ ٣٦٥.

(٢٣) المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٨٨/ ١٠٢.

(٢٤) المصدر نفسه / ١٠٢.

(٢٥) المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٨٨/ ١٠٢.

(٢٦) انظر: عدنان اسماعيل ياسين، المصدر السابق، /٢٥٧

(٢٧) المجموعة الاحصائية السنوية لعامي ١٩٨٠ و ١٩٨١

(٢٨) انظر العاني، المصدر السابق، ص ٢٦٧.

(٢٩) عدنان اسماعيل ياسين، المصدر السابق ص ٥٠٩ والمجموعة الاحصائية السنوية لسنة ١٩٨٤ ص ٦٧.

(٣٠) المجموعة الاحصائية لعام ١٩٨٨ ص ١١٣.

(٣١) انظر خطاب صكار العاني، المصدر السابق/ ٣٣٧.

(٣٢) ازهر السماك وآخرون، العراق دراسة اقليمية، جـ ١٤٥/١.

(٣٣) للتوسع راجع، جامعة الموصل، الندوة العلمية «الآفاق المستقبلية لسد صدام» التي اقامتها كلية الزراعة (١٩٦٨) - بالرونيو-

(٣٤) حسن الراوي وعبد علي الخفاف، اضواء على المكننة الزراعية، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٧١، ص٩.

(٣٥) خطاب العاني، المصدر السابق، ص ١٢٦.

(٣٦) انظر عدنان اسماعيل ياسين، المصدر السابق، ص ٢٢٢.

(٣٧) انظر في ذلك، عدنان اسماعيل ياسين، المصدر السابق، ص ١٢٥.

النشاط الصناعي

أ.د. محمد أزهر السماك

توطئة :

يتضمن هذا المبحث دراسة النشاط الصناعي الحرفي والنشاط الصناعي التعديني والنشاط الصناعي التحويلي. وقد أعتمد المنهج التحليلي المقارن في دراسة هذا المبحث. مُتخذاً من البيانات المتاحة من وزارة التخطيط أساساً للبحث والتحليل. على إننا توخينا الاسلوب الخاص بأهداف هذا العمل العلمي.

ولعل من المفيد أن نشير الى أننا عمدنا الى الايجاز فيما يتصل بالنشاط الحرفي لكونه غدا مسألة تاريخية أكثر من نشاط اقتصادي.كما حاولنا اعطاء التصور العام للنشاط الصناعي الحديث : التعديني والتحويلي ثم الحقناه بدراسات تطبيقية إعماماً للفائدة.

النشاط الصناعي الحرفي[1] :

شهدت مدينة الموصل نشاطاً صناعياً حرفياً متميزاً منذ قرن مضى من الزمن. وعليه فقد اكتسبت المدينة شخصية متميزة في مجال صناعات الدباغة والنسيج بخاصة. فضلاً عن صناعات الحدادة والسمكرة والصباغة وغيرها.

وتقف صناعة دبغ الجلود في المقام الأول وفعلاً فقد اكتسبت مدينة الموصل شخصية متميزة في هذا المجال مواكبة لشهرة مدينة حلب في القطر العربي السوري. وهي انعكاساً لعلاقات التعاون المتبادل بين الموقعين في مجال هذه الصناعة ولاغرابة أن تختص منطقة محددة من مدينة الموصل بمجال هذه الصناعة. وقد برز فعلاً شارع المدبغة القديمة وهو الشارع المحصور بين سوق السمكرية (التنكچية) جنوباً وسوق الملاحين شمالا واطلع بمهام هذا النشاط.

ولعل أهم مايتسم به هذا الشارع هو انه محاط من جهته الشرقية بالمجزرة القديمة والمدبغة القديمة التي كانت تصنع فيها الجلود، فتوطنها كان تأكيداً للتوطن الحديث القائم على اساس توفر المواد الخام. وظل هذا الشارع كذلك حتى عام (١٩٨٧) حيث يحتضن خانات لبيع الجلود وخزنها ودباغتها.

والى الجنوب من شارع المدبغة يقع خان الجلود، وهو وقف ذري يعود تاريخ بنائه الحالي الى نهاية القرن الماضي وهو محل لخزن الجلود وحفظها. فضلاً عن انه الآن يعد مزاداً يومياً لبيع الجلود الطرية.

كذلك ثمة خان آخر الا وهو خان الحجيات المجاور له يأخذ النمط الحرفي لدباغة الجلود ايضاً.

والموصل من المدن المشهورة بصناعة النسيج والحياكة وقد اشتهرت بمنسوجاتها ونشاطها في هذا المجال فقد انتشر فعلاً الكثير من وحدات هذه الحرفة في مناطق المدينة.

والحدادة حرفة أخرى ميزت المدينة في عصورها الاولى فقد تخصصت منطقة كاملة في هذا النشاط يطلق عليها سوق الحدادين الذي يقع الى الشمال من سوق الكوازين. هذا فضلاً عن منطقة اخرى في شمال باب السراي. وقد تكاملت هذه الحرفة مع حرفة النجارة وفي المنطقة ذاتها، وخاصة مايرتبط بصناعة الادوات الزراعية.

والموصل من المدن التي انتعشت فيها حرفة الخياطة وتخصص سوق بهذا النشاط. ذلك هو



سوق الخياطين، الذي يقع شمال قيصرية القزازين. وقد تخصص الخياطون بخياطة الملابس الشعبية كالصاية والزبون والدشاديش المطرزة.

وحرفة صناعة الاحذية شائعة في مدينة الموصل فقد ابتدأت بصناعة الاحذية الشعبية كالكالوش والبابوج والخفاف.

واشتهرت مدينة الموصل بحرفة الصياغة. فتخصصت المنطقة المحصورة بين شارع الثورة (شارع الملك غازي سابقاً) وشارع نينوى وشارع النجفي بصياغة وبيع الحلي والمجوهرات خاصة الفضة. وكانوا يصنعون حليهم في دورهم ويحملونها للعرض في دكاكينهم الصغيرة المنتشرة هناك.

تلك هي اهم الحرف السائدة في مدينة الموصل.

ثانياً- النشاط الصناعي التعديني:

تظفر منطقة الموصل بامكانات تعدينية جيدة. فهي من المناطق الغنية بكثير من الموارد المعدنية. اذ تحتضن نحو ٩٥٪ من الاحتياطيات الصناعية للكبريت الحر. وحوالي ٣٨٪ من احتياطيات الجبس. وهي بذلك تفوق كل مناطق العراق في هذا المجال. فضلاً عن ترسبات صناعية مهمة من حجر الكلس والاطيان لصناعة الأسمنت وكميات قليلة من الحصى والرمل وكذلك احتياطيات جيولوجية كبيرة من الملح الصخري مع ممالح سطحية عديدة في الجزيرة. لم تقدر احتياطاتها الصناعية بعد[٢].

ومن أهم الرواسب المعدنية المتواجدة بمنطقة الموصل. النفط والكبريت. وفيما يأتي دراسة لهذين المعدنين.

النفط: [٣]

يعد العراق بأجمعه جزءاً من الحوض النفطي الكبير الذي يغطي معظم أراضي المشرق العربي، ومع ذلك يمكن تحديد انماط اقليمية للتجمعات النفطية المستغلة حالياً فيه، تعرف بالأحواض النفطية. وهي عبارة عن مساحات من الأراضي تميل الى الوحدة والتشابه في مظهرها العام جيولوجياً وجغرافياً على الرغم من التنوع الواضح في بعض اجزائها المكونة. وتضم بين طياتها حقولاً نفطية متعددة تكون بؤر الانتاج الحالية، ويمكن تقسيم مناطق الانتاج في العراق الى حوضين نفطيين كبيرين هما: الحوض الشمالي. والحوض الجنوبي.

تشكل منطقة الموصل الجناح الغربي للحوض الشمالي في العراق. ويضم مكامن عين زالة وبطمة والقيارة.

يقع الأول (عين زالة) في أقصى الطرف الشمالي من العراق قريباً من مجرى نهر دجلة. وهو يتكون من مكمنين صغيرين تنتمي الى عصور الكرتياسي (الزمن الجيولوجي الثاني) ويستخرج نفطه من الصخور الكلسية. في طبقات عين زالة وقمجوقة وهو موجود في تشققات الطبقتين: الأولى والثانية. وفي مساحات الثالثة. وتتراوح اعماقها بين ١٧٠٠م- ٢٤٠٠م (٥٠٠٠- ٧٣٠٠ قدم).

والى الجنوب من هذا المكمن يقع مكمن بطمة وهو تركيب قبابي. وينتمي كسابقه الى عصور الكرتياسي ويستخرج نفطه من الصخور الكلسية ايضاً. من طبقات الشيرانش والقمجوقة. من عمق يبلغ نحو ١٢١٣م (٣٥٠٠ قدم) اي أقل من سابقه.

وبعامة فان تكوينات هذين المكمنين تشابه مكامن الرميلان والسويدية في سوريا مما يدلل على اهمية هذه المنطقة على الرغم من ضآلة معدلات الانتاج الحالية كاحتياطي مؤكد للنفط في البلاد. لاسيما وان مثل هذه التراكيب تمتد لبضعة الآف من الكيلومترات المربعة في شمال غرب العراق والاجزاء المجاورة لها في سوريا.

والى الجنوب من المكمنين السابقين وعلى ضفة



نهر دجلة الغربية يقع مكمن القيارة. وهو تركيب قبابي أيضاً مشابه لمكمن كركوك لكنه دونه حجماً وانتاجاً ونوعاً. وينتمي الى عصر الايوسين (الزمن الثالث). ويستخرج نفطه من الصخور الكلسية من طبقة الفرات على عمق يتراوح بين ٧٠٠-٧٠٠٠ قدم. هذا فضلاً عن وجود مكامن أخرى في قصب وجوان ونجمة وساسان. الا أنها لم تدخل قائمة الانتاج الفعلي بعد. وبعامة فان نفوط مكامن الموصل تتسم بثقلها نسبياً وارتفاع نسبة الكبريت فيها.

ولعل من المفيد أن نشير الى أن حقل عين زالة[٤] اكتشف عام ١٩٣٩. الا أن الانتاج التجاري ظل عاجز عن ذلك حتى عام ١٩٥٢ وهذا يرجع الى سياسة شركة نفط الموصل (قبل تأميمها) التي كانت صاحبة السيادة في الانتاج. طالما أن امتيازها هنا قد تضمن شروطاً فضلى لصالح العراق بالمقارنة بنظيراتها شركة نفط العراق (الشركة الام (منطقة كركوك). ومنها حق الدولة في أخذ ٢٠٪ من النفط الخام وغيرها وبعد أن تم انشاء خط الانبوب الناقل لنفطها بقطر يبلغ ١٢ بوصة الى محطة K_2/ ك٢ (بيجي) ومنها الى طرابلس على البحر المتوسط (ميناء التصدير).

ويتسم انتاج هذا الحقل بمحافظته على معدلات انتاجية متخصصة تبلغ بالمتوسط نحو مليون طن سنوياً ذلك يقترن بطبيعة الحقل جيولوجياً.

أما حقل بطمة فقد بدأ الانتاج عام ١٩٥٣. اي بعد عام واحد من اكتشاف النفط في نظيره حقل عين زالة. وهو أصغر الحقول النفطية المنتجة في العراق باستثناء حقل القيارة. ويأتي انتاجه من ثلاثة آبار فقط. وهو- كسابقه- ضئيل الانتاج.

إن حقول نفط الموصل بعامة لاتساهم سوى أقل من ٣٪ من اجمالي الانتاج النفطي في العراق. وان ماخلفه النفط في ظل شركة نفط الموصل المحدودة انذاك في بيئات تواجدها لايستحق التدوين باستثناء بعض الواحات العمرانية الصغيرة جداً متمثلة بالوحدة السكنية لعمال معمل تكرير القيارة الذي يقع جنوب الموصل بنحو (٧٥ كم) على نهر دجلة وأخرى مشابهة في منطقة عين زالة. وظل ظهير مناطق عمل الشركات على حاله كونه بيئة زراعية متخلفة الى أن امتدت اليها برامج التنمية في البلاد متمثلة اساساً بالمشروع الكبير سد صدام الذي سيعمل على توفير كل متطلبات الانتاج المتجدد (الزراعة) وتوفير الخدمات المعاصرة للسكان.

الكبريت :

لعل من الحقائق المعروفة جيولوجياً أن الموصل ليست غنية بالنفط فحسب بل بموارد تعدينية أخرى فلزية ولا فلزية .

ويقف الكبريت بمقدمة الموارد التعدينية الاخرى هذه. ولقد عرف الكبريت الطبيعي في العراق منذ القدم حيث جاء ذكره في مخطوطات القدماء من الكيمياويين العرب، وكان يستخلص من الصخور الحاوية له بالطرق البدائية. لاستخدامه في تبطين خيوط القطن، وفي صناعة البارود، والاغراض الطبية. وقد تزايد الاهتمام بالكبرت خلال العشرين سنة الماضية. لاسيما بعد توافر البيانات الناتجة عن حفر آبار النفط. وقد أسفرت البحوث عن التأكد من وجود الكبريت في أحد عشر موقعاً في منطقة الموصل والرمادي وبعضها في الصحراء الغربية.

وفي منطقة الموصل- فتحة- توجد اكبر رواسب الكبريت بنسبة تركيز عالية في الصخور. اما في الصحراء الغربية فيبدو ان الكميات محدودة بالمقارنة باحتياطيات الموصل. بالاضافة الى مصدر آخر ذي أهمية كبيرة هو الكبريت المستخلص من عمليات تنقية الغازات النفطية من حقول كركوك في

معمل استخلاص الكبريت الذي أنجز عام ١٩٦٨.

كبريت المشراق : (٥)

يقع كبريت المشراق بين نهر دجلة شرقاً ووادي الثرثار غرباً ومدينة الموصل شمالاً وموقع الفتحة في الجنوب. وتكثر فيها ينابيع المياه الكبريتية على طول شواطئ نهر دجلة. وهي واقعة ضمن منطقة الالتواءات الجبلية في البلاد. وتتميز بوجود ثنيات محدبة تتجه محاورها ناحية الشمال الغربي. ويوجد الكبريت في الصخور الجيرية التابعة لتكوين الفارس الاسفل (الميوسيف الاوسط) وهي مجموعة من رواسب التبخريات المنتشرة في مساحات واسعة من العراق خاصة المنطقة الممتدة من غربي الفرات في الجنوب وحتى منطقة الغوالق في الشمال الشرقي من البلاد. وتمثل صخور الفارس السفلي طبقة الغطاء الصخري للطبقات الحاملة للنفط في حقول العراق الشمالية. ويتراوح سمك هذه المجموعة من ٧٠ - ١٥٠ متراً.

استغلال كبريت المشراق :

منذ عام ١٩٥٢ والكبريت العراقي مسرح للاستكشاف ومحط أنظار كبريات الشركات العالمية الطامعة في الحصول على حق استغلاله. وحتى عام ١٩٦٨ كانت الحكومة العراقية قد قامت بدراسة حقل المشراق في مساحة ٢٥كم٢ شملت عملية مسح جيولوجي تفصيلي مدعماً بالحفر الالي. ويقع حقل المشراق على مسافة ٤٥ كيلومتراً جنوبي مدينة الموصل، حيث ثمة ثنية محدبة طولها خمسة كيلومترات وعرضها ٣,٨ كم ويصل سمك طبقات الفارس السفلي [الحاوية للكبريت C] الى ٢٨٠ متراً. ويتوافر الكبريت في الجزء الاسفل من هذا التكوين على عمق يتراوح من ١٠٠ - ٢٠٠ متراً ويتركز في اعلى نسبة له على طول امتداد محور التحدب ويقل تركيزه مع اتجاه ميل الجانبين. ويوجد الكبريت في حبيبات صغيرة متناثرة وفي كتل كبيرة ومالئاً للفجوات والشقوق. ومتوسط تركيز الكبريت في الصخر من ٢٢ - ٢٥٪ ويبلغ سمك الطبقة التي يتركز فيها الكبريت ٥٦ - ٧٥ متراً (على امتداد محور الطية) وهناك مع الكبريت نسبة من القار تتراوح من ٢-١٠٪ في الصخر وقد لوحظ وجود الغاز بكميات قليلة. كما ان هناك طبقات صخرية حاملة للماء الجوفي بغزارة كما أنها غنية بغاز كبريتيد الهيدروجين. وقد أمكن التأكد من احتياطي الكبريت في المشراق وهو بحدود ٢٤٥ مليون طن واحتياطيات اخرى قدرها ٤٠ مليون طن في الفتحة.

وبدأ في حزيران ١٩٧١ اعداد منجم كبريت المشراق للانتاج بطريقة تشبه طريقة فراش المعروفة (حقن الماء الساخن وصهر الكبريت في موضعه ثم ضخه الى السطح. وقد تمت المرحلة الاولى للانتاج منذ كانون الثاني ١٩٧٢ بطاقة قدرها ربع مليون طن من الكبريت ارتفعت الى نحو مليون طن سنوياً على ان يكون نسبة العائد في الاستخراج ٧٥٪ من جملة مايحتويه الخام من كبريت.

وكبريت المشراق لونه أصفر فاتح يحوي نسبة قدرها ٩٩,٥٪ من الكبريت مع وجود ٠,٠٥٪ رماد وأقل من ٠,٠٢٪ مواد هيدروكاربونات و ٠,٠١٪ حامض كبريتيك ومع نسبة من الرطوبة تقل عن ٠,٠٢٪ ولا يحتوي هذا الكبريت اي نسبة من عناصر الزرنيخ او السيلينيوم او التيلوريوم. ويستخدم جزء من الانتاج محلياً ويصدر الباقي الى خارج البلاد عن طريق ميناء أم قصر على الخليج العربي وميناء طرابلس بلبنان على البحر المتوسط. وقد تم تصدير نحو ٢٠٠ ألف طن عام ١٩٧٣. أرتفعت الكميات المصدرة عام ١٩٧٩ الى نحو نصف مليون طن. ينساب معظم الكبريت العراقي الى اقطار الشرق الاقصى واقطار حوض البحر المتوسط



الشمالي. هذا وقد استثمر الكبريت العراقي استثماراً وطنياً مباشراً عام ١٩٧٢.

ثالثاً: النشاط الصناعي التحويلي[٦]:

١- التصور العام[٧]:

تسيطر الاستعمالات الصناعية على نحو ٧٪ من مجموع مساحة مدينة الموصل (القديمة والحديثة ضمن حدود البلدية). وهذه النسبة تقارب نسبة الاستعمالات الخدمية والوظيفية والمرافق العامة تقريباً. على انه ينبغي ان نذكر ان ثلثي مساحة المدينة مشغولة في الاستعمال السكني تقريباً. والملاحظ ان الاستعمالات الصناعية تتباين بين اجزاء المدينة المختلفة. وفي ذلك مايعكس مراحل التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي شهدته وتشهده المدينة. وبعامة يمكن ملاحظة ماياتي عند دراسة توزيع الصناعات ضمن المركز الحضري هذا:

١ - تتميز الحلقة الاولى المحيطة بمنطقة الاعمال المركزية بما فيها هذه المنطقة ذاتها لاسيما في الموصل القديمة (غرب نهر دجلة او الساحل الايمن كما يسمى محلياً) بأهمية خاصة في مجال الصناعات الحرفية والصناعات الاخرى البسيطة التي يقترن قيامها بقيام اولى وحدات النشاط الصناعي في المدينة. وهي بعامة وحدات صغيرة الحجم في معظمها ولا يستخدم سوى اقل من خمسة عمال يتمثل في صناعات الصياغة والسراجة والدباغة والخياطة والنجارة والحدادة والسمكرة وهي تأخذ شكل تجمعات متخصصة تقريباً في توزيعها المكاني. كتجمعات سوق الصاغة (شارع النجفي) وتجمع محلات السراجة والدباغة في باب الطوب وباب السراي. ومجمعات الحدادة والنجارة في منطقة باب الجسر القديم وتجمعات الخياطين في باب الطوب وباب الجسر القديم ايضاً، وكما رأينا آنفاً.

٢- وتتمثل الحلقة الثانية بين حافات الموصل القديمة والاطراف الخارجية لها بمحاذاة الموصل الحديثة تقريباً اي انها تغطي اجزاء المدينة القديمة. وضواحيها وتأخذ استعمالات الارض الصناعية انماطاً متباينة تجمع بين صفتي التركز كتجمعات وانتشار بشكل خطي متناسق وغير متناسق. ومن هذه التجمعات مايلي:

أ. التجمع الصناعي في الطرف الجنوبي الغربي للمدينة القديمة الذي تتمثل بمنطقة الدواسة وقصر المطران حيث تسود الصناعات الميكانيكية والحدادة وما شابهها. وقد تم ترحيلها الآن الى المنطقة الصناعية.

ب. التجمع الصناعي في الطرف الجنوبي الشرقي للمدينة القديمة متمثلاً بمنطقة وادي حجر حيث وحدات صناعات الثلج وتعبئة المياه الغازية والصناعات الغذائية المختلفة، كصناعات الدقيق والبرغل والحبية وما الى ذلك.

أما الانتشار الصناعي فتمثل بانتشار وحدات الصناعات الخشبية الحديثة في الطرف الاوسط من الجهة الشرقية للموصل القديمة متمثلة بشارع الفاروق وامتداداته.

٣. الحلقة الثالثة فتغطي ضواحي المدينة وامتداداتها وتتسم باستعمالات صناعية متناثرة لكنها تحتضن وحدات حديثة اكبر حجماً واكثر تطوراً مما سبقها. ومن هذه الاستعمالات وحدات صناعة السكر في جنوب المدينة على طريق موصل- بغداد القديمة ووحدات طحن الحبوب والنسيج في الطرف الجنوبي الشرقي من المدينة بالقرب من شارع موصل- بغداد الحديث ومصانع الالبان والبيرة والابنية الجاهزة في الطرف الشمالي من المدينة على الطريق الرئيسي بين الموصل- دهوك وصناعات تعبئة المياه الغازية في الطرف الشمالي الشرقي للمدينة.

على انه ينبغي ان نذكر ان هناك تجمعات



صناعية حديثة يمكن ان نبرزها وتتمثل في التجمع الصناعي المعروف باسم المنطقة الصناعية في شرق المدينة التي تخصصت باعمال الحدادة والسمكرة والنجارة بدرجة رئيسة. والتجمع الصناعي في الطرف الغربي من المدينة على الطريق المؤدي الى أربيل حيث اختير له ارض واسعة تخصصت للنشاط الصناعي الذي يتطلب مساحات كبيرة وتبعث عنه ضوضاء او روائح كريهة او ما يسبب الحاق الضرر بنقاوة البيئة وفعلاً فقد احتلت تلك الاراضي من قبل مصانع الكتل الاسمنتية ومعامل الكاشي والموازييك ومصانع الاسفلت وما شابهها.

ب- الانماط الموقعية :

يمكن تمييز الانماط الاتية ضمن الاستعمالات الصناعية لمدينة الموصل الكبرى وعلى النحو الاتي :

١- المواقع المركزية :

وتشمل الوحدات الصناعية التي تتوطن في منطقة الاعمال المركزية. ويمكن ان تميز من خلالها الصناعات التي تتوطن ناحية السوق والصناعات التي تتوطن ناحية الايدي العاملة المطلوبة. وتتسم هذه الوحدات بكونها تمارس انشطة صناعية وبسيطة لاتتطلب سوى مساحات صغيرة من الأرض مما مكنها من احتلال مواضعها الحالية كوحدات الصاغة والسراجة والحدادة والنجارة والخياطة والطباعة وما الى ذلك.

وتنعم هذه الوحدات بميزة وجودها داخل السوق في ايصال منتجاتها وما تتطلبه من مواد بأقل تكاليف نقل ممكنة. كما انها على اتصال دائم ومستمر بأذواق المستهلكين وميولهم مما يعمل على تطويرها.

٢- المواقع الوسطى :

ونقصد بها مواقع اجزاء المدينة القديمة عدا المواقع المركزية وتتمثل بتواجد الصناعات المختلفة كماً ونوعاً وحجماً، فهي تجمع بين الوحدات الصغيرة الحجم والوحدات الكبيرة. وبعامة فإن النشاط السائد يتدرج بين النجارة وصناعات الاثاث وصناعات الثلج والافران والمطاحن والصناعات الغذائية وصناعة النسيج وغيرها.

٣- مواقع الضواحي والاطراف الهامشية والامتدادات الخارجية للمدينة :

يغلب على توطن وحدات هذه المواقع صفتي التركز والانتشار. اذ يمكن ان نحدد بؤراً صناعية كنموذج للسمة الاولى (التركز) ونماذجاً متفرقة للسمة الثانية (الانتشار).

وتتوزع التجمعات الصناعية في ضواحي المدينة واطرافها الهامشية على كلا جانبي نهر دجلة الذي يقسم المدينة الى قسمين ايسر وايمن وكما يسمى محلياً بالساحل الايسر والساحل الايمن. ويحتضن الساحل الايمن تجمعين صناعيين كبيرين اولها في جنوب الساحل الايمن والثاني في شماله. يطلق على الاول منطقة المنصور ووادي حجر، حيث تتركز صناعات المياه الغازية والصناعات الغذائية وصناعة البطانيات والنسيج وصناعة الكاشي والموزائيك. والتجمع الصناعي الثاني يعرف بالمنطقة الصناعية بموصل الجديدة حيث تتركز وحدات صناعات الاثاث المعدنية والحلويات والمرطبات والحدادة والتريكو وتصنيع الالمنيوم والاسفلت.

ويتضمن الساحل الايسر من المدينة في طرفه الجنوبي وعلى الطريق المؤدي الى اربيل بتجمع صناعي حديث اطلق عليه المنطقة الملوثة وهي تحتضن وحدات صناعات النفايات والاسفلت والكتل الاسمنتية (البلوك) وتقطيع الحلان وصناعة الكاشي والموزائيك. وتنتشر صناعات متعددة في العديد من اطراف المدينة وضواحيها. وتعد الاطراف



الشمالية للمدينة على الضفة الشرقية من نهر دجلة من اهم الاطراف الصناعية للمدينة واحدثها. اذ تتوزع وحدات صناعات الابنية الجاهزة وصناعات الالبان وصناعة البيرة في هذا الجزء في مناطق الرشيدية والقاضية وعلى الطريق الرئيس بين الموصل ودهوك في مناطق تحضن الاطراف الجنوبية على الضفة الغربية للنهر بالمرتبة الثانية حيث تنتشر صناعات السكر والدباغة، وصناعة الاثاث في المنطقة المعروفة بالغزلاني. وتنتشر صناعات متنوعة عديدة في جنوب المدينة (منطقة الاصلاح الزراعي وصناعات النسيج وصناعات الغذائية وفي اطرافها الشرقية لرأس الجادة صناعات طحن الحبوب) وباب سنجار (صناعات الكاشي والبلوك والصناعات الغذائية). وفي الاطراف الشمالية على الضفة اليمنى من النهر تنتشر صناعات السجاد والمشروبات الغازية والطباعة بمنطقة المستشفى الجمهوري وحي النجار. هذا وتتوطن وحدتان لصناعة الاسفلت في شمال غرب وشمال شرق المدينة في الطريق المؤدي الى السحاجي وشارع الزهور على التوالي.

ولعل من المهم أن نشير الى أن هذه المواقع تتسم بكونها تحتضن وحدات صناعية كبيرة (اكثر من عشرة عمال) وهي تبلغ في مجموعها نحو (٩٢) وحدة بموجب البيانات التي اعتمدت في مديرية العمل والشؤون الاجتماعية وهي بحكم نشاطها النوعي انتاجاً تتطلب مساحات كبيرة من الاراضي مما لايمكن توفيره في المناطق المركزية او الوسطى من المدينة. كما تنبعث عنها روائح وغازات وضوضاء مما تلحق اضراراً ببيئات توطنها، لذلك وجدناها تتخذ لها مستقراً في الاطراف الهامشية وضواحي المدينة. وهي بذلك تحقق متطلباتها في المساحة وبدل الارض (ايجار الارض) والبعد عن المناطق السكنية، وبؤر تعقد وسائل النقل والاتصال وما الى ذلك.

والآن وبعد اعطاء التصور العام لابد من دراسة بعض وحدات الصناعات التحويلية الرئيسة القائمة في القطاع الاشتراكي والمختلط والخاص بشيء من التفصيل[٨].

الصناعات الغذائية:

نماذج من صناعات القطاع الاشتراكي.

ا- المنشأة العامة للسكر:

يرجع تاريخ إقامة هذه المنشأة الى عام ١٩٥٧ وذلك لسد الطلب المحلي على مادة السكر والذي يستورد من خارج العراق، حيث بلغت كميات السكر المستوردة في عام ١٩٥٧ اكثر من -,١٤٥ ألف طن في حين كانت الكمية المستوردة في عام ١٩٣٨ -,٣٨ ألف طن[٩]. وقد أنشيء هذا المشروع جنوب مدينة الموصل على الضفة اليمنى من نهر دجلة لانها من الصناعات التي تصل نسبة الفاقد فيها حوالي ٩٠٪ من اصل المادة الخام، كما أن توافر مادة البنجر في المحافظة من جهة وتفوق نماذج البنجر المزروعة في المنطقة من حيث القيمة السكرية ونقاوة العصير من جهة اخرى، فضلاً عن وقوعه على السكة الحديد حيث طريق استيراد السكر الخام ساهمت في اختيار موقعه الحالي الذي يمثل مامقداره -,٢٥٠ ألف م^{2} من الارض. وقد باشر بالانتاج عام ١٩٥٩ معتمداً على البنجر الموجود في المنطقة بطاقة تصميمية على اساس استهلاك ٨٠٠ طن من البنجر يومياً خلال موسم المحصول البنجر وتصفية ١٠٠ طن من السكر الخام المستورد يومياً.

كما بلغ رأس مال المنشأة عند التأسيس ٢,٧ مليون دينار ارتفع بعدها ليصبح -,١٣ مليون دينار حالياً.

ونتيجة لانخفاض كميات البنجر المزروعة في المنطقة لاسباب منها تدني الاسعار التي كانت

المنشأة تدفعها الى الفلاح وطول الفترة التي يحتاجها المحصول وغيرها فقد توقف الانتاج في المنشأة عام ١٩٨٤.

ومن خلال العينة اتضح ان تكاليف الانتاج لعام ١٩٨٠ بلغت ‎-,٢٢‎ مليون دينار، كما يعد المشروع وحدة متكاملة يوفر فرصة عمل ٧٥٧ شخصاً يعملون على ثلاث وجبات عمل يومياً.

وقد بات من الضروري اعادة النظر في الوضع الحالي للمنشأة واعادة الحياة اليها عن طريق توفير المادة الخام.

ب- مصنع البان الموصل :

تم انشاء هذا المصنع في عام ١٩٧٣ في منطقة الرشيدية شمال المدينة بكلفة ٢,٢٥٠ مليون دينار وباشر بالانتاج الفعلي عام ١٩٧٦ وبرأس مال ١,٥مليون دينار وعلى مساحة تقدر بـ ‎-,١٧٠‎ ألف م^2 على طريق موصل- دهوك وبطاقة انتاجية ٤٠ طناً باليوم.

وقد انشيء اساساً على اساس توافر المادة الخام المتمثلة بالحليب في محافظة نينوى لما تمتلكه من اعداد كبيرة من الابقار والجواميس، إلا أن واقع المنشأة الحالي يوضح ان مساهمة المادة الخام من الحليب المحلي لم تتجاوز ١٥٪ من احتياجات المصنع، والمصدر الرئيسي الوحيد الذي ساهم ويسهم حالياً في ديمومة الانتاج في المصنع هو الحصول على الحليب الخام من بغداد وبمعدل ٨ أطنان يومياً يسهم بسد حوالي ٨٥٪ من احتياجات المصنع، علماً بأن المصنع يعمل بنصف طاقته الانتاجية، وهذا امر يرفع من تكاليف النقل فقد بلغت تكاليف نقل هذه المادة من بغداد عام ١٩٧٧، ٣٦٣٨١ دينار[١٠] اما في عام ١٩٨٥ فقد بلغت تكاليف النقل الاجمالية في المصنع حوالي ‎-,٢٨٠‎ الف دينار مثّلت حوالي ١١,٧٪ من تكاليف الانتاج لذات العام. ان هذا الامر يستدعي المعالجة عن طريق تدخل الدولة في تقديم التسهيلات والدعم للفلاحين لتوفير المادة الخام لهذا المصنع. ولما كان السوق عاملاً مهماً في اختيار وتحديد مواقع هذه الصناعات وذلك بسبب طبيعة السلعة المنتجة والتي تتعرض للتلف من جهة وضرورة توافرها في الاسواق بصورة مستمرة باعتبارها جزءاً اساسياً من الاستهلاك اليومي من جهة اخرى فقد جاء توطن هذه الصناعة في الموقع الحالي على الرغم من انه لم يكن هذا الاختيار سليماً، حيث ان المساحة التي يشغلها المشروع والبالغة قرابة ٦٨ دونماً هي من أجود الاراضي الزراعية في المدينة التي كانت تزود المدينة بالخضراوات والمحاصيل الحقلية الاخرى، هذا إذا علمنا ان نسبة المستغل منها فعلاً فقط ٢٪.

ج- مصنع نينوى للمشروبات الكحولية :

تأسس المصنع عام ١٩٧٥ برأس مال قدره ‎-,٥‎ مليون دينار وبدأ الانتاج الفعلي في عام ١٩٧٩، على مساحة من الارض الزراعية في منطقة الرشيدية تبلغ ١٢٥ دونم، بطاقة انتاجية ١٦ مليون لتر سنوياً. وقد توطن المصنع بجوار مصنع الالبان على بعد ١١كم فقط من مركز المدينة وقد خصص له اجود أراضي زراعة الخضراوات والبقول بحكم امكاناتها الطبيعية وكونها تمثل اراضي الحلقة الاولى من حلقات المركز الحضري على رأي رائد التوطن الزراعي الاقتصادي الالماني فون ثونن Von Thunun ولم تبلغ نسبة المستغل من تلك الاراضي اكثر من ٧٪ فقط.

بلغت تكاليف انتاجه لعام ١٩٨٥ ١,٤ مليون دينار، كما بلغت تكاليف مواده الخام المحلية حوالي ‎-,٢١‎ الف دينار ويقوم باستيراد ٨٩٥٠ طناً سنوياً من المواد الخام المتمثلة غالبيتها في الشعير، بلغت تكاليف نقل المواد الخام المستوردة حوالي ‎-,١٤‎ الف دينار.



كما ويعمل فيه ١٩٨ شخصاً بثلاث وجبات عمل يومياً. ان توطن المصنع في الموقع الحالي كان سليماً وذلك لان هذه الصناعات من النوع الذي تبلغ نسبة الاضافة فيها الى المادة الخام نسبة كبيرة. لذلك توطنت قرب السوق. الا أن موضعه لم يكن سليماً لانه جاء على حساب الاراضي الزراعية ذات الامكانات الطبيعية.

د - مصنع طحين الصمود :

تأسس عام ١٩٧٤ برأس مال -,٩ ملايين دينار على مساحة تقدر بـ -,٣٤ الف م٢ بجوار سايلو الموصل وبطاقة انتاجية ٢٠٠ طن يومياً وقد انشيء لتوفير مادة اساسية لسكان المنطقة وهي الطحين خاصة وأن العوائل في الفترة التي تأسس فيها كانت تقوم بتوفير مادة الخبز للعائلة معتمدة في ذلك على امكانات العائلة الذاتية، فضلاً عن قيام المشروع بسد حاجة المخابز والافران في القطاعين الاشتراكي والخاص. وقد كان للمادة الخام دور كبير في توطن الوحدة في موقعها الحالي حيث يقوم موقعها ناقل سلسلي بنقل كميات كبيرة من المادة الخام المتمثلة بالحنطة من السايلو الى المطحنة، وبذلك يوفر للمشروع تكاليف نقل كبيرة. وهذه الوحدة الصناعية توفر فرصة عمل بحوالي ٧٠ شخصاً يعملون على ثلاث وجبات عمل ويعمل المشروع بخطين انتاجيين. وقد ظهر من الدراسة ان قيمة انتاجه لعام ١٩٨٥ بلغت ١,٧ مليون ديناراً.

هـ - مخابز وافران نينوى :

تأسست المخابز هذه عام ١٩٨٢ برأس مال قدره -,٩٥٣ الف دينار وعلى مساحة تقدر بـ -,١٠ الاف م٢ على الطريق المؤدي الى محافظة اربيل في منطقة المعارض، بطاقة انتاجية -,٣٠ الف صمونة باليوم، ويوفر المشروع فرصة عمل لـ ١٢٧ شخصاً يعملون على وجبتي عمل وعلى اربعة خطوط انتاجية.

وقد بلغت تكاليف الانتاج لعام ١٩٨٥ (١,٠٦٩) مليون دينار، ان انشاء المشروع كان لسد الحاجة المتزايدة على الصمون في المحافظة نتيجة التغير الاجتماعي الذي حصل في المدينة بخاصة وفي القطر بعامة حيث كانت العديد من العوائل تعتمد على امكاناتها الذاتية في سد حاجتها من الخبز ونتيجة للتطور الحاصل ودخول المرأة سوق العمل فقد زادت الحاجة الى توفير الخبز لتلك العوائل.

وكان توطينها في موقعها الحالي اختياراً غير سليم حيث تقوم بنقل مامقداره ١٣,٠٠٠ الف طن من الطحين سنوياً من المطاحن الواقعة قرب السايلو وبما ان للمادة الخام دور في توطين مثل هذه الصناعات اضافة الى السوق فان الموقع المناسب لهذا المشروع هو المنطقة المجاورة للمطحنة قرب السايلو وذلك لتفادي نقل الكميات الكبيرة من المادة الخام.

ان هذا لايعني نقل الوحدة الى الموقع الجديد؛ لان ذلك يكلف كثيراً الا انه عند اقامة مثل هذه المشاريع مستقبلاً فإن من الضرورة بمكان دراسة الموقع الافضل الذي يعمل على خفض التكاليف بأكبر قدر.

الصناعات النسيجية :

المنشأة العامة للغزل والنسيج :

انشئت هذه الوحدة ضمن البرنامج الاول لمجلس الاعمار ١٩٥١ - ١٩٥٦ في القسم الغربي من المدينة في منطقة وادي حجر ضمن منطقة المنصور الحالية وتم الانتهاء من تنفيذه عام ١٩٥٧ وبدأ بالانتاج في ذات العام بكلفة قدرها ٣,٢٥٠ مليون دينار[11] ارتفع رأس مال المنشأة ليصبح -,١٧ مليون دينار عام ١٩٨٦ على مساحة من الارض تقدر بـ -,١٧٩ الف م٢ وبطاقة انتاجية -,٢٥ مليون م٢ من القماش.

ولقد كان السبب في اختيار المشروع في مدينة الموصل هوتوافر المادة الخام في المنطقة ومن خلال التجارب التي اجريت على العينة المأخوذة من المنطقة اثبتت صلاحية مادة الخام في صناعة المنسوجات القطنية قدرت حاجة المنشأة بـ ٢٠,- الف طن قطن زهركان الانتاج المحلي في عام ١٩٧٤ يسد من حاجة المنشأة ٩٥٪ انخفضت الى ٤٦,٢٤٪ عام ١٩٧٦ والى ٣١,٢٤٪ عام ١٩٧٧ ثم الى ١٤,٢٩٪ عام ١٩٧٨، وقد اعتمدت المنشأة في سد حاجتها الباقية عن طريق الاستيراد، اما اسباب انخفاض مساهمة الانتاج المحلي من القطن في سد حاجة المنشأة تعود الى عدم اقبال الفلاحين على الرغم من المحفزات التي قدمت لهم عن طريق رفع اسعار القطن على زراعة هذا المحصول لوجود محاصيل منافسة ذات مردود اكبر ويكلف أقل وموسم زراعي يقارب $\frac{1}{4}$ الموسم الزراعي لمحصول القطن.

اما الآن فالمنشأة تقوم باستيراد مامقداره ٥٣٠١ طن سنوياً من المواد الخام بلغت تكاليف نقلها فقط حوالي ١٤٣,- ألف دينار، لذلك يعد توفير المادة الخام لهذه الصناعة محلياً امراً في غاية الاهمية.

الصناعات الخشبية:

معمل نجارة الادارة المحلية:

تأسس عام ١٩٧٤ برأس مال قدره ٧٢,٥ الف دينار على مساحة تقدر بـ ٤٠,- الف م٢ على الطريق المؤدي الى أربيل قرب المعارض بطاقة انتاجية ٨٠٠٠ وحدة سنوياً.

وقد جاء انشاؤه للتوسع الحاصل في اعداد المدارس بالمحافظة وحاجة هذه المدارس الى مقاعد (رحلات) فضلاً عن انواع الآثاث الاخرى، لذلك فقد انشيء المشروع لسد حاجة مدارس المحافظة من الأثاث المدرسية.

يحصل على مواده الخام من المنشأة العامة لتجارة الحديد والخشب. ولقد جاء توطن هذه الصناعة بعيداً عن مخازن المنشأة والكائنة في منطقة الساحل الايسر على الطريق المؤدي الى تلعفر، مما يضطرها الى القيام بنقل كميات كبيرة من الخشب والمواد الأخرى فهي تقوم بنقل ٢٤٢٦قدم٣ من الاخشاب الجاوي والصاج و ٣٠٦م٢ من خشب الجام و ٤٣٢٠ طبقة من خشب المعاكس والبلوك يورد من المخازن اعلاه، وان هذا الامر يرفع من تكاليف النقل فضلاً عن تكاليف الانتاج.

لذلك كان من الافضل ان يتوطن قرب مخازن المنشأة لانه يستخدم كميات كبيرة من المواد الخام.

اما فيما يتعلق بنقل الانتاج فان الموقع الحالي والمقترح متساوٍ من حيث تكاليف نقل الانتاج، لان الانتاج ينقل الى مدارس المحافظة. وبما أن المدارس موزعة على جانبي المدينة بنسب متقاربة يضم الجانب الايمن ٤٩,٥ من المدارس الابتدائية و ٦٠٪ [١٢] من المدارس المتوسطة والثانوية في حين يضم الجانب الايسر ماتبقى من النسبتين.

والمشروع يوفر فرصة عمل لـ ٥٣ شخصاً يعملون بوجبة عمل واحدة ويعد وحدة انتاجية متكاملة.

الصناعات الورقية:

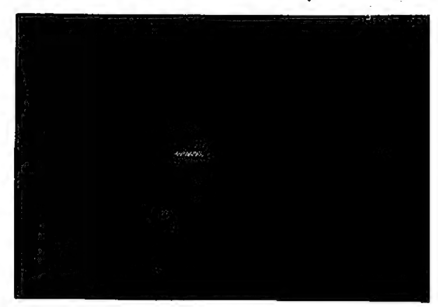
مطبعة جامعة الموصل:

تأسست عام ١٩٧٠ برأس مال قدره ١,٥ مليون دينار على مساحة تقدر بـ ٧,٥ الف م٢ في منطقة الشفاء قرب المستشفى وبطاقة إنتاجية ٣٦٠ كتاباً سنوياً.

وعلى الرغم من وجود المطابع العديدة بالمحافظة فان الحاجة المتزايدة والاهتمام الكبير بالعلم والثقافة وخاصة في الجامعة دعت الى إنشاء هذه المطبعة خاصة لتلبية حاجة جامعة الموصل ولاسيما بعد ان



اصبح التعليم مجانياً وهذا يتطلب توفير مستلزمات الدراسة للطالب مجاناً.



مطبعة جامعة الموصل

الصناعات الكيمياوية :

أ- معمل اسفلت طرق نينوى :

تأسس في عام ١٩٧٣ وبدأ بالانتاج الفعلي عام ١٩٧٤ على مساحة تقدر بـ -,١٢٥٠ الف م٢ في المنطقة الملوثة على الطريق المؤدي الى محافظة أربيل وقد جاء انشاء هذه الوحدة نتيجة لما أولته الدولة من اهتمام ببرامج التنمية التي وضعتها الخطة الاستثمارية خاصة العمرانية منها ولحاجة المنطقة الى هياكل اساسية وبالاخص الطرق الداخلية والخارجية.

وكان توطن الوحدة في منطقة ملائمة من ناحية توفر المادة الخام من الحصى والرمل في منطقة الخازر وقربه منها لتقليل تكاليف نقلها ، اضافة الى كون المنطقة التي توطن فيها قد خصصت له تمثل هذه الصناعات الملوثة. وتبلغ طاقته الانتاجية ٧٠ طن اسفلت بالساعة ، بلغت تكاليف انتاجه لعام ١٩٨٥ حوالي -,١ مليون دينار. وقد وفر المشروع فرصة عمل لـ ٥٢ شخصاً يعملون بوجبة عمل واحدة.

ب- الشركة الوطنية للصناعات الكيمياوية والبلاستيكية :

تأسست في عام ١٩٨٤ بعد إلغاء شركة اخشاب الشمال والتي كانت من الشركات الناجحة في المدينة من حيث جودة الانتاج والاسعار. برأس مال ١,٢٥٠ مليون دينار ارتفع الى -,٣ مليون دينار حالياً على مساحة من الارض تقدر بـ -,١٩٠ الف م٢ قرب القاضية على الطريق المؤدي الى محافظة دهوك ، وبطاقة انتاجية قدرها ٦٨٤٠ مرتبة نفرين و ١١٤٠٠ مرتبة نفر واحد سنوياً وبلغت تكاليف انتاجها لعام ١٩٨٥ -,٨٠٤ الف دينار وقد وفرت فرصة عمل لـ ٢٩ شخصاً يعملون بوجبة واحدة.

الصناعات التعدينية اللافلزية :

الابنية الجاهزة :

تم تنفيذ هذه الوحدة في عام ١٩٧٥ على طريق الموصل- دهوك شمال غربي المدينة على مساحة -,١٩٠ الف م٢ ، بكلفة تقديرية -,٦ مليون دينار وبطاقة انتاجية ٢٠٠٠ وحدة سكنية سنوياً. على اساس وجبتي عمل لخطين انتاجيين وقد بدأ الانتاج الفعلي فيها عام ١٩٧٧. ولقد جاء اختيار مدينة الموصل لاقامة هذه الصناعات اضافة الى اقامة معامل شبيهة بها في مناطق مختلفة من القطر. كانت الغاية من انشائها توفير المستلزمات الاساسية للمواطنين والحد من أزمة السكن الموجودة في وقتها من جهة والتأكيد على التوسع العمودي في بناء المساكن لما له من مردود اقتصادي من حيث الاقتصاد في الكلفة وبخاصة مايرتبط بتوفير الخدمات المختلفة الى جانب الاستغلال الافضل في استخدام الارض من جهة اخرى.

الا ان اختيار الموقع الحالي لهذه الوحدة الصناعية لم يكن سليماً فقد تسبب في هدر كبير في أجود الاراضي الزراعية الاروائية على ضفاف نهر دجلة ذات الامكانيات الطبيعية والتي تعد اراضي زراعية جيدة للخضراوات او البقول وكان الموقع الافضل لتوطنه على طريق أربيل قرب موقع المصنع وقرب المادة الخام التي يتم نقلها من منطقة الخازر

المتمثلة بالرمل والحصى. وهو يقوم بتهيئة مستلزمات بناء الوحدات السكنية الجاهزة بالمحافظة ويوفر فرصة عمل لـ ٢٥٦ شخص حالياً.

- نماذج من صناعات القطاع الخاص :

شركة الحاج يونس للنسيج :

هي شركة مساهمة تأسست عام ١٩٥١ وبدأت بالانتاج الفعلي عام ١٩٥٢ برأس مال قدره ١٥٠,- ألف دينار ارتفع الى ١,١٩ مليون دينار حالياً في منطقة العكيدات على مساحة من الأرض تقدر بـ ٥,- آلاف متر مربع وبطاقة انتاجية ١,٥ مليون متر قماش و ٥٠٠,- الف قطعة (اليشمغ) او (غطاء الرأس كما هو معروف).

لقد جاء توطن هذه الوحدة في موقعها الحالي لاسباب متعددة منها قربها من السوق وكونها من صناعات السوق، فهو يطابق بذلك ماجاء في نظريات التوطن الصناعي اضافة الى رخص الاراضي والايدي العاملة وتوافرها في تلك الفترة. ويوفر فرصة عمل لـ ١١٧ شخصاً يعملون بوجبة عمل واحدة يومياً، وقد بلغت تكاليف الانتاج فيه لعام ١٩٨٥ حوالي ١,- مليون دينار مثلت منها تكاليف النقل الاجمالية ١,٥ ٪.

شركة نسيج الشمال المساهمة :

تأسست عام ١٩٦٢ برأس مال ٨٠,- ألف دينار ارتفع الى ٢٥٠,- الف دينار حالياً في حي البعث وعلى مساحة ٥,- آلاف م[٢] منها ٢,٥٠٠ الف م[٢] ملك صرف و٢,٥ الف م[٢] مؤجرة بدل ايجارها السنوي ١٩٠٠ دينار وبطاقة انتاجية ١١٢,- الف قطعة سنوياً.

لقد توطنت الوحدة الصناعية في الموقع الحالي لاسباب عدة منها رخص الاراضي اضافة الى قربها من توفر الايدي العاملة الرخيصة وبقربها من السوق. وبذلك وفر الموقع للمشروع تكاليف نقل كبيرة سواء في نقل العمال او الانتاج. يعمل بوجبة عمل واحدة ويوفر فرصة عمل لـ ٥٠ شخصاً. وقد بلغت تكاليف انتاجه لعام ١٩٨٥ - ٣٧٩ الف دينار مثلت منها تكاليف النقل الاجمالية مامقداره ٢,٢ ٪.

شركة نسيج جواريب النايلون :

تاسست عام ١٩٦١ برأس مال ٩٠,- ألف دينار ارتفع الى ٢٩٢,- الف دينار حالياً في منطقة وادي حجر على مساحة من الارض تقدر بـ ٩,- آلاف متر[٢] وبطاقة انتاجية ١٣٠,- الف زوج من الجواريب.

لقد توطنت في الموقع الحالي لاسباب عدة ايضاً منها رخص الاراضي وتوافر الايدي العاملة الرخيصة والقرب من السوق وهو يوفر فرصة عمل لـ ١٠١ شخص يعملون بوجبة عمل واحدة كوحدة انتاجية متكاملة.

اما تكاليف انتاجه فقد بلغت في عام ١٩٨٥ حوالي ٧٠٠,- ألف دينار مثلت منها تكاليف النقل الاجمالية ٣,٣٪ هذا فضلاً عن نقص العمل وبخاصة العنصر النسوي.

الهوامش

(١) أ.د. محمد أزهر سعيد السماك ود. هاشم خضير الجنابي ود. صلاح حميد الجنابي : استخدامات الارض بين النظرية والتطبيق / دراسة تطبيقية عن مدينة الموصل الكبرى حتى عام ٢٠٠٠ م؛ بين عبقرية المكان وتخطيط الانسان/ جامعة الموصل/ ١٩٨٥/ ص ص١٢٠-١٤٤.

(٢) وزارة الصناعة والمعادن / المؤسسة العامة للمعادن : التقرير التوضيحي لخريطة العراق الجيولوجية والاقتصادية.

(٣) أ.د. محمد أزهر سعيد السمّاك : البترول العراقي / دراسة تحليلية في مورد الثروة الاقتصادية/ ساعدت وزارة الاعلام على نشره / بغداد ١٩٨١.

(٤) المصدر نفسه ص١٤٩ ومايليها.

(٥) أ.د. محمد أزهر سعيد السماك وآخران : جغرافية الموارد المعدنية / وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / بغداد / ١٩٨٠ / ص ص٢٩٣- ٣٩٤.

(٦) أ.د. محمد أزهر السماك وأ. د. قيس سعيد الفهادي : نحو تنمية



بعض وحدات الصناعات التحويلية في محافظة نينوى بالعراق / مجلة بحوث الشرق الأوسط / العدد السادس ١٩٧٩ / جامعة عين شمس ١٩٨٥ ص ص١ – ٢٨.

(٧) أ.د. محمد أزهر السماك وآخران استخدامات الارض بين النظرية والتطبيق / المصدر السابق ، ص ص ٢٤١ – ٢٤٣.

(٨) أحمد محمد اسماعيل البريفكاني : دور تكلفة النقل في توطين بعض وحدات الصناعات التحويلية لمدينة الموصل / دراسة غير منشورة قدمت الى كلية الادارة الاقتصاد بجامعة الموصل ايلول ١٩٨٦ ص ص ١٠٧ – ١٢٠.

(٩) كاتلين ، أم ، لانكلي : ترجمة أ.د. محمد حامد الطائي وآخران : تصنيع العراق / دار المثنى / بغداد ١٩٦٣ ص ٣٥٨.

(•) المسح الميداني.

(١٠) عبدالعزيز مصطفى عبدالكريم : اقتصاديات توطن الصناعات التحويلية بمحافظة نينوى / رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الادارة والاقتصاد بجامعة الموصل ص ١٩٧٩ ص١٥١.

(١١) كاتلين ، أم ، لانكلي : المصدر السابق ص٣٥٧.

(١٢) أ.د. محمد أزهر سعيد السماك وآخران استخدامات الارض ، المصدر السابق ، ص ص ٣٠٣ – ٣٠٤.

هيكل النشاط الصناعي الخاص

د. عباس علي التميمي

مقدمة :

تتميز مدينة الموصل بتنوع أساسها الاقتصادي ، فهو يقوم على النشاط الزراعي ، اذ تتقدم محافظة نينوى في انتاج الحبوب على باقي محافظات القطر، والنشاط التجاري ، اذ تقع الموصل في منطقة متعددة البيئات ، الجبلية والسهلية والهضبية ، فضلاً عن البيئة الصحراوية القريبة ، وان وقوعها على نهر دجلة جعلها نقطة مهمة في حركة النقل النهري حتى وقت قريب ، وان خطوط النقل البرية ربطتها بجهات حضارية مختلفة ومتباينة . ولم تتميز الموصل بتنوع اقتصادها الزراعي ، والتجاري ، بل نشطت في انتاجها الصناعي ، وتميزت وما زالت في هذا النشاط .

ولا تنفصل الصناعة الحديثة عن التاريخ الحضاري والاقتصادي لهذه المدينة وعموم القطر، حيث قامت اولى الحضارات الرئيسة في العالم ، والتي اعتمدت ، دون شك على صناعات مختلفة لتوفير أسس البناء والرفاه والدفاع ، وهو ما نهضت به عاصمة الآشوريين ، نينوى ، التي قامت الموصل الى جوارها .

ولكون الصناعات الحديثة لاترتبط بالضرورة بالمكان (الموضع) الذي تقوم عليه ، طبقاً لعوامل الجذب والطرد المكانية ، فعامل السوق يجتذب الصناعة نحو المدينة ، في حين أن عوامل اقتصادية وبيئية أخرى تبعدها باتجاه الأطراف. وبما ان الصناعة لاترتبط دوماً بموقع موادها الاولية ، ولا يشترط ان يسوق كامل انتاجها في سوق المدينة ، لذا فان المبحث يشمل محافظة نينوى ، يدفعنا الى ذلك أن مدينة الموصل تعد قاعدة لبناء الصناعة تمويلاً وتسويقاً فضلاً عن توفير بعض من مستلزمات الانتاج والقوى العاملة وما اليها من عوامل التوطن الصناعي ، كما يدفعنا الى ذلك الترابط الصناعي الذي كان سائداً بين مدينة الموصل وأطرافها قبل قيام الصناعة الحديثة[١] .

وقد إستثنى المبحث الصناعات التي اصبحت تابعة لمحافظات اخرى بعد التغيرات الادارية التي جرت في السنوات الاخيرة حتى عام ١٩٨٥ .

وسنتناول في هذا المبحث الصناعة التحويلية ، وهي التي تقوم على تحويل مادة او اكثر بالطرق الميكانيكية او الكيمياوية الى مواد جديدة لها خصائص مختلفة من حيث الشكل او من حيث طبيعة الاستعمال لتستجيب الى متطلبات الانسان وحاجاته ، سواء أكانت منتجاتها جاهزة للاستهلاك



مباشرة، أم سلعاً وسيطة تدخل مواد اولية في صناعات تالية، او صناعات انتاجية، كبناء المصانع والآلات والاجهزة. وينصب المبحث على نشاط القطاع الصناعي الخاص في الموصل، لأن قطاع الصناعة الاشتراكي درس في مكان آخر.

وبالنظر الى ان مشاريع النشاط الصناعي الخاص تجتذبها احوال المدينة الداخلية والسوق المحلية ومدى النجاح في تحقيق الارباح، وبما ان هذا النشاط يجري عبر غرفة تجارة وصناعة الموصل[٢] فان الدراسة اعتمدت البيانات المتوافرة لديها، وفي مقدمة ذلك حجم الاستثمارات المسجلة وعدد المشاريع والأيدي العاملة، باعتبارها المؤشرات المعتمدة للتعرف على واقع واتجاهات هيكل الصناعة للنشاط الخاص.

ولتنوع وحدات الانتاج الصناعي من حيث النوع والحجم وطبيعة المواد المستخدمة (المواد الاولية) والمنتجات وحجم الاستثمار والعمالة وغيرها، مما يقتضي وجود تصنيف لتجميع الحقائق ووضع الصناعة في فئات محددة لتيسير دراستها واجراء المقارنات، فقد اعتمدت المبحث هذا التصنيف الدولي للنشاط الاقتصادي المعدل ISIC الذي وضعته اللجنة الاحصائية للامم المتحدة واعتمدته المنظمة الدولية للتنمية الصناعية UNIDO.

وبموجب هذا التصنيف تضم الصناعة التحويلية، القسم الثالث، الذي يضم مستويات اخرى هي الباب والفصل والفرع، وبناء على ذلك اعيد تصنيف المشاريع المسجلة لدى غرفة تجارة وصناعة الموصل، ليتماشى وطبيعة التصنيف الدولي ويوفر اساساً للمقارنات المحلية والدولية.

وسينصب المبحث على ماياتي:

١ - هيكل الصناعات التحويلية للنشاط الصناعي الخاص.

٢ - هيكل الاستثمار في الصناعة التحويلية للنشاط الخاص.

٣ - هيكل العمل ومعدل نصيب العامل من الاستثمار.

اولاً: هيكل الصناعة التحويلية:

نعني بهيكل الصناعة الاهمية النسبية التي تشغلها فروع الصناعة، في معيار او اكثر من المجموع الكلي، وهذه الأهمية تتغير تبعاً للأتجاهات التطورية ومتأثرة بمعدلات النمو المتفاوتة، ويشير الهيكل الصناعي الى مرحلة التطور الاقتصادي ومدى الاهتمام الذي يوليه المجتمع للصناعة عامة او لأي نشاط فيها.

وحتى يمكن أن نعطي صورة كاملة وواضحة عن هيكل الصناعة التحويلية للنشاط الخاص في الموصل نتطرق اولاً الى دراسة هيكل كل باب صناعي[٣] وملاحظة التغيرات الجارية فيه، ثم الانتقال الى دراسة طبيعة الهيكل الصناعي التحويلي بعامة.

١ - الصناعات الغذائية:

وتمثل الباب الاول من أبواب الصناعة التحويلية في التصنيف الدولي. وتتضمن ثلاثة فصول هي: صناعة المواد الغذائية، وصناعة المشروبات الغازية والكحولية، وصناعة التبوغ، وكل منها يضم فروعاً صناعية عدة.

وتفتقر الموصل حالياً الى صناعة للتبوغ، بعد أن شاعت هذه الصناعة طيلة النصف الاول من هذا القرن حتى بداية عقد الستينات فقد ظهرت صناعة لورق السكائر، وانتاج السكائر بالطرق اليدوية، والتي برع فيها أبناء الموصل، وعرفت في أنحاء العراق المختلفة، وقد اشار اول احصاء صناعي شامل جرى في القطر عام **١٩٥٤** الى الأهمية الكبيرة التي اشغلتها صناعة التبوغ

ومن هذا الاحصاء يتضح ان صناعة التبوغ اشغلت حوالي ربع عدد المؤسسات وثلث عدد العمال و ٢٨,٢٪ من قيمة المستلزمات و ٣٩,٢٪ مما تحقق من قيمة مضافة في هذا الباب الصناعي، ويبلغ معدل حجم المؤسسة في صناعة التبوغ ستة عمال، وبذا يفوق معدل حجم المؤسسة من حيث العمل لمجموع باب الصناعات الغذائية البالغ اربعة



عمال. إلا ان التطور الصناعي جرى لغير صالح صناعة التبوغ والسيكاير في الموصل، فقد اقيم اكبر مشروع صناعي لصناعة السيكاير في السليمانية لتغطية الحاجة الوطنية للسيكاير آنئذ، وبذلك اصبح انتاجها منافساً قوياً للصناعة الحرفية التي اخذت في الضمور التدريجي ولم يبق منها إلا مؤسسات حرفية صغيرة[٤]، لاتظهر في البيانات لكونها غير مسجلة في غرفة تجارة وصناعة الموصل كما ان الجهاز المركزي للاحصاء ترك جمع البيانات عنها منذ عام ١٩٦٨[٥] باعتبارها من الصناعات المنزلية Cottage Industries تقوم بها العوائل داخل بيوتها. ولذا فان الهيكل الصناعي الحديث لباب الصناعات الغذائية اضحى يضم فرعين رئيسين هما صناعة المنتجات الغذائية وصناعة المشروبات.

وطبقاً للبيانات المعتمدة فقد جرى تقسيم المبحث الى فترات خمسية لمعرفة التغيرات الهيكلية والتطورات التي حصلت بين ١٩٦١ - ١٩٨٥ عدا الفترة ١٩٦١ - ١٩٧٠ عدت فترة واحدة لبعدها الزمني نسبياً، ولكونها تمثل امتداداً للسياسات الاقتصادية التي سبقت النهج الذي تبنته ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨. وهو ماسيسير عليه المبحث في ابواب الصناعة الاخرى.

وتجدر الاشارة هنا الى ان الصناعات الغذائية استحوذت على الاهمية الرئيسة في هذا الباب وبنسبة ٩٥٪ من الاستثمارات لعموم الفترة ووفرت ٨٣,٥٪ من فرص العمل واستأثرت لـ ٩٠,٣٪ من عدد المشاريع. وتحققت أعلى نسبة للاستثمار في الفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ بلغت ٤٢٦١ الف دينار او بما يعادل ٦,٢ مرة الاستثمارات المسجلة في العشر سنوات الواقعة بين ١٩٦١ - ١٩٧٠. ويلاحظ ان المشروبات وصناعة الثلج لم تحض إلا بنسب صغيرة بلغت في الاستثمار ٥٪ فقط لعموم الفترة واقل نسبة للاستثمار حصلت في الفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ اذ بلغت ١,٢٪ ويعود ذلك الى انحسار الاستثمارات في صناعة الثلج بعد دخول الاجهزة المنزلية للتبريد بنطاق واسع والتي عوضت عن الحاجة الى منتجات هذه الصناعة الى حد كبير.

وضمت الصناعات الغذائية كلاً من صناعة طحن الحبوب ومنتجات القمح «الحبية والبرغل والجريش والرشتة» والمرطبات وصناعة البسكويت والسكريات والحلويات وافران الخبز والصمون وصناعات اخرى.

والمعروف ان مثل هذه الصناعات تعد من صناعات المدن، اي انها تتوزع ضمن المدينة لتستجيب للمتطلبات اليومية للسكان، لذا نجد أن من بين ١٦٥ مشروعاً في المحافظة توطن منها ١٣٠ مشروعاً داخل مدينة الموصل او حوالي ٧٩٪ في حين توزعت المشاريع الباقية في مدن تلكيف (١٤ مشروعاً) وتلعفر (٩ مشاريع) وانتشرت المشاريع الاخرى بواقع مشروع او مشروعين في بقية مدن المحافظة، وهي لاتعدُ كونها صناعات للبرغل (٢١ مشروعاً)[٦] ارتبطت بانتاج القمح، مادتها الاولية، التي تزرع بنطاق واسع في محافظة نينوى[٧]، وبطبيعة غذاء سكانها.

وفي ملاحظة البيانات الأولية التي وفرتها غرفة تجارة وصناعة الموصل، ظهر أن الاستثمارات تركزت في مشاريع طحن الحبوب ففي الوقت الذي بلغ عدد مشاريعها تسعة مشاريع او ٥٪ من مجموع المشاريع في الصناعات الغذائية استأثرت بـ ٤٥٪ من الاستثمارات المسجلة[٨].

وضمت صناعة المشروبات (١٦) مشروعاً باستثمارات بلغت (٥٠١) الف دينار او بنسبة ٥٪ وبمعدل استثمار سنوي مقداره (٣٣) ألف دينار.

وبعامة فان باب الصناعات الغذائية للقطاع الخاص ضم ١٦٥ مشروعاً بلغت استثماراتها ٩٩٥٨ الف دينار ووفرت ٩٩٠ فرصة عمل فضلاً عن عمل اصحابها.

وهناك تفاوت كبير في معدلات الاستثمار الرأسمالية، اذ بلغ معدله للمشروع الواحد ٥٩,٣ الف دينار للفترة ١٩٦١ - ١٩٧٠. وان اعلى معدل للاستثمار سجل خلال الفترة ١٩٧١ -



١٩٧٥ بلغ (١٨٠) الف دينار.

اما معدل مجمل الفترة فقد بلغ ٦٠,٣ الف دينار مع تفاوت بين الصناعات الغذائية وصناعة المشروبات اذ بلغ للاولى ٦٣,٤ الف دينار او ضعف معدله في الثانية والذي بلغ (٣١,٣) الف دينار.

ومن ملاحظة معدل الاستثمار مقابل العامل الواحد نجد أن الصناعات الغذائية قد فاقت في ذلك صناعة المشروبات، اذ كان في الاول ١١,٤ الف دينار مقابل ٣,١ الف دينار للثانية، وبمعدل عام للباب الصناعي بلغ عشرة آلاف دينار وتحقق اعلى استثمار مقابل العامل الواحد خلال الفترة ١٩٧١ - ١٩٧٥ في الصناعات الغذائية ومقداره ١٧,٢ الف دينار.

وتجدر الاشارة هنا الى ان الصناعات الرئيسة والمهمة في الصناعات الغذائية يمتلكها القطاع الاشتراكي (العام) اما تأسيساً، كما في مشروع سكر الموصل، او نتيجة لقرارات التأميم التي صدرت عام ١٩٦٤ والتي بموجبها تحول مشروع طحين الحدباء ومصنع المشروبات الغازية (الببسي كولا) الى ملكية الدولة.

٢ - صناعة النسيج والجلود:

ويضم هذا الباب عادة صناعات الغزل والنسيج وانتاج الملابس الجاهزة او خياطتها والصناعات الجلدية. وهي في الموصل تضم قائمة طويلة من الصناعات الفرعية، كالمنسوجات القطنية والحريرية وصناعة التريكو والملابس الداخلية وملابس الاطفال والمطرزات واغطية الرأس ونسيج الاشرطة والخاوليات والمناشف والاقمشة التركيبية من الحرير والنايلون ونسيج الستائر وحياكة الملابس وخياطة الفساتين والبدلات الرجالية والجواريب والبسط الشعبية، ثم الصناعات الجلدية، من المدابغ وصناعة الاحذية والحقائب النسائية وحقائب السفر وغيرها.

وقسمت الصناعة في هذا الباب الى ثلاثة فروع رئيسة (فصول) هي الصناعات النسيجية وصناعة الملابس الجاهزة والصناعات الجلدية لمطابقتها للتصنيف الدولي ولكونها الاكثر انتشاراً.

ان صناعة النسيج والجلود كانت شائعة في الموصل والمدن القريبة منها حتى اصبحت منتجاتها في القرن الثامن عشر تماثل او تفوق المنتجات المثيلة لها في اوربا[٩] وبرغم ارتباط الاقتصاد العراقي بالسوق الدولية في بداية هذا القرن ودخول المنتجات الاوربية المنافسة، فان صناعة النسيج في الموصل لم تفقد مركزها بل تطورت بقوة الاستمرار التاريخي من توفر الخبرة والمهارة واتساع الطلب المحلي[١٠]. فضلاً عن كونها سارت مواكبة للتطورات الحديثة باستخدام الالات الجديدة في مراحل الانتاج المختلفة، فاتسعت المصانع وتنوعت المنتجات، واصبحت ولاتزال تشكل واحدة من اهم الصناعات في مدينة الموصل وفي عموم محافظة نينوى.

ففي اول احصاء صناعي شامل جرى في العراق عام ١٩٥٤ يلاحظ أن هذه الصناعة اسهمت بأكثر من ٧٢٪ من القيمة المضافة التي تحققت في صناعة المحافظة التحويلية، كما اشغلت نسباً عالية في العديد من المؤشرات، بلغت ٤٢٪ في عدد المؤسسات و٣٧٪ من اليد العاملة و ٦٤٪ من قيمة الانتاج[١١]

وكما هو معروف فان صناعة النسيج اشغلت ٢٥٪ من عدد المشاريع و٣٥,٩٪ من اليد العاملة و ٢٤٪ من قيمة الانتاج و٢٨٪ في القيمة المضافة في وقت اشغلت صناعة الملابس الجاهزة المثلة في حياكة الملابس وخياطتها نسبة اكبر في عدد المؤسسات أي ٤٣,٧٪ في حين أنها حظيت بـ ٢٧٪ من الايدي العاملة و٢٣٪ من قيمة الانتاج وحوالي ٢٣٪ من القيمة المضافة، ولاشك أن هذه الصناعة كانت تتميز بصغر مؤسساتها من حيث الاستثمار وبانتشارها الواسع.

اما الصناعات الجلدية والتي تتمثل بصناعة الدباغة وانتاج الاحذية والحقائب والاحزمة وسروج الخيل وغيرها فقد هيمنت على نسبة عالية في هذا

الباب فأشغلت ٣٧٪ من اليد العاملة و ٥٢٪ من قيمة الانتاج و ٤٩٪ من القيمة المضافة.

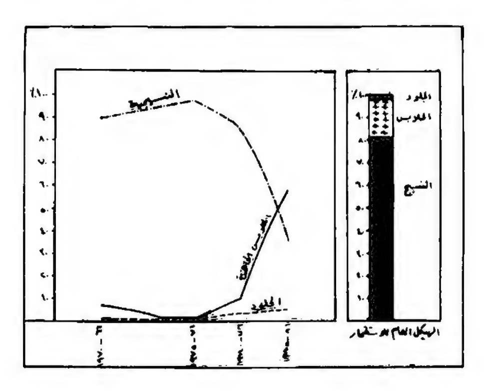
لقد حصلت تغيرات كبيرة وجوهرية في هيكل صناعة النسيج والجلود خلال السنوات التي تلت الاحصاء الاول لسنة ١٩٥٤ واسهمت الدولة في بناء العديد من المشاريع الكبيرة للنسيج والجلود في انحاء متفرقة من القطر ومن بين ذلك اقامة معمل النسيج القطني في الموصل، وبذا استمرت صناعة النسيج بالاندفاع، حيث وفر المشروع بعضاً من المواد الخام للنشاط الخاص.

١ – هيمنت صناعة النسيج على الاستثمارات الرئيسة في هذا الباب الصناعي، فبلغت مجمل الاستثمارات ٩٦٧٩ الف دينار خلال الفترة ١٩٦١ – ١٩٨٥ واشغلت ٨١,٣٪، وقد سجلت اعلى نسبة للاستثمار في الفترة ١٩٧١ – ١٩٧٥ اذ بلغت الاستثمارات فيها ٤٣٨٧ الف دينار او ٩٨,٤٪. وقد وفرت صناعة النسيج ٥٣٪ من فرص العمل واسهمت لـ ٣٩٪ في عدد المشاريع.

٢ – بلغت مجمل الاستثمارات في صناعة الملابس الجاهزة ١٩١٩ الف دينار وبنسبة ١٦٪ في هذا الباب الصناعي وتحقق اكبر استثمار بلغ ١٤٢٤ الف دينار خلال الفترة ١٩٨١ – ١٩٨٥ او نسبة ٥٨,٦٪. وأسهمت هذه الصناعة بـ ٧٧٪ من فرص العمل وما يماثلها في عدد المشاريع للفترة ذاتها. وتشير الفروق بين نسب الاستثمار ونسب عدد المشاريع الى صغر حجم المؤسسات.

٣ – اما الاستثمار في نوع الصناعات الجلدية فكان صغيراً بوجه عام، فقد بلغ في عموم الفترة ٣٠٥ الف دينار وبنسبة ٢,٦٪ في هذا الباب الصناعي، وتحقق اعلى معدل للاستثمار خلال الفترة على ١٩٨١ – ١٩٨٥، اما فرص العمل فقد وفرت ١٦٩ فرصة او بنسبة ١٠٪ متجاوزة كثيراً نسبة الاستثمار البالغة ٢,٦٪ مما يشير الى التخلف التكنيكي الذي تعاني منه هذه الصناعة.

٤ – ولعل من ابرز الملاحظات في عموم هيكل هذا الباب الصناعي ذلك التزايد النسبي للاستثمار في فرع الصناعات الجلدية وصناعة الملابس الجاهزة، على حساب الاهمية النسبية للصناعة التي كانت تشغلها صناعة النسيج (الشكل ١) مما يشير الى الاتجاهات التطورية لقيام صناعة متكاملة من جانب، الى مواكبة التغير في الاستهلاك واتجاهه نحو صناعة الملابس الجاهزة والحيكة.



الشكل-١- اتجاه التغيرات الهيكلية في صناعة النسيج والجلود.

٥ – استأثرت صناعة النسيج والجلود باستثمارات كبيرة نسبيا، حيث بلغت (١١٩٠٣) الف دينار او بمعدل استثمار مقداره ٤٩,٤ الف دينار للمشروع الواحد. ومن بين المشاريع البالغ عددها ٢٤١ مشروعاً وجد ان ٢٤ منها يتجاوز الاستثمار في كل منها ١٠٠ الف دينار وبلغ مجموع استثماراتها ٧١١٩ الف دينار او بمعدل ٢٩٦ الف دينار[١٢].

ان المشاريع الكبيرة نسبياً من حيث الاستثمار في النشاط الصناعي الخاص يشير الى الاستمرار التاريخي لصناعة النسيج في الموصل. مما يتطلب مزيداً من الاهتمام بهذا النشاط لا باعتباره احد

الانشطة الرئيسة في اقتصاد الموصل فحسب، بل ولضرورة ان تأخذ المدينة دورها في قسمة العمل لعموم القطر وبالاتجاه نحو بناء مركز صناعي للنسيج يغطي الحاجات او الطلب المحلي وليرقى بنوعية انتاجه ليكون قادراً على منافسة المنتجات المماثلة في الاسواق العربية او المجاورة، وللاستفادة من الخبرات المتراكمة وتطويرها.

٦- ومن ملاحظة معدلات الاستثمار في صناعة النسيج والجلود، يظهر لنا:

أ- أن المعدل العامل للاستثمار بلغ ٤٩,٤ الف دينار، في حين بلغ في صناعة النسيج ١٠٠ الف دينار وفي صناعة الملابس الجاهزة والصناعات الجلدية ١٥,٦ و١٣,٨ الف دينار على التوالي.

ب- ان تغيرات كبيرة حصلت في معدلات الاستثمار خلال فترة الدراسة ومن ذلك الهبوط في معدل الاستثمار في الصناعات النسيجية، والارتفاع الملاحظ في تلك المعدلات في الصناعات الجلدية، حيث تشكل الحقائب والاحذية النسائية دوراً متزايداً مما يشير الى الاتجاهات الجديدة في التطور الاجتماعي وارتفاع المستوى المعاشي ومعدل دخل الفرد.

واذا كانت محافظة نينوى الوحيدة التي تضم مدابغ الجلود، باستثناء بغداد، فانها تضم ايضاً النسبة الكبرى في تربية الاغنام وقربها من المحافظات التي تهتم بتربية الماعز، مما يهيئ الفرصة لتطور الصناعات الجلدية والأخذ بيد هذه الصناعة وتطويرها.

جـ- إتجه معدل الاستثمار للانخفاض عموماً ويرجع ذلك الى تحول الاستثمارات نحو صناعات أخرى بعد ان وصل الاستثمار في صناعة النسيج الى الاشباع النسبي للسوق المحلية من جانب والى ماتواجهه هذه الصناعة من منافسة منتجات المشاريع التي أقيمت في المحافظات الأخرى سواء أكانت للقطاع الخاص أو للقطاع الاشتراكي[١٣] فضلاً عن منافسة الانتاج الاجنبي الذي غزا الاسواق الوطنية وتزايد الطلب عليه نتيجة لارتفاع معدل دخل الفرد العراقي والدخل القومي للقطر.

ان ارتفاع مستوى المعيشة وما رافق ذلك من تطور اجتماعي والتغير في نمط الاستهلاك، عمل على زيادة الطلب وتنوعه على الحاجات والسلع وفتح افاقاً ومنافذ جديدة للاستثمار وقد ساعد على ذلك توجه خطط التنمية القومية لتشجيع النشاط الصناعي الخاص سواء عن طريق فسح المجال له للولوج في انتاج سلع جديدة أم عن طريق وضع المحفزات وتوفير وزيادة القروض الصناعية التي يقدمها المصرف الصناعي.

د- ولما كانت صناعة النسيج معروفة بكثافة العمل- بعامة- فان معدل مايصيب العامل من الاستثمار بلغ ٧,١ الف دينار، وهو أقل مما هو عليه في الصناعات الغذائية، وإن اعلى معدل للاستثمار مقابل العامل الواحد كان في صناعة النسيج خلال الفترة ١٩٧٦- ١٩٨٠. كما أن المشاريع ذات الاستثمارات الكبيرة اصبحت من نصيب القطاع الاشتراكي في حين كانت قد وضعت حدود عليا للاستثمار في النشاط الخاص.

ان النشاط الخاص الصناعي يمتلك حالياً مجالاً رحباً لاستثمار أمواله في بناء وتطوير صناعة النسيج وما يرتبط بها من صناعات لاحصر لها تشكل ارتباطاً خلفياً كالغزول والالياف والاصباغ، وارتباطاً اماميا كالخياطة والملابس الجاهزة، فضلاً عن بناء الصناعات الجلدية، وذلك للمحفزات الكثيرة المعروضة امامه، ولالغاء أية ضرائب عليه خلال السنوات العشر القادمة، مما يمكنه من السير خطوات اخرى بالاستفادة من التقنيات الحديثة، في بناء وتحديث مشاريعه الصناعية والاسهام بتلبية الحاجات المحلية والوطنية المتزايدة لمنتجات هذه الصناعة.

٣- الصناعات الكيمياوية[١٤]:

يضم هذا الفرع الصناعي طبقاً للتصنيف



الدولي للنشاط الاقتصادي، صناعات كثيرة ومتنوعة كالكيمياويات الصناعية الاساسية، وصناعة الاسمدة والمبيدات والمواد البلاستيكية والالياف الصناعية والاصباغ والدهان والعقاقير وصناعة الصابون والعطور وادوات الزينة ومصافي النفط والمنتجات المتنوعة من النفط والفحم والمطاط وصناعات اخرى لا حصر لها. وفي الموصل يضم هذا الباب الصناعي صناعات كثيرة منها البلاستك والحصران البلاستيكية واكياس النايلون ومواد التجميل والاصباغ والمواد العازلة وانتاج الاسفلت وغيرها.

وتخلو محافظة نينوى بعامة من الصناعات الكيمياوية الاساسية والاسمدة الكيمياوية والصناعات المطاطية ومنتجات الفحم، على الرغم من وجود الصناعة الاستخراجية للكبريت وتوفر النفط الخام، مما يهيئ للصناعة الكيمياوية مستقبلاً افاقاً كبيرة للتطور. وهذا مايلاحظ من ازدياد الاستثمارات في الصناعات الكيمياوية في السنوات الاخيرة. فبعد ان كان مجموع الاستثمارات ١٤٣ الف دينار للفترة ١٩٦١- ١٩٧٠ او بمعدل سنوي مقداره ١٤,٣ الف دينار بلغ لمجموع الفترة ١٩٧٦- ١٩٨٠ مقداراً قدره ١٩٨٧ الف دينار او بمعدل سنوي مقداره ٣٩٧,٤ الف دينار.

ان زيادة الاستثمارات لم تكن متساوية في الصناعات الكيمياوية، فبعد ان كان الاستثمار موجهاً نحو الصناعات البلاستيكية والنايلون اخذ بالاتجاه نحو صناعات كيمياوية متعددة اخرى، فقد اتسعت قاعدة الصناعات الكيمياوية خلال الفترة ١٩٨١- ١٩٨٥ وظهرت انواع جديدة، مثل مواد التجميل واصباغ التلوين ومواد الدعاية من البلاستيك- كما توسعت صناعة المواد العازلة المستخدمة في اعمال البناء وغيرها.

ومن متابعة تحليل المعلومات يظهر لنا ان صناعة المواد البترولية، ممثلة بصناعة المواد العازلة والاسفلت التي تدخل في الاعمال الانشائية والبنائية، حظيت بالنصيب الأوفر من الاستثمارات بلغت مجموعها ١٩٥٣ الف دينار او بنسبة ٥٤,١٪ من مجموع الاستثمارات في باب الصناعات الكيمياوية ووفرت ٣١٪ من فرص العمل واشغلت ٢٧٪ من عدد المؤسسات. والملاحظ في هذا الصددان أهمية الصناعات البترولية المذكورة قد تصاعدت خلال الفترة ١٩٧٦- ١٩٨٠ مرافقة بذلك الزيادة الكبيرة في اعمال البناء[١٥].

اما صناعة البلاستيك والنايلون، وهي تعتمد على المواد نصف المصنعة المستوردة، فقد جاءت بالمرتبة الثانية من حيث الاستثمار وبنسبة ٣٥,٥٪ في حين اشغلت المرتبة الاولى في توفير فرص العمل وفي عدد المؤسسات، ويشير ذلك الى صغر معدل الاستثمار وكثافة العمل، النسبي، فيها. وكان من الممكن ان تستفيد هي والكثير من الصناعات الكيمياوية لو ان مشروع الصناعات البتروكيمياوية في محافظة البصرة قد انجز كما هو مخطط له.

وحظيت صناعة الاصباغ والمعاجين لـ ١٠,٤٪ من الاستثمارات واسهمت بتوفير ١٢٪ من فرص العمل وبمثل النسبة في عدد المشاريع.

ولاتساع اسواق الصناعات الكيمياوية، لكون المواد البلاستيكية تدخل بصورة متزايدة بديلاً عن كثير من السلع والمنتجات الصناعية الأخرى، وللبوادر الجديدة في دعم وتشجيع استثمارات النشاط الخاص في القطاع الصناعي، فضلاً عن ان القطاع الاشتراكي قد اخذ على عاتقه انشاء المجمع البتروكيمياوي والصناعات الكيمياوية الاساسية، مما يوفر للقطاع الصناعي الخاص قاعدة لبناء وتطوير الصناعات الكيمياوية وبذلك فان مثل هذه الصناعات في الموصل، ستتوفر لها مقومات بنائها وتطويرها.

ويتزايد معدل الاستثمار في الصناعات الكيمياوية على الرغم من ظروف الحرب فقد ارتفع من ٤٧,٦ الف دينار للفترة ١٩٦١- ١٩٧٠ الى ١٣٢,٤ الف دينار للفترة ١٩٧٦- ١٩٨٠،

وحققت صناعة المواد النفطية اعلى معدلات للاستثمار بلغ لعموم الفترة قيد الدراسة ١٧٧,٥ الف دينار ووصل الى أعلى معدل خلال الفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ وهو ٢٥٩,٣ الف دينار.

اما نصيب العامل الواحد من الاستثمار في الصناعة الكيمياوية فقد بلغ ١٧,٦ الف دينار. وكان اعلى معدل وصله في الصناعات البترولية وهو ٣٨,٨ الف دينار للفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠:

وجاءت صناعة الاصباغ بالمرتبة الثانية من حيث حجم الاستثمار وما يصيب العامل الواحد، في حين جاءت صناعة البلاستيك والنايلون بالمرتبة الثالثة.

ويبدو أن هناك مجالاً رحباً امام رفع معدلات الاستثمار وبناء مشاريع ذات طاقات اكبر واحدث تقنية، وذلك لمجابهة الطلب المتزايد في المحافظة او في المحافظات المجاورة وعموم القطر من ناحية، والى توافر المواد الاولية للنفط والكبريت والاملاح في المحافظة، وهي تشكل القاعدة الاساسية للصناعات الكيمياوية والبتروكيمياوية.

٤ - الصناعات المعدنية اللافلزية (الانشائية):

وهي من ابرز الصناعات القائمة في محافظة نينوى، ولارتباط اكثر صناعاتها بالمواد الاولية - لكونها ثقيلة الوزن وكبيرة الحجم - ولاعتبارها من الصناعات الملوثة التي لايسمح بقيامها داخل المدينة فان جزءاً كبيراً من مشاريعها تنتشر خارج المدينة لكنها ترتبط بدرجة عالية بسوق مدينة الموصل والتوسع العمراني فيها، وهناك بعض من هذه الصناعات كانتاج الكاشي والموزائيك، مازالت تنتشر في المدينة او في المناطق الصناعية المحددة فيها.

ان المشاريع الرئيسة القائمة في هذا الفرع الصناعي تابعة للقطاع الاشتراكي ممثلة بمشاريع الاسمنت في بادوش وحمام العليل وصناعات اخرى للكاشي والابنية الجاهزة والجص وغيرها. ومع ذلك بقي النشاط الصناعي الخاص يشكل قاعدة مهمة للصناعات المعدنية اللافلزية حتى ان مجموع مشاريعها المسجلة بين ١٩٦١ - ١٩٧٠ بلغت ثلاثمائة وخمسة وثلاثون مشروعاً وهي اما صناعات تكميلية ترتبط بصناعة القطاع الاشتراكي او انها صناعات مجهزة مباشرة للمواد البنائية المتنوعة، حيث يضم هذا الباب مشاريع لتصنيف الحصى وتكسير الحجر وانتاج الكاشي والموزائيك والحلان والمرمر والشتايكر وانتاج البلوك والطابوق والانابيب الكونكريتية.

ان التطور الذي حصل في هذا القطاع يرجع بعض منه الى التغير الجاري في نمط المباني والانشاءات، فبعد ان كان سائداً استخدام الطابوق الطيني والحجر سواء في المباني ام في ارضياتها، شاع وبدرجة كبيرة استخدام الكتل الكونكريتية في بناء اسس وجدران المباني. كما اخذت تشيع بناء الارضيات او تبليطها بالكاشي والموزائيك والشتايكر واستخدام الحلان في واجهات المباني الى غير ذلك من التغيرات النمطية في البناء الحديث. وقد ظهرت فرص جديدة وشاعت اعمال بناء لم تكن معروفة في اعمال البناء من قبل ويرجع ذلك الى استخدام اجهزة التكييف الحراري والمواد العازلة فضلاً عن بناء طوابق عدة.

وقد امكن تقسيم الصناعات في هذا الباب الى اربعة اقسام تشكل الفروع الرئيسة حسب التصنيف الدولي وهي: تنظيف وتصنيف الحصى والرمل[١٦]، وصناعة الكاشي والموزائيك، وصناعة المرمر والحلان، وصناعة المنتجات الكونكريتية من البلوك والاعمدة.

ومع كون معظم هذه الصناعات حديثة تطلبها البناء الحديث، فان هناك تغيرات كبيرة حصلت في طبيعة الاستثمار ومعدلاته، ومن ملاحظة الجدول رقم ٩ يمكن التعرف على اهم التغيرات وكما يأتي:

أ - تركز الاستثمار الصناعي للفترة ١٩٦١ - ١٩٧٠ في صناعة الكاشي والموزائيك التي استأثرت بنسبة ٧٤,٤٪، كما اسهمت بنسب تقترب من ذلك في توفير فرص العمل وفي عدد مشاريعها،



جاءت بعدها صناعة المرمر والحلان التي اشغلت النسب الباقية، ذلك لأن الصناعات الأخرى، اما أنها لم تكن قائمة، او لكونها صغيرة وحرفية لم تسجل في سجلات غرفة تجارة وصناعة الموصل.

وتجدر الاشارة هنا الى ان الاستثمارات خلال الفترة المذكورة آنفا لم تكن كبير اذ بلغت (١٦٨) الف دينار او بمعدل استثمار مقداره ٢١ الف دينار.

ب- اتجهت الاستثمارات نحو الصناعات الجديدة في هذا الباب الصناعي في الفترات بين ١٩٧٠- ١٩٨٥، فقد حظيت صناعة تنظيف وتصنيف الحصى للفترة ١٩٨١- ١٩٨٥ بـ (٦٨٤٧) الف دينار وهو يشكل ٥٠,١٪ من مجموع الاستثمارات[١٧] واشغلت الصناعات الاسمنتية (الكونكريتية) المرتبة الثانية باستثمار بلغ (٤٣٧٤) الف دينار او بنسبة ٣٢٪ وجاءت صناعة المرمر والحلان بالمرتبة الثالثة او ١٠٪ من الاستثمارات، اما المرتبة الرابعة والأخيرة فكانت من نصيب صناعة الكاشي والموزائيك واشغلت ٨٪ فقط من الاستثمارات بعد ان كانت تشغل المرتبة الاولى في الفترة الاولى.

وتعود الاستثمارات الواسعة في صناعة اعداد وتنظيف الحصى وتصنيفه الى كون جزء كبير من انتاجه يدخل كسلع وسيطة في العديد من الصناعات الانشائية الاخرى، اما الصناعات الاسمنتية، فان تغير نمط البناء هو الدافع الاكبر في قيامها وتوسعها، وأثر ذلك على اندثار صناعة الطابوق في الموصل وعموم محافظة نينوى.

ج- ومن دراسة عموم الفترة ١٩٦١- ١٩٨٥ يظهر ان الصناعات الكونكريتية نالت النصيب الاكبر من الاستثمار حيث بلغ (٩٤٦١) الف دينار او بنسبة ٤٤٪ ويرتبط ذلك بالتغيرات الجارية في نمط البناء واعتماد المباني الجديدة كلياً على الكتل الكونكريتية، ساعد على ذلك توافر موادها الاولية، من الاسمنت والحصى والرمل، محلياً، وطبيعة عمليات الانتاج البسيطة التي لاتحتاج الى المهارات العالية، تلتها في الاهمية صناعة تنظيف وتصنيف الحصى والرمل اذ بلغت الاستثمارات فيها ٧٢٧٠ الف دينار وبنسبة ٣٣,٨٪، ويرتبط انتاجها بصناعات اخرى حيث يدخل كمواد اولية فيها. وجاءت صناعة الكاشي والموزائيك بالمرتبة الثالثة وبنسبة ١٣٪ وصناعة المرمر والحلان في المرتبة الاخيرة وبنسبة ٩,٢٪.

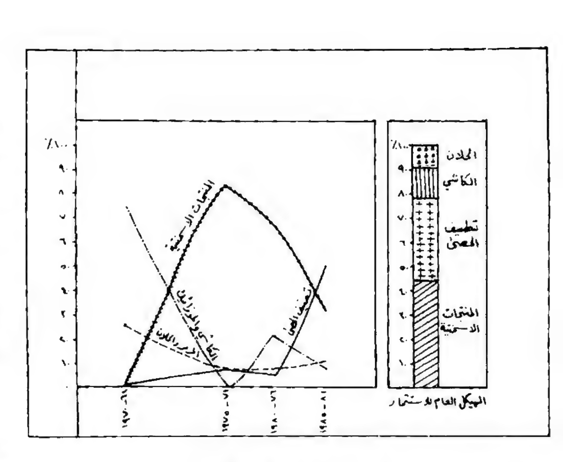
وبعامة يلاحظ أن زيادة كبيرة قد طرأت في الاستثمار في مجمل هذا الباب ففي العشر سنوات الواقعة بين ١٩٦٠- ١٩٧٠ بلغت الاستثمارات فيه ١٦٨ الف دينار او بمعدل سنوي مقداره ١٦,٨ الف دينار، في حين بلغ للفترة الواقعة بين ١٩٨١- ١٩٨٥ مامقداره ١٣٧٥٤ الف دينار او بمعدل سنوي مقداره ٢٧٥٠,٨ الف دينار وفي عموم الفترة تجاوز الاستثمار ٢١,٥ مليون دينار او بما يزيد عن ٤٠٪[١٨] من مجمل استثمارات النشاط الصناعي الخاص في الموصل.

وعلى الرغم من التغيرات في هيكل الاستثمار في الصناعات التي يضمها هذا الباب لصالح تنظيف وتصنيف الحصى والصناعات الاسمنتية على حساب الاستثمار في صناعة الكاشي والموزائيك، حيث دخل القطاع الاشتراكي- انئذ- منافساً قوياً، فان هناك ضرورة لقيام صناعات اخرى كالأبنية الجاهزة لاستجابة تزايد الطلب على البناء والطابوق الخفيف (الثرمستون) لمواكبة متطلبات البناء في العزل الحراري وانشاء العمارات متعددة الطوابق.

وعند ملاحظة معدلات الاستثمار نجد حصول تغيرات واضحة في معدل الاستثمار للمشروع الواحد وفي معدل رأس المال مقابل العامل الواحد.

أ- ان معدل الاستثمار لعموم الفترة أخذ بالتزايد، فبعد ان كان في الفترة الاولى ١٩٦١- ١٩٧٠ حوالي ٢١ الف دينار ارتفع الى ٤٧,٣ الف دينار ثم الى ١٦٦,٧ الف دينار للفترتين ١٩٧١- ١٩٧٥ و١٩٧٦- ١٩٨٠ على التوالي. وبلغ في الفترة ١٩٨١- ١٩٨٥ الى ٥٨,٥ الف دينار. في حين بلغ المعدل العام لمجمل الفترة ٦٤,٢ الف دينار.





الشكل-٢- اتجاه التغييرات الهيكلية للاستثمار في صناعة المعادن اللافلزية ١٩٦٠- ١٩٨٥

اما عن نصيب العامل من الاستثمار فهو الآخر أخذ بالارتفاع من ٦,٥ الف دينار الى ١٣ الف دينار بين الفترتين الاولى والاخيرة.

وبلغ اعلى معدل له خلال الفترة ١٩٧٦- ١٩٨٠ حين وصل الى ١٦ الف دينار، مرافقاً بذلك النهوض الاقتصادي الذي شهده العراق اثر نجاح تأميم النفط وزيادة موارده.

ب- تزايد معدل الاستثمار في صناعة تنظيف وتصنيف الحصى، فارتفع من ١٨,٧ الف دينار للفترة ١٩٧١- ١٩٧٥ الى ٢٧,٥ الف دينار ثم الى ٦١,١ الف دينار للفترتين بين ١٩٧٦- ١٩٨٥. ومع ذلك فان المعدل العام للاستثمار كان دون المعدل العام للباب الصناعي.

ويمكن القول ان معدل مايصيب العامل الواحد من الاستثمار كان مماثلاً في تغيره لمعدل الاستثمار، اذ تزايد من ٣,٤ الف دينار الى ١٤,٣ الف دينار بين الفترتين ١٩٧١- ١٩٧٥و١٩٨١- ١٩٨٥. وقد جاء معدله العام مقارباً لمعدل الباب الصناعي حيث بلغا ١٣,٦ و١٣,٨ الف دينار على التوالي.

ج- ان اعلى معدل للاستثمار جرى في صناعة المنتجات الكونكريتية، اذ بلغ معدله ١٠٣,٦ الف دينار، وهو يتجاوز معدل الاستثمار العام في هذا الباب الصناعي. وحقق اعلى معدل له خلال الفترة ١٩٧٦- ١٩٨٠ حين وصل الى ١٢١,٣ الف دينار، وقد رافق ذلك تزايد اهمية منتجاتها في اعمال البناء عبر التحول في نمط مواد البناء المستخدمة من الحجر والطابوق الى الكتل الكونكريتية (البلوك).

اما من حيث معدل مايصيب العامل الواحد من الاستثمار فقد تجاوز هذا الفرع عموم معدلات الباب الصناعي واذا كان هذا يشير الى حاجة استخدام الآلات والمكائن ومصادر للطاقة فانه يشير الى أهمية هذا الفرع واتجاه الاستثمارات نحوه لضمان أرباحه واستمرار زيادة الطلب على منتجاته.

د- ان معدلات الاستثمار في صناعة الكاشي والموزائيك كانت منخفضة عموماً للاعتماد على المشاريع الصغيرة، وهذا ماحدا بالقطاع الاشتراكي الى بناء مشروع لانتاج الكاشي في ناحية الحمدانية لتلبية الطلب الكبير على منتجاتها. وحتى يمكن للقطاع الصناعي الخاص من ان يأخذ مركزه في هذا الفرع الصناعي عليه الاتجاه لبناء مشاريع كبيرة تستفيد من وفورات الحجم، وتطوير منتجاتها لتواكب التطور في اعمال البناء ومتطلباته المتنوعة والمتزايدة.

هـ- اما فرع صناعة الحلان، وهي التي تقوم على تقطيع وصقل الصخور، فجاءت معدلات الاستثمار فيها متواضعة، اذ بلغ المعدل العام فيها ٤٥,١ الف دينار ومعدل مايصيب العامل الواحد من الاستثمار ٩,٥ الف دينار، وهي بذلك كانت دون معدلات ماتحقق في الباب الصناعي.

ان صناعة الحلان تحتاج الى الآلات والمعدات والطاقة في عملياتها الانتاجية ولكن مشاريعها



مازالت صغيرة ، وان منتجاتها تدخل في الاعمال التكميلية للبناء اي في واجهات المباني . ويمكن ان تشكل قاعدة للبناء في حالة خفض كلف منتجاتها لتصبح مقاربة لتكاليف البناء المعتمدة حالياً على مواد بناء اخرى . كما تظهر الحاجة متزايدة الى صناعة الطابوق الخفيف (الثرمستون) والذي تتسع سوقه المحلية وتتوافر عوامل توطنه الاخرى مما يهيئ فرصة قيام صناعته في المحافظة .

٥ - صناعة المنتجات المعدنية والآلات :

تأتي هذه الصناعة بالترتيب بعد الصناعات الاساسية للحديد والصلب ، مشكلة الباب الثامن من القسم الثالث في تصنيف النشاط الاقتصادي .

ولهذا الباب اهمية كبيرة في البناء الصناعي الحديث ، فهو الاساس لأي تغيير مطلوب تحقيقه في النشاط الصناعي ومجمل النشاط الاقتصادي لكونه يضم الصناعات الهندسية التي تعد قاعدة لبناء الصناعات الثقيلة والانتاجية للآلات والمكائن والاجهزة الكهربائية ، كما يضم صناعة المنتجات المعدنية ، وتتطلب صناعات هذا الباب ، والهندسية بخاصة ، مهارات عالية وفنوناً انتاجية متقدمة وكثافة رأسمالية ، مما يجعل النشاط الصناعي الخاص لايجرؤ ، في البداية ، من استثمار امواله بمثل هذا النشاط ، ويفضل عليه المشاريع التي لاتتطلب رأسمال كبيراً او وقتاً طويلاً لاعادة تدويره ، مما يشكل مخاطرة نسبية ، وهذا ماجعل معظم المشاريع في هذا الباب هي مشاريع للقطاع الاشتراكي في القطر. وفي الموصل حيث تشكل الصناعات النسيجية والغذائية قاعدة البناء الصناعي ، فان الصناعات المعدنية ، والهندسية بخاصة ، تأتي في مرحلة تالية من التطور الصناعي ، اي بعد أن تبلغ الصناعات الأخرى شوطاً مهماً في البناء والتشابك ، مما يخلق حاجة وطلباً متزايداً الى منتجات الصناعات الهندسية ، لذا فان هذا الباب بقي متأخراً على وجه العموم ولم يأخذ دوره المطلوب حتى الآن في هيكل الصناعة التحويلية[١٩] ، وان مايقوم حالياً من مشاريع لاتعدو كونها تنتج قطع غيار محدودة لوسائط النقل او الاجهزة المنزلية وخدمات ادامة وتصليح السيارات والمكائن الزراعية والآلات والمعدات المستوردة ، فضلاً عن بعض من الصناعات المعدنية ، كعمل الابواب والشبابيك والأسيجة وواجهات المعارض من الحديد والالمنيوم وانتاج الاثاث والاواني المنزلية وغيرها .

وقد اجتذبت صناعات المعادن والآلات اليها الكثير من الأموال في السنوات الاخيرة ، لكنها عملياً اقل من الاستثمارات التي توجهت الى صناعات اخرى واقل من ان تلبي متطلبات قيام صناعة مهمة في هذا الباب . ومع هذا فان اتجاهات الاستثمار تشير الى ان سوقاً متزايدة تفتح امام منتجات الصناعات المعدنية والآلات، سواء أكانت السوق المحلية او الوطنية ، ومن بين ذلك المتطلبات التي يخلقها قيام صناعات جديدة والتطورات الاقتصادية والاجتماعية .

وقد امكن تقسيم مشاريع هذا الباب الصناعي الى اربعة فروع رئيسة (فصول) طبقاً لتوافر المشاريع وانسجاماً مع التصنيف الدولي للنشاط الاقتصادي وهي :

١ - المنتجات المعدنية ، وتضم منتجات الحديد والالمنيوم من الابواب والشبابيك وخزانات المياه ومجاري الهواء وغيرها .

٢ - المعدات الزراعية ، وتضم مشاريع تصليح وادامة الآلات والمعدات الزراعية وانتاج قطع الغيار.

٣ - الأجهزة الكهربائية وتقوم على مشاريع انتاج لوحات التوزيع الكهربائي والسخانات وأجهزة الاضاءة الكهربائية .

٤ - وسائط النقل وتقوم بصناعة قطع الغيار وتقديم خدمات التصليح والأدامة وطبقاً لهذا التقسيم المعمول به دولياً تتضح امامنا الصورة الهيكلية للاستثمارات في هذا الباب واتجاهاتها وابراز التغيرات للفترة ١٩٦١ - ١٩٨٥ ويمكن ان نحددها بالنقاط الرئيسة الآتية :

أ- تزايد الاستثمار في هذا الباب تزايداً مستمراً، فبعد أن بلغت الاستثمارات خلال الفترة ١٩٦١ - ١٩٧٠ مبلغاً قدره (٥٧٣) الف دينار اي بمعدل سنوي مقداره ٥٧,٣ الف دينار بلغ في الفترة ١٩٨١-١٩٨٥ مامقداره ١٣٦٥ ألف دينار اي بمعدل سنوي مقداره ٢٧٣ الف دينار. ومع مايلاحظ من زيادة كبيرة في معدل الاستثمار إلا انها كانت دون ماحصل في عموم الصناعة التحويلية حيث ارتفع من ٥٨٩,٣ الف دينار الى ٤٤٤٣,٦ الف دينار خلال الفترتين اعلاه.

ب- وبملاحظة هيكل صناعة المواد المعدنية والآلات نجد أن صناعة المواد المعدنية اشغلت الاهمية الاولى في الاستثمار وفي عدد المشاريع والايدي العاملة، ومع استمرار احتلال المرتبة الاولى، فان نسبة الاستثمار تراجعت من ٨١,٥٪ الى ٦٤,٢٪ مما يشير الى زيادة الاهمية في الفروع الاخرى.

جـ- اشغلت صناعة المعدات الزراعية المرتبة الثانية في استثمارات هذا الباب الصناعي وبنسبة ١٢,٩٪ اي ٥١٩ الف دينار. ومما يلاحظ ان اعلى نسبة للاستثمارات تحققت خلال الفترة ١٩٧٦- ١٩٨٠ حيث بلغت ١٨,٥٪ مرافقة بذلك خطة التنمية القومية الثانية التي سميت في حينها بالخطة الانفجارية. أما أوطأ نسبة للاستثمارات فقد سجلت خلال الفترة ١٩٧١- ١٩٧٥ بلغت ٢,٣٪ وباستثمار مقداره (٢٥) الف دينار.

كما اشغل هذا الفرع المرتبة الثانية في توفير فرص العمل وفي عدد المشاريع. ومع ذلك يمكن القول ان افاقاً واسعة تنتظر هذا الفرع الصناعي، ذلك لأن عدد مشاريعه البالغة ١٣ مشروعاً واستثماراته التي تجاوزت قليلاً النصف مليون دينار، لاتوازي حقيقة الطلب على الآلات والمعدات الزراعية في المحافظة والمحافظات المجاورة التي تعد اكبر مستودع زراعي في القطر. كما تتزايد أهمية الزراعة هنا بعد انجاز مشروع سد صدام والمشاريع الاروائية المرتبطة به، مما يعمل على توسيع سوق المعدات الزراعية وتخلق الحد الادنى الضروري لقيام او توسع المشاريع المنتجة لهذه المعدات. يؤكد ذلك استمرار ونشاط المشاريع الحرفية لانتاج المعدات الزراعية، مثل (المنجل والمعول والعازق والفؤوس والقزمة والمكزوم) وغيرها من الآلات الشائعة الاستعمال محلياً.

د- وجاءت صناعة النقل ومعداته بالمرتبة الثالثة وباستثمارات بلغت ٥١٨ ألف دينار او بنسبة ١٢,٨٪ وتتضمن المشاريع في هذا الفرع انتاج قطع الغيار لوسائط النقل، وتخلو المحافظة من انتاج وسائط نقل متكاملة. ويرتبط كثير من الاعمال اليدوية وباستخدام معدات حديثة في اعمال تصليح السيارات ووسائط النقل الاخرى.

ان الزيادة الكبيرة في اعداد السيارات الخاصة ومركبات النقل والتوسع في التجارة الداخلية والخارجية وحركة السكان ستعمل دون شك على جذب الاستثمارات نحو فرع صناعة النقل، وهو مايتفق والاتجاهات والسياسات الجديدة التي تتبناها خطط التنمية الصناعية في تشجيع بناء الصناعات المغذية للسيارات[٢٠].

هـ- اما الصناعات الكهربائية فقد بدأ الاستثمار فيها حديثاً، اي خلال الفترة ١٩٧٦- ١٩٨٠ ولاتظهر فيها صناعات مهمة، ويبدو ذلك من ان مجموع الاستثمار بلغ ٣٦٠ الف دينار لثمانية مشاريع، ولذا جاء هذا الفرع بالمرتبة الاخيرة بين الصناعات التي يتكون منها باب صناعة المعادن والآلات.

ان الصناعات الكهربائية والالكترونية أخذت تشغل أهمية متزايدة في الصناعة في عموم العالم واقاليمه الاقتصادية، ففي الدول الصناعية المتقدمة ارتفعت اهمية الصناعات الكهربائية في الناتج الصناعي من ١٨,٩٪ عام ١٩٦٣ الى ٢٤,٦٪ عام ١٩٧٩ في باب الصناعات المعدنية والآلات،



وبلغت ١٦,١٪ في اقليم الدول النامية لنفس الباب عام ١٩٧٩.[٢١]

ان تخلف الصناعات الكهربائية في القطر وفي الموصل يشير الى أن مرحلة التطور الصناعي مازالت دون المستوى الذي يخلق الطلب الضروري لبناء مشاريع مهمة في هذا الفرع الصناعي، والذي يتأتى من تطور الصناعة وتشابك مشاريعها، مما يجعل الصناعات الكهربائية لابد منها في عملية البناء الصناعي وتكامله.

وتنعكس اتجاهات الاستثمار في حجم المشاريع وطبيعة الانتاج، وبعامة فان الاستثمار في هذا الباب ولعموم فترة البحث بلغ اربعة ملايين دينار، مستثمرة في اكثر من ٥٠٠ مشروع مما جعل معدلات الاستثمار متواضعة، فهي لعموم الفترة بلغت ٢٩,٢ الف دينار للمشروع الواحد، وتحقق اعلى معدل استثمار في فرع صناعة النقل مقداره (٥١,٨) الف دينار واقل معدل في المنتجات المعدنية او (٣٦,٦) الف دينار.

وتشير المعدلات الى صغر المؤسسات وأنها غالباً ماتتخصص بانتاج قطع الغيار او معالجتها وباعمال اصلاح وادامة المعدات والالات المستوردة. مما يجعل المجال مفتوحاً امام قيام صناعات اخرى تستفيد من وفورات الحجم ومن تزايد الطلب المحلي وتسهم في تكامل الصناعة وتقدمها.

ان تغيرات هيكلية واضحة حصلت في معدل الاستثمار، فقد تراجع فرع الصناعات المعدنية، فبعد ان حظي بمعدل استثمار مرتفع بلغ ٥١,٩ الف دينار خلال الفترة ١٩٦١ - ١٩٧٠، هبط الى ٤٣ الف دينار في الفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ ثم انخفض الى ٢٣ الف دينار في الفترة التالية ١٩٨١ - ١٩٨٥ ونتيجة لذلك انخفض معدل نصيب العامل الواحد من الاستثمار من ١١,٧ الف دينار الى ٩,٦ الف دينار ثم الى ٥,٥ الف دينار خلال الفترات المذكورة اعلاه وعلى التوالي. وعلى العكس من ذلك ارتفع معدل الاستثمار في فرع صناعة المعدات الزراعية اذ بلغ ٦٨,٣ الف دينار خلال الفترة ١٩٨١ - ١٩٨٥ وهو اعلى معدل بين الفروع التي يتشكل منها باب الصناعات المعدنية والآلات.

كما حصل هبوط في معدل الاستثمار لفرعي الصناعات الكهربائية وصناعة معدات النقل، لكنها استمرا يمثلان معدلات عالية تتجاوز المعدل العام للاستثمار في هذا الباب، اما في مقارنة معدل الاستثمار مقابل العامل الواحد، فلا نلاحظ فروقاً كبيرة، اذ تراوح المعدل بين ٧,٤ و ٨,٧ الف دينار مما يشير الى عدم وجود تفاوت كبير في مستويات التقنية المستخدمة.

الابواب الصناعية الاخرى:

استعرضنا فيما سبق الأبواب الرئيسة للصناعة التي تشغل نسباً عالية في هيكل الصناعة التحويلية للنشاط الخاص في الموصل وتتضمن الابواب الباقية الأخرى، صناعة الورق والطباعة، وصناعة الخشب والاثاث وصناعة المعادن الاساسية وصناعة الآلات الموسيقية والمعدات الرياضية. ويلاحظ ان الفرعين الاخيرين لاتتوافر فيهما اية مشاريع مسجلة، كما لايوجد منها مشاريع للقطاع الاشتراكي (العام) اما البابان الآخران، وهما صناعة الورق والطباعة وصناعة الخشب والاثاث فلا يشغلان نسباً مهمة في البناء الهيكلي اي يشغلان ٤,٥٪ في حجم الاستثمار و ٨,١٪ من العمالة و ٩,٧٪ من عدد المشاريع.[٢٢]

ويتضمن باب صناعة الورق والطباعة انتاج وتشكيل الدفاتر والمطبوعات التجارية وانتاج ورق الكاربون والورق الشمعي (الاستنسل) واكياس التغليف وتشكيل علب الكارتون. كما يضم ايضاً عدداً من المطابع التي تلبي المتطلبات المحلية لمدينة الموصل وعموم المحافظة.

ويقسم هذا الباب الصناعي الى فرعين رئيسيين، الاول صناعة المنتجات الورقية والثاني الطباعة والنشر، وتفتقر الموصل الى صناعة للورق او عجينته على الرغم من قربها من مناطق الغابات في

شمال القطر التي تشكل قاعدة للمواد الاولية لهذه الصناعة .

ومما ورد من معلومات يظهر ان الاستثمار لم يكن كبيراً في هذا الباب اذ بلغ في عموم الفترة ١٩٦١ - ١٩٨٥ حوالي ١٦٩٥ ألف دينار وهو بهذا لم يشغل سوى ٣,٤٪ في مجمل الاستثمار في الصناعة التحويلية للنشاط الصناعي الخاص في الموصل ، كما انه لم يوفر سوى ١,٧٪ من فرص العمل .

ومن مقارنة الفرعين الذين يشكلان هذا الباب ، يلاحظ ان صناعة المنتجات الورقية هيمنت على ٦٩٪ من الاستثمارات و ٦٦,٧٪ من فرص العمل و ٧٥٪ من عدد المشاريع ، وحظيت صناعة الطباعة والنشر بالنصيب الاقل اي بحوالي $\frac{١}{٣}$ الاستثمار وفرص العمل و $\frac{١}{٤}$ عدد المشاريع .

ومما مر يلاحظ ان الطلب يتزايد على المنتجات الورقية ، ويترافق ذلك مع زيادة النشاط التجاري واتساع النشاط الثقافي ، ويعد قيام جامعة الموصل وعدد من المعاهد العلمية في محافظة نينوى ذا اثر فاعل في زيادة الطلب . وعلى الرغم من المنافسة الشديدة التي تواجهها مشاريع القطاع الخاص في الموصل من مشاريع الدولة الكبيرة ، كما هو الحال في مطبعة جامعة الموصل او المشاريع الاخرى المتركزة في بغداد والتي تقوم بمهمة توفير الدفاتر والكتب بأقل مايمكن من الأسعار لتلبية متطلبات التعليم ، على الرغم من ذلك فان نشاط القطاع الصناعي الخاص يجد مجالاً لتطوير مشاريعه ، ومن بين ذلك قيامه بانتاج ورق الكاربون والورق الشمعي . كما برز ذلك واضحاً في الفترة التي قامت بها جامعة الموصل ، حيث استثمر في الفترة ١٩٦١ - ١٩٧٠ مانسبته ٩٨,٢٪ مما استثمر في الطباعة خلال فترة الدراسة .

ويعد معدل الاستثمار مرتفعاً في هذا الباب الصناعي ، اذ بلغ لعموم الفترة ١٩٦١ - ١٩٨٥ حوالي ١٠٥ آلاف دينار . وتفاوت المعدل بين الفرعين اللذين يكونان هذا الباب ، فقد بلغ في الطباعة ١٧٢,٣ الف دينار بين ١٩٦١ - ١٩٧٠ وفي المنتجات الورقية ٨٣ الف دينار . ويلاحظ ان المعدل ارتفع في صناعة المنتجات الورقية ، في حين هبط في الطباعة ، ومع ذلك فان الطباعة نالت اعلى معدلات الاستثمار وذلك لاعتماد مشاريعها على المكائن والآلات والاجهزة الحديثة .

ان التوسع الصناعي والتغير الاجتماعي وتطور الثقافة سيعملان دون شك ، على رفع الطلب على منتجات هذا الباب ويفتحان أمامه افاقاً واسعة لاجتذاب المزيد من الاستثمارات .

والباب الآخر كان لصناعة الخشب والاثاث ، ويشغل هذا الباب في التصنيف الدولي للنشاط الاقتصادي المرتبة الثالثة ، ويتوافر من صناعاته انتاج الاثاث الخشبية ، من الابواب والشبابيك الى الاثاث المنزلي ، ولا تظهر صناعات لانتاج الخشب المضغوط ، وكان القطاع المختلط قد أنشأ مشروعاً لانتاج الخشب المضغوط ، ونجح في البداية في توفير منتجاته لمتطلبات الصناعة الوطنية ، ولكن هذا المشروع لم يستمر على نجاحه لظروف تخص المشروع الذاتية من جانب وتخص طبيعة التغيرات في الطلب ومنافسة المنتجات الاجنبية المماثلة . واذا كان هذا المشروع قد فشل فلا يعني فشل مثل هذه الصناعة فيما لو تضافرت جهود القطاع الخاص مدعمة من الجهات المختصة .

وبعامة فان مشاريع الخشب والاثاث في الموصل من المشاريع الصغيرة كما يتضح من معدل حجم الاستثمار او من مجموع الاستثمارات فخلال مجمل الفترة ١٩٦١ - ١٩٨٥ بلغ مجموع الاموال المستثمرة في هذه الصناعة ٧٢٨ ألف دينار ، وبلغ معدل الاستثمار للمشروع الواحد ٩,٧ ألف دينار ، وان مايصيب العامل الواحد كمعدل كان ٢,١ الف دينار ومن هنا نجد أنه تتوافر امام النشاط الصناعي الخاص فرص بناء مشاريع اكبر لتوافر



مقوماتها ، إذ يؤكد ذلك التوسع الكبير في البناء والانشاء الذي يسود المحافظة والمحافظات المجاورة والى عدم قدرة المشاريع المحلية من تلبية الطلب ، فظهرت في اسواق المدينة منتجات خشبية واثاث ، سواء ماوفرته الإسواق المركزية ، ام ماتوفر من استيراد النشاط الخاص للابواب والشبابيك ومنتجات الاثاث الخشبية الأخرى.

ثانياً : هيكل الاستثمار في الصناعة التحويلية :

تشير اتجاهات الاستثمار في النشاط الصناعي الخاص الى الطلب الذي تشكله الحاجات اليومية للمجتمع والذي يخلق الحد الادنى الضروري لبناء المشاريع الصناعية ، كما ان اتجاهات الاستثمار الصناعي تحدد مرحلة التطور الاقتصادي ، ذلك لأن البناء الصناعي يخلق الترابط والتشابك الذي يؤدي الى ضرورة خلق او قيام صناعات تكميلية لصناعات قائمة ، او يعمل على بناء صناعات متقدمة وبحجوم انتاج كبيرة لتلبية حاجات السوق الوطنية والتوجه نحوالتصدير.

ومدينة الموصل المعروفة بنشاطها الصناعي الذي اشتهرت به منذ زمن بعيد تتجه الاستثمارات فيها حالياً نحو المشاريع التي تتوافر لها المستلزمات المحلية بدرجة كبيرة ، وما تشكله السوق المحلية من طلب على منتجاتها ، يدعم ذلك نجاح كثير من المشاريع التي اكتسبت شهرة ومركزاً في السوق الوطنية ، سواءاً كانت من مشاريع القطاع الاشتراكي (العام) ام من مشاريع القطاع الصناعي الخاص.

ان التغير في اتجاهات الاستثمار يؤدي الى حصول تغييرات هيكيلية ، وأن اتجاه الاستثمار نحو المكائن والآلات تعمل على تغيير معدل الاستثمار في المشروع الواحد ونصيب مايصيب العامل منه وهو ماسنتعرف عليه.

١ – هيكل الاستثمار وتغيراته :

اتجهت استثمارات النشاط الصناعي الخاص في الموصل نحو صناعة النسيج والجلود ، وذلك للاستمرار التاريخي لهذا النشاط ولتوافر مستلزماته من مواد اولية محلية ، او طلب محلي كبير ، مما خلق الاساس لتطور الصناعة اللاحق. وبعد قيام صناعة النسيج ، كما هو معروف ، بداية لاي تطور صناعي ، لسهولة العمليات الانتاجية فيها ولسوقها الواسعة ، ولأن مشاريعها لاتتطلب رؤوس اموال كبيرة[٢٣]. كما إن من الممكن قيام مشاريع ناجحة بأحجام غير كبيرة. ومع ذلك يمكن القول ان الاستمرار التاريخي لصناعة النسيج يعد العامل الاكثر اهمية في اجتذاب رؤوس الاموال. وقد قامت المشاريع الآلية للنسيج منذ وقت مبكر. ومن ذلك مصنع للمنسوجات الحريرية ، وآخر لحياكة الاصواف منذ عام ١٩٣٦. وتبدو اهمية هذه الصناعة من كونها اشغلت ٤٢٪ من مجموع العاملين في الصناعة عام ١٩٤٧ واكثر من ٣٧,٠٪ عام ١٩٥٤.[٢٤]

وقد انعكس الاهتمام بصناعة النسيج من حجم الاستثمارات الموظفة فيه يظهر لنا مايأتي :

أ – هيمنت صناعة النسيج والجلود على اكثر من نصف الاستثمارات الموظفة في الصناعة التحويلية للنشاط الخاص خلال الفترة ١٩٦٠ – ١٩٧٠ والبالغة (٣٠١٣) الف دينار او بنسبة ٥١,١٪.

ب – جاءت الصناعات الغذائية بالمرتبة الثانية ، وحظيت بنسبة ١٧,١٪ تلتها صناعة الورق والطباعة وبنسبة ١٤,٤٪ ثم الصناعات المعدنية واشغلت ٩,٨٪. وتراوحت نسب الفروع الصناعية الاخرى بين ٢,٣٪ و ٢,٩٪ وافتقرت المحافظة الى الصناعات الاساسية للحديد والصلب والتي تعد احد اهم اسس بناء وتطور الصناعة التحويلية.

ج – استمر هيكل الاستثمار الصناعي على

وضعه تقريباً خلال الفترة ۱۹۷۱ – ۱۹۷۵ حيث حافظت صناعة النسيج على نسبة عالية من الاستثمار بلغت ٥٢٪ من مجمل استثمار النشاط الصناعي الخاص في الصناعة التحويلية. وتلتها صناعة المواد الغذائية والمشروبات بنسبة ١٦,٩٪. وحصل تغير لصالح الصناعات الكيمياوية التي ارتفع نصيبها الى ٧,٥٪. وصناعة المعادن اللافلزية (للمواد الانشائية) التي بلغت نسبتها ٥٪ بعد أن كانا قد اشغلا ٢,٤٪ و ٢,٩٪ وعلى التوالي خلال الفترة السابقة المذكورة آنفاً. وجاء ارتفاع النسبة على حساب الاهمية النسبية لصناعة الورق او صناعة الخشب.

د– حصلت تغيرات مهمة في حجم الاستثمار واتجاهاته، حيث اشغلت صناعة المواد المعدنية اللافلزية التي ترتبط باعمال البناء والانشاء، واستحوذت على ٤٢,٧٪ من الاستثمارات، تلتها صناعة المواد الغذائية التي ارتفعت اهميتها النسبية ايضاً لتصل الى ٢٥,٧٪ وتراجعت صناعة النسيج الى المرتبة الثالثة وبنسبة ١١,٩٪ وجاء من بعدها بالمرتبة الرابعة باب الصناعات الكيمياوية، حيث اشغل نسبة ١١,٨٪ من الاستثمارات ثم تلته ابواب صناعة المعادن والالات وصناعة الورق والطباعة. وصناعة الخشب والاثاث اي انها احتلت المراتب الخامسة والسادسة والسابعة على التوالي.

هـ – استمرت التغيرات خلال الفترة ۱۹۸۱ – ۱۹۸٥، لصالح الاستثمار في صناعة المعادن اللافلزية (التعدينية غير المعدنية) والتي بلغت ١٣,٧ مليون دينار او ٦١,٩٪ من مجموع الاستثمارات وبهذا فقد هيمنت على المرتبة الاولى، في حين تراجعت صناعة الغزل والنسيج الى المرتبة الثالثة واشغلت صناعة المواد الغذائية المرتبة الثانية، وبذلك شغلت الابواب الصناعية الثلاثة ٨٧,١٪ من مجموع الاستثمارات في قطاع الصناعة التحويلية للنشاط الخاص في الفترة ۱۹۸۱– ۱۹۸٥.

ان التغيرات الهيكلية الكبيرة في طبيعة الاستثمار في قطاع الصناعة التحويلية للنشاط الخاص في الموصل، ترافقت والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي جرت في البلاد اثر النهوض الذي شهده العراق بعد الاستثمار المباشر للنفط وكسب معركة التأميم وارتفاع اسعار النفط الخام في الأسواق الدولية وزيادة الصادرات العراقية، مما اسهم في زيادة الدخل القومي وارتفاع معدل دخل الفرد[٢٥] وتحسن احوال السكان المعاشية، مما حفز باتجاه بناء او تحسين وحدات السكن واستثمار الاموال في العقار وانشاء العمارات والمباني للأغراض الصناعية والتجارية والخدمية في عموم القطر، وتميزت مدينة الموصل في ذلك تميزاً واضحاً[٢٦] يظهر في زيادة حجمها وتوسع مساحتها وتطور نمط البناء، إذ ان الاتجاه نحو الاستثمار في العقار كان واضحاً في ظروف الحرب العراقية – الايرانية.

ان زيادة الطلب على منتجات الصناعات المعدنية اللافلزية، واعتماد المواد الاولية المحلية في انتاجها شجع النشاط الخاص لاستثمار امواله فيها حتى في الظروف الاستثنائية، فهي لاتحتاج الى استيراد موادها الاولية كما هو الحال في اغلب فروع الصناعة الاخرى، هذا فضلاً عن اعمال البناء والانشاء الذي ساعدت على تنشيطها للقرارات المتعلقة بتوزيع الأراضي وتحويل بناء المساكن والانشاءات الاخرى. ومن الجدول ١٥ لهيكل الاستثمار الصناعي للنشاط الخاص يظهر لنا:

أ– ان الصناعات المعدنية اللافلزية التي تستخدم منتجاتها في اعمال البناء حظيت بالمرتبة الاولى من حيث الاستثمار الصناعي مماثلة في ذلك الاستثمار في عموم القطر في قطاع الصناعة التحويلية، ولكن نسبة الاستثمار في الموصل والبالغة ٤٠,٣٪ تجاوزت ماهي عليه في عموم القطر والبالغة ٣٢,٥٪.[٢٧]



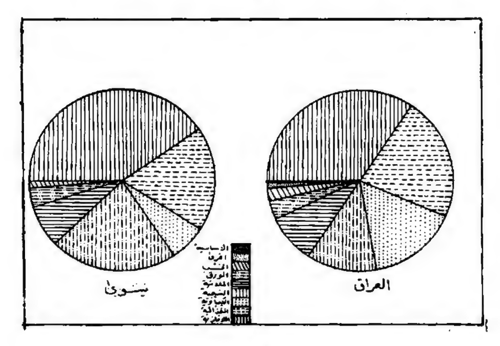
ب - جاءت صناعة النسيج والجلود بالمرتبة الثانية وبنسبة بلغت ٢٢,٣ ٪ على الرغم من تراجع اهميتها النسبية في الفترة الاخيرة الواقعة بين ١٩٨١ - ١٩٨٥ والتي وصلت الى ١١ ٪ من مجموع الاستثمارات الصناعية في الموصل.

وتظهر خصوصية الموصل في هذا الباب من أن الاستثمارات فيه تساوي في اهميتها النسبية ضعف الأهمية النسبية التي يشغلها هذا الباب الصناعي في هيكل الاستثمار الصناعي في القطر والبالغة ١١,٦ ٪ للفترة ١٩٥٧ - ١٩٨٥.

جـ - حظيت صناعة المواد الغذائية بالمرتبة الثالثة وبنسبة ١٨,٦ ٪ في حين انها اشغلت في عموم القطر المرتبة الثانية من حيث الاستثمار الصناعي للنشاط الخاص في القطر. ومع مايلاحظ من اهمية كبيرة للصناعات الغذائية في الموصل، فانها حظيت بنصيب مهم في استثمارات القطاع الاشتراكي الذي يضم مشروع سكر الموصل، وهو اكبر مشروع من نوعه في العراق، كما يضم واحداً من اكبر مشاريع الطحين.

د - شغلت الصناعات المعدنية نسبة ٧,٥ ٪ في استثمارات النشاط الصناعي الخاص، وهي نسبة صغيرة لما ينبغي ان تشغله هذه الصناعة لما لها من اهمية في امداد الصناعات الاخرى بالاجهزة والعدد والآلات، ولدورها في البناء الصناعي والاقتصادي. وهذا ماجعلها تشغل المرتبة الاولى في الاقطار المتقدمة صناعياً وبنسبة تتجاوز ٣٨ ٪ فيما تحققه من قيمة مضافة او ماتوفره من فرص العمل(٢٨). ومع هذا فانها في الموصل تقترب من الاهمية النسبية التي تشغلها هذه الصناعة في هيكل الصناعة التحويلية للنشاط الصناعي الخاص في القطر والبالغة ٨,٢ ٪. وهي في الموصل لاتقوم على قاعدة من الصناعات الكبيرة، بل على مشاريع لاعداد قطع الغيار مثل انتاج المنقيات (الفلترات) وتصليح المعدات مثل الخراطة.

هـ - حظيت الصناعات الكيمياوية بالمرتبة الخامسة وبنسبة ٦,٨ ٪ في هيكل الاستثمار، ومع انها نسبة ليست قليلة، فان بناء الصناعة الحديثة يتطلب المزيد من الاستثمارات في هذا الباب الصناعي، لكونه يعد من الصناعات الاساسية والقاعدة لاي بناء صناعي لاحق لما يخلقه من ارتباطات كبيرة امامية وخلفية وهو في الموصل لايشغل النسبة نفسها التي يشغلها في عموم القطر



الشكل (٣)
هيكل الاستثمار للنشاط الخاص في الصناعة التحويلية في العراق ونينوى

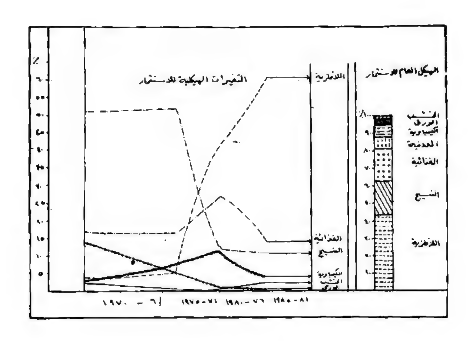
و - جاءت صناعة الورق وصناعة الخشب والاثاث بالمراتب الاخيرة وبنسب ٣,٢ ٪ و ١,٣ ٪ على التوالي. مما يشير الى الامكانات المفتوحة امام هذه الصناعات في الموصل.(٢٩)

هذا ولم تظهر صناعات للمعادن الاساسية للحديد والصلب، مما يشير الى ان الموصل وعموم محافظة نينوى لم تصلا بعد الى المرحلة التي تبني بها مثل هذه المشاريع التي تتطلب رؤوس اموال كبيرة وسوقاً واسعة تعتمد قاعدة من الصناعات المغذية او توافر المواد الاولية المحلية. كما لم تظهر استثمارات في صناعة آلات القياس والمعدات الرياضية والآلات الموسيقية، التي يترافق قيامها مع ارتفاع المستوى المعاشي والتطور الاجتماعي لخلق حد ادنى من الطلب المحلي عليها.

ان التغيرات الهيكلية جاءت لمصلحة ابواب



كل من الصناعات المعدنية اللافلزية والصناعات الكيمياوية ، على حساب صناعة النسيج وصناعة الورق (لاحظ الشكل ٤) في حين تذبذت اهمية ابواب الصناعات الاخرى واذا كانت الموصل معروفة بتخصصها في صناعة النسيج ، وهو ماادت اليه عوامل الاستمرار التاريخي والتوطن الصناعي الاخرى ، فان بامكان تطور هذه الصناعة بدرجة اكبر في حالة اعتمادها على المواد الاولية المحلية ، ووجدت في الصناعات الوطنية في القطر مجالاً لترابطها واعتمادها المتبادل على المواد الاولية او في تسويق منتجاتها. كما يتطلب بناء وتنشيط الصناعات المغذية سواء ماكان منها يعتمد على المواد الزراعية او الالياف الصناعية ، لان استمرار الاعتماد على المستلزمات المستوردة لايضمن مستقبل الصناعة ، ويرفع مع الزمن من كلف انتاجها.



الشكل (٤)
الاتجاهات الهيكلية في الصناعة التحويلية في محافظة نينوى

٢ - تغير معدل الاستثمار في الصناعة التحويلية للنشاط الخاص:

تتغير معدلات الاستثمار طبقاً لاتجاهات التطور الاقتصادي والاجتماعي وما تؤدي اليه من تغيير في حاجات الانسان ومتطلباته من جانب وطبقاً للسياسة الاقتصادية المتبعة. ولذا فان التغيرات الجارية في القطر تنعكس على واقع الاستثمار والاستثمار الصناعي بخاصة في الموصل ، التي تأثرت وتفاعلت بالخطط الجارية للتنمية القومية. وفي هذه الظروف تطور وتغير معدل الاستثمار زمنياً وهيكلياً.

ويظهر من البيانات المتوفرة ان معدل الاستثمار للمشروع الواحد تزايد من ٧١ ألف دينار للفترة ١٩٦١ - ١٩٧٠ الى ٨٨ ألف دينار للفترة ١٩٧١ - ١٩٧٥ ثم ارتفع الى ١٠٣ ألف دينار للفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠. وقد تراجع هذا المعدل خلال الفترة ١٩٨١ - ١٩٨٥ فوصل الى ٣٧,٥ ألف دينار (لاحظ الشكل ٥). ان انخفاض معدل الاستثمار لايرجع فقط الى ظروف الحرب مع ايران وتهيب النشاط الخاص وعدم مخاطرته في استثمار امواله مالم تتوافر مقومات الربح وضمانه ، ولكن ايضاً الى قرار السماح بتسجيل المشاريع الصغيرة التي لاتمتلك اجازات للتأسيس [٣٠] مما أثر في طبيعة البيانات المعتمدة.

ومن ملاحظة عدد المشاريع الصناعية يظهر انها ازدادت بصورة مستمرة من ٨٣ مشروعاً للفترة ١٩٦١ - ١٩٧٠ الى ٩٧ مشروعاً خلال فترة الخمس سنوات التالية ثم الى ١٦٣ للفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ والى ٥٩٢ للفترة الواقعة بين ١٩٨١ - ١٩٨٥. ان الزيادة الكبيرة للفترة الاخيرة يرجع الى السبب نفسه الذي أشرنا اليه وهو قرار السماح بتسجيل المشاريع التي لم تكن تملك اجازات للتأسيس. وما يؤكد ذلك ان عدد المشاريع أصبح أكبر مما حددته خطة التنمية الصناعية للنشاط الخاص والبالغة ٣٢٤ مشروعاً للفترة ١٩٨١ - ١٩٨٥.[٣١]

وعلى الرغم مما لوحظ من انخفاض معدل الاستثمار للفترة الاخيرة فانها استأثرت باكثر من ٦٣٪ في عدد المشاريع المسجلة وبـ ٤١,٦٪ من مجموع الاستثمار . وقد حصلت تغيرات هيكلية بارزة في معدل الاستثمار. وحتى نعطي صورة لهذه التغيرات نشير الى ان هيكل الاستثمارات الاجمالية



تشكل بالترتيب الآتي :

١ - الورق والطباعة ٢ - الكيمياوية وتكرير النفط
٣ - الغذائية والمشروبات ٤ - المعدنية اللافلزية.
٥ - النسيج والجلود ٦ - المعادن والآلات
٧ - الخشب والاثاث.

ان هذا الترتيب اخذ صوراً مختلفة وطبقاً لابواب الصناعة تظهر التغيرات الاتية :

أ - صناعة المواد الغذائية : سجلت هذه الصناعة خلال الفترة ١٩٧١ - ١٩٧٥ اعلى معدل للاستثمار بلغ ١٨٠) ألف دينار، وهو اعلى معدل للاستثمار في عموم الصناعة في الموصل، ولمجمل الفترة موضوعة الدراسة في مشاريع النشاط الخاص، وجاء ذلك الى ماتحقق من استثمارات عالية في مشاريع الطحين، فقد بلغ الاستثمار في مشروعين فقط ٢٤٢٥ ألف دينار او بمعدل ١٢١٣ ألف دينار للمشروع الواحد، لكن المعدل العالي للاستثمار لم يستمر خلال فترة الدراسة، ولذا جاء هذا الباب بالمرتبة الثالثة من حيث معدل الاستثمار ومتجاوزاً المعدل العام لنشاط الصناعة التحويلية بنسبة بسيطة كما يلاحظ من الجدول.

ب - صناعة النسيج والجلود : نشط الاستثمار في هذا الباب الصناعي خلال الفترة ١٩٦١ - ١٩٧٠ حيث سجلت اعلى معدل للاستثمار بلغ ١٣١ ألف دينار ثم أخذ المعدل بالهبوط النسبي فصار ٨٩ ألف دينار ثم ٦٠ ألف دينار حتى وصل الى ١٨ ألف دينار خلال الفترات الخمسية للدراسة وعلى التوالي وقد بلغ معدل الاستثمار الكلي في هذا الباب الصناعي ٤٩,٤ ألف دينار اي اقل من المعدل العام للاستثمار في الصناعة التحويلية للنشاط الخاص في الموصل والبالغ ٥٧,٢ ألف دينار.

جـ - صناعة الخشب والاثاث : تميزت الاستثمارات في هذا الباب الصناعي بصغرها عموماً، اذ تراوح معدل الاستثمار بين ٨,٩ الف دينار للفترة ١٩٨١ - ١٩٨٥ و ١٣,٢ الف دينار للفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠. وقد بلغ معدل الاستثمار لمجمل الفترة المدروسة ٩,٧ الف دينار لذا يمكن القول ان اغلب مشاريع هذه الصناعة صغيرة وتعتمد الخبرة والمهارة اليدوية.

وتجدر الاشارة هنا الى ان القطاع المختلط انشأ صناعة للخشب المضغوط وصناعة الاثاث، لكنها برغم النجاح الاولي، واجهت منافسة شديدة من المنتجات المماثلة والبدائل التي دخلت السوق العراقية وبخاصة الاثاث من الالمنيوم مما ادى الى توقفها وحرمت المحافظة وعموم القطر من انتاج صناعة الخشب المضغوط ولابد للنشاط الخاص ان يعي ضرورة وجودها ويهيىء عوامل نجاحها.

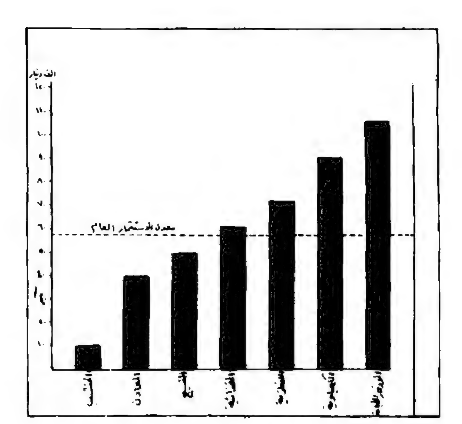
د - صناعة الورق والطباعة : سجل هذا الباب الصناعي معدلات عالية للاستثمار تجاوزت في معدلها العام البالغ ١٠٥,٩ الف دينار، معدل مجموع الصناعة التحويلية. وبذلك شغل المرتبة الاولى في معدل الاستثمار. وكان اعلى معدل سجله في الفترة ١٩٧١ - ١٩٧٥ بلغ ١٤٤ الف دينار.

وتميزت صناعة الورق والطباعة بقلة عدد مشاريعها اذ بلغ مجموعها ١٦ مشروعاً وبنسبة ١,٧ ٪ من مجمل المشاريع الصناعية لعموم للنشاط الخاص في الموصل.

هـ - الصناعات الكيمياوية : بلغ معدل الاستثمار في هذا الباب الصناعي ٩٠,٣ الف دينار متجاوزاً المعدل العام للاستثمارات الصناعية، وبذلك شغلت المرتبة الثانية. وقد تحقق اعلى معدل للاستثمار البالغ ١٣٢,٤ الف دينار خلال الفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ وتمثل اساساً بصناعة الاسفلت. ورافق ذلك التوسع في مشاريع البناء وتعبيد الطرق في المحافظة وعموم محافظات القطر.

و - الصناعات المعدنية اللافلزية : شغل هذا الباب المرتبة الرابعة من حيث معدل الاستثمار او





الشكل (٥)

استثمار النشاط الخاص في الصناعة التحويلية ١٩٦٠–١٩٨٥

حوالي ٧٣ الف دينار، وبذلك تجاوز المعدل العام لـ١,٣ مرة وسجل اعلى معدل استثمار فيها خلال الفترة ١٩٧٦ – ١٩٨٠ بلغ ١٦٦,٧ الف دينار، ويمكن القول ان ذلك رافق الشروع في تحقيق خطة التنمية القومية الانفجارية، وارتفاع معدل دخل الفرد وما حصل في البلاد من خطوات كبيرة في تطوير النشاط الاقتصادي، وبذلك توافر الطلب المتزايد على منتجات هذا الباب الصناعي ساعد على ذلك اعتماد المشاريع الصناعية على المواد الاولية المحلية، واستجابة لتطوير الهيكل الاساسي للاقتصاد المحلي والوطني.

ومن الملاحظات المهمة في هذا الباب الصناعي، الزيادة السريعة في عدد المشاريع اذا ارتفع عددها من ثمانية مشاريع الى ٢٣٥ مشروعاً بين الفترتين الاولى والاخيرة او بحوالي ٣٦ مرة، وهي اكبر زيادة حصلت في عموم ابواب الصناعة الاخرى وتجاوزت بذلك المعدل العام واشغل الاهمية الاولى وبنسبة ٣١,٦٪ في عدد المشاريع. واذا كان هذا يشير الى اتجاه رؤوس الاموال للاستثمار في المشاريع المضمونة ذات المواد الخام المحلية، فانه يشير ايضاً الى النسبة العالية من المشاريع التي لم تكن مسجلة وشملها قرار مجلس قيادة الثورة في امكانية تسجيلها في كانون الاول ١٩٨٣ المشار اليه سابقاً.

ز– الصناعات المعدنية والآلات: على الرغم من أهمية هذا الباب في البناء الصناعي وتطويره، فانه تخلف في معدل الاستثمار، اذ بلغ هذا المعدل ٣٩,١ الف دينار وهو أقل من المعدل العام. وبلغ عدد المشاريع فيه ١٠٣ مشروعاً وبنسبة ١١٪ من مجموع المشاريع الصناعية (العاملة)، وبذلك فان هذا الباب الصناعي يفتح أبوابه امام قيام او التوسع في مشاريع جديدة لاهميته في التقدم الصناعي فهو مصدر بناء الآلات والمصانع وقطع الغيار والسلع الانتاجية، فضلاً عن المنتجات المعدنية.

ومما مر يمكن القول ان تغيرات هيكلية كبيرة حصلت في معدل الاستثمار خلال فترة الدراسة، ارتبطت عموماً بواقع الطلب على المنتجات الصناعية واتجاهاته، وبقدرة الصناعة على تحقيق الارباح ضمن الاستثمارات المتاحة، ويمكن توجيه الاستثمار نحو الصناعات التي تسهم في استغلال الموارد المحلية وتتكامل دورة انتاجها في المحافظة او مع صناعة المحافظات القريبة او مع عموم القطر، او توجيه الاستثمار نحو الصناعات التي لها القدرة على دفع النشاط الصناعي عامة ومجمل النشاط الاقتصادي بما تخلقه من ترابط وتشابك يحفز على قيام سلسلة متصلة من المشاريع المتكاملة افقياً او رأسياً وبما يسهم في سرعة نمو الصناعة وتطورها في الموصل وعموم المحافظة.

ثالثاً– هيكل العمل ونصيب العامل من الاستثمار:

نعني بهيكل العمل هنا الاهمية النسبية لما تشغله الايدي العاملة في ابواب الصناعة التحويلية للنشاط الخاص في الموصل. وان تغير هذه النسب تعني التغير في هيكل العمالة اما نصيب العامل من الاستثمار، وكما سبقت الاشارة، فنعني به مقدار



مايستثمر من اموال مقابل العامل الواحد ، وهو معيار يؤكد اهمية استخدام المكننة والتقنيات الحديثة للتعويض عن العمل اليدوي. وان زيادة الاستثمار في المكائن والالات يقابله زيادة في نصيب العامل الواحد مقابل الاستثمار وهو مايعمل على خفض عدد العاملين.

وينتظم هيكل العمالة في النشاط الخاص للصناعة التحويلية في الموصل طبقاً لمقدار الاستثمار وعدد المشاريع ونوع التكنيك المستخدم. يظهر أن ابواب الصناعة التحويلية تأخذ الترتيب الآتي :

١ – النسيج والجلود
٢ – المعدنية اللافلزية
٣ – المواد الغذائية والمشروبات
٤ – الآلات والمكائن
٥ – الخشب والاثاث
٦ – الكيمياوية والنفط
٧ – الورق والطباعة .

ان هذا الترتيب الذي يمثل حصيلة الفترة قيد الدراسة ، لم يكن واحداً خلال الفترات التي تضمنها الجدول ، بل جرت تغيرات مهمة فيه ، ويمكننا تحديد أبرز تلك التغيرات ، فصناعة النسيج تخلت عن مكانتها ، فبعد ان كانت تشغل المرتبة الاولى في العمل وبنسبة تزيد على ماتشغله الابواب الصناعية الاخرى خلال الفترة الاولى والثانية تراجعت تلك السنة من ٥٣,٣٪ الى ٢٢,٩٪ للفترة الاخيرة ١٩٨١ – ١٩٨٥ وشغلت بذلك المرتبة الثانية

ومن بين التغيرات تزايد الاهمية النسبية لفرع الصناعات المعدنية اللافلزية وشغلت المرتبة الاولى للفترة الاخيرة ١٩٨١ – ١٩٨٥ وبنسبة بلغت ٤٥,٢٪ في وقت كانت تشغل نسبة ٢,٩٪ في الفترة ١٩٦١ – ١٩٧٠.

كما تزايدت الاهمية النسبية لكل من صناعة المواد الكيمياوية وصناعة المنتجات المعدنية والآلات على حساب الاهمية النسبية لكل من صناعة المواد الغذائية وصناعة الورق وصناعة النسيج. ويعد الاتجاه ايجابياً في حالة قيام صناعات متقدمة ومترابطة.

وبعامة بلغت فرص العمل التي وفرتها الصناعات التحويلية ٥٣٦٨ خلال الفترة ١٩٦١ – ١٩٨٥ وتعد الفترة ١٩٨١ – ١٩٨٥ اهم الفترات لما جرى خلالها من تسارع في اعمال البناء والانشاء ، ساعد على ذلك توافر العمل الرخيص للايدي العاملة العربية ، والمصرية بخاصة. ويبدو التفاوت واضحاً بين الفترات الزمنية وكما يأتي.

الفترة	٪
١٩٦١ – ١٩٧٠	١٦,٨
١٩٧١ – ١٩٧٥	١٣,٢
١٩٧٦ – ١٩٨٠	٢١,٠
١٩٨١ – ١٩٨٥	٤٩,٠
المجموع	١٠٠٪

ومن هذه الفترات يظهر ان حوالي نصف فرص العمل وفرتها الفترة ١٩٨١ – ١٩٨٥. واذا كان اكثر من نصفها من نصيب الصناعات المعدنية اللافلزية كما اتضح من البيانات ظهر لنا ان الاتجاهات الاستثمارية كانت نحو الصناعات التي يتوافر عليها الطلب في السوق المحلية وفي الصناعات الكثيفة العمل التي تعتمد الايدي العاملة غير الماهرة وشبه الماهرة ، ولم تكن نحو الصناعات الآلية او العالية المكننة.

لقد انعكس معدل الاستثمار وفرص العمل على معدل نصيب العامل من الاستثمار وبذلك تفاوت طبقاً للتغيرات الهيكلية والزمنية وكما يأتي :

١ – ان اعلى معدل للاستثمار مقابل العامل



الواحد سجل في صناعة الورق والطباعة وبلغ ١٨,٨ الف دينار او ضعف المعدل العام لعموم الصناعة التحويلية للنشاط الخاص في الموصل، مما يشير الى اعتمادها الكثافة الرأسمالية والعمل الماهر يؤكد ذلك انها سجلت اعلى معدلات الاستثمار وأوطئ نسبة للعاملين.

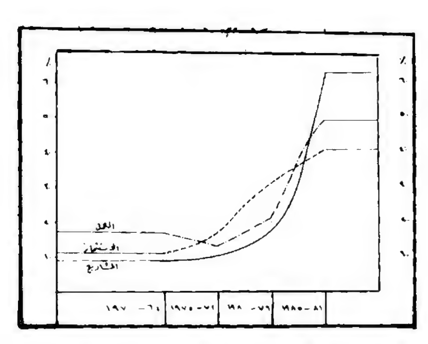
٢ - جاءت الصناعات الكيمياوية بالمرتبة الثانية وبمعدل ١٧,٦ الف دينار وهو يفوق المعدل العام للاستثمار مقابل العامل الواحد.

٣ - شغلت الصناعات المعدنية اللافلزية المرتبة الثالثة وبمعدل ١٣,٨ الف دينار تلتها الصناعات الغذائية وبمعدل عشرة آلاف دينار .

٤ - بلغ المعدل العام للاستثمار مقابل العامل الواحد عشرة آلاف دينار وهو ما لم تبلغه الابواب الصناعية للنسيج والخشب والصناعات المعدنية حيث بلغت معدلاتها في ذلك ٧,١ و ٢,١ و ٨,٠ الف دينار وعلى التوالي.

٥ - ومن الملاحظات المهمة في هذا المضمار ان الفترة ١٩٧٦ - ١٩٨٠ حققت اعلى المعدلات وهي الفترة التي تلت نجاح تأميم النفط وارتفاع اسعاره وزيادة انتاجه والاعلان عن خطة التنمية القومية الانفجارية.

٦ - اظهرت التغيرات الزمنية ان نمو عدد المشاريع جرى بمعدل أعلى من نمو معدل كل من الاستثمار والعمل (الشكل ٦)، ويشير هذا الى صغر المشاريع من حيث الاستثمار مما لايجعلها تستفيد من وفورات الحجم، كما ان معدل نمو العمل يفوق معدل نمو الاستثمار يشكل اتجاهاً سلبياً في البناء الصناعي، وما المعالجات الاخيرة لتشجيع الاستثمارات وتوجيهها نحو القطاع الصناعي إلا واحدة من الحلول لمشكلة الاتجاه نحو الصناعات الكثيفة العمل.



الشكل (٦) التغيرات الزمنية للصناعات التحويلية في النشاط الخاص.

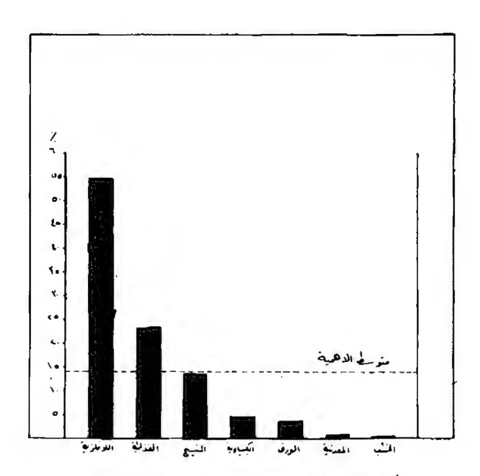
رابعاً : الخلاصة :

بعد ان استعرضنا هيكل الصناعة التحويلية للنشاط الخاص في الفصل في معايير الاستثمار ومعدلاته وفرص العمل وعدد المشاريع اضافة الى دراسة هيكل كل باب صناعي، ووجدنا ان هناك تبايناً في بعض النتائج بين ابواب الصناعة عبر المعايير المختلفة، ولكي نعطي صورة موحدة للقياس لابد من معيار شامل للدراسة، وهذا المعيار هو حصيلة المعايير المذكورة يعبر عنه بالاهمية الصناعية.

ونحصل على الاهمية الصناعية بترتيب ابواب الصناعة حسب المراتب التي شغلتها في المعايير المذكورة، تم عكس ارقام الرتب وضرب مراتب كل باب في بعضها وجمع النواتج لكل الابواب ثم استخراج نسبة كل باب معبر عنها بالاهمية الصناعية طبقاً لنتائجه رسم الشكل البياني ٧.

ومن ملاحظة ورصد الشكل المذكور يظهر لنا الترتيب الهيكلي للصناعة التحويلية للنشاط الخاص بمعيار الاهمية الصناعية. فالصناعات المعدنية اللافلزية حظيت بأعلى اهمية صناعية تجاوزت فيها مجموع ماتشغله ابواب الصناعة الاخرى او بنسبة ٥٤,٤٪ تلتها في ذلك الصناعات الغذائية وبنسبة ٢٣,١٪. وهذان





الشكل (٧) هيكل الصناعة التحويلية للفترة ١٩٦١ – ١٩٨٥.

اليابان تجاوزا في اهميتها المتوسط العام للاهمية الصناعية في هيكل الصناعة التحويلية وبلغ نصيبهما معاً ٧٧,٥ ٪. وجاءت صناعة النسيج بالمرتبة الثالثة وبنسبة تقرب من متوسط الاهمية اي بحوالي ١٣,٩ ٪. اما ابواب الصناعات الأخرى فان اياً منها لم يصل الى متوسط الاهمية الصناعية وجاءت بالترتيب : الكيمياوية ، الورق ، المعدنية ، الخشب ، على التوالي.

لقد اظهرت الصناعة التحويلية للنشاط الخاص في الموصل بمعيار الاهمية الصناعية. التخصص العالي لصناعة المعادن اللافلزية . وهي بذلك تماثل ماهو جار في القطاع الاشتراكي حيث تحتضن المحافظة مشاريع للاسمنت في حمام العليل وبادوش وصناعات كونكريتية مما يشير الى الترابط بين صناعات النشاط الصناعي الخاص الممثلة بمنتجات الصناعات الكونكريتية كـ « البلوك » و « الكاشي » و « الشتايكر » ، وما اليها.

وعلى الرغم من اهمية الصناعات المعدنية اللافلزية فان انتاجها ذو طابع محلي وسوقها يتركز في مدينة الموصل والمدن المجاورة. مما يشير الى تخلف الهيكل الصناعي في الموصل ، والى ان الصناعات المعدنية والكيمياوية لم تأخذا مركزهما المطلوب ، وهي الصناعات الاساسية في التنمية الصناعية والاقتصادية. كما يفتقر هيكل الصناعة الى الصناعات الاساسية للحديد والصلب.

وعلى الرغم مما حصل من تطور الصناعة في الموصل فانها مازالت ترتكز على الصناعات ذات المنتجات الواسعة الاستهلاك ، كالصناعات الغذائية والصناعات النسيجية. كما أن اهمية الصناعات المعدنية يُؤبه بها لافتقارها الى انتاج المكائن والالات والاجهزة الكهربائية ، والى عدم استخدام تقنيات حديثة في اغلب الصناعات القائمة.

ولاشك ان الصعوبات التي واجهت القطاع الصناعي الخاص في استيراد الآلات والمكائن في السنوات الاخيرة – لظروف الحرب – وتحديد سقف للاستثمار في السنوات التي سبقت ذلك ، تعد عوامل مهمة في حجم معدلات الاستثمار وهبوطها وهبوط معدلات الاستثمار مقابل العامل الواحد ، بل والاتجاه نحو الصناعات الكثيفة العمل بدلاً من الاستثمار في الصناعات كثيفة رأس المال والتي تتطلب استخدام الالات والاجهزة المتطورة والمهارات الفنية العالية.

ان آفاقاً واسعة فتحت امام النشاط الصناعي الخاص ، كما ان تجربة وخبرة غنية توفرت لديه ؛ وان السوق الوطنية والطلب المتزايد تعد ابواباً مفتوحة امام الانتاج الوطني ؛ فضلاً عن عوامل التشجيع والتوسع المستمر في منح حوافز الاستثمار الصناعي ، كلها ستعمل ولاشك على الاندفاع لتطوير الصناعة في الموصل يدعم ذلك ان ستراتيجية التنمية الاقتصادية ، تعد الموصل قطباً رئيساً في شمال العراق يتطلب دعمه ليكون قاعدة للبناء الصناعي وتطويره . وستشكل الموارد الطبيعية والبشرية ، من موقع جغرافي ، وموارد مائية . وتنوع المناخ ، ومن انجاز مشروع سد صدام

الارواني، عوامل توطن مهمة في البناء الصناعي اللاحق.

الهوامش

(١) انظر ذلك: عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، مطبعة الاداب، النجف الاشرف ١٩٧٥ ص ٢٨٦.

(٢) كان اتحاد الصناعات العراقي وفروعه في المحافظات يقوم بمهمة توجيه الصناعة قبل اندماجه مع اتحاد الغرف التجارية. ويعود الاتجاه نحو فصلها اخيراً.

(٣) تترتب الابواب الصناعية في التصنيف الدولي ضمن القسم الثالث الذي يمثل الصناعة التحويلية، كما يأتي: المواد الغذائية والمشروبات والتبوغ، والغزل والنسيج، والخشب والاثاث والورق والطباعة، والصناعات الكيمياوية وتصفية النفط، وصناعة المعادن اللافلزية وصناعة المعادن الاساسية، والصناعة المعدنية وانتاج الالات، وصناعات تحويلية اخرى.
انظر: وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للاحصاء، ترجمة دليل النشاط الاقتصادي المعدل لسنة ١٩٦٨، بغداد ١٩٧٤ ص ص ٢ – ٧ (مسحوب بالرونيو).

(٤) يظهر من الاستقصاء الميداني ان هناك ستة محلات حرفية لانتاج السكائر يدوياً مازالت قائمة في الموصل عام ١٩٨٨.

(٥) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للاحصاء، نتائج الاحصاء الصناعي لسنة ١٩٦٨، مطبعة الزهراء، بغداد ١٩٧١ «لاحظ المقدمة».

(٦) البيانات اعتماداً على سجلات غرفة تجارة وصناعة الموصل.

(٧) انتجت محافظة نينوى من القمح عام ١٩٨٥ على سبيل المثال نسبة ٤٦٪ من انتاج العراق، انظر: المجموعة الاحصائية السنوية ١٩٨٥ جدول ٢/١ ص ٥٦.

(٨) النسب المذكورة اعتماداً على البيانات المتوافرة في سجلات غرفة تجارة وصناعة الموصل.

(٩) عماد عبد السلام، الموصل في العهد العثماني، مصدر سابق ص ٢٨٨.

(١٠) انظر في اهمية صناعة النسيج. سعيد الديوه‌جي، تاريخ الموصل مطبوعات المجمع العلمي العراقي، مطابع مديرية دار الكتب في جامعة الموصل ١٩٧٥، جـ ١ ص ص ٤٠٣ – ٤٠٦.

(١١) د. عباس علي التميمي، النمو الصناعي في محافظتي البصرة ونينوى، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ١٩٨١، الملحق الاحصائي جدول ٢/١ ص ٢٩١.

(١٢) الارقام والنسب بدلالة البيانات في سجلات غرفة تجارة وصناعة الموصل.

(١٣) بلغ انتاج المؤسسة العامة للصناعات النسيجية (ملغاة) من الاقمشة القطنية والحريرية والصوفية ٨٢٩٨٠ الف متر مربع عام ١٩٧٦، ارتفع الى (١٢٤٠٢٤) الف متر مربع عام ١٩٨٢ وبمعدل زيادة سنوية مقدارها ٩٦٢٤ الف م٢ وبذلك اصبح انتاج القطاع الاشتراكي منافساً قوياً للنشاط الصناعي الخاص في هذا المجال.
انظر: وزارة الصناعة والمعادن - وزارة الصناعات الخفيفة، ورقة عمل القطاع الصناعي، بغداد ١٩٨٣ جدول ٢ - ١ ص م/ ١٦.

(١٤) يأتي هذا الباب بالمرتبة الخامسة في الصناعة التحويلية حسب التصنيف الدولي للنشاط الاقتصادي: انظر: وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للاحصاء، ترجمة دليل النشاط الاقتصادي المعدل لسنة ١٩٦٨ بغداد ١٩٧٤ ص ٤ «مسحوب بالرونيو».

(١٥) اتسعت اعمال الانشاء والبناء في محافظة نينوى بنسب عالية، ويظهر ذلك على نحو واضح من تزايد اجازات البناء فارتفعت من (٢٠٧٨) اجازة بناء جديد الى ٩٥٦٤ بين ١٩٧١– ١٩٨٢ وبرقم قياسي بلغ ٤٦٠٪ مقابل ١٤٠٪ لبغداد و ٣١٨٪ لعموم القطر كما زادت كلفة البناء من ٣٠٣١ الف دينار الى (١٢٩٧١٦) الف دينار خلال العامين المذكورين وبرقم قياسي بلغ ٤٢٧٩٪ مقابل ١٨٢٨٪ لمحافظة بغداد و ٣٢٨٠٪ لعموم العراق: المجموعة الاحصائية السنوية لسنتي ١٩٧١ و ١٩٨٢ للجداول ١٨١، ص ٢٩٥، و ٢/١٢ ص ٢٤٨ على التوالي.

(١٦)، (١٧) – يرتبط بهذه الصناعة كثير من صناعات التحجير، وقد اضيفت الى الصناعات المعدنية اللافلزية لتداخل عملياتها.

(١٨) انظر الجداول المشار اليها في المجموعات الاحصائية اعلاه.

(١٩) تشغل صناعة المعادن والآلات في الموصل نسبة ٩,٤٪ من القوى العاملة وفي العراق ١٦٪ وفي الاقطار النامية ١٥,٨٪ في حين يشغل في الدول المتقدمة ٣٨٪: انظر: د. محمد ازهر سعيد السماك و د. عباس علي التميمي، اسس جغرافية الصناعة وتطبيقاتها. الموصل ١٩٨٧ ص ٤٣٤ و ص ٤٥٢، وللموصل جدول ١٨ من هذه الدراسة.

(٢٠) قرر مجلس قيادة الثورة بتاريخ ٩/١/ ١٩٨٨ السماح للقطاعين الخاص والمختلط بانشاء مشاريع او شركات لاقامة الصناعات المغذية للسيارات انظر: النشرة التجارية، تصدرها غرفة تجارة بغداد، السنة السابقة عدد ٣٧ شباط ١٩٨٨ ص ١٢.

(21) U.N. Hand book of Idustrial statistic, New york 1982 T.8 p. 19.

(٢٢) حسبت النسب من قبل الباحث.

(٢٣) د. محمد سلمان حسن، التخطيط الصناعي، ترجمة موفق حسن محمود وفؤاد الدهوي، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٤ ص ٣٣.

(٢٤) د. عباس علي التميمي، النمو الصناعي في محافظتي البصرة ونينوى، الموصل ١٩٨١ ص ١٠٦ والجدول ١ / ٣ من الملحق الاحصائي ص ٣٠٠.

(٢٥) لاتتوافر تقديرات للدخل القومي او معدل دخل الفرد حسب المحافظات، ويمكن التأكيد على قوة النشاط الاقتصادي في



نينوى - كمثال - من النشاط الذي تمارسه الجمعيات الاستهلاكية اذ بلغ نصيب محافظة نينوى من مشتريات الجمعيات في القطر - باستثناء بغداد ١٨,٧٪ في حين بلغ معدله في المحافظة الواحدة ٥,٩٪ وبلغت نسبة سكان نينوى ٨,٧٪.

انظر: المجموعة الاحصائية السنوية لسنة ١٩٨٥ ص ٤٥ للسكان وص ١٤٧ للجمعيات/ النسب بدلالة الجداول.

(٢٦) بلغ نصيب الفرد من كلف البناء - على سبيل المثال ٩٠,٤ دينار في الموصل مقابل ٦٠,٤ دينار لعموم القطر، انظر المجموعة الاحصائية السنوية لسنة ١٩٨٥ جدول ٢/٢ ص ٤٥ وجدول ٢/١٢ ص ٢٥٥.

(٢٧) النسب المئوية عن القطر انظر:
المؤسسة العامة للتنمية الصناعية (الملغاة) مديرية التنظيم والمساعدات العامة، التقرير السنوي لسنة ١٩٨٢ بغداد ١٩٨٦ «مسحوب بالرونيو».

(٢٨) د. عباس علي التميمي، تباين اتجاهات هيكل الصناعة التحويلية في الاقاليم الاقتصادية الدولية، مجلة التربية والعلم، تصدرها كلية التربية - جامعة الموصل العدد السابع اذار ١٩٨٩ جدول ١ ص ٤٥.

(٢٩) مديرية التنظيم والمساعدات العامة. المصدر السابق.

(٣٠) صدر في ١٩٨٣/١٢/٢٨ قرار مجلس قيادة الثورة رقم ١٤١ سمح بموجبه بقبول طلبات المشاريع الصناعية القائمة للحصول على اجازة تأسيس. وتم بموجبه تسجيل ٤٧٨٩ مشروعاً حتى نهاية ١٩٨٥ في عموم القطر، انظر: المؤسسة العامة للتنمية الصناعية مديرية التنظيم والمساعدات العامة، التقرير السنوي لعامي ١٩٨٤ و ١٩٨٥ صفحات عديدة «مسحوب بالرونيو».

(٣١) المؤسسة العامة للتنمية الصناعية، خطة التنمية الصناعية للقطاع الخاص ١٩٨١/ ٩٨٥ بغداد «مسحوب بالرونيو».

(٣٢) الارقام طبقاً لسجلات غرفة تجارة وصناعة الموصل.

الحياة الاجتماعية والخدمات العامة

الحياة الاجتماعية في الموصل

موفق ويسي محمود
د. محمد حربي حسن

مقدمة :

يعجب المتصدي لبحث الجوانب الاجتماعية لمدينة الموصل من ندرة ماكتب في هذا الجانب؛ فهذه المدينة العريقة لم تنل حظها في الكتابات بعامة والكتابات الاجتماعية بخاصة. ولعل السبب الرئيس يعود الى حداثة التخصص في علم الاجتماع في العراق بالقياس الى العلوم الاخرى اذ كان المجال واسعاً للمؤرخين والجغرافيين فسادت كتاباتهم وبحوثهم في التعريف بالمدينة. وما تعرض منها للجانب الاجتماعي اقتصر على التعريف ببعض أوجه النشاط الاجتماعي من زوايا وصفية.

لهذا السبب واجه هذا المبحث صعوبة حقيقية تمثلت في الافتقار الى الخلفية الاجتماعية (السوسيولوجية) المناسبة فكان لزاماً على الباحثين اعتماد ركائز قائمة على منجزات المؤرخين والجغرافيين، مع وضع الثقل الاكبر على كاهل منهج الملاحظة ولكون البحث معني بالحياة الاجتماعية لمدينة الموصل فانه ملزم بتقديم منظور متكامل عن الجوانب الاجتماعية الأساسية في اطار اجتماعي (سوسيولوجي) بما يضمن عرض صورة حركية للجماعات البشرية التي يتشكل منها المجتمع الموصلي سواء في اصولها التاريخية، أو في علاقاتها المتداخلة على اساس الانماط الاسرية السائدة في هذا المجتمع بوصف الاسرة البؤرة التي تعطي الاطار الحقيقي لفهم الحياة الاجتماعية.

وبالرجوع الى المصادر التاريخية والجغرافية يتضح لنا ان الموصل هي الوريثة الشرعية لأمجاد نينوى



العظيمة. وقد أضيف الى إرثها الحضاري الكبير هذا الكثير، خلال مسيرة الموصل بوصفها مدينة على قدر كبير من الاهمية وقد كان للمدينة على الدوام طابع مميز هو حصيلة عوامل عدة لعل أبرزها[1] :

أ- أن الموصل ملتقى طرق التجارة الاكثر أهمية خلال القرون الاكثر ازدهاراً في تاريخ الدولة العربية الاسلامية. وهذا يعني ان تصب فيها مختلف اشكال الثقافات Cultures مما يخلق فيها شخصية ذات طابع مميز، شخصية قوية قادرة على هضم وتمثل هذه التأثيرات وصياغتها صياغة جديدة في اطار المعطيات الثقافية المحلية الاساسية.

ب- أن الموصل كانت متجهة في تجارتها الى الشام[2] فقد بانت في حياتها تفصيلات حياتية ناتجة عن تأثيرات ثقافة بلاد الشام الى جانب تأثيرات بغداد التي تجاذبت واياها مواجهة الاحداث المهمة.

جـ- الصراعات السياسية التي عرفتها المنطقة، وقد كانت الموصل فيها نقطة التجمع والوثوب ومرتكز القوات القادمة من العاصمة العثمانية أو ولاياتها في العراق والشام. فضلاً عن المحاولات المتعددة التي حاول فيها ابناء المدينة الاحتفاظ بحكم محلي يحافظ على كيان المدينة مستقلاً ويبدو هذا واضحاً في الثورات على الولاة الاجانب وعدم قدرة هؤلاء على الاستمرار في حكم المدينة لفترات طويلة قياساً بالولاة من اهل المدينة أصلاً او الذين عدوا من ابنائها كالولاة الجليليين.

د- التنوع الثقافي الواسع الذي ضمته المدينة، اذ انها ككل المدن يمكن عدها المصب الذي تتجمع عنده روافد الاقليم والبوتقة التي تنصهر أو في الأقل تتفاعل فيها مؤثرات الاقليم، وبسبب التنوع الواسع لسكنة الاقليم ثقافياً كانت الموصل على الدوام مركزا للاتصال الثقافي Cultural contact لسكان المنطقة.

هـ- لهذه الاسباب، ألمّت بالموصل شدائد قاسية ونكبات ومجاعات متوالية ومحاولات الجيوش الاجنبية السيطرة على مفتاح المنطقة فاذا اضفنا مجموعة من الاوبئة التي كانت تفتك بأهالي المدينة قاربت الصورة التاريخية للمدينة على الاكتمال ولم تعد بحاجة إلا الى ضربات فرشاة تحمل الوان الحالة العامة للعراق خلال الفترات الاخيرة والتي كان للموصل فيها نصيب لايستهان به.

والخلاصة التي يمكن منها تقديم صورة عن العوامل التاريخية المؤطرة لحياة المجتمع الموصلي هي ان الحياة الاجتماعية في هذه المدينة تصطبغ نتيجة المصاعب التاريخية بالتماسك الاجتماعي والاعتزاز بالانماط السائدة والدفاع عنها وحمايتها، مما اعطى للمكونات الثقافية عوامل الديمومة والاستمرار فضلاً عن ديمومة النمط الاسري والعلاقات الاسرية بوصفها الوحدة الاساسية في التنشئة الاجتماعية والاداة الجوهرية في ترسيخ البناء القيمي وتدعيم النمط الثقافي للجماعة بما يجعلها اكثر تماسكاً أمام المؤثرات الخارجية فأبناء الموصل يتميزون دوما بانتمائهم الاسري (العائلي) والقبلي والديني والوطني والقومي في اطار انتمائهم الى مدينتهم ووطنهم العراق وامتهم العربية، فظاهرة الالقاب العائلية في الموصل تعكس مثلاً صورة واضحة عن مفهوم الانتماء، فهي الاداة للاحساس بالضمان والطمأنينة. وهي الوسيلة في ذلك التماسك والتضامن الذي لايكون موجوداً دون نظام أُسري تتم فيه تنشئة الافراد على الموازنة بين الأخذ والعطاء في بناء العلاقات الاجتماعية.

من الجانب الحضاري أو الثقافي[3] يمكن تمثيل الموصل بلوحة فنية ذات ألوان متعددة

تداخلت وبدرجات مختلفة وتناغمت فيما بينها لتكوّن في النهاية رؤية شاملة ، وقد وصف ابن الكّواء اهل الموصل بقوله : «قلادة امة فيها من كل خرزة»[٤] ولعل هذا التشبيه الجميل موفٍ للتعبير عن هذا التنوع ، فالمجتمع الموصلي مجتمع تعددي دون تزاحم ولا صراع حتىٰ ان المآسي والفتن التي عرفتها المدينة لم تمنع التجانس ليبدو الجميع وكأنهم ينتمون الى عنصر واحد. ولعل من الاسباب المهمة في خلق التجانس ان المدينة كانت سوقاً تجارية رائجة[٥] اي انه كان هناك دائماً متسع للجميع وحاجة للجميع وكما هو واضح فان القبائل العربية شيدت الموصل على أصول الحصن القديم وسكنتها ثم منحتها طابعها العربي الاسلامي[٦] .

المدينة وماحولها :

المدينة بوتقة تتفاعل فيها عوامل عدة منها ماله علاقة بتاريخها الخاص ومنها ماله علاقة باقليمها ، فلا يمكن تصور مدينة معزولة عن تأثيرات مايحدث في اماكن اخرى خاصة وان وسائل الاتصال وفرت الامكانيات اللازمة لاحداث هذه التأثيرات ، فكيف باقليم المدينة المحيط بها احاطة السوار بالمعصم.

والموصل مدينة علىٰ علاقة وثيقة بريفها وتفاعلها معه دائم ومُستمر فهي أولاً السوق الذي تنصرف اليه منتجات الريف ، وهي كذلك مصدر السلطة ومركز دواوين ومكاتب الحكومة ، كما تتركز فيها امكانات واسعة لتلبية احتياجات ابناء الريف الى الخدمات الطبية والعلاجية ، فضلاً عن كونها مركزاً كبيراً يوفر وسائل التسلية والراحة ، فاذا أضفنا الىٰ ذلك كله جامعتها ومعاهدها العلمية ، وجدنا انها تمثل بالنسبة لأبناء الريف مطمحاً تتكرر الزيارات اليه وينتهي قسم كبير منها بالاستقرار فيه.

وقد شهدت الموصل نزوحاً كبيراً اليها في فترات مختلفة من تاريخها ، فكان الناس يلجأون الى المدينة هرباً من قسوة ظروف الريف او عندما يتعرضون الىٰ جائحة حرب او مرض ، وقد اشار دومنيكو لانزا الى حالة من هذا النوع عندما حاول الفرس الاستيلاء على المدينة سنة ١٧٤٣[٧] .

وازدادت هذه الهجرة في السنوات الاخيرة لاسباب كثيرة منها التوظيف الذي وفر مجال عمل مناسب لكثير من المتخرجين من ابناء الريف ، وتوافر مجالات العمل ذات المردود الربحي السريع ، وانتهاء ابناء الريف الواسع الى القوات المسلحة ومارافق ذلك من امتيازات منها : توفير السكن فنشأت في المدينة احياء قامت في الاصل علىٰ اساس توزيع قطع اراضٍ علىٰ الضباط الجدد كما في حي (١٧ تموز) ونواب الضباط (حي التحرير) والشهداء وحي دوميز ولنوضح ابعاد الهجرة الىٰ المدينة منذ الخمسينيات يمكن الرجوع الى الجدول (١) حيث نجد انها شهدت توسعاً سريعاً أثر في مجمل الخدمات التي تقدمها الاجهزة المعنية ، ولعل استقراءاً لبعض الارقام الاحصائية يوضح لنا هذه الفكرة ، فعدد سكان مركز قضاء الموصل حسب احصاء عام ١٩٧٧ كان (٤١٤,٦٦٠) نسمة ، اصبح في عام ١٩٨٧ وهو عام التعداد السكاني اللاحق (٦٦٥,٢٦٢) باجمالي زيادة قدرها (٢٤٦,٦٠٢) نسمة خلال السنوات العشر، ويمثل هذا زيادة بمقدار (٦٪) تقريباً وهو حوالي ضعف نسبة الزيادة الطبيعية (٣,١) .

فاذا علمنا ان سكان الموصل القديمة انخفض من (١٠٤,٤٩٥) الى (٨٣,٣٣٩) نسمة خلال المدة نفسها تبدت لنا واضحة حقيقة من شقين اولاهما:ان الهجرة الى المدينة – اياً كان مصدرها– تمثل السبب في نسبة الزيادة الاضافية التي بلغت (٢,٩٪) اما الشق الثاني فهو ان هذه الزيادة في عدد السكان تركزت في الاحياء خارج مركز المدينة



سواء منها القديمة مثل وادي حجر والزنجيلي أو الجديدة مثل الكرامة والتحرير والشهداء مضافاً اليها اعداداً من ابناء الموصل القديمة الذين انتقلوا الى خارج مركز المدينة القديمة نتيجة الانشطارات الاسرية او التحسن في الوضع المادي والجدول رقم (١) يمثل النمو السكاني في الموصل للفترة من ١٩٥٧ وحتى ١٩٨٧ [٨].

انماط سلوكية وقيم وعادات [٩]. وفي مدينة تجارية مثل الموصل تقع على طريق مواصلات عالمية وتصلها التأثيرات من اماكن بعيدة فان من المتوقع ان تنشأ تناقضات واختلافات بين ثقافة ريفية (سكونية) وثقافة حضرية (متبدلة)، ناهيك عن ان المدينة التي مثلت السلطة لفترة طويلة من الزمن اصبحت في متناول اكتشاف من كانوا تابعين لها،

جدول رقم (١) ويمثل النمو السكاني في الموصل للفترة ١٩٥٧ – ١٩٨٧.

السنة	الموصل القديمة	نسبة النمو ٪*	النسبة الى المجموع ٪	الاحياء الجديدة**	نسبة النمو ٪	النسبة الى المجموع ٪	مجموع مركز القضاء	نسبة النمو ٪
١٩٥٧	١١٨,٠٢٦		٦٨	٥٥,١٥٦		٣٢	١٧٣,١٨٢	
١٩٦٥	١١٢,٠١٤	٥,١−	٤٢,٤	١٥٢,١٣٢	١٧٥,٨	٥٧,٦	٢٦٤,١٤٦	٥٢,٢
١٩٧٧	١٠٤,٤٩٥	١١,٥−	٢٥	٣١٠,١٦٥	٤٦٢	٧٥	٤١٤,٦٦٠	١٤٠,٢
١٩٨٧	٨٣,٣٣٩	٢٩,٤−	١٢,٥	٥٨١,٩٢٣	٩٥٥	٨٧,٥	٦٦٥,٢٦٢	٢٨٤

* بالقياس الى سنة الاساس ١٩٥٧.

** المقصود بالاحياء الجديدة كل الاحياء خارج الموصل القديمة سواء منها التي في الساحل الايمن او الساحل الايسر.

ويمكن ان يعد الجدول رقم (٢) بمثابة جدول توضيحي للنمو السلبي الذي حدث في المدينة القديمة اذ يوضح كيف حدث التقلص في المحلات القديمة خلال الثلاثين سنة ٥٧ – ١٩٨٧ والذي بلغ حوالي ٣٠٪.

هذا التقلص يقترن بنمو ايجابي في سكان المدينة بما يوضح ان نسب الزيادة تركزت في الاحياء الجديدة التي ازداد عدد سكان المدينة بنسبة ٢٨٤٪ في السنوات ذاتها (انظر الجدول ١).

هذه الهجرة الى المدينة تعني تفاعلاً بين اسلوبين من اساليب العيش، اذ أن ابناء الريف يظلون لفترة طويلة على ثقافتهم الريفية ومايتبعها من

مما ولدّ صراعاً بين مانشأوا عليه ومايطمحون اليه، فقيم (التجار) ليست هي قيم (الفلاحين) إذ يحتاج الامر الى وقت ليس بالقصير لحين تغلب احد النمطين او ظهور نمط جديد توفيقي.

ولابد من التذكير في هذا المجال ان الحدود بين الريف والمدينة ليست بهذا الوضوح وان هناك تدرجات لونية تربط بين كليهما، فاختلاف المدينة اختلاف في الدرجة وليس في الجوهر دائماً، في المعايير وليس في القيم، في انماط السلوك كما في الازياء وليس في جوهر العلاقة الاجتماعية.

يقودنا هذا البحث في علاقة الموصل باقليمها الى تساؤل ذي اهمية بالغة عن ماهية العوامل التي خلفت هذا التجانس المنبثق عن تنوعات واسعة



الجدول (٢) ويمثل سكان الموصل القديمة موزعون حسب المحلات للسنوات ١٩٥٧ ، ١٩٧٧ ، ١٩٨٧.

المحلة	السنوات		
	١٩٥٧	١٩٧٧	١٩٨٧
الخاتونية	٣٦٥٢	٥٩١٣	٢١٦١
عبدو خوب	٣٦٦٢	٣٧٦٨	٢٩٩٧
الشفاء	١٠٠٣٠	٣٦٣٥	٥٦٥٧
الاحمدية	٤٠٤٥	٣٩٦٤	٢١١٢
الشيخ فتحي	١٧٦٥	٢٦٣٨	٢٤٥١
المشاهدة	١٦٤٧	٦٢٣٦	٥٣٩٣
باب المسجد	٣٩٨٢	٣٤٩٥	٢٩٠٣
جامع جمشيد	٢٥٩٤	٢٤٧٧	١٨٠٥
المكاوي	٢٩٤٧	٣١٠٩	٢٣٥٨
راس الكور	٤٣٤٩	٣٩٦٦	٢٩٨٣
الميدان	٣١٦٣	٢٧٢٤	١٦٦٣
امام ابراهيم	١٤٠٣	١٦٠٣	١١٨٤
باب النبي	٣٩٩٥	٣٣٨٢	٢٥٣٦
جامع الكبير	١٨٧٤	١٦٨٢	١٢٢٣
حمام المنقوشة	٢٦٧٧	٢٥٨٣	١٩٥٨
خزرج	٦٨٥٧	٥٢٧٤	٤٤٩٨
الاوس	٣٩٦٢	٣٦٤٤	٢٦٩٠
عمو البقال	٩٥٥	٧٩٤	٥٧٣
حوش الخان	٣٣٥٩	٢٦٩٠	١٦٨٥
باب السراي	١٠٤١	٤٨٩	٤٢٥
باب الطوب	٣٢٣٣	٢٥٨١	١٨٠٤
جامع خزام	٢٦١٤	١٨٧٤	١٢٩١
سوق الصغير	١٧٣١	١٧٣٩	١١٢٤
السرجخانه	١٦٥٧	١٠٢٣	٧١٤
الرابعية	٨٨٥	١٠١٩	٨٦٥
المياسة	٢٢٥٠	٢١٦٤	١٧٤٨

تابع للجدول (٢)

المحلة	السنوات		
	١٩٥٧	١٩٧٧	١٩٨٧
المحموديين	٥١٨٧	٢٨٤٥	٣٩٥٥
باب البيض الغربي	٥١١٨	٤٣٦٦	٣٧٦٥
باب البيض الشرقي	٢٠٩١	١٨٧٠	١٠١٢
المنصورية	١٦٨١	١٥٣٠	١١٤٨
شهر سوق	١٤٩٩	١٣١١	١٠٣٠
امام عون الدين	١٧٧٧	١٧٦٢	١٣٢٩
شيخ ابو العلا	٢٩٨٠	١٥٦٤	١٣٣١
الشيخ عمر	٢٤٠١	١٣٤٣	١٠٢٧
باب لكش	٣٢٦٦	٤٤٩	١٥١٣
الشيخ محمد	٤٠٦١	٤١٠٦	٣٠٦٨
باب الجديد	٦٦٢٢	٧٩٠٦	٦٦١٢
القنطرة	١٠١٤	٩٧٧	٧٤٨
المجموع	١١٨,٠٢٦	١٠٤,٤٩٥	٨٣,٣٣٩

• مديرية احصاء نينوى ، الاحصاءات السكانية.

والجواب في رأينا يكمن في ثلاث عوامل :

الاول : طبيعة العلاقة التي قامت واستمرت لفترة طويلة من الزمن بين فلاحين مرتبطين بارضهم ، ومدينة تجارية نشطة تقع على مفترق الطرق تمنح محاصيل القرىٰ أفضل الفرص ، خاصة بعد ان تحول انتاج هذه القرىٰ من نمط (الانتاج للاستهلاك) الى نمط (الانتاج التجاري) ، فضلاً عن كون المدينة قادرة على تلبية عدد كبير من الاحتياجات بوصفها مركزاً صناعياً يحصل منه ابناء القرىٰ على معداتهم وفيه يصلحونها بما يضمن استمرار انتاجهم

الزراعي ، كما انه لاغنىٰ للفلاح عن المدينة للحصول على صيانة الاجهزة المختلفة التي بدأت تدخل حياته عاماً بعد عام الأمر الذي يخلق حاجة متبادلة قائمة على مبدأ اشباع المصالح المشتركة للطرفين.

الثاني : غلبة التعصب[١٠] المحلي ، حيث ان الاقليات وجدت لنفسها ملاذاً في مدينة ليس في ثقافتها الاساسية عناصر التعصب والتحيز، مما أوجد امكان حقيقية لقيام تناغم بين مختلف عناصرها ضمن اطار المصلحة العامة ، اذ ان المهنتين الرئيسيتين في هذه الشركة وهما : الفلاحة والتجارة تحتاجان الىٰ استتباب الامن ووضوح الحدود كي يمكن ان تزدهرا وإلا كان الخراب ينتظر الجميع ومن الواضح ان هذا لايعني سكونية العلاقات الاجتماعية ، وانما يعني توازنها ، فالتداخل في الحدود بين الصراع والانسجام يبقىٰ موجوداً ، ولكن المصالح المشتركة موجودة ايضاً وذات اهمية كبيرة في الوقت نفسه فلا بد من اشتراك الطرفين وتعاونها لأمكانية تحقيق تبادل تجاري ناجح بين مايزرعهُ الريف وما تصنعه المدينة او تقدمه من خدمات ترفيهية او صحية وثقافية.

الثالث : من الجدير بالاشارة ايضاً ماساهمت به الفرص الوظيفية التي تنامت مع نمو الجهاز الحكومي في الاندماج والتقارب بين الوافدين للمدينة وبين ابنائها بدءاً من المدرسة الابتدائية وانتهاءاً بالمعمل والدائرة الحكومية ، فعلاقات العمل السابقة التي كانت قائمة علىٰ مفهوم ملاك الارض الغائبين The Absentee Landlord انعكست في السنوات الاخيرة ليصبح ابناء الفلاحين زملاء دراسة او رفاق عمل لابناء المدينة ، بل أن بعضهم اصبح معلماً او مدرساً او استاذاً لابنائها وبعضهم اصبح رئيساً لهم في العمل او في النقابة او في التنظيم السياسي. وهكذا أسهمت الهجرة من الريف الىٰ المدينة في دعم التكيف الثقافي نتيجة البناء الوظيفي الذي حققته عمليات التنمية سواء فيما وفرته من فرص كافية في التعلم وفي المشاركة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية (فرص العمل الاجتماعي والسياسي وفرص العمل الوظيفي) فضلاً عما وفرته من فرص لتنمية المؤهلات والمواهب الشخصية وكذلك من فرص التسلية وقضاء اوقات الفراغ.

المدينة من الداخل :

البناء الاجتماعي الحضري للمدينة :

يمكن تناول هذا الموضوع من زوايا متعددة ، معمارية وجغرافية وصحية وغيرها ، ولكننا سنقتصر في هذا المجال علىٰ البحث عن الدلالة الاجتماعية في تقسيمات المدينة فهي تحتوي علىٰ (١٠١) محلة (بضمنها الاحياء السكنية الجديدة) تختلف في احجامها وخصائصها وكثافتها السكانية ، وهي موزعة علىٰ جانبي النهر (الساحل الايمن والساحل الايسر) ، ومن الجدير بالذكر ان ربع هذه المحلات (الأحياء) انشيء خلال الخمس عشرة سنة الاخيرة اذ كان عددها (٧٥) محلة فقط في تعداد ١٩٧٧[١١]. وتبلغ الكثافة السكانية في الساحل الايمن اكثر من ضعفها في الساحل الايسر، اذ بلغ عدد سكان الساحل الايسر (١٣٠,٢٠٧) نسمة بالمقارنة مع (٢٨٢,٢٩٤) نسمة هم سكان



الساحل الايمن مقارنة بالساحل الايسر، تمثل الموصل القديمة المحور الاقتصادي والاجتماعي لمدينة الموصل ككل. فعلىٰ الزغم من عمليات الهدم الكثيرة التي اصابت بيوتها السكنية بفعل ضغط التطور الاقتصادي وتشعب الاسواق وتكاثرها والحاجة المتزايدة الى الشوارع بفعل الزيادة المضطردة في اعداد السيارات فضلاً عن الفضاءات المفتوحة الواسعة التي استغلت مواقف للسيارات او تركت لاغراض عمرانية وتجميلية مختلفة.. على الرغم من هذا كله فانها مازالت تحتفظ بما يقارب ربع عدد السكان الاجمالي ويمكن للمدقق ان يلمح اختلافات ذات اهمية بين نمطين من المحلات: النمط القديم الذي تمثله أزقة الموصل القديمة. والنمط الحديث الذي تمثله الاحياء السكنية في الساحل الايسر.

أ- الاختلاف الاول يظهر في اختلاف مصادر التسميات للمحلات، حيث نلاحظ آن محلات الموصل القديمة ذات اسماء شعبية عفوية تقترن اما بأعلام من رجال الدين او أماكن للعبادة مثل محلات (**الشيخ محمد**) (**الشيخ عمر**) (**الشيخ ابو العلا**) (**الشيخ فتحي**) (**امام عون الدين**) (**امام ابراهيم**) (**جامع جمشيد**) (**جامع خزام**) (**باب المسجد**).. او انها تقترن بتسميات عشائرية مثل (**خزرج**) (**الأوس**) (**المشاهدة**) (**الاحمدية**)، وغيرها او انها ذات دلالة مهنية اذ تقترن باسماء الاسواق المشهورة قديماً مثل: (**السوق الصغير**) (**السرجخانه**) (**شهر سوق**).. أو انها تعرف بقربها من ابواب المدينة مثل: (**باب السراي**) (**باب الطوب**) (**باب البيض**) (**باب لكش**) (**باب الجديد**).

في حين ان تسميات الاحياء الجديدة تسميات رسمية، وذلك لانها انشئت اساساً بتوجه رسمي تحت ضغط الحاجة التي خلقها النمو السكاني المتزايد، وتزايد اعداد القادمين الى المدينة، وتندرج هذه التسميات في فئتين رئيستين:

— التسميات التي تعكس التوجه القومي والسياسي ورموزها مثل: (**البكر**) (**صدام**) (**القاهرة**) (**القادسية**) (**المثنىٰ**) (**الكرامة**) (**التأميم**) (**التحرير**) (**البعث**) (**اليرموك**) (**الثورة**) (**١٧ تموز**) (**الوحدة**).

— أو أنها تسميات فئوية للموظفين المستفيدين من نظام توزيع الاراضي السكنية على المواطنين مثل: (**المصارف**) (**البريد**) (**الضباط**) (**السكر**) (**البلديات**) (**الجامعة**) (**المحاربين**).

ب- الاختلاف الثاني هو تميز المحلات السكنية القديمة بنظامها المتراص اذ لاينفصل بينها سوى ازقة ضيقة ملتوية[١٢] وتمثل بمجموعها كتلة واحدة ذات اصول معمارية متشابهة، حتىٰ ان السائر في دروبها من غير أبنائها لايدرك انتقاله من محلة الى أخرى، هذا التشابه يلتقي مع تصميم البيوت في اقضية الموصل ونواحيها وعلىٰ الاخص مناطق بعشيقة وبرطلة وتلكيف حيث تلتقي مع الاصول المعمارية التي تقوم عليها بيوت المدينة القديمة. ولهذه الميزات المعمارية وظائف امنية ومناخية واجتماعية[١٣]. فهذه الكتلة تمثل وحدة اجتماعية متماسكة تحكمها قواعد الجماعة المحلية وتسودها قيم تحافظ على هذا التماسك. كما ان التفافها علىٰ نفسها يعطيها شكلاً دفاعياً ضد الغرباء فضلاً عن توفير اكبر قدر من الظل للحماية من شدة حر الصيف.

في الجهة الاخرى تنفتح الاحياء السكنية الجديدة إذ تخطها شوارع عريضة مستقيمة وتتباعد البيوت بعضها عن بعض بحكم المساحة الواسعة المخصصة لكل دار والتي سمحت باضافة الحدائق المنزلية وترك مساحة علىٰ جانبي الدار ساهمت في احداث تباعد بين الدور إنعكس بوضوح علىٰ نمط العلاقة بين الجيران، هذه العلاقة التي اصبحت أقل صميمية. لهذا السبب، ولان سكان الاحياء الجديدة جاءوا من اماكن مختلفة فقد ظهر نوع جديد من العلاقات يجمع بين معرفة الجيران معرفة دقيقة والمحافظة على مسافة معينة توفر قدراً من الخصوصية او العزلة. ويصح هذا التصور علىٰ نحو واضح في احياء (الزهور) (القادسية) (النور) (الربيع) التي أُنشئت في الستينيات، والتي كانت ملجأ الموصليين الذين تحسنت احوالهم المعيشية فانتقلوا الىٰ فضاء اوسع.

في حين ان الاحياء التي ظهرت خلال السنوات الخمس عشرة الاخيرة تختلف من حيث تركيبها السكاني، فهم في غالبيتهم من المهاجرين الى المدينة من اقليمها، ولم تمض عليهم فترة طويلة، وعليه فقد نقلوا اليها صيغة او نمط القرية، والتي هي وحدة اجتماعية قبل ان تكون وحدة سكنية[١٤]. لذا يلاحظ فيها نمط من العلاقات الاجتماعية مختلف، وهو في شكله العام قريب من نمط علاقات الوحدات القرابية والريفية على الرغم من التصميم الحديث للوحدات السكنية في هذه الاحياء، والتي هي نسخ لنماذج معمارية غربية تعتمد على ماتوفره التقنية والاجهزة الكهربائية من ضوء وتدفئة وتبريد.

كما يمكن ملاحظة احياء سكنية على محيط المدينة الخارجي يمكن عدها مواطئ اقدام للمهاجرين الجدد، وتتصف بكونها احياء فقيرة ومزدحمة ومتنوعة المصادر السكانية، وهي بعامة مناطق متخلفة حضارياً ومصدر عدد من المشكلات الاجتماعية للمدينة كتشغيل الاحداث وفقدان الوعي الصحي والتجاوز علىٰ أراضي الدولة[١٥] ويميل بعض المهاجرين للسكن في هذه الاحياء لرخص ايجاراتها نسبة الى ايجارات مركز المدينة والضواحي السكنية فضلاً عن توفر امكانية السكن مع الاقارب الذين سبقوا في الهجرة بما يقدم الاسناد والعون اللازم لحين تمكن المهاجر الجديد من الاعتماد علىٰ نفسه ليصبح بدوره مركز استقبال لآخرين من اقاربه وهكذا.

البناء الأسري :

الاسرة هي حلقة الوصل بين المجتمع والفرد، فمن خلالها وبوساطة عملية التنشئة الاجتماعية يتم نقل كامل التراث الثقافي الى الافراد وبشكل استدماجي يجعل قيم ومعايير وعادات وطرائق تفكير المجتمع جزءاً من ذهنية الفرد فالتنشئة الاجتماعية هي «تلك العملية التي يتعلم الفرد بوساطتها طرق مجتمع او جماعة اجتماعية حتىٰ يتمكن من الحياة بين تلك الجماعة ويصبح قادراً على المشاركة في المجتمع، فهي عملية اكتساب المعارف والنماذج والقيم والرموز، وهي سيرورة يكتسب عن طريقها الانسان ويستبطن طوال حياته العناصر الاجتماعية - الثقافية السائدة في محيطه ويدخلها في بناء شخصيته[١٦] مما يسهل عليه التعامل مع الآخرين من خلال تقمصه الأدوار». واداثه لها بالشكل المناسب الذي يطلبه المجتمع، وكذلك من خلال القدرة على توقع سلوك الافراد الاخرين وردود افعالهم.

فالاسرة حسب تعبير (اريك فروم) هي الوكيل النفسي (السايكولوجي)[١٧] للمجتمع، وهي المكان الرئيس الذي يتم فيه تشكيل شخصية الفرد، في اطار النمط المقبول اجتماعياً ثم يأتي بعد ذلك دور المؤسسات الضابطة فهناك اذن خيط يصل بين الافراد وبين المجتمع يمر في قسمه الكبير او



المهم بالاسرة. والاسرة بهذا المعنىٰ تعكس صورة المجتمع وهي التي تهيئ الفرد من خلال بنائها ونمط السلطة فيها والوسائل المستخدمة لضبط سلوك الفرد.. تهيئته لقبول الانماط الاجتماعية وتمنحه القدرة على مسايرتها.

والاسرة الموصلية ليست شاذة في هذا الصدد، فهي المجال الاول لتلقي تعاليم المجتمع، ولما كان المجتمع الموصلي على ماأشرنا اليه انفاً وما يتطلبه ذلك من قدرة كبيرة على المسايرة المستندة الىٰ مركز أمان.. مسايرة تتطلب التفهم للتنوع الثقافي فضلاً عن غلبة العصبية المحلية التي يفترض من خلالها الضعف النسبي في الروابط القبلية والعشيرية، لذا فقد تحولت الاسرة الى مرتكز ذي اهمية فائقة للفرد، لا بل لانغالي اذا قلنا ان الولاء للاسرة والارتباط بها كان صنوا للولاء المحلي، والتعصب لها يختصر كل اشكال التعصب للعشيرة والقبلية.

والأسرة الموصلية أبوية السلطة يحمي سلطان الأب فيها كماً كبيراً من الأرث الثقافي، وبسبب من طبيعتها هذه، فضلاً عن الحاجة القوية للتضامن التي يخلقها المجتمع المتنوع. أنتمى الموصلي الى أسرته، مما ساعد على مدها فظهرت في شكل العائلة الممتدة التي تدور مصالحها وحياة أفرادها حول قطب واحد يمثله رب العائلة الكبير؛ ولعل هذا مايفسر لنا الظاهرة البارزة في المجتمع الموصلي بالانتساب الى العائلة أكثر من الأنتساب الى العشيرة أو القبيلة فالأفراد يُعرّفون أنفسهم برب العائلة الكبير مثل: **(الجادر) (حمو القدو) (الجليلي) (الحاج طالب) (عبيد أغا) (السليمان)**... أو ينتسبون الى مهنة العائلة مثل: **(الصابونجي) (الدباغ) (الصائغ) (النجار) (التحافي) (اليوزبكي) (الصواف) (العلاّف) (الملاح)** وفي هذا المجال تستوي العائلات الفقيرة والغنية وتهتم الأسرة الموصلية بالذكور، والأسر التقليدية تراعي أن يكون لذكورها أدوار كبيرة بالقياس الى الأناث فيها، فالولد البكر هو التالي في المرتبة من حيث الأهمية وهو خليفة الأب عند غيابه.. وهذا دور لايسند الى البنت البكر. مما يعني أنحسار دور المرأة سواء كانت أماً أو أختاً أو زوجة الى دور الشريك الأقل أهمية وأنحصرت مهامها التقليدية في أعمال المنزل وتربية الأطفال كما أن طبيعة المجتمع في الماضي القريب والتي أنتقلت الى الأسرة حتمت التحفظ على المرأة داخل المنزل أو تحديد حركتها في الدروب الخلفية دون الخروج الى الواجهة، خاصة وأن التنوع الذي شهدته المدينة في سكانها يتطلب دراية وخبرة في التعامل مع الآخرين، وهذا أمر تفتقد اليه المرأة بحكم طبيعة دورها. إلا أن هذا لم يعن ابداً أحتقاراً للمرأة أو تصغيراً من شأنها في المحصلة النهائية بل كان اهتماماً بها وحفاظاً عليها - بغض النظر عن مدى سلامة هذا التفكير - اذ أن الموصليين لم يأنفوا من أن ينتسبوا الى النساء، فالمدينة تعرف عائلات تنتسب الى نساء حققن قدراً من الشهرة أو التمايز في الفعل أو الصفات مثل **(آل صبحة) (كرجية) (آل الليلة) (كشمولة) (الحجية)** ووضعت بعض الأسر الارستقراطية أسماء نسائها على مساجد وأوقاف تطوعن بعمارتها.

لقد حافظت العائلة الموصلية على كيانها الاجتماعي والتنظيمي لفترة طويلة من الزمن في ضوء عاملين أساسيين: أولها مجموعة الأعراف والتقاليد التي ضمت التضامن العائلي وغرسته في أبنائها، وثانيها التجاور في السكن، اذ كان أبناء العائلة الواحدة يستمرون في الأقامة في بيوت الآباء أو بالقرب منها بعد زواجهم حتى أننا نجد أن بعض الأزقة القديمة قد تكون مقفلة على بيوت من عائلة واحدة، ويعرف هذا النمط من الأقامة في علم الأنثروبولوجيا بنمط الأقامة الأبوية.

وهكذا استمرت العائلة محور حياة الموصلي وارتبطت حياته بها، ودارت اهتماماته ومشكلاته،



وخلاصه في أطار هذا الجو المتضامن الذي منح الأفراد الطمأنينة والراحة النفسية مما جعل العائلة في مقدمة أولويات المجتمع ، لا بل أن الأفراد كانوا يتعاملون مع المجتمع من خلال عوائلهم بوصفها نقاط أرتكاز في مواجهة نقاط أرتكاز الآخرين.[١٨]

ولعل في هذا مايفسر تعلق الموصلي بمدينته وعدم رغبته في العيش في أماكن أخرى والاستخفاف بأية مكاسب يمكن تحقيقها بعيداً عن هذا الملاذ المطمئن. ولعله أيضاً السبب في طبع سلوك الموصلي خارج اطاره المحلي بالكثير من الحذر والتوجس ولعل من المفيد الذكر في هذا المجال أن التنشئة الأجتماعية في العائلة الأبوية تقوم على أساس الحرص والضبط مما قد يُنمّط سلوك الأفراد في قوالب محددة ونماذج مكررة. وقد يكون في هذه الفكرة مايفسر نجاح الموصليين الكبير في المهنة العسكرية التي تعتمد على ذات الركائز في الأسرة الأبوية من انضباط وتنفيذ صارم للتعليمات.

واذا كان من الصحيح أن فرص الكشف عن حقيقة العلاقات والتفاعلات الاجتماعية أنما تظهر في حالات التوتر أكثر مما تظهر في حالات الأسترخاء فأن التعرف على البناء الأسري يبدو أكثر وضوحاً في حالات الزواج. اذ أن الزواج الداخلي وخاصة الزواج بأبن العم كان دائماً واحداً من أقوى معايير الجماعات البدوية والقروية[١٩] وفي أطار أوسع إنحصر الزواج داخل المجموعات القومية والدينية وهذا الشكل من الزواج تعرض داخل المدينة الى أختبار من نوع جديد يتضح من خلاله وجود فروقات وحواجز أفقية وعمودية بين الجماعات المختلفة وداخل كل جماعة.

فالحياة الحضرية تدفع باتجاه أعتبار أختيار الشريك حقاً مدنياً مشروعاً ينبغي أن لايقع تحت الضغوط القرابية ، ولكن طبيعة التنوع الذي عرفته المدينة والقائم على الأحتفاظ باستقلالية كل جماعة ومحاولة الحفاظ على ذاتيتها وتميزها حددت علاقات الزواج داخل الجماعة ، فوقفت الفروقات الدينية والقومية حاجزاً أمام حرية أختيار الشريك وهذا مايمكن أن يطلق عليه الحاجز العمودي بين الجماعات ، وتتمثل الحواجز الأفقية في مجموعتين من القيم والأعتبارات الأولى هي الأعتبارات الأقتصادية اذ أن فارق المستوى الأقتصادي وقف على الأغلب حائلاً بين أقامة علاقات زواجية داخل الجماعة القرابية ، فالعائلات الغنية تختار مصاهرة عائلات في المستوى الأقتصادي نفسه محاولة المحافظة على هذه الأمتيازات الأقتصادية ومنعها من التفتت.

والمجموعة الثانية هي أعتبارات المكانة الأجتماعية ، فالعائلات الموصلية تدقق كثيراً في قضايا أختيار الشريك على أساس المكانة الأجتماعية للعائلة ، وعلى الرغم من أن المكانة الأجتماعية والأمتيازات الأقتصادية متلازمة في الغالب إلا أن التغييرات الأجتماعية والأقتصادية رفعت من المستوى الأقتصادي لبعض العائلات والتي تحاول أثبات قدمها في مركزها الجديد عن طريق المصاهرة ، مع ملاحظة أن العائلات ذات المكانة الأجتماعية أكثر تمسكاً بقيم الزواج الداخلي حتى لو كانت قد فقدت أمتيازاتها الأقتصادية.

هذه الصورة التقليدية للعائلة الموصلية هبت عليها رياح التغيير وعلى الأخص خلال النصف الثاني من هذا القرن ، فقد كان لمجمل التغييرات الأقتصادية والأجتماعية تأثيرات مهمة على أبناء العائلة ، إذ أدت هذه التغييرات الى تفكك العوائل الممتدة الى أسر نووية توزعت - مكانياً على الأقل - على الأحياء الجديدة من المدينة. كما خلق التعليم والدراسة والأتصال فضلاً عن الجامعة فرصاً كبيرة لتغيير نمط العلاقات الأجتماعية وتكوين الأسر الجديدة وخاصة فيما يتعلق بإختيار شريك الحياة والمفاهيم الجديدة عن طبيعة العلاقة بين



الرجل والمرأة ، فالمجالات الجديدة التي خلقتها الجامعة على سبيل المثال قدمت الفرصة للقاء الجنسين بعيداً عن الأطر الأجتماعية الموروثة ، فضلاً عن مجموعة القيم والمعايير التي تؤكد الفردية في مواجهة أعراف وتقاليد العائلة الكبيرة كما تؤكد ضرورة تأمين حرية أختيار الشريك بعيداً عن التدخل القرابي ، لأن الفرد أحق بالتصرف بحياته من غيره ، مما شجع من بعد على أستقلال الأسر الصغيرة الجديدة في مساكن مستقلة بعيداً عن القواعد القديمة ، وأدى أندفاع البعض في محاولة إثبات الذات هذه الى إحداث مايمكن أن ندعي بأنه النواة لأنماط جديدة من العلاقات قائمة على أسس جديدة ومما زاد في حدة التغييرات الأجتماعية المتطلبات الأقتصادية وخروج المرأة للعمل ، الأمر الذي خلق أنماطاً جديدة من العلاقات داخل الأسرة رفعت ولو بشكل جزئي من مكانة المرأة بسبب مساهمتها الأقتصادية من جهة وبما وفره خروجها للعمل من مجال لتنمية مداركها وتوسيع أفق معرفتها من جهة ثانية. غير أن هذا لايعني قطيعة بين هذه الأسر الصغيرة وعوائلها الأصلية ، كما لايعني أن الأمور تجري في هذه الأسر على نحو مختلف تماماً عن النمط العائلي القديم وأنما يعني وهناً في الصلات وتغيراً نسبياً في نمط العلاقات مع أحتفاظ العائلة الكبيرة بمركزها المحوري بالنسبة للجميع .

جـ - البناء المهني :

يمكن تحليل البناء المهني لمدينة الموصل وفق مداخل عدة. فمثلاً يكن التمييز بين مهن تقليدية ومهن مستحدثة. وهذا المدخل يمكن تلمسه مثلاً في الأسواق ، اذ نجد نوعين من الأسواق التي تنتشر في المدينة ، فالقديمة منها يمثل كل منها مجمعاً مهنياً ، اذ يمكن التعرف على : **(سوق الكوازين) (سوق السراجين) (سوق الصاغة ، (سوق الصوافين) (سوق القطانين) (سوق العطارين) (سوق الصفارين) (سوق الحدادين)** . . . الخ .

وعلى الرغم من أن التغييرات العمرانية طالت قسماً من هذه الأسواق بالهدم والتغيير ، وبعضها الأخر أقتحمته مهن مغايرة فأن الطابع العام للسوق لازال طاغياً عليه .

وبالمقابل نجد أسواقاً حديثة تسمياتها لاترتبط بالمهنة على الرغم من أن كل واحد أخذ طابعاً خاصاً وأختص بنسبة كبيرة بسلعة أو بمجموعتين من السلع المتقاربة فشارع نينوى مثلاً يعرض لنا تخصصاً واسعاً ذو علاقة بالملابس ولوازم الزينة النسائية ، في حين يختص شارع خالد بن الوليد بالأجهزة الكهربائية ، وأغلب محلات شارع العدالة تختص بالأحذية الرجالية .

كما يمكن ملاحظة أن التطور الأقتصادي والثقافي قد أوجد الكثير من المهن الحديثة ، فقد شاعت المهن الخاصة بتصليح وصيانة الأجهزة والمعدات الميكانيكية والكهربائية وحصلت تلك المختصة بصيانة وتصليح السيارات على القسط الأوفر من بينها الى الحد الذي دفع المسؤولين الى نقل ورشها ومحلاتها الى خارج مركز المدينة لعدم قدرة أماكنها القديمة على أستيعاب حركة السوق.

هذا التطور الاقتصادي نفسه أدى الى ضمور وأختفاء مهن أخرى أو حصرها في نطاق ضيق ، فأختفت أو كادت صناعة المحاريث الخشبية القديمة ، وأنقرضت صناعة عربات درس الحبوب (الجرجر) وحلت الآلات محل الحيوانات وحجر الرحى العظيم في طحن الحبوب.

وبنفس الوتيرة تصاعدت أعداد الموظفين في أجهزة الدولة وكان للمهن العسكرية حصة كبيرة فيها . كما حصلت أندفاعات نحو بعض المهن بسبب توجهات خطة التنمية الأنفجارية كالمهن الهندسية ومقاولات البناء والتجهيز.

ثم يأتي دور جامعة الموصل لكي تخلق ملاكاً



واسعاً من التدريسيين والموظفين والفنيين سواء من أبناء المدينة أو من الوافدين الذين أستقروا بسبب طبيعة عملهم في جامعتها. وفي الوقت نفسه ادى وجود هذا العدد الكبير من الطلبة والذي يربو على العشرين ألف طالب الى تنشيط مهن الخدمات وخاصة في المنطقة المجاورة للجامعة.

وثمة مدخل أخر لدراسة البناء المهني يكون في البحث عن علاقة هذه المهن بالبناء الأجتماعي للمدينة، فضلاً عن السكان الأصليين من العرب، ولاشك أن لكل واحدة من هذه المجموعات قيمها ومعاييرها وتقاليدها، كما أن طبيعة وظروف دخولها الى المجتمع تحدد وضعها في السلم الأجتماعي. ويمكن ملاحظة تأثيرات هذه الأختلافات الأجتماعية والقيمية في مهن المدينة، فعلى سبيل المثال تأنف القيم البدوية من الأعمال اليدوية بأستثناء التجارة، لذا نرى أن سكان المدينة هم في الأصل وفي غالبيتهم من التجار وأرباب الحرف والأصناف وباعة المفرد وقد أدى هذا الأمر الى نتيجتين مهمتين:

١- أن هذا التخصص أكسب الأفراد مهارة ودقة عالية أنتجت من بعد سلعاً ونشاطاً مهنياً ذا مستوى عالٍ.

٢- خلق هذا التخصص مهناً وراثية أو مغلقة نوعاً ما بالنسبة لجماعات معينة.

وعلى الرغم من عدم إلزامية هذه الظاهرة بالنسبة للجميع اذ كان بالأمكان دوماً أن ينتقل الأفراد من بعض المهن الى بعضها الأخر، فإن حدود القيم والتقاليد لايمكن تجاوزها، وأدى التضامن العائلي والقومي والديني الى تفضيل الأفراد مهنة الجماعة لأنه سيجد في مجالها العون الكبير من أبناء جماعته، مما أنعكس على توجهات الأبناء ومهنهم وحتى في مجالات العمل الحكومي فأن توجهات معينة سادت بسبب الطبيعة القيمية والأجتماعية للعمل، فأتجاه أبناء الموصل للأنخراط في الجيش هو في أحد جوانبه أستجابة لطبيعة التنشئة الأجتماعية للموصليين وقيم الشجاعة والفروسية التي عرفوا بها هذا فضلاً عن البعد التأريخي حيث أن الموصل عرفت التجنيد الألزامي في النصف الأول من القرن التاسع عشر. ولايمكن أن ننسى ماتوفره الحياة العسكرية من مكانة مادية وأجتماعية، ولهذا السبب نجح -كما سبق أن أشرنا- نجح الموصليون ايما نجاح في هذه المهنة وتوسعت أعدادهم بين الضباط.

وفي خط موازٍ عملت العائلات الموصلية التي دخلت معترك الحياة السياسية ونمت طموحاتها في هذا المجال على دفع أبنائها وأعدادهم لتولي مناصب سياسية وبالفعل نجح الكثير منهم في الوصول الى سدة الوزارة مما كان له أثر كبير في تحفيز الباقين على أقتفاء أثرهم وظل الموصليون يميلون الى الوظائف الحكومية طالما كانت هذه المهن توفر لهم قدراً من تعميق الشعور بالتميز والتفوق، وحين أنشئت جامعة الموصل غدت ملاذاً جديداً لتحقيق الطموحات فسارع أبناء المدينة للأنتساب اليها أعضاء في هيئة التدريس وموظفين. وهنا لابد من الأشارة الى أن النسبة الكبيرة لأبناء الموصل، من العاملين في الجامعة، ولاسيما من أعضاء هيئة التدريس، لها جوانب أيجابية على المستوى العلمي اذ أنها تساعد على أستقرار الكادر التدريسي. هذا فضلاً عن أن الطبيعة الجدية والحريصة التي تميز بها الموصليون أنعكست على الجامعة، وهذا الأمر أدى الى تضافر جهود الجميع في السعي من أجل أن تتبوأ جامعة الموصل مكانة متقدمة بين شقيقاتها الجامعات العراقية الأخرى.

وعلى المنوال نفسه نسجت التنمية الاقتصادية التي عرفها القطر المكانة المميزة للمهن الهندسية الأمر الذي جعل لها منزلة أجتماعية رفيعة مما دفع الى تزايد الأنتساب اليها بسبب قدرتها على تحقيق طموحات الأفراد في الحصول على المناصب



والأرباح في أوقات قياسية. هذا التوجه أحتفظ بطابعه العائلي أيضاً وخلف الأبناء آباءهم حتى في وظائفهم الحكومية كما خلفوهم في مهنهم الأخرى، فليس من النادر أن نجد في الموصل عائلة من العسكريين أو المهندسين أو الأطباء، والفارق الوحيد بين هذا التوجه في خلافة الأبناء لأبائهم أو ألقاب الوظائف الحكومية لاتظهر في أسماء الأفراد، في حين أن المهن القديمة تظهر واضحة، فقد يتوارث الأبناء مهنة الأب في الدباغة فيطلقون على أنفسهم أو يعرفهم الناس بأسم بيت الدباغ وكذلك الحال بالنسبة للملاح والعّلاف والتتنجي، والشكرجي وغيرها وبعض هذه الأسماء مازالت تدل على مهن متوارثة حتى اليوم.

خاتمة:

لقد تعرض هذا التقسيم بدوره الى تأثيرات أدت الى ضعف تماسكه وإعادة ترتيبه، ذلك أن التغييرات العميقة التي حدثت في كيان المجتمع نتيجة التغييرات الأقتصادية والثقافية والسياسية غيرّت مراتب السلم المهني؛ فوظائف الدولة التي كانت في أعلى السلم تبادلت مواقعها مع المهن اليدوية والزراعية التي كانت في أسفل السلم المهني من الناحية الأجتماعية وتغير مردودها المادي مما غير من المواقف الأجتماعية تجاهها. وفي الوقت نفسه تعرضت مفاهيم الجدارة لدى الشباب الى التغير، ففي خضم الطلب على الأحتياجات المادية، وأزدياد التركيز للحصول على المقتنيات الحديثة بدأت الأجيال الجديدة تستطلع الطرق التي تفتح أمامها المزيد من الكسب المادي، مما خلق توجهات كثيفة نحو التخصصات المهنية سواء على مستوى الدراسة الجامعية أو على مستوى الأعمال الخاصة. ومما ساعد على ذلك أن هذه المهن وخاصة الحكومية منها لايرتبط الأنتساب اليها بأي أشتراطات قومية أو دينية مما أدى الى كسر التقسيم التقليدي للعمل القائم على أساس الجنس أو الأنتماء الى جماعة معينة، فضلاً عن أن المردود الأقتصادي العالي الذي وفرته بعض المهن الجديدة ساعد على تخفيف الموقف المعادي لها، فكما بدأ الفلاح في زراعة الخضر وتسويقها مدفوعاً بالعائد المالي الكبير، كذلك أصبح الموقف من مهنة التمريض أقل تشدداً عن ذي قبل، وكذلك الحال بالنسبة للفنانين الذين أصبح المجتمع أكثر تسامحاً تجاههم وخاصة الذكور منهم.

هذا الرواج الأجتماعي للمهن المختلفة ساعد على ربط الشرائح والفئات الأجتماعية المتنوعة، فقد ولّد أنخراط الناس –من جميع هذه الشرائح– في المهن قواسم عملية وذهنية مشتركة[٢٠]. ومن البديهي أن تسهم هذه القواسم في تقريب وجهات النظر وزيادة الأحتكاك القريب بما قد ينمي في المستقبل أطاراً تكاملياً لقيم توفيقية وثقافة أكثر مرونة تستوعب أغلب الأختلافات. إلا أننا لازلنا نلمح في الوقت الحاضر بقايا المواقف القديمة أزاء بعض المهن ويبدو هذا أكثر في بعض المواقف الأجتماعية مثل التصاهر.

الهوامش

(١) للتفاصيل أنظر: سليمان صايغ، تأريخ الموصل، جـ١، المطبعة السلفية، ص ص ؟ وكذلك سعيد الديوه جي، تأريخ الموصل، جـ١، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل ١٩٨٢)؛ عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، مطبعة الآداب، (النجف الأشرف، ١٩٧٥)، المقدمة.

(٢) رؤوف، المصدر السابق.

(٣) يقصد بالثقافة أو الحضارة Culture: النماذج التي نشأت تأريخياً بأشكالها الظاهرة أو المستترة، العقلية أو غير العقلية والموجودة في أية فترة من فترات تأريخ المجتمع كمرتكزات لتوجيه سلوك أعضائه.. وذلك حسب تعريف كلايد كلوكهون. أو كما يعرفها أدوارد تايلر: (ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعارف، والعقائد والأخلاق والفلسفة والفنون وكل ما يكتسب الفرد من القدرات بوصفه عضواً في مجتمع معين..) أنظر: قيس النوري، المدخل الى علم الأنسان، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، (الموصل، ١٩٨٢)، ص ١٢٠.



(٤) أنظر: عبد الماجود أحمد السلمان، الموصل في العهدين الراشدي والأموي، مكتبة بسام، (الموصل، ١٩٨٥)، ص ٥٠.

(٥) رؤوف، المصدر السابق، ص ٣٢١.

(٦) الديوه جي، المصدر السابق.

(٧) دومنيكو لانزا، الموصل في الجيل الثامن عشر، تعريب روفائيل بيداويد، مطبعة النجم، (الموصل، ١٩٥١) ص ص ٩-١٠.

(٨) مديرية أحصاء نينوى، الأحصاءات السكانية.

(٩) عبد المجيد عبد الرحيم، علم الأجتماع الحضري، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٧٦)، ص ص ١٩٢-١٩٦.

(١٠) رؤوف، المصدر السابق، المقدمة.

(١١) مديرية أحصاء نينوى، الأحصاءات السكانية.

(١٢) عامر سليمان وآخرون، محافظة نينوى بين الماضي والحاضر، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، ١٩٨٦)، ص ٢٥٠.

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) خليل أسماعيل محمد، أنماط الأستيطان الريفي.

(١٥) مديرية شرطة نينوى، الحلقة الدراسية لقسم الخدمة الأجتماعية، كلية الاداب، جامعة الموصل، بعنوان: دور الخدمة الأجتماعية في الوقاية من الجريمة، مناقشات، ١٩٩١.

(١٦) محمود أحمد موسى «دور نظام التعليم في تنشئة الطفل العربي»، مجلة المستقبل العربي، بيروت، السنة (١٠)، العدد (١٠٠)، حزيران ١٩٨٧.

(١٧) إريك فروم، الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٢)، ص ٢٣٦.

(١٨) يقدم هشام شرابي مايشبه هذه الفكرة خلال تحليله لنمط العلاقات في العائلة العربية عموماً. أنظر كتابه: مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الأهلية للنشر والتوزيع، ط ٤، (بيروت، ١٩٨١).

(١٩) قيس النوري «المشكلات الأجتماعية في الوطن العربي من المنظور الأنثروبولوجي»، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجاحظ، بغداد، العدد (١٤)، ١٩٨٥، ص ٢٧.

(٢٠) قيس النوري «الأطر الأجتماعية للسلوك المهني في السلم والحرب»، مجلة الدفاع، السنة (٢)، العدد (٢)، ١٩٨٦، بغداد، ص ٢٤٩.

الخدمات العامة

د. سعدي علي غالب

مقدمة:

لمدينة الموصل نكهة خاصة في الدراسات العلمية تميزها عن بقية الدراسات الاخرى للمراكز الحضرية في القطر، وذلك لأصالة هذه المدينة وعراقتها. وبسبب من موقعها الجغرافي المتميز، فانها كانت مستهدفة من الطامعين، ولذلك فقد دخلتها قوات اجنبية، ولكن المدينة كثيراً ما كانت تصدهم وتطردهم.

وعلى الرغم مما تعرضت اليه هذه المدينة من نكسات فانها ظلت محافظة على شخصيتها الحضارية العربية الاسلامية بعامة، في وقت كانت - انذاك - الخدمات العامة فيها متواضعة وهي لاتتناسب مع قيمتها المكانية. وقد تعرضت هذه الخدمات الى حالة من التدهور خلال الحكم العثماني مع وجود فترات محدودة تطورت بها هذه الخدمات، وعموماً فان تلك الخدمات كانت كثيراً ماتوصف بالبساطة وهي من بعد كانت لاتتواءم مع اصالة هذه المدينة ودورها الحضاري.

أولاً: طبيعة الخدمات العامة في مدينة الموصل:

كثيراً مايعتمد المتخصصون في دراسة التخطيط الحضري والاقليمي طبيعة الخدمات العامة مؤشراً مهماً في تطور وتقدم المركز الحضري دون سواه؛ آخذين بنظر الاعتبار ان هذه الخدمات تمس كل الشرائح الاجتماعية التي تستقر في المدينة او ماجاورها. ومن المفيد ان نعطي لمحة عن طبيعة هذه الخدمات في المدينة خلال الفترات التاريخية حتى عام ١٩٨٩.



١. البريد والبرق :

من المعروف ان لمدينة الموصل إرثاً حضارياً قديماً يعود الى الآشوريين. ومن ضمن المؤشرات الحضارية الآشورية الرائعة، هو الاتصال السريع بين الملك وموظفيه في المقاطعات حيث أُبتدع نظام خاص ورائع للبريد بين المقاطعات والعاصمة. فقد كان الاتصال بين المدن يتم بوساطة رسل فمنهم الراكض على الارجل ومنهم الراكب على الحصان ومنهم من كان يتسلق الجبال والمناطق الوعرة، ومن الرسل من كان يحفظ الرسالة على ظهر قلب زيادة في السرية والحفظ. وكان على الطرق المؤدية الى المدن الرئيسة محطات بريدية على أبعاد مناسبة وفي كل محطة مايحتاجه المبعوث من غذاء وماء ومكان للمبيت. كما كان فيها محلات خاصة لتبديل الحيوانات المتعبة، وهكذا كان الاتصال يتم بين الملك وموظفيه بسرعة فائقة ويسر.

وقد أولى الاتابكيون البريد رعاية خاصة وكان ذلك في عهد عماد الدين زنكي، اذ كان شديد الولع بالاطلاع على اخبار البلاد، وكان يصل اليه البريد يومياً يحمل اليه اخبار بلاده وهو لذلك أعد الخيول والعدائين من الرجال والطيور- من الزاجل- لنقل البريد، ولهذا حافظت مدينة الموصل على اهتمامها بتربية هذه الطيور حتى بعد انقراض الدول الاتابكية[١]. وكانت ابراج الحمام منتشرة في مؤسسات الدولة، وقلما تخلو دار منها وللحمام من يتعهدها ويتولى أمرها وتدبيرها والاعتناء بها[٢].

وفي خلال الحكم العثماني اعطيت وظيفة البريد وأوكلت الى « التاتار أغاسي » وهو الموكل بنقل البريد وله مكتب خاص على مقربة من قصر الوالي يدعى « قوناق ططر اغاسي » كما يعرف بالمسؤول عن العناية الخاصة بالخيول والتي كانت معروفة انذاك بـ « سروجي باشي »[٣]. وقد استخدمت الجندرمة او الضبطية للمحافظة على

الجدول ١
المكاتب البريدية في المحافظة خلال ١٩٨٣-١٩٨٧

السنة	عدد مكاتب البريد	الصناديق البريدية				الوكالات البريدية
		العمومية		الخاصة		
		العمودية	الجدارية	المؤجرة	الشاغرة	
١٩٨٣	٣١	١	٥٩	٨٧٥	١٧	—
١٩٨٥	٣٠	١٣	١٣	٩٤١	٣٨٣	٤
١٩٨٧	٣٠	١٦	٣٩	١١٠٨	٣٤٠	٩

الأمن وحراسة القوافل التي تحمل البريد بين المناطق المختلفة من الولاية[٤]. وفي سنة ١٨٧٠ اصبح مكتب البريد نشطاً اذ كان يعمل بمعدل رحلة في الاسبوع من بغداد- حلب[٥].

ويوضح الجدول رقم ١ ان هناك ثباتاً باعداد المكاتب البريدية في المحافظة خلال الفترة الواقعة بين ١٩٨٣- ١٩٨٧ مع زيادة واضحة في فتح الوكالات البريدية لتقديم خدماتها الى المواطنين والتخفيف عن المركز الرئيس[٦]. كما أن المحافظة نفسها « نينوى » تحتل المكانة الثانية في القطر بما تمتلكه من اعداد لمكاتب البريد- بعد العاصمة وهذه الاعداد هي (٣٠) مكتباً تمثل نسبة ١٠,٦٪ من اجمالي اعداد المكاتب في القطر والبالغة ٢٨٣. في حين ان المحافظة احتلت المكانة الثانية في الوكالات البريدية في القطر والبالغة (٣٣) مكتباً لسنة ١٩٨٧ مما يوضح الاهمية التي تحتلها هذه المحافظة من جهة ومدينة الموصل بشكل خاص. وتزداد اهمية البريد لحياة المواطنين اليومية بسبب اهمية الاتصالات ولذلك جهزت الدولة بعضاً من المحافظات بخدمة بريدية متطورة تعرف بالبريد الالكتروني وكانت التجربة محدودة على ثلاث محافظات هي بغداد والبصرة ونينوى كتجربة حتى منتصف عام ١٩٨٥ وبسبب نجاح التجربة عُممت على كافة المحافظات

في القطر. كما في الجدول رقم ٢.

الجدول ٢
المكاتب البريدية – خدمة البريد الالكتروني
عام ١٩٨٧ [٧]

المحافظات	اعداد المكاتب البريد الالكتروني	عدد أجهزة البريد الالكتروني	حركة البريد الالكتروني
دهوك	١	١	١٤٦
نينوى	١	٤	٢٠١٢
أربيل	٢	٢	٧٢
السليمانية	١	١	٢١١
التأميم	٢	٢	١٤٧
صلاح الدين	٢	٢	٨
ديالى	١	١	٥٦
الانبار	١	١	٢٦٣
بغداد	٣٧	٤٧	٣٨٢٠
واسط	١	١	١١٢٧
بابل	١	١	٨٥
كربلاء	١	١	٤٦
النجف	١	١	٢٤
القادسية	١	١	٣٢٢
المثنى	١	١	٩٦
ميسان	١	١	٣٦
ذي قار	١	١	٦٢٧
البصرة	١	٤	٢٢٠
المجموع	٥٧	٧٣	٩٣١٨

ويوضح الجدول (رقم ٢) مايأتي :

١. تصدر محافظتي نينوى والبصرة – عدا العاصمة – بقية المحافظات بامتلاكها عدداً من الاجهزة البريدية المصورة الالكترونية قدرت بـ ٤ لكل منها.

٢. سجلت حركة البريد في محافظة نينوى تطوراً واضحاً في الخدمات اذ بلغت اعدادها ٢٠١٢ وهي تمثل نسبة ٢١,٦ ٪ من اجمالي حركتها في القطر لعام ١٩٨٧.

٣. ان حركة البريد المصورة قليلة ، اذ بلغت ٢٠١٢ وبمتوسط يومي ٥,٦ حركة يومية ويمكن تبرير ذلك بكون التجربة في مرحلتها الاولية ومن المتوقع ان تزداد هذه الحركة في السنوات القادمة.

وتجاوباً مع المتطلبات الحضارية الحديثة فقد نجحت المنشأة العامة بتأمين خدمات بريدية سهلة الى المواطن عن طريق فتح وكالات البريد الاهلية التي تقوم بمهام بيع الطوابع وتسجيل المراسلات والتوزيع في المناطق التي لاتتوفر فيها مكاتب بريدية ، وهكذا اصبحت اعداد الوكالات البريدية ٣٣ وكالة عام ١٩٨٧ بعد ان كانت اعدادها ١٤ وكالة عام ١٩٨٤.

وهكذا تطورت الخدمات البريدية في القطر عامة وفي محافظة نينوى خاصة ، فبعد ان كانت الخدمات البريدية معتمدة اساليب بدائية عند اعتاب هذا القرن تحولت تلك الخدمات الى خدمات عصرية سريعة باستخدام البريد المصور (الالكتروني) إذ بمقدور المواطن ان يبعث رسالته الى اية محافظة لتستلمها فوراً.

ب. البرق والهاتف :

البرق وكان يعرف بالتلغراف ويرجع تاريخ دخوله الى العراق في عام ١٨٥٦ حيث تقدمت شركة البرق الهندية الاوربية الى شركة الهند الشرقية للحصول على الضمان المالي لمد خط برقي في داخل العراق. وبدأ العمل في الخط بين بغداد–اسكوتاري عام ١٨٥٨ وتم أول اتصال للعراق مع العالم الخارجي عام ١٨٦١ وتمت أول مخابرة داخل العراق بين بغداد والبصرة في ٢٨ كانون الاول ١٨٦٥ [٨].

ولم يكد القرن التاسع عشر يشارف على الانتهاء حتى امتدت الخطوط التلغرافية الى معظم المدن العراقية وكانت استخداماتها مقتصرة في البدء على المخابرات الحكومية وسرعان ما انتشر استعمالها بين المواطنين.

وتطورت حركة البرق في المحافظة وذلك لظهور



مؤسسات علمية فيها مثل جامعة الموصل وكلياتها والمعاهد والمدارس والمؤسسات الصناعية الاخرى. هذا فضلاً عن ان المحافظة نفسها تعد مركزاً سياحياً مهماً مضافاً الى ذلك ان عدد سكان المحافظة احتل المكانة الثانية في القطر بعد العاصمة ، اذ بلغ تعداد سكان المحافظة ١,٦ مليون نسمة حسب تعداد ١٩٨٧. كل هذه المؤشرات عملت سوياً لزيادة فهم واستخدام البرق للاتصال داخل القطر كما في الجدول رقم ٣.

الجدول ٣

اعداد البرقيات الداخلية في العراق ١٩٨٧ [٩]

المحافظة	عدد البرقيات
بغداد	١٤١٤٠٣
نينوى	٣٣١٠٠
أربيل	٢٥١١١
الانبار	٢٦٣١٠
البصرة	١٠٦٢٠
بابل	٧٨٢٥
التأميم	٩٣٤٠
القادسية	١٣٨٠٠
ذي قار	١١٨٠٥
السليمانية	٦٣٣٠
النجف	١٠٢٨٠
كربلاء	٦٦٢٨
المثنى	٨٦٢٢
ديالى	٨٥١٥
ميسان	٦٠٢٠
دهوك	٤٥٤٠
واسط	٧٣١٠
صلاح الدين	١٢٣٧
المجموع	٣٣٨٨٠٦

ويفهم من الجدول رقم ٣ مايأتي :

تصدر محافظة نينوى بقية المحافظات ، اذ بلغ عدد البرقيات فيها ٣٣١٠٠ وهي تمثل نسبة ٩,٨٪ من اجمالي اعدادها ٣٣٨٨٠٦ خلال سنة ١٩٨٧ وهي بذلك تكون المحافظة الاولى عدا العاصمة بغداد.

وبسبب الاهمية المكانية والسياسية للعاصمة ، فقد احتلت المكانة الاولى وحظيت بعدد من البرقيات بلغت ١٤١٤٠٣ وهي تمثل نسبة ٤١,٧٪ من اجمالي اعدادها للسنة نفسها.

الهاتف :

تأسست في مدينة الموصل أول بدالة يدوية عام ١٩٣٦ وبسعة (٢٥) خطاً وتم نصب بدالة تلفونية ذات ٢٠٠٠ رقم وكذلك تأسيس محطة لاسلكية للاتصال مع تركيا في ١٤ نيسان ١٩٤٩ [١٠]. وتم توسيع هذه البدالات على نحو تدريجي حتى جاء عام ١٩٥٦ ووسعت الى ١٠٠٠ رقماً. وفي العام نفسه تم نصب أول بدالة اتوماتيكية بسعة ٥٠٠٠ رقماً ووسعت في نفس عام ١٩٦٧ الى ١٠٠٠٠ رقم وهكذا تطورت انجازات الهاتف في المدينة حتى اوائل السبعينات اذ تم نصب بدالة نينوى بسعة ١٠٠٠٠ عام ١٩٧٦ وفي سنة ١٩٧٨ انشأت بدالة اليرموك الاتوماتيكية بسعة ١٠٠٠ رقم.

وتعد سنة ١٩٨٤ نقطة تحول في تاريخ الخدمات الهاتفية في مدينة الموصل وذلك لانشاء: [١١]

أ. مجمع مواصلات ابي تمام في الموصل الجديدة.

ب. مجمع مواصلات الزهور بسعة ١٠٠٠٠ رقم.

ج. مجمع مواصلات العشائر السبعة.

د. مجمع مواصلات برطلة.

وتوسعت الاعمال في عام ١٩٨٧ الى : [١٢]

أ. بدالة الدواسة بسعة ٢٠٠٠٠ رقم.
ب. بدالة الكرامة بسعة ١٠٠٠ رقم.
جـ. بدالة سومر قرب يارمجة بسعة ١٣٠٠.

وهكذا تمتعت محافظة نينوى بزيادة ملموسة في الخطوط الهاتفية جعلتها متميزة عن بقية المحافظات في القطر كما في الجدول رقم ٤.

«الجدول ٤»
تطور خدمات الهاتف في نينوى
خلال ١٩٨٣ – ١٩٨٧ [١٣]

السنة	اعداد الهواتف	الكثافة الهاتفية
١٩٨٣	٣٨٩١٦	٣,٠٠٠
١٩٨٤	٥٧٨٩٩	٤,٥
١٩٨٥	٦٨٢٥٣	٥,٣
١٩٨٧	٧٨٠٠٠	٦,٠٠٠
المتوسط العام للكثافة في القطر: ٦,٣٠٠		

وقد شهدت خدمات الهاتف تطوراً كبيراً بعد انشاء مشروع التكامل الشمالي للكوابل المحورية وبسعة ٢٤٠٠ قناة هاتف قابلة مستقبلاً الى (٣٠) ألف قناة. كما تم انشاء بدالة تلعفر الالكترونية وبسعة (٤) الف خط هاتفي مضافاً الى بدالة ابي تمام في الموصل بسعة ١٠ ألف رقم قابل للتوسع الى ٣٠ الف رقم [١٤].

وقد بلغت سعة الشبكة الهاتفية الأرضية ١٤ ألف خط هاتفي قابلة للتوسع الى ٢٠ الف خط، ونصب اكثر من ٢٠ الف هاتف للمواطنين وربطت المحافظة بمشروع المايكرويف الوطني اضافة الى مشروعي مايكرويف [١٥] الموصل – سوريا والموصل – تركيا وذلك لتحقيق الاتصالات الهاتفية والبرقية مع دول اوربا وتم تنفيذ مشروع الكابل المحوري الشمالي الذي يربط نينوى بالمحافظات الاخرى فضلاً عن مشروع الهواتف الريفية التي يربط المحافظة بالوحدات الادارية بالاقضية والنواحي.

واتمت مديرية اتصالات وبريد نينوى في نهاية العام ١٩٨٨ انجازها توسيع مشروع خطوط البدالات الهاتفية لعدد من الاحياء السكنية في الموصل وقضاء تلعفر وناحية القيارة بزيادة ٢٥٤٠ خطاً هاتفياً [١٦]

الكهرباء

وفّق أحد أبناء الموصل وهو «السيد مصطفى الصابونجي» في اوائل العقد الثالث من هذا القرن الى شراء بعض المحركات «داينمو» من الجيش البريطاني وباشر بتجهيز بعض البيوت والمؤسسات بالطاقة الكهربائية وتعاقد الصابونجي مع بلدية الموصل لانارة بعض الشوارع الرئيسة.

ثم نجحت البلدية بالتعاقد مع ثلاث شركات انكليزية بتأسيس مشروع للكهرباء. وفي عام ١٩٣٣ تم ارسال التيار الكهربائي وبحضور المحافظ «المتصرف» انذاك تحسين العسكري في ٣٠ حزيران ١٩٣٣. وفي ٢٥ تموز ١٩٣٣ بوشر بإعطاء الكهرباء الى الاهالي ليلاً ونهاراً [١٧] وظلت هذه الحالة حتى سلم مشروع القوة الكهربائية السابق الى بلدية الموصل ١٩٦٦ وكان وقتها عدد المشتركين (٣٥٠٠٠) مشترك ارتفع هذا العدد الى (١٩٠٠٠٠) مشترك في عام ١٩٧٥ بسبب التوسع الذي حدث نتيجة توزيع الاراضي والاحياء السكنية في المدينة واطرافها. ونجحت المديرية في تطوير المشروع الكهربائي وحدث ذلك بنحو خاص بعد قيام ثورة ١٧ – ٣٠ تموز ١٩٦٨ التي حققت الكثير للمدينة منها: [١٨]

١. تطوير شبكة الموصل القديمة وانارة الشوارع كافة
٢. ايصال الكهرباء الى كافة الاحياء الجديدة.
٣. انشاء محطة توزيع رئيسة في الجانب الأيسر



قرب باب عشتار.

٤. انشاء محطتين كبيرتين في الحمدانية وتل أسقف لنقل القوة الكهربائية الى المراكز الحضرية المجاورة لها.

وازدادت اعداد المشتركين للتزود بالطاقة الكهربائية كما هو موضح في الجدول رقم ٥ .

« الجدول ٥ »

اعداد المشتركين في كهرباء محافظة نينوى خلال ١٩٧٥ - ١٩٨٨ [١٩] .

السنة	اعداد المشتركين
١٩٧٥	٤٦ ٥٠٠
١٩٨٤	١٧٥ ٤٣١
١٩٨٥	١٨٨ ٩٧٥
١٩٨٦	٢٠١ ٦٤٤
١٩٨٧	٢٠٨ ٩٦٠
١٩٨٨	٢١٢ ٥٧٠

ويمكن الاستفادة من الجدول اعلاه في توضيح مايأتي :

١. يقدر متوسط النمو لاعداد المشتركين خلال الفترة الواقعة بين ١٩٧٥ - ١٩٨٨ بما يقرب ١٢٧٧٤,٦ مشترك سنوياً.

٢. وهذا يعني ان المتوسط الشهري لنفس الفترة تبلغ ١٠٦٤,٦ مشترك.

٣. وعليه فإن المعدل اليومي لاعداد المشتركين يبلغ ٣٥,٥ مشترك.

هذا وقد أسهمت مديرية الكهرباء في المحافظة بإيصال الخدمات الكهربائية الى كافة الوحدات الادارية من قرى وقصبات خارج مركز المحافظة ، فقد تمكنت المديرية خلال عام ١٩٨٥ بإيصال الكهرباء الى ٦٠ قرية وفي عام ١٩٨٨ الى مايقرب ٩٥ قرية.

الماء :

كانت هناك محاولات عدة لأيصال المياه الى مدينة الموصل ، حيث كانت تنقل المياه على ظهور الحمير أو الدواب. اما الفقراء فكانوا ينقلون المياه بأنفسهم الى دورهم. وترجع هذه المحاولات الى الولاة العباسيين الذين أولوا رعاية خاصة بشق المجاري وايصال الماء الصالح للشرب ، وقد قام باجراء الماء في جوانب الموصل من قبل الحر بن يوسف عام ٧٢٤م[٢٠] بشق جدول لنقل المياه عرف بنهر الحر، وبنى الحر قصره المعروف بالمنقوشة عام ٧٢٤م.

ويجري هذا الجدول من دجلة وراء « دير مار ميخائيل » شمال مدينة الموصل بقرب موقع « قوجه مغارة » محاذياً الحاوي المعروف « بحاوي الكنيسة » حتى يصل موقع « البنجه » ثم يدخل المدينة ويوزع المياه بواسطة أنابيب من الخزف على الدور[٢١].

وفضلاً عما تقدم فإن المياه كثيراً ما كانت توزع بالقرب بوساطة الحيوانات المستخدمة والتي تتجول بين أزقة ومحلات المدينة لتوزيع المياه على تلك الوحدات السكنية او للاستعمالات العامة.

ولعدم وجود مشاريع اسالة الماء سابقاً فقد عولجت مسألة توفير المياه بحفر الأبار في البيوت لكافة الاستعمالات ماعدا مياه الشرب والطبخ التي كان يوفرها السقاة من نهر دجلة كما ذكرنا. وقد اعتاد المواصلة على نحت صندوق مجوف من حجر الحلان يسمى « المزّملة » يوضع بجانب البئر لملئه بالماء تتقدمه قطعة اخرى مجوفة من الحجارة دائرية الشكل قليلة العمق تدعى « الانجانة » تستعمل لغسل الملابس عادة[٢٢] .

وفي سنة ١٩٢٧ تأسست دائرة اسالة الماء في المدينة واخذت على عاتقها توزيع المياه على الدور حيث شيد مهندس البلدية انذاك أرشد العمري خزاناً، في أعلى جزء من المدينة على تل قليعات ثم اختار عرصة على

دجلة قرب بناية «عيسى دده» فشيد فيها بناية للمضخات ثم مد الانابيب في الشوارع والطرق العامة ثم أوصلها الى الدور والمقاهي والأماكن العامة في المدينة[٢٣].

وعليه فقد تعهدت اسالة الماء بنقل الماء، ولكن حاجة المواطنين للمياه في زيادة ملحوظة سيما بعد زيادة سكان المدينة، وتعتمد الاسالة على تحقيق خدماتها عن طريق مشروعين رئيسيين هما :

أ. المشروع الأول يقع في عين كبريت، في الجانب الأيمن من المدينة، وتقدر طاقته بـ (١٢) مليون غالون يومياً.

ب. المشروع الثاني يقع في الجانب الأيسر وتقدر طاقته القصوى بـ ٧,٥ مليون غالون يومياً.

وهناك مشروع ضخم أنجز بنسبة ٩٠٪ حيث تم تركيب مكائن الضخ العالية والمشروع جاهز للاستعمال بعد أن تربط الانابيب بالمحطة، وسينفذ هذا المشروع الجبار عندها سيحقق كافة احتياجات الساحل الايسر من المياه بل ويزيد عنها.

ومهما يكن فإن اسالة الماء في المحافظة تقدم خدمات كبيرة الى سكانها على الرغم من الطلب المتزايد عليها كما هو موضح في الجدول رقم ٦.

ويستفاد من الجدول رقم ٦ مايلي[٢٤]:

١. تعد سنة ١٩٨٨ سنة انجازات واضحة لاسالة الماء للمشتركين اذ بلغت الزيادة عما كانت عليه لسنة ١٩٨٧ بما يقرب ٣٠٤٠ مشتركاً.

٢. وهذا يعني ان المتوسط الشهري بلغ ٢٥٣,٣ مشتركاً. اي بمتوسط يومي ٨,٩ مشترك. ولاشك ان السنوات القادمة ستشهد تطوراً أكبر وذلك للاتساع المساحي للمدينة ولظهور مراكز عمرانية جديدة في اطراف الساحلين الايمن والأيسر.

هذا وقد قامت مديرية الماء والمجاري في محافظة نينوى بايصال الماء الى المناطق السكنية في المحافظة وبلغت اطوال الشبكة ٩١٣٢٠ كيلومتر[٢٥] فضلاً عن اكمال شبكات ومد خطوط اضافية للشبكات القديمة ومد خطوط للتقوية ونصب مضخات للتقوية وتحويل خطوط حسب متطلبات الاعمال فضلاً عن ايصال الماء الى المنشآت الحكومية والمدارس وغيرها، كما باشرت المديرية بانجاز مشروع ماء الساحل الايسر وبكلفة ٢٧,٥ مليون دينار.

«الجدول ٦»

تطور اعداد المشتركين في اسالة مدينة الموصل خلال الفترة الواقعة

١٩٦٨ - ١٩٨٨

السنة	عدد المشتركين
١٩٦٨	٦٢٠٠
١٩٦٩	٧١٠٠
١٩٧٠	٨٨٠٠
١٩٧١	٩٧٠٠
١٩٧٢	١٠٤٠٠
١٩٧٣	١١٥٠٠
١٩٧٤	١٣٦٠٠
١٩٧٥	١٥٣٠٠
١٩٧٦	١٧٤٠٠
١٩٧٧	١٨٧٠٠
١٩٧٨	٢١١٠٠
١٩٧٩	٣٣٣٢٠
١٩٨٠	٢٧٠١٠
١٩٨١	٥٥٦١٠
١٩٨٢	٤٢٤٤٠
١٩٨٣	٤٧٧٦٠
١٩٨٤	٤٩٩٢٠
١٩٨٥	٥٩٦٢٠
١٩٨٦	٥٦٧٥٠
١٩٨٧	٥٧٥٦٠
١٩٨٨	٦٠٦٠٠



هذا وتقدر اطوال الانابيب المنجزة للاعوام التالية ١٩٨٤ و ١٩٨٥ و ١٩٨٦ بما يقرب ١٠٣٨٥ كيلومتر.

الخدمات الصحية:

تردت اوضاع الموصل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بعد سقوطها بيد المغول سنة ١٢٦١م.وكان للاحداث السياسية والعسكرية التي تعرضت اليها منذ ١٢٦١ وحتى ١٩٢١ انعكاسات سلبية على مستوى سكانها. ولم يكن مستوى الطب متقدماً من حيث المقدرة على تشخيص الامراض وعلاجها وكان عدد المستشفيات قليلاً جداً والعناية بها محدودة. كما لم تبذل اية محاولات لتحسين التغذية العامة.[٢٦] وكان الطب يقوم في اكثر الاحيان على الادوية النباتية. وكانت اكثر الاساليب العلاجية شيوعاً انذاك الفصد والحجامة[٢٧]. ولقد تعرضت الموصل خلال العهد العثماني الى كثير من الكوارث الطبيعية كالفيضان والاوبئة والمجاعات. فعلى سبيل المثال حدثت مجاعة مهلكة في الموصل سنة ١٨٢٧ نجَمَ عنها انتشار الطاعون[٢٨]. وخلال الحرب العالمية الاولى؛ حدثت مجاعة مروعة بدأت في خريف سنة ١٩١٧ ثم تفاقمت في الشتاء. ولقد أدت المجاعة وتفسخ الجثث الى تفشي الاوبئة كالتيفوس والكوليرا والانفلونزا واستمرت حتى صيف ١٩١٨ وقضي فيها قرابة عشرة الاف نسمة[٢٩].

وبعد ظهور العراق كياناً سياسياً سنة ١٩٢١؛ وتشكيل الحكومة العراقية الاولى برئاسة عبدالرحمن الكيلاني نقيب اشراف بغداد اصبح لقضايا التعليم والصحة وزارة واحدة سميت وزارة المعارف والصحة العمومية وقد تسلم مسؤولية هذه الوزارة عزت باشا الكركوكي. وفي ١٢ ايلول ١٩٢١ اصبحت وزارة الصحة وزارة منفصلة وتولى الدكتور حنا خياط مسؤوليتها والى جانبه الكولونيل كراهام مستشاراً بريطانياً للوزارة.

وسرعان ماتطورت النشاطات الصحية في العراق عامة ففي الموصل كانت هناك على سبيل المثال حملة ضد مرض الجدري «فبعد ان كان عدد المراجعين والملقحين ٢٣٧٨ مراجعاً عام ١٩٢٤ ارتفع هذا العدد الى ١٨٠٣٦٤ مراجعاً عام ١٩٤٣[٣٠] وفي عام ١٩٤٣ انتشر مرض التيفوس وقامت الوقاية الصحية باتباع طرق علمية بفحص المرضى واجراء التحليلات المختبرية له واخبار الطبيب المعالج بالنتيجة.

وفي ١٢ حزيران ١٩٣٤ وضع الحجر الاساسي للمستشفى وافتتحت عام ١٩٣٩ بأسم المستشفى الملكي في الموصل. وبعد قيام ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ أبدلت تسمية المستشفى ليكون المستشفى الجمهوري وكانت سعتها ٢٤٠ سريراً تطورت الى ٦٠٠ سرير، وفي عام ١٩٥٩ افتتحت مستشفى الاطفال وعدد اسرتها ١٥٠ سريراً وافتتحت كلية الطب في الموصل للعام الدراسي ١٩٥٩ - ١٩٦٠ وتم قبول ١٢٣ طالباً فيها.

وتطورت الرعاية الصحية في العراق عامة وفي محافظة نينوى خاصة بعد ثورة ١٧ - ٣٠ تموز عام ١٩٦٨ التي أولت رعاية المواطن رعاية خاصة وتمثل ذلك بزيادة اعداد المراجعين في العيادة الخارجية الواقعة قرب المستشفى ٣٩١٧٣١ أرتفع الى ٤٤٠١٣٢ لكل من عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٤ على الترتيب[٣١].

وفي عام ١٩٧٤ افتتحت المستشفى العام وبلغ عدد المراجعين لنفس السنة ١٦٣٩ مراجعاً، وهناك مستشفيات عديدة في المحافظة منها: مستشفى الاطفال، الامراض الصدرية، الحميات؛ الولادة، الطب الذري، مستشفى صدام الحديثة بتجهيزاتها المتخصصة. المستشفى العام؛ الجمهوري؛ اي ان هناك ٨ مستشفيات تقوم بخدمة سكان المحافظة عامة ومركز المدينة

خاصة.

اما اطراف المحافظة فهناك مؤسسات صحية اخرى (مستشفيات) في كل من: مستشفى تلعفر، ومستشفى قره قوش، والشرقاط (التي كانت تابعة الى محافظة نينوى)، وعقرة، والشيخان، وتلكيف، وسنجار. وهناك مراكز صحية في سنوني والبعاج وبعشيقة والحضر.

كما تخدم المحافظة مراكز متخصصة في رعاية الطفولة والامومة منها: في الزنجيلي، والدواسة، واليرموك، ورعاية الحوامل في الجامعة، والصحة المدرسية في الساحل الايسر، ورعاية ١ حزيران، ورعاية الخنساء.

وتم فتح مختبر البيئة لفحص المياه والاغذية في المحافظة ومدى صلاحيتها للاستهلاك البشري وبعملية حسابية لتقويم العملية الصحية في المحافظة، شهدت المحافظة تطوراً كبيراً في الخدمات الصحية كما هو موضح في الجدول رقم ٧.

ومن الجدول رقم (٧) يمكن ملاحظة مايأتي:[٣٢]

١. تطور في اعداد الاطباء، فبعد ان كانت اعدادهم ١٤٣ عام ١٩٧٠ «بما فيهم الاطباء الاختصاص والاطباء العامين واطباء الاسنان» ارتفع هذا الرقم ليصل الى ٥٠٠ طبيب خلال عام ١٩٧٧ ليقفز هذا العدد الى ١٥١٩ طبيباً عام ١٩٨٧، معنى ذلك ان متوسط النمو السنوي «١٩٧٠ - ١٩٨٧» بلغ ٨٤,٣ طبيباً.

٢. وبفعل الوعي الصحي للمواطنين وزيادة السكان ازداد اعداد المراجعين وبالتالي ازدادت حصة الطبيب الواحد، فبعد ان كانت حصة الطبيب الواحد ١ : ٦٣٦٤ مراجعاً انخفضت هذه الحصة لتكون ١ : ١٧٨٨ مراجعاً.

٣. وهناك تطور ملحوظ في اعداد الاسرة نتيجة فتح المستشفيات المتعددة في المحافظة فبعد ان كانت ١٢٢٤ سريراً خلال عام ١٩٧٠ ارتفع هذا المؤشر ليكون ٢٨٩٧ سريراً عام ١٩٨٧.

٤. بلغ متوسط مايصيب السرير الواحد من سكان المحافظة بما يقرب ١ : ٥٥٢ مراجعاً سنة ١٩٨٧ بعد ان كان ١ : ٧٤٣ عام ١٩٧٧.

٥. وبسبب ارتفاع مستوى الوعي الصحي في المحافظة ازداد اعداد المراجعين في المستشفيات، فبعد ان كان عدد المراجعين ٢,٤٧٣ مليون ١٩٧٠ ارتفع ليكون ٢,٧٩٧ مليون مراجع خلال عام ١٩٨٧ وهو ارتفاع محدود يؤشر الى ارتفاع الوعي الصحي للمواطنين، بعبارة اخرى ان الزيادة السنوية كانت بمعدل ١٩ مراجعاً سنوياً خلال الفترة ١٩٧٠ - ١٩٨٧.

٦. اما اعداد المستشفيات فهي الاخرى تطورت وتقدمت، فبعد ان كانت (٨) مستشفيات تخدم مركز المدينة حتى عام ١٩٧٠، ارتفعت اعدادها لتصل الى (٢٣) مستشفى ١٩٨٧. أي أن الزيادة كانت ٨ أضعاف تقريباً عما كانت عليه عام ١٩٧٠ وهي نسبة عالية، اذ من المعروف ان فتح المستشفيات يتطلب الى تهيئة كادر علمي ومهني وخدمي من نوع خاص، ولذا فإن هذه القفزة تعكس اهتمام الدولة بصحة المواطن بالدرجة الاولى.

ثالثاً: النشاطات والخدمات الاجتماعية والسياحية:

ان التنمية التي استهدفتها الثورة لم تقتصر على جانب واحد من جوانب الحياة بل شملت كافة مرافق الحياة الرحبة، ومنها النشاطات الاجتماعية من أجل ان تكون عملية البناء واحدة، فالتنمية الاقتصادية بحاجة ماسة الى التنمية الاجتماعية وغير ذلك وعلى هذا فاننا سنسلط الضوء على مايأتي:

١. الجمعيات والنوادي والمؤسسات الشبابية
٢. الخدمات السياحية والترفيهية

« الجدول ٧ »

المؤسسات الصحية الخدمية في محافظة نينوى خلال ١٩٧٠ – ١٩٨٧.

	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧
أطباء	١٣٢	٢٠٨	١٧٨	٢٠٨	٢٩٧	٢٤٨	–	٢٤٣	٢٥٣	٢٩٨	٢٣٤	٤٢٨	–	–	٤٧٩	٦٩٥	٧٢٧	٧٣١
اطباء اختصاص	–	–	–	–	١٣	١٥	١٨	٣٢	٢٩	٢٩	٤٢	٤٨	٦١	٦٤	٩٣	٩٨	١٠٣	١٠٧
اطباء عامين	–	–	–	–	١٦٥	–	–	١٩٥	–	٨٣	١٩٢	١٨٥	٢٠٠	٢٤١	٢١٦	٥٧٧	٦٠٢	٦٢٤
اطباء اسنان	١١	١٧	١٢	١٤	٢٧	٢٧	٣١	٣٠	٤٠	٣٩	٧١	٤٧	٥١	٣٨	٦٥	٦٦	٦٢	٥٧
الصيادلة	١٨	١٩	٢٠	٢١	٨٤	٨٤	٩٧	٧٨	٦٥	٨٣	٧٠	٦٩	٧١	٧٤	٨٣	٩٣	١٠٤	٩١
المستشفيات	٨	٨	١١	١١	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٥	١٥	١٧	١٧	١٧	١٧	٢١	٢١	٢٣
الاسرة	١٢٢٤	١١٩٩	١٢٥٩	١٢٧٦	١٤٧٦	١٥٤٠	١٥٧٦	١٨٩٦	١٩٣١	١٩٦٦	٣٠٦٣	٢٠٩٩	٢١٢١	٢١٣٤	٢١١١	٢٢٢٣	٢٨٤٨	٢٨٩٧
المستوصفات	٢	٩	١٠	٢٠	١٩	١٤	١٦	٢٠	٢٠	٢٠	١٤	١٦	١٤	١٣	١٤	١٩	١٧	١٢
المراكز الصحية الفرعية	–	٧	٥٨	٦١	٦١	٦٥	٧١	٧٤	٧٩	٨١	٩٢	٧٠	٣٠	٥٤	٣٠	٥٩	٧٠	٥٧
المراكز الصحية الرئيسة	–	٤	٢١	٢٣	٤٣	٢٣	٢٦	٢٥	٢١	٢١	٢٣	٢٥	٢٠	٢٣	٢٣	١٧	٢٢	٢١
عدد المراجعين بالالف	٢٤٧٣	٢٥٥٤	٢٤٤٩	٢٣٧٨	٢٩١٢	٢٧٤٦	٣٦٥٨	–	–	–	٣٣٧٢	٣٣٢٢	٣٤٧٢	٢٧٥٢	٢٨٣٢	٢٨٣٤	٢٩٤٢	٢٧٩٧
ذوي المهن الصحية	١٧٥	٦٢٢	٥١٢	٦٩٠	٨٦٩	٩٩٩	١٠٢٥	١١٥٠	٨٣٨	١٠٦٦	١٣٦٦	١٣٦٦	١٣٩٥	١٥٢٠	١٥٧٩	١٩٨٧	٢٢٠٥	٢٤٨٩
الممرضات	١٥٨	١٦٢	–	–	٢٣٤	٢٦١	١٨٩	٣٠٣	٣٣٦	٣٤٢	٣٧٦	٤٢١	٤٥٢	–	٥٧٨	٥٩٩	٥٨٦	٥٨٢
المضمدين	١٣٥	١٨٤	–	–	١٨٧	٢١٠	٢١٨	٢٦٥	٢٢٨	٢٠٩	٢٢٩	٢٠٣	٢٠٤	–	٢٦٩	٣٠٨	٣٣١	٥٩٦
مراكز رعاية الامومة والطفولة	٥	٥	٥	٥	٨	٨	٩	٥	٥	٥	٩	٩	٨	٩	١١	٩	١٢	١٢
عدد التلقيحات بالالف	–	–	–	–	٨٤٥	٤٨٤	٤٣٦	–	–	–	٥٧٩	٤٦٩	٤٦٩	٦١١	٥٢٥	١٥١٩	٧٧٩	٧٢٤
عدد الصيدليات	٥٠	–	–	–	٤٩	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–

١– الجمعيات والنوادي والمؤسسات الشبابية

من اهم الجمعيات العلمية التي ظهرت في مدينة الموصل خلال الفترة التي تلت الحرب العالمية الاولى [٣٣] :

أ. جمعية العلم :

تأسست عام ١٩١٤ وكان دورها تذكرة طلبة المدارس بالدور الرائد والانساني للعرب ، ومؤسسها ثابت عبدالنور.



ب . النادي العلمي في الموصل :

تأسس في ١٩١٩ وكانت له نشاطات ثقافية. كما أصدر مجلة تحمل اسمه ونظم في مقره العديد من المحاضرات الثقافية والاجتماعية.

ج . النادي الادبي في الموصل :

تأسس في ٥ تشرين الثاني ١٩٢١ ، ومن مؤسسيه محمد رؤوف الغلامي . وكان لهذا النادي نشاطات علمية وثقافية متعددة أبرزها ، تنظيمه لحملة محو الامية في مدينة الموصل ، وفتح دورات تقوية باللغة العربية ، وعقد مناظرات وحلقات دراسية ثقافية .

وسرعان ماتسعت دائرة الاهتمام بالثقافة فظهرت جمعيات عديدة خلال الفترة من ١٩٢١ -١٩٥٨وكان من جملة المنضوين تحت لوائها عدد من المثقفين من معلمين ومحامين واساتذة وكان هدف هذه الجمعيات هو هدف اجتماعي وتهذيبي (٣٤) .

وتطورت الاوضاع بشكل تدريجي حتى اواخر العقد السادس من هذا القرن وأولت ثورة ١٧ - ٣٠ تموز عام ١٩٦٨ النشاطات الاجتماعية اهتمامها فظهرت مؤسسات متعددة الاغراض لكنها تصب في رافد واحد هو خدمة الجيل والمجتمع منها (٣٥) :

١ . الاتحاد العام لشباب العراق :

حتى نهاية الستينات لم تتوافر للقطاعات الشبابية ماينهض بها ويستثمر طاقاتها ولم تتوافر في القطر العراقي حركة شبابية تلعب دورها في استقطاب هواياتهم وتبرمج اهتماماتهم وفي ٢٧ تشرين الاول ١٩٧٢ انبثق الاتحاد العام لشباب العراق.

٢ . الطلائع والفتوة والشباب / نينوى :

وتأسست هذه المنظمة في أيلول ١٩٧٣ وذلك لخدمة الاطفال الذين تقع اعمارهم بين ٩- ١٤ عاماً وهذه المنظمة لها فروع في كافة انحاء المحافظة .

٣. اما الفتوة فتشكلت في ٨ شباط ١٩٧٨ ومهمتها استقبال الطلائع عند بلوغهم الرابعة عشر لتتواصل معهم الى سن السادسة عشر. اما منظمة الشباب فانبثقت في ٥ نيسان ١٩٨٠ ومهمتها استقبال الشباب بعد مرحلتهم العمرية : ١٤ سنة.

٤. الاتحاد الوطني لطلبة وشباب العراق / نينوى :

في ٧ شباط ١٩٨٤ تم دمج الاتحاد الوطني مع المنظمات الشبابية السابقة بمنظمة جديدة هي الاتحاد الوطني لطلبة وشباب العراق ولها فروع في كافة محافظات القطر وخلال السنة ١٩٩١ فك الدمج.

٥. مديرية الشباب : وهي تابعة الى وزارة الشباب ومرتبطة بمديرية الشباب العامة تأسست عام ١٩٧٠ وتقوم بتنفيذ الخطط لاعداد الشباب اعداداً قومياً ويتفرع منها :

أ. مركز شباب الموصل
ب. مركز شباب الثورة
ج. مركز شباب حي المثنى.
د. مركز شباب تلعفر.

وجميع هذه المراكز هدفها رفع القدرات الشبابية في المجالات الثقافية الادبية والشعرية والخطابية والمجالات الرياضية على اختلاف تخصصاتها والمجالات الفنية بتشكيل فرق فنية ومسرحية وموسيقية واقامة المعارض من خياطة وتطريز للاناث واقامة المعسكرات لتدريب الشباب وخلق ملاكات وطنية لها القدرة في بناء حاضرهم وكذلك تشجيع الهوايات العلمية باختصاصاتهم المتعددة. ومن أهم الاندية الرياضية في المحافظة.

١ . نادي الموصل الرياضي.
٢ . نادي الفتوة الرياضي.
٣ . نادي المثنى الرياضي.



وتمارس هذه الاندية النشاطات الرياضية وهناك فروع لها في الاقضية. وجميع هذه الفروع تقع ضمن إشراف المديرية المرتبطة باللجنة الاولمبية الوطنية العراقية التي تعمل على دعم هذه المؤسسات الرياضية والتي من شأنها رفع المستوى الرياضي في العراق.

وبالاضافة الى ماتقدم فهناك جمعيات علمية متخصصة في المحافظة تقوم بنشاطات علمية بين اعضائها ومنها على سبيل المثال لا الحصر. الجمعية الجغرافية، اتحاد الادباء والكتاب، جمعية المحاربين، جمعية المؤرخين والاثاريين، وغيرها.

٢- الخدمات السياحية والترفيهية :

وتشمل المؤسسات السياحية والترفيهية في مدينة الموصل، وهي عديدة وبمقدورها ان تلبي كل احتياجات السياح الذين يفيدون المحافظة خلال ايام السنة دون انقطاع عامة او خلال المناسبات الوطنية والاعياد الرسمية والعطل وقد وزعت هذه الخدمات على المدينة، بساحليها الايمن والايسر. ولاجل ايصال ومراقبة هذه الخدمات بشكل صحي سليم قسمت مدينة الموصل الى ستة اقسام تخضع للمراقبة والتفتيش الصحي وهذه المراكز هي :

١. الساحل الايمن :

وتخدمه الاقسام التالية : الاولى والثانية والثالثة والخامسة

٢. الساحل الأيسر.

ويخدمه قسمين هما : القسم الرابع والسادس كما في الجدول رقم ٨.

(الجدول ٨)

المؤسسات الغذائية في مدينةالموصل للساحلين الايمن والايسر خلال ١٩٨٩ *

	الاستعمال	القسم الأول	القسم الثاني	القسم الثالث	القسم الرابع	القسم الخامس	القسم السادس	المجموع
١.	الاستعمال الغذائي							
	المطاعم	٦٩	٢٦	—	٣٧	٢٦	٧٠	٢٢٨
	الكباب والمشويات	١٥	٢٧	٢٥	١٧	—	—	٨٤
	الساندويج	١٧	٣٤	١٦	١٨	١٣	—	٩٨
	الباجة	٨	٤	٤	٣	—	١	٢٠
	تشريب	٤	—	٣	—	—	—	٧
	المجموع	١١٣	٩١	٤٨	٧٥	٣٩	٧١	٤٣٧
٢.	الافران والمخابز							
	فرن صمون	٥	١٥	٦	١٥	٢	٩	٥٢
	فرن لحم بعجين	١٢	١٢	٦	٨	٧	—	٤٥
	فرن خبز عربي	—	—	٣	٢	٧	—	١٢
	فرن كيك	٥	—	١١	٨	٦	٩	٣٩
	فرن خبز	٣	١٥	٦	٥	—	٩	٣٨
	فرن قلي وشوي	—	—	—	١	—	—	١
	المجموع	٢٥	٤٢	٣٢	٣٧	٢٢	٢٧	١٨٥

* من عمل وحساب الباحث اعتماداً على الدراسة الميدانية، ومراجعة السجلات المتفرقة لكل مركز في مركز صحة المدينة خلال تموز ١٩٨٩.

الجانب الايمن : يشمل الأقسام : الاول والثاني والثالث والخامس.

الجانب الايسر: يشمل القسمين : الرابع والسادس



ومن الجدول رقم ٨ يمكن ملاحظة مايأتي :

اولاً : المؤسسات السياحية الخدمية الغذائية :

١. ان العدد الاجمالي لها «وتشمل مطاعم الكباب والسندويج والباجة والتشريب» ب (٤٣٧) خلال عام ١٩٨٩ وتوزعت بين الساحلين للمدينة.

حظي الساحل الايمن من المدينة باعداد بلغت ٢٩١ مؤسسة خدمية وهي تمثل ٦٦,٦٪ في حين حظي الساحل الايسر على عدد ١٤٦ وتمثل ٣٣,٤٪ من اجمالي اعدادها. مما يؤكد ان مركز المدينة يقوم بجذب السيّاح اليها دون المناطق الاخرى.

٢. تركز المحلات التي تبيع الكباب والمشويات في الساحل الايمن وبلغ عددها ٦٧ محلاً يمثل ٨٠٪ من اجمالي اعدادها البالغة ٨٤ في كافة انحاء المدينة. في حين بلغ اعدادها في الساحل الايسر ١٧ محلاً يمثلون نسبة ٢٠٪ من اجمالي اعدادهم.

٣. اما محلات السندويج «الاكلات الخفيفة» تركزت في الساحل الايمن باعداد ٨٠ وحدة بيع اي بنسبة ٨١٪ من اجمالي اعدادها ٩٨ وحدة ، في حين حظي الجانب الايسر ب ١٨ وحدة وهي تمثل ١٩٪ من اجمالي اعدادها.

٤. وتركزت محلات بيع الباجة في الساحل الايمن وبلغ عددها ١٦ محلا اي بنسبة ٨٠٪ من اجمالي اعدادها البالغة ٢٠ وحدة ، وحظي الساحل الأيسر ب (٢٠٪) من اجمالي اعدادها.

٥. وتخصص بيع التشريب بشكل ملحوظ وبنسبة ١٠٠٪ من اجمال اعدادها البالغة ٧.

اما الافران والمخابز فنلاحظ ان هناك توزيعاً جغرافياً متبايناً ، ويمكن الاستفادة من الجدول رقم (٨).

١. ان العدد الاجمالي لكافة الافران والمخابز على اختلاف تخصصاتها الوظيفية بلغ ١٨٥ وحدة وظيفية ، حظي السّاحل الايمن من المدينة ب ١٢١ وحدة وهي تمثل نسبة ٦٥٪ من اجمالي اعدادها ، في حين حظي الجانب الايسر بعدد ٦٤ وبنسبة ٣٥٪ من اجمالي اعدادها عام ١٩٨٩.

٢. ويلاحظ ان الساحل الايمن من المدينة جذب نحوه اكبر الاعداد من الوحدات العاملة في «لحم بعجين والخبز العربي» وبلغ اعدادها ٣٧ و ١٠ وبنسبة ٨٢ و٨٣٪ من اجمالي اعدادها البالغة ٤٧ لعام ١٩٨٩. في حين حظي الساحل الايسر بعدد من الوحدات ٨ و ٢ على الترتيب وهي تمثل نسبة ١٨ و ١٧٪ على التوالي .

٣. وجاءت اعداد الافران (المخابز) فحظي الساحل الايمن ب ٢٤ مخبزاً اي بنسبة ٦٣٪ من اجمالي اعدادها البالغة ٣٨ ، ويخدم الساحل الايسر ١٤ مخبزاً اي بنسبة ٣٧٪ من اعداها.

كما ويلاحظ ان هناك توزيعاً خاصاً في عرض المرطبات والمثلجات ومراكز المشروبات الكحولية والمقاهي (الصيفية الموسمية والشتوية المغلقة) والملاهي فانها تتركز في مناطق معينة من المدينة دون غيرها كما هو واضح في الجدول رقم ٩ :

ومن هذا الجدول نلحظ مايأتي

١. ان مركز المدينة في الساحل الايمن ظل محافظاً على تصدره بقية المناطق الاخرى في الساحل الأيسر، وتمثل ذلك بما احتوى على عدد من محلات المرطبات –على اختلاف انواعها كما وردت في الجدول– بلغت ٩٩ وحدة في حين حظي الساحل الايسر على ٥٧ وحدة وهما يمثلان نسبة ٦٣,٨ و ٣٦,٢٪ على التوالي من اجمالي اعدادها العامة والبالغة ١٥٦ للمرطبات والشربت والمثلجات وحدة خلال سنة الدراسة ١٩٨٩.

٢. كما يفهم ان عدداً كبيراً من بائعي المرطبات تجمعوا في الساحل الايمن وبلغ عددهم ٨١ وحدة وهي تمثل نسبة ٦١٪ من اجمالي اعدادها والبالغة ١٣٣ ؛ في حين حظي الساحل الايسر على ٥٢



(الجدول ٩)

توزيع المرطبات والمثلجات والمقاهي والملاهي والمشروبات الكحولية ومحلات بيع اللحوم ١٩٨٩ [٣٦].

	الوظيفة	القسم ١	القسم ٢	القسم ٣	القسم ٤	القسم ٥	القسم ٦	المجموع
١.	المرطبات	٢٩	٣١	١٤	٢٨	٧	٢٤	١٣٣
	الشربت والمثلجات	–	–	١	–	١٠	٥	١٦
	معمل ثلج	–	٤	١	–	–	٢	٧
	معمل البان	–	١	–	٢	–	١	٤
	معمل بيرة	–	–	–	١	–	–	١
	معمل خمور	–	–	–	–	١	–	١
٢.	محلات اللحوم							
	تقطيع اللحوم	–	٣					٣
	وكالة بيع الدجاج	٣	١	١	١			٦
	الجزارون	٤٧	٧٣	٦٨	٣٩	٢٦	٣٥	٢٢٨
	علاوي الاسماك	–	–	١	–	–	–	

الجانب الايمن : يشمل القسم الاول والثاني والثالث والخامس

الجانب الأيسر: القسم الرابع والسادس.

وحدة وهي تمثل نسبة ٣٩٪ من اجمالي اعدادها البالغة ١٣٣ وحدة.

٣. اما بقية الاصناف الاخرى فجاءت متقاربة بعضها مع البعض نسبياً.

٤. وتركز اعداد الجزارين في الجانب الايمن من المدينة وبلغ عددهم ٢١٤ قصاباً اي بنسبة ٧٥٪ من اجمالي اعدادهم البالغين ٢٨٨ قصاباً. في حين حظي الساحل الايسر على ٧٤ قصاباً اي بنسبة ٢٥٪ من اجمالي اعدادهم خلال سنة ١٩٨٩.

٥. اما محلات (علاوي) الاسماك فهناك علوة واحدة رئيسة تقع في الجانب الايمن اي ان هذا الجانب حظي على ١٠٠٪ من هذا النشاط.

ومن الجدول (رقم ١٠) نلاحظ مايأتي:

١. جاء توزيع النوادي بشكل متقارب اذ حظي كل من نوادِ الجانبين الايمن والايسر من المدينة بـ ٥ و ٦ وهي تمثل نسبة ٤٥ و ٥٥٪ على الترتيب من اجمالي اعدادها البالغة ١١ نادياً.

٢. في حين جذب مركز المدينة، والذي يخدمه اربعة اقسام كما جاء ذلك في تصنيف صحة مدينة الموصل، جذب عدداً كبيراً من الفنادق بلغ تعدادها ١٠٨ فندقاً وهي تمثل نسبة ٩٢٪ من اجمالي اعدادها والبالغة ١١٦ فندقاً في حين حظي الجانب الايسر بعدد من الفنادق بلغت ٩ اي بنسبة تساوي ٨٪ من اجمالي اعدادها.

٣. وجاء الجانب الايسر ليحظى وبشكل متميز على كل الدور السياحية والبالغة ٣٥ داراً اي بنسبة ١٠٠٪ وذلك لتوفر المناشط السياحية فيه من غابات وشلالات، وغير ذلك.

٤. اما محلات التجميل العامة (الرجالية والنسائية) فجاء توزيعها كالآتي:

أ. بلغ عدد محلات الحلاقة للرجال في المدينة ٢٠٨ محلات حظي الجانب الايمن على عدد كبير منها ١٥٠ محلاً اي بنسبة ٧٢٪ من اجمالي

(الجدول ١٠)

الفنادق وصالونات التجميل ومراكز اللهو في مدينة الموصل ١٩٨٩*.

.	الوظيفة	القسم الأول	القسم الثاني	القسم الثالث	القسم الرابع	القسم الخامس	القسم السادس	الايمن	الايسر
١.	الفنادق والنوادي :								
	النوادي	–	٥	–	٤	–	٢	٥	٦
	الفنادق	٧٤	٢٩	–	٧	٤	٢	١٠٧	٩
	الدور السياحية	–	–	–	٣٥	–	–	–	٣٥
٢.	صالونات التجميل والحمامات :								
	حلاقة للرجال	٤٠	٤٥	٣١	٢٢	٣٤	٣٦	١٥٠	٥٨
	حلاقة للنساء	٧	١١	١٢	٣٠	٦	٤	٣٦	٣٤
	حمام شعبي	٧	٦	٣	–	١	٢	١٧	٢
٣.	مراكز اللهو :								
	السينما	٣	٩	–	–	–	–	١٢	–
	الملاهي الفنية	٢	١	–	–	–	–	٣	–
	المقاهي «الداخلية»	٦٠	٧٩	٣٥	٣١	٣٥	٤٢	٢٠٩	٧٣
	مدينة الالعاب	–	–	–	١	–	–	–	١
	المقاهي الصيفية الموسمية	٤	٢	٢	٢٣	–	–	٨	٤٣
٤.	المشروبات الكحولية :								
	معمل بيرة	–	–	–	١	–	–	١	–
	معمل خمور	–	–	–	–	١	–	١	–

من عمل وحساب الباحث اعتماداً على الدراسة الميدانية ، والمسح لمنطقة الدراسة خلال تموز ١٩٨٩. والسجلات المتفرقة في دائرة صحة مدينة الموصل.

الجانب الايمن : يشمل الأقسام : الاول والثاني والثالث والخامس.

الجانب الايسر: يشمل القسمين : الرابع والسادس

اعدادها ، وتمتع الجانب الايسر بـ ٥٨ محلاً وبنسبة ٢٨ ٪ من اعدادها الكلية.

ب. اما اعداد محلات حلاقة النساء ، فجاء توزيعها وبشكل متقارب ، اذ حظي كل من الجانبين للمدينة بـ ٣٦ و ٣٤ للساحلين الايمن والايسر على الترتيب وبنسب ٥١ و ٤٩ ٪ من اجمالي اعدادها البالغة ٧٠ محلاً على التوالي.

جـ. اما الحمامات فقد حظي مركز المدينة (الجانب الايمن) ، بالعدد الأوفر اذ بلغ تعدادها على ١٧ حماماً اي بنسبة ٨٩ ٪ من اجمالي اعدادها والبالغة ١٩ حماماً ، في حين كانت من حصة الجانب الايسر (٢) حمامين اي بنسبة ١١ ٪ من اعدادها العامة.

٥. في حين ان مراكز التسلية موزعة حسب النمط الوظيفي الذي يؤدي ذلك النشاط وهي كالاتي :

أ. جاءت كل من دور السينما والملاهي متركزة في الجانب الايمن من المدينة (الدواسة) وبلغت اعدادها ١٢ و ٣ حسب الترتيب وبنسبة ١٠٠ ٪ من اعدادها العامة في المدينة

ب. اما المقاهي وهي المتنفس المهم لسكان المدينة ، وتنقسم المقاهي الى نمطين هما :

١. المقاهي الداخلية «الشتوية» اي المغلقة اذ تتوافر فيها التدفئة شتاءً والهواء المبرد صيفاً ، فقد حظي الجانب الايمن باكبر الاعداد ، وبلغت ٢٠٩ مقاهٍ اي بنسبة ٧٣ ٪ من اجمالي اعدادها في المدينة والبالغة ٢٨٢ مقهى خلال تموز ١٩٨٩.

٢. المقاهي الصيفية (الموسمية النشاط) وهي الواقعة على ساحات مكشوفة او على صفاف نهر دجلة وبلغ تعدادها ٣١ مقهى خلال فترة الدراسة ، وحظي الجانب الايمن بـ ٨ مقاهٍ اي بنسبة ٢٦ ٪ من اجمالي اعدادها ، في حين تركز اعداد كبيرة منها في الجانب الايسر بعدد ٢٣ مقهى اي بنسبة ٧٤ ٪ من اجمالي اعدادها عام ١٩٨٩.

جـ. اما مدينة الالعاب السياحية فقد تركزت



في الجانب الأيسر من المدينة وبموقعها الجغرافي الناجح وعلى ضفة نهر دجلة في حين لم يكن للجانب الايمن اية مثيل لهذه الوظيفة السياحية.

د. اما المعامل المنتجة للمشروبات الكحولية ، فقد وزعت مناصفة لكل من الجانبين تماماً اذ وصل كل منها على معمل واحد اي بنسبة ٥٠٪ تماماً.

والجدول رقم ١١ يفصح عن الملاحظات التالية :

١. حظي الجانب الايمن من مركز المدينة على معظم الخدمات الوظيفية وتراوحت مابين ٥٠-١٠٠٪ من اجمالي الوظائف كما هو الحال في كل من معامل الجبس والقهوة مثلاً وعلى الترتيب.

السنة في حين حظي الجانب الايسر على عدد من المحلات بلغت ٦ محلات اي بنسبة ٢٤٪ من اجمالي اعدادها.

٣. اما المحلات التي تخصصت بوظيفة تجهيز المواد الغذائية ومعامل التموين فكانت هي الاخرى متركزة في الجانب الايمن وبنسبة ٨٣ و ٧٥٪ على الترتيب وهي كالاتي :

أ. حظي الجانب الايمن على عدد كبير من محلات تجهيز المواد الغذائية بلغت ٢٥ محلاً اي بنسبة ٨٣٪ من اجمالي اعدادها البالغة ٣٠ محلاً في حين تواجد عدد منها في الجانب الايسر بلغ ٥ محلات اي بنسبة ١٧٪ من اجمالي اعدادها.

(الجدول ١١)

بعض الخدمات الغذائية الوظيفية في مدينة الموصل ١٩٨٩ [٣٧]

	الوظيفة	القسم ١	القسم ٢	القسم ٣	القسم ٤	القسم ٥	القسم ٦	المجموع
١.	محلات الحلويات	٩	-	١٠	٦	-	-	٢٥
٢	معمل حلويات	١٤	٣٢	-	٤	٤٢	٣	٩٥
٣.	تجهيز المواد الغذائية	-	-	٢	٣	١٣	٢	٢٠
٤.	معمل التموين المنزلي	-	٢	١	١	-	-	٤
٥.	محلات الطرشي	٦	١١	٥	١	٦	١	٣٠
٦.	معمل جبس	-	-	١	١	-	-	٢
٧.	معمل قهوة	١						١

٢. اما معامل الحلويات فقد حظي الجانب الايمن على عدد كبير بلغت ٨٨ معملاً اي بنسبة ٩٣٪ من اجمالي اعدادها والبالغة ٩٥ خلال عام ١٩٨٩ ؛ في حين انخفضت هذه الاعداد في الجانب الايسر لتصل الى ٧ معامل وهي تمثل نسبة ٧٪ من اجمالي اعدادها.

اما المحلات الخاصة بالحلويات فنجد انها تركزت في الجانب الايمن بعدد ١٩ محلاً اي بنسبة ٧٦٪ من اجمالي اعدادها البالغ ٢٥ محلاً لنفس

ب. اما معامل التموين المنزلي ، فقد تركزت في الجانب الايمن بعدد ٣ أي بنسبة ٧٥٪ من اجمالي اعدادها ٤ ، في حين كان عددها في الجانب الايسر ١ أي بنسبة ٢٥٪ من اجمالي اعدادها.

٤. اما محلات الطرشي فقد تركز وجودها في الجانب الايمن بـ(٢٨) محلاً اي بنسبة ٩٣٪ من اجمالي اعدادها ، في حين حظي الجانب الايسر بعدد (٢) أي بنسبة ٧٪ من اعدادها البالغة ٣٠ محلاً .

الهوامش

١. سعيد الديوه چي : «الموصل في العهد الاتابكي» ، مطبعة شفيق ، بغداد ١٩٥٨ ، ص٧٣

٢. المصدر نفسه ، ص ٧٤ .

٣. كوركيس عواد : «مدينة الموصل» ، مديرية الآثار العامة ، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٥٩ ، ص٨.

٤. المصدر نفسه .

٥. احمد الصوفي : «الاثار والمباني العربية الاسلامية في الموصل» ، المطبعة العلمية ، حلب ، دون سنة طبع ، ص١١.

٦. من عمل وحساب الباحث اعتماداً على البيانات التالية :
أ. وزارة النقل والمواصلات ، المؤسسة العامة للبريد والبرق والهاتف التقرير السنوي لعام ١٩٨٣» ، بدلالة جدولي رقم ٢ و ٣ على صفحتي ٥٥ و ٥٩ على الترتيب.
ب. المصدر نفسه ، التقرير السنوي لسنة ١٩٨٥ بدلالة جدول رقم ٢ ص٩١.
حـ. المصدر نفسه ، التقرير السنوي لسنة ١٩٨٧ بدلالة جدول رقم ١ ص ٦٢.

٧. الجمهورية العراقية وزارة النقل والمواصلات ، المنشأة العامة للاتصالات والبريد ، قسم التخطيط والمتابعة ، وحدة الاحصاء ، «التقرير السنوي ١٩٨٧» الدار العربية للطباعة ، بغداد ، بدلالة جدول ٢ ص٦٣.

٨. نمير طه ياسين :«بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩-١٩١٤» رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية ، الدراسات التاريخية ١٩٨٤ ، ص٦٥.

٩. الجمهورية العراقية ، وزارة النقل والمواصلات ، المنشأة العامة للاتصالات والبريد ، «التقرير السنوي ١٩٨٧» ، قسم التخطيط والمتابعة ، وحدة الاحصاء ، الدار العربية للطباعة ١٩٨٨ ، ص٤٧.

١٠. جريدة الجمهورية العراقية العدد ٧١٤٩ في ١٤ نيسان ١٩٨٩ ، بغداد ، ص ١٠ .

١١. عبدالجبار محمد جرجيس : «نينوى في عامين ١٩٨٤-١٩٨٥» الموصل ١٩٨٦ ، ص١١٧.

١٢. الجمهورية العراقية ، وزارة النقل والمواصلات ، المصدر السابق ، ص٥٢.

١٣ الجدول من اعداد الباحث : اعتماداً على وزارة النقل والمواصلات ، التقرير السنوي ١٩٨٣ ، ص١٨. والتقرير السنوي ١٩٨٥ ، ص٣٢. والتقرير السنوي ١٩٨٧ ، ص٤١ اما بالنسبة للكثافة الهاتفية فهي من حساب الباحث وكما يلي :
الكثافة الهاتفية= عدد الهواتف لكل ١٠٠ شخص.

١٤. د. عامر سليمان واخرون : «محافظة نينوى بين الماضي والحاضر» ، محافظة نينوى ، الحكم المحلي ، مهرجان الربيع ، الموصل ١٩٨٦ ، ص٣٦.

١٥. المصدر نفسه .

١٦. جريدة الجمهورية ، المصدر السابق ، ص١٠ .

١٧. احمد علي الصوفي : «تاريخ بلدية الموصل» ، مطبعة الجمهور ، الموصل ١٩٧٠ ، ص٤٠.

١٨. عبدالجبار محمد جرجيس : «دليل الموصل السياحي» محافظة نينوى ، مطبعة الجمهورية ، الموصل ١٩٧٥ ، ص٤٥٢.

١٩. الكهرباء الوطنية في محافظة نينوى قسم التخطيط والمتابعة ، سجلات متفرقة.

٢٠. احمد علي الصوفي : «حكايات الموصل الشعبية» ، مطبعة الرابطة ، بغداد ١٩٥٣ ، ص٨.

٢١. احمد علي الصوفي : «تاريخ بلدية الموصل» الجزء الاول ، مطبعة الجمهورية ، الموصل ١٩٧٠ ، ص١٨.

٢٢. د. عامر سليمان واخرون : المصدر السابق ، ص١٥٢.

٢٣. د. جعفر خصباك : «العراق في عهد المغول الايلخانيين» ، بغداد ١٩٦٨ ، ص٢١٩.

٢٤. المنشأة العامة للمجاري ، اسالة المياه ، محافظة نينوى ، سجلات متفرقة

٢٥. د. عامر سليمان واخرون : المصدر السابق ، ص ص٣٤٧-٣٤٨.

(٢٦) انظر : خصباك ، المصدر السابق ، ص٢٠٩.

(٢٧) عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الاول ، بغداد ، ١٩٤ ؛ ص٤٣٧.

(٢٨) للتفاصيل انظر: ستيفن همسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط ، ط٥ ، (بغداد ، لا.ت) ، ص ص١١٩- ٣٠٠.

(٢٩) للتفاصيل : انظر: ابراهيم خليل احمد ، ولاية الموصل : دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨- ١٩٢٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب بجامعة بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ص٢٠٦ - ٢٢١.

(٣٠) موسيس دير هاكوبيان ، حالة العراق العلمية في نصف قرن ، دار الحرية ، سلسلة دراسات رقم ٢٦٠ ، بغداد ١٩٨٠ ، ص٢٠٠

(٣١) عبدالجبار محمد جرجيس ، المصدر السابق ، ص٢١٦

(٣٢) من عمل وحساب الباحث.

(٣٣) ابراهيم خليل احمد ، الجمعيات والنوادي الثقافية والاجتماعية ، موسوعة حضارة العراق ، الجزء ١٣ ، دار الحرية ، بغداد ١٩٨٥ ، ص١٤٨.

(٣٤) المصدر نفسه ، ص١٥٥

(٣٥) الاتحاد الوطني لطلبة وشباب العراق ، لمحات من تاريخ الحركة الطلابية والشبابية في العراق ، مطبعة دار القادسية ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص١٢٢.

(٣٦) من عمل وحساب الباحث اعتماداً على الدراسة والمسح الميداني ، ومراجعة السجلات المتفرقة في صحة مدينة الموصل خلال شهر تموز ١٩٨٩.

(٣٧) المصدر نفسه



خطط مدينة الموصل منذ مطلع القرن العشرين

داود سليم عجاج

تمهيد :

يتناول المبحث خطط مدينة الموصل المعاصرة بعد عام ١٩١٤ وحتى عام ٢٠٠٠ . وللتطورات السريعة التي طرأت على خطط المدينة خاصة في السنوات الأخيرة من حيث نموها السكاني، وتوسعها المساحي وانماط شبكة الشوارع وقطع الاراضي والابنية واستعمالات الارض المختلفة فقد امكن تمييز اربع مراحل مورفولوجية خلال هذه الفترة التاريخية . وقد اتفقت مراحل تطورها العمراني مع التعدادات السكانية الرسمية التي أُعتمد عليها في تحليل مختلف التغيرات والتطورات التي أسهمت في تشكيل معالم خطة المدينة :

المرحلة المورفولوجية الاولى	١٩١٤ - ١٩٤٧
المرحلة المورفولوجية الثانية	١٩٤٧ - ١٩٥٧
المرحلة المورفولوجية الثالثة	١٩٥٧ - ١٩٧٧
المرحلة المورفولوجية الرابعة	١٩٧٧ - ٢٠٠٠

المرحلة المورفولوجية الاولى ١٩١٤ - ١٩٤٧

موضع المدينة :

كانت مدينة الموصل خلال هذه المرحلة حيزاً حضرياً يحيط اطرافه بقايا السور القديم الذي هدم معظمه عام ١٩١٤[1] . ويطل القسم الاعظم من المدينة بصورة مباشرة على جانب نهر دجلة الأيمن بحيث اصبح هذا الموضع فريداً ، فهو يرتفع عن مستوى النهر وينتهي بحافات عالية مما يوفر لها الحماية الطبيعية ضد اخطار الفيضان فكان موضعاً ملائماً جداً للنمو الحضري. وتبدو للناظر القادم من الجانب الايسر ان نهر دجلة يلتف حولها مما اسبغ عليها أحد مسمياتها (الحدباء).

وكان هناك تجمعاً سكانياً صغيراً على الجانب الايسر يبعد عن المدينة المسورة بحدود كيلومترين متمثلاً بمنطقة النبي يونس . لذا يمكن القول ان المدينة الحالية نشأت من نواتين هما الموصل القديمة ومنطقة النبي يونس.

شكل المدينة :

كان شكل المدينة لغاية عام ١٩٣٤ شبه دائري طبقاً لمسار محيط السور (الخارطة المرفقة) وبسبب انتفاء قيمته التحصينية فقد تم هدمه كلياً مما فسح المجال للحيز المكاني ان يمتد بمختلف المحاور خلال السنوات الأخيرة من هذه المرحلة خارج مسار السور، ولم يتغير بذلك شكل النمو المساحي العام للمدينة الا قليلاً إذ كان من نوع النمط التراكمي حيث تم على المساحات الشاغرة داخل المدينة المسورة وكذلك عند مشارفها[2] .



المنطقة المبنية من مدينة الموصل حتى ١٩١٤ .

مساحة المدينة :

غطت حدود بلدية الموصل في هذه المرحلة مساحة ٣٥كم٢ تقريباً وهي المساحة التي تخضع للقوانين البلدية ، إلا أن حدود المدينة المبنية اقتصرت على مساحة صغيرة منها شملت على مايطلق عليه حالياً المدينة القديمة والتي تقدر مساحتها بـ ٢١٥ هكتار اي (٢,١٥)[٣]كم٢ مضافا اليها ٠,٥٥كم٢ من الاراضي التي كانت شاغرة في شمال وشرق المدينة المسورة متمثلة باراضي الميدان والشيخ فتحي وتل كناس ، وبذا تكون المساحة المبنية داخل السور بحدود ٢,٧كم٢ . وقد خرج اطار النمو المساحي عن سور المدينة في السنوات الاخيرة من هذه المرحلة بامتدادات حضرية نطاقية شملت كل المحاور وبمساحة بلغت ٢كم٢ فاصبحت المنطقة المبنية على الجانب الايمن بحدود ٤,٧كم٢ اما الجانب الأيسر فكان يشمل في بداية المرحلة مساحة تقدر بـ ٠,١كم٢ توسعت الى ٠,٤كم٢ في نهاية المرحلة . وبذا يكون صافي مساحة المناطق المبنية في المدينة بحدود ٥,١كم٢ نهاية هذه المرحلة .

السكان :

قدر عدد سكان مدينة الموصل بحدود ٩٨,٠٠٠ نسمة حسب احصاء النفوس العراقية الذي جرى للفترة ١٩٢٢ - ١٩٢٤[٤] . اما نتائج التسجيل لعام ١٩٢٧ - ١٩٢٩ فقد حدد سكان المدينة بـ (٧٩٨٤٢) نسمة[٥] واذا اعتمدنا على الاحصاء الاخير على انه التقدير الأحدث عهداً للنصف الاول من هذه المرحلة والتي كانت المدينة فيه مقتصرة الى حد كبير على المدينة القديمة بمساحتها البالغة (٢١٥) هكتاراً فان الكثافة السكانية ستكون بحدود (٣٧١) نسمة في الهكتار وهذه تعد من الكثافات السكانية العالية جداً لان ما يصيب الفرد الواحد يقدر بـ (٢٧)م٢ من الأرض الحضرية .

وقد نما سكان المدينة في نهاية المرحلة حتى وصل عددهم الى (١٣٢٧٤٦)[٦] نسمة عام ١٩٤٧ أي ان مقدار الزيادة عن احصاء عام ١٩٢٧ مايقارب (٥٢٩٠٤) نسمة وبلغت نسبة الزيادة السنوية بحدود ٢,٧ ٪ مما انبثق عليه الحاجة الى تطوير المناطق الزراعية القليلة الارتفاع الواقعة شمال وجنوب موضع المدينة القديمة . وكذلك ظهرت الحاجة الى تطوير الجانب الأيسر من النهر ، والتوسع في هذا الجانب يتطلب مواجهة خطر الفيضان الذي يسببه كل من نهر دجلة ووادي الخوصر .

وهنا لابد من الاشارة الى ان محلات المدينة القديمة إستحوذت على معظم سكان المدينة بواقع ١٠٦,٥٥٩ نسمة من أصل ١٣٢٧٤٦ نسمة أي بنسبة ٨٠ ٪ من المجموع الكلي للسكان .

استعمالات الارض :

اهم الاستعمالات التي شكلت النسيج الحضري لمدينة الموصل هو الاستعمال السكني والنقل والتجارة والصناعات الحرفية والخدمات الدينية والتعليمية .

اولاً : الاستعمال السكني :

أ- المحلات السكنية :

كانت المدينة تتألف من المحلات السكنية القديمة والمحلة السكنية تتكون من تجمعات للبيوت الموصلية التقليدية ، وكانت تستند على العوامل الاجتماعية بالدرجة الرئيسية كالمذهب والعشيرة . وقد انتظمت هذه المحلات بهذا الاسلوب بحيث كانت لها خصوصية مستقلة ومنفصلة عن المحلات الاخرى بالطرق الرئيسية ، واجزاء كل محلة ترتبط بأزقة غير نافذة وبالطرق الحلقية . وتمثل المحلة وحدة حضرية ضمن تركيب المدينة ولها القابلية على اشباع الحاجات الاقتصادية والاجتماعية الأساسية لسكنة المحلة .



وقد أظهر المسح الذي قام به Rittemdsterk الألماني عام ١٩١٧ أن المدينة كانت تتألف من ٣١ محلة داخل السور باستثناء محلة عمر المولى (شيخ عمر حالياً) وكانت تضم ايضاً منطقة باب الطوب خارج حدود السور فضلاً عن ظهور بوادر التوسع في منطقة النبي شيت والعكيدات ومحلة باب الجديد والى الجنوب من المناطق الاخيرة كانت تنتشر البساتين تتخللها بعض الدور المستقلة.

وبعد الحرب العالمية الاولى ونتيجة للاستقرار النسبي ونمو السكان فقد بُدئ بتعمير الاراضي الشاغرة داخل المدينة القديمة واستمر توسعها خارج محيط السور حتى اصبح عدد المحلات السكنية ٤٣ محلة عام ١٩٤٧ منها ٤١ محلة على الجانب الأيمن تضم المحلات القديمة الى جانب المحلات الجديدة وهي محلة النبي شيت والعكيدات والمحطة والغزلاني [٧] وبلغ مجموع عدد سكانها ١٩,٩٢٧ نسمة، كما اكتملت عمرانياً وسكانياً كل من محلة الشيخ فتحي ومحلة المشاهدة وباب الطوب وباب السراي والتي كان لكل منها نواة منذ عام ١٩١٧. وقد افرزت محلة باب البيض الى محلتين محلة باب البيض الشرقي ومحلة باب البيض الغربي، كما بوشر بافراز اراضي منطقة الدواسة في نهاية هذه المرحلة.

اما الجانب الأيسر فظهرت فيه لأول مرة محلتا نينوى الشمالية والفيصلية وبلغ سكانها (٦٢٦٠) نسمة عام ١٩٤٧ وهو المجموع الكلي لسكان الجانب الايسر انتشروا على مساحة (٤٠) هكتاراً بحيث ان مايصيب الفرد الواحد بحدود (٦٤) م^2 وهو افضل كثيراً مما عليه الحال في المدينة القديمة (٢٧) م^2.

واخيراً يمكن القول ان الغالبية العظمى من سكان المدينة كانوا يتركزون في الجانب الأيمن بنسبة ٩٥,٣٪ في حين لم يساهم الجانب الايسر سوى ٤,٧٪ من المجموع الكلي لسكان المدينة. وان التوسع العمراني لهذه المدينة تم بصورة تدريجية ابتدأ باعمار الاراضي الشاغرة ضمن المدينة القديمة ثم تحول باتجاه الاراضي الواقعة خارج آثار السور القديم.

ب- نمط قطع الأراضي:

قطع الاراضي ضمن هذه المرحلة تتألف بالدرجة الاساسية من القطع السكنية للبيوت الموصلية التقليدية وقطع الأراضي المشيدة عليها العمائر الدينية والمحلات والخانات التجارية والابنية الحكومية.

وبالامكان ان نميز نمطين من الأراضي:

- النمط القديم (التقليدي):

وهو النمط المسيطر خلال هذه المرحلة واتصف بما يأتي:-

- لم تخضع قطع الاراضي السكنية لنظام هندسي معين من حيث الشكل بل اخذت اشكالاً بعيدة عن الاشكال الهندسية المتعارف عليها المربع والمستطيل لكون جذورها تمتد الى فترة سبقت اشراف البلدية عليها مما نتج عنه ظهور البلوكات السكنية بعيدة عن التناسق والانتظام.
- اتصفت قطع الاراضي السكنية بصغر مساحتها وهي بالمعدل تتراوح بين ١٠٠- ٢٠٠م^2 وفي الوقت نفسه كانت هناك قطع صغيرة تصل الى اقل من ٤٠م^2 وقطع سكنية اخرى تزيد عن ١٠٠٠م^2 وهذا التباين يحدده المستوى المعاشي والمنزلة الاجتماعية للاسرة.
- كانت قطع الاراضي المخصصة لتأدية وظائف دينية وادارية اكثر انتظاماً واكبر مساحة تتناسب مع طبيعة وظائفها. اما التجارية منها فكانت ايضاً متناسقة الى حد ما ومختلفة في مساحاتها.

- النمط المخطط:

بدأ العمل فيه في مطلع الاربعينات ويتزامن مع تشريع قانون الطرق والابنية رقم ٤٤ لسنة ١٩٣٥ وتمثل بالمحلات السكنية الجديدة التي

ظهرت خلال السنوات الاخيرة من هذه المرحلة واتصف بالآتي :

- خضوع عمليات الافراز الحديثة الى الاشراف والتنفيذ من قبل البلدية واتبعت اساليب حديثة في الافراز لوجود ملاك فني متمكن في هذا المجال وإستخدام آلات المساحة الحديثة لهذا الغرض.
- تميزت القطع بأشكال هندسية منتظمة وحافات واجهاتها مستقيمة تتماشى مع استقامة الشوارع وهي ذات اشكال مربعة او مستطيلة لذا ظهرت لأول مرة البلوكات السكنية المخططة ، اتسمت باتساع مساحتها نسبياً فهي تتراوح مابين ١٥٠ - ٢٠٠ م٢ .

ج - الإستعمال السكني :

احتل الاستعمال السكني في نهاية هذه المرحلة اكثر من ٨٠٪ من مساحة الارض الحضرية حيث بلغ عدد المساكن ١٣٩٧٧ مسكن منها ٩٨١٦ تسكنها اسرة واحدة بلغ افرادها ٦٢٦٦٢[٨] ساكناً ومايصيب المسكن الواحد كمعدل ٦,٤ فرد وكان هناك ٤١٦١ مسكناً تسكنها ١١٩٤٢ أسرة نفوسها ٥٩٩٢٣ ساكناً اي ان مايصيب المسكن الواحد كمعدل ١٤,٤ فرد,وهذا مؤشر على ارتفاع حصة الوحدة السكنية من شاغليها وكان هناك ١٠٧٣٧ يسكنون في اكواخ حكومية واهلية ودينية. والطابع العام المميز لمعظم البيوت هو انها تتألف من طابق واحد أو طابقين. اما مادة البناء فهي بصورة رئيسية قطع الحجارة والجص وتؤلف نسبة تقدر ب ٩٠٪ من مجموع عدد الدور السكنية في تلك المرحلة.

ان دور المدينة القديمة من حيث النوعية تتصف بسمات جمالية وفنية وهو يعكس التراث الحضاري والتاريخي الغني.

ثانياً : النقل :

أ- نظام الشوارع :

نمط الشوارع العام الذي كان سائداً في هذه المرحلة هو النمط العضوي[٩] وكان ينمو بشكل متدرج يتماشىٰ مع نمو حاجة السكان وايضاً مستفيداً من الممارسات العمرانية العقلانية التي اكتسبت وتبلورت على مر الاجيال ومن مشاهدة الخارطة التالية يتضح ان نمط شوارع مدينة الموصل كان مشابهاً لشجرة كبيرة ذات تفرعات كثيفة تمتد في كل الاتجاهات ولاعطاء صورة واضحة فقد اختبرت مساحة محددة لمنطقة السوق القديم (الذي اعتبر ولا يزال بؤرة النشاط التجاري في المدينة) وجانب من محلة الميدان لعام ١٩٢٢ ومن تحليلها يتضح ما يأتي : -

١- اتجاهات ومسارات الشوارع غير واضحة الاتجاه وربما كان السبب التقليل من سرعة هبوب الرياح خلالها شتاءً ولتشكيل مناطق ظل وضياء ضمن الشارع الواحد وجزئيا لغياب التخطيط العمراني فيها.

٢- تباين اتساع الطريق الواحد في نقاط مختلفة فتارة يضيق وتارة اخرى يتسع . هذا الاختلاف يعطي مظهراً عمرانياً متنوعاً بعيد عن الرتابة.

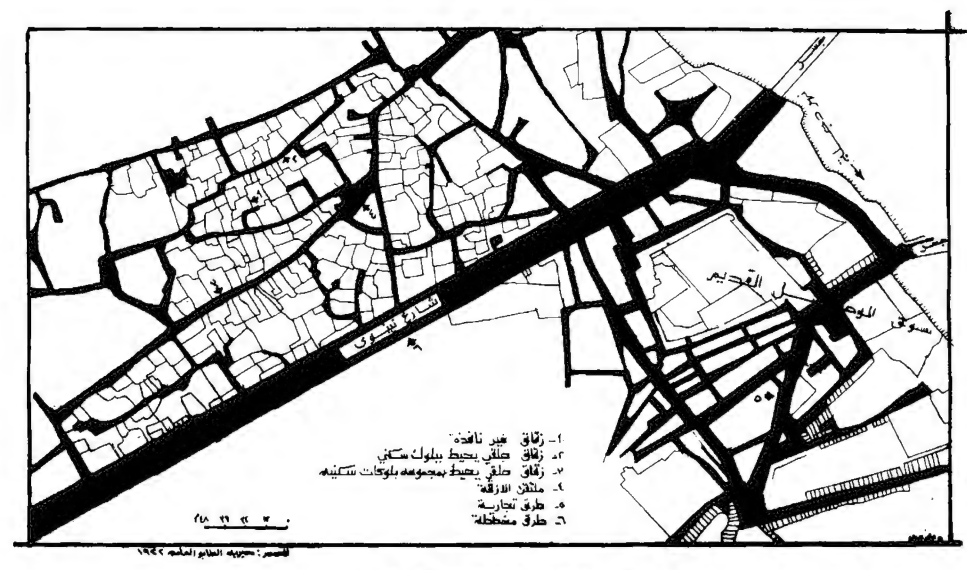
٣- انها ضيقة نسبياً قياساً للطرق الحديثة ، الا أنها كانت فعالة وملائمة لحركة المشاة وحيوانات الحمل والعربات الخشبية التي تمثل وسائط النقل الرئيسة آنذاك.

٤- اتصفت بعض الشوارع بوجود القناطر «غرف فوق الشوارع» يستريح تحتها من يمر من السابلة[١٠].

يتضح من الخارطة ان هناك ستة مستويات للشوارع حسب اتساعها تتمثل في ما يأتي : -

أ- شوارع ضيقة غير نافذة (مقفلة) تخترق





– نمط الشوارع ونمط الاراضي السكنية والتجارية.

المنطقة السكنية كي توفر مداخل للدور ولربطها بالطرق الاكثر عرضا التي تحيط بالبلوكات السكنية وهي تخدم بيتاً او عدة بيوت. عرضها عموماً اقل من (٢) م.

ب- شوارع حلقية تحيط بالبلوكات السكنية وتنتهي عندها الشوارع المقفلة وهي تخدم عدداً اكبر من البيوت حسب مساحة البلوك السكني وعرضها غالباً بحدود ٢ متر أو اكثر.

جـ- شوارع حلقية تحيط بمجموعة من البلوكات السكنية: عرضها اوسع من السابقة ويصل الى ٣ أمتار أو اكثر وذات مسار نحو الطرق الرئيسية وخاصة التجارية.

د- مناطق الاركان (تقاطعات الشوارع): تتسع الشوارع عند نقاط التقائها فتصل أحياناً الى ١٠ أمتار أو اكثر ويتشكل فضاءً على هيئة فسحة تساعد على انشاء الدكاكين وايضاً تستغل في المناسبات الدينية والاجتماعية.

هـ- الشوارع التجارية: وهي تتصف الى حد ما بالاستقامة كما هي في شوارع السوق القديم وايضاً تتصف بالعرض حيث يصل اتساع بعضها الى ١٠ م لتسهيل حركة المتسوقين ووسائط النقل ولتسهيل عمليتي الشحن والتفريغ.

و- الشوارع المخططة: وهي الشوارع التي اشرفت على تنفيذها بلدية الموصل التي تأسست عام ١٨٦٩ م ومن مهامها تنظيم الخرائط والمخططات للشوارع[11] واتسمت هذه الشوارع بالاستقامة والاتساع آخذة بنظر الاعتبار التطور الحاصل في وسائط النقل الحديثة. واهم الشوارع المخططة حسب قدمها شارع الصوافة وجزء من شارع ابن الاثير الحالي وشارع القشلة (العدالة حاليا). وقد نشأت هذه الشوارع في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

أما اهم الشوارع فهو شارع نينوى الذي بدأ العمل فيه عام ١٩١٤ وهو من الشوارع التجارية الرئيسية لحد الآن ويتصف باستقامته واتساعه قياساً للشوارع التي كانت سائدة آنذاك، حيث يصل

اتساع طرفه الشرقي الى ١٨ م وطرفه الغربي ١٤ م. كما تم فتح شارع النجفي وشارع النبي جرجيس عام ١٩١٤ وفتح شارع غازي (الثورة حالياً) خلال



شارع غازي عن ازهر العبيدي، الموصل ايام زمان، الموصل، ١٩٩٠، ص ٢٩٨.

الفترة ١٩٢٢ - ١٩٢٧ واكمل شارع خزرج عام ١٩٣٢ كما تم تنفيذ شوارع مهمة اخرى في الثلاثينات مثل شارع الفاروق وشارع الصديق واستكمل انشاء شارع ابن الاثير[١٢].

وتأسيساً على ماتقدم يتضح ان النمط السائد خلال هذه المرحلة هو النمط العضوي والشوارع الضيقة بالاضافة الى الطرق الحديثة الى فتحت خلال هذه المرحلة وقد احتلت الشوارع نسبة ١٠٪ من المساحة الكلية للمدينة.

ب- وسائط النقل :

كانت حيوانات الحمل والعربات التي تسحبها الحيوانات تستخدم لنقل البضائع والافراد، وكانت وسائط النقل الرئيسية خلال هذه المرحلة فبالرغم من دخول السيارات بعد دخول الانكليز للموصل عام ١٩١٨ الا ان انتشارها بقي محدوداً جداً فلم يتجاوز عددها التسعة واسطة نقل حديثة عام ١٩٤٧[١٣].

ج- جسور الموصل :

في مطلع هذه المرحلة كان الجسر الخشبي هو الجسر الوحيد الذي يربط طرفي المدينة وكان يستخدم لعبور المشاة وحيوانات الحمل. ثم انشأ عام ١٩٣٣[١٤] الجسر الحديدي (جسر نينوى) وهو اول جسر حديث انشأ في الموصل وكان له تأثير



جسر نينوى عام ١٩٣٣ عن: ازهر العبيدي، الموصل أيام زمان، الموصل، ١٩٩٠، ص ٣٣٢.

بالغ في توسع الجانب الايسر من المدينة وخاصة منطقة الفيصلية ونينوى الشمالية.

ثالثاً: الاستعمال التجاري :

وكان يتألف من ثلاثة انواع في مدينة الموصل :

• الاسواق التقليدية :-

تكاد تنحصر في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة القديمة، وتضم المناطق التي عرفت بسوق الموصل القديم وباب السراي وباب الطوب وحتى باب لكش[١٥] وهي اسواق متخصصة ببضائع معينة. وتعد هذه الاسواق المركز التجاري الرئيسي للمدينة من حيث تقديمه للخدمات التجارية لسكان المدينة والمناطق المجاورة. وكان سوق الموصل القديم يحتل مساحة تقدر بـ ٨ هكتارات وان المخازن والدكاكين التجارية تتجمع حسب طبيعة المواد المعروضة على طول الشوارع والأزقة التجارية. وأهم الاسواق التي تعرض سلعاً متخصصة سوق اللحوم وسوق التوابل وسوق الأقمشة وسوق الاحذية وسوق الأواني المعدنية وسوق الصاغة وغيرها. فضلاً عن ورش الصناعة الخاصة بالمنتجات الحرفية فكانت

متجمعة في ابنية او في شوارع صغيرة تأتي مباشرة بعد الأزقة التي يتركز فيها البيع كصناعة الآلات الزراعية الحديدية منها والخشبية وصناعة الاحذية وغيرها. وكانت هذه الاسواق مسقفة لتجنب حرارة الصيف والحماية من امطار الشتاء[١٦] ويمكن القول ان درجة سيطرة هذا المركز التجاري كان على اشده في هذه الفترة وذلك لصغر المساحة التي يشغلها الحيز الحضري.[١٧]

• الخانات :

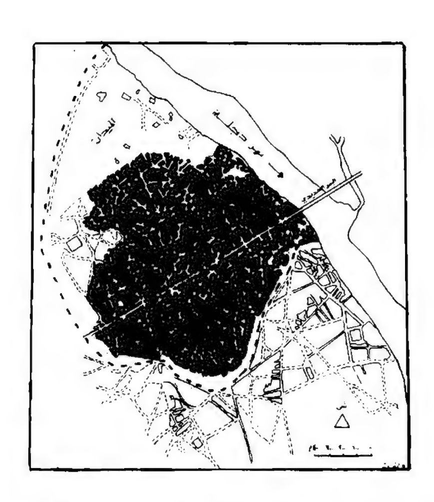
يتركب الخان من فناء ذي مساحة واسعة مفتوحة وحوله كانت المخازن المبنية بطابقين وكانت الطوابق العليا توفر ظلالا للناس في الصيف وتحميهم من امطار الشتاء واهمها خان حمو القدو وخان المفتي. وكانت ذات ابواب كبيرة كي تسمح بدخول حيوانات الحمل واهم وظائفها استيراد البضائع وبيعها على اصحاب المتاجر والدكاكين ولبيت المسافرين، وايضا تزاول في بعضها حرفة الدباغة واعداد الجلود.

اسواق المحلات :

كل سوق منها يتألف من عدد قليل من الدكاكين التي تتجمع على الشارع الرئيسي الذي يحيط بالمحلة وكان يطلق عليها اسماء المحلات. اما المحلات التي ليس فيها سوق فكان يظهر فيها بعض الدكاكين في مواقع الاركان.

رابعاً : الجوامع والكنائس :

تعد من العناصر الأساسية في النسيج العمراني لمدينة الموصل لقيمتها المعارية والتأريخية ولكونها اماكن تأدية الوظائف الدينية اليومية، وكذلك كانت مراكز ثقافية في نفس الوقت حيث يتعلم اطفال المحلة السكنية قراءة القرآن الكريم واللغة العربية بالقرب من الأسواق. فضلاً عن وجود عدد من الكنائس ذات القيمة المعارية.



مدينة الموصل عام ١٩٣٧ والنمط العضوي لشوارعها ونسيجها الحضري

خامساً : الخدمات التعليمية :

تميزت مدينة الموصل باهتمام ابنائها في مجال التعليم وقد بلغ عدد المدارس والكتاتيب عام ١٩٤٧ بحدود ٢٥٨ مدرسة وكُتاب لتعليم الذكور و٣٥ مدرسة وكتاباً لتعليم الاناث فضلاً عن المدارس الثانوية كالاعدادية الرسمية (الاعدادية الشرقية) التي انشئت عام ١٩٠٨، وقد بلغ عدد الملمين بالقراءة والكتابة من الذكور ٢١٥٧٣ فرداً وعدد الاناث ١٠٩٦٨[١٨] من اصل سكان المدينة البالغ ١٣٢٧٤٦ نسمة.

سادساً : الخدمات الصحية :

كانت الخدمات الصحية متخلفة الى حد كبير وقد بلغ عدد العاملين الكلي ٣٠٧[١٩] فرداً في مجال الطب والصيدلة والصحة في عام ١٩٤٧. وكان المستشفى الملكي (المستشفى الجمهوري فيما بعد) اهم مؤسسة صحية في المدينة.

سابعاً : الخدمات البلدية :

• خدمات الأنارة :

في مطلع العشرينات تم مد اسلاك الكهرباء

في الشوارع لتنوير المدينة ليلاً وفي عام ١٩٣٣ [٢٠] تم تنفيذ مشروع الكهرباء حيث وصلت الطاقة الكهربائية الى محلات المدينة السكنية ايضاً.

خدمات الماء :

خلال الفترة ١٩٢٢–١٩٢٧ تم تأسيس اسالة الماء ووزع على الدور والمقاهي والاماكن العامة وبعد عام ١٩٣٢ [٢١] تم توسيع هذا المشروع بحيث ربطت الدور بشبكة الماء.

المياه المستعملة ونظام الفضلات :

لم تكن هناك انظمة لتصريف المياه المستعملة حيث كان الماء المستعمل تمتصه التربة اسفل البالوعة، في حين ان الفضلات الصلبة كانت تجمع وتحمل خارجاً عن طريق صهريج يسحبه حمار. كما ان القنوات كانت مفتوحة في وسط الازقة والطرق لتجميع وتصريف المياه وتقوم بطرحها الى النهر.

اما الاوساخ فكانت تجمع من كل بيت عن طريق سلال كبيرة يحملها حمار.

ثامناً : الحدائق والمتنزهات :

تعد الحدائق والمتنزهات من الاستعمالات الترفيهية وقد أولت البلدية اهتماماً في هذا المجال فأنشأت خلال هذه الفترة عدة حدائق منها حديقة غرستها بأشجار الزينة في منطقة (إيج قلعة). ثم انشأ عام ١٩٢٧ [٢٢] حديقة الشعب بمحاذاة الضفة اليسرى من نهر دجلة مقابل المدينة القديمة بلغت مساحتها بحدود ١٢ هكتاراً وترتبط بالجانب الايمن ذي الكثافة السكانية العالية (الموصل القديمة) بالجسر الحديدي مما يسهل امكان الوصول اليها. للتمتع باجوائها الخلابة ولاتبعد اقصى الحدود الخارجية للمدينة القديمة عنها اكثر من (٢) كم. وتتصف بتنوع اشجار الزينة وتنوع ازهارها وتعيش فيها انواع مختلفة من الطيور.

وفي عام ١٩٣٢ انشأت حديقة الشهداء الواقعة على الجانب الايمن الى الجنوب الشرقي من المدينة القديمة وبلغت مساحتها ٣ هكتار. وقد اهتمت البلدية ايضاً في تنظيم الحدائق الوسطية في الشوارع وتشجير الشوارع سنوياً وبالاخص ساحات التقاطع.

فضلاً عن وجود مواقع طبيعية خلابة خارج حدود المدينة القديمة وضمن حدود البلدية تعد من الاماكن الترفيهية في ايام العطل والمناسبات وايام الربيع اذ تزدان اراضيها بالنباتات والزهور البرية الجميلة، واهم تلك المواقع قضيب البان ومار ميخائيل ومار ايليا [٢٣].

تاسعاً : استعمالات اخرى :

• الصناعة :

لم يطرأ تطور على طبيعة الوظيفة الصناعية خلال هذه المرحلة اذ بقيت الصناعات الحرفية (القائمة في موقع السوق القديم) هي السائدة باستثناء دخول بعض المصانع الحديثة والمتمثلة بمعامل الثلج وحلج الاقطان وطحن الحبوب.

• المقاهي :

أحد العناصر المهمة التي كانت تنتشر في محلات المدينة القديمة قاطبة لكونها تمثل المكان الذي يتجمع فيه رجال المحلة، وكانت تقام في المقهى الاحتفالات في مختلف المناسبات والمقتصرة على الرجال فقط فضلاً عن وظيفته الاساسية مكاناً للراحة والترفيه.

• الحمامات :

كانت الحمامات منتشرة في جميع اجزاء المدينة وكان لكل محلة أو اكثر حمام عام بسبب قلة الحمامات الخاصة. ومن هذه الحمامات للرجال ومنها للنساء وإحياناً كانت تستخدم للنساء في ساعات الصباح وللرجال في ساعات بعد الظهر.



النسيج العمراني :

اتخذ النسيج الحضري لمدينة الموصل شكله ضمن متطلبات وحاجات الانسان في هذه المرحلة ، وقد اتضح هذا الطابع المميز للمدينة من خلال وجود الشوارع الضيقة وبيوت قليلة الارتفاع وحمامات واسواق وخانات وجوامع وكنائس كونت جميعها وحدة عمرانية مترابطة تقاسمت فعاليات الانسان[٢٤] . وقد تأثرت هذه الوحدة العمرانية بعوامل ثلاثة هي حاجات الساكنين فيها والمحددات البيئية وكذلك الامكانات التكنولوجية المتاحة في تلك الفترة والتي كانت محدودة .

اتسم هذا النسيج بطابع المدينة العربية القديمة الذي اتصف بالامتداد العمراني المتصل والمتماسك (النمو التراكمي) ، والمنبعث من اعتبارات اكتسبتها المدينة من مهارة ووعي معماريها الذين استوعبوا العناصر المناخية للمدينة فظهرت وحدات العمائر المختلفة متجمعة ومتلاصقة لتظلل الواحدة الاخرى والفضاءات (الازقة والفناءات) ضيقة للتقليل من تأثير اشعة الشمس وذلك بتقليص المساحات المكشوفة والمعرضة لحرارة الشمس المباشرة . كذلك فان الخاصية المذكورة ادت الى زيادة قوة المباني بفعل استناد بعضها الى بعض ، مما يطيل عمرها الزمني[٢٥] .

كما ان اجزاء المدينة المبنية تظهر بشكل تصميمي رائع ولون متباين من الظل والضياء نتيجة لاختلاف كنتور الارض ، وايضاً بسبب عامل الاختيار الموضعي الحاذق الذكي لكل تركيب معماري . وكان التركيب المعماري المسيطر بشموخ على اجزائها هو هيكل الجامع الذي يعلو بمنارته وقبته على بقية مستوى النسيج العمراني .

اما مايتعلق بتوزيع التركيب الفضائي لمدينة الموصل والذي يشمل الكتل الصلبة (الاراضي المبنية) والفراغات (الاراضي الشاغرة) فيمكن القول ان كل منها متفاعل مع الآخر بحيث نتج عن هذا الترابط والتفاعل نسيج حضري متميز ملائم لطبيعة ومقياس استعمالات الارض والبيئة المناخية كما انه اغتنىٰ الى اقصى الحدود بالناحية التراثية .

فلو نظرنا على هذا الاساس الى خارطة الموصل فسنجدها تمثل تركيباً فضائياً نموذجياً لمدينة عربية قبل دخول المؤثرات الغربية عليها ، فالنسيج العمراني كثيف والفراغات فيه قليلة ، وكانت متوافقة مع حاجات السكان ولو تمعنا اكثر لرأينا ان شكل البناء والفراغ يأخذ مساراً بخطوط منحنية ومنعرجة يعطي للمدينة سمة المرونة والحركة والانسيابية خلال هذه المرحلة .

الا ان هيئة النسيج العمراني في السنوات الاخيرة من هذه المرحلة تغيرت جزئياً بتأثير عوامل عدة منها ادخال التكنولوجيا الحديثة المتمثلة بأساليب ووسائط النقل المتطورة وكذلك تعدد استخدام مصادر الطاقة فضلاً عن بدء الاهتمام بشبكة البناء التحتاني الى جانب عامل النمو السكاني .

بعد استعراض الصورة العامة لخطة مدينة الموصل خلال هذه المرحلة تبين انها لم تتغير كثيراً عن السنوات الاولى منها فقد كان الثقل السكاني والمساحي والتجاري يتركز في المدينة القديمة وكانت بحاجة الى تطوير وتنظيم اقسامها المختلفة مما دعا الى القيام بعدة خطوات تمثلت بتنفيذ مسح شامل للمدينة قامت به مديرية الطابو العامة عام ١٩٢٢ ويعد من اهم المسوحات للمدينة خلال هذه الفترة فقد اسقطت عليه جميع المشيدات والاستعمالات وكانت خارطة المسح بمقياس كبير ١ / ١٢٠٠ . أعقبها خطوة اخرى تمثل بتصميم اساسي أولي انجزته الجهات المعنية عام ١٩٣٠[٢٦] ويعد من اول التصاميم الاساسية المعتمدة في المدينة ويكاد يكون من اولى التصاميم الاساسية الممارسة على المدن العراقية .

المرحلة المورفولوجية الثانية ١٩٤٧ - ١٩٥٧ :

اتصفت هذه المرحلة بظهور الضواحي المخططة نتيجة للحاجة المتولدة عن نمو السكان ، فنشطت البلدية في افراز اراضٍ جديدة معتمدة على اساليب حديثة في اعداد التصاميم التفصيلية للضواحي . فاتسع موضع المدينة المشيدة مبتعداً عن النهر ومفضلاً الاراضي المرتفعة إتقاءاً لاخطار الفيضان . ومعظم الضواحي الجديدة كانت متركزة في الجانب الأيمن للاستفادة من الخدمات المختلفة التي يوفرها مركز المدينة .

وتغير شكل المدينة العام فابتعد عن الشكل الدائري وبدت المدينة على شكل مجمعات سكنية متناثرة تفصل بينها اراضي شاغرة غير مشيدة ويطلق على هذا النوع من النمو مصطلح النمو القافز . وظهرت توسعات حضرية جديدة ايضاً على الجانب الايسر الا انها كانت على نطاق ضيق .

مساحة المدينة :

نتيجة لظهور تجمعات سكنية خارج حدود البلدية مثل منطقة موصل الجديدة ووادي حجر فقد انبثقت الحاجة الى توسيع هذه الحدود عام ١٩٥٦ [٢٧] فتوسعت حدود البلدية من ٣٥كم٢ للفترة السابقة الى ٥٥ كم٢ خلال هذه المرحلة . وقد تسارع التوسع المساحي خلال هذه الفترة لعدة اسباب منها استمرار استقرار ظروف المنطقة النسبي بعد الحرب العالمية الثانية والهجرة من الريف وتحسن الاحوال الصحية وارتفاع المستوى المعاشي نتيجة لزيادة عائدات النفط بعد تطبيق صيغة مناصفة الارباح مع شركات النفط الاحتكارية ، فازدادت رقعة المدينة المبنية عن المرحلة السابقة بحدود ١,٥كم٢ منها ١,٢كم٢ على الجانب الايمن و ٠,٣كم٢ على الجانب الايسر ، واصبحت المساحة المبنية الكلية ٦,٦كم٢ خلال نهاية هذه المرحلة . والارقام السابقة توضح ان النسبة الكبيرة من التوسع كانت على الجانب الايمن حيث ظهرت وتكاملت اربع محلات سكنية جديدة هي الشفاء والدواسة الشرقية ، والموصل الجديدة ووادي حجر ، فضلاً عن بناء الاراضي الشاغرة في محلة الشيخ فتحي وباب الطوب وباب البيض الغربي . أما الجانب الايسر فنشأت فيه محلة النعمانية وتوسعت رقعة محلة الفيصلية ، وكان السبب الرئيسي في هذا التوسع ايضاً يعزى الى فعالية الجسر الحديدي في ربط ضفتي المدينة ، وبهذا فقد ازداد عدد المحلات السكنية من ٤٣ محلة خلال المرحلة السابقة الى ٤٨ محلة خلال العشر سنوات التي اعقبتها .

السكان والكثافة السكانية :

نمت مدينة الموصل سكانياً خلال هذه المرحلة فوصل سكانها الى ١٧٨٢٢٢ [٢٨] نسمة عام ١٩٥٧ بعد ان كان ١٣٢,٧٤٦ نسمة في عام ١٩٤٧ بزيادة سكانية بلغت ٤٥,٤٧٦ نسمة وارتفعت نسبة الزيادة السكانية من ٢,٧٪ الى ٣٪ لذا فقد تغيرت نسبياً خارطة الموصل السكانية .

حافظت المدينة القديمة على ثقلها السكاني ونما سكانها الى ١٢٣٠٦٦ نسمة أي بنسبة ٦٩٪ من المجموع الكلي لسكان المدينة وسبب الزيادة يرجع الى زيادة حجم الأسرة من ٦ افراد عام ١٩٤٧ الى ٧ افراد عام ١٩٥٧ فضلاً عن الاسباب السابقة التي ذكرت في موضوع التوسع المساحي . والمحلات السكنية الجديدة شملت محلة الشفاء ب ١٠٠٣٠ نسمة والدواسة الشرقية ب ٥٠٩٧ نسمة والموصل الجديدة ب ٣٥٥٥ نسمة ووادي حجر السفلى ٦٣٢٧ نسمة وبلغ مجموعها ٢٥٠٠٩ نسمة كما نمت محلة الغزلاني من ٣٥٠٠ نسمة الى ٨١٦١ نسمة وبهذا اصبح الحجم السكاني للمناطق الجديدة خارج حدود المنطقة القديمة بحدود ٣٠٠٠٠ نسمة فضلاً عن النمو الذي شمل بعض



المحلات القديمة ، وقد حافظت الكثافة السكانية ضمن المنطقة القديمة اي بحدود ٤٥٦ نسمة لكل هكتار أي مايصيب الفرد الواحد ٢٢ م٢ تقريباً بينما ارتفع نصيب الفرد الواحد من الارض السكنية الى ٣٧ م٢ في المحلات الحديثة .

استعمالات الارض :

الاستعمال السكني :

نمط قطع الاراضي :

استمر نمط قطع الاراضي المخطط في السيادة خلال هذه المرحلة لكونه أقدر على تلبية متطلبات عصر التكنولوجيا الحديثة والتطورات التي حصلت في مستويات المعيشة وطرق النقل والخدمات المختلفة فاتصفت الاحياء ببلوكاتها المستقيمة وانتظام مساحات القطع السكنية . كما اتسم العمران ايضاً بالتجمع والتماسك دون ان تكون هناك فضاءات مكشوفة بين البيوت باستثناء البيوت التي شيدت في محلة الدواسة حيث اتصف قسم من البيوت بوجود الحدائق الأمامية والجانبية .

نمط الأبنية :

دخلت المؤثرات الغربية على نمط البناء فشيدت ابنية معتمدة على خرائط دور مُعّدة لظروف البيئة الغربية ، فاختلف قسم من الدور عن دور المرحلة السابقة بكونها ذات مساحة اوسع وباختلافات جوهرية تتمثل باستحداث حديقة أمامية أو جانبية أو حديقة تحيط بالدار. وظهور الحدائق المنزلية بهذه الصيغة يعد نقطة تحول في تصميم الوحدة السكنية من انفتاحها نحو الداخل وانغلاقها عن المحيط الخارجي الى انفتاحها نحو المحيط الخارجي اي نحو الحديقة والشارع . وتحول الفناء التقليدي الى فناء مسقف واصبح النقطة المحورية في الدار حيث تتجمع فيه مداخل الغرف واقسام البيت الاخرى وقد احتفظ قسم من الدور بالفناء فضلاً عن الهول المستحدث .

شبكة الشوارع :

احتفظت مدينة الموصل القديمة على نظامها العضوي باستثناء الشوارع المخططة التي نفذت خلال المرحلة السابقة . وفي هذه المرحلة نشطت البلدية في تبليط الازقة القديمة وفتح وتعبيد الشوارع الجديدة داخل المدينة القديمة واهمها شارع النبي جرجيس عام ١٩٥٣ وشارع المكاوي وشارع الجامع الكبير وتم تعبيد شارع المطار من الدواسة الى المطار وايضاً عبدت الشوارع التي تربط بين المحلات السكنية الجديدة بمركز الدينة .

وقد تم انشاء شارع خير الدين العمري الممتد من بداية الجسر القديم الى مفرق الزهور خلال الفترة ١٩٤٩ - ١٩٥١ . وفي هذه المرحلة اصبحت الشوارع الرئيسة تحدد محاور التوسع في المدينة . وقد طبق النمط الشبكي على الاحياء الحديثة واصبح النمط السائد في كل توسع جديد ويتميز هذا النمط ببساطته وسهولة توجيهه [٢٩] .

وسائط النقل :

ازداد عدد وسائط النقل البرية نتيجة للحاجة اليها بسبب ظهور الضواحي الجديدة وكانت واسطة النقل الرئيسية هي الباصات التي كانت تقوم بالجزء الاكبر من مهمة نقل الافراد وايضاً العربات التي تجرها الخيول .

جسور المدينة :

بقي الجسر الحديدي الجسر الوحيد في المدينة حتى نهاية هذه المرحلة وكانت تمر خلاله مختلف وسائط النقل سواء السيارات او العربات التي تجرها الحيوانات أو عربات الحمل التي تدفع من قبل الانسان كما كان يقوم بدور كبير في عبور المشاة . ولضيق الجسر لكونه لايسمح الا بمرور خطين من وسائط النقل في آن واحد احدهما للذهاب والآخر للاياب فقد ظهرت بوادر مشكلة الاختناق وأدى الى ضرورة التفكير بانشاء جسر آخر ، وبالفعل فقد



بوشر العمل في انجاز هذا المشروع في نهاية هذه المرحلة .

استعمالات الارض والنسيج العمراني :

حافظت المدينة القديمة زعامتها على مختلف استعمالات الارض باستثناء الاستعمال السكني اذ ظهرت محاور جديدة للنمو الحضري تركزت ايضاً في الجانب الايمن من المدينة . وقد تم عام ١٩٥٢ انشاء غابة الحدباء الواقعة على الضفة اليسرى وضمن القسم الشمالي من المدينة وبلغت مساحتها ٢٦٠ هكتاراً وتحوي اشجاراً متنوعة .

وقد استمر النسيج العمراني الذي سبق وصفه في المرحلة السابقة بالسيادة باستثناء المناطق السكنية الجديدة والتي نفذت طبقاً للتصاميم التفصيلية الحديثة والتي شكلت انعطافاً حاداً في النمط التقليدي ، فبدت الفراغات المكونة للشوارع اكثر اتساعاً من سابقتها ، كما ظهرت لأول مرة العمارات السكنية على هيئة شقق في محاور الشوارع الرئيسة وعلى الاخص شارع نينوى وكان معظمها يتألف من طابقين : الارضي خصص للاستعمالات التجارية او الحرفية والطابقة الاول لاغراض السكن او كمكاتب او عيادات .

وللتوسع الحتمي الناتج عن النمو السكاني ولتحسن وسائط النقل ولارتفاع المستوى المعاشي فقد ظهرت الحاجة الى وضع تصميم اساسي للمدينة لتوجيه وتنظيم هذا التوسع ضمن منظور تخطيطي حديث ولعدم توفر كادر تخطيطي مؤهل لمثل هذه المهمة لذا استعانت الجهات المعينة ببعض الخبراء الاجانب ، فانجزت اول دراسة تمهيدية لاعداد تصميم اساسي للمدينة عام ١٩٥٤ [٣٠] من قبل راكلان Raglan وسكوير Squire الا انها كانت دراسة اولية ينقصها التفصيل .

المرحلة المورفولوجية الثالثة ١٩٥٧ - ١٩٧٧ :

حدثت خلال هذه الفترة تطورات جوهرية شملت مدن العراق الكبرى ومن ضمنها مدينة الموصل التي تغيرت مورفولوجيتها ومظهرها الحضري بفترة زمنية قياسية وكان وراء هذا التطور اسباب سياسية واقتصادية متعددة منها قيام ثورة ١٤ تموز وما اعقبها من تشكيل جمعيات الاسكان التي قامت بتوزيع الاراضي على منتسبيها وقيام ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨ التي اولت اهتماماً كبيراً لقضايا التخطيط بمستوياته المختلفة : القومي والاقليمي والمحلي ، وايضاً بسبب نجاح قرار التأميم عام ١٩٧٣ وما اعقبه من ازدهار اقتصادي انعكست آثاره الايجابية على مختلف مرافق المدينة ووظائفها والتوجه نحو تنظيمها على اسس تخطيطية .

التصاميم الاساسية المعدة :

يجدر التركيز هنا الى الاهتمام الذي اولته الجهات المسؤولة عن التخطيط العمراني لمدينة الموصل ، فلقد سعت وضمن امكانياتها الفنية الى اعداد تصميم اساسي عام ١٩٦١ ويمكن تلخيصه كالآتي : -

بموجب هذا التصميم تم تخصيص مساحة ٦,٥٠٠ هكتار (٦٥كم²) للتوسع الحضري المقترح منها ٢٩٠٠ هكتاراً (٢٩كم²) على الجانب الايمن و ٣٥١٥ هكتار (٣٥كم²) على الجانب الايسر، وتم تحديد مساحة النهر والمنطقة المعرضة للفيضان ضمن الحدود الحضرية وقدرت بـ ١,٠٦٠ هكتار اي مايعادل ١٠كم² .

ومن خارطة التصميم يتبين ان الجانب الأيسر كان يبشر بتوسع حضري اوسع مما هو عليه من الجانب الأيمن لكن في حالة اقتطاع مناطق الحفاظ (موقع نينوى الاثري) ضمن اسوار نينوى فان المساحات التي يمكن ان يمتد اليها العمران تكون مساوية تقريباً في كلا الضفتين .

وهذا التصميم كان دليلاً ومؤشراً مهماً لتطور المدينة فالتوصيات المتعددة التي طرحها نفذ



معظمها، مثال على ذلك شارع بغداد الحلقي، والجسر الثالث جسر ابي تمام بالقرب من المستشفى العام، المنطقة الصناعية، وقد امتد العمران تقريباً على جميع المناطق المصدق عليها في هذا التصميم لغاية عام ١٩٧٠ بل تجاوزت المناطق العمرانية حدود البرنامج المقرر لها والخاص بمقترحات عملية التحضر في تلك الخطة. كما ادرجت والى حد كبير الاعمال الخاصة بمناطق حق المرور والمناطق الخضراء مع اجراء تعديل جزئي عليها.

بعد ان نفذت حدود التوسع الحضري الذي اوصى به التصميم الاساسي لعام ١٩٦١ برزت الحاجة الى البدء بوضع خطة جديدة للمدينة.

تصميم كافكا:

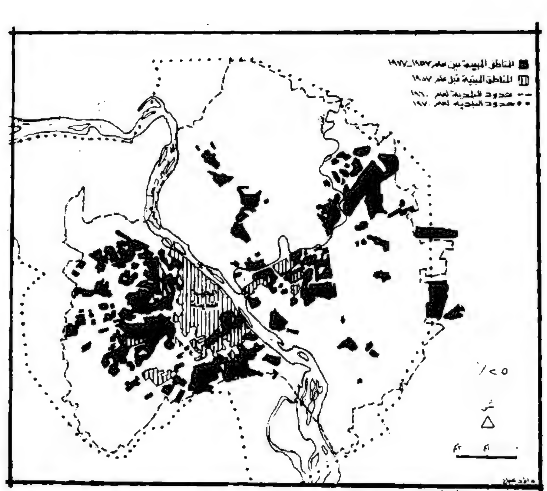
استقدم الخبير كافكا B. Kafka لاجراء دراسة عن المدينة وقد انجزت دراسته الا انها لم تصدق وكان هدفها فسح المجال لتوسيع حدود المناطق الحضرية لتغطي مساحة جديدة بحدود ١٦٠٠٠ هكتار أو ١٦٠كم٢ بحيث تصبح ابعاد المناطق العمرانية باكملها ١٣,٥ × ١٧كم وتحاط بطريق حلقي رئيسي. ويبدو ان كافكا قد تنبأ بقرب حدوث توسع حضري مفاجئ يغير كلياً من مورفولوجية هذه المدينة.

وقد كانت مهمة كافكا اعداد دراسة تخطيطة لمدينة الموصل، الا ان هذه الدراسة لم تترجم الى تصميم اساس لها لذا فقد بدأت مديرية التخطيط العامة سنة ١٩٦٩ باعداد دراسة مرحلية لوضع تصميم لغاية عام ١٩٨٠ وقد تألفت لهذا الغرض هيئة تخطيط عليا اوكل اليها هذه المهمة وانجز التصميم عام ١٩٧٠ وتشمل جوانب رئيسية يوضحها الجدول الآتي:

الجدول (١)

التصميم المرحلي لعام ١٩٧٠.

استعمال الارض	١٩٦٩			١٩٨٠		
	هكتار	٪	م٢ لكل ساكن	هكتار	٪	م٢ لكل ساكن
سكن	١٣٧٠	٦٢	٤٥,٨	٢٠٥٠	٦٨,٥	٥٠
مركز مدني ومبان عامة	٣٨,٢	٢	١,٢	١٠٧	٣,٦	٢,٥
تجارة	٣٨,٢	٢	١,٢	٢٥٠	٨,٤	٥,٥
صناعة	٥٠,-	٣,٥	١,٨	١٢٠	٤,-	٣,-
الابنية الثقافية العامة والخاصة	٤٢,٤	٢,٥	١,٥	٨٢	٢,٩	٢,-
النقل	٦٤٥,٦	٢٨	٢١,٥	١٧٤	٥,٨	٢٧,-
الاراضي المحجوزة للمستقبل	٢٠٣			٢٠٣	٦,٨	١٠,-
المواضع الاثرية	٤٤٣			٤٤٣		
مناطق لاتستعمل: —						
الوديان	(٦٠٠)					
مناطق منخفضة	(٩١٨)					
مناطق منحدرة	(٥٧٨٣)					
المجموع باستثناء الارقام داخل الاقواس	٢٨٣٠,٤		٧٣	٣٤٢٩	١٠٠	١٠٠



مدينة الموصل عام ١٩٧٧ والحدود البلدية لعامي ١٩٦٠ و ١٩٧٠

وحسب الخطة فان مساحة مدينة الموصل الكلية لعام ١٩٦٩ ومن ضمنها الارقام داخل الاقواس هي ١٠١٣١,٤ هكتار أي ١٠١,٣كم٢ اما المساحة التي لاتستخدم لأي استعمال فمساحتها الكلية ٧٣٠١ هكتار أي ٧٣كم٢ والمساحة الصافية لعام ١٩٦٩ باستثناء الموضع الاثري ٢٣٨٧,٤ هكتار اي ٢٣,٨٧كم٢ وقد خصصت الخطة ٢٩٨٦ هكتار أي ٢٩,٨٦كم٢ كمساحة كلية للمدينة عام ١٩٨٠ باستثناء الموضع الاثري(٣١).

وبسبب التوسع الحاصل في رقعة المدينة وامتدادها عبر حدود بعض المحاور فقد انبثقت الحاجة بصورة سريعة بعد اعداد تصميم عام ١٩٧٠ مما دفع الجهات المسؤولة على توقيع اتفاقية في ١٣ نيسان عام ١٩٧٣ بين وزارة البلديات العراقية وشركة سيت انترناشنال الفرنسية وبالتعاون مع مكتب دار العمارة للاستشارات الهندسية للقيام بـ (دراسة تقويم خطة التطور العمراني) لمدينة الموصل. وقد انجزت الشركة الفرنسية مجموعة تقارير مفصلة عن هذه المهمة وانتهت بوضع دراسة دقيقة عن التصميم الاساسي لمدينة الموصل في عام ١٩٧٦ وعلى ضوء تلك الدراسة تم إعداد خطة المدينة لغاية عام ٢٠٠٠. (وسيتم التطرق الى هذا التصميم في المرحلة المورفولوجية الرابعة).

وبعد التعرف على الجهود المبذولة لمواجهة التوسع الحضري لمدينة الموصل فمن الضروري الاطلاع على التطورات والتغيرات المورفولوجية التي حدثت خلال المرحلة المورفولوجية الثالثة: —

السكان:

نمت المدينة خلال العشرين سنة التي اعقبت المرحلة السابقة نمواً سريعاً ليصل سكانها الى ٤١٤٦٦٠ نسمة عام ١٩٧٧ (٣٢)، اي ان المدينة قد ازدادت ٢٥١٦٦١ نسمة عن عام ١٩٥٧ وبلغت نسبة الزيادة السكانية السنوية مايقارب ٤,٧٪ وهي تمثل اقصى مابلغته المدينة في معدلات نموها السنوية والناتجة عن النمو الطبيعي مضافاً اليها المهاجرون من المناطق الاخرى. كما وتؤشر الى ان الهجرة الداخلية قد جاوزت كثيراً الهجرة الخارجية من المدينة.

المساحة:

نتيجة للزيادة السكانية الكبيرة توسعت رقعة المدينة توسعاً كبيراً، اضطرت معها البلدية الى توسيع حدودها مرتين خلال هذه المرحلة ففي عام ١٩٦٠ أصبحت الحدود البلدية تضم ١١٥كم٢ تقريباً وفي عام ١٩٧٠ توسعت حدودها الى ١٥٠كم٢.

اما المناطق المبنية لغاية عام ١٩٧٧ فقد اتسعت كثيراً ووصلت قرابة ٣٥كم٢ منها ٢٢كم٢ على الجانب الايمن و١٣كم٢ على الجانب الايسر وبلغت نسبة الزيادة في المساحة المبنية عن المرحلة السابقة بحدود ٥٣٠٪.

اتجاهات التطور الحضري:

لغاية عام ١٩٥٧ كانت مدينة الموصل مقتصرة على حد ما على المدينة القديمة. الا ان تحسن الحالة الاقتصادية والاجتماعية لسكان المدينة القديمة



خلال هذه المرحلة دفع السكان من ذوي الدخل المرتفع الى ترك مركز المدينة والتوجه نحو ضواحيها. وقد كانت محاور التوسع تتفق مع الخطة لعام ١٩٦١ والخطة التي اعقبتها لعام ١٩٧٦ توضح اتجاهات التطور الحضري للفترة التي اعقبت عام ١٩٧٠ ومنها ايضاً يتبين ان الجانب الأيمن والايسر يتصفان بتباين يلفت النظر. في الجانب الايمن من النهر تكون المدينة مندمجة ومتصلة الاجزاء بحيث المناطق الحضرية تكون مطوقة بشكل شبه دائرة نصف قطرها ٥ كم، ويبدو اتجاه التوسع الحضري في الجانب الايمن واضحاً نحو الطرف الشمالي الغربي بسبب وجود معوقات ومحددات النمو منها طبيعية ومنها بشرية كوجود المطار والمنطقة الحكومية الخاصة. وبالعكس من ذلك فان التوسعات الحضرية في الجانب الايسر قد اعطاها شكلاً اصبعياً يبدأ من المركز الصغير لمنطقة النبي يونس ويمتد بمختلف الاتجاهات. ان المنطقة المركزية للجانب الايسر تكون متعامدة على نهر دجلة كما انها تنحصر بين الطريقين الرئيسيين اللذين يبدءان من الجسرين الوحيدين في هذه المرحلة، وهذه المنطقة لا تبعد اكثر من ثلاثة كيلومترات من نهر دجلة.

والى الشمال الشرقي من المنطقة المركزية للجانب الايسر يمتد التوسع الرئيسي على طول وادي الخوصر وهو يبعد (٧) كم عن نهر دجلة، اذ تقوم منطقة الزهور السكنية المهمة. ويمتد التوسع الثاني على طول طريق عين سفني وايضاً على طويق دهوك، وأهم المعالم البارزة في هذا النطاق الممتد بين نهر دجلة وطريق عين سفني غابة الحدباء وجامعة الموصل، ويصل مدى هذا التوسع الى قرية القاضية التي تبعد بحدود (٩) كلم عن جامع النبي يونس. وشكل طريق اربيل محوراً حضرياً ثالثا فظهرت فيه عدة احياء سكنية جديدة. وأهم المعالم المميزة في هذا الاتجاه محطة تلفزيون الموصل ومنطقة الكرامة السكنية اذ غطت مساحة تجاوزت (١) كلم^2 وتبعد بحدود (٧) كلم عن نهر دجلة. اما المحور الرابع ذو المستوى الواسع في النمو فهو محور الكوير، حيث ادى الى ظهور احياء سكنية جديدة اهمها حيّ الوحدة وهي تبعد اكثر من خمسة كيلومترات عن منطقة النبي يونس. وكان لهذا المحور امكانية كبيرة للتوسع. لأن فتح طريق الموصل - الكوير الذي يعد جزء من الطريق البري العام الموصل - كركوك قد زاد من اهمية وجاذبية ذلك المحور لاغراض تطور حضري جديد في المرحلة القادمة لكونه يمتلك مقومات مناطق المدينة المخططة الملائمة للتوسعات في المستقبل.

استعمالات الارض :

استعمال السكني :

الاحياء السكنية الجديدة ضمن محاور التوسع :

اتسمت هذه المرحلة بسرعة ظهور الكثير من الاحياء السكنية المتكاملة في كلا الجانبين، الا ان التوسع تركز بالدرجة الاولى على الجانب الايسر من المدينة.

فالجانب الايمن ظهرت فيه تسعة احياء جديدة [هي الدواسة الغربية واليرموك والموصل الجديدة الشمالية والثورة، والزنجيلي ووادي حجر العليا ووادي حجر الوسطى والربيع والربيع الغربية] وبلغ مجموع سكانها ١٢٤٢٤٨ نسمة، كما توسعت وتكاملت محلة الموصل الجديدة وكذلك وادي حجر السفلى واصبحت الخارطة لهذا الجانب موزعة على المدينة القديمة بثقل سكاني ١٠٣٠١٠ نسمة وبنسبة ٢٤,٨ ٪ من مجموع سكان المدينة باكملها والاحياء الجديدة فيه بلغت ١٧٨٩٢٧ نسمة بنسبة ٤٣,٢ ٪ اي ان الجانب الايمن لغاية عام ١٩٧٧ قد سيطر على ٦٨ ٪ من مجموع سكان المدينة.

أما الجانب الايسر فنشأ فيه ثمانية عشر حياً جديداً بحجم سكاني بلغ ٧٨٩٠٩ نسمة. وأصبح



مجموع سكان الجانب الأيسر ١٣٢,٧٢٣ أي بنسبة ٣٢٪ من مجموع سكان المدينة .

• **نمط قطع الاراضي :**

خضعت عمليات الافراز للعقارات أيضاً الى نظام الطرق والابنية لسنة ١٩٣٥ ولقانون ادارة البلديات لسنة ١٩٦٤ وتعديلاته . وقد تم التنفيذ بافراز قطع الاراضي السكنية الى اربع مناطق عمرانية وهي المنطقة العمرانية الاولى لاتقل مساحة القطعة فيها عن ١٢٠م٢ ، والمنطقة العمرانية الثانية لاتقل مساحة القطعة عن ٢٠٠م٢ والمنطقة العمرانية الثالثة لاتقل مساحتها عن ٣٠٠م٢ والمنطقة العمرانية الرابعة لاتقل عن ٦٠٠م٢ وكانت القطع السكنية تفرز على شكل صفوف (بلوكات) من قطع الاراضي السكنية منتظمة الابعاد وتحيط بها شبكة الشوارع .

• **ظروف الاسكان :**

احتفظت مدينة الموصل القديمة بمستوى اسكان المرحلة السابقة المتكونة من بيوت تقليدية . اما معظم البيوت الحديثة لهذه المرحلة فقد اقتبست تصاميم الدور الغربية وشيدت معظمها بالحجارة وبنسبة ٦٥٪ من مجموع الدور المشيدة والبقية من قوالب السمنت والطابوق . وهذه البيوت لم تكيف للظروف المناخية المحلية ولا الى اسلوب السكان التقليدي في الحياة . اما مايتعلق بالناحية التصميمية ، فهذه البيوت ذات مستوى عال . والمساحة الكلية للوحدة السكنية تتراوح مابين ١٠٠ - ١٠٠٠م٢ وتكون محاطة بجدران عالية باستثناء بيوت الاغنياء والمثقفين والدور العصرية جداً . وقد حلت الحديقة محل فناء البيت التقليدي في البيوت الحديثة ذات المستوى العال باستثناء البيوت ذات المساحات الصغيرة انظر خارطة (١٢) . ان متوسط الكثافة الاسكانية الاجمالية للمناطق السكنية المشيدة في المدينة تتراوح مابين ٥٠ - ٦٠٠ ساكن في الهكتار الواحد . وقد وجدت اعلى الكثافات في المدينة القديمة (حوالي ٤٠٠ ساكن / هكتار في المعدل)[٣٣] ويتصف النمط الحضري فيها وفي القسم الواقع الى جنوب المدينة القديمة باختلاط الاستعمال السكني مع الاستعمالات التجارية .

واتضح من المسح الميداني الذي قامت به الشركة الفرنسية عام ١٩٧٤ ان معدل حجم الوحدة السكنية هو ٣,١ غرفة سواء في المدينة القديمة او مدينة الموصل بصورة عامة . وكان معدل غرف النوم ١,٩ غرفة لكل وحدة سكنية .

كما تبين أن القسم الجنوبي الشرقي للمدينة القديمة يتصف بانه متهرأ وقد أُعدت له خطة لاعادة تجديده عندما يتم تنفيذ توسيع مركز المدينة الذي سيمتد الى هذا القسم .

وخلال هذه المرحلة وجد كثير من المقاطعات السكنية ذات المستويات التصميمية الراقية ، الا ان اهمها مقاطعة الزهور على الجانب الايسر من النهر ومقاطعة الدواسة على الجانب الايمن كما وجدت عدة مقاطعات سكنية ذات وحدات سكنية ذات حجوم دون المتوسط متمثلة بمحلات المركز الجديد للمدينة القديمة (باب لكش ، باب الطوب ، شيخ عمر) وكذلك منطقة وادي حجر وامتدادها الى المنصور وكلاهما على الجانب الايمن من النهر.

اما مايتعلق بشبكات المنافع العامة المتضمنة خدمات الماء والطاقة والكهربائية فالمدينة القديمة تظهر عموماً بانها مخدومة بها خدمة جيدة في حين أن المناطق السكنية الجديدة وحتى المستويات العالية منها خدماتها رديئة ومن امثلتها حي الثقافة . وهذه مؤشرات واضحة على ان التوسع في شبكة الخدمات والتسهيلات العامة لم تستطيع ان تساير التطور الحضري . ومايتعلق بمياه الشرب فان اكثر من ٩٥٪ من البيوت مرتبطة بشبكة المياه النقية ، اما حمامات ودورات المياه فمعظمها مرتبطة بنظام



المجاري من نوع الصهاريج وجميع البيوت مجهزة بأجهزة التدفئة المعتمدة على النفط او الغاز.

نظام النقل :

• خطوط النقل الخارجية :

فيما يخص النقل الجوي ثمة في الموصل مطار واحد لغرض الاستعمالات الحكومية والمدنية وهو ملائم للطائرات المتوسطة الحجم وفي ظروف الطقس المعتدلة. بعد عام ١٩٧٠ تزايد اعتماد المسافرين على النقل الجوي.

وطريق سكة الحديد الدولي الذي يربط بغداد بقارة اوربا يمر بمدينة الموصل وهذا الخط لايمكنه إستيعاب حركة المرور المتصاعدة الا عن طريق تجديد كامل لهذا الخط. وحركة المسافرين مابين بغداد والموصل تشكل مايقارب ١١٪[٣٤] من حركة نقل خطوط سكك الحديد العراقية، وتعد حركة نقل البضائع والسلع اكثر اهمية مقارنة بنقل المسافرين.

كما ان المدينة تخدم بسبعة طرق رئيسية عامة أهمها طريق بغداد الجديد وطريق اربيل ويتميزان بمواصفات عالية وبظروف جيدة، كما تم اعادة تجديد طريق بغداد القديم. ان معدل السيارات الداخلة الى المدينة والخارجة منها قدرت عام ١٩٧٤ بـ ٧٨٠٠ مركبة خلال الاسبوع الواحد ونصيب الشاحنات بلغ ٥٠٪ من المجموع الكلي، ونسبة مركبات المسافرين (الباصات والتاكسيات) ٣٤٪ والنسبة المتبقية تؤلف السيارات الخاصة في حين ان عدد السيارات الخاصة بلغ ٤٨٠٠[٣٥] سيارة، واذا اعتبرنا سكان الموصل بحدود ٤٠٠ ألف نسمة فهذا يعني ان هناك سيارة لكل ٨٣ ساكناً.

النقل داخل المدينة :

كانت شبكة النقل الداخلية في المدينة في وضع جيد حيث وجد نوع من التدرج في مستويات الشوارع وقد اتخذت اجراءات باستملاك الأراضي لتوسيع شوارع أخرى. وكانت سطوح الشوارع الداخلية بصورة عامة ذات مواصفات عالية. الا ان السنوات الاخيرة من هذه المرحلة شهدت ازدياد كبير في عدد السيارات نتيجة للازدهار الاقتصادي الذي ساد القطر مما ادى الى ظهور مشاكل متمثلة باختناقات مرورية في بعض التقاطعات وكذلك مشكلة تقاطعات الشوارع مع خط سكة الحديد، ومشكلة الانتقال عبر نهر دجلة الى جانب مشكلة وقوف السيارات في المنطقة المركزية للمدينة. والموصل كغيرها من المدن القديمة تتصف بنظام للشوارع المتجمع حول مركزها لذا فان الرحلات التي لا منشاؤها ولا نهاياتها في مركز المدينة يجب ان تمر من مركز المدينة مسببة صعوبات للمرور في المنطقة المركزية. والجسران الوحيدان اللذان كانا في هذه المرحلة والواقعين على نهر دجلة يقعان ضمن المنطقة المركزية وكان الواحد منها قريب من الآخر، لذا فان جميع الرحلات من احد الجانبين الى الجانب الآخر كانت تحتم المرور خلال مركز المدينة. لذا فان النقص في الطرق الجانبية للمنطقة المركزية المقترنة بالشوارع الضيقة لهذه المنطقة كان عاملا في احداث فوضى لحركة ايقاف السيارات وحركة المشاة، كما ان عدم وجود ضوابط في تحديد ساعات الشحن وتفريغ الشاحنات تسبب اختناقاً في هذه المنطقة المركزية وهناك مشكلة اخرى هي حركة المشاة المعرضة للخطر نتيجة لضيق الارصفة فيضطر المشاة الى النزول الى مجرى الشارع أو أنها رديئة في رصفها، وعدم تحديد مواقع عبور السابلة على طول الشارع مما يجعل وظيفة الشارع خطرة ويقلل من طاقة الشارع الاستيعابية.

والواقع ان نظام المرور في هذه المرحلة لم يواكب التطورات الحاصلة في استخدام الاشارات الضوئية والعلامات المرورية، فانعدام الاشارات الضوئية في التقاطعات الرئيسية يقلل من طاقة التقاطعات



الاستيعابية ومن سلامة وأمان المشاة والسائقين.

المتنزهات والحدائق :

حولت المقابر التي كانت تنتشر ضمن محلات الجانب الايمن الى حدائق عامة فانشئت حديقة البدن والفيترية ودكة بركة و ٣٠ تموز وغيرها. اما على الجانب الايسر فاصبح لغابة الحدباء اهمية خاصة بعد ازدياد اعداد السيارات الخاصة والمتنزهين فيها بحيث اصبحت من المتنزهات الرئيسية بين مدن العراق لاتساع مساحتها واعتدال جوها وامتدادها على نهر دجلة واحتوائها على بعض التسهيلات الترفيهية كمقاعد الجلوس والمماشي ومخيم كشفي دائم تجري فيه مختلف الفعاليات والانشطة الرياضية والفنية، واضيف اليها مرافق خدمية وترفيهية كالكازينوات ومسبح ودور سياحية. وانشئت مدينة الالعاب بجوار حديقة الشعب التي ضمت مختلف الالعاب المسلية الحديثة الكهربائية والاوتوماتيكية، وتنتشر الحدائق فيها وتعدّ من اهم المراكز الترفيهية في المدينة. وانشئ ملعب الجامعة، ومركز شباب المثنى والعديد من ملاعب الاطفال.

المرحلة المورفولوجية الرابعة ١٩٧٧ - ٢٠٠٠ :

مخطط التطوير:

ان مخطط التطوير لمدينة الموصل والذي اعدته شركة سيت انترنشنال الفرنسية اوصى بجملة توصيات (تخص فترات تنفيذ التصميم الاساسي للفترة من ١٩٧٥ ولغاية عام ٢٠٠٠) وكما موضح في الخارطة التالية والتي توضح توزيع استعمالات الارض المختلفة وحسب المساحات المخصصة لكل استعمال والمندرجة في الجدول ادناه.

من الجدول يتضح ان مساحة الموصل لغاية عام ٢٠٠٠ ستصل الى ١٤١كم^{2} ويكون نصيب الفرد الواحد منها ١٥١,٦ م^{2} واذا اضيف اليها الاراضي الزراعية والمسطحات المائية، ومحرمات الفيضان البالغة ٤٥كم^{2} فستصل الى ١٨٦كم^{2}

الجدول (٢)

خلاصة النقاط الاساسية الخاصة باستعمالات الارض حسب التصميم الاساسي[٣٦].

استعمالات الارض	مجموع المساحة (كم^{2})	المساحة لكل ساكن (م^{2})
١ - السكن	٦٦,٤	٧١,٤
٢ - الصناعة	٨,٩	٩,٦
٣ - التجارة	١,٧	١,٨
٤ - الاعمال الادارية الرئيسة	١,١	١,٨
٥ - الخدمات العامة	٩,٥	١٠,٢
٦ - المناطق المفتوحة العامة	٢٠,٤	٢١,٩
٧ - النقل وتسهيلاته (من ضمنها محطات سكة الحديد)	٢٦,-	٢٨,-
٨ - استعمالات متنوعة (موقع نينوى، معاهد خاصة)	٧,-	٧,٥
المجموع	١٤١,-	١٥١,٦
٩ - الزراعة، المياه السطحية، حماية ضد الفيضان	٤٥	
المجموع الاجمالي	١٨٦,-	٢٠٠

وتكون حصة الفرد الواحد من المساحة الاجمالية ٢٠٠ م^{2}.

والمساحة العامة للمدينة وزعت على الاستعمالات الاساسية الآتية :

الاسكان :

ان حاجات السكان من الاراضي السكنية تم تأمينها عن طريق الوحدات السكنية المستقلة وجزئيا عن طريق السكن العمودي. وهذا الاستعمال يحتاج الى مساحات كبيرة من الاراضي لذا فقد خصصت له مساحة ٦٦,٤كم^{2} بحيث تصبح حصة الفرد الواحد منها ٧١,٤م^{2}.

اعطيت الاولوية للتوسع الحضري للفترة من ١٩٧٥ - ١٩٨٥ من تنفيذ التصميم الاساسي للضفة اليسرى من المدينة باستحداث مناطق سكنية كبيرة ادت الى تحقيق حالة توازن بين ضفتي النهر، فامتد التوسع الحضري فعلا على الجانب الايسر

– خارطة مدينة الموصل لغاية ٢٠٠٠.

باتجاه الشرق حول الانطقة التي كانت قائمة، كما امتد التوسع باتجاه شمال وجنوب المدينة فظهرت احياء جديدة لم تكن موجودة عام ١٩٧٧ على الجانب الايسر وأهمها حي العربي والحدباء والبلديات والسكر والجامعة والشرطة وحي المهندسين والبكر وحي صدام والمشراق والميثاق وفلسطين وسومر والسلام. اما الجانب الايمن فقد شمله التوسع الحضري بحيث ظهرت احياء جديدة كحي ١٧ تموز والاصلاح الزراعي والعامل والرسالة والشهداء والنفط.

ويمكن القول ان مدينة الموصل لغاية عام ١٩٨٧ قد استنفذت تقريباً جميع اراضيها المخصصة للوظيفة السكنية وان العمران قد شمل جميع القطاعات الحضرية التي حددها التصميم الاساسي باستثناء الطرف الجنوبي والجنوبي الشرقي من الجانب الايسر وهذا الجزء سيصله العمران

بالتأكيد وستمتد المدينة لغاية عام ١٩٩٠ الى الحدود النهائية التي رسمها لها التصميم الاساسي مما ساهم على ازدياد الحاجة الى ضرورة البدء في اجراء دراسة تخطيطية جديدة هدفها توسيع حدود المدينة.

الصناعة :

اهتم التصميم الاساسي اهتماماً خاصاً بدفع الوظيفة الصناعية الى الامام من اجل احداث حركة تطوير وتنمية شاملة في المدينة فخصص مساحة ٨,٩كم² لانشاء مناطق صناعية كبيرة. واكبر هذه المناطق الصناعية واوسعها هي المنطقة الواقعة في القسم الجنوبي من المدينة وعلى الجانب الايمن منها وقد اعطيت لها الاولوية لاغراض الصناعة الثقيلة والفعاليات المتعلقة بها، وتوسع هذه المنطقة سيمتد جنوباً باتجاه منطقة حمام العليل وعندئذٍ ستتشكل شريطاً صناعياً يحادد خط سكة الحديد. والدراسات الأولية مستمرة لتحديد طبيعة المصانع التي ستنفذ فيها.

والقطب الصناعي الآخر قد ظهر الى الوجود ويشمل منطقتين صناعيتين كبيرتين للصناعات الخفيفة احداهما على الجانب الايمن والأخرى على الجانب الايسر وموقعها ضمن المنطقة الحضرية لان الفعالية الصناعية فيها ليس لها نتائج ضارة على السكان.

التجارة :

تم تخصيص مساحة ١,٧ كم² للاغراض التجارية بحيث يكون نصيب الفرد الواحد منها ١,٨ م² وقد بوشر بتوزيع الفعاليات التجارية على جميع اجزاء المدينة ومراكز القطاعات والاحياء السكنية.

الأعمال الادارية :

المساحة المحددة لهذه الوظيفة هي ١,١كم² وتشمل الخدمات البلدية ومراكز الشرطة ومراكز اطفاء الحريق ودوائر البريد ومحطات الباصات وغيرها، وتم توزيعها على جميع اجزاء المدينة.

الخدمات العامة :

وتشمل الخدمات الصحية والاجتماعية ودور الحضانة وتتضمن ايضاً دور العبادة والمراكز الثقافية ونوادي الشباب والمكتبات فضلاً عن الخدمات التعليمية كالمدارس بجميع مستوياتها.

وخصص لهذه الاستعمالات مساحة ٩,٥كم² أي ان نصيب الفرد منها ١٠,٢ م² ومن خصائصها ان هذه الخدمات موزعة على جميع القطاعات والاحياء السكنية الموجودة في المدينة.

المناطق المفتوحة العامة والمتنزهات :

لم تشهد هذه الفترة اهتماماً في حركة انشاء المتنزهات والحدائق العامة باستثناء انشاء متنزه اليرموك على الجانب الايمن في الجهة الشمالية الغربية من المدينة ويعد المتنزه الرئيسي في هذا الجانب من حيث المساحة ويتصف بحسن التصميم وتبلغ مساحته مايقارب ٧,٥ هكتار. وحاليا بوشر بانشاء مجمع للالعاب في الجانب الايسر وبمساحة كبيرة تقع على محور الموصل - عين سفني.

الا أن التوسع المساحي الكبير والنمو السكاني السريع للمدينة لم يصحبه ازدياد في عدد المناطق الترفيهية فقد بقي نصيب الفرد الواحد منها لايتجاوز ٧م² على الرغم من ان التصميم الاساسي قد خصص لهذا الاستعمال ٢٠,٤كم² بحيث ستصل حصة الفرد منها ٢١,٩ م² في نهاية عام ٢٠٠٠.

النقل وتسهيلاته :

يبذل حالياً اهتمام كبير في تنفيذ مشاريع البنى الارتكازية والتي اهمها مشاريع شبكة الطرق والشوارع ويتم تنفيذها بصورة تدريجية وفق المخطط التطوري للمدينة. وتتضمن هذه الشبكة انشاء محورين رئيسيين من نوع الطرق الدولية السريعة بمجرم ١٠٠ م Expressway محور في كل جانب.



وقد تم البدء بانشائها ، بحيث ان كل جانب سيرتبط بشمال وجنوب مركز المدينة وسيرتبط المحوران معاً بطرق فرعية تقطع النهر شمال المدينة القديمة وجنوب مركز المدينة . اذ سيتشكل طريقاً حلقياً حولها وبعد اكماله سيجنب رحلات السيارات بين القطاعات من المرور خلال مركز المدينة ، وفي الوقت نفسه سيفسح المجال لجميع القطاعات الواقعة حوله بدخول سريع وسهل بوساطة نقاط الاتصال والربط الموزعة عليه .

وسيحيط بالطريق الحلقي المركزي طريق دائري آخر يحيط بالمدينة ولكنه من نوع الطرق الداخلية الرئيسة Arterial road بمجرم ٦٠ م والغرض منه ربط القطاعات المختلفة وان بقية الطرق الخارجة من المدينة سترتبط مع هذا الطريق الدائري . وهذا الطريق الدائري نفذ منه القسم الاكبر والواقع على الجانب الايمن والذي يشمل مقتربات الجسر الثالث وطريق بغداد ، وعلى الجانب الأيسر نفذ الجزء الشمالي منه والذي يشمل مقتربات الجسر الثالث وامتدادها الى دورة السكر ثم الى تقاطعه مع طريق عين سفني .

اما المستوى الثالث من شبكة الطرق الرئيسية فتتألف من شوارع ثانوية boulevards بمجرم ٤٠ م وهذه الطرق تعمل على توفير نقاط اتصال رئيسية بين القطاعات .

والعمل مستمر لاكمال هذه الشبكة لغاية عام ٢٠٠٠ .

ومن ضروريات هذه الشبكة انشاء جسور الربط بين جانبي المدينة وقد تم انشاء الجسر الثالث (جسر ابي تمام) الذي افتتح عام ١٩٧٩ ومقترباته على الجانب الايمن تؤدي الى طريق بغداد الدولي السريع وساعد على تقوية الارتباط بين مناطق القسم الشمالي من جانبي المدينة . وفي عام ١٩٨٤ انتهى العمل من انشاء جسر الموصل الرابع (جسر صدام) ومقترباته التي ترتبط بطريق كركوك الدولي السريع عبر حي الوحدة ، وقد ادى الى ربط حي الدندان بحي الضباط وبهذا زاد الاتصال بين الجانب الايسر والتوسع الجنوبي الحاصل لمركز المدينة على الجانب الايمن .

وفي عام ١٩٨٨ تم انجاز الجسر الخامس (جسر القادسية) وهو يقع بين الجسر الثالث والجسر الحديدي بحيث تحيط مقترباته بالحد الشمالي من المدينة القديمة والتي تؤلف الجانب الشمالي من الطريق الحلقي المركزي .

اما الجسر السادس المقترح والذي سيقع في اقصى جنوب المدينة لربط المنطقة الصناعية الثقيلة المقترحة الواقعة على الجانب الايمن بطريق كركوك الجديد . والجسر السابع المقترح لربط شرق وغرب المدينة بقسمها الجنوبي بطريق دولي سريع يعمل على سهولة الحركة والوصول الى المركز بالنسبة للسكان الجدد في كلتا الضفتين . واخيراً جسر ثامن مقترح يقع جنوب الجسر السابع لاحكام الربط التام بين التوسعات الجنوبية على كلا الجانبين ولاكمال الوصل بين مركز المدينة ومحطة القطار المقترحة على الجانب الايسر .

• الخط السريع لسكة الحديد المقترحة :

ان هذا الخط سينفذ على المستوى القومي وان محطة الموصل ستكون بوضعية متميزة للاتصال مع الخارج (ربط بقية اقسام القطر بالخارج) . وسيكون مسار هذا الخط وموقع المحطة المقترحة على الجانب الايسر والجزء الاعظم منه سيكون خارج حدود المناطق السكنية لتجنب الضوضاء .

وسائط النقل :

ازدادت اعداد السيارات باختلاف انواعها خلال السنين الاولى من هذه المرحلة الراهنة ولعدم توافر اعدادها على مستوى المدينة لذا فستذكر الارقام على مستوى المحافظة علماً ان النسبة العظمى منها هي مركبات تخص سكان مدينة

شبكة الشوارع الرئيسية واسماء المحلات السكنية لغاية عام ١٩٨٧.

الموصل ولكون سيارات الاقضية تقوم برحلات مستمرة الى مدينة الموصل. بلغت سيارات الركاب للقطاع الخاص المسجلة لغاية عام ١٩٨٥ (٣٧) كالآتي :-

الجدول (٣)

سيارات الركاب (صالون)	سيارات ركاب (ستيشن)	حقلية	الباصات
خصوصي ٣٥٠٢٢	٣١٠	١٥٢٥	
اجرة ٧٦٤٩	٦٤	٦٣٧	٢٥٨١
المجموع ٤٢٦٧١	٣٧٤	٢١٦٢	٢٥٨١

المجموع الكلي ٤٧,٧٨٨

ويتضح ان عدد سيارات الركاب بلغ ٤٧,٧٨٨ سيارة بالاضافة لوجود ١٨٤٩٧ سيارة بيك آب وفان و ٧٤٤٩ سيارة قلاّب اي ان مجموع سيارات الحمل بلغت ٢٥٩٤٦ سيارة حمل. وبلغ المجموع الكلي لمختلف انواع السيارات ٧٣٧٥٣ سيارة.

فلو اعتبرنا ان ٨٠٪ من السيارات الخاصة هي لأهالي مدينة الموصل فان معنى هذا ان عددها في المدينة بحدود ٢٨٠٠٠ سيارة واذا قدرنا ان عدد سكان المدينة عام ١٩٨٥ كان بحدود ٥٥٩٠٠٠ نسمة معنى هذا ان هناك سيارة خاصة واحدة لكل ٢٠ شخصاً كان يقابلها سيارة خاصة واحدة لكل ٨٩ شخصاً عام ١٩٧٤ وهذا يدل على

النمو السريع جداً في عدد السيارات الخاصة نتيجة لارتفاع مستويات المعيشة.

خدمات عامة أخرى:

• التخلص من مياه الامطار:

لكون الوديان المنحدرة في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية يمكن ان تسبب خطراً على بعض المناطق السكنية فقد بوشر بانشاء مشاريع مجاري مياه الامطار على مستوى المدينة باكملها كما زاد الاهتمام بتقوية السداد المقامة على ضفاف نهر دجلة ووادي الخوصر.

• مشاريع المياه القذرة:-

تم اعطاء الاولوية حالياً لمشاريع المياه القذرة لمعالجة المستويات الصحية المتدنية في هذا المجال والعمل على ربط جميع قطاعات المدينة بشبكة كفوءة من خطوط المجاري القذرة.

• مشاريع الامداد المائي:

العمل مستمر على تنفيذ مشاريع لتلبية حاجات المدينة خلال اعلى طلب على المياه النقية وخاصة في فصل الصيف. فضلاً عن الاهتمام بانشاء شبكة توزيع مياه الحدائق الخاصة والمتنزهات العامة.

شبكة الطاقة الكهربائية:

ان نظام التوزيع الحالي للطاقة الكهربائية سيتعزز بانشاء محطات توليد كهربائية ثانوية لكي تلبي الطلب المتزايد من الطاقة الكهربائية للاستعمالات الصناعية والمنزلية.

مناطق ذات قيمة خاصة:

ضمن التصميم الاساسي هنالك عدد من المناطق التي تتصف كل منها بقيمة خاصة ومتميزة عن المنطقة الاخرى ومن هذه المناطق:

*** وادي دجلة ووادي الخوصر:**

يتصف وادي دجلة بجاذبيته الكبيرة وهو ملائم جداً لقيام فعاليات التسلية والاستحمام والخدمات الترفيهية الأخرى، والتي تتم في المناطق المفتوحة ذات الهواء الطلق. وهذه الامكانية المتميزة لنهر دجلة تعد مهمة للغاية في انتشار الانطقة الحضرية على طول النهر. كما ان وادي الخوصر له امكانات متشابهة لنهر دجلة الا انها ذات مستوى ادنى منه.

*** المدينة القديمة:**

إن الآثار التاريخية والتراثية والمعمارية القيمة التي تتصف بها المدينة القديمة يجب صيانتها والحفاظ عليها. الا ان ظروف خدماتها واحوال سكانها الحالية بحاجة الى القيام باعداد برنامج متكامل لتجديدها بحيث يصاحب عملية التجديد تقليل في كثافتها السكانية[٣٨] وابعاد فكرة انشاء شوارع واسعة تتخللها والاستعاضة عنها بانشاء شارع الكورنيش على طول النهر لكي يمكن ضمان ربط الجزء الجنوبي من الكورنيش المنفذ منذ عام ١٩٧٤ مع الطريق الدولي الحلقي الذي هو تحت التنفيذ، وضرورة ان يكون هذا الربط باتجاه واحد كي لا يخلق اي ثغرة كبيرة في البناء الحضري الواجب صيانته.

*** موقع نينوى الأثري:**

تبلغ مساحته بحدود (٧)كم^2 وهو محاط بصورة تامة بمناطق حضرية قائمة. وان التصميم الاساسي استبعد اي عملية تحضر سكنية تنفذ ضمن الموقع، وقد اكد على ضرورة انشاء اشرطة حماية تكون مزروعة على طول محيطها، لكي تزيد من جمال وروعة الاسوار التي يعاد بناؤها تدريجياً. وايضاً اكد التصميم على ضرورة انشاء فتحات واسعة بعيداً عن محيط الموقع الاثري بحيث يمكن منها مشاهدة الاسوار.

القوانين والتشريعات الحضرية:

ان عملية التنفيذ والسيطرة على التطور الحضري قد اخذت بنظر الاعتبار في خطة مدينة الموصل



الحالية عن طريق ضوابط وانظمة تستند على اسس قانونية مصدقة، ويتم تعديلها حسب المناطق الحضرية المختلفة والمناطق الثانوية وايضاً حسب القطاعات الحضرية المحددة ضمن الخطة بحيث حُدِدَت المشاريع المسموح بها والمشاريع المحرم القيام بها في كل منطقة(٣٩).

كما شملت المساحة الصغرى لكل قطعة من الأرض، وابعادها والمساحة القصوى المسموح بناؤها لكل قطعة، ونسبة مساحة الطوابق المبنية القصوى، وكذلك عدد الطوابق، فضلاً عن المسافة الصغرى المسموح بها بين أي بناء وحدود القطعة.

الهوامش

(١) هاشم الجنابي، التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة، مطبعة جامعة الموصل، الموصل، ١٩٨٢ ص ١٦.

(٢) د. صلاح الجنابي، جغرافية الحضر اسس وتطبيقات، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٧، ص ٣٤٣.

(٣) Republic of Iraq, Ministry of Municipalities, Mosul Master plan "Central and Conservation Areas 1974 P. 8.

(٤) د. فاضل حسين، مشكلة الموصل، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٧، ص ٩٤.

(٥) طه الهاشمي، مفصل جغرافية العراق، بغداد ١٩٣٠، ص ٨٤.

(٦) المملكة العراقية، وزارة الشؤون الاجتماعية، احصاء السكان لسنة ١٩٤٧، الجزء الثاني، ١٩٥٤، ص ص ١ - ٤.

(٧) المملكة العراقية، وزارة الشؤون الاجتماعية، المصدر نفسه ص ص ١ - ٤.

(٨) المملكة العراقية، وزارة الشؤون الاجتماعية، المصدر نفسه، ص ١٣.

(٩) د. صلاح الجنابي، المصدر السابق، ص ٢٦٠.

(١٠) سعيد الديوه جي، «البيت الموصلي»، مجلة التراث الشعبي، العدد ٦، ١٩٧٥، بغداد، ص ٤٣.

(١١) احمد الصوفي، تاريخ بلدية الموصل، ج ١، الموصل ١٩٧٠، ص ص ٢٢ - ٣٨.

(١٢) أحمد الصوفي، المصدر السابق، ص ص ٢٢ - ٣٨.

(١٣) المملكة العراقية، وزارة الشؤون الاجتماعية، المصدر السابق، ص ٤.

(١٤) سعيد الديوه جي، بحث في تراث الموصل، دراسة في المصادر التاريخية لتراث وخطط مدينة الموصل، ١٩٨٢، ص ٧٠.

(١٥) أحمد مجيد، العمائر السكنية في مدينة الموصل، الجزء الأول، موصل، ١٩٨٢، ص ٥.

(١٦) د. عبد الرزاق عباس حسين، جغرافية المدن، بغداد، ١٩٧٦، ص ٩٩.

(١٧) د. صلاح الجنابي، دور العوامل الاجتماعية في توزيع انماط استعمالات الارض ضمن الاطار المكاني للموصل الكبرى، مجلة التربية والعلم، العدد الثاني، ١٩٨٠، ص ٢٩٧.

(١٨) المملكة العراقية، وزارة الشؤون الاجتماعية، المصدر السابق، ص ١ - ٤.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٢٣ - ٢٥.

(٢٠) الصوفي، المصدر السابق، ص ٣٥.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٢٣) الصوفي، المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٢٤) أحمد مجيد، العمائر الخدمية في مدينة الموصل، الجزء الثاني، الموصل، ١٩٨٢، ص ٣.

(٢٥) د. أحمد قاسم الجمعة، المميزات والتصاميم المعمارية التراثية في الموصل، مجلة آداب الرافدين، العدد ٦، ١٩٨٦، ص ٣٢٣.

(٢٦) د. محمد ازهر السماك، وآخرون، استخدامات الارض بين النظرية والتطبيق، مطبعة جامعة الموصل، الموصل، ١٩٨٥، ص ٣١.

(٢٧) Republic of Iraq, Ministry of Municipalities, Analysis Report, 1974, P. 111

(٢٨) هاشم الجنابي، المصدر السابق، ص ٨٠.

(٢٩) روبير اوزيل، فن تخطيط المدن، ترجمة بهيج شعبان، بيروت، ١٩٧٤، ص ١٣١.

(٣٠) Republic of Iraq, Ministry of Municipaties, Op. Cit, P. 115.

(٣١) Republic of Iraq, Mosul Plan, Op. Cit., P. 115

(٣٢) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للاحصاء، نتائج ترقيم المباني وحصر السكان لسنة ١٩٧٧، ص ص ٦ - ٧.

(٣٣) Republic of Iraq, Ministry of Municipalities, Master Plan Report. 1976, PP. 14 – 15.

(٣٤) Republic of Iraq, Ministry of Municipalities, Ibid, P. 16.

(٣٥) Ibid, PP. 16 – 17.

(٣٦) Ibid, P. 74.

(٣٧) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للاحصاء، دائرة احصاءات النقل والمواصلات ١٩٨٦، ص ٢.

(٣٨) Republic of Iraq, Ministry of Municiplaities, Special areas report, 1978, P. 47.

(٣٩) Republic of Iraq, Ministry of Municipalities, Mosul Master Plan Report, "Regulations", 1978 P. 1.



بُنيةُ مدينةِ الموصل وصورتها الحالية

د. صلاح حميد الجنابي

نمط نمو المراكز الحضرية :

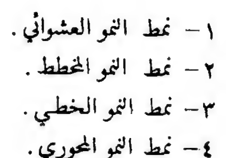
يختلف نمط النمو المساحي للمراكز الحضرية في العالم باختلاف مؤشراته،فمدن الدول المتطورة مرت بمراحل النمو متكاملة ، وذلك لان خصائص هذا النمو تطورت في تلك الجهات في حين بقيت لدول العالم الثالث الحرية في اختيار أي من هذه المراحل بعد التغير الذي أصاب وسائط النقل المستخدمة. كما ان الطاقة المستعملة حالياً غيّرت من نمط نمو المراكز الحضرية. فالطاقة الكهربائية المستخدمة في الاستعمالات الحضرية تمتاز بسهولة توزيعها ، مما أثر ايجاباً على حرية توزيع استثمارات الارض في داخل المركز الحضري او عند هوامشهِ ، وبشكل يختلف عما كان عليه في اثناء استخدام الطاقة المائية والبخارية التي تم استثمارها في مواضع الانتاج.

ويقاس النمو المساحي للمراكز الحضرية عن طريق ملاحظة التغير في المساحة المستثمرة بين فترتين زمنيتين. ويبرز هذا التغير باجلىٰ صوره في الأطراف الحضرية Urban Fringe يشكل نمواً مُشتتاً Scattered او ممتداً بشكل أشرطة Strung Out او بتركزات نووية مميزة. وتكون هذه الأنماط متداخلة مع استعمالات الأرض الزراعية التي تمتاز عادة بتجانسها ، وتكون الكثافة السكانية فيها دون متوسط الكثافة في المدينة المركزية[1] .

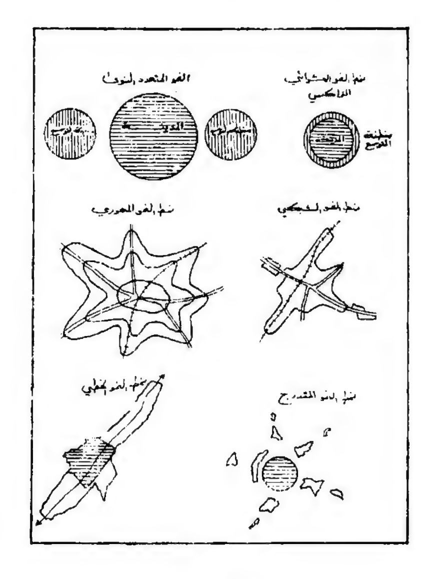
ومن خلال ملاحظات الباحثين على انماط النمو المساحي للمراكز الحضرية ، برزت الانماط الاساسية التالية نتناولها باختصار لنحدد النمط او الانماط التي انعكست على صيغ النمو المساحي لمدينة الموصل.

انماط النمو المساحي للمدينة :

يمكن اعتبار الانماط التالية نموذجاً لأنماط النمو المساحي للمراكز الحضرية في العالم : —



١ — نمط النمو العشوائي .
٢ — نمط النمو المخطط .
٣ — نمط النمو الخطي .
٤ — نمط النمو المحوري .



الشكل (١)
انماط النمو المساحي للمدن

١) نمط النمو العشوائي :

يظهر نمط النمو العشوائي للمدينة ضمن السياقات الآتية :

أ) النمط التراكمي :

يتم على مساحات الفضاء داخل المدينة ، أو بالبناء عند المشارف احيانا اذا ما كان سعر الارض مرتفعاً في الداخل. لقد واكب هذا النمط من النمو المراكز الحضرية القديمة المسورة التي كانت محدودة الاطار المساحي ، او كانت حركة السكان بين



مواقع السكن والعمل محدودة تتم دون استعمال اية واسطة. وبمرور الزمن تمد المدينة حمايتها الى اولئك الذين يسكنون خارج أسوارها، فتهدم الاسوار القديمة وتبنئ اسواراً جديدة تحيط بمساحة اوسع في حين تستثمر منطقة السور القديم بانشاء طريق دائري يشير ولو جزئياً الى الخطة الدائرية الاصلية للمدينة. وهكذا تنمو امثال هذه المدن الدائرية حلقات اثر حلقات. ولكن ليس معنى ذلك ان امتدادات المدينة تتبع في توقيعها الخطة الاصلية، فقد تمتد وفق الزوايا القائمة على الرغم من الاصل الدائري.

ان التوسع الحضري بهذا النمط يقتضي بقاء مناطق الاطراف على اتصال مباشر مع المدينة المركزية باعتبار أن الوضع المشتت لايسمح بنقل الخدمات والاستعمالات ذات المنفعة العامة الى تلك المناطق[٢]. وخلال الفترة التي نمت فيها المدينة على هذا النحو امتدت العديد من طرق النقل التي تمكن السكان من الحصول على الخدمات. كما ساهمت بدورها في توقيع المؤسسات الوظيفية.

ب) نمط النمو متعدد النوى:

يختلف هذا النمط عن نمط النمو التراكمي، وهو في ابسط صوره يعني ظهور مدينة جديدة على مقربة من اخرى قديمة، ولكنه قد يتخذ صورة مركبة عندما يمتد الى مدينة اخرى او بضعة مراكز حضرية حولها ترتبط معها بعلاقات معينة. وتقوم مدينة جديدة على مقربة من اخرى قديمة تلبية لرغبة في الانفصال او رمزاً لدولة جديدة او طلباً للأمان. بيد أنه ليس من الضروري في كل الأحوال ان تكون هناك رغبة انفصالية لتظهر مدينة جديدة. في بعض الحالات تنشأ مثل هذه المدن نشأة ذاتية وتتخذ شكلاً خاصاً لانها ترتبط بعلاقات وظيفية مع المدينة الاصلية القائمة. كما تنشأ حول محطات السكة الحديد التي تقع خارج المدينة، او على الضفة الاخرى من النهر المقابلة للمدينة الاصلية، او حول المصانع التي هجرت المدينة الام. او تظهر تلبية للحاجة الى اعداد كبيرة من المساكن الرخيصة الواسعة تكون بمجموعها ضواحي سكنية يعيش فيها كثير من سكان المدينة الاصلية، وهكذا ينفصل المسكن عن مكان العمل.[٣] والمتتبع لنمو مدينة الموصل يجد ان الزهور برزت كضاحية سكنية - اتضحت لدى سكانها في بدء ظهورها - سمة الفجوة الواسعة بين المسكن ومكان العمل او مركز التسوق في الزمن الذي كان يقطعه الفرد في رحلته اليومية آنذاك والذي كان يستغرق ساعة ونصف.

ج) نمط النمو المتدرج:

يطلق على هذا النمط من النمو مصطلح Leap Frog Development ويقصد به النمو المتناثر على شكل مراحل بانشاء مجمعات حضرية ثانوية غير مرتبطة عمارياً بالمدينة المركزية، بل تفصلها منطقة خالية تتطور مستقبلاً.[٤] ان هذا النمط من النمو يكون ملائماً لانشاء المدن الجديدة والمتخصصة.

٢) نمط النمو المخطط:

يأتي نمط النمو المخطط من تدخل الدولة بطريق مباشر او غير مباشر في توجيه العمران المدني وتنظيمه وتجهيزه بالمواقف العامة منعاً لظهور التجمعات الحضرية المتدهورة ورغبة في توفير السكن المناسب في المكان المناسب، فضلاً عن تهيئة الجو الصحي لسكان المدينة.

٣) نمط النمو الخطي/ النظرية الشبكية (نسيج العنكبوت):

يتخذ هذا النمط من النمو شكل أشرطة ممتدة من المدينة المركزية نحو الخارج، وتتبع مناطق النمو الجديد في امتدادها خطوط النقل الرئيسة تاركة فيما



بينها مناطق قليلة التطور. وكان هذا النمط سائداً في المدن عندما كانت السيادة في النقل للسكة الحديد. وتميزت المدن من خلاله بشكلها النجمي عندما نمت الضواحي بسرعة كبيرة وارتفعت الكثافة فيها على نحو جعلها تنافس المدينة المركزية في ذلك. ويعد هذا النمط من اكثر انماط النمو الحالية رغبة ووضوحاً.

٤) نمط النمو المحوري :

وهو النمو المستمر للمدينة بالقدر الذي تسمح به الظروف الطبيعية، ويلعب الوقت المصروف في الوصول الى المركز الحضري دوراً مهماً في امتداد المدينة، فالاتساع يكون مع امتداد خطوط النقل اكثر من المناطق المحصورة بين الخطوط.

ان نظرية النمو المحوري تعطي فكرة واضحة عن الاشكال النجمية التي تتخذها المراكز الحضرية والمعايير التي تتحكم في نمو المدينة باتجاه المناطق الريفية المحيطة، ويترك هذا النمط عن النمو المناطق الداخلية للمدينة بشكل نطاقات غير مستقرة. ويمكن اعتبار هذا النمط من النمو مرحلة تطورية لصيغة النمو الشبكي، خاصة بعد شيوع استعمال السيارة كواسطة اساسية في النقل، او استثمار الاراضي المحصورة بين الأذرع الحضرية الممتدة مع خطوط النقل.

التغير المساحي لمدينة الموصل:

تختلف صيغة التطور المساحي للمراكز الحضرية باختلاف مقومات نموها وازدهارها. فعند ضياع جانب الديمومة فيها سرعان ماتضمر. وكثيراً ما يُشبه الجغرافيون مراحل نمو المدينة بمراحل النمو الحياتية للكائنات متأثرين في ذلك بآراء ديفز، فيميزون مراحل حياة المدينة بمرحلة الشباب ومرحلة الكهولة ومرحلة الشيخوخة. وعلى الرغم من صحة هذا الرأي في بعض جوانبه فانه ليس قطعياً، فنلاحظ مثلاً ان كثيراً من المدن تبدأ بمرحلة الشباب وتنتهي بشكل مفاجئ بمرحلة الشيخوخة دون المرور بمرحلة الكهولة. ويحصل هذا خاصة في المدن التي تتعرض الى غزو خارجي، او تتأثر بظاهرة طبيعية، او تتحول عنها طرق المواصلات، في حين مازالت مدناً كثيرة في العالم تعيش في مرحلة الشباب دون انتقالها الى مرحلة تالية في حين تهرم مدن وتعود لطور الشباب من جديد بعد فترة سبات. وقد تتابع تلك الدورات الحياتية لاكثر من مرة. فمدينة الموصل بدأت مرحلة شبابها في العهد الاسلامي الاول. ولاقت بعض الاصلاح في اوضاعها العمرانية على يد الامويين خاصة في عهد آخر خلفائهم مروان بن محمد الذي كان اول من عظمها والحقها بالامصار.[٥]

وخلال فترة الحكم العباسي- وبشكل خاص في بداياته- لم تشهد المدينة تطوراً ملحوظاً في مؤسساتها. فضلاً عن ان الحركات التي سببها الخوارج في المدينة في حوالي القرن الثاني الهجري اثرت على وضع المدينة، حتى ان الخليفة هارون الرشيد هدم سورها[٦].

إلا ان المدينة عادت من جديد الى مرحلة الشباب في زمن الحمدانيين (٩٠٥-٩٧٧)م عندما رممت قلعتها وسورها وابراجه، اضافة الى مؤسساتها الوظيفية والخدمية الاخرى. وعادت المدينة الى مرحلة الضمور بشكل واضح في العهد العقيلي (٩٩٧- ١٠٩٥)م بسبب التنازع الشديد بين امرائهم على الحكم[٧]. واستمرت في ضمورها في العهد السلجوقي (١٠٩٥- ١١٢٧)م حيث لم تهمل مؤسساتها الوظيفية فقط وانما بدأت المدينة تفقد سكانها بسبب المنازعات المستمرة بين امراء السلاجقة.[٨]

وفي فترة الحكم الاتابكي (١١٢٧- ١٢٣٣)م عادت للمدينة بعض نضارتها بعد استقرار الاوضاع فيها وفي ظهيرها الزراعي حتى اصبحت في زمن بدر الدين لؤلؤ «ام البلاد ونزهة العباد ومحط العدل ومنبع العقل».[٩]

إلا ان حالات الاستقرار لم تدمْ فبعد سقوط بغداد (١٢٥٨)م بثلاث سنوات سقطت المدينة بأيدي التتر ولاقت شأنها شأن المدن العراقية الاخرى اكبر نكبة في تأريخها.

ولم يحدثنا التأريخ عن اصلاحات تمت في المدينة في فترة سيطرة القره قوينلي والآق قوينلي وفترة السيطرة الصفوية، والعثمانية (١٥٣٤)م والفارسية (١٦٢٢)م ثم العثمانية في زمن السلطان مراد الرابع في سنة (١٦٣٨)م. وخلال هذه الفترات جميعاً بقيت المدينة على حالها على الرغم من اهميتها الموقعية، الا انه في عام (١٧٢٦)م ولّىٰ العثمانيون عائلة آل الجليلي على مدينة الموصل واستمروا ما يقارب الـ (١٢٠) عاماً (١٧٢٦-١٨٤٣)م استقرت الامور فيها داخل المدينة وفي اقليمها مما ساعد على اعادة مؤسساتها الوظيفية وبدأ العمران يتطور فيها وأخذت بوادر الشباب تظهر عليها من جديد منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ولم توفر كتب التأريخ والآثار خرائط واضحة للمدينة إبان نموها وتطورها المبكر، ولكن عند متابعة مواقع المناطق الأثرية المبنية خلال فترات الحكم الراشدي والاموي والعباسي وما بعده يجدها في مواقع داخلية ضمن منطقة السور العام. كما ان خرائط الموصل اثناء الحكم الأتابكي تكاد تشابه مخططات المدينة عندما زارها نيبور عام (١٧٦٦)م وفليكس جونس عام (١٨٥٢) وهرسفيلد عام (١٩٠٧) وما وضحه والتصميم الاساسي للمدينة لعام (١٩٣٠)[١٠]. وتبدو المدينة من خلالها على شكل دائري يحيطها سور من معظم جوانبها عدا الجانب الشرقي الذي يطل على نهر دجلة. ويتركز العمران السكني والأداري في وسط وجنوب وجنوب شرق المدينة المسورة. وهذا يعني ان المدينة خلال مراحل نموها وضمورها حافظت على وحدتها المساحية المحددة قسراً داخل سور المدينة العام. ولايظهر التطور إلا في اتساع الاستعمالات الحضرية داخل السور باتجاه شمالي وشمال غربي على حساب مناطق مخصصة اصلاً للاغراض العسكرية.

وتنتشر المناطق الزراعية خارج السور وبالقرب من ابوابه، مستثمرة طرق النقل التي تربط المدينة باطراف اقليمها او بالمراكز الحضرية الأخرى. وبعد عام (١٩٣٦) تحررت مدينة الموصل نهائياً من سورها بعد ان بدأ هدمه منذ الحرب العالمية الاولى، وبدأت استعمالات الارض الحضرية تتطاول من الهيكل العام المتراص للمدينة مع خطوط النقل الرئيسة وبشكل خاص في الأتجاه الجنوبي والجنوب الغربي. كما ان بناء جسر الموصل الحديدي عام (١٩٣٠)م ساعد على نمو حضري جديد ملتصقاً مع طريق موصل - اربيل وموصل - دهوك. واتصلت منطقة نينوىٰ القديمة مع حافة نهر دجلة الشرقية عبر محلة النصر (الفيصلية سابقاً). او بعبارة اخرى اتصلت نواتي مدينة الموصل الحالية، المدينة القديمة في الجانب الايمن لنهر دجلة ومنطقة النبي يونس في الجانب الايسر للنهر. ومن الجدير بالذكر ان سكان مدينة الموصل كانوا يحجمون عن السكن في الجانب الايسر لقلة حمايته وتعرضه المستمر لخطر فيضان نهري دجلة والخوصر. ان هذا التطاول للمدينة حررها من شكلها الدائري المحتشد المحشور قسراً داخل الاطار الذي يرسمه سور المدينة، وبدأت لوامسها الحضرية تتطاول مع خطوط الحركة الأساسية.

وكانت بدايات النمو المساحي للمدينة في عشرينات هذا القرن عندما تأسس معسكر الغزلاني ومنطقتي الدواسة والشفاء. وكانت المنطقة الاخيرة في الاساس منطقة مخصصة للاستثمارات العسكرية ابان فترة الحكم العثماني. وفي الخمسينات بدأ البناء يزحف على اطراف الجانب الايمن المدينة تتسع في احياء الثورة وجمعية المعلمين بشكل نمو تراكمي خاصة في محلات الموصل الجديدة والزنجيلي الجنوبية. بعد ذلك بدأت



الاستعمالات الحضرية تنمو في اطراف منطقة الدندان والطيران واليوسف والزنجيلي الشمالية وحي الربيع والاصلاح. وفي العقد السادس بدأت المدينة تتسع في احياء الثورة وجمعية المعلمين واليرموك والبلدية والاطباء والمأمون والنسيج والسكك واراضي الزنجيلي الشمالية.

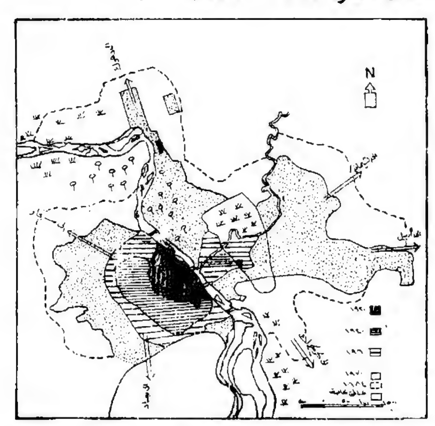
اما الجانب الايسر للمدينة فلم يشهد النمو والتطور إلا حديثاً، حيث لم يستثمر بالاستعمالات الحضرية الخارجة من المدينة المركزية بشكل فعلي إلا في نهاية الخمسينات. فقد حافظ هذا الجانب على استعمالاته القديمة والمستحدثة في الثلاثينات الى عام (١٩٥٧)م عندما بدأت الاستعمالات الحضرية- خاصة السكنية منها- تغزو الزهور والمجموعة الثقافية والاندلس. وفي فترة الستينات ازدهر البناء في هذا الجانب حيث استثمرت اراضي القادسية والعبيدي والمثنىٰ والمصارف والبريد والنور والضباط والمالية والوحدة والمنطقة المحصورة بين حي البعث ومحطة تلفزيون الموصل مع امتداد طريق الموصل- اربيل، واحياء الماء والكهرباء والزراعي والحكام.

واستمرت الاحياء السكنية تنمو في السبعينات متطاولة مع طرق موصل- دهوك وموصل- عين سفني، وموصل- عقرة، وموصل- اربيل، وموصل- الكوير. وتعددت الاحياء الجديدة، وتطاولت الاحياء القديمة بشكل كثيف بعد ان استثمرت المناطق الشاغرة والمتروكة. ومن ملاحظة المناطق المستثمرة حتى عام ١٩٨٦ نجد ان المدينة في طريقها للعودة الى شكلها الدائري القديم ولكن على اطار مساحي اكبر.

طبيعة التغير المساحي لمدينة الموصل:

ظهر مما سبق ان مدينة الموصل تعرضت الى نمو سريع بتأثير عملية التفاعل بين الانسان وبيئته. ولعب الميل المتزايد للسكان في استيطان المراكز الحضرية دوراً فعالاً في ذلك النمو. وتبرز تأثيرات موقع ومساحة الاراضي المخصصة للاستعمال الجديد في رسم اتجاه النمو في المدينة. ويعد الاستعمال السكني من اكثر الاستعمالات الحضرية سرعة في النمو والتحرك باتجاه اطراف الحيز الحضري المستمر، وذلك لقلة قابليته على منافسة استعمالات الأرض الحضرية الاخرى كالتجارية والصناعية. ولكل من حجم المدينة واهميتها ودرجة مركزيتها وموقعها دور مهم في سرعة نمو الاستعمال الجديد. كما ان للصناعة دوراً اساسياً في نمو المدينة.

وتعد منطقة الاطراف متنفساً للمدينة القديمة في نقل استثماراتها المزدحمة بنمط من التشتت، فعلىٰ سبيل المثال سيطرت منطقة الاطراف على ٩٥,٩٪ من مجموع الاستعمال الجديد في المدينة **خلال الفترة ١٩٦٧- ١٩٧٦**[١١].



الشكل (٢) التطور المساحي لمدينة الموصل ١٩٢٠- ١٩٨٦

وتباينت سرعة النمو في اطراف المدينة تبعاً لقربها من المدينة المركزية، ومقدار تأثير خطوط النقل، والعامل الزمني. ويعد الجانب الايمن للمدينة اقل سرعة في النمو خلال السنوات الأخيرة مما هو عليه في جانبها الايسر، بالنظر لاستثماره المبكر خلال العقد الرابع من هذا القرن، وتماسه مع المدينة القديمة واستثمار معظم الاراضي الشاغرة الواقعة ضمن الحدود البلدية فضلاً عما شكله الاستعمال الخاص من قطع في امتداد الاستعمالات الحضرية.

اما الجانب الأيسر فقد كان الاقبال على

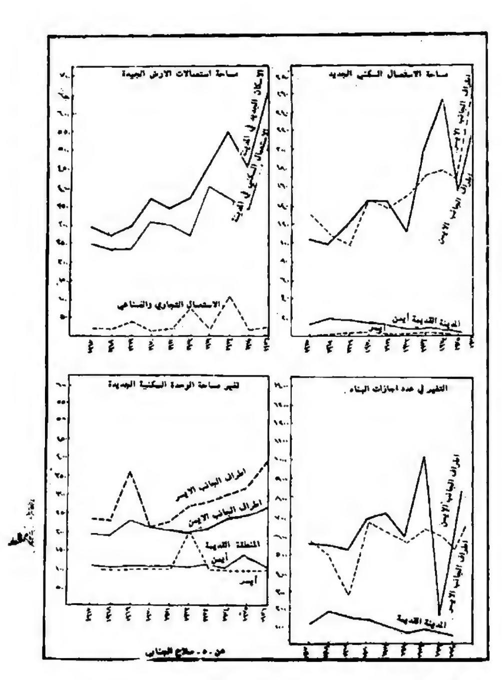
استثماره قليلاً خلال العقد الرابع من هذا القرن لانفتاحه من جهة ، وقلة حمايته من خطر الفيضان من جهة اخرى . كما ان النهر يشكل فاصلاً طبيعياً يمنع الاستمرارية الحضرية ابان فترة النمو الاولى للمدن. ولكن بعد السيطرة على ما يهدد هذا الجانب من خطر، وبناء جسري الموصل وانشاء مؤسسات ثقافية مميزة ، تشجع الاستعمال الحضري الجديد على استثماره بصورة سريعة ، ويبرز ذلك من ملاحظة المساحات المبنية في كلا الجانبين خلال الفترة ١٩٦٧/ ١٩٧٦ حيث بلغت (١٥٤٤٨٦٧)م٢ في الجانب الايسر يقابلها (١٤٥٩٤١١)م٢ في الجانب الاول(١٢) . ومن الجدير بالملاحظة ان الاستثمارات الجديدة المبنية عند اطراف مدينة الموصل لاتتمثل في الاستثمار السكني فحسب- بالرغم من سيطرته على ٩١,٤٧٪ من مساحة الجانب الايمن و٩٣٪ من مساحة الجانب الايسر- وانما بالاستعمالات الصناعية والتجارية ، حيث سيطرت على ٨٩,٦٪ من مساحة الاستثمار الجديد المضاف للمدينة خلال الفترة ٩٧٦,٩٦٧ . (١٣)

ان التشتت لاستعمالات الارض في اطراف مدينة الموصل يأتي من تأثير متغيرات عدة اهمها ، فاعلية قوة الطرد المركزية التي تمارسها المدينة على بعض مؤسساتها المركزية بدفعها الى مواقع جديدة عند الاطراف ، او استقطاب مؤسسات جديدة واردة للمدينة من اقليمها ، او استحداث مؤسسات جديدة نتيجة لتلبية حاجة ملحة لسد متطلبات المستوطنين الجدد في هذه المناطق او بالقرب منها.

وهناك عوامل متعددة ساعدت على انتقال المؤسسات الوظيفية الحضرية الى اطراف المدينة وساعدت على نموها اهمها :-

١) خطوط النقل :

تعد خطوط النقل شرياناً للنمو والتوسع



الشكل (٣) تطور مساحة الاستعمالات الجديدة واجازات البناء في مدينة الموصل ١٩٦٧ - ١٩٧٩

الحضري ، واصبح عامل المسافة أقل تأثيراً في تحديد مناطق السكن الجديدة. وبدأت الاستعمالات الحضرية المشتتة من المدينة المركزية باستثمار المناطق المحاذية للطرق الرئيسة باستطالات أميبية . فعلى سبيل المثال سيطرت الطرق الرئيسة الخارجة من مدينة الموصل على ٦٢,٦٪ من مجموع الاستعمال الجديد في المدينة كمعدل عام خلال الفترة ٩٦٧/ ٩٧٦ . (١٤)

٢) ارتفاع الكثافة السكانية :

وصلت مدينة الموصل في عام ١٩٤٧ الى قمة تطورها مقارنة بالسنوات السابقة ، مما شجع على حركة السكان من المناطق الريفية باتجاه المدينة. وظهر اثر ذلك في ارتقاء المدينة سكانياً في احصاء ١٩٥٧ . وكان للزيادة الطبيعية دور آخر في هذه الزيادة. وكانت هذه الفترة تقف عند بدايات خروج السكان الى اطراف المدينة . ولم تكن الزيادة السكانية في احياء المدينة القديمة مطلقة ، وانما



تعرضت مناطق معينة للنقص بعد ان وصلت الى حد الأشباع ، وتوافر مجالات الانتقال الى الاحياء الجديدة. ويبرز هذا الأثر بوضوح في احصاء ١٩٦٥. فقد كانت اعلى نسب الانخفاض السكاني تتمثل في محلات حوش الخان والخاتونية والدواسة وباب السراي والسرجخانة وجامع خزام والعكيدات والشيخ ابو العلا. ولم تتعرض الى الزيادة سوىٰ محلات قليلة في المنطقة القديمة خاصة تلك التي تقع عند هوامش منطقة الاعمال المركزية مثل محلات إمام ابراهيم وباب المسجد والمحموديين والمكاوي والمشاهدة وباب الطوب وباب لكش وباب البيض الفوقاني والشيخ عمر والقنطرة ، في حين مالت جميع المناطق الهامشية الواقعة عند اطراف المدينة الى الزيادة السكانية باعتبارها مناطق جذب للسكان المتشتتين من مركز المدينة القديم.

٣) ارتفاع قيمة الارض الحضرية :

لاستثمار ارض المدينة باكثر من استعمال تتنافس جميعها في استغلال المواقع المرغوبة ، وان درجة الأهمية الوظيفية لكل قطعة ارض تحددها درجة الرغبة في الاستثمار من الاستعمالات المختلفة ، وتعد منطقة الاعمال المركزية في المدينة من اكثر المناطق الحضرية عرضة للمنافسة وبالتالي في ارتفاع قيمتها. وتحتل هذه المنطقة في مدينة الموصل قمة الهرم في سعر الارض وإيجارها ، وتتدرج هذه القيمة تنازلياً بالابتعاد عنها بشكل رئيس وعن الطرق الرئيسة بشكل ثانوي ، مما جعل بعض الاستثمارات الحضرية – خاصة السكنية – تتشتت نحو الاطراف مستغلة رخص الارض وتوافر المساحات الملائمة والمنظر الطبيعي.

٤) اثر التوقيع الصناعي الجديد :

تركزت الصناعات الحرفية الاولىٰ في بؤرة المدينة او عند هوامشها للاستفادة من زبائنها من جهة وتهيئة مستلزماتها من جهة اخرى. إلا ان المنطقة المركزية لم تستطع تهيئة مستلزمات الصناعات الحديثة كالحيز المكاني ، وسهولة الاتصال وغيرها ، لذلك استوطنت عند اطراف الحيز الحضري في فترة نشأتها الاولىٰ. وقد اثرت مع الزمن على طبيعة الاستثمار في المناطق المجاورة لها لما تحتاجه من مؤسسات تكميلية كالوحدات السكنية والخدمية. ان هذا العامل كان له دور رائد في اتساع مدينة الموصل خاصة بعد انشاء معامل النسيج القطني والسكر في اطراف الجانب الايمن والألبان والأخشاب والبيرة والبناء الجاهز والمشروبات في جانبها الأيسر.

تأثير الجمعيات التعاونية لبناء المساكن :

برز هذا المتغير في الستينات ، وكان وراء الاندفاع السكني نحو الخارج ، حيث وزعت الاتحادات والنقابات المهنية مساحات نطاقية عند اطراف المدينة بأسعار واطئة. وساهم المصرف العقاري في سرعة استثمارها عن طريق ما وفره من سلف. وتوضحت تلك الظاهرة في سرعة استثمار مناطق وادي حجر والمنصور والموصل الجديدة والثورة وابي تمام وحي النجار واليرموك في الجانب الايمن ، وفي حي المعلمين والثقافة والزراعة والحكام والضباط والمالية والزهور والقادسية والمثنىٰ والنور والوحدة والكرامة والمصارف والمحاربين وغيرها في الجانب الأيسر. وعلى سبيل المثال ظهر أن الأراضي السكنية الموزعة من قبل الجمعيات في اطراف المدينة تسيطر على ٤٨٪ من مجموع الوحدات السكنية المبنية خلال الفترة ١٩٦٧/ ١٩٧٦. [١٥]

٦) العوامل الاجتماعية

وتتمثل في قلة مساحة الوحدة السكنية في المدينة القديمة ، مقارنة بما هو عليه في منطقة الاطراف ، وارتفاع المستوى المعاشي للسكان ، ورغبتهم في تربية اطفالهم في بيئة صحية أفضل من تلك التي عاشوها في ازقة المدينة القديمة. فضلاً



عن تضخم معدل حجم العائلة ، وقلة ما يتوافر من خدمات في الاحياء القديمة .

٧) اثر الدولة في تحسين البيئة الحضرية :

تعد مدينة الموصل من المراكز الحضرية الاولىٰ في العراق التي شهدت محاولات تخطيطية مبكرة. فأول تصميم اساسي للمدينة في عام ١٩٣٠ . وتوالت تلك التصاميم ، وكانت غايتها تحسين البيئة الحضرية من خلال فتح الطرق المستقيمة داخل المنطقة القديمة التي يغلب النمط العضوي (الطبيعي) على شوارعها ، وخلق فعاليات ووظائف داخلها ذات اهمية مركزية ، كل ذلك كان على حساب الاستعمالات السكنية القديمة في المدينة المركزية فضلاً عن الاستعمالات الحضرية الأخرى مما اضطرها الى هجرة مواقعها قسراً نحو اطراف الحيز الحضري مما ساهم في اتساع الاطار المساحي له .

تحليل نمط إتساع مدينة الموصل :

من خلال ما اشرنا اليه الى اتساع المراكز الحضرية نستطيع ان نبين انماط الاتساع المساحي لمدينة الموصل خلال الفترة الممتدة من عام ١٩٢٠ حتىٰ الوقت الحاضر، وقد اهملت الفترة السابقة لأن المدينة كانت محصورة قسراً داخل السور ولاتشمل الاضافات إلا بعض الوحدات الوقتية التي تتخطىٰ السور عند بواباته وهي عموماً تبرز في فترة الاستقرار.

١ - فترة ١٩١٠- ١٩٢٠ :

كانت المدينة خلال هذه الفترة متكونة من نواتين هما النواة المركزية التي تحتلها المدينة القديمة ، ونواة ثانوية تحتلها منطقة النبي يونس ، وكان نمط نمو كل نواة منها يتم بشكل تراكمي تحيط بالنواة اطارات متابعة . وبذلك يكون نمط النمو في هذه الفترة هو خليط من نمط النمو المتعدد النوىٰ ، فضلاً عن نمط النمو العشوائي التراكمي .

الشكل (٤)
قيمة الارض الحضرية في مدينة الموصل ١٩٧٦ وطبيعة التغير من ١٩٢٠- ١٩٧٠

٢ - فترة ١٩٢٠ - ١٩٤٠ :

استمر النمو في هذه الفترة مسايراً لنمط النمو المتعدد النوى والعشوائي التراكمي حول نواتي المدينة ، إلا انه قد تحقق اتصال بين جانبي المدينة من خلال محلة النصر، وكان جسر الموصل الذي انشأ عام ١٩٣٠ عصب الاتصال بينها.

٣- فترة ١٩٤٠ - ١٩٦٠ :

بعد اتصال نواتي المدينة بدأت تظهر بعض الاستطالات التالية في جانب المدينة الايسر مع طرق موصل- دهوك ، وموصل- عقرة ، وموصل- اربيل خاصة في حي الجزائر ونينوى الشمالية ، وبذلك كان نمط نمو الجانب الايسر مقارباً لنمط النمو المحوري والشبكي ، في حين استمر النمو العشوائي التراكمي مسيطراً على توزيع الاستثمارات الجديدة في اطراف الجانب الايمن .

٤- فترة ١٩٦٠ - ١٩٧٠ :

اختلف نمط النمو في هذه الفترة عما سبقه ، خاصة في جانب المدينة الأيسر، فقد ظهرت احياء



الزهور والقادسية والمثنىٰ وما يجاورها بشكل وحدات حضارية غير متصلة عمارياً مع المدينة وانما تتصل معها بخطوط حركة رئيسة. مما اسبغ النمو في هذه الفترة وضمن هذا الجانب بنمط النمو المتدرج. في حين نمت المدينة خطياً مع طريق اربيل - دهوك. اما الجانب الايمن فاستمر في نمط نموه العشوائي التراكمي، إلا ان منطقة الغزلاني شكلت منطقة قطع واضحة لهذا النمط من النمو. وبدت المدينة خاصة في جانبها الايسر وكأنها مدينة ذات اذرع تمتد متطاولة مع خطوط النقل الرئيسة التي تربط المدينة بالمراكز الحضرية الاخرىٰ، ويمكن ملاحظة ذلك في امتداداتها مع طريق موصل - دهوك، وموصل عين سفني، وموصل - اربيل.

٥ - فترة ١٩٧٠ - ١٩٨٧ :

في هذه الفترة شكل نمط النمو المساحي للمدينة استطالات واضحة مع خط النقل خاصة في اطراف المصارف والزهور، او مع امتداد نهر دجلة باتجاه الجنوب الشرقي وهو من نمط النمو المحوري، وفي الوقت ذاته بدأت تستغل المناطق الشاغرة المحصورة بين اذرع المدينة كمحاولة لاعادة المدينة الى شكلها الدائري الاصلي، بنمط من النمو العشوائي التراكمي والمخطط. ويمكن ملاحظة ذلك في بعض اطراف الجانب الايسر الشمالية الشرقية واطراف الجانب الايمن الغربية والشمالية الغربية.

صورة الموصل الحالية :

تعد مدينة الموصل من المدن العراقية المزدوجة البنية، حيث تراكمت ضمن حيزها المساحي كثير من المؤسسات والفعاليات ذات الجذور التأريخية، يرقىٰ بعضها الى عدة قرون ماضية. ويصارع هذا الاستثمار المحاولات الجادة في تحسين ظروف البيئة المحلية بما يتناسب مع متطلبات العصر. فشقت الطرقات الحديثة وارتفعت المباني واستجدت فعاليات حديثة. ان هذا التباين في انماط الفعاليات خلق صراعاً حاداً بين قوى التغير الحديثة وعناصر الاستقرار والثبات في الركائز الحضارية الموروثة.

وعلى الرغم من حداثة الصراع لكن قوى التجديد والتغير الحديثة سادت مناطق واسعة من الحيز الحضري المستثمر للمدينة، ساعيةً في ذلك الى توفير بيئة حضرية متطورة لسكان المدينة. ومن العوامل التي اسهمت في دفع قوى التجديد هي : التغير المستمر في المستويات المعيشية للسكان، والتغير الايجابي في التقنية والممارسة في العمل والسكن، والتضخم الحاد في سكان المدينة، اضافة الى استعمال البرامج التخطيطية المدروسة ضمن فترات زمنية قصيرة وبعيدة المدىٰ.

ومن ملاحظة البنية الداخلية لمدينة الموصل الحالية ومقارنتها مع نظريات التركيب الداخلي التقليدية نجدها بعيدة نسبياً عن مفهوم نظرية الدوائر المتراكزة Concentric Zone Theory التي جاء بها الباحث الأجتماعي ارنست برجس Ernest Burgess عام ١٩٢٥. (١٦)

وملخص النظرية ان المدينة تنمو بفعل قوة طرد مركزية بشكل حلقات متتابعة تتطاول اصلاً من منطقة الاعمال المركزية التي تشكل نواة المدينة، وتندفع الاستعمالات في النطاقات المحيطة بالمركز بشكل حركة موجية مع بقاء ظاهرة التخصص ثابتة في الحلقات وفي نظام توزيعها.

وتعد مدينة الموصل اقرب الى نظرية القطاعات Sector Theory لهومرهويت Homer Hoyt منها الى نظرية الدوائر المتراكزة، وبخاصة في مرحلة نموها الرابعة ١٩٦٠-١٩٧٠ عندما نمت المدينة في جانبها الايسر بشكل خطي او محوري متطاولة مع خطوط النقل الرئيسة التي تربطها مع ظهيرها والمراكز الحضرية الاخرى. إلا ان المتغيرات التي رسمها هومرهويت في نمو استعمالات الارض الحضرية لاتنطبق على ما يناظرها في مدينة الموصل. (١٧)

وتعد نظرية النويات Multiple Nuclei Theory لجانسي هرس (Channcy D. Harris) وادوارد اولمن (Edward Ullman) أقرب النظريات انطباقاً على واقع توزيع استعمالات الارض في مدينة الموصل وعلى نظام اتساعها. (١٨)

فمدينة الموصل تتكون في الاساس من نواتين منفصلتين، احداهما النواة المركزية التي احتلتها المدينة القديمة في الجانب الايمن في حين كانت النواة الثانية في جانبها الايسر تحتلها منطقة النبي يونس التي شغلت جزءً من الحيز المساحي لمدينة نينوى القديمة وبشكل خاص منطقة تل التوبة. وكان نهر دجلة يمثل عنصر قطع فاصلاً بين النواتين. وعندما بدأت بواكير النمو المساحي للمدينة كان بشكل تراكمي حول النواتين، إلا ان معدل النمو حول النواة الاولى اكبر وذلك بحكم أهميتها المركزية وتعدد وتنوع مؤسساتها الوظيفية. وعندما شيدت الجسور الثابتة على نهر دجلة بدأت المنطقة المحصورة بين النواتين تتطور تدريجياً الى ان تم الاتصال بينهما واندمجا في وحدة حضرية.

وفي المراحل اللاحقة وبتأثير تطور وسائط النقل اخذت بعض النويات الثانوية تنشأ بنمط من التخصص على مسافة من الحيز الحضري المستمر، فنشأت نواة الغزلاني واليرموك في الجانب الايمن، ونواة مجمع الزهور والقادسية والمثنى السكني في الجانب الايسر بشكل ضواحي يغلب عليها طابع الاستعمال السكني. وبمرور الزمن اندمجت هذه النويات مع المدينة الام لتنشأ نويات جديدة في الكرامة على طريق موصل- اربيل، وفي الحي العربي ومجمع البناء الجاهز، واندمجت هذه النويات مع المدينة الام لتكون ما يطلق عليه بالمدينة الكبرى التي يتخطى الاستثمار فيها الحدود البلدية المرسومة. ومادامت المدينة في انتشارها المستمر فان نويات جديدة تظهر مع طريق سنجار في الجانب الايمن وفي مجمع شقق البناء الجاهز على طريق الموصل- اربيل، وعلى امتداد طريق الموصل- الكوير.

ان هذا الانتشار الحضري ساعد على ظهور مراكز تجارية وصناعية وخدمية ثانوية تتوزع على الاطار المساحي للمدينة، مصدرها إما مؤسسات مستجدة على المدينة لسد النقص في متطلبات الساكن الحضري، أو انها مؤسسات تشتت من مركز المدينة بفعل قوة الطرد المركزية الى نطاق الاطراف الريفية- الحضرية Rural- Urban Fringe، وبمرور الزمن تمحورت حولها مؤسسات سكنية وخدمية مشكلة وحدة ثانوية مميزة عن المنطقة المركزية في المدينة.

الهوامش

(١) Robert D. Harvey and W.A. Clark, The Nature and Economics of urban Sprawl, Internal Stracture of City, Ed., Lorrys- Boarne, New York, 1971, P.476.

(٢) Stewart Chapin F., Economics of Landuse Planning, urban and Regional, London, 1969 P.124.

(٣) عبدالفتاح وهيبة، جغرافية العمران، الاسكندرية ١٩٧٥ ص ص. ١٤٧-١٥٣.

(٤) James H. Johnson, Geographical Processes of the edge of the City, Suburban Growth, 1974, PP.4-5.

• لتوماس فرنك برتن Thomas F. Barton

(٥) محمد جاسم حمادي، الجزيرة الفراتية والموصل، دراسة في التأريخ السياسي والاداري، رسالة ماجستير، بغداد ١٩٧٧ ص ١٠١.

(٦) المصدر نفسه ص ص ١٠٢- ١٠٣.

(٧) سعيد الديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي، بغداد ١٩٥٨ ص٤.

(٨) حسين امين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد ١٩٦٥ ص ص ١٤٣-١٤٤

(٩) ياسين العمري بن خير الله الخطيب، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل، ١٩٥٥ ص ٦٦

(١٠) محمد ازهر السماك وآخرون، استخدامات الارض بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على مدينة الموصل الكبرى حتى عام ٢٠٠٠ بين عبقرية المكان وتخطيط الانسان، الموصل، ١٩٨٥ ص٢١.



(١١) بلغت المساحة الجديدة في المدينة خلال الفترة المذكورة (٤٠٣٥٥٥٥١)م٢ سيطرت الاطراف على (٣٨٧،٧٩١)م٢ ، انظر صلاح حميد الجنابي ، التغير في استعمالات الارض حول المدينة العراقية ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ١٩٧٧ ص ٢٠٣ .
(١٢) المصدر نفسه ص. ٢٠٣ .
(١٣) المصدر نفسه ص ص. ٢١٠ - ٢١٢
(١٤) المصدر نفسه ص. ٢٢١
(١٥) المصدر نفسه ص. ٢٣٧
(١٦) Ernest Bargess, The Growth of the city, An Introduction to Research Progect, Chicago, 1975 PP. 47 – 62.
(١٧) Homer Hoyt, The structure and Growth of Residential Neighborhood in American cities, washington, 1939.
(١٨) C.D. Harris and E.ullman, the Nature of cities, Annals of the Amer. Academy of Political and social science, CCXLII, 1945, PP. 7 – 17.

العمارة المعاصرة

أ.د. أحمد قاسم الجمعة

المقدمة :

عبّرت عمارة الموصل ولاسيما خلال العصور العربية الاسلامية عن التواصل الحضاري والتفاعل مع مستجدات الزمن ملبية متطلبات الانسان ودون ان تفقد اصالتها ، لكنها وقعت في اعقاب الحرب العالمية الاولى تحت التأثيرات المعمارية الاجنبية ومنها ماسمي بالطراز العالمي للعمارة (International Style)[١] مما ادى الى فقدان الخصوصية المحلية وانقطاع الصلة بالتراث القومي بصورة عامة[٢] .
وقد ظهرت بوادر الطراز العالمي او العمارة الحديثة في اوربا في اعقاب الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر. ومما ساعد على ذلك التقدم التكنولوجي وظهور مواد انشائية جديدة فتحت ابواباً واسعة لتطوير اساليب الأنشاء ، واستخدامات الاجزاء الانشائية المختلفة بابعاد فضاءات كبيرة وواضحة[٣] . وتطلب الأمر انشاء مبانٍ ومنشآت كثيرة تلبي حاجات تلك الثورة بعد ان اعتمدت انظمة ذات درجة كبيرة من التقييس والتنميط والتكرارية في وسائل الانتاج والتوزيع[٤] . واستمر ذلك الطراز بعد الحرب العالمية الثانية حتى طغت نهائيا الاتجاهات المعمارية الحديثة ، كما ظهرت الحاجة الى تأمين مساكن بنطاق واسع ، مما تطلب اعتماد اساليب جديدة في البناء فظهر البناء الجاهز والمواد الانشائية المُصنعة[٥] .

والعمارة العراقية المعاصرة مرت منذ تأسيس الحكم الوطني عام ١٩٢١ م بفترتين : الفترة الاولى زامنت تأسيس الحكم الوطني واستمرت حتى اواسط الخمسينات ، وجرى التأكيد فيها على تأمين متطلبات الدولة من مبانٍ ومنشآت كثيرة ومتنوعة اقتضتها طبيعة المرحلة نهضت بمعظمها دائرة الاشغال[٦] ، علاوة على بعض الممارسات البلدية. وبعد زيادة عائدات النفط بداية الخمسينات نشطت تلك الخدمات ، وظهرت احياءٍ حديثة في بعض المدن ومنها المنصور في بغداد والزهور في الموصل[٧] .

أما مجال الاسكان في تلك الفترة فقد كان يمارس حتى بداية الخمسينات من قبل القطاع الخاص ، بينما اقتصر القطاع الحكومي على بعض المؤسسات التي برزت في انشاء دور لمنتسبيها كالسكك والشؤون الاجتماعية[٨] .

وتبدأ الفترة الثانية للعمارة المعاصرة في العراق في منتصف الخمسينات نتيجة للتوسع العمراني في القطر بفعل نشاطات المصرف العقاري والجمعيات التعاونية . وقد ادى ذلك الى تحسّس المسؤولين بان التوسع لايمكن ان يكون عشوائيا دون إعداد تصاميم اساسية ، وهكذا بدأ مجلس الاعمار بطلب اعداد تلك التصاميم ابتداء من المدن الكبرى في بغداد والموصل والبصرة[٩] . وقد تزامنت هذه



الفترة مع مارافق المجتمع في العالم من تغييرات بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في مختلف النواحي ، وانتقال الافكار المعمارية الى مناطق عديدة نتيجة التقدم الهائل في وسائل الاتصالات وانعكاسات ذلك على العراق ، فحاول قسم من المعماريين اعتماد الاساليب والمواد الانشائية الحديثة ، علاوة على إدخال منظومات الخدمات الهندسية فيها[10] . كما استخدم المعماريون في هذه الفترة المفاهيم المعمارية الجديدة التي ظهرت في الطراز الدولي مع تحسس لخصوصية البيئة العراقية من الناحية المناخية ، كما ادخلت المواد الحديثة بجانب المواد التقليدية في اشكال مستحدثة[11] ، وأستلهم التراث عن طريق الدلالات الرمزية واحياء التزيين اساساً مهماً لصياغة الشكل[12] .

ومنذ منتصف السبعينات وخلال الثمانينات حدثت زيادة كبيرة في الاحياء والمباني السكنية . اذ تضاعف عشرات المرات نتيجة تضاعف دخل المواطنين ، وارتفاع مستوى المعيشة بعد تأميم النفط ، وتوفير فرص العمل ، وزيادة التسهيلات المصرفية ، وتوزيع الاراضي السكنية من قبل الدولة بالمجان او باسعار رمزية . ورافق ذلك زيادة مطردة في المباني ذات النفع العام كالمدارس والجامعات والمستشفيات والفنادق والجسور والسايلوات وغيرها[13] .

عمارة الموصل المعاصرة :

تزخر الموصل بمبانٍ ومنشآت معمارية تختلف فيما بينها من حيث الموقع والتصميم والمميزات تبعا لوظائفها المختلفة والعوامل المؤثرة فيها . ونظرا للتداخل بين المباني التراثية والحديثة ذات السمة التراثية التي جرى التطرق الى بعضها في مباحث سابقة ، وبين المباني العصرية من حيث التصميم والموقع لذا ارتأينا عدم التعرض اليها الا بخلاصة مركزة ربطا للموضوع . وسيكون تناولنا للمباني التراثية التي لم يجر التطرق اليها سابقا استكمالاً للموضوع والانتقال بعد ذلك الى عمارة الموصل المعاصرة .

أولاً/ المباني التراثية :

تتركز معظم المباني التراثية داخل المدينة القديمة . وتضم دورا سكنية واسواقا تجارية ومباني دينية وعلمية وخدمية كالخانات والقيساريات والحمامات حيث ان المدينة القديمة حتى منتصف الاربعينات كانت تضم حوالي (٨٠٪) من مجموع سكان الموصل[14] .

فتصميم الدور السكنية يتكون من فناء مكشوف وجناح او اكثر يتكون من ايوان وغرفة على كل من جانبيه ، ويحتوي على بعض السراديب للاستعمالات المختلفة ومنها سرداب القيلولة (الزهرة) ووجود مدخل منكسر لاسباب اجتماعية ، وتتميز الدور بسقوفها المقببة التي تغطى بسقوف اخرى مسطحة وجدران خارجية سميكة خالية من الشبابيك عادةً ورصف الارضيات المكشوفة بالحلان والمغطاة كالغرف والرهاره بالرخام الموصلي ، وتتكون من طابق أو طابقين وتوجد أمثلة نادرة جدا لدور تتكون من ثلاثة طوابق كما هو الحال في دار (آل الصفّاوي) على البدن في محلة باب البيض . وهناك ظاهرة اخرى نجدها في بعض الدور وهي انتقال الايوان من الطابق الارضي الى الطابق الاول ويكون مفتوحا من الامام والخلف على هيئة ممر مسقف يوصل بين الغرف الواقعة على جانبيه ، وحدث هذا في بعض الدور التي تقع على الشوارع التي شقت مؤخرا وبعد ان استخدمت العقّادة والشلمان بدلا من السقوف المقببة . هذا وتتبع الدور التراثية في تجمعها النظام المتراص حيث لاتفصلها سوى بعض الأزقة الملتوية .

اما الاسواق التراثية في المنطقة التجارية المركزية في مدينة الموصل فتمتاز بالامتداد الطولي المتوازي لوحدات متماثلة من الدكاكين المتلاصقة على جانبي طرق وممرات ضيقة وملتوية تعلوها سقوف عالية مقببة ذات فتحات جانبية وعليا للتهوية والاضاءة ، كما تتميز الدكاكين بصغر مساحتها وانفتاحها على الطرق بقوس من الرخام.

ومن المباني الخدمية الاخرى المتعلقة بالاسواق



هي القيساريات والخانات، فالقيساريات عبارة عن اسواق لها بعض الخصوصية من حيث نوعية البضائع والتحوير بطرازها المعماري اذ امتازت بتداول بضائع ثمينة تحتاج الى حماية وتواجد اصحابها بالقرب منها لذا يستوجب اضافة طابق علوي من الغرف واحكام مداخلها مثل قيسارية سوق العتيق (١١٦٩هـ، ١٧٥٥م).

أما الخان فيتكون من فناء مكشوف تحف به غرف، ومدخل مقنطر تقع على ممره بعض الدكاكين وقد يضاف اليه طابق علوي وسراديب لخزن بضائع اصحاب المحلات والدكاكين المجاورة. ومن الخانات التراثية خان الكمرك (١١١٤هـ/ ١٧٢٢م) وخان الجلود.

وبالنسبة للحمامات العامة فقد تمركزت في المدينة القديمة كحمام العطارين (١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م) التي ازيلت مؤخرا. ومعظم الحمامات تكون مزدوجة أي: تتكون من حمام للرجال وحمام للنساء لكون المرجل مشتركاً بينها بيد أن حمامات النساء لها خصوصية تتمثل بوجود مدخل منكسر لأسباب اجتماعية، كما هو الحال في حمام باب لكش. ويؤكد تصميمها على الانتقال التدريجي من البرودة الى الحرارة وبالعكس حيث اشتمل على (منزع) لخلع الملابس ثم مسبح وحجرة تفصل بينهما.

وبخصوص المباني الدينية فتأتي الجوامع في مقدمتها وتتكون بصورة عامة من مصلى مستطيل ينفتح على رواق بثلاثة مداخل، ويتقدم ذلك صحن مكشوف خلا من المجنبات الا من بعض الأروقة أحيانا. وفي بعض الحالات تلحق به مدرسة دينية كجامع الاغوات (١١١٤هـ/ ١٧٠٢م). والمآذن من اهم العناصر المعمارية في الجوامع التراثية وهي تتبع بتصميمها مئذنة الجامع النوري إذ تتكون من قاعدة مكعبة يعلوها بدن اسطواني مزخرف ينتهي بقمة كروية. أما المحاريب فبالاضافة الى محراب المصلى الرئيس المجوف الذي يتوسطه المصلى فهناك محراب على كل من جانبيه، بينما المنبر مبني من الرخام وهو على هيئة درجات مائلة ذات مجنبات وتتوجه مظلة في نهايته العليا.

وتعد المدارس في مقدمة المباني العلمية. وتتكون من فناء مستطيل مكشوف تحف به غرف الطلبة والادارة التي تتقدمها الأروقة عادة. ويعلو ذلك طابق ثانٍ يصعد اليه بعدة سلالم من النوع المستقيم، والمستقيم المتشعب لتسهيل انسيابية الطلبة وتمتاز الجدران بالسمك البين لتحقيق العزل الحراري والصوتي، كما هو الحال في المدرسة الشرقية (الخضرية سابقاً).و(تأسست سنة ١٩٠٧م). وتتجلى أهمية تصميم هذه المدرسة في كونه أُعتمد في اغلب تصاميم المدارس اللاحقة والمعاصرة كما سنرى في مايأتي من صفحات لاحقة مما يدل على نجاحه في تأدية وظيفته. وهناك المدرسة الخزامية للبنات حيث تختلف في تخطيطها عن تخطيط المدرسة السابقة لاسباب اجتماعية اذ تتكون من ممر مسقف تحف به غرف التدريس ويتقدم ذلك من جهة المدخل فناء صغير مكشوف.

لقد إمتازت الحقبة العثمانية (١٥١٦-١٩١٨م) في الموصل بالاهتمام بالمباني العسكرية الدفاعية ويعزى ذلك الى ازدياد الاهمية الستراتيجية لمدينة الموصل ولتطور الاسلحة النارية كالمدفعية في تلك الفترة من جهة اخرى. وتمثلت تلك المباني بسور الموصل والقلعة الرئيسة (باشطابيا) والقلعة الداخلية (ايج قلعة) والثكنة العسكرية (القشلة).

ويتضح مما اورده المؤرخ احمد الصوفي حصانة وضخامة السور فقد بلغ سمكه ثلاثة امتار وارتفاعه عشرة أمتار وطوله عشرة آلاف متر واستحدثت فيه ثمانية عشر برجا بهيئات نصف اسطوانية وتتخلل الاجزاء العليا من السور وابراجه مزاغل منفرجة وتعلوه الشرفات ويحف به من الخارج خندق عريض يبلغ عمقه حوالي سبعة امتار[١٥].

ومن البديهي ان سمك السور اعطاه قوة إنشائية بحيث أصبح من المتعذر على الاعداء اختراقه بسهولة. أما خاصية الارتفاع الكبير للسور

فقد جعلت من الصعوبة على الاعداء تسلقه أو اجتيازه كما ادت الى زيادة التحصين[١٦] .

وبروز الابراج الساندة للسور عن محيطه يساعد عملية رصد العدو وتقاطعها على جميع المناطق المحيطة بالمدينة وتبادل الرؤيا والمعلومات وسرعة نقل الاوامر من المدافعين والموجودين في الداخل . هذا فضلا عن العمل الرئيسي للابراج وهو استخدامها لرمي الاعداء عن طريق المزاغل المستحدثة فيها[١٧] . والهيئة نصف الدائرية للابراج ذات اهمية تعبوية لأنها تترك منطقة دفاعية ميتة قليلة جدا فتكون فرص المهاجمين في الاحتماء من مقذوفات المدافعين وسهامهم قليلة[١٨] .

وتعددت المداخل في سور الموصل وكانت على هيئة فتحة واسعة مؤطرة بالحجارة المهندمة ومعقودة من الاعلى بعقد منبطح .

اما المزاغل فتتخذ اوضاعا رأسية وعمودية . فالمزاغل الرأسية تكون فتحتها ضيقة من الخارج ليكون المدافع في مأمن من الاصابة الخارجية وواسعة من الداخل بحيث تسمح لتربص الاعداء في حين تستخدم المزاغل العمودية لصب الزيت والمواد المتصهرة على الاعداء لدى وصولهم أسفل الاسوار.

وترجع جذور الشرفات الدفاعية التي تعلو الاسوار الى العهد الآشوري في العراق . وتعد قلعة الموصل الرئيسة (باشطابية) من اهم المباني الدفاعية المتخلفة في الموصل وادت وظيفتها الدفاعية على افضل وجه فموضعها كان عمليا من الناحية العسكرية لانه يقع في أعلى نقطة من الموضع الذي ترقد عليه الموصل القديمة البالغ (٢٤٠م) .

وما زالت بعض آثار القلعة التي ترجع الى العهد العثماني (١١٥٨هـ / ١٧٤٥م) شاخصة حتى الآن متمثلة ببرجها الرئيس الذي يمتاز بهيئته المتسديرة وضخامته وارتفاعه الشاهق ، كما تتصل بالبرج الاجزاء المتبقية من السور الذي كان يحيط بالقلعة .

وقد أظهرت التنقيبات التي اجرتها جامعة الموصل في الجهتين الجنوبية والغربية للبرج عن العديد من الغرف والقاعات فضلا عن وجود عدة غرف داخل استدارة البرج يصل بعضها ببعض دهليز افقي . وهناك دهليز آخر فريد من نوعه بوضعية عمودية يصل اعلى البرج بأسفله للسماح بتحرك المدافعين ونقل اللوازم الحربية بكل حرية .

كما كان للقلعة عند هذا البرج مدخل سري يؤدي الى النهر ليؤمن المياه والمواد الغذائية والتجارية والمتطلبات العسكرية . والملاحظ على قطر برج القلعة زيادة اتساعه في الأسفل عما هو عليه في الاعلى . ويعد هذا البرج من الأبراج المزدوجة وذلك لوجود برج آخر يعلوه على نفس الغرار ولكنه أصغر منه ، فقد احيط القسم العلوي من جداره بشريط بارز يرتكز على مساند حجرية تحصر بينها مزاغل عمودية لرصد حركة الاعداء . وقد زود الجزء الذي يعلو الشريط المذكور من حائط البرج الاول بكوى شبه مخروطية واسعة الفتحة من الداخل وتضيق تدريجياً من الامام وسرعان ما تنقسم على نفسها الى قسمين الاول يتجه نحو الامام وينتهي بفتحة شبه عمودية ، والاخر يتجه نحو الاسفل وتكمن أهمية هذا النوع من المزاغل المزدوجة بمنح الحرية الكاملة لحركة المدافعين وامكانية مراقبة العدو.

أما البرج العلوي فكان الغرض منه وضع بعض المدافع بعد ان اصبحت المدفعية من اسلحة الحروب المتطورة آنذاك ولهذا السبب زود الجزء العلوي من جدار البرج باربع فتحات كبيرة تتسع كل منها لمدفع فضلاً عن العديد من المزاغل[١٩] .

وهذا النوع من المزاغل له اهمية دفاعية مهمة لانه يعطي المدافع حماية كبيرة اذ يصبح من المتعذر على المهاجمين اصابة المدافعين الذين يحتمون خلف البرج[٢٠] . هذا وقد ساعد ارتفاع البرج على اتساع مجال مراقبة العدو من مسافات بعيدة .

ومن المرافق المهمة الاخرى لهذا البرج غرفة العمليات الحربية التي مازالت بقاياها ماثلة في اعلى جزئه الشرقي المطل على النهر . وكان لهذه الغرفة دور



مهم عام (١١٥٦هـ / ١٧٤٣م) حيث كان يدير منها الوالي حسين باشا الجليلي معركة الموصل الدفاعية ضد الحشود الغازية بقيادة نادرشاه[٢١].

وقد توجت الابراج وبقايا السور المحيط بالقلعة شرفات ذات شكل دائري تقريبا، كما ضمت بقايا السور تحت الشرفات صفين من المزاغل[٢٢].

وهناك برج (البارود خانة) الواقع في الشمال الغربي من المدينة بجوار الاعدادية المركزية حيث يتكون من مجاز واسع مستطيل الهيئة وجناح مقبب يوازيه في كل جانب من جانبيه. ويعلو ذلك طابق آخر مماثل له يصعد اليه بواسطة سلم عريض يتفرع بعد اجتياز الطابق الارضي الى فرعين يؤديان الى الطابق الاعلى ويقوم كل ذلك على سراديب ارضية انطمرت مؤخرا ولم يبق من معالمها سوى بعض الشبابيك الصغيرة، لما يمتاز المبنى بالسمك الكبير لجدرانه وابراج نصف اسطوانية في اركانه، بالاضافة الى بعض المساند المائلة التي تعد من جملة التحويرات التي ادخلها الالمان على المبنى قبيل الحرب العالمية الاولى.

ومن المباني الدفاعية الاخرى في الموصل القلعة الداخلية (ايج قلعة) الكائنة في الجهة الجنوبية الشرقية من الموصل على ساحل دجلة من العهد العثماني. وقد احيطت القلعة من الجهة الغربية (منطقة الميدان) بخندق يأخذ مياهه من نهر دجلة فتحولت الى شبه جزيرة اصطناعية[٢٣]. كما كان لها سور مشيد بالآجر متعدد الابراج. وعلى الرغم من زوال معالم ذلك السور فان هيئته وتصميم شرفاته وابراجه ومزاغله كانت على غرار ما لاحظناه في القلعة الرئيسة (باشطابية) التي ترجع معالمها المائلة الى نفس الفترة[٢٤].

والجدير بالتنويه ان القلاع الداخلية في المدن شاعت في العهد العثماني لتكون مقرا للوالي[٢٥] ومكانا امينا لحفظ الخزينة والسجلات المهمة[٢٦]، فضلا عن وظائفها الدفاعية. ويماثل ذلك ما لاحظناه في دار الامارة في العصر العربي الاسلامي لانها لم تكن تمثل مسكنا لممثل الخليفة فحسب بل لكونها تحتوي على مؤسسات الدولة المالية والادارية وتمثل سلطة الدولة وهيبتها. هذا ويعد الاشوريون في مقدمة الاقوام الذين بنو القلاع داخل مدنهم لتضم قصورهم ومعابدهم لتكون بمثابة خط دفاع ثانٍ اذا ما تمكن الاعداء من اقتحام اسوار المدن[٢٧].

ومن المباني العسكرية المحكمة العسكرية (القشلة) التي ازيلت مؤخرا وكانت تتكون من فناء واسع مكشوف تحف به مرافق وغرف تتقدمها أروقة مفتوحة على الفناء ويعلو ذلك طابق مماثل تقريبا يصعد اليه بسلالم مستقيمة نصفية. ويفضي القسم الارضي بدوره الى مستشفى عسكري يتألف هو الآخر من مرافق وغرف تحف بفناء مكشوف ويجاور ذلك مطبخ (اكمكخانه).

ولابد من التنويه ان هذه المباني الدفاعية على الرغم من اقامتها في العهد العثماني الا انها تعد عمارة محلية موصلية من حيث المظاهر المعمارية واساليب التنفيذ والمواد الانشائية.

ثانياً: المباني المعاصرة:

تميزت عمارة الموصل المعاصرة مثل غيرها من مدن العراق الاخرى بظهور عشرات المحلات والاحياء السكنية خارج مركزها القديم. فقد بدأ السكان بترك مدينتهم القديمة في بداية الثلاثينات، وظهر ذلك بشكل ملموس في بداية الخمسينات. وخلال الفترة الممتدة بين عامي ١٩٥٧ - ١٩٧٧م، ازدادت المحلات في طرفي المدينة منها: (١٩) محلة في الجهة اليسرى و (٩) محلات في الجهة اليمنى، وبهذا اصبحت نسبة سكان الضفة اليسرى الى مجموع سكان المدينة حوالي ٣٣٪ في حين كانت تشكل في بداية الخمسينات حوالي ١٢٪ ويرجع ذلك لاسباب اقتصادية واجتماعية وتخطيطية منها ارتفاع دخول المواطنين[٢٨] وازدياد الاهمية الحقيقية بوسائل النقل التي سهلت الارتباط بين المناطق المتناثرة ومراكز

خدماتها المركزية [٢٩] .

والجدير بالذكر ان زيادة الأحياء في الجهة اليسرى لمدينة الموصل عما هو عليه الحال في جهتها اليمنى دلل على خطأ مقترح الاستشاري الأجنبي (روكون سكواير) الذي اعتمد التوسع على الجانب الايسر للمدينة بنمو اصبعي Finger plan حيث اهمل التوسع في هذا الجانب من المدينة فعزل نينوى حتى انه لم يقترح سوى اضافة جسر واحد للربط [٣٠] .

١ - المباني السكنية :

ان التركيب السكني في الموصل يختلف من حيث تصميم الدور وسعتها في المركز القديم عما هو الحال في الاحياء الحديثة على الرغم من وجود بعض التداخل في المركز القديم التي تتمثل باغلب دوره التصاميم التراثية الشرقية كما مر بنا وبعض التصاميم الغربية المغلقة كما هو الحال في محلة الشفاء في شمال ذلك المركز. بينما دور المناطق الحديثة تتسم بالتصميم الغربي باستثناء الاحياء التي تغلف المركز القديم للمدينة حيث تمثل تصاميمها مرحلة انتقالية بين التصاميم التراثية الشرقية والتصاميم المعاصرة الغربية على الرغم من غلبة السمات الشرقية عليها ، علاوة على ظهور العمارات النسقية العصرية .

وعلى هذا الاساس يمكن تقسيم الوحدات السكنية المعاصرة في الموصل من حيث التصميم الى أربعة اقسام هي : الوحدات ذات السمة التراثية ، والوحدات الانتقالية ، والوحدات ذات الطابع الغربي ، والوحدات والعمارات النسقية . وبما أن التصاميم التراثية قد تناولناها آنفا لذا سيقتصر تطرقنا على الوحدات الثلاث الاخرى من حيث التصميم والمميزات المعمارية والمواد الانشائية .

فالوحدات السكنية الانتقالية بين التصاميم الشرقية والغربية تمثلت في المحلات التي تشكل الاطار الذي يغلف الوحدات السكنية القديمة ومنها محلات : الشيخ فتحي وباب سنجار ووادي حجر والنبي شيت والدواسة والدندان والعكيدات وبعض دور الغزلاني في الجانب الايمن. ومحلات النصر والنعمانية ونينوى الشرقية والشمالية في الجانب الايسر. وتتميز بعض الدور بصغر المساحة التي لاتتجاوز ١٥٠ مترا كما في محلات الشيخ فتحي وباب سنجار والعكيدات [٣١] . وعلى الرغم من تميز دورها بالتصميم الشرقي المفتوح الا أن غرفها اكثر اتساعا من غرف الدور التراثية ، وامتدادها اكثر انتظاما على الشوارع الواقعة عليها ، وتم تسقيفها بالعقادة والشلمان ، ولهذا انعدمت العقود من أواوين اجنحتها ، وفتحت بعض الشبابيك المتوسطة الحجم في جدرانها الداخلية والخارجية .

والجدير بالذكر أن الدور السكنية الآنفة الذكر التي تمثل حلقة الربط بين التصاميم الشرقية والغربية أو التي تتسم بالسمات التراثية يتمثل في تصميمها صفة التناظر symetry.والتناظر كان الاساس في اغلب الطرز المعمارية القديمة ومنها الطرز العربية الاسلامية حيث تماثل الاشكال على طرفي خط التناظر. وهذه السمة تمثل التصور المسبق Preconceived لفكرة الشكل وهيمنة الناحية الهندسية والرياضية في الفن [٣٢] .

اما الوحدات السكنية ذات الطابع الغربي المغلق فقد شجع عليه التغيير الاجتماعي والاقتصادي ، وتحسن تقنيات البناء [٣٣] . و يمكن تقسيم هذه الوحدات السكنية الى نوعين حسب المساحة والتركيب الداخلي للدار هما : الدور المتوسطة النوعية والدور الجيدة النوعية .

فالدور المتوسطة النوعية تمتاز باتساع مساحتها قياساً بمساحات الدور السابقة ، ويقع معظمها على اطراف النطاقات السكنية السابقة تكوّن في بعض الاحيان نوى جديدة تشكل ضواحي سكنية جديدة في المدينة. وقد بني بعضها بمساعدة المصرف العقاري والجمعيات التعاونية كبعض القطاعات كالمعلمين والمحامين وذوي الدخل المحدود. واهم الاحياء المتمثلة فيها هي : الشفاء واليرموك والثورة في الجانب الايمن وحي السكر وحي البلديات وحي نواب الضباط في الجانب

الايسر، أما الدور الجيدة النوعية فتتمثل في محلة الشفاء، وأحياء الطيران واليرموك والزهور والقادسية والمجموعة الثقافية والنور والشرطة والمثنى [٣٤].

وتتبع هذه الأحياء السكنية من حيث الهيكل العام (التقسيمات الشطرنجية) Grid Iron اذ تتكون من بلوكات متشابهة ضمن الحي الواحد تقريبا وتنتظم على شوارع تتقدمها وتفصل فيما بينها، وتتصل الدور من جهة أو اكثر بمجاوراتها من الدور الاخرى. ويتمثل بتصميمها النمط الغربي المغلق بعد اختفاء الفناء المكشوف وانفتاحها الى الخارج على هيئة حدائق تتقدمها أو تحف بها. وتظهر فيها الشبابيك الواسعة وكراجات السيارات، علاوة على اتساع غرفها وتعدد مرافقها واستخدام الكونكريت المسلح في تسقيفها والطابوق السمنتي في بناء الجدران، كما ان الشوارع التي تنتظم عليها اصبحت متدرجة في السعة والتخصص بفعل التخطيط البلدي.

أما التركيب الداخلي لمرافق الدور فيتمثل بصالة كبيرة بهيئة (هول) مركزي داخلي ثم جناح للضيوف يتكون من غرفة للجلوس تجاورها غرفة طعام وحمام على الاغلب، ثم يلي ذلك من الداخل جناح للعائلة يتمثل بغرفة للجلوس وحمام ومطبخ يتركز في الجهة المقابلة للكراج. وهناك طابق ثانٍ يمثل غرف نوم العائلة تتقدم واجهته المطلة على الحديقة الامامية بعض البالكونات.

واذا تناولنا هذا التركيب بالتحليل نجد ان (الهول) المركزي الداخلي وفر جزءا من الخصوصية المطلوبة وعمل كفضاء انتقالي بين الفضاءات الخاصة بالزوار. وهناك فضاءات حركة تؤمن جانبا من الخصوصية وتكون عازلا للفضاءات الخاصة بالعائلة عن الوحدات السكنية المجاورة من جهة والشارع من الجهة الامامية للدار. وبعض تلك الفضاءات تتمثل بالكراج والممرات الخارجية التي تقود الى الفضاءات الداخلية الخاصة بالعائلة. ويوجد محور الحركة باتجاه المدخل المؤدي الى جناح الضيوف. وفي بعض الدور يكون الدخول اليها من مدخل عبر الحديقة الى المدخل الذي يؤدي بدوره الى الجناح الخاص بالضيوف أو الى الفضاءات الخاصة بالعائلة [٣٥].

أما البالكونات فتحمي الواجهة الامامية التي تغطيها المساحات الزجاجية الواسعة، وتكسر الخطوط الافقية القوية للواجهات المتراصة للدور. كما ان هذا النوع من تصاميم الدور متأثر بالحاجة والخصوصية العراقية التي تؤكد على الفصل بين الجناح الخاص والجناح العام Private Zone و Public Zone من ناحية، والاستجابة للتحديث الغربي في تحديد المساحات والحجوم والدار المغلق والتفاصيل الفنية في المخطط والواجهة من جهة اخرى [٣٦].

ومنذ منتصف السبعينات تقريبا حدث بعض التغيير في تصاميم الدور أملتها الناحية الوظيفية والاقتصادية فقد أصبحت بعض الدور متصلة بمجاوراتها من جميع الجهات عدا الامامية منها المطلة على الشوارع الواقعة عليها بعدما كانت لاتتصل بما يجاورها إلا من جهة واحدة لأن تعليمات البلدية كانت تؤكد على ذلك في حينه. كما انتفت الحاجة الى غرف الطعام بعد أن عوض عنها المطبخ الواسع بالنسبة للعائلة. واختفى مدخل الاشخاص المؤدي من الخارج الى فضاءات الدار المختلفة واقتصر ذلك على الكراج الذي اصبح مدخلا مشتركا للسيارات والاشخاص، وتحول السلم المؤدي الى الطابق العلوي من داخل الهول المركزي الخلفي الى احد الجوانب في بعض الدور لمضاعفة الاستفادة منه بعد ان اصبح مركزاً لنشاطات العائلة، علاوة على استعمالاته السابقة كحلقة وصل بين الفضاءات المختلفة.

كما شاعت بعض الالواح الزجاجية الثابتة بالشبابيك الواسعة. وقلت هوائيات الشبابيك وانعدمت الحماية الحديدية من بعضها واستبدلت الاطر الحديدية باطر من الالمنيوم في البعض الآخر. وبدأ بعض الانحسار في استخدام السطح للنوم



صيفا حتى ان بعض المتأثرين بالطابع الغربي تعمدوا إهماله بعد استعمال السقوف المائلة Pitched Roof واستعمال اسيجة حديدية شفافة، كما ظهرت بوادر المزج في الفضاءات المستعملة من قبل الجنسين وبدأ التحول باستعمال غرف الضيوف الى غرف الجلوس والطعام والهول كغرف للعائلة وهذا مقارب لما هو متعارف عليه تقريبا لدى الغربيين(٣٧).

اما الوحدات السكنية النسقية فتمثل الوحدات المتشابهة بالشكل والامتداد والتركيب الداخلي. وتدخل مشاريع الاسكان الحكومية تحت هذا النمط كافة. وهي على نوعين:

أ-العمارات العمودية المتعددة الطوابق:

ان معظم العمارات السكنية في الموصل متخصصة تقع في مواضع مختارة نهضت مؤسسات الدولة بتشييدها ومثال ذلك الشقق السكنية التابعة لشركة النسيج، وتجمعات جامعة الموصل السكنية غير ان أكبر تلك التجمعات هي تجمعات اليرموك على طريق السحاجي وعمارات حي الخضراء والعمارات الكائنة في شمال حي العربي(٣٨).

وقد شيدت معظم هذه العمارات من وحدات جاهزة التصنيع. وأول من استعمل مبان بوحدات مصنعة مسبقا هي البلدان الاسكندنافية في اوائل الخمسينات نظرا لقسوة الجو عندهم، وخصوصا في فصل الشتاء، حيث تم صنع وحدات تلك المباني في مصانع خاصة ثم تنقل الى الموقع لتثبيت وتشييد وحداتها ببعض بواسطة الاربطة الخاصة.

ومن أهم مزايا المباني الجاهزة: سرعة التنفيذ والاقتصاد في التكاليف، كما لم تخل من بعض العيوب المتمثلة بالنمطية المتكررة المملة وعدم تفضيلها في انشاء المباني العالية حيث ينهار المبنى العالي كله اذا تم انفجار جزء منه لان نظامه الانشائي يعتمد على طوابق يبنى بعضها فوق بعض ولذلك تفضل في المباني قليلة الارتفاع فقط(٣٩) كما لاتخلو مثل هذه المباني من مشاكل انشائية لاسيما وان وزنها الخفيف يصبح له اثر سيء اذا ماتعرضت للرياح غير ان المهندسين في بعض دول العالم اخترعوا اسلوبا جديدا يعطي نفس تأثير ثقل المباني القديمة وذلك بالتوصل لفكرة أجهزة التخامد Wind Damping Devices التي تحول طاقة الرياح الى حرارة وبذلك تستطيع هذه الاجهزة امتصاص صدمات قوى الرياح(٤٠). ومن المحتمل ان يواجه هذا النوع من السكن مصاعب بسبب نمو عدد أفراد العائلة كما أن مساحات الشقق وضعت باسلوب تصميمي آخر هذا فضلاً عن ان الظروف المناخية تجعل من الشقق غير ملائمة لاسيما اذا ارتفعنا فوق ثلاثة طوابق واهملنا جانب استعمال السطح والعوامل الاجتماعية والموضوعية الاخرى.

لقد ظهرت بوادر هذه العمارات في العراق في بداية الثمانينات لتلافي التوسع الافقي في المدن. وقد اكدت مؤسسة (بول سيرفس) البولندية عام ١٩٦٥م على زيادة السكن العمودي. وضمن الخطة الخمسية المقترحة من ١٩٧٥ - ١٩٧٩م قررت الدولة البدء بمرحلة زيادة عدد الشقق السكنية الى ٧٠٪ من حصة العمارة الاسكانية المقترحة وتخفيض نسبة الدور المنفصلة منها الى ٣٠٪(٤١).

ب- الوحدات النسقية الافقية:

اما النوع الافقي من الوحدات النسقية فقد اتبع في بداية الاسكان الحكومي. واهم مايتصف به هذا النمط من الابنية هو منظره الافقي وشكله العماري المتناسق الممل. ويعود معظم هذه الوحدات لمؤسسات حكومية انتاجية ومنها وحدات شركة النسيج في المنصور ووحدات الشركة العامة للسكر في وادي حجر. ومشاريع وزارة الاسكان (دوميز) الى الجنوب من الساحل الايسر واهم ماتتصف به الدور في هذه الوحدات هو انتظامها على هيئة صفوف متقابلة على جانبي الشوارع الرئيسة والفرعية التي تتعامد مع بعضها مشكلة بلوكات نسقية رباعية او مستطيلة.



والجدير بالذكر ان مشاريع وزارة الاسكان كانت من الوحدات الجاهزة التصنيع كما ان مشروع اسكان موظفي معمل السكر يتكون من طابقين[٤٢] ، في الوقت الذي تتكون اغلب هذه المشاريع من طابق واحد.

وبخصوص المباني السكنية في بقية ارجاء المحافظة فنجد ان مراكز الاقضية والنواحي تجمع مابين التصميم الشرقي المفتوح ولاسيما العائدة للمزارعين ومربي الحيوانات ، اما بقية السكان ولاسيما الموظفين فتتمثل في معظم دورهم التصاميم العصرية المغلقة . وتمتاز بسقوفها المسطحة نظرا لاستعمال الكونكريت المسلح في تنفيذها . ويغلب على الدور الريفية النمط الشرقي المفتوح والمساحات الواسعة عادة لان بعض اقسامها تستخدم كمخازن : ومع ذلك فهناك اختلافات بين الدور الريفية نتيجة عدة اسباب منها طبيعة المنطقة ونوعية المواد الانشائية والقدرة المادية وطبيعة الحياة الاجتماعية . ومعظم الدور الريفية تتألف من وحدات منفصلة تمتد افقيا على الارض بارتفاع طابق واحد فقط حيث ينعدم السكن العمودي وخاصة في منطقة الجزيرة جنوب خط المطر ٤٠٠ ملم لأن مادة اللبن والطين والتسقيف بالحصران وأغصان الاشجار أحيانا لايساعد على ذلك ، كما ان الحياة الاجتماعية في الريف تؤكد على حجب الرؤيا وعدم الاطلال على الجيران والتي تنتفي في حالة بناء طابق واحد . اما الدور المكونة من طابقين فتنتشر بشكل خاص شرق دجلة في القسم الشمالي والشرقي من محافظة نينوى لكون معظمها مبني من الحجر والجص او الطين المتوفرة ويتكون الطابق الارضي من غرفتين يتوسطها فضاء مسقف مفتوح نحو الفناء الداخلي المكشوف . ويخصص قسم من هذا الطابق كمأوى للحيوانات ويعلوه الطابق الثاني الذي يتكون من غرفة او غرفتين تخصص لسكن العائلة[٤٣] . وهناك تصميم مغاير في قرية ربيعة الريفية يتمثل بالنوع المغلق Compact Plan رغم تقارب الوظيفة ولم يأت ذلك عفويا فان قرية ربيعة تتمتع بخصائص بيئية ومناخية وديموغرافية معينة[٤٤] .

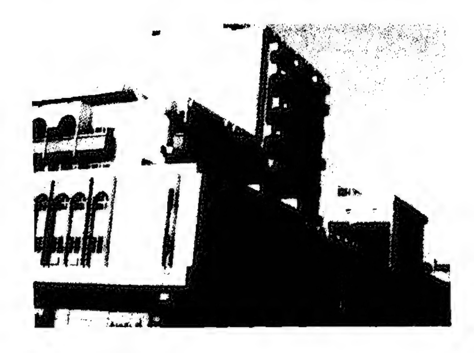
٢ - المباني الخدمية :

تعددت هذه المباني نظرا لتعدد الخدمات التي تقدمها من اقتصادية واجتماعية وصحية وغيرها كالاسواق والمخازن والفنادق وقاعات الاجتماعات وغيرها . فالاسواق تأتي في طليعة تلك المباني لكونها ذات خدمات اقتصادية تتعلق بالتجارة والامور المتصلة بها ، وتتميز أسواق الموصل المعاصرة بكثرتها نظرا للتوسع الكبير الذي أصاب المدينة حديثا ، كما تنوعت تصاميمها بسبب طبيعة المواد التي تتعامل بها ، والمواضع الكائنة فيها والمواد البنائية المستخدمة في تشييدها . فبعض الاسواق تقع في المنطقة التجارية المركزية وتعد امتداداً للاسواق التراثية التي سبق التطرق اليها حيث تتخذ نمط الامتداد الطولي لوحدات متماثلة من الدكاكين المتلاصقة على جوانب طرق وممرات سوقية وملتوية وخاصة في سوق باب الطوب وباب الجسر. وتعلو بعض الممرات اقبية ذات فتحات للتهوية والاضاءة كسوق الخفافين ، كما ان بعض الدكاكين تغطيها سقوف مستوية لكونها بنيت مؤخرا بمادة الاسمنت والكونكريت المسلح بعد هدم الدكاكين القديمة المتهرئة ، كما هو الحال في سوق العتمي ، وبعض دكاكين سوق اللحم القديم في باب الطوب وهناك دكاكين معاصرة الا اننا نلحظ في تصميمها طابعا تراثيا يتمثل بواجهاتها المقوسة على الرغم من بنائها بمادة السمنت وتغطية ممراتها بقبوات من صفائح البلاستيك كما يلاحظ في سوق الصاغة ويرتفع فوق ممرات البعض الاخر من الاسواق سقوف جملونية من صفائح المعدن (الجينكو) ، واستبدلت ابواب الدكاكين الخشبية التراثية بابواب من صفائح المعدن المضلع .

وهناك أسواق تمثل المنطقة التجارية الحديثة تركزت حول الشوارع التي شقت في المدينة



القديمة بعد الحرب العالمية الاولى ومنها شارع نينوى والفاروق. والتصميم المميز لهذه الاسواق المعاصرة هي تأثرها بالطرز الغربية ، وتتميز بمساحتها الواسعة وعمقها البين اذا ماقيست بتصاميم الاسواق الموروثة . ونجد اسواقا اخرى واقعة على شوارع حديثة اخرى سميت بحزام المدينة التجاري لكونها تحيط بالمدينة القديمة من معظم جوانبها كشارع ابن



عمارة معاصرة على شارع الكورنيش

الاثير[٤٥] . وشارع الكورنيش الذي تمتاز ابنيته بالعصرنة وتعدد الطوابق وادخال بعض الملامح التراثية فيها .

وبغية الحفاظ على منطقة الاسواق الموروثة ونسيجها العماري من الضروري عدم السماح بتشييد ابنية ذات طرز غريبة عن طرزها الموروثة ولا بأس من ادخال بعض التغييرات الفنية عليها تماشي وظروف العصر، ولتشجيع ذلك ينبغي تقديم المساعدة المالية عند هدم الابنية القديمة والمتداعية واعادة بنائها بشكل ينسجم مع الطراز المعماري الموروث[٤٦] .

والجدير بالذكر ان هناك اسواقاً خدمية اخرى استخدمت في مناطق متعددة من مدينة الموصل احدها في الجانب الايمن في منطقة المنصور وتتكون مرافقه المعمارية من عدة اقسام : الرئيس منها يتكون من ممر واسع يقع على كل جانب من جانبيه صفان من الدكاكين المتلاصقة بصورة متدابرة بمعنى ان الصف الاول ينفتح على الممر والثاني يتجه على الشارع العام في المنطقة ، وسقف الممر بسقف ذي قبو بيضوي مطول ، وقد شغلت فتحة العقد من الامام والمؤخرة بنسيج محزم من البلوك السمنتي ، كما استحدثت في جوانبه من الاعلى فتحات للتهوية والاضاءة. وهناك قسم مماثل بصورة مستعرضة



سوق تجاري حديث في حي المنصور

وقبيل نهايته استحدث قسم آخر على نفس الغرار عدا استبدال السقف المقبب بسقف مسطح . هذا وتتقدم الدكاكين الواقعة خارج الممرات المسقفة اروقة محمولة على اعمدة ، علما بان المادة الانشائية المستخدمة في البناء هي الاسمنت والكونكريت المسلح.

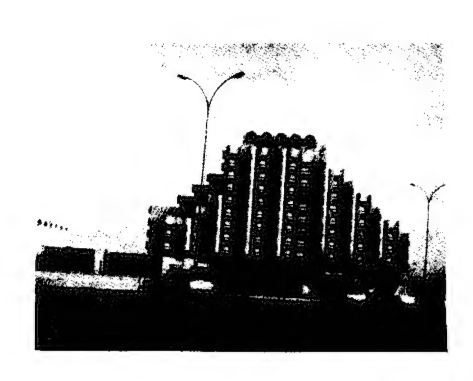
ويوجد سوق مماثل في الجانب الايسر في مدينة الزهور مع بعض الاختلافات منها : أن اقسامه غطيت بسقف كونكريتي مسلح محمول على روافد كونكريتية ، كما استندت سقوف الاروقة على اعمدة من الانابيب الفولاذية بدلا من الاعمدة الكونكريتية التي تمثلت في سوق المنصور.

ولابد من التطرق الى مخازن المؤسسات الخدمية حيث تتكون بصورة عامة من مساحة مستطيلة واسعة ذات جدران مرتفعة تنتهي من الاعلى بفتحات غير واسعة للتهوية . ويغطيها سقف جملوني من صفائح المعدن المضلع الذي يستند على



روافد فولاذية مسنمة Trussed Girder . وقد شاع هذا التصميم من المخازن لانه من اهم التصاميم الناجحة في تأدية وظائفه المخزنية ، فالارتفاع البين يساعد على تنشيط حركة الهواء ويقلل الضغط الحراري على المواد المخزونة . اما السقوف الجملونية فتسمح بانسيابية مياه الامطار، وارتكازها على الجدران بصورة سليمة وان تضليع معدنها يضاعف مقاومتها للرياح والقوى الخارجية التي قد تسلط عليه. بينما الروافد المسنمة فهي أنجح الروافد في المخازن الكبيرة ذات الطابق الواحد لأنها تعمل تبعا لنظرية المسنمات ، والعمق يزيد من قوة الروافد وبذلك يكون اقتصاديا بالنسبة للثقل (٤٧) .

وتعد الفنادق من المنشات الخدمية المهمة في المدينة غير أن تصاميمها تختلف حسب مناطقها ويمكن ان نصنفها الى نوعين : الاول لم يصمم بالاصل كفنادق الا أنه استغل لهذا الغرض ويلاحظ ذلك في الطوابق الاولى على بعض الشوارع الحديثة داخل المدينة القديمة والتي يمكن استخدامها لاغراض متعددة اخرى كمكاتب لارباب الاعمال وعيادات للاطباء وحتى شقق سكنية ومثل هذه المباني التي استغلت للاغراض الفندقية تتميز بعدم توفر الخدمات المطلوبة لمريديها . أما النوع الثاني فقد صمم بالاصل لهذا الغرض ويعتمد تصميمه على وجود ممرات مستعرضة تنتظم غرف الزوار حولها باحجام تتناسب وعدد الأسرّة المطلوبة كما توجد مرافق متعددة للاستحمام والطبخ والاستقبال وتتوفر فيها أجهزة التبريد والتدفئة ، كما هو الحال في فندق المحطة وفندق الرافدين في الجانب الايمن من الموصل غير ان اهم فنادق الموصل هي الفنادق الضخمة التي بنيت مؤخرا كفندق نينوى (اوبرى) في الجانب الايسر، وفندق الموصل ، وفندق اشور في الجانب الايمن . وهذه الفنادق التي خطط لها مسبقا تمتاز بتعدد طوابقها وتعدد مرافقها كاقسام للاستراحة



فندق الموصل

وقاعات ترفيهية ومطعم كبير. ووجود حمامات ملحقة بغرف المسافرين ، كما جهزت بالتدفئة المركزية وتعد من الناحية الانشائية من نوع المباني الهيكلية ، وامتازت بكثرة الشبابيك ذات الالواح الزجاجية الثابتة والمتحركة ، واخذ الظروف المناخية كاتجاه الرياح السائدة وهي الشمالية الغربية وكذلك اشعة الشمس بنظر الاعتبار لدى اختيار اتجاه المبنى . هذا ولاننسى بعض السمات الحضارية التي اخذت بنظر الاعتبار وخير مثال على ذلك فندق الموصل المتميز بتعدد طوابقه وقلة اتساعها التدريجي نحو الاعلى بحيث اصبح اشبه ما يكون بالزقورة المعاصرة. كما فيه لمحات تراثية تتمثل في العقود الدائرية المطولة . هذا وتحتوي هذه الفنادق على أماكن لوقوف السيارات وبعض الفضاءات المكشوفة وهناك فضاءات اخرى مكشوفة تتخلل اقسام هذه الفنادق لتكون كمصدر للاضاءة والتهوية الطبيعية .

أما قاعات الاجتماعات فتعد هي الاخرى من المباني الخدمية المعاصرة ، ومنها قاعة الربيع وقاعة ابن الاثير في الجانب الايسر وقاعة صدام في مركز جامعة الموصل . ويتميز تصميم هذه القاعات بالاتساع البين ويعتمد على التناظر في الواجهة الرئيسة ليعطي نوعاً من التجسيم والهيبة للمبنى . ومن حيث توزيع الكتل في التخطيط فقد استخدم

فيها نمط التوجيه الداخلي Look in Pattern وهو النمط الذي يكون التخطيط فيه بموجبها نحو الداخل وذلك لاستخدام الفضاءات لنشاطات ترفيهية واجتماعية، ولاننسىٰ العامل الأمني ومعالجة المشاكل المناخية ويعبر عن هذا التخطيط أيضا بالتخطيط المغلق(٤٨). ومن المميزات المعمارية لهذه القاعات وجود طابق بصفوف متوازية من كراسي الجلوس تنخفض تدريجيا كلما اتجهنا نحو الامام ليتسنى للجالسين مشاهدة الفعاليات التي تجري فوق المسرح الذي يتصف بدوره بارتفاعه البين. هذا وان سقوف القاعات تكون ذات ارتفاع كبير وبهذا تكون بمثابة فضاءات مسقوفة مثلها في ذلك مثل (الأواوين) في اجنحة البيوت التراثية. واخذت الناحية التراثية بنظر الاعتبار في بعض القاعات كما هو الحال في قاعة ابن الاثير فاستخدمت الاقواس الدائرية المتتابعة في سقوفها والعقد المنبطح الذي يحتضن المدخل الرئيس ويعبر عن واجهة القاعة. وقد جهزت هذه القاعات بوسائل سمعية وبصرية.

وهناك ابنية خدمية يماثل تصميمها الى حد كبير تصميم قاعات الاجتماعات السابقة وهي (السينمات) حيث يعتمد على وجود طابق ارضي وآخر علوي مرتد نحو الخلف وتدرج بصفوف كراسي المشاهدين، ومسرح تتصدره الشاشة وسقف مرتفع يتخذ الهيئة الجملونية عادة وتتركز السينمات في الجانب الايمن في منطقة الدواسة.

والملاعب الرياضية هي الاخرى يماثل قسم المشاهدين والضيوف قاعات الاجتماعات من حيث تدرج المصاطب لنفس الأسباب التي وجدناها في تلك القاعات وهذا القسم الذي يعد اهم المباني في تلك الملاعب حيث يتبع مبدأ التناظر اذ يتكون من منصة وسطية تغطيها مظلة كونكريتية وتتوزع صفوف المقاعد على الجانبين بصورة متساوية تقريبا من حيث عددها وتدرجها. وهناك ممر للمتسابقين أو المشاهدين في كل جانب من جانبي المنصة ويضم قسم المشاهدين بعض الاجنحة والمرافق الخدمية تحته. وتتقدمه ساحة الملعب ذات الاتساع الكبير التي تجري فيها الفعاليات الرياضية المختلفة لاسيما التي تحتاج الى العدو ومجال الحركة الكبير كسباقات الخيل وكرة القدم. ومن اهم الملاعب الرياضية بمدينة الموصل هو ملعب جامعة الموصل في المركز الجامعي، وملعب الادارة المحلية في باب سنجار.

والجدير بالذكر ان جامعة الموصل قد شيدت ملعبا مسقفا تمارس فيه العديد من الفعاليات الرياضية ويمتاز باتساعه وبوجود مدرجات للجلوس على جانبيه، وسقف كونكريتي مقبب ونوافذ للاضاءة والتهوية. كما شيدت مسبحا مسقفا على الغرار نفسه تقريبا باستثناء قسم الفعاليات الوسطي الذي شغله حوض للمياه.

اما بالنسبة للحمامات العامة التي اشتهرت بها الموصل منذ القدم فلا زال بعضها منتشراً في بعض مناطق المدينة وخاصة في الجانب الايمن، ويعد تصميمها المعماري امتداداً لتصميم الحمامات التراثية الذي كان يؤكد على الانتقال التدريجي من البرودة الى الحرارة وبالعكس حيث اشتمل على منزع لخلع الملابس ثم مسبح وحجرة تفصل بينها. ومعظم الحمامات تكون مزدوجة اي تتكون من حمام للرجال وحمام للنساء لكون المرجل مشتركا بينها بيد ان حمامات النساء لها خصوصية تتمثل بوجود مدخل منكسر لاسباب اجتماعية، كما هو الحال في حمام عبيداغا وباب لكش.

والجدير بالذكر ان الحمامات المعاصرة التي بنيت مؤخراً ذات سقوف كونكريتية مسطحة كما هو الحال في حمام باب الجديد ومثل هذه السقوف غير ناجحة في الحمامات لانها تساعد على تكاثف الابخرة على شكل قطرات باردة تزعج المستحمين بعكس السقوف المقببة في الحمامات التراثية كحمام الصالحية.



ولابد من الاشارة ونحن في سبيل التعرض الى المنشآت الخدمية ان نشير الى بعض العمارات العامة التي تستخدم من قبل دوائر متعددة للدولة. ومن أشهر أمثلتها عمارة التأمين التي تمتاز بتعدد طوابقها ووجود مصاعد كهربائية بالاضافة الى السلالم واروقة تحفظ محلات الطابق الارضي من المشاكل المناخية واستعمال الشبابيك ذات العقود الدائرية التي تؤطر بعض الشبابيك والبعض الآخر يكون بمثابة مشكاوات قائمة بذاتها تضفي على البناء ضخامة وتجسيما وتعبر بنفس الوقت على بعض السمات التراثية التي عمّت العديد من المباني العامة والخاصة في المدينة ولاسيما المشيدة مؤخرا على شارع الكورنيش على الضفة اليمنى لدجلة بين الجسر الحديدي والجامع المجاهدي.

وتعد هذه العمائر من العمائر الهيكلية او الابنية الثقيلة وهي الابنية التي تجمع فيها الاثقال الى اعمدة بواسطة السقوف والروافد والحمالات ثم تنقل بالاعمدة من طابق الى آخر تحته وهكذا الى التربة حيث يوزع النقل فيها في ضمن حدود تحملها. ويتم توزيعها بالتساوي على سطح تلك التربة(٤٩).

وتكثر في هذه المباني عادة الجدران المالئة والقواطع التي لاتكون حاملة لاثقال البناء الا وزنها فقط، وذلك لان جميع الاثقال التي تحملها الروافد والحمالات(٥٠) في مثل هذه المباني الهيكلية.

اما المباني الصناعية كمعامل النسيج والسكر فتتميز بتعدد مرافقها واقسامها وان كانت تختلف من معمل لآخر حسب طبيعته وظيفته وان كان هناك بعض المرافق تتواجد في معظم المعامل كالمخازن مثلا، كما انها تتبع من حيث توزيع الكتل نمط التخطيط الموجه الى الداخل انطوائيا لأن المكائن والمعدات وكذلك الكادر البشري العامل عليها يكون داخل فضاءات مغلقة عادة.

٣ - المباني الدينية:

لقد تميز العصر الحديث في الموصل بالاهتمام بالمباني الدينية عمارة وترميماً فظاهرة بناء الجوامع كانت احدى السمات المعمارية في مرحلة الثمانينات والتسعينات حتى غطت تلك الجوامع جميع مناطق واحياء الموصل اذ قلما نجد حيا يخلو من جامع اواكثر وهذا يدلل على تأصل الناحية الدينية في نفوس اهل الموصل واهتمام الدولة بهذه الناحية. بيد ان بعض الجوامع لم يراع في تخطيطها وهيئة عناصرها المعمارية السمات الاساسية للعمارة الاسلامية بل كانت على النقيض منها احيانا فعلى سبيل المثال نجد ان التخطيط المضلع تمثل في تخطيط بعض مصليات الجوامع كجامع حي الضباط وهذا يعد خروجا عن التخطيط المستطيل الذي كان مألوفا منذ صدر الاسلام والعصور التالية لانه يتماشى مع السنة النبوية الشريفة التي تؤكد على زيادة اجر المصلين في الصفوف الاولى باعتباره يوفر اكبر عدد من المصلين فيها بينما التخطيط المثمن يحدث العكس فيه حيث يقل عدد المصلين في تلك الصفوف ويمثل ذلك خروجا عن السنة النبوية الشريفة.

وتوجد ظاهرة اخرى جديدة بالملاحظة في بعض جوامع الموصل وهو نقلها من الطابق الارضي الى الطابق العلوي وتسمى بالجوامع المعلقة ليتسنى توفير محلات في الطابق الارضي تؤجر لشاغليها وتوفر ريعا للجامع. ومثال ذلك جامع زينب خاتون (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) في منطقة السرجخانة. وهذه الظاهرة نادرة الشيوع في الجوامع والمساجد. كما نجد احيانا أن موقع المرافق وحجمها لايتناسب مع المرافق الاخرى ضمن المبنى العام ومساحته الكلية، علاوة على اهتزاز العلاقة العضوية بين عناصره المهمة كالقبة والمئذنة وذلك للبعد البين بينها وعدم تناسب حجمها كجامع رشان في حي المثنى



جامع رشان في حي المثنى

(١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) .

ومن حيث شكل العناصر المعمارية فقد تنوعت تنوعا كبيرا ولاسيما المآذن وهذا غير مألوف بالعمارة الاسلامية التي تنشد التنوع البسيط الذي يتناسب مع الناحية الوظيفية والجمالية ، أما القباب فعلى الرغم من جمالية نسبها الا ان بعضها يعد غريبا على قباب الموصل والقباب الاسلامية بصورة عامة كالقبة ذات التكوير المنبطح لسطحها في بعض الجوامع . وبخصوص المحاريب شاع المحراب المجوف وانعدمت المحاريب المسطحة كما ان المنبر المدرج البارز تمثل في بعض الجوامع كالمنبر الحجري في جامع رشان . والمنبر الخشبي في جامع السليمان . هذا وقد شملت المباني الدينية المعاصرة بعض الكنائس اهمها من الناحية التصميمية كنيسة السريان الارثذوكس (١٩٨٨م) التي اتبعت التخطيط البازليكي في تصميمها والأقواس المتقاطعة والزجاج الملون في بعض الشبابيك .

وبالنسبة لترميم وتطوير بعض المباني الدينية فيمكن اعتبار جامع النبي يونس في مقدمة الامثلة على ذلك ، وعلى الرغم من الاهمية الانشائية في ترميمه الا انه فقد بعض عناصره وسماته الاصلية بعد التحديث الكبير الذي اصابه بفعل المواد الانشائية الحديثة غير التقليدية التي استخدمت في داخله كالسيراميك مثلا ، كما شمل الترميم بعض الاديرة كدير مارمتي ودير ماربهنام .

٤- المباني الصحية :

لقد غطت هذه المباني مركز الموصل وارجاء محافظة نينوى نظرا لأهمية الخدمات التي تؤديها للمواطنين وتشمل المستشفيات والمستوصفات والمراكز الصحية غير أن المستشفيات تركزت في مدينة الموصل ، بالاضافة الى المستوصفات ، والمراكز الصحية التي اخذت التوزيع الجغرافي بنظر الاعتبار لدى انشائها ، أما الاقضية والنواحي فاقتصرت على المستوصفات عادة . وقد جرى التأكيد في تصاميمها على توفير الجو الصحي الملائم للمرضى ومنها معالجة التهوية الطبيعية ، وضمان دخول اشعة الشمس لمعظم مرافقها إن لم تكن جميعها .

وتعد المستشفى الجمهوري من أولى مستشفيات المدينة المعاصرة ويتكون من عدة اقسام اهمها ردهات المرضى التي تتكون من قاعات مستطيلة متجاورة تفصلها بعض الفضاءات المكشوفة ويتقدمها ممر طولي مشترك يشرف بدوره على بعض الحدائق والأفنية المكشوفة بواسطة شبابيك واسعة نسبيا فتكون بمثابة أروقة مغلقة وبهذه الوضعية توفر العزل البيئي من ناحية ، وتلقي أشعة الشمس المطلوبة في مثل هذه المباني الصحية .

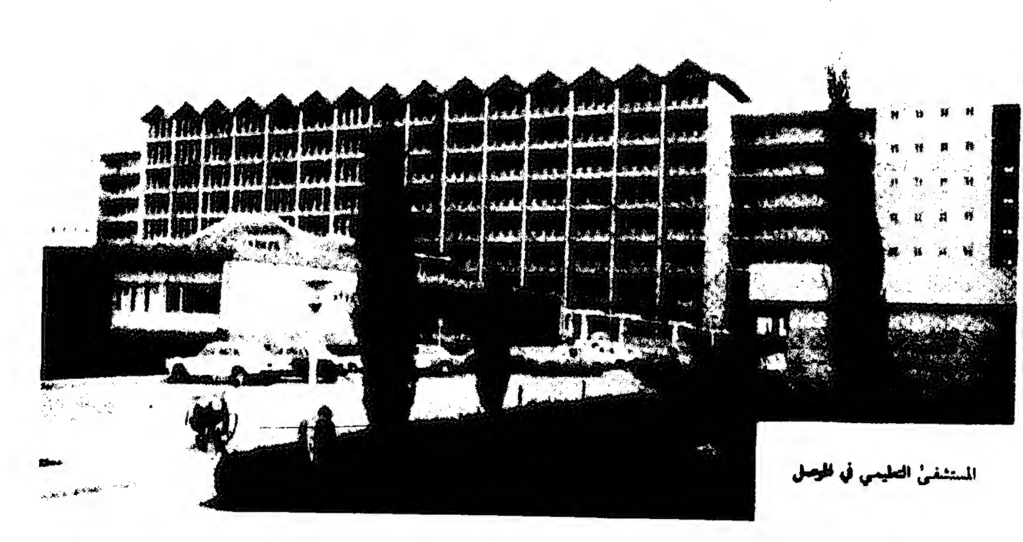
وتتألف المستشفى من طابقين متناظرين تقريبا مثّل الطابق الارضي ردهات الرجال وبعض المباني الملحقة كالمختبرات وصالات العمليات وغرف الادارة والاطباء والفحوصات ، علاوة على المطبخ . اما الطابق العلوي فيمثل ردهات النساء وبعض غرف الاطباء والتداوي .

وقد بنى المبنى بالحجارة الكلسية والجص ولهذا تميزت جدرانه بالسمك البين الذي حقق بعض الفوائد من حيث الناحية الانشائية والعزل

الحراري، على الرغم من اعتماد المستشفى على التدفئة والتبريد المركزي. وهناك بعض الملاحق المتفرقة بنيت مؤخرا من البلوك والسمنت. هذا ويعد المبنى من الابنية الخفيفة التي تقوم جدرانه بنقل الثقل الى الاساس الذي يكون ملازماً للجدار. والابنية الخفيفة عادة تتكون من طابق او طابقين ونادراً تكون اكثر من ذلك(٥١).

للمرضى. ويعد المبنى من الابنية الثقيلة (الهيكلية) الذي شيد بالبلوك والكونكريت المسلح. واستخدمت فيه التدفئة والتبريد المركزي وزود بمصاعد كهربائية علاوة على سلالمه الاعتيادية.

ومن المستشفيات المعاصرة مستشفى صدام الذي يتميز بانشائه بواسطة البناء الجاهز ويتعدد طوابقه التي تصل الى ستة طوابق ايضا. ويعتمد



المستشفىٰ التعليمي في الموصل

والمستشفى الآخر في المدينة هو المستشفى التعليمي (العام) الذي يتألف من ستة طوابق متناظرة تقريبا تشغل من قبل المرضىٰ باستثناء الطابق الارضي الذي يشتمل على مرافق الادارة وقاعات العناية المركزة والفحوصات المختبرية والمطابخ.

ويتكون كل طابق من الطوابق الخمسة العليا من صف من الغرف المتجاورة يتقدمها ممر مغلق يشرف على فناء مكشوف بواسطة الشبابيك الواسعة. ويتميز هذا المستشفى عما سبقه بتعدد طوابقه والاستعاضة عن ردهات المرضى الواسعة بصفوف من الغرف المجاورة التي تكون اكثر راحة

بتصميمه على ممرات داخلية مغلقة طولية ومستعرضة تنتظم عليها غرف المرضىٰ من الجانبين، علما بان الطابق الارضي يشتمل على مرافق الادارة والفحوصات والمختبرات والمطابخ. وقد زود هو الآخر بمصاعد كهربائية وباجهزة التبريد والتدفئة المركزية.

وثمة مستشفى آخر هو مستشفى الخنساء للامراض النسائية والتوليد ويتكون من طابقين شيدا بواسطة البناء الجاهز وقد انتظمت مرافقها حول ممرات طولية ومستعرضة مغلقة وزود المبنى بالتدفئة والتبريد المركزي.

وبخصوص المستوصفات فقد وزعت في مناطق



متعددة من مدينة الموصل، وبعض اقضية ونواحي محافظة نينوى وهي بمثابة مستشفيات صغيرة تتكون من طابق واحد ولهذا انتفت الحاجة الى المصاعد الكهربائية، وانعدمت منها التدفئة والتبريد المركزي. وقد بنيت من البلوك أو الحجارة والكونكريت المسلح واخذ مبدأ التناظر التمثيلي بنظر الاعتبار عند التشييد، بينما المراكز الصحية تتكون بصورة عامة من هول مسقف قريبا من المدخل الرئيس ومنه تتفرع بعض الممرات المغلقة التي تحف بها المرافق من غرف الفحوصات والأطباء والصيدلة. وتعد من المباني الخفيفة ايضا لكونها تتكون من طابق واحد.

٥- المباني العلمية:

لقد كانت هذا المباني احدى المنشآت المعمارية التي تميز الموصل في العصر الحديث شأنها في ذلك شأن بقية المباني المعاصرة. ويأتي في مقدمتها مباني الاقسام والمختبرات العلمية في جامعة الموصل، ومؤسسة المعاهد الفنية، ومداس المديرية العامة لتربية نينوى.

فبالنسبة للاقسام العلمية فترجع بعض مبانيها الى منتصف الستينات التي شيدت بالاصل لمباني المجموعة الثقافية التابعة للتعليم المهني ثم شغلتها بعض اقسام كليتي العلوم والتربية فيما بعد وهي عبارة عن مجموعة من البلوكات رتبت بصورة متوازية يوصل فيما بينها ممر مغلق ويقسم كلا منها بنفس الوقت الى قسمين متناظرين، كما يفصل هذه الاقسام عن بعضها افنية مكشوفة ومفتوحة من الخارج. ويتألف كل قسم من ممر مغلق تنتظم على جانبه الداخلي سلسلة من الغرف المتناظرة ويشرف من الخارج على فناء مكشوف بواسطة عدة شبابيك واسعة.

أما الاقسام العلمية التي انشئت خصيصا كاقسام علمية في بعض كليات الجامعة فعلى الرغم من بعض الاختلافات فيما بينها الا ان اغلبها صمم على هيئة قاعات مستطيلة تتخللها مدرجات تنخفض تدريجيا كلما اتجهت نحو الامام لضمان ايصال مستلزمات المحاضرات السمعية والبصرية للطلبة.

اما المدارس فالقاسم المشترك في تصميمها هو وجود فناء مكشوف تحف ببعض جوانبه مرافق المدرسة المعمارية التي تتكون عادة من صف من الغرف المتجاورة تتقدمها أروقة محمولة على أعمدة مربعة خالية من التيجان والقواعد. ومعظم المدارس تتكون من طابقين متناظرين. هذا ويوجد في بعضها قاعات مستطيلة للاجتماعات، علاوة على بعض الملاحق.

والفناء المكشوف يضمن حركة افضل للطلبة ولاسيما في الالعاب والتمارين الرياضية، بالاضافة الى كونه المصدر المهم للاضاءة والتهوية، أما الرواق فيقي الصفوف التي يتقدمها وكذلك الطلبة اثناء الاستراحة من الحر الشديد صيفا والبرد والامطار شتاءً.

ومما يجدر ذكره، أن المواد البنائية الجديدة ومنها الخرسانة والكاشي والموزائيك المزجج، تعد من اهم العوامل التي اثرت في المباني المعاصرة، وخاصة من حيث التصميم والخصائص والاغراض، بحيث اخرجتها عن طابعها القديم المتوارث وذلك للتغيرات الكبيرة التي اصابتها في فترة زمنية قصيرة. هذا فضلاً عن تأثير المكننة والتقنية الحديثة في تغيير خصائص بعض المواد المعتمدة في البناء، أو ايجاد مواد بنائية جديدة لم تكن معروفة من قبل. وهذا الامر يلقي على عاتق المعماري المعاصر مسؤولية كبيرة في مجال أخذ هذه المسألة بنظر الاعتبار، بحيث يستطيع ان يزاوج في مشاريعه المعمارية بين التراث والمعاصرة[٥٢]. مما يعني ان دراسة العمارة المعاصرة لاتزال موضع نقاش وحوار، وذلك لعدم تبلور اهدافها وميادينها المتعددة.. وحسب هذا البحث ان يكون بمثابة مفتاح يشجع الاخرين على

ولوج هذا الميدان وتعميقه بدراسات لاحقة.

الهوامش

(١) توفيق احمد عبد الجواد : تاريخ العمارة، القاهرة، جـ ٤، ص ٦٩.

(٢) احسان فتحي : الخصوصية في العمارة، مجلة المهندسون، العدد ٨ لسنة ١٩٨٥م، ص ١٦.

(٣) شيرين احسان شيرزاد : لمحات من تاريخ العمارة والحركات المعمارية وروادها، بغداد ١٩٨٧م/ ص ٧١.

(٤) فتحي : المرجع السابق، ص ٨٥.

(٥) شيرزاد : المرجع السابق، ص ٨٥.

(٦) المرجع نفسه، ص ١٣١.

(٧) عقيل نوري الملا حويش : العمارة الحديثة في العراق، بغداد ١٩٨٨م، ص ٣٤.

(٨) المرجع نفسه، ص ٤٢.

(٩) المرجع نفسه، ص ٣١.

(١٠) شيرزاد : المرجع السابق، ص ١٤٨.

(١١) المرجع نفسه، ص ١٥٣.

(١٢) المرجع نفسه، ص ٨٦.

(١٣) احمد قاسم الجمعة : المظاهر المعمارية والفنية في الموصل منذ صدر الاسلام حتى الوقت الحاضر، (محافظة نينوى بين الماضي والحاضر)، الموصل ١٩٨٦م، ص ١٥٣، ١٥٤.

(١٤) هاشم خضير الجنابي، التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة الموصل ١٩٨٢م، ص ٧٣.

(١٥) احمد الصوفي : خطط الموصل، الموصل ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م) جـ ١، ص ٢٢.

(١٦) احمد قاسم الجمعة : المظاهر الدفاعية والامنية في تخطيط الموصل ومبانيها في العصور العربية الاسلامية (الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب ١٦ - ١٨ مايس ١٩٨٩م، مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد، جـ ١، ص ٣١٢.

(١٧) صبحي محمد رؤوف وصلاح حسين: المظاهر العسكرية لحصن الاخيضر، مجلة سومر لسنة ١٩٧٦، م ٣٢، ص ١٢٩.

(١٨) حجاجي ابراهيم محمد: القلاع وتطور الفكرة الهندسية، مجلة المنهل، جدة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، م ٤٨، العدد ٤٥٤، ص ٢٩٤.

(١٩) الجمعة : المرجع السابق، ص ٣١٤- ٣١٦.

(٢٠) سعدي ابراهيم اسماعيل الدراجي : عمارة القلاع وتخطيطها في شمالي العراق، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت لجامعة بغداد ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٥٣.

(٢١) للتفاصيل حول حصار الموصل انظر: سيار كوكب علي الجميل، حصار الموصل، الصراع الاقليمي واندحار نادرشاه، الموصل، ١٩٩٠.

(٢٢) الجمعة : المرجع السابق، ص ٣١٧.

(٢٣) جيمس بكنغهام : رحلتي الى العراق، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد ١٩٦٨م، ص ٦٥.

(٢٤) الجمعة : المرجع السابق، ص ٣١٧، ٣١٨.

(٢٥) سعيد الديوه جي : بحث في تراث الموصل، الموصل ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١٠٤.

(٢٦) حسين علي الداقوقي : القلاع والحصون في مدن العصور الوسطى، مجلة دراسات الاجيال، العدد ٤، كانون الاول ١٩٨٦م، بغداد ١٩٨٦م، ص ١٤٦.

(٢٧) الدراجي : المرجع السابق، ص ١٣٠.

(٢٨) هاشم الجنابي : المرجع السابق، ص ٨٠.

(٢٩) صلاح الجنابي : الوظيفة السكنية لمدينة الموصل الكبرى (استخدامات الارض)، الموصل ١٩٨٥م، ص ٥٧.

(٣٠) حويش : المرجع السابق، ص ٣٨.

(٣١) هاشم الجنابي : شخصية مدينة الموصل بين التراث والمعاصرة، (الندوة العلمية والتربوية السادسة لجامعة الموصل ١١/٩ آيار ١٩٨٧م، الموصل ١٩٨٧م، ص ٤٢١.

(٣٢) شيرين احسان شيرزاد : مبادئ في الفنون والعمارة، بغداد ١٩٨٥م، ص ٢١٦.

(٣٣) حويش : المرجع السابق، ص ٨٨.

(٣٤) هاشم الجنابي : المرجع السابق، ص ٤٢٢.

(٣٥) حويش : المرجع السابق، ص ١٦١.

(٣٦) المرجع نفسه، ص ١٤٨.

(٣٧) المرجع نفسه، ص ١٧٦.

(٣٨) هاشم الجنابي : المرجع السابق، ص ٤٢٣.

(٣٩) فاروق عباس حيدر: تشييد المباني، ط٢، بغداد ١٩٨٩م، ص ٣٤٨، ٣٥١.

(٤٠) المرجع نفسه، ص ٥٤٠.

(٤١) حويش : المرجع السابق، ص ٨٨.

(٤٢) المرجع نفسه، ص ١٢٩.

(٤٣) علي عبد عباس العزاوي : المسكن الريفي في محافظة نينوى، (الندوة العلمية والتربوية السادسة لجامعة الموصل ١١/٩ آيار ١٩٨٧م، الموصل ١٩٨٧م، ص ١٠٣، ١٠٤.

(٤٤) حويش : المرجع السابق، ص ١٥٤.

(٤٥) هاشم الجنابي : التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة، ص ٦٧.

(٤٦) المرجع نفسه، ص ٧٠.

(٤٧) يوسف الدواف : انشاء المباني والمواد البنائية، ط ٦، بغداد ١٩٨٢م، ص ٢٦٥، ش ٥٤.

(٤٨) شيرزاد : المرجع السابق، ص ٢٢١.

(٤٩) الدواف: المرجع السابق، ص ٤، ٥.

(٥٠) انيس جواد سلمان : تركيب المباني (الجدران الحاملة وتفاصيلها المعمارية، ط ٢، بغداد ١٩٨٨م، ص ٤٧.

(٥١) الدواف: المرجع السابق، ص ٤.

(٥٢) للتفاصيل انظر: زهير ساكو، وارتين ليفون : انشاء المباني، ط ١، بغداد، ١٩٨٣، ص ص ١٦٥، ١٦٦ وكذلك اسامة الرفاعي : الانشاءات الخرسانية في البلدان العربية، ط ١، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٥٨، وسلمان : المرجع السابق، ص ٣٤٢، ١٤٣

التطورات الثقافية والتعليمية

طبيعة الحياة الثقافية المعاصرة في الموصل

د. سيّار كوكب علي الجميل

الموصل : المناخ التأريخي : الحضور الثقافي

لقد احتفظت الموصل بتقاليدها العربية واعرافها الثقافية الاصيلة ، وخاصة عندما نفضت عنها أردية الماضي السكوني خلال القرون المتأخرة .. وبدت من أولى الحواضر العربية التي شاركت في النهضة الحديثة مذ خرجت عن طور السكونية العثمانية كي تواصل مسيرتها بصفتها جزءاً مهماً من كيان العراق المعاصر، ولتساهم في تكوينه السياسي ، ونهضته الثقافية بعد ان اضطلعت الموصل بدور مؤثر في الحركة القومية العربية . مشاركة بذلك من خلال الأدوار التي مارسها كثير من مثقفيها في الجمعيات العربية . وبعض من رجالاتها في عمليات الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦م . والنضال الوطني ضد الأستعمار البريطاني . ثم تأسيس كيان العراق السياسي المعاصر؛ وكانت قد توالدت في الموصل نزعات ثقافية جديدة بعد ان مضىٰ جيل الاوائل من المثقفين المواصلة الرواد الذين عاشوا ارهاصاً فريداً من نوعه بانتقالهم من طور التحدّي مع الاتراك العثمانيين ، والصراع ضد الانكليز ، ثم التجاوز من طور العثمانية الى حالة الاستنارة القومية ، وتأسيس النزوع الوطني من خلال مواقفهم واشعارهم وخطابهم السياسي ، وصحافتهم القوية ، ومقالاتهم الرصينة .. وتجمعاتهم القومية والوطنية ، وحركتهم الأدبية المعاصرة .

لقد بدأ على اعقابهم جيل جديد من المثقفين ، هو جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية ، إذ برز في الموصل عدد كبير من المثقفين الاحرار والسياسيين المعارضين والمناضلين الأشداء الذين سيكملون ذلك الدور الوطني ، ويعيشون الارهاص القومي الذي فجره الرواد المواصلة الاوائل .. وكان ابناء هذا الجيل الثاني ضمن قافلة الاحرار من العراقيين الجدد الذين شهد لهم تأريخ العراق المعاصر ، وتأريخ ثقافته الجديدة دوراً بارزاً من المنجزات الواسعة على طريق التحولات الجديدة .

ويكاد يبرز دور ذلك الجيل الثوري الجديد عند بداية تأريخية بارزة في تطور الأحداث الوطنية ، وصفحة من النضال الوطني ضد الانكليز قبل ان تتفجر الحرب العالمية الثانية ، كي يتربّى جيل الموصل الجديد خلال الحرب وما بعدها على احداث وتحدّيات وأزمات ومشكلات تؤثر جميعها تأثيراً كبيراً في تكوينه وتجاربهِ وممارساته . وتكاد تكون البداية تلك متمثلة بمصرع المستر مونك ميسن القنصل البريطاني في الموصل نيسان عام ١٩٣٩م على يد الجماهير الغاضبة ، وبتأثير المظاهرات الطلابية الصاخبة التي عمّت أرجاء المدينة بعد الاعلان عن مصرع الملك غازي الاول ، فاتهمت الموصل المستعمر البريطاني وعملائهِ بتدبير تلك الجريمة .

لقد تربّىٰ جيل من الثوار والمثقفين على دروس تلك الانتفاضة الوطنية الأصيلة ، فحققوا بذلك المثل الثوري النموذج في التعبير عن تطلعات الجماهير ، والدفاع عن القيم والمنجزات الوطنية والقومية .. وقد عرف عن اغلب المثقفين المواصلة



خلال هذا القرن أنهم شغلتهم الاحداث السياسية كثيراً.. وقد شكلوا معها خصباً متوالداً في العطاء والتجديد من اجل ايقاف مؤثرات العجلة القديمة المسيطرة على مقاليد الامور التي توارثت ذهنياتها عن مخلفات الزمن العثماني.

من هنا يأتي دور حوافز البيئة في التكوين الثقافي الاصيل، ودور العوامل التأريخية والسياسية التي أسهمت في بناء الفكرة القومية التي تميزّت بها مدينة الموصل، ليس على المستوى الوطني فحسب، بل على المستوى القومي منذ بواكير القرن العشرين. وقد كانت مشاركة ابناء الموصل في بناء ثقافة العراق المعاصر، وبناء الدولة والتكوين السياسي كبيراً سواء كان ذلك في حقل الصحافة ام السياسة أم الأبداع الأدبي، ام الحقل الوطني، ام الجانب الأقتصادي، ام الأحداث الكبرى.

لقد ساهمت الموصل كبيئة ثقافية وسياسية وقومية الى جانب العاصمة بغداد، مساهمات فعّالة في النصف الاول من القرن العشرين، فضلاً عن عقد الخمسينيات التي يعدّ عقداً تراكمياً جامعاً لحصيلة تراكم الجهود الواسعة للبناة المؤسسّين والرواد الاوائل. ويكاد ذلك «العقد» هو حقبة صراع التناقضات في اوج مرحلة قومية شهدها العرب. وكان ان وجد العراق نفسه وهو يترجم على يد ابرز ابنائهِ من الشباب الحائزين على درجات الثقافة الجديدة عما كمن في أعماق الذات العراقية، وتفجر الأبداع على يد العشرات من المثقفين والأدباء والشعراء والفنانين العراقيين.. خلال تلك المرحلة الصعبة من حياة العراق المعاصر.

دعونا نحلل إذا مراحل تطور ثقافة الموصل المعاصرة المرجعية الثقافية في الموصل إبان القرن التاسع عشر.

كان الانتقال الى نظام المركزية الأدارية في الموصل خلال القرن التاسع عشر، تحولاً بارزاً في حياتها، إذ شهدت المدينة بعض الاصلاحات المدنية والعسكرية الرسمية بوقت مبكر لعهد مدحت باشا والي العراق الشهير.. كما وأثر توافد الاوربيين على الموصل، متمثلاً ذلك بالأرساليات التبشيرية والبعثات الآثارية، اذ ساعد على انتشار الثقافة وازدياد الوعي بفعل تأسيس بعض الوسائل والمرفقات كالطباعة والتعليم المدني وعناصره.. فبدأ البعض من المثقفين بالخروج عن طور التقاليد العثمانية المألوفة.[1]

ولم تشهد الموصل في القرن التاسع عشر قيام او تأسيس اية جمعية او رابطة او حزب مع وجود العديد من المثقفين المواصلة الذين تتحكم في ذهنيتهم **مصادر** متفاوتة منها:

١- **المصدر الاسلامي** بحكم ميراث التعليم والتقاليد الدراسية- الدينية القديمة.

٢- **المصدر المسيحي** بحكم ميراث عدد من رجال الموصل المسيحيين وتقاليدهم القديمة.

وقد جمعت اغلبهم رابطة «العثمنة» بحكم سيطرة الدولة العثمانية على المشرق العربي وقد تأثر بعضهم بالاجراءات الأصلاحية دون ان يشهدوا تحولات كبيرة في واقعهم المضني. او بدائل اساسية في تحديث مجتمعهم كالذي حدث في مصر عصر ذاك مثلاً.

لقد برز على الساحة الثقافية للموصل خلال القرن التاسع عشر، عدد وافر من الأسماء، يمكننا ان نذكر منها: «الطبيب محمد الجلبي والشاعر ابن الصباغ الموصلي، والأديب محمد امين بن يوسف العمري والأديب العالم محمد فهمي بن مصطفى العمري، والشاعر الشهير عبدالغفار الأخرس، ورئيس العلماء عبدالله افندي ابن محمد جلبي العمري، ورئيس العلماء عبدالله افندي الدملوجي، والأديب صالح تقي الدين الشهير بسعدي الموصلي والشاعر قاسم حمدي افندي السعدي المكتوبي والأديب محمد سعيد الجوادي والأديب السائح عبدالرحيم الفائز والشاعر الملا

حسن البزازوالحاج شيت الجومردوالشاعر علي رضا افندي بن محمود افندي العمري والأديب المتصرف احمد عزت پاشا الفاروقي والشاعر عبدالله راقم افندي والشاعر شهاب الدين المليسي والاديب حسن حسني أفندي الفخري». وظهر في نهاية القرن التاسع عشر: الشيخ ضياءالدين الشعار وداؤد أفندي الملاح وعبدالله افندي الفيضي وروفائيل بطرس المازجي واللغوي **المطران** اقليمس يوسف داؤد، واغناطيوس بهنام بني والبطريرك جرجس عبد يشوع خياط، ونعوم فتح الله سحّار والقس لويس رحماني وغيرهم[٢].

الدور الثقافي لجريدة «موصل»

كان لأبرز الاسماء المذكورة آنفاً دورها البارز في الروابط الثقافية بين الموصل ومدن عربية اخرى، ومنها ما نشروه من مقالات وقصائد في جريدة «الجوائب» خصوصاً والعديد من الصحف العثمانية والمصرية والسورية عموما، كما نشر بعضهم كتبه هناك وقد ساعدت تلك الروابط على انتشار مفاهيم الثورة الفرنسية والأفكار الاصلاحية والمدارس الحديثة.[٣]

أما تأثير جريدة **«موصل»** وهي اول صحيفة تنشر في مدينة الموصل فكان كبيراً، إذ صدر العدد الاول منها في ٢٥ حزيران سنة ١٨٨٥، وكانت جريدة رسمية اسبوعية وعلى الرغم من طابعها الاخباري، ولكنها تمتعت بأسلوبها الجزل مقارنة بأسلوب جريدة «زوراء» في بغداد، **فضلاً** عن طول عمرها، فقد عمّرت طويلاً، وعاصرها اكثر من جيل، فقد مرت بثلاث مراحل: امتدت المرحلة الاولىٰ من ٢٥ حزيران ١٨٨٥ حتىٰ اعلان الدستور العثماني في ٢٣ تموز ١٩٠٨. وتمتد المرحلة الثانية منذ اعلان الدستور حتىٰ قيام الحرب العالمية الاولىٰ عام ١٩١٤[٤]. فتوقفت عن الصدور، لكي تصدر من جديد بعد الاحتلال البريطاني للموصل سنة ١٩١٨، ولكن تحت اسم **«الموصل»** فيستمر صدورها حتى سنة ١٩٣٤. وتعد المرحلة الثالثة من أبرز مراحلها وذلك لما لحق بها من تطور في الطباعة والانتشار والمفاهيم.. وعلى الرغم من قول روفائيل بطي بأن جريدة «الموصل» ما كان لها من اثر يذكر على الحياة الفكرية في الموصل[٥]، وذلك لصدورها باللغة التركية، فان صدورها بالعربية خلال مرحلتها الثالثة، ناهيك عن دورها في بناء الوعي الاجتماعي والدعائي والقانوني قد ميزّها كعلامة بارزة في تطور ثقافة الموصل.[٦]

دور جريدتي «نينوى» و «النجاح» في اثراء أدبيات الموصل:

الفكرة القومية: الأتحاديون والائتلافيون

لقد نشط الوعي الثقافي كثيراً في الموصل مع نشر فكرة التقدم والحريات والاصلاحات السياسية التي ترافقت شعاراتها (= عدالت، حريت، مساوات) مع مجيء الأتحاديين للسلطة عام ١٩٠٨م؛ وتأسيس فرع لجمعيتهم في الموصل بعد اعلان الدستور بمدة قصيرة، وقد أصدرت في ١٥ تموز ١٩٠٩م جريدة اسمها «نينوى» بالتركية والعربية كتب فيها العديد من المثقفين المواصلة منهم: محمد حبيب العبيدي وفاضل الصيدلي وداؤد الملاح آل زيادة وسليم حسون وغيرهم، وسرعان، انكشفت مساوىء الأتحاديين، فانقلب العديد من المثقفين العرب عليها بل وتشكل في الموصل فرع لجمعية «اتحاد محمدي» المضادة لسياسة الأتحاديين في الموصل.. وانتمى اليها من كانوا يناصرون **السلطان** عبدالحميد الثاني ١٨٧٦-١٩٠٩م امثال: يوسف الرمضاني (رئيس العلماء) والشيخ محمد احمد الصوفي وابراهيم ياسين القصاب ومصطفى البكري ومحمد ضياء **الدين** الشعار وداؤد الصائغ.. ولكن سرعان ما قضىٰ الأتحاديون على الجمعية الام في اسطنبول وفروعها.



وكان هناك صوت سياسي آخر للمثقفين الائتلافيين من المواصلة الاحرار الذين اصدروا لهم «جريدة النجاح» وكتبوا فيها مقالاتهم، ونشروا على صفحاتها اشعارهم، وكان يحررها خير الدين الفاروقي (العمري) مؤيدة الحزب الحر المعتدل.. ثم بدأ الموصليون من المثقفين الاحرار يستقيلون من جمعية الاتحاد والترقي وينتمون الى الحزب الجديد، فشهدت محافل الموصل صراعاً سياسياً حاداً بين العناصر المثقفة انعكس على كتابات بعضهم. آصف وفائي آل قاسم اغا السعرتي وصديق الدملوجي ومحمد توفيق افندي وعبدالله رفعت العمري، ونشرت قصائد لكل من مجيد المتولي وعلي الجميل وغيرهم[٧]، وقد أثارت بعض الأحداث القومية مشاعر ادباء الموصل ومثقفيها وخاصة الغزو الايطالي لليبيا عام ١٩١١م، فنشرت في الموصل قصائد ومقالات قومية رائعة.[٨]

ان السياسة الطورانية التي زاولها الأتحاديون قد ولّدت مرارة قاسية في نفوس المثقفين المواصلة الذين حسبوا ان وراء الآمال خيراً عميماً، وتحقيقاً للمبادىء الحرة التي رفعت كشعارات، فادّى ذلك الى ان ينسحب معظم الكتاب والشعراء الذين اندفعوا في تأييد الاتحاديين على صفحات جريدتي «موصل» و«نينوى»؛ بل وبدأ البعض من المثقفين يستفيد من مكانته الاولى في العاصمة استانبول ليندد بالسياسة الجائرة للاتحاديين، فسبب لهم ملاحقات ومطاردات واعتقالات، وكان من ابرز من تصدّى لتلك السياسة علانية كلٌّ من علي الجميل وصديق الدملوجي في رسائلهما المتتالية[٩].

مثقفو الموصل وعهد التحولات:

كان للمثقفين المواصلة في طورهم الواعي الاول من الجيل المخضرم دورهم في تأسيس الجمعيات القومية ثم الاحزاب السياسية، وذلك بعد انتقال حركة الوعي القومي من خطاب التنظير الى ممارسة التنظيم، وتشير المعلومات التأريخية الى دور اولئك الرجال الاوائل من المواصلة في العاصمة اسطنبول، فانخرط المدنيون من المثقفين الكبار في تشكيل اقدم جمعية ثقافية عربية فيها، هي «المنتدى الأدبي» بمشاركة رجالات عرب. وكان من ابرز العراقيين: احمد عزت الأعظمي وجميل صدقي الزهاوي وابراهيم الواعظ (من بغداد)، وثابت عبدالنور وحبيب العبيدي وعلي الجميل (من الموصل). وقد نشر كل من الاعظمي والعبيدي والجميل والزهاوي كتاباتهم واشعارهم القومية في كل من مجلتي الجمعية «لسان العرب» و«المنتدى الأدبي».[١٠]

اما العسكريون المواصلة فقد ساهموا في الانخراط في جمعية العهد باسطنبول ومن أبرزهم: جميل المدفعي وعلي جودت وعبدالله الدليمي.. وكان لهذه الجمعية منهج قومي ووجهة اسلامية - عثمانية، وتخوف من الخطر الغربي. وكان قد تأسس في آذار ١٩١٤ فرع لهذه الجمعية في الموصل بجهود عبدالله الدليمي، وانضم اليه ضباط الفيلق الثاني مثل: ياسين الهاشمي ومولود مخلص وعلي جودت ومحمد شريف الفاروقي.[١١]

وتعاطف بعض من مثقفي الموصل خلال تلك الرحلة التأريخية الصعبة مع فرع حزب اللامركزية الأدارية العثماني. وتأسس ناد ادبي بجهود سليمان فيضي الموصلي متخذاً ذلك غطاءاً لفرع الجمعية الاصلاحية في البصرة. ومن أشهر الذين انتموا اليه: محمود الملاح وآصف وفائي ومحمد مكي الشربتي وحمدي جلميران وملا عثمان الموصلي وغيرهم[١٢]. ولكن هذا التجمع لم يثمر عن اي نشاط كون بعض من هؤلاء المثقفين لم يبرحوا يؤيدون السياسة العثمانية الاتحادية، كما ان هذا التجمع لم يكن قومياً ابداً!

لقد غدت الموصل عصر ذاك من ابرز الحواضر



العربية المشاركة بكثير من مثقفيها في الجمعيات والتجمعات القومية الاخرى.. ولم يقتصر الأمر على فروع تلك الجمعيات، وانما وصل الامر الى تأسيس الجمعيات القومية، إذا تأسست في الموصل جمعية العلم الموصلية بجهود ثابت عبدالنور بهدف التحرر من الاتراك، وقد شاركه في ذلك: محمد رؤوف الغلامي ومكي الشربتي ورؤوف الشهواني، واتخذوا لأنفسهم اسماء مستعارة، فوسعّت من قواعدها بانشاء واجهات ثقافية وعلمية ومدرسية ومكتبية. ومن انجازاتها: مكتبة الخضراء ومدرسة دار النجاح والمدرسة الاسلامية.. وكان لهذه المؤسسات دورها في إثارة الجماهير على الانكليز.

كان من أبرز مؤسسي مكتبة الخضراء: محمد سعيد الجليلي ومحمد رؤوف الغلامي ويحيىٰ قاف العبدالواحد.. وقامت «المكتبة» بدور مهم في بث الثقافة القومية. اما مدرسة النجاح فمن ابرز مدرسيّها: عبدالمجيد شوقي البكري ومحمد رؤوف الغلامي.. في حين ان المدرسة الاسلامية قد تقاربت فيها جهود المستنيرين بالأصوليين امثال: الشيخ عبدالله النعمةوسعيدالحاج ثابت وحمدي جلميران.[١٣]

وفي عهد الاحتلال البريطاني قام لفيف من مثقفي الموصل المستنيرين بتأسيس اول مؤسسة علمية – اجتماعية ثقافية هي «النادي العلمي» ١٩١٨/١١/١٨، وبجهود ابرز مثقفي الموصل عهد ذاك: علي الجميل والدكتور حنا خياط والدكتور داؤد الچلبي والدكتور فاروق الدملوجي وحمدي جلميران ومحمد مكي صدقي الشربتي وغيرهم. وجاء في منهاج النادي ان غايته «اتخاذ الوسائل والوسائط اللازمة لرقي الشعب علماً»، إذ انه اتخذ من الوسائل العلمية والثقافية واجهة لنشاطاته السرية، كما كان عليه حال جمعية «المنتدى الأدبي» في استانبول قبيل الحرب العالمية الأولى. وقد تمّ ترخيص «النادي العلمي» من قبل سلطات الاحتلال البريطاني، وجرىٰ حفل افتتاحهِ بمشاركة جميع مثقفي الموصل، متخذاً له مكاناً على ساحل نهر دجلة مقابل الثانوية المركزية (الأعدادية الشرقية) حالياً، ومؤسساً له مكتبة ممتازة.. وبدأت الاجتماعات تتوالى بعد ان تألفت الهيئة الادارية للنادي برئاسة الدكتور عارف معروف بك وعضوية كل من شريف الصابونجي ومكي الشربتي وحمدي جلميران وسليم حسون والدكتور فاروق الدملوجي. اما هيئة المراقبة فتألفت من علي الجميل وتوفيق آل حسين اغا افغان ويونس جودت الرمضاني. ودعا النادي علماء الموصل ووجوهها لانتخاب اعضاء الشرف، فكان كل من السيد عبدالغني النقيب (نقيب الأشراف) والسيد احمد الفخري (قاضي الموصل) والشيخ محمد الصوفي اعضاء شرف.

ان ابرز النشاطات الثقافية لهذا «النادي» تخصيص ليلتي الاحد والأربعاء من كل اسبوع لالقاء المحاضرات، واجراء المسامرات الأدبية، والمناقشات التأريخية والعلمية واللغوية فضلاً عن الأبداعات الفنية. وأصدر «النادي» مجلة باسم «**النادي العلمي**» وعهد برئاسة تحريرها الى الأستاذ علي الجميل، وقد صدر العدد الاول منها في: **١٥ كانون الثاني ١٩١٩، وجاء في ترويستها انها:**

العدد ١ من المجلد الاول | السنة الاولى



مجلة علمية، فنية، ادبية، اخلاقية، تاريخية تصدر كل خمسة عشر يوم مرة واحدة في الموصل

في ١٥ كانون ثاني سنة ١٩١٩ | الموافق ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٣٧

مجلة النادي العلمي



«مجلة علمية أدبية اخلاقية تأريخية تصدر كل خمسة عشريوم مرة واحدة في الموصل». صدر منها ثمانية اعداد ثم توقفت عن الصدور بعد ان اغلق الانكليز النادي لأسباب مختلفة. وقد نشرت في المجلة مقالات ومحاضرات وقصائد وآراء ساهمت في كتابتها نخبة من أبرز المثقفين الموصليين، وهم: علي الجميل والدكتور حنا خياط وفاضل الصيدلي ورشيد الخطيب وصديق الدملوجي ومحمد توفيق آل حسين اغوان وروفائيل بطي والدكتور داوّد الچلبي



روفائيل بطي

وابراهيم الواعظ والسيد احمد الفخري وسليمان فيضي وغيرهم.[١٤]

كما ونشرت المجلة اخبار النادي العلمي ونشاطاته العلمية والأدبية، وكان لها الفضل في نشر نتاجات الأدباء، فضلاً عن اهتمامها بالنصوص الذاتية، والاعتناء بتأريخ المدنية ورجالاتها السابقين.. ناهيكم عن مقالات علمية وثقافية تدعو الى المعرفة والحرية، واخرى اجتماعية تعنى بالمرأة وبناء المجتمع.[١٥]

الموصل: المجتمع.. الثقافة.. الدولة
رجال العشرينات والثقافة السياسية:

إن الوضع الثقافي والسياسي والأجتماعي للمثقفين المواصلة سيأخذ له مساراً جديداً بعد تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ وخلال عهد الملك فيصل الاول للفترة ١٩٢١-١٩٣٣م.

وتتوضح الأتجاهات الفكرية والوطنية والقومية من خلال معطيات ابرز اولئك المثقفين ونتاجاتهم سواء على صفحات اشهر جرائد الموصل او صحف العاصمة بغداد؛ وقد أدّت التطورات الواسعة بعد تكوين «الدولة» الى انتقال او هجرة العديد من مثقفي الموصل الى بغداد بحكم عوامل وظيفية او صحافية او اجتماعية او سياسية، وسيؤثر بعض اولئك الرجال المواصلة في الحياة الثقافية العراقية ببغداد..[١٦] اما في الموصل فقد صدر ابرز ثلاث صحف وطنية هي: جريدة **الجزيرة** عام ١٩٢٢، وجريدة **العهد** عام ١٩٢٥، وجريدة **صدى الجمهور** عام ١٩٢٧ (مع استمرار جريدة الموصل في الصدور).

لقد ترأس ادارة وتحرير جريدة «**الجزيرة**» محمد مكي صدقي الشربتي الذي**أفصحَ** عن غاية جريدته القصوى في خدمة القضية العربية، ونقلت على صفحاتها اصداء الحركة الوطنية في الموصل، وعالجت مقالاتها السياسية الاماني والتطلعات الوطنية ازاء سياسة المعاهدات مثيرة في الرأي العام جوانب أساسية في الوعي الوطني والتكوين الثقافي، وقد ساهم في بلورة مفاهيمها عدد من الكتاب والأدباء منهم: حبيب العبيدي وسعدالدين الخطيب واحمد وفيق الشربتي وفاضل الصيدلي واسماعيل حقي فرج وغيرهم. وقد آلت هذه الصحيفة الا ان يكون في ام الربيعين جريدة اهلية واحدة.. اعتماداً على مناصرة محبي الأدب ومريدي الحقيقة- على حد ما جاء على لسانها-[١٧]. وكانت جريدة «الجزيرة» هي صحيفة اهلية نجحت في التعبير والافصاح عمّا كانت تريده في الاستقلال[١٨]، وتطمح اليه في البناء الوطني.

وصدرت جريدة «العهد» بتأريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٥، لكي تعبر ثقافياً عن واقع سياسي حزبي في الموصل؛ باعتبارها لسان حال حزب الاستقلال

الموصلي الذي تأسس في ١ أيلول ١٩٢٤ ومن جملة اهدافه الاساسية : الاستقلال التام للعراق ، وتنشيط حركة الوحدة العربية ، وتعزيز السياسة الخارجية ؛ باستعطاف العالم المتمدّن وعلى الاخصّ الشعب البريطاني ، باستخدام الوسائل السلمية من اجل تحقيق الاهداف الوطنية . وقد تكوّنت الهيئة الأدارية للحزب من : آصف وفائي آل قاسم اغا وعبدالله الحاج علي الفاروقي ومكي الشربتي والدكتور جميل دلالي والمحامي محمد صديق سليمان وسعيد الحاج ثابت والدكتور محمد محفوظ وشريف الصابونجي وابراهيم عطار باشي ..[١٩]

وقد شغلت صفحات جريدة «العهد» بالمشكلات السياسية والأقليمية التي فجرّتها قضية الموصل على الملأ ، فدحضت الجريدة مطاليب الأتراك ، ونشرت المقالات المؤيدة للحقوق الوطنية المشروعة .. كما ونشرت الخطب والأهازيج واخبار التظاهرات التي عمت مدينة الموصل لمنع اقتطاع الولاية . وقد ترأس تحرير جريدة العهد : عثمان قاسم وهو كاتب سوري كان يؤمن بالفكرة العربية .[٢٠]

وكانت قد تأسست في الموصل ايضاً «جمعية الدفاع الوطني» بتأريخ ٢٦ شباط ١٩٢٥ اثر وصول اللجنة الدولية الى الموصل ، وهي تكتل ديني للحيلولة دون انضمام الموصل الى تركيا تألف من (١٥٠) عضواً ، ووقفت على رأسهم هيئة ادارية منتخبة تتكون من : السيد احمد الفخري رئيساً وحبيب العبيدي نائباً للرئيس وأرشد العمري سكرتيراً ، وثابت عبدالنور وابراهيم كمال وآصف وفائي آل قاسم اغا ومحمد صدقي سليمان وجميل دلالي اعضاء .[٢١]

كما وكان للنشاط السياسي واسع النطاق في الموصل ابان وجود اللجنة الدولية اثر كبير في تأسيس حزب سياسي موصلي آخر باسم «الحزب الوطني العراقي» ، في مطلع شهر آذار سنة ١٩٢٥ ، وتألفت هيئة ادارته من : عبدالله سليمان رئيساً وعبدالله العمري آل رئيس العلماء نائباً للرئيس ومجيد العمري آل رئيس العلماء والدكتور استراجيان ومحمد محفوظ واحمد الجليلي واحمد الشربتي والمحامين مجدي وتوفيق النائب اعضاءً .[٢٢] وعندما جرت انتخابات هيئة ادارية جديدة في ١٨ حزيران ١٩٢٧ ، صعد الى ادارة الحزب من رجالات الموصل المثقفين ، فكان : محمد محفوظ رئيساً واحمد الجليلي نائباً وعبدالله فائق المحامي واحمد توفيق الشربتي كاتماً للاسرار ، والدكتور استراجيان محاسباً ، وعلي الجميل اميناً للصندوق ، والدكتور يحيىٰ نزهت والمحامي محمود خيري النائب والمحامي مجدي سليمان النائب اعضاءً[٢٣] .

لقد دافع مثقفو الموصل من الرجال المستنيرين الاصلاء عن قضية الموصل من خلال تنظيماتهم السياسية[٢٤] ، باعتبارها قضية دولية مصيرية حددت ليس مستقبلهم فحسب ، بل مستقبل بلدتهم العربية العريقة ووطنهم العراقي العظيم . وكانت الموصل قد حظيت منذ فترة مبكرة من تأسيس الدولة العراقية بتدريسات ومحاضرات وافكار المؤرخ القومي انيس زكريا النصولي ، ووصول اساتذة غيره من بلاد الشام ، والذين قاموا بدور بالغ في اثارة الوعي السياسي-القومي لدى الشباب الناهض ، وغرس القيم المثالية في تربية جيل مثقف جديد[٢٥] .. وهذا مالاحظناه من خلال دراستنا لتعاطف مثقفي الموصل ونصرتهم للثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ .

وعلى الرغم من الانشطة السياسية التي عنى بها كل من حزبي الاستقلال والوطني العراقي ، وما حفلت به علاقتها من خلافات بين ١٩٢٦-١٩٢٨[٢٦] ، الاّ ان ثمّة تعاون قد ظهر بينها من اجل تحقيق خدمة اجتماعية تمثّلت بجمع الاعانات والتبرعات للطلبة المعوزين لتمكينهم من مواصلة الدراسة وتكوين مستقبلهم .



افكار «صدى الجمهور» : الثقافة والمجتمع

اما جريدة «صدى الجمهور»[٢٧] فكانت صحيفة اهلية، جاء في ترويستها، انها جريدة يومية سياسية ادبية عامة أصدرها وترأس تحريرها على الجميل وأوكل مسؤولية ادارتها للمحامي عبدالله فائق. صدر العدد الاول منها في ٢١ شباط ١٩٢٧[٢٨] وبقيت تصدر حتى ٣١ كانون الاول ١٩٢٩[٢٩]، ثم جاء آخرون فأعادوا اصدارها في بداية الثلاثينات. وتعد جريدة «صدى الجمهور» من امّهات الصحف التي صدرت في العراق، وذلك للمنهج الذي تبنتهُ في طرح مواضيعها، ومعالجتها لقضايا سياسية وطنية متعددة كانت تعتبر الشغل الشاغل في تفكير العراقيين عصر ذاك. كما واهتمت مقالاتها بمواضيع أساسية في اصلاح الاحوال الاجتماعية والثقافية والنقد السياسي وتحليل الاوضاع الدولية... والاهتمام بالتربية ونقد الادارة والبلدية.. كما وَدَعت الجريدة الى الحرية الفكرية وتشجيع الصناعة والزراعة وحماية الانتاج الوطني.. كما اهتمت بالموصل وعناصرها المثقفة وفئاتها العمالية وحركتها الطلابية.. فضلاً عن مقالات تدعو الى حرية المرأة والاعتناء بها وتثقيفها.. واهتمت بالحرية الادبية، فنشرت قصائد وإشعاراً متنوعة..

ان من ابرز المثقفين الذين نشروا مقالاتهم وقصائدهم على صفحات «صدى الجمهور» الى جانب كتابات رئيس تحريرها على الجميل، نجد اسماء الدكتور داوّد الجلبي والدكتور جميل دلالي وعلي محمود الشيخ علي وعبدالله فائق المحامي وجميل صدقي الزهاوي وصالح البدري وبشير الصقال وقصائد السيد احمد الفخري... فضلاً عن اسماء مستعارة.. ولما كان رئيس تحرير هذه الجريدة عضواً مؤسساً في الحزب الوطني العراقي بالموصل فقد ارادها الحزب المذكور وسيلة للدعاية له، فحدثت خلافات مع سكرتير الحزب احمد الجليلي، وبقيت الجريدة مستقلة، وقادت الأزمة الى استقالة رئيس التحرير من الحزب واستقال ايضاً عدد من مؤيديه[٣٠].

ويبدو للمؤرخ أن عدداً من المثقفين الشباب في الموصل قد تربّى على افكار جريدة صدى الجمهور وآراء كتّابها ومعالجاتها النقدية الرصينة. كما وكانت مقالاتها صدى حقيقياً للرأي العام الموصلي في معارضته لبعض قرارات الحكومة بشأن المصلحة الوطنية والمصالح الادارية والاجتماعية لمدينة الموصل.

الموصل : الثقافة والتجمعات القومية

في عقد الثلاثينات، وخاصة ابان عهد الملك غازي ١٩٣٣ - ١٩٣٩، يتصاعد المد القومي في الموصل كثيراً، وستقفل هذه الصفحة التاريخية بحدث تاريخي بارز تمخّض عن مصرع القنصل البريطاني في الموصل عام ١٩٣٩. لقد كان لسياسة ياسين الهاشمي الدور المؤثر في اغناء تلك الحالة القومية ورفدها بمختلف العناصر سواء بتطبيق فعلي لعسكرة الشباب من خلال نظام الفتوة الذي اقترن بعهد غازي، اومن خلال نشاطات النوادي والجمعيات القومية.. متخذاً صيغة وطنية للنضال ضد السياسة البريطانية، وامكان الاستفادة من المانيا بعد الاعجاب الشديد بها.. وقد اسهم شباب الموصل في انشطة متعدّدة لاحزاب ومنظمات وجمعيات ونواد قومية عربية سرية وعلنية[٣١].

وكان من حسن حظ مدينة الموصل ان تحظى باستضافة عدد من الاساتذة السوريين واللبنانيين والفلسطينيين كمدرسين استقدمهم ساطع الحصري الى العراق، وكان من ابرزهم : درويش المقدادي الذي سعىٰ الى تنظيم الفكر القومي وعسكرته بادخال نظام الفتّوة في المدارس، وعمل مدرّساً في ثانوية الموصل في العشرينيات، واصبحَ مديراً لها سنة ١٩٣٣م، فغدت الثانوية في عهده كتلة من النشاط الوطني والروح القومي. وقد عرفت مدارس الموصل جهود بعض المدرسين الفلسطينيين

امثال : محمد طاهر الفيتاني وسعيد شقير وجواد الدجاني وعبدالرحمن الزعبي .. وغيرهم [٣٢] من الذين مارسوا دوراً مهماً في تثقيف جيل عريض من شباب الموصل ، اولئك الرجال العرب الذين كانوا يؤمنون بفكرة القومية العربية وممارستها من اجل تحقيق الاهداف السامية للامة .. فقد اخرجهم الانكليز من العراق غداة فشل ثورة مايس ١٩٤١ م .

نادي الجزيرة ونشاطات اخرى في الثلاثينات :

لعل ابرز ظاهرة في تاريخ الموصل المعاصر ابان ثلاثينات هذا القرن ولادة ثاني ابرز ناد ثقافي فيها بعد « النادي العلمي » ، أي بعد (١٨) سنة من تأسيس الاخير. ويعدّ تأسيس نادي الجزيرة ، حلقة متطورة في تاريخ المثقفين الموصليين ، وخصوصاً في أدواره التي لعبها على الساحة الفكرية والسياسية . وتقف مجموعة من الشباب المثقف وراء ذلك التأسيس للنادي الذي اجيز في ١ / آذار/

بشير حديد عضوين عاملين [٣٣] . وقد اعلن رئيسه أن النادي سيتجنب السياسة لأن السياسة محظورة عليه ، وان عمله سيقتصر على الامور الثقافية وتنمية الروح الادبية والرياضية في المجتمع [٣٤] .

كان الاتجاه القومي واضحاً من خلال بث النادي للوعي القومي ونشاطاته الثقافية وعلاقاته بنادي المثنىٰ في بغداد ونادي بردى في دمشق ، واستقباله الشخصيات القومية التي زارت الموصل آنذاك ، واحيائهِ ذكرى بعض ادباء وشعراء العرب الكبار [٣٥] . هكذا ، فاذا كان نادي الجزيرة يرتبط تأسيسه باسم عبدالجبار الجومرد (قبيل سفره الى فرنسا) فان نشاطات كل من محمد يونس السبعاوي وصديق شنشل ترتبط في مطلع شبابها بتأسيس « الحزب العربي القومي » الذي اكدّ على العلاقة العضوية بين العروبة والأسلام ، في الموصل وتبرز من خلاله في الساحة اسماء جديدة تحركت سّراً من خلال هذا الحزب ، مثل : عبدالرحمن الارحيم وعبدالرحمن السيد محمود ومحمد محمود



نادي الجزيرة

١٩٣٦ . وقد ترأسّه عبدالجبار الجومرد وبرفقتهِ الدكتور يوسف زبوني نائباً للرئيس ، والمدرس نجم الدين جلميران سكرتيرا والمحامي نوئيل رسام امينا للصندوق . والمدرس عبدالرحمن اغوان مديرا للالعاب والمهندس عبدالجبار اسماعيل والمحامي

الصواف واحمد شهاب واسماعيل الكتبي .. وغيرهم [٣٦] ، ولكن هذا « الحزب » اهتم اصحابه ومؤازروه بالقضايا السياسية ، ولم يهتموا بالامور الثقافية .. ولم يكسب الى صفوفهِ مثقفين كباراً ، ولم يصل الى الدرجة التي وصلها نادي الجزيرة الذي



غدا خلال فترة قصيرة مركز اشعاع فكري وادبي في حاضرة الموصل ، وذاعت سمعته في الاوساط العربية .

وربما يعود ذلك الى ان الحزب العربي القومي قد اتسم بطابعه السرّي في التنظيم والعمل . في حين نشط الكثير من اعضائه في واجهات قومية علنية وقتئذٍ مثل جمعية الجوال العربي ونادي المثنى بن حارثة الشيباني .

هكذا ، فعلى الرغم من ازدياد عدد المثقفين المواصلة خلال عقد الثلاثينات ، مع بقاء اغلب اولئك الشيوخ والرواد الاوائل ، مع وفاة بعضهم وهجرة بعضهم الآخر نحو بغداد .. فضلاً عن اختفاء صحف العشرينات ، وظهور صحف جديدة[٣٧] ، الاّ ان الموصل شهدت فيما بعد بروز بعض الادباء والمثقفين الكبار ، وعلى صفحات ابرز مجلتين ثقافيتين شهيرتين صدرتا في الموصل وعن نادي الجزيرة بالذات بتحرير اعضائه ، إذ صدرت عنه مجلة « المجلة » عام ١٩٣٩ ، ثم مجلة « الجزيرة » عام ١٩٤٦ .

مكانة النتاجات الثقافية ودورها في الموصل : مجلة « المجلة » ومجلة « الجزيرة » .

تعد مجلة « المجلة » من ابرز المجلات الادبية التي صدرت في العراق ، ونستشف من افتتاحية عددها الاول نهجها التقدمي بانفتاحها على الوان الثقافة العالمية وفنون الادب الحديث[٣٨] . ونهضت هذه « المجلة » بدور مهم في تبنيّها وجهات نظر اشتراكية وراديكالية ، حيث بدأت تنشر على صفحاتها وباسلوب واضح كتابات تحمل مضامين اشتراكية ، وكان من ابرز الذين حرروا فيها عبدالحق فاضل (رئيس التحرير) ويوسف الحاج الياس وذوالنون ايوب .. وكان الاول والثاني حقوقيان ، اما الثالث فهو خريج دار المعلمين العالية ، وقد شكلوا لهم اول خلية شيوعية في الموصل . ومن كتّاب « المجلة » ايضاً : جرجيس فتح الله (المحامي) وعبد الفتاح ابراهيم وحسن زكريا ، وثلاثتهم من الذين حملوا فكراً اشتراكيا راديكالياً ، ثم برزت في بداية سنة ١٩٤٤ « رابطة الشيوعيين العراقيين » التي تزعمها المحامي داود الصايغ . ولكن كان قد سبق الجميع في حمل الفكرة الشيوعية في الموصل ، المعلم يحيي (قاف) العبدالواحد بين سنتي ١٩٢٦ - ١٩٢٧ م الذي كان قد تبنّى منذئذٍ وجهات نظر اشتراكية وراديكالية شديدة جداً ، وشرع ببثّ افكاره منذ ذلك الوقت[٣٩] .

لقد اهتمت « المجلة » بنشر القصص التي حملت مضامين سياسية في الحرية والديمقراطية . ولاسيما قصص ذوالنون ايوب ، كما نشرت قصائد شعرية وبخاصة لاكرم فاضل كما اهتمت بالقضايا الاجتماعية[٤٠] والدراسات التاريخية وخاصة عن تاريخ الموصل الزاخر ، وساهم في الكتابة لـ « المجلة » عدد من المثقفين الموصليين ، منهم : اكرم فاضل ونجيب فاضل وعبدالفتاح ابراهيم ومتي بيثون وعبدالحق فاضل ومجيد خدوري ويوسف الحاج الياس وسعيد الديوه جي وغيرهم[٤١] .

بعد مضي سنتين على صدور « المجلة » توقفت بعد ان رافقتها اتعاب عدة في الموصل ، لكي تظهر في بغداد ... ومضت سنوات ، لكي يصدر مثقفو الموصل عن « نادي الجزيرة » مجلة « الجزيرة » ، إذ صدر العدد الاول منها في الاول من مايس ١٩٤٦ . وعهد بالاشراف على تحريرها الشاعر ذوالنون الشهاب ، ولكن بخطة جديدة وروحية مختلفة وافكار متباينة عن نهج « المجلة » وافكارها .

وقد خدمت مجلة « الجزيرة » اللغة العربية والادب العربي ، إذ نشرت على صفحاتها مقالات ادبية رصينة ، وقصائد شعرية رقيقة ، ومتابعتها للاخبار الادبية والثقافية في البلاد العربية ، واصدارها لاعداد خاصة عن ادباء وشعراء كبار .. الى جانب مانشرته من دراسات تأريخية[٤٢] .

الموصل : ١ ربيع الاول ١٣٦٨ — ١ كانون الثاني ١٩٤٩

الجزيرة

مجلة شهرية تبحث في العلم والادب والفن

* الجزيرة *
يشرف على تحريرها : ذو النون الشهاب
مديرها المسؤول : شيت الجادر المحامي
تصدر عن نادي الجزيرة بالموصل

﴿ بدل الاشتراك السنوي ﴾
في العراق ٧٥٠ فلساً
خارج العراق ١٠٠٠ فلس
الطلاب المدارس ٥٠٠ فلس

العدد ٣٣ — مسجلة بدائرة البريد برقم ٢٠٢ — السنة الثالثة

مجلة الجزيرة

كانت هذه المجلة تمثل ركيزة ثقافية لأبناء الموصل وواجهة ادبية لنادي الجزيرة، وصوتا للجيل الجديد ولكن لفئة المثقفين المعتدلين الذين اهتموا بنشر الثقافة وتعميمها وخصوصا الثقافة العربية والمآثر القومية والمضامين الأجتماعية.. وكانت قد عاهدت نفسها في افتتاحيتها على الرسالة الادبية، وانها ستكون منبراً للفكر الحر والقلم النزيه(٤٣).. كما انها استقطبت اقلاماً عربية شهيرة من الادباء العرب مثل ، روكس العزيزي وبنت الشاطىء وعبدالحميد جودة السحار. اما ابرز الكتاب المواصلة الذين نشرت مجلة «الجزيرة» كتاباتهم ومقالاتهم وقصصهم واشعارهم، هم: سعيد الديوه‌چي ، وذو النون الشهاب واسماعيل حقي فرج، واكرم فاضل الصيدلي وصديق الدملوجي



ذو النون الشهاب

ومحمود الملاح وكوكب علي الجميل وخيري العمري وحازم سعيد وغانم الدباغ وعبدالرزاق الشماع واسحق عيسكو وسليمان صائغ ونجيب سفر ومحمد الحسو وفيصل دبدوب وغيرهم(٤٤).

وفضلاً عن هاتين المجلتين الرصينين في تاريخ تطور الحياة الثقافية لحاضرة الموصل خلال النصف الاول من القرن العشرين، فقد صدرت مجلة «المعرفة» لصاحبها متي فرنكول، ومجلة «الجوهرة» لصاحبها جمال شوريز، ومجلة «الفجر» لصاحبها المحامي حازم الدبوني، كما اصدر بعض المثقفين الادباء عدداً من الجرائد الأدبية في الموصل. كما اهتمت مجلة «الفجر» بالقصة ، فأصدرت عدداً خاصاً بها، نشرت فيه قصص عربية وقصص مترجمة عن الفرنسية لمترجمها اكرم فاضل وعن الانكليزية لمترجمها جرجيس فتح الله... فضلاً عن عقدها للندوات الأدبية والملتقيات الفكرية(٤٥).

هكذا ، يبدو للمؤرخ ان الموصل قد عاشت خلال عقدي الثلاثينات والأربعينات حركة أدبية وثقافية زاهرة، متمثلة بابداعات ادباء وشعراء ودراسين متألقين ودائبين، وفي مناخ فكري ملائم برغم الصعوبات المادية، وفرّلهم خدمة المجتمع على درجة من التميز والأصالة والابداع.

تكوين الثقافة النسوية في الموصل :

على الرغم من حيازة الموصل لقصب السبق في مجال البدء بالتعليم النسوي في العراق عندما اسست «مدرسة اخوات المحبة» على يد الآباء الدومينكان عام ١٨٧٣م(٤٦) ، الا ان كلاً من التعليم والثقافة لدى نسوة الموصل بقي ضعيفاً جداً.. وفي عهد الاتحاديين افتتح «مكتب رشدي» للبنات الموصليات ، ثم اعقبه تأسيس «مكتب ابتدائي» لهن ، فازداد عدد المتعلمات بينهن(٤٧).

وفي عهد الاحتلال البريطاني ، تم تأسيس مدرستين للاناث هما : المدرسة الخزامية ومدرسة



حدائق المعرفة[٤٨]، وقد شاركن في تأسيسها وادارتها والتعليم فيها بعض مثقفات الموصل اللواتي كنّ يعددن على اصابع اليد، نذكر منهن: حمدية مصطفى واسماء حسين الجميل ونجمة رزق الله وعطية نوري ومنيرة الياس وفتحية عنبر عطا وفاطمة سعيد ومقبولة صالح ونورية عبد القادر وفخرية ميرزا وفخرية رشيد وفرقت نامق وباكزه موسى صبري[٤٩].

تقول السيدة الحاجة وهبية عبد الباقي الشبخون التي درست في المدرسة الخزامية عام ١٩٢٥، بأن هناك مدرسة اخرى للبنات تدعى بـ «العراقية» ولكن كلاً من الخزامية وحديقة المعرفة ساهمت بتعليم بنات الموصل وتثقيفهن منذ عهد مبكر، وقد تخرجت من اروقتها عدد وافر منهن، وتستطرد قائلة: بأن بنات الاغنياء كنّ يكتفين بالثقافة، اما بنات غيرهم فيصبحن معلمات ومدرّسات[٥٠].

اما في الثلاثينات من هذا القرن، فان ثقافة نسوة الموصل تزداد بشكل ملحوظ إثر تطور الجهاز التعليمي والانفتاح على الثقافة العربية، وتفاعل نزعة الاتجاه القومي في نهضة المعارف العراقية، وقد وفدن الى الموصل مدرسات لبنانيات وسوريات ونسبنَ الى ثانويتها للبنات وكلهن يتحمسن للقومية العربية، وتميزن بثقافتهن الواسعة، فاثرنَّ تأثيراً كبيراً في نفوس الطالبات ليس من خلال التعليم فحسب، بل في بنائهن الثقافي والنفسي والوجداني، في مجتمع تقليدي- محافظ كالموصل وقتئذ[٥١]. وبدأت الطالبات ينفتحن على ثقافات عدة من خلال قراءات في التاريخ والادب والشعر والروايات بخاصة. من بين تلك المدرسات العربيات اذكر: أنيسة روضة (لبنانية — مديرة للمدرسة الثانوية)، وسلوى نصار (فلسطينية)، وجوجين مبارك وفكتوريا بحوش وماركريت شيري وسيليا مالك[٥٢].

نتيجة للجهود الثقافية والقومية التي بذلتها تلك النخبة الكريمة، فقد تأسست في الموصل ولاول مرة جمعية «بنات الضاد» هدفها دعم اللغة العربية مقوماً اساسياً من مقوّمات الوجود القومي العربي، وذلك في اواخر سنة ١٩٣٧. وتشكلت الهيئة الادارية بالانتخاب ففازت كل من: عالية العمري رئيسة وسكينة عبد الغني النقيب (نائبة للرئيسة)، وفاضلة احمد عزت آل قاسم اغا (كاتبة)، وشكرية محمد الكشاف (امينة للصندوق)، وسعدية سعيد يحيي بك ووجيهة الكلاك وبدرية مجيد عضوات[٥٣] ولم تكن للجمعية نشاطات سياسية، بل حصرت قضاياها في المجالات الثقافية والاجتماعية ولم يكن للجمعية أي منهاج او نظام داخلي.. بل كانت الاجتماعات دورية متواصلة، وقد حقق هذا التجمع النسوي مكانة في قلوب المثقفين من خلال اللقاءات والاجتماعات الادبية التي عقدها، والاحتفالات التي اقامها[٥٤].. وبدأت المدرسات العربيات يبثنّ افكارهن القومية وخطبهن الحماسية المثيرة للاحاسيس.. ووصلت الجمعية خلال ١٩٣٨ في قمة عطائها ثم توقفت عن اعمالها بعد ان قدّمت للمجتمع خيراً عميماً[٥٥].

لقد ضعف النشاط النسوي في الموصل بعد ذلك، مع ظهور جيل جديد من النسوة الموصليات اللواتي شغلن بقضايا التعليم او التدريس، ولكن سيبرز بعضهن ولاول مرة في مجالات عمل جديدة، إذ ستظهر منهن طبيبات على نحو خاص، وستظهر فيما بعد للوجود «جمعية حماية الاطفال» التي تسيّرها بعض سيدات المجتمع الموصلي.. كما ستغدو المرأة الموصلية بعلاقة اكبر مع بغداد لدراستها الجامعية فيها واتصالها الثقافي بها.. اما في مجال النشر والثقافة الادبية فستبقى المرأة الموصلية بعيدة عن ذلك على الرغم من اهتمامات بعضهن للادب والشعر والرواية ومتابعة الصحافة..

الابداعات الثقافية في الموصل: الآداب والفنون.

اختلف الجيل التالي في الموصل والذي بدأ



مسيرته الوطنية والقومية في عقد الثلاثينات بعد ان نجح في تكوينه على عهد الملك فيصل الاول ١٩٢١ - ١٩٣٣م ، ليأخذ مكانته الثقافية والادبية في الاربعينات ، وليساهم في الانشطة السياسية والمعرفية خلال عقد الخمسينيات ، ولاسيا بعد ازدياد التأثر بروافد الثقافة العربية سواء على يد اولئك الاساتذة من العرب القوميين الذين اعتمد عليهم ساطع الحصري في بناء الجيل العراقي الجديد.. او من خلال التأثر بالصحف والمجلات الادبية العربية الرصينة (وخاصة المصرية منها)، وكان من ابرزها: المقتطف والهلال والرسالة والسياسة والثقافة.. ثمّ المختار والكتاب ، فكان سيلا من اروع المقالات والابداعات الراقية التي حملت في طياتها جوانب جديدة من الفكر العربي وترجمات لصفحات من الفكر الاوربي[٥٦].

لقد تبلور الوعي الثقافي لدى الشباب تبلوراً كبيراً من خلال قراءات متنوعة في الادبيات العربية ، فكان ذلك كله ركيزة اساسية لانطلاقات ثقافية وادبية على صفحات الجرائد والمجلات.

لذا يمكننا القول بأن الحركة الادبية والثقافة التي عاشتها الموصل خلال الثلاثينات والاربعينات قد ضعفت في عقد الخمسينات التي توّقدت خلاله جوانب من الحياة السياسية في مدينة الموصل؛ أما بغداد فقد استقطبت خلاله قمة الابداع العراقي الادبي والمعرفي والتشكيلي والفني. يقول احد النقاد في معالجتهِ مسألة ركود الحركة الادبية في الموصل قائلاً: «ادباء زهدوا بقرائهم ، وقراء زهدوا بادبائهم ، وكل منهم شكل طرفاً في حلقة معينة مغلقة لاتبدأ الا لتنتهي فتزداد كل يوم سوءا. فالادباء آثروا الانزواء على الانطلاق ، وطمأنينة الكسل على عناء العمل.. كل منهم في برج عاجي.. اما القراء فقد انصرفوا الى المطابع المصرية!.. لم يعد يأبه القارئ العراقي بادبهِ المحلي»[٥٧].

اما الاستاذ عبدالباسط يونس فقد دعا الى «بروز ادباء الانبعاث الى الميدان ليعملوا على خلق روح تحررية تسعى لدك صروح الظلم وتحطيم الاستغلالية والانتفاعية وكل مايؤدي الى العبث بحقوق المواطنين»[٥٨].

خصوصية الحركة الادبية في الموصل:

السؤال الآن: ماهي خصوصية الموصل في الحركة الادبية العراقية الحديثة؟ وهل هناك ثمة اضافات لابداعاتها على مدى نصف قرن.. أي حتى عقد الخمسينيات؟

تنفرد الموصل بقدم عهد مطابعها وقوة اتصالاتها الثقافية منذ القرن التاسع عشر ويكفينا مجرد الاطلاع والتدقيق في ركام من التأليف والادبيات التي تعتبر اليوم جزءا من التراث الثقافي الحديث لمدينة الموصل[٥٩] ، والذي ساهم في رفده عدد من الرجالات الادباء والعلماء والمثقفين الذين امتلكوا خصوصية في المناهج والاساليب الادبية ومعالجة قضايا جديدة. ويكفينا ايضاً مقارنة الاسلوب الجزل الفصيح الذي تميزت به جريدة «موصل» بالاسلوب العامي والركيك الذي اتصفت به جريدة «زوراء» في نهاية القرن الماضي[٦٠].

وتنفرد الموصل - ايضاً - في تأسيس لون ادبي جديد في تاريخ الحركة الثقافية العراقية منذ اواخر القرن الماضي ، وكمحاولات برزت الى الوجود نتيجة التأثر بالاداب الاوربية ، فقد نشرت مسرحية مترجمة عن الفرنسية لنعوم فتح الله سَحار (١٨٥٩ - ١٩٠٠) في مطبعة الآباء الدومنيكان بالموصل.. فضلاً عن تمثيل مسرحيات اخرى اجتماعية واخلاقية على مسرح مدرسة الآباء الدومنيكان؛ بالموصل ، فنالت اعجاب الناس وتقديرهم[٦١]. ان تلك المحاولات «تسجل بداية تاريخية لفن حديث.. غريب بالنسبة لما هو معروف من الوان ادبية... قامت نتيجة تشجيع المشرفين ، ويبدو ان الفكرة عن المسرح كانت مختمرة في



الاذهان آنذاك.. لما عرف عن صلة الموصل بحلب والشام. واتصال الرهبان بعضهم ببعض ومعرفتهم باللغات الاجنبية وعلاقتهم الثقافية بكل من روما وباريس مما عرفهم على الفن المسرحي في اوربا وزوّدهم بثقافة فنية مكنتهم من غرس بذورها في العراق»[٦٢].

اما الرواية او القصة الطويلة، فيعد الاديب سليمان فيضي الموصلي هو اول من حاول كتابتها في الادب العراقي الحديث، فقد نشر في عام ١٩١٩ «الرواية الايقاظية» التي اعتبرها مؤلفها عملاً عارضاً في حياتهِ. ولم يذكره بعد ذلك[٦٣]، وهي من الروايات التعليمية التي اكسبت صاحبها شهرة فيما بعد. اما اول قصة قصيرة لاديب موصلي فهي «بين الزمهرير والسعير» التي كتبها علي الجميل ونشرتها جريدة «العراق» ببغداد (العدد الممتاز)، العدد ١٢٣٦ في ٢٥ حزيران ١٩٢٤م[٦٤].

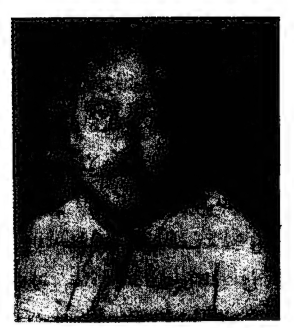
لقد سادت مفاهيم خاطئة في الذهنية العراقية بعامة حول كتابة الرواية او القصة كلون غير معروف في المناخ الادبي للعراق، فأدّى نشر بعض النتاجات القصصية الى هجوم المحافظين عليها، ونفورهم منها.. مما ادّى الى ضعف القصة العراقية لفترة طويلة من عقد العشرينات[٦٥].

اما «المقالة» فناً أدبياً وثقافياً، فقد مارس كتابتها العشرات من الكتاب والمثقفين المواصلة على صفحات الجرائد والمجلات[٦٦]. ومن الملاحظ ان الاتجاه العام لطبيعة مضامين تلك المقالات في عقد العشرينات وماسبقها، كانت اجتماعية تعالج مظاهر التأخر الاجتماعي، وترسم مختلف الحلول لها.. مع عدد من المقالات التي عادت بالذاكرة الى الماضي التليد والبحث عن الامجاد الزاهرة. وقد زخرت مقالات العقود الثلاثة الاولى من هذا القرن برصانتها، ونصاعة اسلوبها الرشيق، وبلاغة العبارة، وقوة الحجة والادلة، وحصافة الرأي ودقّة الرؤية.. في حين بدأت هذه المميزات تفتقد يوماً بعد آخر.

اما في العقود الثلاثة التالية، فقد غلبت على مقالات المثقفين المواصلة– كما هو حال المقالة العراقية الحديثة– الاهتمام بالجوانب السياسية كثيرا، والانهاك في المشاكل الايديولوجية، وطرح الآراء، ونشر الخطب العاطفية، ومواقف المعارضة.. وقد تفاقم ذلك كله في عقد الخمسينات كثيراً.. مع اطلاق حرية الاحزاب السياسية للعمل، وكثرة صدور الصحف السياسية. اما صحافة الستينيّات فكانت هزيلة جداً بفعل عوامل مُختلفة.

ويمكننا القول من خلال التمعّن في دراسة الأدبيات العراقية بأنّ الثقافة السياسية، ومشكلات الواقع السياسي المضني قد تقاطع مع واقع الحركة الأدبية والفكرية فيه.. وحال ذلك المجتمع ومشاكله وامانيه وتطلعاته بشكل متوازن.

هكذا، أخذت الحركة الأدبية في الموصل تنحسر شيئاً فشيئاً مقارنة بما كانت عليه، ولابد ان نذكر ما تبقى من رواسب وآثار تلك «الحركة»، فقد تأسست «الندوة العمرية» في أواخر الأربعينات (نسبة الى بيت آل العمري)[٦٧].. يقول الشاعر ذو النون أيوب: «وتتفق غاياتهم في المنحى العاطفي والنزعات الأنسانية والخدمة الأجتماعية فقد ارتضوا الادب غاية والعلم وسيلة...»[٦٨]. وهي ندوة اسبوعية أدبية صرفة شارك فيها العديد من الأدباء والشعراء برئاسة ابراهيم الواعظ ومشاركة: نعمة الله النعمة وعبدالخالق طه واسماعيل حقي فرج وذو النون الشِهاب ومحمد سعيد الجليلي وايوب صبري الخياط.. وحسن التكريتي ومحمد توفيق ومتي اسحق والدكتور داؤد الجلبي وغيرهم. وقد القيت في الندوة قصائد وموضوعات نقدية ومحاضرات ومناقشات تابعتها باهتمام مجلة «الجزيرة» الموصلية كجزء من فعاليات الحركة الأدبية في الموصل[٦٩].



ايوب صبري الخياط

اما في عام ١٩٥٤ ، فقد تشكلت جماعة أدبية في الموصل من قبل بعض ادبائها الشباب الذين اطلقوا على انفسهم «رواد ادب الحياة» ، وهم : شاذل طاقة وهاشم الطعان ومحمود المحروق وعبدالغفار الصائغ ، وقد ارتبط او زاملهم بعض الادباء امثال : غانم الدباغ وعبدالحليم اللاوند.. وقد حرروا الصفحة الأدبية في جريدة «الراية» الموصلية [٧٠] .

لقد اهتم المثقفون المواصلة بالشعر وتذوقوه على مدى اجيالهم الثلاثة ، وبرز منهم شعراء كبار مرموقون ، فرضوا انفسهم على الساحة العراقية بجدارة ، وامتازت قصائدهم المنشودة والمنشورة بسمة التنوع والتلون ، ومعالجة اغراض عديدة ، فكان منها «القصيد الديني» و «القصيد القومي» و «القصيد الوطني» (= الأناشيد) وقد أرتكز كل ذلك على روح التأريخ المجيد للعرب والمسلمين كاثارة للروح الأسلامية ، او بعث للنزوع القومي – العربي ، او دعم للنضال الوطني العراقي ضد الأستعمار.

لقد غلب «القصيد القومي» في الموصل على غيره من الأبواب لتبيان امجاد العرب ومفاخر المسلمين في بلدة عريقة وعربية اصيلة كالموصل الحدباء ام الربيعين، وهذا ما نلحظه عند شعراء مشهورين ، امثال : داؤد الملاح آل زيادة ، وحبيب العبيدي وفاضل الصيدلي ، ومحمود الملاح واسماعيل حقي فرج وعبدالجبار الجومرد ، وذو النون الشهاب وعدنان الراوي وشاذل طاقة.. هكذا ، فان كل ثلاثة منهم يمثلون جيلاً معيناً في تطور الثقافة الشعرية بالموصل.

اما على مستوى الفنون التشكيلية ، وخاصة الرسم، فقد برزت شخصية نجيب يونس رساماً شهيراً في الموصل منذ الخمسينيات ، ثمَّ برز كل من الرسامين : راكان دبدوب وضرار القدو.. اما في فن التصوير الفوتوغرافي فلا يمكننا ان ننسى ابداعات الفنان مراد الداغستاني الذي كانت له مكانته الدولية في التصوير.

اما في مجال الموسيقى والغناء فان الامر يكاد يكون ضعيفاً مقارنة بما كان عليه الحال في الموصل قديماً.. ولم يظهر بعد الموسيقار الملا عثمان الموصلي شخصية تملأ مكانته وكان كل من الاخوين الفنانين المبدعين : جميل ومنير بشير قد استقرا ببغداد منذ سنوات طويلة ، وقدمّا ابداعات غزيرة. ويبدو لنا أن الموصل كانت مدرسة عربية مؤثرة في الغناء العربي ، إذ انتقلت منها ابداعات راقية في التلحين والانغام الى بيئات عربية اخرى مثل بغداد وحلب وبيروت والقاهرة. اما بقايا الارث الموسيقي والغنائي للموسيقار الملا عثمان الموصلي في الموصل فقد امتلك مؤثراته عدد من المبدعين الذين انجبتهم الموصل ، فضلاً عن ابداعاتهم ، امثال : محمد الكواز والسيد عبدالقادر الموصلي وكل من ولديه : السيد احمد (ابن الكفر) مطرباً لامعاً والسيد امين. وهناك : السيدة منيرة الهوزوز والسيدة سلطانة يوسف وكلتاهما اشتهرتا في العراق والبلاد العربية. وهناك : الحاج سلو الجزمجي وولدي محمد صالح آل شيخ القراء : سعيد وعلي.. اما اشهر قراء المقام ورجال الطرب مؤخراً في الموصل فهم : السيد اسماعيل الفحام وصالح الحاج قدو. وهناك شخصية موصلية ساهمت في التربية والتعليم والتفتيش ، وكان لها باع عريض في فن التجويد والمقام والطرب الاصيل



متمثلة بـ عبدالعزيز الخياط .

ثقافة الموصل والتحولات الأجتماعية والأدوار السياسية :

لقد شهدت الموصل المعاصرة تطورات متميزة في معالم التغيير الأجتماعي التي اتضحت على نحو بيّن. فقد بدأت يوماً بعد آخر منذ مطلع القرن العشرين ، فئات جديدة من الأفندية (=موظفون/ محامون/ اطباء) الذين ارتبطوا بمقاييس دولة حديثة بدأت تقضي شيئاً فشيئاً على آليات المجتمع القديم المتوارثة ، وهو المجتمع الذي كان ولم يزل يحتوي على فئات واسعة من الحرفيين والمهنيين والصناع والتجار الصغار. ان طبقة جديدة اخذت تظهر بعد ان بدأت تشق مسيرتها في الحياة ؛ وكان لتلك الطبقة معالمها وطموحاتها وآمالها التي كان العراق بحاجة ماسة الى تحقيقها أسوة بغيره من البلاد العربية . (٧١)

ان ظهور طبقة جديدة في المجتمع ساعد كثيراً في ان تتبلور تلك «الطبقة» لتصبح «طبقة وسطى» غدت لها تقاليدها واساليبها المستحدثة في الحياة ، واصولها في المأكل والمشرب والنزهة والعلاقات الأجتماعية.. ولما كان الواقع الاجتماعي والسياسي متعنّت كثيراً ، فقد بدأ البعض يدعو الى تغيير راديكالي/ جذري وجدوا أن العراق هو في أمسّ الحاجة اليه ، فقد تبنّى المعلم يحيى (قاف) العبدالواحد بين سنتي ١٩٢٦-١٩٢٧ ، وجهات نظر اشتراكية شديدة جداً وقد شرع ببث افكار اشتراكية في العراق ؛ في حين رأت الأغلبية الأخذ بالاجراءات الأصلاحية الأجتماعية ثم السياسية . لقد دعي الى كلٍّ من التطلّعين : الراديكالي والاصلاحي نسبة الى حاجة العراق الماسّة في ذلك الوقت كونه خالياً من المشكلات السكانية الأقليمية المستعصية والتي تفاقمت فيما بعد .

لقد نمت فئة المثقفين الجدد ، وتزايد عددهم نتيجة التوسّع في التعليم والانفتاح على ثقافات اخرى ، ولكن موقف هؤلاء كان صعباً امام سيطرة الفئات القديمة في المجتمع ؛ وقد عبّرت تلك الفئة عن افكارها وآمالها من خلال الأدب او السياسة .. ولم يكن اولئك المثقفون المتحرّرون يستندون في الواقع الى طبقة واضحة الأبعاد والمعالم في المجتمع ، إذ ينتمي اغلبهم الى شرائح عليا ووسيطة .. وقد حملوا افكاراً طوباوية او مثالية ، او خيالية لاتصلح لأن تكون حلولاً جذرية «للمجتمع» من مشاكله المتنوعة و «الدولة» من أزمتها السياسية .

لقد برز عدد من المثقفين : الادباء ام السياسيين على مسرح الاحداث بعد تطور الخدمات التعليمية والاعلامية .. كما وساهمت صحافة العشرينات والثلاثينات في نمو جيل جديد من مثقفي الأربعينات والخمسينات ، والذين توزعتهم اتجاهات جدّ متباينة ومتعارضة ، وصلت الى حد التصادم العنيف في بعض الأحيان غداة قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م .

ومن جانب آخر، فان تطلعات الجيل الجديد وتفكيره قد اختلفا جداً بفعل ما شهده العراق من تطورات ثقافية عبّرت عنها حركات نشيطة ومخاطبات ووسائل وادوات جديدة.. فمثلاً زار الموصل على مدى خمسين سنة كثير من الادباء والمؤرخين والكتاب العرب والمستشرقين ، نذكر منهم : ساطع الحصري ، والدكتور زكي مبارك وجاك بيرك ومالوان والدكتور زكي الخطيب ... وزار الموصل في شهر آب سنة ١٩٤٤ المفكر القومي الدكتور قسطنطين زريق الذي تحدّث الى شباب الموصل وابنائها عن الفكرة القومية ورجالاتها .

ان ما يمكن فرزه ايضاً على مستوى الحركات السياسية القومية والوطنية ودور ابرز المثقفين المواصلة فيها هو النشاط والحيوية والفعالية التي تمتع بها اولئك المثقفون ويمكننا ان نجمل اسماء ابرز الرواد السياسيين الذين كانوا حلقة وصل بين الموصل

ومركز استانبول على العهد العثماني ، وبين الموصل ومركز بغداد على العهد الوطني فهم :

علي الجميل عن جمعية المنتدى الأدبي في الأستانة/ عبدالله الدليمي عن جمعية العهد في الأستانة/ احمد سعدالدين زيادة عن حزب العمال العراقي/ ضياء يونس وعبدالالهحافظ عن حزب الاخاء/ يحيىٰ قاف العبدالواحد عن الحزب الشيوعي العراقي/ محمد يونس السبعاوي عن كل من الحزب العربي - القومي وفرع جمعية الدفاع عن فلسطين/ صديق شنشل عن حزب الاستقلال/ جرجيس فتح الله عن حزب الشعب/ يوسف الحاج الياس عن الحزب الوطني الديمقراطي/ عبدالجبار الجومرد وعبدالرحمن الجليلي عن الجبهة الشعبية المتحدة/ محمود فوزي مفتي الشافعية عن حزب الاتحاد الدستوري/ احمد الجليلي وحنا خياط ومكي صدقي الشربتي عن حزب الامة الاشتراكي/ محمد محمود الصواف عن الاخوان المسلمين/ عبدالباري الطالب عن حركة القوميين العرب/ عادل البكري عن حزب البعث العربي الأشتراكي. (٧٢)

أستنتاجات تأريخية :

١ - لقد بدأت حياة الثقافة الحديثة في الموصل قبل غيرها من المدن العراقية منذ اواخر القرن التاسع عشر، وذلك لما حظيت به الموصل من مكانة علمية وأدبية وكمركز اقتصادي فعال ، سواء من خلال حالة النهضة الأدبية والانتاج التأريخي والعلمي خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر على العهد الجليلي ١٧٢٦-١٨٣٤م، او في مجال الاصلاحات والتنظيمات التي عاشتها الموصل خلال عهد المركزية العثمانية ، او على يد الأرساليات الأجنبية كالدومنيكان مثلاً .

٢ - وقد بينّت هذه «الدراسة» طبيعة التطورات التي رافقت الحياة الثقافية الحديثة في الموصل على مدى مائة سنة من تكوينها ، وتحولات اجيالها المتعدّدة ، والتي رافقت جنباً الى جنب : الاحداث التأريخية الكبرى كالحربين العظميين.. الاستعمار البريطاني بعد الانهيار العثماني، وبناء الدولة ، والنضال من اجل الاستقلال ، ثم الاحزاب السياسية والتجمعات الثقافية.. وعلاقات كل ذلك بانتقالات الثقافة من بنيتها القديمة (= التقليدية العثمانية) الى حالات جديدة ، تشكّل بحدٍ ذاتها ، بنية متقدمة نوعاً ما في الوعي السياسي والقومي والوطني.. وتحديد مفاهيم ثقافة جديدة في العراق ، ساهمت الموصل في اثرائها مساهمة فعّالة وحقيقية .

٣ - وعرفنا أيضاً أن اطار طبيعة الحياة الثقافية الحديثة قد حددته البنية الأجتماعية للمدينة في وحداتها وقسماتها المتنوعة ، ودور فئاتها او طبقاتها الأجتماعية التي قام فيها الارستقراطيون والبورجوازيون وطبقة العلماء والادباء ، ثم الحرفيون والمهنيون والطلبة والكسبة.. أدواراً بارزة في رفد الثقافة بالمزيد من المواقف والانتاجات والأبداعات والأدبيات .

٤ - اضطلعت الأجهزة ووسائل الاعلام المحدثة كالصحافة والأذاعة والمسرح والسينما والمقاهي الصيفية والشتوية.. فضلاً عن المناسبات ومرافق الدولة التعليمية والندوات والاحزاب كعناصر اساسية في التقدم المدني بدورها جميعاً ضد المفاهيم القديمة وما ساد من الاعراف التقليدية والأساليب المضادة التي تمخضت عنها جميعاً رواسب التاريخ المضني .

٥ - ان الفجوة التأريخية واسعة وكبيرة بين كل من العقدين الاول والأخير من هذا القرن : إذ شهد العراق خلالها تغيرات في الحياة



التأريخية، وتطور العلاقات الانتاجية، وتحوّلات في الوحداتّ الاجتماعية. وقد ساهم مثقفو الموصل مساهمات فعّالة في تطور الثقافة العراقية، وخاصة خلال النصف الأول من القرن العشرين. وبرز عدد من الرواد المبدعين في شتى صنوف الفنون والآداب والعلوم وقد اشتملت عطاءات تلك النخبة على نتاج ابداعي الى جانب ما انتج من تراكم كمي او نوعي في ميادين متعددة.

٦- لعلّ ما يميز مصادر نخبة الجيل المخضرم تخرجهم في أروقة مدارس العاصمة العثمانية اسطنبول وكلياتها المدنية والعسكرية.. اما غلبة مصادر الجيل الثاني خلال الثلاثينات والأربعينات تخرجهم في اروقة كلية الحقوق، إذ غلبت على تكويناتهم دراسة القانون، إذ كان اغلبهم من المحامين.. في حين كانت غلبة مصادر الجيل الثالث خلال الخمسينات والستينيات تخرجهم في دار المعلمين العالية ففي حين تعد كلية الحقوق العراقية اقدم معهد اكاديمي عراقي تأسس في عام ١٩٠٨، فان دار المعلمين العالية كانت من ابرز المعاهد العلمية الرصينة في تاريخ المشرق العربي الحديث، إذ استطاعت تلك «الدار» الزاهرة ان تورق وتثمر جيلاً من المبدعين ورجالات الفكر والأدب غدا بعضهم من اشهر رجالات الثقافة العربية.

٧- صحيح ان الموصل كبيئة ثقافية امتلكت خصوصياتها في النهضة والعمليات الاصلاحية والبناء الاجتماعي.. وقد انجبت العشرات من المثقفين الاصلاء، الا انها لم تتطور كثيراً في واقعها الاجتماعي، إذ اجهضت محاولاتها اسباباً عدة في الضد قادت نتائجها الى هجرة لكثير من ابناء المدينة. فقد غادرها عدد منهم الى اماكن اخرى بحثاً عن الراحة او الأضواء او المركزية او التفاعل مع ثقافات اخرى.. ويمكننا ملاحظة ان الموصل رفدت العاصمة بغداد بمثقفين بارزين في ميدان الصحافة والآداب والعلوم والثقافة والاعلام.

٨- وفرة الأتجاهات الاصلاحية والفكرية في الموصل وتنوعها الى جانب ازدهار الانتاج الأدبي والصحافي والعلمي واللغوي منذ القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٥٨م، إذ اصدرت مطابع الموصل العشرات من الكتب والمجلات والصحف.. وكلها ساهمت مساهمة جادة في تطوير حياة الثقافة العراقية الحديثة.

٩- **فعالية التجمعات والجمعيات والاحزاب السياسية سواء من خلال العناصر المثقفة التي أنشأتها ومارست أدوارها الوطنية والقومية فيها.. ام ما انتجته من ابداعات أدبية، ومعطيات ثقافية كان لها اثرها في بناء الاجيال.. وقد انبثق هذا النزوع من خلال الموروث الثقافي الذي زخرت به الموصل على مدىٰ ازمان طويلة، إذ امتاز مجتمعها بكثرة «المجالس» و«الندوات» الخاصة التي كانت تتخذ من البيوت الكبيرة او المقاهي المعروفة مقرات لها. ان ابرز ما يمكن ملاحظته عنها، ليس نتاجاتها الأدبية والثقافية فحسب، بل مواقفها السياسية الصلبة من قضايا وطنية ام قومية كقضية فلسطين مثلاً.**

١٠- **لم يقتصر الامر في تطور الحياة الثقافية المعاصرة للموصل على الرجال فقط، بل كان للمرأة الموصلية دورها ايضا على امتداد القرن العشرين في مجالات عدة، كان من ابرزها دورها في التعليم بوجه خاص، وقد وجدت**

المرأة الموصلية في موروثها الثقافي والأجتماعي ايضا خزيناً من تواريخ حية لنساء موصليات كنَّ المثل الاعلى في مجتمعهن سواء في بناء دور العلم والمكتبات ، ام في اتخاذ المواقف في اللحظات الصعبة . وقد رفدت بعض النسوة الموصليات الجرائد والمجلات والنشرات بمقالاتهن ، والتي عالجن فيها مواضيع مختلفة .

١١- يتوضح لنا من دراسة طبيعة هذا الموضوع ان الحياة الثقافية الحديثة في الموصل قد تمخضت عن ثلاثة اجيال هي :
١/ الجيل المخضرم بين قرنين الذي وقع على عاتقهِ مهام التكوين القومي والتأسيس الوطني ، والنهضة والتجديد .
٢/ جيل الثلاثينات والأربعينات الذي تمرّس في الآداب والقانون والسياسة الوطنية والقومية .
٣/ جيل الخمسينيات والستينيات الذي عبّر عن نفسه بالتراث والشعر الحر والثورة والفولكلور والاعلام .

١٢- اما خلال العقدين الاخيرين (أي : السبعينات والثمانينات) فقد وقع ثقل ثقافة الموصل على كاهل المثقفين والمتخصصين في جامعة الموصل التي تأسست في نهاية الستينيات ، وقد تخرج في أروقتها العشرات من الخريجين.. كما أصدرت عدداً من المجلات والأعمال والأنتاجات الثقافية ، وعدّت الجامعة الاولىٰ في العراق.. وكانت رفقة مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر التي أنشأتها.. قد رفدت المجتمع بالمعطيات الثقافية المتعددة المتنوعة .

الهوامش

(١) انظر : د. سيار الجميل ، تكوين العرب الحديث ١٥١٩-١٩١٦ ، جامعة الموصل ، ١٩٩١ ، ص٤٣٦.

(٢) راجع ما كتبه المؤرخ سليمان صايغ في كتابه ، **تأريخ الموصل** ، ج٢ ، بيروت ١٩٢٨ ، ص٢٢٢- ٢٨٠ . فضلاً عن استخدام عدد من المجموعات الشعرية المخطوطة التي تحتفظ بها مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ، وأستخدام عدد من المطبوعات القديمة التي تحتفظ بها مكتبة كنيسة الدومنيكان بالموصل .

(٣) انظر : د. سيّار الجميل ، «طبيعة العلاقات الثقافية بين مصر والعراق والآفاق المستقبلية» ، اعمال **ندوة العلاقات العراقية- المصرية** للمدة ١٤- ١٦/ ٢/١٩٩٠ ، ج١ ، (عقدت في جامعة الزقازيق- مصر) ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ١٣٦-١٣٧ .

(٤) راجع : عباس ياسر الزيدي ، **تأريخ الصحافة العراقية منذ نشأتها حتى ١٩٣٩** . (أطروحة دكتوراه غير منشورة) ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٥ ، ٣٢-٣٣ .

(٥) انظر : آراء ، روفائيل بطي في كتابه : **الصحافة في العراق** : القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص١٧-١٨ .

(٦) راجع : اعداد متفرقة من جريدة «**الموصل**» التي صدرت ابان مرحلتها الثالثة (والتي تحتفظ بها المكتبة العامة بالموصل) مع جريدة «**موصل**» التي صدرت ابان المرحلة الثانية (والتي تحتفظ بها المكتبة الوطنية في بغداد). وانظر تحليل د. ابراهيم خليل احمد عنها في كتابه : **الصحافة العربية في الموصل** ، الموصل ، ١٩٨٢ ، ص٢٠ .

(٧) من الأهمية بمكان الاطلاع على جريدة نينوى التي يحترز على اعدادها د. عماد سريسم ببغداد والاطلاع على **جريدة النجاح** التي تحترز على اعدادها اسرة الاستاذ حسن العمري بالموصل . وراجع تحليل ذنون يونس الطائي ، **الأتجاهات الاصلاحية في الموصل في أواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني** ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، كلية الآداب/ جامعة الموصل ، ١٩٩٠ ، ص ١٤٢-١٥٣ .

(٨) مراجعة للعديد من اعداد **جريدة النجاح الموصلية** (القسم العربي) .

(٩) راجع ما كتبه عبدالفتاح علي يحيي ، **الحياة الحزبية في الموصل ١٩٢٦-١٩٥٨** ، (رسالة ماجستير غير منشورة). كلية الآداب/ جامعة الموصل ، ١٩٩٠ ، ص١٩-٢٠ .

(١٠) ما كتبه الأستاذ علي الجميل في مذكراته «**اوراق قومية**» (مخطوط بحوزة اسرة آل الجميل بالموصل) ، اوراق ٦٤-١٠٦ . (وفيه معلومات خصبة عن دور العراقيين في اسطنبول) .

(١١) راجع ما كتبه د. ابراهيم خليل احمد ، **ولاية الموصل : دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨-١٩٢٢** ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، كلية الآداب/ جامعة بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ١٥٢- ١٥٨ .

(١٢) انظر : سليمان فيضي ، **في غمرة النضال** : بغداد ، ١٩٥٢ ، ص١٢٤ . وانظر : محمد امين العمري ، **تأريخ مقدرات العراق السياسية** (نشر باسم اخيه محمد طاهر العمري الموصلي لاسباب سياسية) ، المجلد٣ ، بغداد ، ١٩٢٥ ، ص ٤٥-٤٦ .

(١٣) راجع : **جريدة الموصل** ، العدد (١٦١) ، في ٢٩ كانون الاول ١٩١٩ . **وجريدة الموصل** ، العدد (٣٧٠) في ٩ آيار ١٩٢١ .



(١٤) لقد اختلفت الآراء في تقويم تاريخ النادي العلمي ومجلته بالموصل. ونحن الآن بصدد تأليف «كتاب» وثائقي يوضح تأريخية النادي ونزاهته ورصانة مجلته.. فضلاً عن فضّ التعقيدات التي حفل بها عبر مسيرته التي دامت حوالي ستة أشهر من عهد الاحتلال البريطاني.

(١٥) انظر: «مجلة النادي العلمي»، الموصل، العدد (١) في ١٥/ ١/١٩١٩. وانظر منهاج النادي في المرجع نفسهُ، العدد (٢)، ٣٠/١/١٩١٩، اضافة الى مراجعه لجميع الاعداد الثمانية.

(١٦) من ابرز اولئك المثقفين: سليم حسون ود. عبدالاله حافظ وروفائيل بطي وتوفيق السمعاني وكوركيس عواد وميخائيل عواد وفتح الله سرسم ود. داؤد الجلبي وضياء يونس وارشد العمري وثابت عبدالنور ويونس السبعاوي وجميل الجميل وابراهيم عطار باشي وسعيد ثابت وغيرهم.

(١٧) جريدة الجزيرة، العدد (٢٦)، في ٢٢ شباط ١٩٢٣.

(١٨) جريدة الموصل، العدد (٨٧٤)، في ٥ أيلول ١٩٢٤.

(١٩) جريدة العهد، العدد (٤)، في ٢ شباط ١٩٢٥.

(٢٠) روفائيل بطي، المصدر السابق، ص ١٠١.

(٢١) انظر: عبدالامير العكام، الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١- ١٩٣٢، النجف، ١٩٧١، ص ١٦٨.
أيضاً: د. فاروق العمر، الاحزاب السياسية في العراق ١٩٢١ - ١٩٣٢، بغداد، ١٩٧٨، ص ١٤٧.

(٢٢) انظر: عبدالفتاح علي يحيىٰ، المرجع السابق، ص٥٧.

(٢٣) راجع: جريدة صدى الجمهور، العدد (٢٥)، في ٢٧ حزيران ١٩٢٧.

(٢٤) الى جانب كل من حزبي «الاستقلال العراقي» و «الوطني العراقي» الموصليين، فقد تأسست جمعيتان هما «جمعية الدفاع الوطني» و «جمعية النهضة المدرسية» فقدمتا نشاطات سياسية فعالة في سبيل قضية الموصل: انظر: جريدة الموصل، الأعداد (٩٣٥-٩٤٧)، كانون الثاني - شباط ١٩٢٥.

(٢٥) انظر: انيس زكريا النصولي، عشت وشاهدت، بيروت، ١٩٥١.

(٢٦) جريدة صدى الجمهور، العدد (٤٥)، في ٧ آب ١٩٢٧.

(٢٧) لم تحظ هذه الصحيفة المتميزة مع الاسف بدراسة المؤرخين واهتمامهم، والذين درسوا الصحافة العراقية عموماً، والموصلية خصوصاً، علماً بأنهم استخدموا الجريدة ومعلوماتها في دراساتهم ويحترز على اعدادها د. سيار الجميل.

(٢٨) انظر: جريدة صدى الجمهور، العدد (١)، في ٢١ شباط ١٩٢٧.

(٢٩) لقد توقفت الجريدة بعد فترة من وفاة رئيس تحريرها علي الجميل، وفي مطلع الثلاثينات اعاد اصدارها احمد سعدالدين زيادة واحمد سامي الدبوني.

(٣٠) انظر: جريدة صدى الجمهور، الاعداد (٥٧ - ٦٦) ايلول - تشرين الاول ١٩٢٧.

(٣١) انظر: انيس زكريا النصولي، المرجع السابق، ص ٩٩. وقارن ماكتبه: ابراهيم الراوي، من الثورة العربية الكبرى الى العراق الحديث: (مذكرات)، بيروت، ١٩٦٩، ص ٤٤- ٤٦.

(٣٢) عن اوراق من سجلات دائرة المعارف القديمة في الموصل (المكتبة العامة)، وما كان قد حدثني به الدكتور محمد صديق الجليلي (رحمه الله) في ٢١ شباط ١٩٧٧.

(٣٣) جريدة البلاغ، العدد (٤٦٣)، في ٣ آذار ١٩٣٦.

(٣٤) جريدة فتى العراق، العدد (٢١٧)، في ٢ نيسان ١٩٣٦.

(٣٥) انظر: نوري احمد عبد القادر، الموصل والحركة القومية العربية ١٩٢٠- ١٩٤١ (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٨، ص ١٤١- ١٥٨.

(٣٦) عبد الفتاح علي يحيي، المرجع السابق، ص ١٢٦.

(٣٧) من ابرز صحف الموصل في الثلاثينات: جريدة فتى العراق وجريدة الاخلاص وجريدة صدى الجمهور وجريدة الحق و جريدة المعارف وجريدة الجزيرة وجريدة الرقيب وجريدة الجميل وجريدة صوت الجميل وجريدة البلاغ.

(٣٨) انظر: مجلة «المجلة»، السنة (١)، العدد (١)، ١ تشرين الاول ١٩٣٩.

(٣٩) قراءات متعددة ومتنوعة لما كان كتبه اوائل الكتاب الراديكاليين- التقدميين في الموصل فضلاً عما هو شائع في المجتمع وعند ابناء النخبة المثقفة في الموصل من المواقف والاتجاهات.

(٤٠) انظر: مجلة المجلة، السنة (٢)، العدد (٦)، ٣١ كانون الاول ١٩٣٩.

(٤١) قراءات متنوعة لاعداد متعددة من مجلة المجلة الصادرة خلال سنتي ١٩٣٩- ١٩٤٠، وانظر: وائل النحاس، تاريخ الصحافة الموصلية ١٩٢٦- ١٩٥٨، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الاداب/ جامعة الموصل، ١٩٨٨، ص ١١٩.

(٤٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر: مجلة الجزيرة، العدد (٣)، السنة (١)، ١ تموز ١٩٤٦/ العدد (٧)، السنة (١)، ١ تشرين الثاني ١٩٤٦/ العدد (٣٦)، السنة (٣)، ١ نيسان ١٩٤٩.

(٤٣) انظر: مجلة الجزيرة، العدد (١)، السنة (١)، ١ مايس ١٩٤٦.

(٤٤) تصفح كامل للاعداد الكاملة من مجلة الجزيرة.

(٤٥) تصفح واطلاع كامل على مجلات «المعرفة» و «الجوهرة» و «الفجر» اضافة الى بعض الجرائد وبعض الاوراق والمخطوطات التي احترز عليها.

(٤٦) عبدالرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨- ١٩١٧، بغداد، ١٩٥٩، ص ١٩٩.

(٤٧) ذنون الطائي، المرجع السابق، ص ١٦٤.

(٤٨) جريدة العرب، العدد (٥٤٣) في ٣ أيار ١٩١٩.

(٤٩) عبدالرزاق الهلالي، المصدر السابق، ص ١٧٦، وانظر ايضاً: ذنون الطائي، المرجع السابق، ص ١٨٥.

(٥٠) مقابلة مع السيدة الحاجة وهيبة عبدالباقي الشبخون يوم ٥/ ١٠/ ١٩٩١. (مع توثيق للمعلومات والاسماء الاوراق القديمة بحوزة الباحث).

(٥١) معلومات عن اوراق ودفاتر قديمة تعود تواريخها الى عقد



الثلاثينات (مجموعة خطب).

(٥٢) نوري احمد عبدالقادر، المرجع السابق، ص ١٧٠ – ١٧١.

(٥٣) مجلة فتاة العراق، العدد (٣٧) في ١٨ كانون الاول ١٩٣٧، ص ٢٣.

(٥٤) معلومات كنت قد سجلتها على لسان المرحومة الست شكرية محمد الكشاف في الموصل سنة ١٩٧٤.

(٥٥) انظر ابرز نتاجات الجمعية: «جمعية بنات الضاد»، مجموعة مقالات، الموصل، ١٩٣٩. اضافة الى مانشر في الصحف الموصلية عهد ذاك باقلامهن او تحت اسماء مستعارة. ويبدو لنا بأن ماطرحه رواد تحرر المرأة بالموصل في العشرينات قد أتى ثماره في الثلاثينات.

(٥٦) وعلينا ان نذكر ايضاً أن هناك بعض الادباء والمثقفين الموصليين استطاعوا بنجاح ان ينشروا بعض نتاجاتهم وافكارهم على صفحات مجلات مصرية وسورية ولبنانية كالرسالة والثقافة والاديب.

(٥٧) ما كتبه محمد عزة العبيدي في مقالة له بعنوان «دفاعاً عن الادب» في: جريدة «الفجر»، العدد (٧)، في ٧/ ١/ ١٩٥٠.

(٥٨) ماكتبة عبدالباسط يونس في جريدة «الراية»، العدد (٣٢)، في ١٢ حزيران ١٩٥٠.

(٥٩) تحتوي كل من المكتبة العامة ومكتبة الآباء الدومينكان بالموصل، فضلاً عن كثير من المكتبات الخاصة على نماذج عدة من التأليف والادبيات المطبوعة في الموصل خلال القرن التاسع عشر.

(٦٠) مقارنة بين اعداد متنوعة من كل من الجريدتين.

(٦١) د. عبد الاله احمد، نشأة القصة وتطورها في العراق ١٩٠٨ – ١٩٣٩، ط ٢، بغداد، ١٩٨٦، ص ٤٣، وانظر ايضاً: د. عمر الطالب، المسرحية العربية في العراق، النجف، ١٩٧١.

(٦٢) نص ما قاله د. علي الزبيدي في دراسته: «المسرحية العربية في العراق في العهد العثماني»، مجلة للاقلام، جـ ٩، السنة (١)، مايس ١٩٦٥، ص ٤٨ – ٤٩.

(٦٣) سليمان فيضي، في غمرة النضال، (سبق ذكره)، ص ٢٣٧.

(٦٤) هذا ما استطعنا كشفه مؤخرا، ويشاركني في هذا الرأي الدكتور عمر الطالب المختص بالموضوع، والذي استشرته بخصوص اول قصة موصلية قصيرة نشرت في بدايات القرن العشرين (لقاء مع الدكتور عمر الطالب بتاريخ ١٦ تشرين الأول ١٩٩١).

(٦٥) د. عبد الاله احمد، المرجع السابق، ص ٨٣.

(٦٦) مراجعات مقارنة لاعداد متنوعة ولاكثر من اربعين جريدة ومجلة موصلية صدرت على مدى خمسين سنة من القرن العشرين. بخصوص ذلك، انظر: فائق بطي، صحافة العراق: تاريخها وكفاح اجيالها، بغداد، ١٩٦٨، ص ٢٠٧ – ٢١٦.

(٦٧) كان ناظم بك العمري وراء تأسيس هذه الرابطة في بيته، فنسبت باسم «العمرية».

(٦٨) انظر: ابراهيم الواعظ (جمع ونشر). المساجلات الموصلية في الندوة العمرية، (الرسالة الاولى)، الموصل، ١٩٤٩، ص. ب–ث.

(٦٩) راجع: المصدر نفسه، ص – ن، وقارن اعداد متفرقة من مجلة «الجزيرة».

(٧٠) انظر: مداخلة كل من عبدالغفار الصائغ ومحمود فتحي المحروق في ندوة قسم اللغة العربية/كلية الآداب بجامعة الموصل: شاذل طاقة شاعراً وانساناً في ١٩٨٩/١٠/٢٢ (المجلد الثاني: الدراسات الخاصة والشهادات).

(٧١) انظر: د. سيّار الجميل، «انتلجنسيا العراق: التكوين.. الاستنارة.. السلطة»، مجلة المستقبل العربي، السنة (١٣)، العدد (١٣٩)، ايلول (سبتمبر) ١٩٩٠، ص ٣٥–٣٦.

(٧٢) متابعة لبعض الاخبار المحلية التي نشرها عدد من الصحف والمجلات الموصلية. متابعة منهجية لادوار هؤلاء الرواد السياسيين في كثير من الأدبيات السياسية والصحف المحلية والعراقية.

صحافة الموصل منذ الاحتلال البريطاني وحتى اوائل الخمسينات

د. ابراهيم خليل أحمد

مقدمة:

اندلعت الحرب العالمية الاولى، وأصبحت الدولة العثمانية في الجانب المضاد لبريطانيا، وعندئذ ابتدأت العمليات العسكرية التي كلفت بريطانيا في سبيل احتلال العراق، واخضاعه خسارة كبيرة في الانفس والاموال. وقد احتلت القوات البريطانية البصرة سنة ١٩١٤، وبغداد سنة ١٩١٧. ولما اعلنت المدنة في ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩١٨ كان الجيش البريطاني على بعد اثني عشر ميلاً عن الموصل. غير أن الجنرال مارشال Marshall قائد الجيش البريطاني تسلم أمراً من وزارة الحرب بالاستمرار في التقدم، استناداً الى فحوى المادتين السادسة والسابعة من شروط



الهدنة، فزحف هذا الى الموصل واحتلها في ١٠ تشرين الثاني. وفي ١٣ تشرين الثاني غادر وكيل الوالي العثماني نوري بك الموصل بناء على طلب الكولونيل (العقيد) ليجمن Leachman الذي عين حاكماً سياسياً وعسكريا في الموصل في الوقت نفسه[١].

الصحافة الموصلية خلال عهد الاحتلال البريطاني :

أعاد الأنكليز، بعد احتلالهم الموصل، إصدار جريدة الموصل كي يتخذوا منها وسيلة من وسائل الدعاية لحكمهم[٢]. ومن يراجع ماكتبته الجريدة منذ صدورها في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٨ يجد أنها كانت تكيل المدح للانكليز، وتلقي مسؤولية ماحدث في العراق من تخلف واضطهاد على عاتق العثمانيين[٣].

ترأس تحرير الجريدة أنيس صيداوي، وهو كاتب من لبنان كان مرافقاً للانكليز في حملتهم على العراق.. وقد زاول الصحافة اثر تخرجه من الجامعة الاميركية في بيروت.. وذلك من خلال عمله في جريدة (المراتب) البيروتية.. وكان كاتباً في قلم الترجمة بدائرة الحاكم السياسي البريطاني[٤]. كما أسهم في تحريرها في بداية الأمر القس سليمان صايغ ويونان عبو اليونان وسليم حسون، وهم من مثقفي الموصل المعروفين انذاك بنزعتهم المعادية للعثمانيين. وقد صدرت الجريدة بأربع صفحات من الحجم المتوسط وبمقياس (٣١ × ٢٤) سم. وتحوي الصفحة الواحدة على ثلاثة اعمدة وابتداء من العدد (١٧) الصادر في ٩ كانون الثاني ١٩١٩ أصبح صدورها ثلاث مرات في الاسبوع بعد ان كانت تصدر مرتين[٥] وكانت جريدة الموصل، كما جاء في ترويستها، جريدة «رسمية». ومن هنا فان مقالاتها السياسية وغير السياسية كانت تمثل وجهة نظر السلطات المحتلة تجاه الاحداث والقضايا المعاصرة لها[٦].

إهتمت جريدة الموصل، باخبار المدينة، وتطرّقت الى احتياجات السكان من المدارس والمعاهد العلمية، وعالجت مشكلات الاهالي الاقتصادية والصحية والاجتماعية، واعتادت نشر شكاوى الاهالي وتساؤلاتهم[٧] وبتوقيع «صوت البائسين» نشرت مقالاً بعنوان «أسعار الحاجيات في الموصل» شنت فيه حملة على ارتفاع الاسعار، واستغلال المحتكرين ومما قالته : «كانت الموصل قبل الحرب الكونية بلدة الرخاء والرفاهية، مبذولة الحاجات، متهاودة الأسعار، فكان الفقير يعيش بارتياح.. لايتشكى أحد من ضيق العيش.. اما اليوم فقد انقلب النظام : ولاتسمع سوى تأوهات الفقراء وزفرات المساكين والفعلة (العمال) المستائين من قلة الرزق وغلاء المعيشة... وسبب ذلك هو وقوف الحركة التجارية... ولكن نشاهد بعين الاسف... ان اثمان الخبز واللحوم لازالت مرتفعة والسبب عائد الى أولي الاطماع المحتكرين الذين يمصون دم الفقراء... فقد تعوّد هؤلاء القساة القلوب على الارباح الطائلة». لذلك دعت الجريدة السلطات البلدية الى وجوب التدخل، لتلافي «هذا الأمر الخطير الذي يئن من شدة وطأته جماعة الفقراء والبائسين، وياحبذا لو تُعطى الاوامر اللازمة لتخفيض اسعار الخبز والسمن واللحوم... ونخرج من هذا المأزق الحرج متخلصين من هذه الازمة الاقتصادية الضاربة اطنابها بين ظهرانينا»[٨].

ونشرت جريدة الموصل، مقالاً بعنوان «الموصل الخضراء» قالت فيه : «... في الموصل

الموصل صاحبها ومديرها ورئيس تحريرها يونان عبو اليونان	الموصل	AL-MOSUL	(العدد ١٨٥٢) الثلاثاء ٢٢ آب ٩٥٠ ٨ ذوالقعدة ١٣٦٩ ثمن النسخة ١٠ فلوس

جريدة الموصل : مجموعة الاستاذ احمد سامي الجلبي.

ذكاء نادر ومواهب طبيعية سامية.. وما تحتاج اليه (هو) فتح المدارس العالية والمعاهد العلمية. وتأسيس النوادي الادبية والنهضة الصناعية والزراعية وترقية الجنس اللطيف (المرأة)[٩].

واهتمت الجريدة بقضية المرأة وتحررها.. فتحت عنوان «المرأة والمعارف» نشرت مقالاً لعلي الجميل جاء فيه: ان من «الحكمة ان لايقتصر الرجل على قسر ابنائه على عاداته فانهم خلقوا لزمان لم يخلق هو له، ومازال الاقدمون سامحهم الله يقولون إن تعلم البنات باعث لافسادهن ..... وأي امرأة رضعت لبان العلم والحكمة والدين وفسدت اخلاقها؟ ولا اظن ان تلك الاقوال والتصورات إلا منبعثة عن عادات قديمة وخيالات واهية... جاهلين مغزى طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة». وختم مقاله بالقول ان المرأة لم تخلق «لتكون مستقر هوى ومتاعاً حسناً انما خلقت لتكون عاملاً في الهيئة الاجتماعية وتسعى السعي الحثيث في هذه الحياة...»[١٠].

وأولت جريدة الموصل اهتماماً كبيراً ببعض المواضيع ذات الطابع الفكري.. ومن ذلك المقالات التي كتبها الدكتور جميل دلالي بعنوان «تنازع البقاء والتعاون على بقاء الغير»، والتي عكست فهماً اولياً لنظرية دارون في الصراع من اجل البقاء...[١١].

كما أسهمت الجريدة في التوعية الانتخابية لاعضاء المجلس التأسيسي (البرلمان)، من ذلك المقال الذي نشرته بعنوان: «من ننتخب لتمثيلنا في المجلس التأسيسي» وقالت فيه: «إن المجلس التأسيسي هو بمثابة الروح في جسم المملكة العراقية... (لذلك) سينتخب ابناء الربيعين رجالاً اكفاء ليأخذوا على عاتقهم مسؤولية مصير البلاد في أمر تصديق المعاهدة العراقية - الانكليزية، ويسنوا القانون الاساسي (الدستور) وقانون الانتخاب...»[١٢].

وقد عرضت الجريدة في بعض مقالاتها الافتتاحية الى الاوضاع السياسية في الاقطار العربية.. واهتمت كذلك بالشؤون السياسية الدولية، وعالجت في بعض اعدادها الاوضاع في روسيا بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية سنة ١٩١٧، وخاضت في مناقشة القضايا المتعلقة بالصراع الدبلوماسي بين بريطانيا والولايات المتحدة حول نفط الموصل[١٣].

ان المتصفح لاعداد جريدة الموصل في مرحلتها الثالثة الممتدة من الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٨ وحتى سنة ١٩٣٤، يجد انها لاتخرج، وخاصة في بداية امرها، عن نشرة أصدرها الانكليز لخدمة مصالحهم في العراق.. لكن ممثلي الاتجاه القومي العربي من المثقفين والكتاب والصحفيين الموصليين.. لم يتوانوا عن رفدها بمقالات عكست الى حد كبير اوضاعهم العامة، وآمالهم في الحياة الجديدة التي ناضلوا من اجلها ابان العهد العثماني ومن ذلك انهم كثيراً ما كانوا يذكرون المستعمرين الانكليز بوعودهم للعرب قبل الحرب العالمية الاولى.. ويؤكدون حقهم في اقامة كيانهم السياسي الحديث[١٤]. ومن هنا نجد ان المسؤولين عن الجريدة سرعان ماادركوا أن البساط يسحب من تحت اقدامهم، وان البعض يذهب في مطالبه بالحرية والديمقراطية اكثر مما ينبغي.. فبدأوا يحذرون، في مقالات افتتاحية، من ماسموه بـ (بعض الافكار.. المفسودة والمبادئ العقيمة)، وان لحرية الفكر حدوداً اذا تعداها الانسان يقع تحت مسؤولية عظمى، واثم عظيم... فالحكومة هي مسؤولة عن النظام الاجتماعي ولها الحق في التضييق والتنكيل بالاراء المفسودة والمبادئ العقيمة التي تسرى كالوباء في المجتمع»[١٥].

لقد تخصص عدد من الكتاب والمثقفين الموصليين في الكتابة لجريدة الموصل... فيونان عبو اليونان عالج القضايا السياسية وكانت المسائل الادبية من نصيب الشاعر فاضل الصيدلي.. وتولت كتابات رشيد الخطيب ومحمود نديم متابعة قضايا النهضة والتقدم.. وكان للدكتور حنا خياط وهو طبيب موصلي أصبح اول وزير للصحة بعد



تشكيل الدولة العراقية سنة ١٩٢١ مقالات في امور الصحة والتغذية[١٦].

ان اية متابعة للمقالات التي نشرتها جريدة الموصل، وجرد باسماء كتابتها، تدل على ان المسؤولين عن الجريدة.. اضطروا بسبب الجو الثقافي والوطني الذي كانت تعيشه الموصل انذاك، الى فتح الباب على مصراعيه امام أقلام المثقفين للكتابة فيها، خاصة بعد ان اعلنت انها تروم بعث الفكرة العربية القومية وخدمة اللغة العربية وتوعية الشعب وتنوير الاذهان وانتشال المجتمع من وهدة الجهل والتخلف.. لذلك فقد أصبح تأثيرها في المجتمع الموصلي كبيراً.. وبات الناس يحرصون على اقتنائها وقراءتها والاستفادة من مقالاتها في تحديث حياتهم اليومية[١٧].

لقد شعر قادة الاتجاه القومي ان الضرورة تقتضي إصدار مجلة تعبر عن اهدافهم ومراميهم، فاصدروا مجلة «النادي العلمي» التي صدر عددها الاول في ١٥ كانون الثاني ١٩١٩.. وجاء في ترويستها: انها مجلة «علمية فنية ادبية اخلاقية تاريخية، تصدر كل خمسة عشرة يوم مرة واحدة في الموصل». إلا انهم لم يصدروا منها سوى ثمانية اعداد، فقد توقفت عن الصدور في ٣٠ نيسان ١٩١٩ بعد ان شعرت السلطات المحتلة ان قادة جمعية العلم السرية (تأسست سنة ١٩١٤) اخذوا يحاولون توجيهها بما يحقق الاهداف الوطنية.. لذلك قامت هذه السلطات بايقافها عن الصدور[١٨]..

لقد أسهم في تحرير مجلة النادي العلمي عدد كبير من ادباء الموصل ومثقفيها.. ومن ابرزهم صديق الدملوجي وعلي الجميل وفتح الله سرسم، وحنا خياط، ورشيد الخطيب، وروفائيل بطي **وفاضل الصيدلي، واحمد الفخري وتوفيق آل حسين اغوان**[١٩] **وقد عالجت المجلة موضوعات ثقافية واجتماعية، واهتمت بقضية المرأة، واكدت اهمية الزواج في حفظ كيان الامة. كما تبنت المجلة، فكرة** احياء الاثار الادبية لرجال الموصل امثال محمد امين



رشيد الخطيب

العمري، وعثمان الحيائي الجليلي وصالح السعدي وعلي الغلامي وغيرهم من الذين «لهم اثار عدة مابين منظوم ومنشور، مبعثرة لم تدون في كتاب أو ديوان. ولم تتحرج المجلة من الاقتباس من الصحف العراقية الاخرى[٢٠].

الصحافة الموصلية والحركة الوطنية حتى ١٩٢٦:

تأسست الحكومة العراقية المؤقتة في بغداد في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠، واصبح فيصل ملكاً على العراق في اب ١٩٢١.. وكان وطنيو الموصل على اتصال وثيق باخوانهم قادة الحركة الوطنية في بغداد.. لذلك فقد حرص الوطنيون الموصليون على استخدام الصحافة كاداة من ادوات النهوض والنضال من اجل التخلص من الاحتلال والانتداب البريطانيين.. فاسسوا بعض الصحف، منها جريدتا الجزيرة ١٩٢٢ والعهد ١٩٢٥.

صدر العدد الاول من جريدة الجزيرة في ٢٤ اذار ١٩٢٢ وجاء في ترويستها انها «جريدة يومية وطنية حرة» تصدر مرتين في الاسبوع مؤقتاً وقد تولى رئاسة تحريرها محمد مكي صدقي الشربتي وهو من ابرز العاملين في الحركة الوطنية.. وقد عمل سكرتيراً للمركز العام لجمعية العهد العراقي ومديراً مسؤولاً لجريدة العقاب. اما ادارة الجريدة فكانت في شارع النجفي. وقد صدرت الجريدة باربع صفحات وبثلاثة اعمدة لكل صفحة وكان مقياس

الجريدة (٢٦ × ١٩) سم[٢١].

لقد عبرت جريدة الجزيرة منذ صدورها عن اتجاهات الرأي العام الموصلي عامة وجماعة حزب العهد العراقي الذي تأسس سنة ١٩١٩ بقصد النضال ضد السلطات المحتلة[٢٢].. وقد عرضت في مقالها الافتتاحي لعددها الاول سياستها.. مشيرة الى انها «لم تخرج لعالم الوجود الا لخدمة الامة العربية والوطن العربي.. ان مبدأ الجزيرة الوحيد هو مبدأ الحرية الكاملة للعراق العزيز...»[٢٣] كذلك فقد كرست صفحاتها لتوضيح رغبة العراقيين في حكم انفسهم بانفسهم.. وكشفت عن الاخطار التي تنجم عن معارضة هذه الرغبة. وقالت: «ان العراقيين يريدون ان يكونوا اسياداً في بلادهم احراراً في عقر دارهم... مضى زمان الغش وقلب الحقائق وحلفاؤنا الانكليز يقدرون اكثر منا الاضرار التي لحقت الطرفين من جراء تلك السياسة»[٢٤].

وفي عددها الصادر في ٤ نيسان ١٩٢٢ قالت جريدة الجزيرة: «ليس من الحكمة الركون الى الهدوء عند هضم الحقوق» وفي هذا اشارة الى استمرار التذكير بالحقوق المهضومة، وإلا فالمقاومة للمستعمرين هي الحل. وقد ساهمت الجريدة في حركة رفض الانتداب البريطاني وقالت: «ان العراقيين يريدون ان يكونوا اسياداً في بلادهم احراراً في عقر دارهم، يريدون ان يشغلوا المكان اللائق بهم وبتاريخهم المجيد»[٢٥] لذلك فقد اهتمت الجريدة بالشباب واستنهاض هممهم وبث روح التضحية والوطنية فيهم[٢٦]. وكتبت تحت باب «مارق وراق» كلمات تقول: «لايكفي ان تهتم الحكومة بمنافع الأمة المادية بل لابد من العناية ايضاً بآمالها.. العراق يريد ان يبقى الى الابد صديق الانكليز... ولكنه يريد ايضاً استقلاله التام»[٢٧]. ونقلت الجريدة اخبار المطالب الشعبية، ومنها عدم القبول باية معاهدة لها مساس باستقلال العراق، وضرورة اعطاء رخصة لتشكيل الاحزاب السياسية. وطالبت الجريدة في كثير من مقالاتها بضمان حقوق العراق المشروعة بالاستقلال[٢٨].

احتجبت جريدة الجزيرة بعد صدور (٢٦) عدداً منها ولمدة سبعة اشهر تقريباً. لكنها استأنفت الصدور في ٢٢ شباط ١٩٢٣ وبمقياس صغير (١٧ × ١/٢ ١٤) سم وحجم (مجلة).. وقد جاء في ترويستها انها: «جريدة يومية وطنية عامة، تصدر بعشرين صفحة مرتين في الشهر وبصفحة واحدة مرتين في الاسبوع مؤقتاً». كما جاء في ترويسة العدد الذي صدر بعشرين صفحة: «الجزيرة جريدة يومية سياسية اخبارية ادبية جامعة»[٢٩]. وقد اوضحت الجزيرة خطتها الجديدة وهدفها في مقال افتتاحي بعنوان: «الى القارئ الكريم» جاء فيه: «نقدم الجزيرة بثوبها الجديد، بعد ان احتجبت زهاء السبعة شهور.. بادرنا الى اصدارها.. اجابة لنداء الواجب، ولأنه يعز علينا وايم الحق ان لايكون في ام الربيعين جريدة واحدة اهلية، ونحن لم نقدم على ذلك إلا اعتماداً على مناصرة محبي الادب ومريدي الحقيقة... ان الجزيرة... لم تزل هي هي بروحها ومبدؤها...»[٣٠].

استمرت الجزيرة بالصدور على هذه الصورة نحو ثلاثة اشهر، ثم عادت بعدها تصدر بشكل جريدة بصفحتين ومرتين في الاسبوع، الى ان احتجبت عن الصدور نهائياً بعد سنتين.. وخلال مدة صدورها، قامت الجريدة بدور مهم في ترسيخ قيم الوطنية، والتوعية بأهمية الاستقلال للعراق، والوقوف الى جانب القضايا العربية وخاصة قضية فلسطين. وقد كان لكتابها المعروفين بحسهم الوطني والقومي اثر كبير في ان تكون للجريدة مكانها اللائق في الصحافة العربية. وكان من ابرز كتابها مكي الشربتي وفاضل الصيدلي واسماعيل حقي فرج وسعد الدين آل الخطيب ومحمد حبيب العبيدي[٣١].

اما جريدة العهد فقد اصدرها حزب الاستقلال الذي تأسس إبان مشكلة الموصل ومطالبة الاتراك بها. وقد صدر عددها الاول في ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٥ وجاء في ترويستها انها «جريدة

سياسية يومية عربية، تصدر في كل يوم ثلاثاء مؤقتاً، وهي لسان حال حزب الاستقلال». كتب فوق اسم الجريدة شعار الحزب «ليس للانسان الا ماسعى» وتحته «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا»[٣٢]. وقد صدرت جريدة العهد باربع صفحات، واحتوت الصفحة الواحدة على اربعة اعمدة وبمقياس (٤٣ ١/٢ × ٢٩) سم[٣٣].

عرضت الجريدة في عددها الاول سياستها العامة وبعنوان «استهلال العهد» كتبت مقالاً جاء فيه: «... ان الحزب قد عاهد المولى على ان يدافع عن حقوق البلاد... مادام في عروقه دم عربي... وقد اوقف هذه الجريدة وجعلها عهداً عليه في الصدق والاخلاص والسعي وراء خدمة البلاد، وهي لسان حاله، واحدى طرقه الشريفة التي يتخذها لاسعاد الأمة... ان الحق رائدنا والاخلاص درعنا، والخدمة الصادقة قبلتنا والاستقلال الحقيقي ضالتنا...»[٣٤].

أسند حزب الاستقلال ادارة جريدته الى محمد صدقي سليمان وتولى تحريرها عثمان قاسم (وهو سوري)... وكتب فيها عدد كبير من مثقفي الموصل امثال مكي الشربتي، وجميل دلالي، ومحمد حبيب العبيدي وفتح الله سرسم واحمد الفخري وغيرهم من اعضاء الحزب[٣٥].

تركزت معظم مقالات جريدة العهد على قضية الموصل وتأكيد عروبتها ازاء مطامع الاتراك فيها. وكثيراً ماذكرت القراء بالتضحيات التي قدمها الموصليون في سبيل الاستقلال[٣٦].

وقد اعتادت نشر بيانات حزب الاستقلال في هذا الخصوص.. ومعظم هذه البيانات، تدور حول مساوئ الحكم التركي، وعنصرية الاتحاديين[٣٧].

كما ركزت مقالات الجريدة على الجوانب التاريخية والاقتصادية والجغرافية لمشكلة الموصل منها على سبيل المثال المقال الذي كتبته بعنوان «رغبة الاتراك في نفط الموصل» في عددها الصادر في ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٥ وذلك تفنيداً للحجج التركية حول مطالبتها بالموصل[٣٨] كما نهضت الجريدة بدور فعال في توعية الجماعات المؤيدة لتركيا في الموصل، واسهمت في تغيير موقفهم ليكون بصف من الحكم الوطني[٣٩].

ونشرت الجريدة اخبار النشاطات الوطنية في الموصل لتأييد حق العراق المشروع في الحفاظ على عروبة الموصل[٤٠]. وقد علقت على تظاهرة طلابية طافت شوارع الموصل بقولها «حيا الله صدوراً تجيش بالعاطفة الوطنية.. قوتكم تذلل كل عقبة...»[٤١].

وقد استخدمت جريدة العهد «الكاريكارتير» في تأييد الحقوق العربية في الموصل.. وكثيراً مأأوقفت صفحاتها لنشر المقالات التي تصف اوضاع الموصل خلال حكم الاتحاديين واعادت الى الاذهان كيف رفض الاتراك اعتبار اللغة العربية رسمية في المدارس والمحاكم[٤٢].

واهتمت جريدة العهد بالقضايا الاقتصادية، وناقشت في بعض مقالاتها الافتتاحية الاطماع الاجنبية في نفط الموصل[٤٣] ففي مقال بعنوان «قضية النفط» بتوقيع موصلي، قالت فيه: «وما لحاجتهم والحاحهم (الاتراك) في تصحيح الحدود... الا تذرعاً منهم الى الاستفادة من عيون النفط»[٤٤].

وتطرقت الجريدة الى امور الزراعة وناقشت سوء احوال الفلاح.. ودعت الى تشكيل لجنة.. تأخذ على عاتقها تحسين اوضاع الفلاحين «وانشاء مصرف زراعي.. يكون تحت اشراف الحكومة ورعايتها» وذلك بهدف تنشيط الزراعة وجلب انواع الحبوب ودفع الآفات وحل مشاكل الزراعة[٤٥].

واسهمت الجريدة في التوعية الانتخابية لاول مجلس نيابي يعقد في العراق[٤٦]. واكدت ضرورة التأني في اختيار «الاشخاص الذين ستلقى بين ايديهم مقدرات البلاد التي ستكون تحت رحمتهم، فان شاءوا خدموها بما جبلوا عليه من الاخلاص والحكمة، وأن أبوا ألقوا بها الى

الحضيض»[٤٧]. وانتقدت الجريدة بشدة، التقاليد المعمول بها في أثناء الانتخابات والمرتكزة على المحسوبية والجاه ودعت الى تحكيم العقل ووضع مصلحة البلد فوق اية مصلحة[٤٨]. ورحبت الجريدة باعلان الدستور العراقي يوم ٢١ اذار ١٩٢٥، وعدته حدثاً تاريخياً كبيراً، وأبرز خطوة يخطوها العراق في سبيل الارتقاء.. فالدستور مظهر من مظاهر الحياة الحرة ومن رموز استقلال البلد[٤٩]. ودعت الى العمل الجدي لتأكيد استقلال العراق بحدوده الطبيعية ووضع قول الملك فيصل «العراق المستقل لايتجزأ» قاعدة للسياستين الداخلية والخارجية[٥٠].

ونقلت جريدة العهد نشاطات لجنة الدفاع الوطني التي تأسست بين ٢٥ - ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٥ للدفاع عن عروبة الموصل. وقد هاجمت الجريدة تصديق معاهدة ١٩٢٦ ونشرت البيانات الكثيرة ضدها ونتيجة لمواقفها هذه اصدرت وزارة الداخلية قراراً بتعطيلها فاصدر الحزب بدلاً منها جريدته الجديدة «فتى العراق»[٥١].

لقد عكست جريدة العهد موقف الرأي العام في الموصل من قضية مهمة، تلك هي قضية مطالبة الاتراك بالموصل.. واسهمت الى حد كبير في تفنيد حجج الاتراك والتوعية بالوقوف ضد المطالب التركية وتأكيد استقلال العراق ووحدته باعتبار ان الموصل هي (رأس العراق) وان كل من يفكر بفصلها عن بغداد والبصرة خائن لوطنه ولقومه ويستحق الموت ولعنة الشعب. كما كان للجريدة اهتمام بالقضايا القومية، وخاصة قضية فلسطين.. ومن ذلك حرصها على التنبيه المبكر لاخطار الحركة الصهيونية، والدعوة الى النضال من اجل الحفاظ على عروبة فلسطين[٥٢].

الصحافة الموصلية منذ تسوية مشكلة الموصل وحتى نهاية الثلاثينات:

صدرت في الموصل خلال العشرينات، كذلك جريدتا «صدى الجمهور» و«فتى العراق».

كما صدرت مجلة باسم «النجم». وكانت جريدة «صدى الجمهور» جريدة يومية سياسية أدبية اخلاقية عامة، صاحب امتيازها عيسى محفوظ ومديرها المسؤول المحامي عبد الله فائق. اما رئيس تحريرها فكان علي الجميل، وقد صدر عددها الاول في ٢١ شباط ١٩٢٧ وظلت تصدر حتى ٣١ كانون الاول ١٩٢٩. ولقد اكدت الجريدة منذ صدورها على ضرورة الحرية الفكرية وحاجة البلاد الى حرية ابداء الرأي[٥٣]. ومما قالته في هذا الصدد: «ان حرية ابداء الرأي لاتقدر ان تستغني عنها امة من الامم، فنحن في وقتنا هذا بحاجة شديدة الى هذه الحرية أزيد من اي امة، نظراً الى وضع البلاد، والمشاكل التي هي واقعة فيها. وفي نظرنا ان الحرية الفكرية في جميع مناحيها هي الارادة القوية والواسعة الفعالة لتخليص البلاد من مأزقها الحرج»[٥٤].

وبعد الانذار الذي وجهته الى الجريدة مديرية المطبوعات لنشرها بعض الانتقادات للحكومة نشرت مقالاً بعنوان: «حاجتنا لفكر حر» دعت فيه الى ضرورة احترام الدستور وصيانته من عبث العابثين. وقالت بان الصحفي الذي يدعيّ خدمة البلاد لايمكن ان يسكت عن الحق وان المسؤولين ليسوا إلا خدام الوطن»[٥٥].

اما جريدة «فتى العراق» فقد صدر عددها الأول في ١٥ اذار ١٩٣٠ وجاء في ترويستها انها «جريدة يومية سياسية اجتماعية عامة» صاحب امتيازها متي سرسم ورئيس تحريرها عبد المجيد ججاوي ومديرها المسؤول احمد سعد الدين زيادة



احمد سعدالدين زيادة



المحامي. وقد صدرت باربع صفحات، وبمقياس (٥١ × ٢٦) سم، واحتوت الصفحة الواحدة على خمسة اعمدة. وكانت تصدر ثلاث مرات في الاسبوع [٥٦].

لقد تميزت جريدة فتى العراق منذ صدورها برصانتها وباتجاهها العربي الواضح [٥٧] ... ومما جاء في مقالها الافتتاحي لعددها الاول: انها سوف «تكون «احدى الوسائط التي تعمل لخدمة العراق خاصة والعرب عامة» [٥٨]. لذلك فقد اسهم في تحريرها والكتابة فيها نخبة من المثقفين الموصليين المعروفين باتجاههم الوطني والقومي امثال عبد الجبار الجومرد، واحمد سعد الدين زيادة، وبشير الصقال، وجميل دلالي، وشاذل طاقة، وسعيد الديوه جي [٥٩]. وقد عرفت الجريدة بموقفها الواضح تجاه السياسة الاستعمارية البريطانية في العراق. وكثيراً ماتضمنت مقالاتها هجوماً على سلطات الانتداب واتهامها بانها تعرقل تطوير العراق [٦٠]. وكانت الجريدة جريئة وصريحة، لذلك لم ترق لرجال الحكم، فعمدوا الى انذارها ثم تعطيلها نهائيا في ١٤ تموز ١٩٣٠ [٦١].

وفي ١٥ ايار ١٩٣١ حصل احمد سعد الدين زيادة على امتياز جديد لاصدار جريدة باسم «فتى العراق» كذلك. وقد صدر العدد الاول في ٢٨ شباط ١٩٣٤ وفي ١٠ آب ١٩٤٠ انتقلت ملكيتها الى ابراهيم الجلبي وبدأت عندئذ مرحلة جديدة في تاريخها [٦٢].

كان صدور جريدة فتى العراق قد تزامن مع حالة النهوض القومي الذي شهده العراق في هذه الفترة. لذلك أسهمت اسهاماً واضحاً في هذا النهوض وزخرت بالمقالات ذات الطابع القومي. ففي عددها الصادر في ٤ شباط ١٩٣٦ كتب بشير الصقال مقالاً بعنوان: «اليّ فوق يارضيع الثقافة اليّ فوق» خاطب فيه الشباب وناشدهم تحقيق العزة القومية، ودعا مسؤولي المعارف (التربية والتعليم) الى جعل الزي العسكري هو اللباس الذي يرتديه الطلاب «تخلصاً من غوائل الترف، وصيانة للفتوة ان تلهو بالتأنق المؤدي الى الميوعة» [٦٣] واظهر الصقال مدى افتخاره بنظام الفتوة الذي صدر في العراق في ٧ تشرين الثاني ١٩٣٥ وغايته تدريب الفتيان على خشونة العيش وتحمل المشاق وخصال الرجولة وحب العسكرية ومايتصل بها من خصال ابرزها الطاعة والنظام [٦٤].

فتى العراق

الأربعاء ٢١ رمضان ١٣٧٢ / ٣ حزيران ١٩٥٣

المدير المسؤول: المحامي عبد الرحمن الصافي

الادارة: شارع غازي — مطبعة ام الربيعين

بدل الاشتراك

جريدة فتى العراق
مجموعة الاستاذ احمد سامي الجلبي.

كما صدرت في الموصل مجلة شهرية دينية تاريخية اجتماعية ادبية باسم «النجم» وكان رئيس تحريرها المطران سليمان صايغ. وقد صدر عددها الاول في ٢٥ كانون الاول ١٩٢٨ ثم توقفت عن الصدور عند نشوب الحرب العالمية الثانية، وعادت الى الظهور في تشرين الثاني ١٩٥٠ وظلت تصدر حتى اذار ١٩٥٥. وقد جمعت اعدادها في مجلدات تتراوح صفحات كل مجلد مابين (٤٠٠) الى (٦٣٦) صفحة وكانت تصدر شهرياً. وقد عالجت المجلة، فضلاً عن المواضيع الدينية، المواضيع الادبية والتاريخية، والصحية والجغرافية


ابراهيم الجلبي

والفلسفية[٦٥] . ومن ابرز مقالاتها «الفلسفة عند العرب» ، «تاريخ كلد وآشور» ، «ملوك المغول النصارى» ، «من حقول التاريخ» ، «الجوابون في البلاد العربية» ، «تاريخ الطب في العراق» ، «البلاد العربية في مطلع القرن السابع عشر» ، «اربيل عند رأي الاثاري فكتور بلاس» ، «ماذا تريد الاطماع الشيوعية» وغير ذلك من المقالات التي كتب معظمها سليمان الصايغ نفسه[٦٦] .

لقد تعددت انماط الصحف التي صدرت في الموصل ابان العشرينات والثلاثينات .. فضلاً عن الصحف والمجلات التي اشرنا اليها .. صدرت في الموصل صحف حزبية ابرزها جريدة (البلاغ) التي عبرت عن سياسة حزب الاخاء الوطني (افتتح رسميا في ١٠ كانون الاول ١٩٣٠ وكان له فرع في الموصل) . وقد صدر العدد الاول من البلاغ في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٣١ وكان صاحب امتيازها متي سرسم ، ومديرها المسؤول أحمد سامي الدبوني المحامي . وجاء في ترويستها انها جريدة يومية سياسية عامة تصدر ثلاث مرات في الاسبوع[٦٧] . وشارك في تحريرها عدد من الكتاب والادباء منهم اكرم فاضل وحازم المفتي وعبد الجبار الجومرد وسعيد الديوه جي ومحمد رزق الله اوغسطين وعبد الرحمن الجليلي[٦٨] .

واهتمت البلاغ بنشر نشاطات حزب الاخاء الوطني ، وكرست صفحاتها لمهاجمة سياسة نوري السعيد المعروف بميله الى التعاون مع بريطانيا . ودعت الى صيانة الحريات العامة والحيلولة دون تدخل الحكومة في الانتخابات النيابية[٦٩] .

وتابعت «المجلة» مجريات القضية الفلسطينية ،

(السنة العاشرة)
الجمعة
١ رجب ١٣٦٠
٢٥ تموز ١٩٤١
رقم العدد ٩٩٦
مسجلة في دائرة البريد تحت رقم ٣١
صاحب الامتياز متي سرسم

البلاغ

(جريدة يومية سياسية تصدر صباحي الجمعة والثلاثاء)

(ثمن النسخة ٥ فلوس)
بدل الاشتراك
الموصل ٨٥٠ فلساً وفي الخارج ٩٥٠
مدير الادارة : محمود فوزي الفلاحي
(الاعلانات والاشتراكات يرجع بها ادارة الجريدة في شارع فاروق)
(رقم التلفون ٤٣) (صندوق البريد رقم ١٠)
(طبعت بمطبعة محفوظ بالموصل)

جريدة البلاغ

المراسلة والمراجعات
مع رئيس التحرير
عبد الحق فاضل المحامي
في الموصل

المجلة

مجلة ادبية ثقافية عامة
نصف شهرية

بدل الاشتراك السنوي
فلس
٥٠٠ في العراق
٦٠٠ خارج العراق
١٥ ثمن العدد الواحد

العدد — ١ ٦ شعبان ١٣٥٧ — ١ تشرين الاول ١٩٣٨ السنة الاولى

مجلة المجلة

مركزة على نشاط حزب الاخاء في هذا المجال . واهتمت الجريدة بالادب العربي والتاريخ الاسلامي وتبنت الدعوة الى حماية المصنوعات الوطنية ورفعت شعار صيانة حقوق المرأة[٧٠] .

وصدرت في الموصل صحف ادبية ابرزها في فترة الثلاثينات مجلة (المجلة) التي اصدرها نادي الجزيرة وهو ناد ثقافي رياضي تأسس في الموصل في ١٨ نيسان ١٩٣٦ وكان ذو توجه قومي عربي شبيه بتوجه نادي المثنى بن حارثة الشيباني في بغداد[٧١] . وكان يوسف الحاج الياس المحامي صاحب امتياز المجلة .. اما رئيس تحريرها فهو عبد الحق فاضل . وقد جاء في ترويستها انها مجلة ادبية ثقافية عامة . وكانت نصف شهرية تصدر في اليوم الاول والسادس عشر من كل شهر .. وقد صدر العدد الاول في تشرين الاول ١٩٣٨ .. واثر انتقال رئيس تحريرها الى بغداد ، بعد انتهاء السنة الثانية ، توقفت عن الصدور في الموصل ، وظهر العدد الجديد منها في بغداد يوم ١٦ اذار ١٩٤١[٧٢] .

عرضت المجلة خطتها في افتتاحية العدد الاول .. ومما جاء فيها ان المجلة تسعى لان «تغدو مجال الاقلام الممتازة ، وملتقى العقول المفكرة»[٧٣] . وهكذا نجد ان المجلة اتجهت اتجاهاً ادبياً تقدمياً .. وامتلأت صفحاتها بالوان من الثقافة الانسانية ، وفنون الادب الحديث وروائع القصص

المحلية والعربية والعالمية[٧٤] . كما زخرت المجلة بمقالات سياسية فكرية عالجت قضايا النظام الحزبي في العراق ، والديمقراطية ، والحركة الثقافية في العراق ، ونشرت مجموعة من الدراسات حول الصهيونية وحقدها على العروبة وطرحت المجلة ضمن اهتماماتها مسائل ذات طابع اجتماعي تقدمي .. كقضية المرأة .. واهتمت بتاريخ الموصل . واولت الشعر ، اهتماماً خاصاً[٧٥] .

اسهم في تحرير المجلة عدد من الكتاب والادباء والمؤرخين العراقيين البارزين منهم : اكرم فاضل وعبد الفتاح ابراهيم ، وعبد المجيد لطفي وعبد المنعم الغلامي ، وعبد الحق فاضل ومجيد خدوري ، وسعيد الديوه جي ويوسف الحاج الياس وحسن زكريا وذنون ايوب وجورج حبيب ومتي بيثون وعبد الاحد ابراهيم ونائل سمحيري[٧٦] . وقد تحدث احد كتابها الاوائل وهو ذنون ايوب عن المجلة قائلاً : «من يقرأ المجلة منذ نشأتها حتى نهاية عمرها اي مايقرب الست سنين يجدها قد نهجت نهجاً ديمقراطياً خالصاً ، غير متنكرة للتراث او العروبة ، وغير خارجة عن النطاق القومي ، مناصرة لفلسطين والوحدة العربية ، غير ميالة الى احتقار المبادئ السياسية الاخرى إلا ماكان منها ضد العقل او العلم ... ويوم حدثت ثورة مايس ١٩٤١ وقفت المجلة مع كل انصارها في صف الثورة ... واعتبرتها حركة وطنية خالصة ومجدتها لجرأتها في منازلة الاستعمار»[٧٧] .

اما الدكتور علي جواد الطاهر فقد كتب في مقال له بعنوان «القاص ناقداً فأي الوجهين يختار» عن مجلة المجلة يقول : «لم تكن المجلة حدثاً عابراً في تأريخ الصحافة العراقية ، والفكر السياسي - الادبي العراقي . كانت مجلة ذات صدى ، وذات قراء ومريدين . ولم تكن الحكومة مرتاحة منها أو من القائمين عليها والكاتبين فيها ... » ويضيف الى ذلك قوله : ان مجلة المجلة هي من نوادر الصحافة العراقية لما بين سطورها من جهد واخلاص ومعاناة ووطنية وطموح ....»[٧٨] .

الصحافة الموصلية والحياة الحزبية :

بعد ظهور الحياة الحزبية العلنية ، اثر تشكيل الاحزاب السياسية الخمسة في العراق وهي حزب الاستقلال ، والحزب الوطني الديمقراطي ، وحزب الشعب ، وحزب الاحرار وحزب الاتحاد الوطني ، في نيسان سنة ١٩٤٦ وسمح لها باصدار جرائد يومية سياسية ، اصبح لها فروع في الموصل(؟)وقد اصدرت هذه الفروع بعض الصحف الحزبية .. كانت جريدة النضال لسان حال حزب الاستقلال ابرزها على الاطلاق[٧٩] . وقد صدرت النضال في ٢٩ آذار ١٩٤٨ وكان صاحبها عبد القادر العبيدي المحامي ومديرها المسؤول حازم المفتي المحامي ورئيس التحرير غربي الحاج أحمد المحامي . وجاء في ترويستهاانها جريدة يومية سياسية تصدر يومي الاثنين والجمعة[٨٠] .

وفي عددها الاول اوضحت النضال سياستها وهي السعي «في سبيل تحقيق أماني البلاد ومعالجة شؤونه معالجة صريحة سافرة»[٨١] وقد اهتمت بنشر مبادئ حزب الاستقلال . كما افسحت مجالاً واسعاً من صفحاتها للدفاع عن عروبة فلسطين وكتابة المقالات الناقدة لموقف نظام الحكم في العراق

النضال

لسان حزب الاستقلال (فرع الموصل)

العدد الخاص
بمحاكمة المدير المسؤول
السيد غربي الحاج احمد المحامي
٦ صفحات بـ ١٢ فلسا

جريدة النضال

وجامعة الدول العربية تجاه هذه القضية [٨٢] . وكان من ابرز كتابها غربي الحاج أحمد. كما اسهم في تحريرها عدنان الراوي ، وعبد القادر العبيدي ومحمد صديق شنشل وشاذل طاقة [٨٣] .

وصدرت في الموصل جريدة (صدى الاحرار) لتكون لسان حال حزب الاحرار الذي تأسس في

أخبار نشاطات الحزب في بغداد والموصل . وكان من ابرز كتابها محمد حديد وعبد الغني الملاح ويوسف الحاج الياس من الموصل وقاسم حسن وفاضل مهدي من بغداد . ومما اكدته في مقالاتها مسائل تتعلق بمبادئ الحزب ، وابرزها الدعوة الى حياة ديمقراطية نيابية ، وتأييد الحريات العامة واصلاح

جريدة صدى الأحرار

بغداد سنة ١٩٤٦ واصبح له فرع في الموصل . وقد صدر العدد الاول من صدى الاحرار في ٧ أيلول ١٩٤٨ وكان صاحب الامتياز محمد رؤوف الغلامي ومديرها المسؤول محمد سعيد محضر باشي . وساهم في الكتابة لها عدد من مثقفي الموصل امثال عبد المنعم الغلامي وعامر سامي الدبوني وفاضل الصيدلي ، وسالم الدباغ [٨٤] . وكانت صدى

الجهاز الاداري وتقوية الجيش والعمل على تحقيق اتحاد البلاد العربية وتقوية جامعة الدول العربية [٨٧] .

وبعد فتح فرع لحزب الجبهة الشعبية المتحدة في الموصل في ١٣ كانون الاول ١٩٥١ . صدرت جريدة الهدى لتكون لسان حال فرع الحزب . وقد سجل امتيازها باسم عبد الجبار الجومرد ، واصبح

جريدة الهدى

الاحرار جريدة حزبية اخبارية بالدرجة الاولى ، إلا أنها نشرت سلسلة من المقالات في نقد بعض الظواهر الاجتماعية كالنفاق والجشع . وعالجت كذلك مشاكل اقتصادية وسياسية من وجهة نظر حزب الاحرار. وقد الغي امتيازها في ١٧ كانون الاول سنة ١٩٥٤ [٨٥] .

وكان للحزب الوطني الديمقراطي جريدة باسم (المستقبل) وقد جاء في ترويسة العدد الاول الذي صدر في ٢٥ تشرين الاول ١٩٤٨ انها « جريدة يومية سياسية » صاحب الامتياز والمدير المسؤول المحامي حسن زكريا ، وسكرتير التحرير عبد الغني الملاح [٨٦] . وخصصت الجريدة معظم صفحاتها لنشر

سامي الخطيب مديرها المسؤول [٨٨] . وانصرفت الهدى لمتابعة نشاط الحزب ونشر مبادئه الاساسية في تحرير العراق من كل نفوذ اجنبي ، والذود عن مصالح العرب وصيانة عروبة فلسطين ، وابعاد العراق عن اي نزاع دولي بالعمل على ضمان حياده ودعم وحدته الوطنية وتأمين استقلال القضاء وفسح المجال للعمل الحزبي والنقابي واتباع سياسة الاقتصاد الموجه [٨٩] . وقد عرضت جريدة الهدى في احد اعدادها خطتها بعنوان « رسالة الهدى » ومما جاء فيها ان الجريدة تعمل على ترسيخ قيم الحياة الحزبية السليمة في العراق وتأدية مهامها في سبيل تقدم العراق ورقيه [٩٠] .

وبعد تأسيس حزب الامة الاشتراكي ببغداد في ٢٤ حزيران ١٩٥١ وبعد فتح فرع له في الموصل.. اصبح للحزب جريدة ناطقة بلسانه وهي جريدة «صدى الاشتراكية» وقد صدر العدد الاول في ٢٠ ايار ١٩٥٢ وكانت جريدة اسبوعية. وتولى ادارتها المحامي جار الله ايوب العلاف[٩١].

جريدة صدى الاشتراكية

وقد اهتمت الجريدة بنشر نشاطات الحزب وفرعه في الموصل. كما سخرت بعض صفحاتها لمهاجمة جريدة الهدى والتشكيك بمصادر تمويلها إلا ان عبد الجبار الجومرد كتب مقالاً رد فيه على جريدة صدى الاشتراكية وقال «ان اهل الموصل اذكياء يعلمون جيداً من المخلص ومن المريب ومن المؤمن بحق بلاده ومن تجسس عليها». وفي هذا اشارة الى حزب الامة الاشتراكي، الذي يتزعمه صالح جبر، المعروف بمواقفه الموالية لبريطانيا[٩٢].

وعندما أجيز حزب الاتحاد الدستوري الذي يتزعمه نوري السعيد في ٢٤ تشرين الاول ١٩٤٩، حرصت جريدة نصير الحق ان تكون الناطقة بلسانه بحكم انتماء صاحبها محمود مفتي الشافعية للحزب[٩٣]. وكان حزب الاتحاد الدستوري حزباً اصلاحياً، يعمل من اجل العناية بشؤون العشائر ومحاربة ماسماه بالأفكار الهدامة. لذلك كانت جريدة نصير الحق تسير على هذا النهج. وفوق هذا، فانها شاركت في الهجوم على حزب الاستقلال والرد على صحافته وتوجيه الطعنات الى كل من يعارض سياسة نوري السعيد[٩٤]. وتصدت جريدة النضال لجريدة نصير الحق وللمنتمين لحزب الاتحاد الدستوري في الموصل، ومعظمهم من الملاكين ورؤساء العشائر ومما نشرته المقال الذي حملت فيه نوري السعيد، مسؤولية ضياع فلسطين وانتشار البطالة والجهل في العراق وقد كتب المقال غربي الحاج احمد وكان بعنوان «وزير ذو ماضي» ونشر في يوم زيارة نوري السعيد للموصل في ٢٣ ايلول ١٩٥٠[٩٥].

جريدة نصير الحق

أنماط اخرى من الصحف الموصلية:

وشهدت الموصل، صدور صحف تهتم بقضايا العمال والطلبة ومن ابرز الصحف العمالية، جريدة باسم (العمال) صدر عددها الاول في ٥ أيار ١٩٣١. وقد جاء في ترويستها: «انها جريدة يومية سياسية عامة» صاحبها ومديرها المسؤول احمد سعد الدين زيادة[٩٦]. وكانت منذ صدور عددها الاول في ٥ أيلول ١٩٣١ تحمل الشعارات العمالية ومن ذلك أنها «نصير الطبقات العاملة والبؤساء ولسان حالهم». وقد اوقفت صفحاتها لنشر شكاوى العمال ضد الدوائر الرسمية ومحاربة البؤس والشقاء، وصبت جام غضبها على سياسة الانكليز الاستعمارية في العراق لاعتقادها بان الواقع المؤلم الذي يعيشه العمال في العراق مرتبط بالواقع السياسي الذي

العمال

سعد الدين زيادة المحامي

العنوان : الموصل – العمال

– يا عمال اتحدوا –

العدد ١١٣

الاعلانات والاشتراكات يراجع بشأنها

	في الموصل	في الخارج
	فلس	فلس
	٨٠٠	١٠٠٠
	٤٠٠	٥٠٠

جريدة العمال
مجموعة الاستاذ احمد سامي الجلبي.

يتمثل بالطبقة الحاكمة المرتبطة بشكل او بآخر بالاستعمار البريطاني[97] .

كان للجريدة أبواب رئيسة عدة منها : المقال الافتتاحي ، حوادث ومحليات الاسبوع ، حوار، اخبار العالم ، شؤون العمال في العراق ، قصة العدد وغالباً ماتكون عن واقع العمال وحالتهم المعاشية المزرية[98] . وقد حرصت المجلة لتكون لسان حال الاصناف والتنظيمات المهنية في الموصل ، خاصة وان صاحبها ومديرها المسؤول احمد سعد الدين زيادة كان معتمد هذه الاصناف ومنها صنف القصابين وصنف العلافين[99] . وقد تبنت الجريدة الدعوة الى تأسيس نقابات عمالية وتحديد ساعات العمل ومحاربة الامية والبطالة . وناشدت الحكومة بسن تشريع خاص بالعمال وتحسين احوالهم المعاشية والصحية[100] . كما نشرت كذلك اخبار العمال واحوالهم في الاقطار العربية . وكان من ابرز الذين أسهموا في تحريرها احمد سعيد الخياط ، وبشير الصقال ، وعبد المنعم الغلامي واحمد سعد الدين زيادة ، وطاهر حامد وبشير الصقال[101] . وقد صدر من الجريدة منذ بروز عددها الاول في ٥ أيلول ١٩٣١ حتى صدور آخر عدد منها في ١٧ شباط ١٩٣٤ (١٧٣) عدداً[102] .

اما النمط الثاني من الصحافة التي صدرت في الموصل ، خلال هذه الفترة ، فكانت « الصحافة المدرسية » . ومن ابرزها مجلة النهضة التي اصدرتها لجنة الخطابة العربية في اعدادية الموصل سنة ١٩٢٦[103] . ونشرة « الالهام » التي صدر عددها الاول في كانون الاول ١٩٤٥ . وقد جاء في ترويستها « الالهام نشرة اعدادية الموصل بنين » ، « الالهام ادب ، علم ، فن » يشرف على تحريرها ذو النون شهاب وسكرتير تحريرها عبد القادر فائق الدبوني ، لجنة التحرير في سنتها الاولى تتكون من اديب امين وعدنان الدباغ وغانم العقيلي . وقد صدرت بمقياس ($\frac{1}{2}$ ٢٠ × ١٤) سم وعدد صفحاتها (٢٤) صفحة[104] .

اهتمت نشرة الالهام بالمواضيع الثقافية والادبية والتربوية ، فضلاً عن متابعتها للاخبار المدرسية .. وقد استمر صدورها حتى كانون الثاني ١٩٥٢ .. وقد اشرف على اعدادها الاخيرة مرشد لجنة الخطابة في المدرسة انذاك الشاعر شاذل طاقة وقد برزت من خلالها كثير من مواهب الطلبة الذين اصبح لهم فيما بعد مكانة مرموقة في عالم الادب والثقافة في العراق[105] .

عبدالباسط يونس وصحافة الخمسينات :

شهدت الموصل خلال الخمسينات ، نهضة صحفية واسعة النطاق ، تجاوزت حدود المدينة ، الى مدن عراقية اخرى بما فيها العاصمة بغداد . فقد صدرت في الموصل ، على سبيل المثال ، في الفترة مابين ١٩٥٠ الى ١٩٥٩ ، قرابة (٣٠) جريدة ومجلة تقف على راسها الصحف التي اصدرها الصحفي الموصلي المعروف عبدالباسط يونس والذي كان له دور كبير في هذه النهضة الصحفية من خلال اصداره أكثر من خمس صحف ، هذا فضلاً عن اشرافه اوتحريره أو إسهامه في الصحف الأخرى . وكانت الصحف التي أصدرها أقرب الى الندوات الفكرية المفتوحة التي ضمت عدداً كبيراً من كتاب وأدباء الموصل انذاك ، ومن خلالها برزت أقلام العديد من الشعراء والأدباء والكتاب الذين قاموا ، فيما بعد ، بدور مهم في تاريخ الحركة الثقافية في الموصل .





عبدالباسط يونس

ولد عبدالباسط يونس رجب في محلة باب لكش بمدينة الموصل سنة ١٩٢٨ [١٠٦] . وقد تلقى دراسته الاولى في كتاب شعبي يديره (الملا علي) والذي عرف بشدته وصلاحه وتقواه حتى انه ترك في نفوس تلاميذه اثراً لاينسى. ثم انتقل الى المدرسة العراقية الابتدائية وخلال دراسته في المدرسة الابتدائية تفتح ذهنه على الأحداث السياسية التي كان يمر بها العراق والأمة العربية انذاك وخاصة احداث ثورة ١٩٣٦ في فلسطين وانقلاب بكر صدقي في العراق ومقتل الملك غازي سنة ١٩٣٩ . وكان لوالده ، الضابط الموصلي الذي عاد مع رفاقه الضباط العرب الملتحقين بالثورة العربية الى العراق، اثر كبير في تنمية وعيه [١٠٧] .

وفي سنة ١٩٤١ انهى دراسته الابتدائية في بغداد بعد أن انتقل اليها مع والده وفي متوسطة الأعظمية ، كان يتابع احداث ثورة مايس ١٩٤١ وأخبار الحرب العالمية الثانية . وفي تلك المرحلة ، والتي تلتها برزت مجلتا الرسالة والثقافة الاسبوعيتان ، وكانت مجلة الهلال المصرية تصل الى العراق بإنتظام ، وهي تحمل على صفحاتها ماكان يكتبه رواد الثقافة العربية الأوائل من مقالات تاريخية وفلسفية وفكرية وسياسية .. وقد تركت تلك المجلات اثرها لدى عبدالباسط ، حتى انه ارسل مقالة الى مجلة الرسالة المصرية لصاحبها احمد حسن الزيات ، وذلك عندما كان طالباً في الصف الثاني المتوسط . وكانت دهشته كبيرة حين وجد مقالته وقد نشرت في المجلة المذكورة [١٠٨] .

عاد الى الموصل ، سنة ١٩٤٥ حين أحيل والده على التقاعد ، واكمل دراسته في المتوسطة الشرقية ، ثم انتقل الى الاعدادية المركزية ، وكانت الاعدادية الوحيدة في الموصل انذاك ، وتشغل بناية المدرسة الخضرية (الاعدادية الشرقية حالياً) . وفي هذه المدرسة أسهم في اصدار نشرة «الالهام» . كما أخذ يكتب مقالات في الصحف الموصلية بأسماء مستعارة منها : (صفوت) و (ابي الدرداء) و «الشعبي» و «عبدالمتعالي البدراني» . كما نشرت له صحافة بغداد بعض المقالات بإسمه تارة ، وبأسماء مستعارة تارة اخرى . ومن الصحف التي نشر فيها جريدة السجل (البغدادية) وجريدة الجامعة الموصلية ومجلة الجزيرة الموصلية [١٠٩] .

وخلال هذه الحقبة من حياته ، اتجه الى تركيز قراءاته في أمهات الكتب والمصادر ودواوين الشعر حتى انه بات يمتلك مكتبة تعد من اضخم المكتبات الخاصة في الموصل [١١٠] .

وعندما انفجرت وثبة كانون الثاني ١٩٤٨ ضد معاهدة بورتسموث ، واندلعت التظاهرات الشعبية ضدها في المدن العراقية ؛ ومنها الموصل ، أسهم عبدالباسط يونس فيها .. وكان معروفاً بقدرته الخطابية . وكان من نتائج ذلك ان عوقب بالاخراج الموقت من المدرسة . وجاءت احداث فلسطين سنة ١٩٤٨ ليقود اعتصاماً طلابياً في الاعدادية المركزية ، وكان انذاك طالباً في الصف الخامس ، الفرع الأدبي . وقد حَمّلته السلطة مسؤولية الاضراب عن الطعام الذي سرعان ماانتشرت اخباره في المدينة ، وفي اليوم الثاني اتسع الاضراب حتى شمل طلاب بقية المدارس . وعبثاً حاول المسؤولون ايقاف الاضراب الذي استمر اربعة ايام ، ثم رفع تلقائياً من قبل الطلاب اثر اعلان الحكومة ارسال الجيش الى فلسطين . ومع

اعلان الأحكام العرفية وانصراف الطلاب الى دروسهم وامتحاناتهم ، أستدعي عبدالباسط يونس أمام مجلس المدرسين ، وصدر قرار بفصله من المدرسة وحرمانه من المشاركة في الامتحان النهائي . ثم ابعد الى بغداد ، ووضع تحت المراقبة لمدة تتجاوز السنة ، سمح له بعدها بالعودة الى الموصل [١١١] .

بدأت فكرة التوجه نحو العمل الصحفي عند عبدالباسط يونس ، سنة ١٩٥٠ . وكانت تجربته مع جريدة «الفجر» الأدبية التي صدرت في الموصل في ٧ كانون الثاني ١٩٥٠ . ومما جاء في ترويستها انها : جريدة ادبية علمية اسبوعية

جريدة الفجر

صاحبها سليم نعمان العطار ومديرها المسؤول المحامي شاكر العناز. وقد تولى عبدالباسط يونس مسؤولية الاشراف على تحريرها [١١٢] . وفي عددها (٣٩) كتب مقالاً بعنوان «أدباء للبيع» [١١٣] أثار في حينه

جريدة المثال

جدلاً كبيراً في اوساط الأدباء والمثقفين الموصليين. وفي هذا المقال هاجم عبدالباسط يونس «ادعياء الأدب» الذين أفسدوا أذواق قرائهم . وقد امتازت جريدة الفجر، بتأكيدها على اهمية «بعث حركة ثقافية تليق بمكانة الموصل». وكان من ابرز من ساهم فيها : اكرم فاضل وحسين علي ومحمد عزة العبيدي وعبدالوهاب البياتي ، وشاذل طاقة ، وفاضل الطائي ، وذوالنون الشهاب وفخري الدباغ ، ومحمود مفتي الشافعية وعبدالرزاق عبدالواحد [١١٤] .

ومع صدور جريدة «المثال» في ٦ حزيران ١٩٥١ بدأت المسيرة الصحفية الحقيقية لعبدالباسط يونس وكانت جريدة يومية سياسية ، مديرها المسؤول شاكر العناز المحامي [١١٥] . وقد عرفت «المثال» بمواقفها القومية ، ودعوتها الى الحرية والوحدة كما اهتمت بالمرأة ولم تهمل وضع الفلاح ودعت الى تحرره من الاقطاع . وصدر عنها (٨٧) عدداً للفترة مابين ٦ حزيران ١٩٥١ و ٨ تموز ١٩٥٤ [١١٦] .

وتعد الافتتاحيات التي كان يكتبها عبدالباسط يونس ، وتحتل (٣) أعمدة من الجريدة ، اكثر الافتتاحيات في تاريخ الصحافة العراقية جرأة وصدقاً. ويتضح ذلك من خلال عناوينها. فثمة عناوين كثيرة منها : «شعب يحترق» ، «رئيس الوزراء ينتحر سياسياً» ، «بيضة الوزارة متى تضعها» ، «الى رئيس الوزراء) إني اتهمك» ، «وزارة الفشل» و «الى الوزراء انتم في واد والشعب في واد» [١١٧] .

وكان من الطبيعي ان تتعرض الجريدة الى التعطيل ، عدة مرات. فعلى سبيل المثال وجهت وزارة الداخلية انذارها الى جريدة المثال للمرة الثالثة ، لنشرها مقالاً افتتاحياً بعنوان : «بيضة الوزارة .. متى تضعها» وذلك في عددها الصادر في ٤ شباط ١٩٥٤ . وعطلت لمدة شهر لنشرها مقالاً بعنوان «الأمن ذلك المظلوم» في عددها الصادر في

١٤ آذار ١٩٥٤ وكان تعليقاً على محاولة إعتداء تعرض لها عبدالباسط يونس في ٢٢ شباط ١٩٥٤ من عناصر الشرطة السرية ، وهو في طريقه الى مكتبه في شارع النجفي[١١٨] وعمل عبدالباسط يونس ، بعد تعطيل جريدة «المثال» رئيساً لتحرير جريدة «وحي القلم» في ١١ حزيران ١٩٥٤ والتي صدرت تعويضاً لمشتركي جريدة المثال. وهذا التصميم على مزاولة العمل الصحفي ، برغم التعطيل ، يُعطي صورة واضحة على حيوية الرواد الأوائل للصحافة الموصلية واصرارهم على اثبات وجودهم ونشر رسالتهم في مجال التوعية وتنبيه الأذهان[١١٩] .

وعندما صدرت في الموصل جريدة «الراية» الأدبية في ١١ نيسان ١٩٥١ ، وكان صاحبها غانم سيالة ، تولى عبد الباسط يونس الاشراف على تحريرها. وقد اصبحت «الراية» شقيقة «المثال» يحررها قلم واحد باسلوبين ، فالراية ادبية والمثال سياسية والقلم واحد

الراية

صحيفة أدبية أسبوعية

يشرف على تحريرها عبدالباسط يونس

جريدة الراية

يحمله عبدالباسط يونس يصدر كل اسبوع جريدتين كل واحدة لها يوم معين. ومن عناوين المقالات التي كتبها في الراية «الافلاس الأدبي» ، «الأخلاق المريضة» ، «الصحافة المارقة».. وقد اتسعت صفحات الراية لتضم مقالات العديد من كتاب الموصل ومثقفيها انذاك. وقد تولت الراية نشر الدراسات الأدبية ، ففي مجال الأدب العربي قدمت الشاعر ابا القاسم الشابي ، واحمد الصافي النجفي ومعروف الرصافي وغيرهم. وفي الأدب العالمي كتبت عن شكسبير وهيجو وشوبنهاور. كما تولى الترجمة فيها عدد من الشباب انذاك امثال اكرم فاضل وعبدالواحد لؤلؤة وعبدالرزاق الشماع. وكان من ابرز أبوابها باب «رواد ادب الحياة» ويحرره عدد من مثقفي الموصل امثال شاذل طاقة وغانم الدباغ وهاشم الطعان ، ومحمود المحروق[١٢٠] .

العاصفة

جريدة (العاصفة)

وفي الأول من حزيران ١٩٥٣ اصدر عبدالباسط يونس ، جريدة العاصفة ، وكانت جريدة يومية ثقافية عامة ، والغي امتيازها في ١٧ كانون الأول ١٩٥٤[١٢١] . ولم تكن جريدة «العاصفة أقل قوة واندفاعاً من جريدة المثال»[١٢٢] . وفي «العاصفة» بشر عبدالباسط يونس بالثورة على النظام الملكي ، من خلال الافتتاحيات التي كان يكتبها ، ففي عددها الصادر في ٧ أيلول ١٩٥٣ كتب مقالاً بعنوان «لمن هذه الدماء» جاء فيه : «الثورة قائمة في كل بقعة من المعمورة على الاستعمار... والشعوب التي رضخت للقيود والاغلال قروناً واعواناً سلكت طريق الثورة»[١٢٣] . ومع انها تعرضت للتعطيل ، ونالت مانالته من قبلها «الفجر» و«المثال» لكنها أسهمت في تأجيج الروح الوطنية وتحريك الرأي العام الموصلي ضد السلطة[١٢٤] .

وقبيل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بقليل ، أسهم في اصدار جريدة «الواقع» التي كانت تطبع في مطبعته الخاصة المعروفة بأسم «مطبعة الهدف». كما اشرف على تحرير جريدة «وحي القلم» وكان يحررها



جريدة وحي القلم

من الفها الى يائها ويكتب افتتاحيتها ولم تستمر الجريدة بالصدور، فبعد ستة اعداد عطلت كذلك[125].

وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، أعاد اصدار جريدته «المثال»، ولكنه اعتقل اثر فشل ثورة الموصل سنة ١٩٥٩ واخرج عنه لينصرف الى إصدار جريدته «الهدف» في ٢٧ أيار ١٩٦٣ لتبدأ في حياته الصحفية، حقبة جديدة إتسمت باسهاماته في مجال تطوير الصحافة الموصلية[126].

المحلية، ولم يقف الأمر عند ذلك، بل كان يصحح الأخطاء المطبعية ويقوم بتغليف نسخ المشتركين وكتابة الأسماء والعناوين عليها[127]. ومما ساعده على ذلك امتلاكه مطبعة ومكتبة زاخرة بامهات الكتب والمصادر ولعلاقته الواسعة بالصحفيين والكتاب العراقيين والعرب. وكان يضيق بالقيود ويحاول باستمرار «اطلاق قلمه». ومع انه كان ينتقل في اجواء الأدب والثقافة، لكنه لم يفارق السياسة. وكان يؤمن بأن «القلم الحر» لايمكن ان

العلوم في خدمة الانسان

ينبغي تفادي اصطدام الاقمار الصناعية في الفضاء الكوني

الهدف

جريدة أدبية اسبوعية

قطرات ندى

جريدة الهدف

لقد اتسمت كتابات عبدالباسط يونس الصحفية بقوة الاسلوب والصدق والجرأة والصراحة. فقلمه كان ناصعاً ابيضاً، لم تلونه دناءة ولم يَمَسه سوء. كما انه معروف بدأبه وحيويته. فكان يتولى كتابة الافتتاحيات والتعليقات والأخبار

يسقط من يد كاتب تتسم كتاباته بالصدق والجرأة والصراحة والواقعية. ويرى بأن الصحفي يحتاج الى «نفس جياشة» و«قلب صاخب». «فالقلم لاعهد له بالسكوت اذا مادعاه الواجب»[128].

الهوامش

(١) للتفاصيل انظر: زكي صالح، مقدمة في دراسة العراق المعاصر، (بغداد، ١٩٥٣)، ص ص ١٠ - ١٢ وكذلك ابراهيم خليل احمد وجعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، (الموصل، ١٩٨٩)، ص ص ٩ - ١٥.

(٢) انظر: ابراهيم خليل احمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها ١٨٨٥ - ١٩٨٥، (الموصل، ١٩٨٥)، ص ١٣.

(٣) انظر على سبيل المثال العدد الاول الذي صدر في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٨ واقتصر على نشر وقائع اجتماع عقده الجنرال (فانشو) القائد العام للقوات البريطانية في الموصل في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ وحضره الاشراف ووجوه الموصل والموظفون العموميون فيها.

(٤) روفائيل بطي، الصحافة في العراق، (القاهرة، ١٩٥٥)، ص ٤٩.

(٥) وائل علي أحمد النحاس، تاريخ الصحافة الموصلية ١٩٢٦ - ١٩٥٨؛ رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب جامعة الموصل ١٩٨٨، ص ص ٣٩ - ٤٠.

(٦) انظر: سنان سعيد «مطالعة في الجريدة العراقية الثانية الموصل بعد ١٠٠ عام على صدورها» جريدة الجمهورية ٢٦ حزيران ١٩٨٥.

(٧) انظر على سبيل المثال جريدة الموصل ١٤ كانون الثاني ١٩٢١.

(٨) جريدة الموصل ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٠.

(٩) جريدة الموصل ١٢ كانون الثاني ١٩٢١.



(١٠) انظر: جريدة الموصل، ١٧ كانون الثاني ١٩٢١.
(١١) جريدة الموصل ٣ كانون الثاني ١٩٢١.
(١٢) جريدة الموصل ٢١ شباط ١٩٢٤.
(١٣) للتفاصيل انظر: ابراهيم خليل احمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، (الموصل ١٩٨٢)، ص ص ٦٦- ٦٧.
(١٤) انظر: المصدر نفسه، ص ٦٤.
(١٥) انظر: جريدة الموصل ٥ كانون الاول ١٩٢١.
(١٦) انظر: ذنون يونس حسين الطائي، الاتجاهات الاصلاحية في الموصل في اواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لكلية الاداب- جامعة الموصل ١٩٩٠ ص ص ١٨٠، ٢٥٧- ٢٦٢.
(١٧) انظر: الطائي، المصدر السابق، ص ص ١٧٩- ١٨٠.
(١٨) انظر: ابراهيم خليل احمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل ص ص ٧٦- ٨٤.
(١٩) انظر: ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل: دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨- ١٩٢٢، رسالة ماجستير قدمت لكلية الاداب/ جامعة بغداد سنة ١٩٧٥، وهي غير منشورة، ص ٣٣١.
(٢٠) انظر على سبيل المثال مجلة النادي العلمي السنة (١)، العدد (١)، ١٥ كانون الثاني ١٩١٩، السنة (١)، العدد (٢)، ٣٠ كانون الثاني، السنة (١)، العدد (٥)، ١٥ آذار ١٩١٩، السنة (١)، العدد (٣) ١٥ شباط ١٩١٩.
(٢١) النحاس، المصدر السابق، ص ص ٤٩- ٥٠.
(٢٢) انظر احمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٨٩.
(٢٣) جريدة الجزيرة ٢٤ آذار ١٩٢٤.
(٢٤) جريدة الجزيرة ١ نيسان ١٩٢٢.
(٢٥) المصدر نفسه.
(٢٦) المصدر نفسه.
(٢٧) المصدر نفسه.
(٢٨) جريدة الجزيرة ٢٨ آذار ١٩٢٢.
(٢٩) جريدة الجزيرة ٢٢ شباط ١٩٢٣ وكذلك: النحاس، المصدر السابق، ص ٥٥.
(٣٠) جريدة الجزيرة ٢٢ شباط ١٩٢٣.
(٣١) النحاس، المصدر السابق، ص ٥٩.
(٣٢) المصدر والصفحة نفسها.
(٣٣) جريدة العهد ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٥.
(٣٤) المصدر نفسه.
(٣٥) انظر: احمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٩٥.
(٣٦) انظر النحاس، المصدر السابق، ص ٦٠.
(٣٧) للتفاصيل انظر: نوري أحمد عبد القادر، الموصل والحركة القومية العربية ١٩٢٠- ١٩٤١، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لكلية الاداب/ جامعة الموصل ١٩٨٨ ص ص ١٣٣- ١٣٥.
(٣٨) جريدة العهد ٢١ كانون الثاني ١٩٢٥، ٣ شباط ١٩٢٥.
(٣٩) للتفاصيل انظر: فاروق صالح العمر، الاحزاب السياسية في العراق ١٩٢١- ١٩٣٢، (بغداد، ١٩٧٨)، ص ص ١٤١- ١٤٢.
(٤٠) النحاس، المصدر السابق، ص ٦٣.
(٤١) جريدة العهد، ٥ شباط ١٩٢٥.
(٤٢) احمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٢١٦.
(٤٣) النحاس، المصدر السابق، ص ٦٣.
(٤٤) جريدة العهد ١٧ شباط ١٩٢٥.
(٤٥) جريدة العهد ٣١ مايس ١٩٢٥.
(٤٦) النحاس، المصدر السابق، ص ٦٥.
(٤٧) جريدة العهد ١٩ آذار ١٩٢٥.
(٤٨) النحاس، المصدر السابق، ص ٦٦.
(٤٩) جريدة العهد ٢٣ آذار ١٩٢٥.
(٥٠) انظر: ابراهيم خليل احمد «الصحافة العراقية ١٩١٤- ١٩٥٨» في نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج ١٣ (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٢٣٦.
(٥١) المصدر نفسه، ج ١٣، ص ٢٢٧.
(٥٢) للتفاصيل انظر: فاضل حسين، مشكلة الموصل، دراسة في الدبلوماسية العراقية- الانكليزية- التركية وفي الرأي العام، ط ٢، (بغداد، ١٩٦٧)، ص ٢٢٧ وكذلك جريدة العهد ١٩ اذار ١٩٢٥، ٢٢ نيسان ١٩٢٥.
(٥٣) انظر: ابراهيم خليل أحمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها ١٨٨٥- ١٩٨٥، (الموصل، ١٩٨٥) ص ١٦.
(٥٤) جريدة صدى الجمهور ٦ تشرين الاول ١٩٢٨.
(٥٥) المصدر نفسه.
(٥٦) النحاس، المصدر السابق، ص ٧١.
(٥٧) احمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها، ص ١٩.
(٥٨) جريدة فتى العراق، ١٥ آذار ١٩٣٠.
(٥٩) انظر: النحاس، المصدر السابق، ص ص ٧٢، ٧٨.
(٦٠) انظر: جريدة فتى العراق، ٢٠، آذار ١٩٣٠، ٢٢ آذار ١٩٣٠، ٥ نيسان ١٩٣٠.
(٦١) النحاس، المصدر السابق، ص ٧٣.
(٦٢) المصدر نفسه، ص ص ٧٣- ٧٥.
(٦٣) جريدة فتى العراق ٤ شباط ١٩٣٦.
(٦٤) للتفاصيل انظر: عبد القادر، المصدر السابق، ص ص ١٦٠- ١٦٤.
(٦٥) احمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها، ص ١٧.
(٦٦) انظر على سبيل المثال الاعداد ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٩، ١١، من السنة الاولى (١٩٢٨) من مجلة النجم وكذلك العدد (٥) من السنة (١١) (١٩٥١) والعدد (١) من السنة (١٢)، ١٩٥١.
(٦٧) النحاس، المصدر السابق، ص ٨٧.
(٦٨) المصدر نفسه، ص ٨٩.
(٦٩) انظر: جريدة البلاغ، ٤ تشرين الثاني ١٩٣٢، ٩ كانون الاول ١٩٣٢.
(٧٠) للتفاصيل انظر: النحاس، المصدر السابق، ص ص ٨٨- ٨٩.
(٧١) للتفاصيل عن نادي الجزيرة ودوره في الحركة العربية القومية

انظر: عبد القادر، المصدر السابق، ص ص ١٤١ – ١٥٨.

(٧٢) انظر: احمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها، ص ٢٠.

(٧٣) مجلة المجلة، السنة (١)، العدد (١)، ١ تشرين الثاني ١٩٣٩.

(٧٤) النحاس، المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٧٥) انظر على سبيل المثال، مجلة المجلة السنة (١)، العدد (١٧، ١٨)، ١٦ حزيران ١٩٣٩، السنة (١)، العدد ٢٣، ٢٤، ١ أيلول ١٩٣٩، السنة (٢)، العدد (٦)، ٣١ كانون الثاني، العدد (٧)، العدد (٨)، ١١ آذار ١٩٤٠، السنة (١)، العدد (١٩)، ١ تموز ١٩٣٩.

(٧٦) انظر: النحاس، المصدر السابق، ص ١١٨ – ١١٩.

(٧٧) انظر: ذو النون ايوب، قصة حياته بقلمه، ج ٤، (فينا، ١٩٨٣)، ص ٥٠ وكذلك أحمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها، ص ٢١.

(٧٨) جريدة الجمهورية ١٣ نيسان ١٩٨٥.

(٧٩) للتفاصيل انظر: عبد الامير العكام، تاريخ حزب الاستقلال العراقي ١٩٤٩ – ١٩٥٤، (بغداد، ١٩٨٦).

(٨٠) احمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها، ص ٢٣.

(٨١) انظر: جريدة النضال، ١٩ آذار ١٩٤٨.

(٨٢) انظر: جريدة النضال، ١٩ نيسان ١٩٤٨، ٣٠ نيسان ١٩٤٨، ٧ حزيران ١٩٤٨.

(٨٣) النحاس، المصدر السابق، ص ٩٢.

(٨٤) المصدر نفسه، ص ص ٩٦ – ١٠٠.

(٨٥) المصدر نفسه، ص ص ٩٩ – ١٠٠.

(٨٦) انظر جريدة المستقبل، ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٨.

(٨٧) النحاس، المصدر السابق، ص ص ١٠١ – ١٠٣.

(٨٨) للتفاصيل عن هذا الفرع انظر: عبد الفتاح علي يحيى، الحياة الحزبية في الموصل ١٩٢٦ – ١٩٥٨، رسالة ماجستير قدمت لكلية الاداب – جامعة الموصل، ١٩٩٠ (غير منشورة)، ص ص ١٨٥ – ١٩٦.

(٨٩) للتفاصيل انظر: حزب الجبهة الشعبية المتحدة، الميثاق والنظام الداخلي، (بغداد، ١٩٥١).

(٩٠) جريدة الهدى، ٢٤ كانون الثاني ١٩٥٢.

(٩١) احمد، نشأة الصحافة في الموصل، ص ٢٦.

(٩٢) جريدة الهدى ١٢ حزيران ١٩٥٢ ولتفاصيل الموضوع انظر: يحيى، المصدر السابق، ص ١٩٥.

(٩٣) النحاس، المصدر السابق، ص ١١٣.

(٩٤) يحيى، المصدر السابق، ص ٢٠١.

(٩٥) انظر: جريدة النضال، ٢٣ أيلول ١٩٥٠.

(٩٦) النحاس، المصدر السابق، ص ص ١٢٩ – ١٣٠.

(٩٧) جريدة العمال ٥ أيلول ١٩٣١.

(٩٨) النحاس، المصدر السابق، ص ١٣١.

(٩٩) يحيى، المصدر السابق، ص ٨١.

(١٠٠) انظر على سبيل المثال: جريدة العمال ١١ تشرين الثاني ١٩٣١، ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣١، ١٢ كانون الاول ١٩٣١.

(١٠١) النحاس، المصدر السابق، ص ١٣٣.

(١٠٢) المصدر والصفحة نفسها.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص ١٣٨.

(١٠٤) انظر: الالهام، ١ كانون الاول ١٩٤٥ وكذلك النحاس، المصدر السابق، ص ١٣٩.

(١٠٥) النحاس، المصدر السابق، ص ١٤١.

(١٠٦) النحاس، المصدر السابق، ص ٢٣.

(١٠٧) سليم راضي سلمان، عبدالباسط يونس ودوره في نهضة الصحافة الموصلية، بحث غير منشور قدم الى قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٩٩٠، ص ١٢.

(١٠٨) مريم السناطي، عبدالباسط يونس رجب: رائد من رواد صحافة الخمسينات، جريدة الجمهورية ١٩ آب ١٩٩١.

(١٠٩) النحاس، المصدر السابق، ص ٢٣.

(١١٠) تضم مكتبته قرابة (٣٠) الف كتاب. انظر: النحاس، المصدر السابق، ص ٢٣.

(١١١) سلمان، المصدر السابق، ص ص ١٩ – ٢١.

(١١٢) احمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها، ص ٢٥.

(١١٣) جريدة الفجر، ٢٧ آب ١٩٥٠.

(١١٤) النحاس، المصدر السابق، ص ١٢٦.

(١١٥) أحمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها، ص ٢٦.

(١١٦) النحاس، المصدر السابق، ص ٨٢.

(١١٧) انظر أعداد جريدة المثال، وخاصة الاعداد الصادرة في ٣ تشرين الاول، ٧ تشرين الثاني، ٢٧ تشرين الثاني، ١٩٥٢ وكذلك النحاس، المصدر السابق، ص ٨١.

(١١٨) النحاس، المصدر السابق، ص ص ٨٢، ١٨١.

(١١٩) احمد، نشأة الصحافة في الموصل، ص ٢٧؛ النحاس، المصدر السابق، ص ٨٢.

(١٢٠) النحاس، المصدر السابق، ص ١٢٧؛ سلمان، المصدر السابق، ص ٣٩.

(١٢١) احمد، نشأة الصحافة في الموصل، ص ٢٦.

(١٢٢) سلمان، المصدر السابق، ص ٢٧.

(١٢٣) جريدة العاصفة، ١ حزيران ١٩٥٣.

(١٢٤) السناطي، المصدر السابق.

(١٢٥) المصدر نفسه.

(١٢٦) اصدر عبدالباسط يونس جريدة الهدف، بعد ان منح امتيازها في ٢٧ ايار ١٩٦٣ وهي جريدة اسبوعية غير سياسية، ثم اصبحت يومية وقد استمرت في الصدور حتى سنة ١٩٦٩ حين صدر القانون الجديد للمطبوعات وبتوقفها، تفرغ عبدالباسط يونس الى ادارة مطبعته (الهدف) ومكتبته (المكتبة).

(١٢٧) السناطي، المصدر السابق.

(١٢٨) انظر مقالته الافتتاحية التي نشرها بعنوان: «في العراق شعب جريح» في جريدة المثال ٦ حزيران ١٩٥٠ وكذلك تقديمه للعدد الاول من جريدة العاصفة. ١ حزيران ١٩٥٣.



التاريخ والمؤرخون الموصليون المعاصرون

د. ابراهيم خليل احمد

مقدمة :

أسهمت الموصل منذ زمن مبكر في تطوير الكتابة التاريخية العربية، وقدمت أنماطاً مختلفة من هذه الكتابات. كما جادت بعدد وفير من المؤرخين الذين لايزالون يتمتعون بشهرة فائقة بين المؤرخين العرب. وحينما قامت النهضة العربية المعاصرة في القرن التاسع عشر، وترددت أصداؤها في الموصل كان الاهتمام بالتاريخ واحداً من أبرز مظاهرها. وكان لتأسيس المدارس الحديثة في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر، وادخال مادة (التاريخ) ضمن المناهج الدراسية لها أثر كبير في زيادة الاهتمام بالدراسات التاريخية. وقد ادى هذا التطور الى ان تولد حاجتان اساسيتان اولاهما: ضرورة وجود ملاك متخصص بتدريس هذه المادة. وثانيها ظهور الحاجة الى تأليف كتب منهجية تناسب مراحل الدراسة. وقد نص قانون اصلاح النظام التعليمي في الدولة العثمانية الصادر في اب ١٨٤٦ على أن يدرس (التاريخ العثماني) الى جانب (التاريخ الاسلامي) و (التاريخ العام) و (التاريخ الاوربي)[١].

كما أسهمت المدارس التبشيرية في الموصل، فضلاً عن المدارس الرسمية، في تدريس مادة التاريخ. وانصرف عدد من مدرسيها الى تأليف كتب منهجية. ويُعد اغناطيوس افرام رحماني (١٨٤٩ – ١٩٢٩) من اوائل الذين الفوا الكتب المنهجية، ومن كتبه: «التواريخ القديمة»، و «تواريخ القرون الوسطى» و «تاريخ القرون الحديثة»[٢].

وبعد الانقلاب الدستوري العثماني سنة ١٩٠٨، تبلور الوعي القومي العربي في الموصل، وكان لذلك تأثير كبير في حركة الاهتمام بالتاريخ وشاركت الصحافة الموصلية بذلك منذ نشأتها، فعلى سبيل المثال حرصت جريدة النجاح بعد صدور عددها الاول في ١٢ تشرين الثاني ١٩١٠، على توجيه الانظار الى التاريخ العربي، ودعت الشباب الى قراءته والنظر فيه نظرة تدقيق وامعان. ولم يقتصر الأمر على الصحف الموصلية، بل كان للصحف البغدادية والمصرية والشامية واطلاع المثقفين الموصليين عليها أثر في زيادة الاتصال الثقافي، وتعميق الوعي باهمية التاريخ عاملاً من عوامل النهضة القومية[٣].

وخلال القرن التاسع عشر غدت الموصل مركز إستقطاب مهم لعلماء الآثار والرحالة الاوربيين وللمبشرين وللقناصل والدبلوماسيين، وذلك لأهميتها الجغرافية والاقتصادية وكان من نتائج هذا الاهتمام تطور الدراسات التاريخية وبروز علم جديد باسم «علم الآشوريات». وقد كانت التواريخ والآثار الآشورية التي اكتشفت قرب مدينة الموصل، موضوعاً لهذا العلم[٤].

واستخدم المثقفون الموصليون المسرح أداة لنشر الوعي التاريخي، وايقاظ الفكر وتنبيه الاذهان. ويعد سليمان صايغ الموصلي (١٨٨٦ – ١٩٦١) من ابرز كتاب المسرحية التاريخية في العراق واكثرهم انتاجاً. وكان لمعرفته اللغتين الانكليزية والفرنسية واطلاعه على آدابها أثر كبير في توسيع مداركه، وتزويده بخبرة مسرحية جيدة. ومن اوائل مسرحياته مسرحية «الزّباء» التي مثلت سنة ١٩٣٣ على مسرح مدرسة شمعون الصفا في الموصل[٥].

وبعد موافقة الحكومة العثمانية على بعض مطالب المؤتمر العربي الاول في باريس سنة ١٩١٣، ومنها ان يكون التدريس في المدارس الابتدائية باللغة العربية، فضلاً عن اللغة التركية، لجأ عدد من العاملين في الحركة القومية العربية في الموصل الى طبع مجموعة من الأناشيد العربية الحماسية التي تتغنى بمجد العرب وتأريخهم الزاهر في

كتاب بعنوان «الأناشيد الموصلية للمدارس العربية». كما انصرف عدد من قادة الحركة الى التبرع بالقاء دروس التاريخ العربي الاسلامي في بعض المدارس التي اتخذها القوميون مركزاً لنشاطهم السري ضد العثمانيين، ومن هؤلاء محمود الملاح، وهو من ابرز علماء ومثقفي الموصل آنذاك[٦].

ولقد شهدت دراسة التاريخ نمواً ملحوظاً بعد تشكيل الحكومة العراقية سنة ١٩٢٠ وفي عهد ادارة المفكر القومي ساطع الحصري (١٨٨٠-١٩٦٨) للتعليم الوطني في العراق والممتدة من سنة ١٩٢٢ حتى سنة ١٩٢٧، اصبح «التاريخ» في مقدمة الأمور التي تم التأكيد على أهمية التوسل بها لتقوية الشعور الوطني والقومي في نفوس ابناء العراق وتحفيزهم لمواجهة سلطات الانتداب البريطاني، وبث الايمان بوحدة الامة العربية بينهم[٧]. وكان من أبرز مايلحظ على منهج الحصري التعليمي اهتمامه بالتاريخ واللغة العربية. ومن هنا فقد كان لساطع الحصري تأثير كبير ليس على النظام التعليمي في العراق وحسب، وانما على الاتجاه القومي العربي في العراق كله[٨].

عوامل تطور الكتابة التاريخية المعاصرة في الموصل:

حظيت الموصل بعد الحرب العالمية الاولى وإثر تشكيل الدولة العراقية سنة ١٩٢١ وتعاظم الحركة الوطنية بنخبة طيبة من المؤرخين الذين اتخذوا من التاريخ وسيلة من وسائل التوعية الوطنية والقومية. وفي الوقت نفسه اخذ هؤلاء المؤرخون على عاتقهم تحقيق التواصل مع المؤرخين الموصليين الذين سبقوهم وخاصة في مجال التأريخ لمدينتهم وحفظ اسمها عبر العصور، وابراز دورها الحضاري. وكان من نتائج هذا التوجه صدور كتابات تاريخية متنوعة والتطرق الى موضوعات دقيقة ومهمة لم نشهدها في المؤلفات التاريخية السابقة[٩]. وقد وقفت وراء هذه النهضة التاريخية عوامل عدة أبرزها:

١- وجود تنظيمات سياسية وثقافية، أهتمت بالتاريخ واحتضنت المؤرخين وشجعتهم على تأليف الكتب ونشر الدراسات التاريخية، ومن هذه التنظيمات جمعية العلم، وجمعية العهد، والنادي العلمي، والنادي الادبي، ونادي الجزيرة[١٠].

٢- صدور مجلات أدبية متعددة وخاصة خلال الفترة من سنة ١٩٢٦ وحتى ١٩٥٨، كان من ابرزها مجلة (المجلة) التي صدر عددها الاول في الاول من تشرين الاول ١٩٣٨. وقد وضعت هذه المجلة «التاريخ» في مقدمة اهتماماتها، حتى انها خصصت صفحات خاصة بعنوان: «صحيفة التاريخ» قدمت فيها دراسات تأريخية مختلفة، وأسهم في تحريرها عدد من مؤرخي الموصل امثال سعيد الديوه جي وعبد المنعم الغلامي[١١].

٣- وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية، ومع تنامي الافكار الديمقراطية، وازدياد اهتمام الدولة بارسال بعثات دراسية الى الجامعات الاوربية والامريكية للتخصص في مجال دراسة وتدريس التاريخ وتنامي دور بعض المعاهد والكليات الجامعية العراقية، ومنها دار المعلمين العالية وكلية الآداب والعلوم بجامعة بغداد، ووصول طلائع المتخصصين بالتاريخ الى العراق بعد انجاز دراساتهم العليا في اوربا والولايات المتحدة الاميركية وتأسيس اقسام متخصصة بالتاريخ، تطور البحث العلمي التاريخي، وخاصة في مجال استخدام (التقنية) والسعي للحصول على الوثائق والمصادر الاساسية ودراستها وتحليلها وتقديم دراسات علمية تهتم بتدقيق الحادثة التاريخية وتفسيرها وعرضها دون الالتزام بنظرية معينة[١٢].

٣- رواد الكتابة التاريخية المعاصرة في الموصل:

ظهرت في الموصل مجموعتان من المؤرخين المعاصرين، تمثلت المجموعة الاولى منها بالمؤرخين



من غير الاكاديميين من الذين اعتمدوا الكتابة التاريخية وسيلة من وسائل التثقيف والتوعية القومية دون التركيز كثيراً على المنهجية العلمية. أما المجموعة الثانية التي تمثلت بالمؤرخين الاكاديميين المتخصصين، فقد ركزت على تطبيق اسس البحث العلمي التاريخي وتقديم دراسات متخصصة مع مراعاة حقيقة ان فهم الماضي مهم لأدراك الحاضر، وان تكوين الوعي التاريخي ضروري اذا اردنا فهم مشاكلنا الحاضرة والتخطيط لمستقبل أفضل.

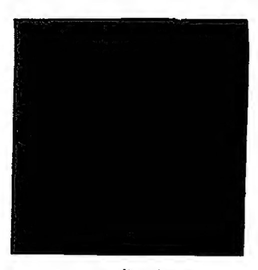
أ - مجموعة المؤرخين من غير الاكاديميين:

ارتبطت المجموعة الأولى التي تضم المؤرخين من غير الاكاديميين بالحركة الوطنية في العراق. وقد اهتم هؤلاء من خلال كتاباتهم التاريخية بأبراز ماتجاهله المؤرخون الغربيون، ولاسيما الانكليز الذين درسوا تاريخ العراق الحديث من منطلقات ومفاهيم استعمارية كان من ابرز اهدافها طمس تراث العرب، وغمط نضال العراقيين واغفال حيويتهم وقدرتهم على البناء ومواجهة التحديات[١٣] وقد تبنى هذا الاتجاه الوطني نوعاً من المنهج لايكاد يخرج عن التركيز على حركة الاستقلال وابراز دور التنظيمات السياسية الوطنية والقومية ضد المحتلين، وتأكيد مبدأ الوحدة والتآلف الاجتماعي، والتعريف بتاريخ الموصل وتراثها وربط الأحداث بالشخصيات ومحاولة الوصول الى دلالات ومعان تفيد في بناء المجتمع وتسهم في شحذ الهمم وتنمية الثقافة ونشر الوعي الوطني والقومي.

ومع ان المؤرخين الذين مثلوا هذا الاتجاه من غير العاملين في الجامعات او المتخصصين بالتاريخ قدموا دراسات مهمة أغنت البحث التاريخي، الا انهم لم يلتزموا بما عرف فيما بعد بـ «المنهج التاريخي» العلمي وخاصة من حيث مسح المصادر الاساسية واستخدامها ومحاولة تحليل المادة العلمية وتفسيرها. لذلك اقتصرت كتاباتهم على الجوانب التسجيلية للعملية التاريخية، وافتقدت السياق الفكري الموحد. لكن هذا لايمنعنا من القول بأن ماكتبه ممثلو هذه الاتجاه لايخلو من رؤية متميزة. هذا فضلاً عن ان الحقائق التي أوردها هؤلاء تشكل بحق مجموعة قيمة من المعطيات المتعلقة بجوانب واسعة من الموضوعات التاريخية التي دارت حول تاريخ الموصل، وتراثها ومؤسساتها القضائية والادارية والبلدية والمعمارية والتعليمية وكذلك تركيبتها الاجتماعية ودورها في الحركة الوطنية العراقية، واسهاماتها في النشاط السياسي القومي العربي. اما ابرز رواد هذا الاتجاه فهم: محمد امين العمري وسليمان صايغ وعبد المنعم الغلامي وصديق الدملوجي وداؤد الجلبي، واحمد علي الصوفي ومحمد صديق الجليلي وسعيد الديوه جي وخيري امين العمري.

محمد أمين العمري (١٨٨٩ - ١٩٤٦):

ولد محمد أمين العمري في الموصل في ٧ تشرين الاول ١٨٨٩، واكمل دراسته الاولية في الموصل، ودخل المدرسة العسكرية ببغداد، وتخرج من



محمد امين العمري

مدرسة المدفعية العالية في استانبول وعمل ضابطاً في الجيش العثماني. وبعد تشكيل الجيش العراقي في ٦ كانون الثاني ١٩٢١ كان العمري من ابرز قادته. ويعد من مؤسسي كلية الاركان العراقية، وعمل معلماً فيها سنة ١٩٢٨. وفي سنة ١٩٣٥ عين معاوناً لرئيس اركان الجيش وانيطت به قيادة منطقة الموصل العسكرية سنة ١٩٣٧ وكان برتبة امير لواء.. وقد قاد العمري في الموصل خلال هذه السنة حركة مضادة للحكومة التي جاءت بعد

انقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٦ ، وكان له دور في اسقاطها. وفي سنة ١٩٤١ أصبح رئيساً لأركان الجيش وفي ١٧ حزيران ١٩٤٦ توفي اثر مرض عضال الم به ودفن في جامع العمرية بالموصل[١٤] .

أسهم محمد أمين العمري في الحركة الوطنية الموصلية في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، فبعد انتهاء الحرب ، عاد العمري الى مسقط رأسه ، وفي ايار ١٩١٩ انضم الى العاملين في جمعية العهد العراقي فرع الموصل واصبح احد اعضاء الهيئة الادارية للجمعية الى جانب محمد رؤوف الغلامي وضياء يونس وابراهيم عطار باشي ومصطفى ذهني الجليلي وسعيد ثابت وياسين العربيي وعبد الله باشعالم العمري. وقد قامت هذه الجمعية بدور كبير في النشاط السياسي والثقافي المعادي لسلطات الاحتلال البريطاني[١٥] .

الف العمري مجموعة من الكتب التاريخية العسكرية ، ويُعد كتابه «تاريخ حرب العراق خلال الحرب العظمى ١٩١٤ - ١٩١٨» من أبرزها. وهذا الكتاب ، مكمل لكتاب «حرب العراق» الذي ألفه طه الهاشمي بجزئين يتناولان «الوقائع الحربية منذ اعلان النفير في اول آب ١٩١٤ حتى معركة ام الطبول في الاول من كانون الاول ١٩١٥ . ويذكر العمري انه استأذن الهاشمي في اكمال الكتاب وملاحقة سلسلة الوقائع الحربية منذ سنة ١٩١٥ حتى ١٩١٨ . ومما يجعل لكتابه هذا قيمة علمية أن مؤلفه كان ضابطاً في الجيش العثماني ، هذا فضلاً عن قيامه بتدريس مادة «حرب العراق» في كلية الأركان العراقية خلال السنوات من ١٩٣٠ وحتى ١٩٣٢ .. كما انه اعتمد وثائق رسمية عثمانية وبريطانية والمانية[١٦] .

وكان لنشاطه السياسي الوطني خلال فترة الاحتلال البريطاني أثر كبير في حصوله على وثائق مهمة ، ساعدته في تأليف كتابه الموسوم «تاريخ مقدرات العراق السياسية» والذي نشره باسم اخيه محمد طاهر العمري ببغداد سنة ١٩٢٥ . وقد اخبرني بذلك المرحوم الدكتور فاضل حسين[١٧] وقال ان السبب يرجع الى ان ظروفه بوصفه عسكريا انئذ لم تكن تسمح باصدار كتاب ذي طابع سياسي[١٨] . ويقع هذا الكتاب في ثلاثة اجزاء. وقد اشار المؤلف الى أن الكتاب ماهو إلا «تاريخ سياسي يبحث عن تطور علاقات الدول الاوربية في العراق وعن سر القضية العربية والثورة الحجازية والقضية العراقية ، وعن ثورات العراق عام ١٩١٩ - ١٩٢٠ مفصلاً ومستنداً الى وثائق رسمية وخصوصية» .

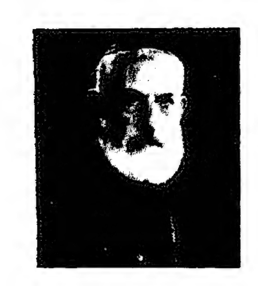
ومما يوخذ عليه انه مر بالثورة العراقية سنة ١٩٢٠ مر الكرام «في حين كتب تفصيلات كثيرة عن حوادث دير الزور وتلعفر وغيرهما. وانه «في الوقت الذي نجده يطنب في ذكر جهود جمعية العهد في سوريا والعراق ، فانه يورد معلومات مقتضبة عن الثورة العراقية ، يضاف الى ذلك ان العمري خصص اكثر من نصف كتابه الذي هو عن العراق ، للبحث في شؤون البلاد العربية المجاورة»[١٩] .

ان تاريخ مقدرات العراق السياسية[٢٠] يعد المصدر الاساس للنشاطات القومية العربية في الموصل خلال الاحتلال البريطاني وما اورده عن اوضاع الموصل السياسية والاقتصادية خلال السنتين اللتين اعقبت الاحتلال البريطاني ، يعد مادة أساسية لمن يتصدى لكتابة تاريخ الموصل المعاصر. ومع ان العمري اعتمد «التدقيق والتحليل واستنباط الخلاصات» كما يقول[٢١] فان ما كتبه لم يكن يخلو من حماسة[٢٢] ، ومما يزيد في قيمة ما كتبه انه شاهد عيان له مشاركة فعلية في كثير من الاحداث. كما ان الوثائق التي استخدمها جعلت من الكتاب ، مصدراً وثائقياً من الطراز الاول[٢٣] .

سليمان صايغ (١٨٨٦ - ١٩٦١) :

لم تشهد الموصل منذ ان فرغ المؤرخان العمريان محمد امين وياسين من كتابة مؤلفاتها في اواخر القرن التاسع عشر من اهتم بتدوين اخبارها حتى مطلع القرن العشرين ، حين ظهر سليمان صايغ واصدر كتابه الشهير «تاريخ الموصل» في ثلاثة اجزاء[٢٤]





سليمان صايغ

مجموعة بهنام حبابة

وسليمان صايغ رجل دين مسيحي ولد في الموصل سنة ١٨٨٦ واتم دراسته اللاهوتية في مدارسها الدينية ثم اشتغل بالتعليم ، وادارة المدارس وصار عضواً في لجنة فحص المدارس الاجنبية ، وترأس تحرير جريدة الموصل بعد معاودة صدورها عقب الاحتلال البريطاني . وعندما برزت مشكلة الموصل كان عضواً نشيطاً في جمعية الدفاع الوطني التي قامت بدور كبير في تأكيد عروبة الموصل ازاء مطالبة الاتراك بها[٢٥] .

أصدر سليمان صايغ مجلة (النجم) وهي مجلة شهرية دينية تأريخية اجتماعية وذلك سنة ١٩٢٨ . وقد اهتمت المجلة منذ صدورها وحتى توقفها في اذار ١٩٥٥ بالدراسات الدينية والتاريخية[٢٦] .

ويرجع ذلك الى ان صايغ ، كان يرى أن «التاريخ من العلوم الجليلة الفائدة ، ومن الفنون الجزيلة العائدة لطبقات الهيئة الاجتماعية جمعاء ، من علماء اعلام ، وسوقة طغام»[٢٧] .

وقد اعتمد صايغ في تأليف كتابه : تاريخ الموصل ، مصادر عديدة ، بعضها منشور وبعضها مخطوط . كما وقف على كمية جيدة من الاوراق الخاصة المحفوظة في بعض مكتبات الاسر الموصلية ، كالأسرة الجليلية والأسرة العمرية[٢٨] ويتناول الجزء الاول ، التاريخ السياسي . اما الجزء الثاني فقد كرسه لدراسة الحركة الادبية والعلمية في الموصل وخصص الجزء الثالث لنفائس الاثار وتاريخ التنقيبات .

لقد ترك سليمان صايغ مجموعة كبيرة من المقالات وخاصة في مجلة النجم[٢٩] ، ومن مقالاته : الفلسفة عند العرب ، وتاريخ الطب في العراق ، والبلاد العربية في مطلع القرن السابع عشر وتاريخ اكد وآشور .

إن سليمان صايغ يعد من اوائل المثقفين العرب الذين نبهوا الى مخاطر الصهيونية . وقد ربط من خلال دراسة له نشرت سنة ١٩٣٣ بين مخاطر الصهيونية والشيوعية والماسونية على الفكر والوجود العربيين[٣٠] .

وسليمان صايغ يبرز من بين الكتاب الرواد للمسرحية التاريخية في العراق . وقد حاول تقديم التاريخ باسلوب قصصي . لكنه ظل ملتزماً بتصوير الواقع ، مما جعل مسرحياته تخرج من بين يديه وكانها عرض تاريخي جاف[٣١] .

والسبب في ذلك يرجع الى انه اراد من وراء مسرحياته تحقيق امرين اولها الغرض الديني والحرص على نشر فكرة الاصلاح الاخلاقي والاجتماعي وثانيها جذب القارئ الى التاريخ وتقديم الحقائق اليه باسلوب بسيط خال من التعقيد . وقد جاءت كتاباته شبيهة بكتابات الكاتب المصري جرجي زيدان (١٨٦١ — ١٩١٤) وخاصة رواياته التاريخية التي استهدف من وراءها العمل على احياء وعي العرب لماضيهم[٣٢] . وقد بدا صايغ في اكثر اعماله ، مؤرخاً يهتم بالحقائق من جهة ، ويحرص على تأكيد مبدأ العبرة واستخلاص الدروس من الماضي من جهة اخرى[٣٣] .

ويبين صايغ اسباب اهتمامه بتاريخ مدينته الموصل فيقول : «وعلى هذا نجد اليوم تواريخ مسطرة لكل مدينة ، اشتهرت بآثارها ، واخبار دولها ومشاهير رجالها . إلا اننا لسوء الحظ لم نجد للموصل الخضراء تاريخاً خاصاً بها يوقفنا على قدميتها ، وينطوي على اخبارها ... على الرغم من ان الاقدمين من فحول علماء الموصل عنوا بتدوين تاريخها واستيعاب الطارف والتالد من اخبارها[٣٤] .

ويضيف صايغ الى ذلك ان رغبته في خدمة

ابناء وطنه «من العامة الذين لايستطيعون مطالعة مجلدات ضخمة للوقوف على احوال الموصل» هي التي دفعته لكتابة تاريخ لام الربيعين «فسمت التصنيف وانا المفلس، وتعنيت أمراً ليس من شأني ولا أنا من رجاله رجاء نفع العامة ونيل رضا الخاصة.. وما قصدي من هذا العمل إلا إمحاض الخدمة لوطني». ويوضح منهجه من التأليف فيقول انه بعد مثابرة متواصلة على المطالعة مدة سنة ونيف «توفقت بعونه تعالى الى وضع هذا الكتاب، وقد سعيت جهدي في احكام الرصف ونقل الحقائق التاريخية الممحصة من مواردها ومآخذها معتمداً على اشهر المؤرخين الذين هم النبراس المهتدي والعمدة المنتدب اليهم كالطبري وابن الاثير وابن خلكان... وغيرهم من المؤرخين الحداث، وطنيين وغرباء. هذا عدا ماتلقيته من اقوال مأثورة ونقلته من اوراق خطية قديمة»[٣٥].

عبد المنعم الغلامي ١٩٠٤ – ١٩٦٧ :

ينتمي عبد المنعم الغلامي الى اسرة السادة الغلامية التغلبية الموصلية. وهي اسرة معروفة بالعلم والادب، وقد برز فيها شعراء وادباء ومؤرخون منهم الشيخ محمد بن مصطفى الغلامي (ت ١٧٧٢)



عبد المنعم الغلامي

صاحب كتاب «شمامة العنبر والزهر المعنبر» والذي يترجم لخمسين شاعراً واديباً من رجال القرن الثامن عشر، اربعين منهم من اهل الموصل[٣٦].

ولد عبد المنعم الغلامي في الموصل سنة ١٩٠٤ وقد اكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والاعدادية فيها، ودخل دار المعلمين في الموصل خلال السنة الدراسية ١٩١٥ – ١٩١٦ وبعد تخرجه منها عمل في مهنة التعليم حتى تقاعده سنة ١٩٥٨[٣٧]. وكان لأسرته، وخاصة اخاه محمد رؤوف الغلامي اثر كبير في توجهه نحو التاريخ والعمل السياسي القومي والوطني.. ذلك ان محمد رؤوف كان من ابرز المؤسسين لجمعيتي العلم السرية والعهد العراقي فرع الموصل واللتين قامتا بدور سياسي خلال الاحتلالين العثماني والبريطاني[٣٨]. وقد اسهم عبد المنعم الغلامي مع اخيه في العمل السياسي والصحفي. وكان ينشر في الصحف الموصلية والبغدادية باسمه الصريح او بأسماء مستعارة المقالات التاريخية والسياسية في جريدة صدى الاحرار الموصلية كانت يكتب باسم «مؤرخ» وفي جريدة العراق البغدادية باسم «تغلبي». اما في جريدة نصير الحق الموصلية فكان يكتب باسم «ابو وائل». توفي عبد المنعم الغلامي في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٦٧[٣٩].

الف عبد المنعم الغلامي كثيراً من الكتب التي تتناول تاريخ الموصل المعاصر ومن اوائل كتبه: «السوانح في الاحداث الوطنية» الذي اصدره سنة ١٩٣٢، وهو مقالات موثقة عن الحركة العربية القومية في الموصل قبيل الحرب العالمية الاولى وبعدها. أما كتابه الثاني، فهو «اسرار الكفاح الوطني في الموصل «١٩٠٨–١٩٢٥»». وقد نشر جزءه الاول ببغداد سنة ١٩٥٨، وفيه يتناول تاريخ التنظيمات السياسية الموصلية السرية والعلنية منذ الانقلاب الدستوري العثماني سنة ١٩٠٨ حتى تسوية مشكلة الموصل.

وأرخ الغلامي، لاحداث الانتفاضات التي اندلعت في شمال العراق خلال السنتين ١٩١٩ و ١٩٢٠ ضد سلطات الاحتلال البريطاني. وقد ابرز في هذا الكتاب دور جمعية العهد العراقي فرع الموصل في تفجير ودعم هذه الانتفاضات[٤٠].

وللغلامي كتب أخرى منشورة تتناول موضوعات تاريخية واجتماعية، وتنطلق من رؤية



وطنية وقومية ففي سنة ١٩٣٩ اصدر كتاب «خروج العرب من الاندلس» وبعد ذلك بسنة اصدر كتابه «مآثر العرب والاسلام في القرون الوسطى». وفي ١٩٥٠ نشر كتابه «بقايا الفرق الباطنية في لواء الموصل» وفي ١٩٥٥ صدر كتابه «الضحايا الثلاث»(٤١) الذي يروي احداث ثلاث قضايا شهدها تاريخ العراق الحديث، وهي قضية الشيخ عبد السلام البارزاني وقضية الشيخ ضاري الزوبعي وقضية الشيخ سعيد البرزنجي وكان لهذه القضايا الثلاث تأثيرات اجتماعية ايجابية وسلبية في التاريخ العراقي والموصلي الحديث وخاصة من حيث انعكاساتها على وحدة نضال العراقيين ضد المحتلين الاجانب.

وفي سنة ١٩٦٢ نشر الغلامي كتاباً بعنوان «جغرافية جزيرة العرب» وقد اشار في مقدمته الى الدافع الحقيقي وراء تأليفه هذا الكتاب وهو ان هناك «من يعرف جغرافية انكلترا أو فرنسا أو اميركا أو الاتحاد السوفيتي، اكثر بكثير مما يعرفونه عن الاقطار العربية» لذلك انتقد الغلامي مثل هؤلاء وقال انه اخذ على عاتقه وضع هذا الكتاب بين القراء كمحاولة منه للاسهام في التعريف باقطار الجزيرة العربية والخليج العربي(٤٢).

وللغلامي كتب غير منشورة منها كتاب «التآمر على وحدة العراق مابين ١٩١٨ — ١٩٣٣» وكتاب «الموصل ابان الحرب العالمية الاولى وفي ايام الاحتلال البريطاني» وكتاب «معارف الموصل في زمن الاحتلال ومابعده» وكتاب «تغلب في التاريخ» وكتاب «صور واحاديث» وهو مجموعة خطب ومقالات في التاريخ والسياسة والاجتماع سبق له نشرها في الصحف والمجلات العراقية والعربية خلال الفترة الواقعة بين سنتي ١٩٢١ و ١٩٥٨ وكتاب «تراجم معاصرة» وكتاب «الشيخ ضاري».

وفوق هذا فان الغلامي قد ترك اجزاءاً اخرى من كتب سبق له ان اصدرها، فهناك عدة اجزاء من كتابه «اسرار الكفاح الوطني في الموصل». وهناك الجزء الثاني من كتابه «الانساب والأسر الموصلية»، وكذلك الجزء الثاني من كتابه «ثورتنا في شمال العراق» والذي يتضمن عرضاً للحركات الثورية التي اندلعت ضد المحتلين الانكليز في تلعفر ودير الزور والجزيرة وجنوبي غربي الموصل.

كان عبد المنعم الغلامي في مقدمة الذين عملوا في النشاط السياسي في الموصل، لذلك انعكس توجهه الوطني والقومي في كتاباته، ومما ساعد على ذلك احتفاظه بوثائق ومنشورات وبيانات تتعلق بنشاط الاحزاب والجمعيات السياسية الموصلية، ومعظمها يعود الى اخيه محمد رؤوف الغلامي الذي تسلم مسؤولية بعض هذه الاحزاب والجمعيات(٤٣).

يقوم اسلوب عبد المنعم الغلامي في كتابة التاريخ على اساس ضبط الاحداث التاريخية، وتوثيقها واحكام الربط بينها وبين الاشخاص الذين لعبوا دوراً في صنع هذه الاحداث، لكنه كثيراً ما كان «يتجاوب مع الحوادث، ويتبادل مع عقول العاملين فيها بفكر عربي اسلامي»(٤٤) ومما يؤخذ على المؤرخ الغلامي، مبالغته في دور اسرته، وخاصة اخاه محمد رؤوف الغلامي في الحركة الوطنية في الموصل. كما انه كرر نشر الوثائق والاحاديث في اماكن متعددة، ولسنين مختلفة. ويتضح هذا في معظم كتبه التي هي بالاصل مقالات سبق نشرها في الصحف والمجلات(٤٥) ومع هذا فان الامر يمكن تفسيره على اساس ان الغلامي عند نشره تلك الصفحات المطوية من تاريخ الحركة الوطنية في الموصل كان ينطلق من حقيقة وضع المعلومات امام الاخرين، وخاصة من الذين اسهموا في صنع بعضها، وحين تنشر في الصحف والمجلات فانها تكتسب الحكم القطعي، وعندئذ يصبح في حالة عدم الاعتراض على مضامينها حراً فيقوم بنشرها في كتاب مستقل مع ملاحظة تثبيت ماورد اليه من ايضاحات(٤٦).

لقد حرص الغلامي على تدوين التاريخ المحلي لمدينته: الموصل. وكان من ابرز ماأكد عليه قدرة



هذه المدينة على مواجهة المحن والنكبات والمخاطر الشعوبية التي تعرضت اليها وآخرها محنة الموصل ابان سيطرة الشعوبيين عليها اثر فشل ثورتها في آذار ١٩٥٩ ضد الدكتاتورية القاسمية. ولذلك فان كتاباته التي تناول فيها اسرار الكفاح الوطني في الموصل اصطبغت بالصبغة الوطنية والقومية [٤٧]. وفي هذا الاطار نفسه تصدى الغلامي لكتابات المس بل، السكرتيرة الشرقية لدار المندوب السامي البريطاني، والتي ترجمها جعفر خياط في كتاب «فصول في تاريخ العراق القريب». وتمثل مقالات الغلامي الـ (٢٠) التي نشرها تعقيباً على الكتاب صورة واضحة للجهود العلمية التي دحض فيها الغلامي ادعاءات المس بل ومغالطاتها بشأن الحركة الوطنية وقادتها في العراق [٤٨].

لقد كان الغلامي، فوق ذلك من المؤرخين العراقيين الرواد الذين عرفوا فضل «الوثيقة» واهتموا بجمعها والحرص على استخدامها والاحاطة بمضامينها. ومكتبة أسرته ببغداد لاتزال تحتفظ بمجموعة كبيرة من رسائل ومعلومات ووثائق سياسية يتعذر وجودها لدى اي كان، وجميعها تتجلى فيها النشاطات والاعمال والحركات الوطنية والقومية التي شهدها تاريخ العراق السياسي الحديث [٤٩].

ولم تقتصر كتابات الغلامي على التاريخ المحلي، وانما نجده يهتم بالتاريخ العربي الاسلامي ويكتب عن حضارة العرب ودورهم في تكوين الحضارة الانسانية [٥٠] كما ابرز الغلامي دور الرجال في صنع التاريخ، ومن هنا كان تأليفه كتابي: «الانساب والأسر» [٥١] و «تراجم معاصرة» [٥٢].

وتدلل كتابات الغلامي ومقالاته التي انجزها خلال اربعين سنة من حياته الثقافية على مدى حيوية هذا المؤرخ وتأثيره في حياة مدينته السياسية والثقافية [٥٣].

صديق الدملوجي ١٨٨٠ – ١٩٥٨:

ولد صديق سعيد عبدالرحمن الدملوجي في الموصل سنة ١٨٨٠ وأكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والاعدادية في مدارسها واتجه نحو الوظيفة بعد ذلك اذ عين بوظيفة كاتب ومحصل للضرائب ثم مديراً لناحية المزورية (اتروش) سنة ١٩٠٥ وبعد



صديق الدملوجي

تشكيل الدولة العراقية عمل قائمقاماً في بعض الأقضية ومنها تلعفر والقرنة وفي سنة ١٩٢٧ اصطدم بأحد المفتشين الاداريين الانكليز، حينما كان قائمقاماً على القرنة فعزل من الوظيفة، وعاش حتى وفاته في ١٥ نيسان ١٩٥٨ بعيداً عنها متفرغاً لانجاز كتبه التاريخية [٥٤].

كان صديق الدملوجي محباً للعلم والبحث، ويبدو أن لأسرته الدينية دوراً في توجهه هذا.. فمنذ فترة مبكرة من حياته انكب على قراءة الكتب، وبدأ بتثقيف نفسه، وخلال فترة قصيرة اتقن لغات عدة، منها الفارسية والكردية فضلاً عن اجادته اللغة التركية. وقد اتجه نحو الصحافة، فعمل محرراً دائمياً في جريدة النجاح الموصلية التي صدر عددها الاول في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٠ باللغتين العربية والتركية وكانت لسان حال حزب الحرية والائتلاف المعارض للاتحاديين، وقد لاقى الدملوجي الكثير من العنت والاضطهاد بسبب مقالاته المناوئة للاتحاديين، لذلك احيل الى الديوان العرفي العسكري في الموصل سنة ١٩١٤ وطرد من الوظيفة، فاضطر الى الاختفاء اثر ذلك ولم يعد الى الموصل الا بعد سقوطها بيد الانكليز سنة ١٩١٨ [٥٥].



قضى الدملوجي جانباً من فترة اختفائه بين اليزيديين وكانت له علاقات مع زعمائهم ، وقد ساعده ذلك على تأليف كتابه «اليزيدية» الذي اصدره سنة ١٩٤٩ . وقيمة هذا الكتاب تنبع من الأسلوب الذي استخدمه في تأليفه ، حيث انه لم يقتصر على ما حصل عليه من مصادر ومعلومات مدونة ، وانما صرف مدة تتجاوز العشرين سنة بينهم[٥٦] .

وفي سنة ١٩٥٢ ، اصدر الدملوجي كتابه الثاني الذي يتعلق بتاريخ الاكراد ، وحياتهم السياسية والاجتماعية وقد اختار «امارة بهدينان الكردية» في العمادية لتكون مدخلاً يدرس من خلالها الاكراد وما يتعلق بهم من اخبار وحوادث . وفي الكتاب معلومات قيمة عن تاريخ الموصل الحديث ، وعلاقة ولاة الموصل الجليليين بحكام امارة بهدينان .

وفي الكتاب كذلك معلومات مهمة عن «الضرائب» العثمانية وانواعها ووسائل جبايتها . ومنها بحث عن سوء الادارة العثمانية للعراق وسعي الموظفين انذاك لنهب وسرقة اموال الناس[٥٧] .

ويبدو ان النزعة الحرة التي كان يتميز بها الدملوجي قادته الى الإهتمام بمدحت باشا ، الوالي العثماني المستنير الذي تولى ولاية بغداد خلال الفترة الواقعة بين سنتي ١٨٦٩ و١٨٧٢ وكانت له فيما بعد مواقف مشهودة في مجال الدعوة الى الحكم الدستوري في الدولة العثمانية ، وإجبار السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) الى اصدار الدستور سنة ١٨٧٦ . وفي سنة ١٩٥٢ اصدر الدملوجي كتابه «مدحت باشا» . ويبحث الكتاب في تاريخ الدولة العثمانية ، وحياة مدحت باشا وعلاقته بالسلطان عبدالحميد . وفي الكتاب كذلك معلومات جمة عن وضع الاقليات القومية والدينية في الدولة العثمانية .. وكتاب مدحت باشا ، ليس عرضاً لسيرة رجل مصلح ، وانما دراسة موثقة عن حركة الاصلاحات التي شهدتها الدولة العثمانية منذ اواخر القرن التاسع عشر[٥٨] .

وللدملوجي كتاب يتضمن خواطر ومقالات في التاريخ والاجتماع والادب ، ويميط فيه اللثام عن بعض الحقائق المتصلة بالاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة في عصره[٥٩] .

ومنهج الدملوجي في كتابة التاريخ ، يقترب كثيراً من المنهج العلمي المعروف لدى المؤرخين ، ففضلاً عن الحرص على الرجوع الى المصادر الاصيلة ، فإنه لا يتوانى «عن ان يتنقل من بلدة الى اخرى ، ومن قرية الى قرية ويجتمع بهذا وذاك ، وإذا ما طرق سمعه خبراً او حادثة شدّ الرحال غير مبالٍ بجميع العقبات التي تقف امامه ، وكم من مرة تعرض ... للموت في سبيل تحقيق أمنيته هذه ، وقد توصل اليها ، غير مكترث ، ولامبال بما لاقاه من أتعاب ، وما بذله من مال[٦٠] وكتاباه عن اليزيدية والأكراد خير دليل على ذلك . كما كان الدملوجي ينتقد المصادر والروايات التي يطلع عليها ، ويحاول مقابلتها واستقراءها للوصول الى الحقيقة ويقدم بعد ذلك مادته للقراء بأسلوب لغوي سلس . وكان يحرص على ان يضع بين يدي قرائه الاسباب التي دعته الى تأليف كتبه ويردد باستمرار انه يروم من خلال التأليف حل بعض المشكلات والمسائل التاريخية والاجتماعية التي يعاني منها بلده ، لذلك اكتسبت مؤلفاته شهرة شعبية .. اذ تداولها الشعراء ، وفي الوقت نفسه ، جلبت مؤلفاته له الكثير من المشكلات ، بسبب الموقف السلبي الذي وقفته السلطات الحكومية من هذه المؤلفات .. اذ ان معظم كتبه منع من التداول وتعرض للمصادرة ، وقد حدث هذا بالنسبة لكتابيه : اليزيدية والأنقاض[٦١] .

وكان الدملوجي ،سواء في مقالاته التي نشرها باسمه الصريح أو بأسماء مستعارة من قبيل «مؤرخ فاضل» و «الثائر المنفي» ،يحث الشباب على التوجه

نحو طريق العلم والتحرر من القيم والتقاليد البالية ، وكان حسه النقدي واضحاً ، لذلك دخل في حوار ونقاشات حادة مع بعض معاصريه من الكتاب والمؤرخين أمثال سليمان صائغ ومصطفى جواد ، حول بعض القضايا التاريخية والفكرية والاجتماعية .. وقد دللت تلك النشاطات على مقدرة هذا المؤرخ ، وحيويته ، وأكدت ريادته لفرع من فروع التاريخ ، ذلك هو التأريخ للأقليات القومية والدينية التي سكنت العراق منذ عصور سحيقة(٦٢) .

داؤد الجلبي ١٨٧٩ - ١٩٦٠ :

ينتمي داؤد الجلبي الى أسرة امتهنت الطب في الموصل منذ فترة مبكرة من تاريخها الحديث(٦٣) . ولد في ١٦ كانون الاول سنة ١٨٧٩ ودخل كتاتيب الموصل ثم التحق بمدرسة الآباء الدومنيكان ، ثم في المدرسة الاعدادية الملكية بالموصل وبعدها سافر الى استانبول سنة ١٨٩٩ ليدخل المدرسة الطبية العسكرية ويتخرج منها طبيباً عسكرياً سنة ١٩٠٩ وقد عاد بعدها الى الموصل ليعمل في احدى الوحدات العسكرية الطبية(٦٤) .

اهتم داؤد الجلبي بالتاريخ منذ وقت مبكر في حياته العلمية ، وقد قاده الى ذلك اتجاهه القومي العربي وحقده على السياسة العثمانية التي يعزو اليها تأخر العرب . وقد التقى الجلبي بنخبة من زملائه العسكريين الموصليين في منطقة الشعيبة سنة ١٩١٥ ، وابان المعارك التي دارت بين البريطانيين الغزاة والجيش العثماني . وكان في مقدمة هؤلاء مولود مخلص وقد كان الاثنان مندفعين نحو التيار القومي العربي ويسعيان من اجل الاستقلال عن الدولة العثمانية . وقد وقع داؤد الجلبي في أسر البريطانيين ولم يطلق سراحه حتى سنة ١٩١٦ ، وخلال هذه السنة حاول الالتحاق بالثورة العربية في الحجاز ، إلا انه لم يوفق فعاد الى الموصل بعد وقوعها تحت الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٨ ليعمل مع مثقفيها القوميين في تأسيس النادي العلمي سنة ١٩١٩ وقد انتخب الجلبي رئيساً للنادي الذي اسس ليكون مركزاً من مراكز النشاط القومي المعادي للبريطانيين(٦٥) .

وبعد اجراء الانتخابات لأول مجلس نيابي انتخب داؤد الجلبي نائباً عن الموصل في المجلس التأسيسي العراقي الذي اجتمع سنة ١٩٢٥ ليقرر الدستور . وبعد ذلك عاد الى طبابة الجيش وعين مديراً بالامور الطبية في الجيش العراقي في ١٧ تموز سنة ١٩٣٠ وفي ١٩٣٣ احيل على التقاعد . وتقديراً لخدماته عين عضواً في مجلس الاعيان (الشيوخ) سنة ١٩٣٧ لدورة واحدة امدها اربع سنوات . وخلال هذه الفترة ظل مداوماً على البحث والكتابة فضلاً عن ممارسته لمهنته في عيادته الخاصة الواقعة في شارع نينوى قرب السرجخانة حتى وفاته يوم الاحد ٢٩ ايار ١٩٦٠(٦٦) .

يعد داؤد الجلبي من ابرز ممثلي التيار القومي العربي في الموصل والذي بدأ بالظهور منذ الانقلاب الدستوري العثماني سنة ١٩٠٨ وقد اسهم الجلبي في الجمعيات القومية التي برزت في الموصل ، وخاصة جمعية العهد وكان من اعضائها النشيطين . وبعد تشكيل الدولة العراقية ، وجد الجلبي ان بلده بحاجة الى نهضة شاملة ، وان هذه النهضة لايمكن ان تتحقق إلا بالعلم والقوة . لذلك اصبح من دعاة الاصلاح والتجديد وقد تجلى ذلك من خلال المحاضرات التي كان يلقيها في بعض مدارس الموصل ، وكان التاريخ فيها محوراً اساسياً ، لانه كان يعتقد بان التاريخ وسيلة مهمة من وسائل النهضة وقد انكب على دراسة مصادر التاريخ ، واولع بمعرفة اسباب نمو الحضارات وعوامل تدهورها(٦٧) .

ومن اجل بعث التراث العربي ، واستخلاص مخزونه الثقافي ووضعه بين ايدي القراء قدم الجلبي دعوة لجمع الكتب الموقوفة في المدارس الدينية والمساجد والجوامع الموصلية وتسجيلها ، لتكون اساساً لداركتب عامة منظمة ومنسقة على نمط دور الكتب في البلاد المتقدمة . كما اهتم بجمع

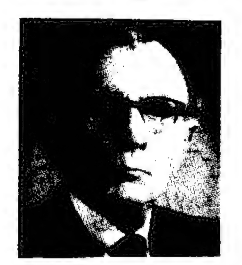


المخطوطات ودعا الى الاعتناء بها. وكان اول من عرف بمخطوطات الموصل ووثقها في كتابه القيم «مخطوطات الموصل»[٦٨].

وكان لاجادة داوْد الجلبي لبعض اللغات الاجنبية كالفرنسية والالمانية اثر كبير في زيادة تأثيره الثقافي في حياة مدينته : الموصل. وقد دعا الى رفد مكتبة الموصل المركزية العامة، بما انجزه الفكر الانساني من كتب تتعلق بتراث العرب وحضارتهم وباللغات الاوربية المختلفة حتى انه اقتنى مكتبة كبيرة احتوت على مئات الكتب، وكانت فيما بعد نواة لمكتبة خاصة به، وهي مكتبة داوْد الجلبي التي الحقت فيما بعد بمكتبة الاوقاف في الموصل .

أحمد علي الصوفي ١٨٩٧ – ١٩٨٢ :

ولد أحمد علي سليمان الصوفي في الموصل سنة ١٨٩٧ وقد تلقى علومه الدينية في جامع الرابعية، ثم اتجه نحو المدارس الرسمية فتخرج من المدرسة الاعدادية.وفي سنة ١٩٢٠ اتجه الى التعليم بتوجيه من قادة الحركة الوطنية في الموصل، وذلك في اطار حملة واسعة لبث الروح الوطنية والقومية بين النشء



احمد علي الصوفي

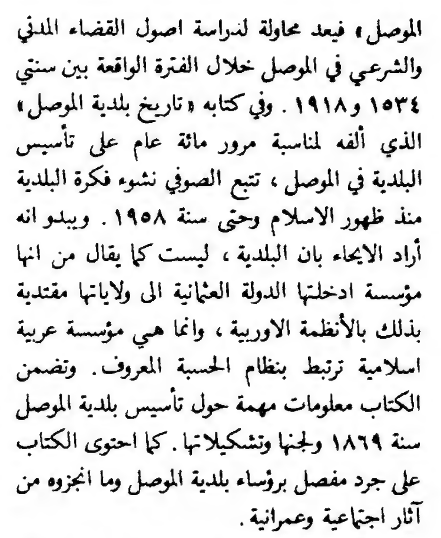
الجديد وترسيخ المفاهيم المعادية للاستعمار البريطاني. وقد عمل الصوفي مدرساً للتاريخ والجغرافية ثم معاوناً لمدير متوسطة المثنى حتى سنة ١٩٥٦ حين احيل على التقاعد[٦٩].

وخلال فترة قصيرة امتدت بين سنتي ١٩٣٤ و ١٩٣٧ عمل الصوفي في مفتشية الآثار القديمة، لكن سرعان ماعاد الى التدريس. وكان لتدريسه التاريخ، وعمله في الآثار، ولمعرفته الوثيقة بما كان يدور في الموصل من احداث سياسية واجتماعية وثقافية اثر كبير في تنمية ولعه بالتاريخ وتسجيله لجوانب مهمة من تاريخ العراق عامة وتاريخ الموصل الحديث خاصة[٧٠].

لقد ارخ الصوفي للآثار والمباني والمؤسسات والدوائر العدلية والبلدية في الموصل، وبذلك ادرك، قبل غيره من المؤرخين المعاصرين اهمية دراسة الجوانب الحضارية من العملية التاريخية، وابرازها على حساب الجوانب السياسية.. فاستحق بذلك صفة الريادة في هذا الميدان. واية نظرة الى تراثه التأليفي المنشور وغير المنشور تكشف حقيقة توجهاته التاريخية. ويعد كتاب «الاثار والمباني العربية والاسلامية في الموصل» من بواكير انتاجه اذ نشر في الموصل سنة ١٩٤٠. وبعد ذلك بتسع سنين نشر كتابه «المحاكم والنظم الادارية في الموصل». وفي سنة ١٩٥١ نشر «خريطة مدينة الموصل في عهد الاتابكيين». ثم وضع دليلاً لخارطته في سنة ١٩٥٣ وذلك في كتابه «خطط الموصل». وقد الف الصوفي كتاباً نشرته بلدية الموصل سنة ١٩٧٠ بعنوان «تاريخ بلدية مدينة الموصل».

وللصوفي مؤلفات غير منشورة منها كتابه «تاريخ وعبر» وكتابه «الموصل في أواخر العهد العثماني واوائل الاحتلال الانكليزي» وقد وجدته عنده سنة ١٩٧٣ مطبوعاً على الآلة الكاتبة وفيه يكشف جوانب خفية من تاريخ الموصل الحديث. كما ان له كتاباً مخطوطاً آخر عنوانه : «لمحات من تاريخ القومية العربية».

كان الصوفي ملماً بتاريخ الموصل، حريصاً على ابراز دورها الحضاري عبر العصور[٧١]. لذلك استأثرت كتاباته ولاتزال باهتمام الباحثين والقراء عموماً.. لما تنطوي عليه من جهد وملاحقة للحقائق واماطة اللثام عن كثير من «المبهمات والملتبسات» المتعلقة بتاريخ الموصل. فكتابه خطط الموصل، ماهو إلا تاريخ شامل ورصين لمدينة الموصل اما كتابه «المحاكم والنظم الادارية في



الموصل » فيعد محاولة لدراسة اصول القضاء المدني والشرعي في الموصل خلال الفترة الواقعة بين سنتي ١٥٣٤ و١٩١٨ . وفي كتابه « تاريخ بلدية الموصل » الذي ألفه لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس البلدية في الموصل ، تتبع الصوفي نشوء فكرة البلدية منذ ظهور الاسلام وحتى سنة ١٩٥٨ . ويبدو انه أراد الايحاء بان البلدية ، ليست كما يقال من انها مؤسسة ادخلتها الدولة العثمانية الى ولاياتها مقتدية بذلك بالأنظمة الاوربية ، وانما هي مؤسسة عربية اسلامية ترتبط بنظام الحسبة المعروف. وتضمن الكتاب معلومات مهمة حول تأسيس بلدية الموصل سنة ١٨٦٩ ولجنها وتشكيلاتها . كما احتوى الكتاب على جرد مفصل برؤساء بلدية الموصل وما انجزوه من آثار اجتماعية وعمرانية .

وللصوفي مؤلفات اخرى ذات شهرة تاريخية كبيرة منها كتابيه : « ارض السواد » و« حكايات الموصل الشعبية » وتأتي اهمية الكتاب الاول في انه اراد التدليل على عظم الحضارة العراقية وقدرتها على مواجهة النكبات والكوارث والتحديات (٧٢) . اما كتابه الثاني فقد جمع فيه (٢١) حكاية شعبية من الحكايات المتداولة في زمنه ، وقد راعى فيها ابعادها التربوية والاخلاقية وكذلك معالجتها لمشاكل الحياة المختلفة (٧٣) .

حقاً ، ان الصوفي من المؤرخين الذين استخدموا التاريخ ، وحرصوا على استلهام رموزه واحداثه بهدف تربوي واضح ، ودون الاخلال بشروط ومواصفات الكتابة التاريخية الرصينة .

محمد صديق الجليلي ١٩٠٣ - ١٩٨٠ :

ولد محمد صديق في ٢٠ تشرين الاول سنة ١٩٠٣ وتخرج من المدرسة الثانوية سنة ١٩٢٢ والتحق بدائرة البحث والتنقيب في كلية بيبلس بمدينة كنساس بالولايات المتحدة وهناك اكمل دراسته الجامعية ، وحصل على البكالوريوس والماجستير في العلوم ، ثم منحته الجامعة درجة دكتوراه فلسفة (٧٤) .



محمد صديق الجليلي

عاد الجليلي الى الموصل ، وآثر عدم الدخول في الوظيفة الحكومية ، متجهاً الى ادارة املاك أسرته والانصراف الى النشاط الاجتماعي والثقافي لذلك اختير في سنة ١٩٣١ عضواً في المجلس البلدي في الموصل. وحينما تأسست جمعية التراث العربي في الموصل سنة ١٩٧٣ انتخب رئيساً لها حتى سنة ١٩٧٧ . وكان فضلاً عن ذلك عضواً في اتحاد الكتاب والمؤلفين العراقيين. وقد شارك الجليلي في مؤتمرات علمية كثيرة داخل العراق وخارجه وكان يرتبط بصلات علمية مع مستشرقين وكتاب عرب واجانب (٧٥) .

انصرف الجليلي الى البحث والتأليف والتحقيق . وقد حرص في كل عمل قام به على ابراز شخصية الموصل الحضارية ودورها الفاعل عبر التاريخ ويتضح هذا من خلال نشر وتحقيق كثير من الكتب منها :

١ - الحجة على من زاد على ابن حجة تأليف الحاج عثمان الحيائي الجليلي ، وهو كتاب في علم البديع ، حققه ونشره في الموصل سنة ١٩٣٧ .

٢ - غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، لياسين العمري ، وقد عنى بطبعه ونشره في الموصل سنة ١٩٤٠ وهو كتاب في التاريخ .

٣ - الف كتاب « المقامات الموسيقية في الموصل » طبع سنة ١٩٤١ .

٤- الف كتاب بـ «التراث الموسيقي في الموصل» وطبع سنة ١٩٤١.
٥- الف كتاب «الاصطياف في حمام العليل» وطبع سنة ١٩٦٥.
٦- حقق ونشر كتاب حسن عبد الباقي الموصلي ١١٠٠- ١١٥٧هـ وطبع في الموصل سنة ١٩٦٦ [٧٦].

كما ترك عشرات المقالات والبحوث في التاريخ والفلك والتراث الموسيقي نشر معظمها في مجلات عراقية وعربية. وكان الجليلي معروفاً بخبرته في وضع سمت القبلة.. وقد فعل ذلك لكثير من مساجد وجوامع الموصل. كما صنع بضعة مزاول لاتزال قائمة في بعض ميادين مدينة الموصل. وساهم في حل رموز مزاول اخرى اكتشفت في سامراء والقيروان ودمشق، وكان يمتلك مكتبة كبيرة آلت الى المكتبة الوطنية ببغداد بعد وفاته ولم يكن يبخل على احد من الباحثين وطلبة الدراسات العليا، بما يتوفر لديه من مصادر ووثائق ومخطوطات وصحف [٧٧].

انشغل الجليلي فترة من الزمن في تأليف كتاب عن العائلة الجليلية وحكمها للموصل خلال الفترة الواقعة بين سنتي ١٧٢٦ و ١٨٣٤ إلا ان الكتاب لم ير النور. وعلى هامش تأليفه هذا الكتاب، اتجه الى نشر وتحقيق كتاب غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر لياسين العمري، الذي يتعرض لتاريخ الموصل خلال العهد العثماني وخاصة الاحداث بين ١٧٨٥ و ١٨١٠ [٧٨].

وبرع الجليلي في فن السِيَرْ والتراجم، ويظهر هذا واضحاً في ترجمته لعدد من المؤرخين والادباء الموصليين امثال الحاج قاسم اغا الرونقي وحسن عبد الباقي الموصلي. وفي هذا المجال نجد ان الجليلي لايقف عند حدود ملاحقة السير والتراجم، وانما يعمل على الربط بين حياتهم ونتاجهم من جهة واحداث الموصل السياسية والاقتصادية والاجتماعية وانعكاساتها عليهم بشكل او بآخر. كما انه لايغفل ملاحظة ورصد من كتب عنهم، ويحلل تلك الكتابات ويوظفها في رسم الصورة الحقيقية لمن يكتب عنهم.

وتعد دراسته التي الحقها بكتاب «ديوان حسن عبد الباقي الموصلي» ونشرها سنة ١٩٦٦ من أفضل وادق الدراسات التي تناولت سيرة وحياة الحاج حسين باشا الجليلي (ت ١٧٥٨) قائد المقاومة الموصلية ضد الغزاة الفرس سنة ١٧٤٣ وتتألف هذه الدراسة من (٣٣) صفحة. وفيها تتضح مقدرة الجليلي في البحث التاريخي. ويتناول في هذه الدراسة: اصول الاسرة الجليلية، وسبب توليها حكم الموصل، واثارها العمرانية والعلمية وسياستها تجاه العلماء والوجهاء واعيان المدينة وقادة الجيش وعلاقتها بالولاة في بغداد وحلب وتسلمها الحكم في ولايات عثمانية اخرى مثل بغداد وطرابلس الشام وديار بكر وكوتاهية وسيواس ووقائع الحروب التي خاضها القادة الجليليون الى جانب الحكومة المركزية العثمانية، والخلافات بين اغوات فرق الانكشارية وانعكاساتها على الاهالي وعادات الموصليين وتقاليدهم والصراع بين القوى المحلية والقوى الانكشارية [٧٩].

وفي الدراسة معلومات قيمة عن الجيش الانكشاري في الموصل، والكوارث الطبيعية التي تعرضت لها الموصل خلال العهد العثماني، كالمجاعات والامراض والاوبئة وتأثير ذلك على المجتمع الموصلي. كما ان هناك اخباراً عن تجارة الموصل وادارتها [٨٠].

واهم مافي هذه الدراسة الصورة التاريخية الحية التي رسمها الجليلي لحصار الموصل الشهير سنة ١٧٤٣ والذي ابتدأ في ١٠ أيلول ١٧٤٣ حين ظهرت طلائع الجيوش الفارسية بقيادة نادرشاه في سهل قرية يارمجة جنوب الموصل حتى يوم ٢٢ تشرين الاول سنة ١٧٤٣، وهو يوم انتهاء الحصار وانسحاب المعتدين الغزاة وعودة الحياة الى مجاريها الطبيعية والاحتفال بيوم النصر. وقد اعتمد الجليلي في هذه الدراسة على وثائق رسمية عثمانية ومخطوطات ودواوين شعر وكتب رحالة، ومذكرات لشهود عيان، مما يعطي لدراسته قيمة كبيرة

لايمكن لاي باحث في تاريخ الموصل الحديث تجاهلها[٨١] .

سعيد الديوه جي – ١٩١٢– :

ولد سعيد الديوه جي في الموصل سنة ١٩١٢ ، وتلقى دراسته فيها ثم سافر الى بغداد ليلتحق بدار المعلمين العالية سنة ١٩٣٠ وبعد تخرجه اشتغل في التعليم ، وعين سنة ١٩٤٤ مديراً لمعارف (تربية) الموصل. وفي سنة ١٩٥١ نقل الى



سعيد الديوه جي

مديرية الآثار العامة ليعمل مديراً لدائرة الابحاث الاسلامية الفنية . وقد كلف بالتحضير لفتح متحف حضاري في الموصل وتم فتح المتحف وأصبح الديوه جي مديراً له منذ سنة ١٩٥٢ حتى تقاعده سنة ١٩٦٨[٨٢] .

اولع الديوه جي بالتاريخ منذ صغره وساعده على ذلك الجو العلمي الذي عاش فيه ، حيث ان والده الشيخ احمد افندي الديوه جي (١٨٧٢– ١٩٤٤) وعمه الشيخ عثمان الديوه جي (١٨٧١– ١٩٤١) كانا معروفين باهتماماتها الفقهية واللغوية والرياضية ، وكذلك استفاد الديوه جي من دراسته ببغداد ، فمن الاساتذة الذين اثروا فيه احمد حسن الزيات وساطع الحصري ودرويش المقدادي وسليم النعيمي وطه الهاشمي وهؤلاء كانوا يدرسون في دار المعلمين العالية . وقد توجه نحو البحث والتأليف بعد فترة قصيرة من تخرجه وتعد مقالاته التي كتبها في مجلة (المجلة) الموصلية بعد صدورها في سنة ١٩٣٨ عن الموصل من اقدم ما كتب[٨٣] .

اما كتابه «الفتوة في الاسلام» فيعد من بواكير انتاجه وقد نشره سنة ١٩٤٠ وأهداه الى فتوة العراق ، وواكب فيه الديوه جي ظاهرة التوجه القومي العربي في العراق انذاك[٨٤] ثم اصدر سنة ١٩٥٢ كتابه عن الامير خالد بن يزيد الاموي المعروف باهتمامه بعلوم الحكمة . وفي سنة ١٩٥٥ نشر كتابه «بيت الحكمة» وخلال السنة ذاتها اصدر كتابين اولها «الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم في الاسلام» وثانيها «عقائل قريش» . وبين سنتي ١٩٥٨ و ١٩٨٢ اصدر كتباً عدة ابرزها : الموصل في العهد الاتابكي وجوامع الموصل ومدارس الموصل ، وتاريخ الموصل الذي نشر الجزء الاول منه سنة ١٩٨٢ .

وفضلاً عن الكتب التي ألّفها الديوه جي عن جوامع الموصل ومدارسها وصنائعها ومساجدها ، وتراثها وتقاليد الزواج فيها فإنه كتب سلسلة طويلة من البحوث والمقالات عن خطط الموصل ، وسور الموصل ، وجسر الموصل في مختلف العصور ، وقلعة الموصل ، والزخارف الرخامية في الموصل ، واهتم بتأليف دراسة موثقة عن «اليزيدية» قال عنها المؤرخ الاجتماعي الفرنسي المعروف (جاك بيرك) انها خير ما ألّف في هذا الميدان[٨٥] .

وانصرف الديوه جي الى تحقيق كتب تتناول تاريخ الموصل ، ولعل من ابرزها تحقيقه ونشره كتاب «منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء» لياسين العمري[٨٦] . وكتاب «منهل الاولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء» لمحمد امين العمري[٨٧] . وكتاب «ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء» لاحمد بن الخياط الموصلي[٨٨] . وكتاب «مجموع الكتابات المحررة في ابنية مدينة الموصل» لنيقولا سيوفي[٨٩] وكان الديوه جي باهتمامه بتاريخ الموصل يحرص باستمرار على التأكيد بأنه يسير على منهج المؤرخين الموصليين الذين عنوا



بتاريخ مدينتهم وألفوا فيها كتباً متعددة ومنهم الأزدي وابن الأثير وياسين العمري. وقد حاول في معظم كتاباته ان ينسج على منوال اولئك المؤرخين، وأن يجعل التأريخ علماً شعبياً، يتوجه الى جمهور الناس وبأسلوب سلس وواضح، ومن هنا فقد اكتسبت كتاباته سمعة طيبة بين القراء، حتى ان الناس في الموصل يعرفونه ويحرصون على قراءة مؤلفاته بكل دقة واهتمام. وقد حققت له كتاباته سمعة طيبة بين الموصليين وغيرهم. ويعتقد الديوه جي ان الاسلوب وسيلة، وليس غاية، وما دام الاسلوب وسيلة في عرض وقائع التاريخ فينبغي ان يجعلها المؤرخ وسيلة عامة، فالتاريخ يكتب للناس. وقد تميزت كتابات الديوه جي التاريخية بأنها ذات اسلوب غير معقد «فعباراته سهلة لا تزويق فيها، المعلومة اكثر من مضمونها الفني- اللغوي، وجمله تنقاد الى مضامين الاخبار بتلقائية، وشيئاً فشيئاً تتحول الى اسلوب الرواية او كأن كلامه صار هو ذاته، رواية من روايات التاريخ[٩٠].

اما سر اهتمامه بتاريخ مدينة الموصل فيرجع الى حبه لها واعتزازه بدورها فهي كما يقول قلعة العروبة والاسلام، وخاصة في العصور التي تسلط فيها الدخلاء على مقدرات الدولة العربية الاسلامية. كما ان للموصل فضل جمع وتوحيد العرب تحت راية واحدة ابان الغزو الصليبي. وقد صمدت امام غزو الفرس عدة مرات آخرها سنة ١٧٤٣ واستعصت على العثمانيين وحكمت نفسها بنفسها طيلة قرن من الزمان، حينما تولى الجليليون حكمها بين ١٧٢٦- ١٨٣٤، ومن هنا فان كتابات الديوه جي عن الموصل تعد مصدراً مهماً لمن يبحث في تاريخ هذه المدينة وتراثها وما فيها من صناعة وعلم وفن واثر تاريخي ومنشآت معمارية ومؤسسات ثقافية.. والديوه جي يعد من المؤرخين العراقيين الرواد الذين لم يقفوا عند التاريخ السياسي وحسب، بل كتبوا مؤلفات تتعلق بالنظم ومظاهر الحضارة العربية الاسلامية عبر العصور[٩١].

خيري أمين العمري- ١٩٢٦:

وهو ابن محمد امين العمري، المؤرخ الموصلي المعروف بكتاباته عن «تاريخ مقدرات العراق السياسية» و«تاريخ حرب العراق». ولد خيري العمري في بغداد سنة ١٩٢٦ وتخرج من كلية الحقوق (القانون) سنة ١٩٥٠ وعمل في المحاماة وشغل بعد ذلك مناصب عديدة، لعل من ابرزها انتدابه للتدوين القانوني. وكان للجو العلمي الذي عاش فيه، ولكون والده من العسكريين والمؤرخين المعروفين، اثر كبير في توجهه نحو التأليف التاريخي وولعه بتدوين احداث العراق السياسية ومتابعة سير شخصياته. وقد نشر خيري العمري الجزء الاول من كتابه «شخصيات عراقية» سنة ١٩٥٥. واحتوى الكتاب على ترجمة لاحدى عشرة شخصية عراقية برزت في ادوار مختلفة من تاريخ العراق الحديث[٩٢].

وفي ١٩٦٦ أصدر العمري كتابه «حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث». وقد تناول فيه بعض الاحداث البارزة التي وقعت في العراق الحديث وشغلت الرأي العام واثارت اهتمامه ردحاً من الزمن[٩٣].

كما اصدر سنة ١٩٧٨ كتابه الشهير «يونس السبعاوي سيرة سياسي عصامي» وفي ١٩٧٩ نشر كتابه «الخلاف بين البلاط الملكي ونوري السعيد» وهو بالاصل مجموعة محاضرات القاها في قسم التاريخ بكلية الاداب- جامعة البصرة في كانون الاول ١٩٧٧. ويعد هذا الموضوع من الموضوعات البكر في تاريخ العراق المعاصر. وقد كشف العمري في هذا الكتاب النقاب عن جذور كثير من الاحداث السياسية التي كانت صورها الظاهرة للعيان تختلف عن خلفياتها او صورها الحقيقية التي كانت تختفي وراء الستار. وقد اعتمد في دراسته هذه على بعض الوثائق البريطانية والعراقية وبعض مذكرات الساسة العراقيين سواء

المطبوع منها او المخطوط والتي اتيح له الوقوف عليها، وعلى احاديث بعض الرجال الذين كانت لهم ادواراً ببعض الحوادث ذات الصلة بموضوع الدراسة، وعلى رسائل كتبها نوري السعيد خلال سنتي ١٩٣٦ و ١٩٣٧ في اعقاب انقلاب سنة ١٩٣٦، حين لجأ الى القاهرة ووجه معظمها الى سيدة بغدادية كان لها صالونها الذي يتردد عليه بعض الساسة والادباء العراقيين آنذاك[٩٤].

ولخيري العمري مقالات عدة نشرها في الصحف والمجلات العراقية والعربية منها مقالته «عندما جاء موند الى بغداد»[٩٥] ومقالته «ذكريات عن كامل الجادرجي»[٩٦] ومقالته عن «جريدة الاهالي من ١٩٣٢ الى ١٩٣٧»[٩٧]، ومقالته عن «كامل الجادرجي في الثلاثينات»[٩٨] وجميع مقالاته تكشف جوانب خفية من تاريخ العراق المعاصر، لذلك فان طلبة الدراسات العليا في اقسام التاريخ يجلون فيها مادة خاماً لما يكتبونه من رسائل تخص العراق.

لقد اهتم خيري العمري بتقديم نمط من الدراسة التاريخية يعد جديداً في العراق. ويقوم هذا النمط على ربط دراسة الشخصيات بالاحداث التي لها اهمية في تاريخ العراق الحديث.. وهو حين يدرس هذه الشخصيات يحاول ان يكون موضوعياً ومحايداً جهد امكانه فيذكر مالها وما عليها دون ان يظهر عليه أي تحيز[٩٩]. ويعد العمري من ابرز المؤرخين الذين اعتمدوا طريقة «المقابلات الشخصية» مع الذين لهم صلة بما يكتبه وكان يعتمد تقديم اسئلة مكتوبة، ويطلب من تلك الشخصية الاجابة عنها وكثيراً ماكان يستخدم المذكرات الشخصية غير المنشورة لمن يكتب عنهم[١٠٠]. ومنهج العمري في دراسة بعض الاحداث يستهدف «التوصل الى حقيقة العوامل المؤثرة بها والاسباب التي ادت اليها والنتائج التي اسفرت عنها[١٠١]» ومنهجه هذا يعتمد الى حد كبير على ثقافته القانونية التي تستند الى الأدلة والبراهين قبل اصدار الاحكام وكتاباته هنا تشبه الى حد كبير كتابات المستشار المصري الاستاذ طارق البشري عن تاريخ الحركة السياسية في مصر المعاصرة[١٠٢].

ولاشك في ان دراسات خيري العمري تلقي اضواءً على بعض حلقات التاريخ العراقي المعاصر، وكل حادث يتطرق اليه، ويعرض جوانبه يعكس دلالة ويبرز مغزى. فعلى سبيل المثال ان اهتمامه مثلاً بحادثة العلاقة بين ناظم باشا والي بغداد سنة ١٩١٠ والفتاة الارمنية سارة يعكس الصراع الحزبي الذي كان دائراً بين حزب الاتحاد والترقي الحاكم آنذاك وحزب الحرية والائتلاف المعارض. كما ان دراسته حول العرش العراقي تبرز طبيعة التيارات السياسية والفكرية التي ظهرت في العراق في اعقاب الحرب العالمية الاولى، وتنازعت الرأي العام وسلطات الاحتلال البريطاني[١٠٣].

لقد انتقد العمري اولئك المؤرخين الذين ركزوا في كتاباتهم على جمع «المناهج الوزارية» و «تدوين مراسيم تأليف الوزارات». واغلب الظن انه يقصد كتابات المؤرخ عبد الرزاق الحسني، مؤلف كتاب تاريخ الوزارات العراقية ويقول ان مثل تلك الدراسات جاءت أقرب الى «التقويم» المعتمد على الحوليات، منها الى التأريخ الذي يستهدف التحليل للوصول الى الحقيقة. وهنا فان العمري يرى أن قيمة المؤرخ «لاتقف عند حد الجمع والتدوين بل تتجاوزه الى محاولة استنطاق تلك الوثائق بعد تحقيقها والتثبت من سلامة نصوصها بحيث يلعب المؤرخ دور القاضي، فيأتي بالشهود والرواة ويستجوبهم ويدقق فيما يرد من أقوالهم، ومايأتي من افادتهم وبعد ذلك يقابل تلك الروايات ويعرضها على القارئ باسلوب سلس واضح[١٠٤]».

وفي منهجه في كتابة السير وتراجم الشخصيات ابتعد العمري عن الاسلوب الذي كان ينتهجه بعض كتاب السير من قصر العناية على بيان ميلاد البطل وسنة وفاته والوظائف التي شغلها والمراكز التي تولاها، واسرته ونسبه واصله، والتركيز على الجوانب اللامعة والايجابية وتحاشي الخوض في

الجوانب الداكنة السلبية والتهرب من القضايا الخاصة، مما يجعل تلك السيرة جافة، لاتنبض بروح الحياة ولا تصور صاحبها إنساناً له (ضعفه) و (قوته) و (نزواته) و (أهواؤه)، بل تصوره ملاكاً يسمو على البشر واخطائهم، ويرتفع عن الآدميين واهوائهم، وانما حاول ان يقترب مما يسمى بـ (الاسلوب الواقعي) في كتابة السيرة، وهو الاسلوب الذي يقوم «على اساس كشف الحقائق المتعلقة بحياة (البطل) سواء تلك التي تتعلق بحياته الخاصة، او حياته العامة، خلافاً لاسلوب إزجاء الثناء الذي يتحاشى فيه بعض كتاب السير من التطرق الى الحياة الخاصة للعظماء، وكشف النقاب عنها، ورفع الاستار عن خفاياها»[١٠٥].

ويرفض العمري مثل هذه النظرة، ويقول «انها لم تعد مقبولة، لانه اصبح من الصعب ان ترسم خطوطاً فاصلة بين ماهو خاص وماهو عام». ويضيف «انه اذا كانت تلك الخطوط تبدو واضحة المعالم قبل عصر التحليل النفسي فانها لم تعد كذلك في ظل هذا العصر، إذ أصبح كل شيء عن حياة البطل يتصل بأعماله من قريب أو بعيد، يمكن الاستعانة به لفهم مواقفه ولمعرفة تصرفاته وتقويم ادواره»[١٠٦].

وإذا أردنا أن نجد معياراً رئيساً لتقويمنا اعمال خيري العمري الخاصة بالسير والتراجم فلا نجد الا معياراً واحداً وهو مدى اقترابه، وهو يؤرخ سير بعض الشخصيات العراقية، من الهدف التربوي والتثقيفي الذي ننشده عندما نقدم ماانجزه العمري في هذا المجال الى القراء. والحق ان العمري نجح نجاحاً كبيراً، وهذا ليس بغريب عليه، وهو الذي قدم «شخصيات عراقية» و «حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث» و «يونس السبعاوي» و «كامل الجادرجي» و «ياسين الهاشمي» وغيرهم. وتكشف كتاباته عن ان العمري يتمتع بميزتين اثنتين اولها: ثقافة تاريخية وقانونية واسعة يرفدها جهد علمي جاد ودؤوب وثانيها معرفة وثيقة بفن السير والتراجم.

ب. مجموعة المؤرخين الاكاديميين:

برزت اهمية هذه المجموعة، بعد الحرب العالمية الثانية، خاصة على اثر عودة طلائع البعثات العراقية التي ذهبت الى الغرب وهي تحمل درجة علمية متخصصة في التاريخ والاداب. وكأي حرفة لابد من ان يمتلك صاحبها ادوات البحث فيها، بدأت هذه المجموعة، من خلال الكتب والدراسات التي انجزتها في تكريس اسس الدراسة المنهجية في التاريخ، ومن ذلك التأكيد على العودة الى الأصول الأولية واستخدام قواعد علمية دقيقة لتجميع اثار الحدث التاريخي ونقده واعادة تشكيله كما وقع او قريباً مما حدث دون الالتزام بتفسير او نظرية جاهزة من تلك النظريات التي كانت سائدة انذاك[١٠٧] وقد كان لهذه المجموعة فضل كبير في تطوير الكتابة التاريخية المعاصرة في العراق. كما ارتبطت بسعيها الدؤوب في مجال تأسيس وتطوير أقسام التاريخ في الجامعات العراقية[١٠٨].

ونذكر من بين رواد هذه المجموعة المؤرخون الموصليون:
الدكتور عبد الجبار الجومرد والدكتور صالح احمد العلي والدكتور ياسين عبد الكريم آل عباس.

عبد الجبار الجومرد ١٩٠٩ - ١٩٧١:

ولد عبد الجبار الجومرد في الموصل سنة ١٩٠٩ واكمل دراسته الاولى في مدارسها. ثم التحق بدار المعلمين الابتدائية ببغداد وتخرج منها سنة ١٩٢٩. وواصل دراسته في المعهد العربي للحقوق في دمشق وتخرج سنة ١٩٣٥ وعاد الى الموصل ليمارس المحاماة. وفي سنة ١٩٣٦ التحق بالبعثة العلمية العراقية في باريس وحصل على الدكتوراه عن رسالته الموسومة: «الدستور العراقي عام ١٩٢٥ بين النظرية والتطبيق» وذلك سنة ١٩٤٠ وقد حالت ظروف الحرب العالمية الثانية دون عودته لبلده، فحصل على دكتوراه في الاداب سنة ١٩٤٤ من



الدكتور عبد الجبار الجومرد

جامعة باريس وكتب رسالته عن «الاصمعي» (١٠٩).

عايش الجومرد أحداث الموصل وتأثر بما كان يسود فيها من اجواء قومية بتأثير مطالبة تركيا بها. لذلك أسهم في الحملة الوطنية لتأكيد عروبتها مع مدرسيه وزملائه. ثم سعى لتأسيس ناد قومي في الموصل باسم «نادي الجزيرة». وقد انتخب الجومرد رئيسا له سنة ١٩٣٥ واستطاع من خلال نشاطاته الثقافية والسياسية ان يجعل النادي واجهة للعمل السياسي القومي شأنه في ذلك شأن نادي المثنى ابن حارثة الشيباني في بغداد(١١٠). وبعد اكماله الدكتوراه اتجه نحو الصحافة، فكتب سلسلة من المقالات ناقش فيها مسائل حيوية تمس حياة الشعب. وقد تميزت هذه المقالات بالرصانة والدقة وبراعة الاسلوب. وفي سنة ١٩٤٦ رشح للعمل في جامعة الدولة العربية، فسافر الى القاهرة، لكنه استقال من عمله بعد سنتين وعاد الى الموصل ليرشح نفسه نائباً عنها في انتخابات اول ايار ١٩٤٨. وكان للجومرد دور متميز في البرلمان، وذلك من خلال تركيزه على مطالب الشعب الحيوية، وانتقاده للسلطة الحاكمة لتجاهلها العمل على تحقيق سعادة الشعب ورفاهيته والاستجابة لمطالبه في الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وفي ١٩٥٠ استقال من البرلمان ليسهم في تأسيس حزب الجبهة الشعبية المتحدة، وليكون مسؤول فرع الموصل. كما رشح لانتخابات سنة ١٩٥٢ و ١٩٥٤ واسهم في تكوين جبهة وطنية انتخابية شعبية واسعة(١١١).

واثر ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ اختير وزيراً للخارجية في اول حكومة تشكلت في العراق الجمهوري. لكنه استقال في شباط ١٩٥٩ احتجاجاً على توجهات رئيس الوزراء آنذاك عبد الكريم قاسم الاقليمية والدكتاتورية. وعاد الى الموصل ليكمل مؤلفاته ويعيد تنظيم مذكراته الشخصية وبقي كذلك حتى وفاته في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٧١.

عرف الجومرد، حينما كان في باريس، بنشاطه القومي العربي، وبدفاعه عن قضية فلسطين والتعريف بها من خلال محاضراته وكان كتابه «مأساة فلسطين العربية» الذي نشره بالفرنسية سنة ١٩٤٥، قد نال شهرة واسعة بين الرأي العام وخاصة في مجال الوقوف ضد الدعاية الصهيونية في فرنسا(١١٢).

والجومرد يعد رائداً من رواد كتابة السير والتراجم في العراق. وقد اتجه في محاولة منه للتعريف بمواقف بعض الشخصيات التاريخية المعادية للشعوبية الى وضع مجموعة من الكتب ابرزها كتابه عن «هارون الرشيد» و «يزيد بن مزيد الشيباني» و «ابو جعفر المنصور». وكان منهج الجومرد في كتبه هذه يعتمد الاسس العلمية في الوصول الى الحقيقة التاريخية مع ملاحظة ابراز الدروس المستنبطة في تناول هذه الشخصيات والاحداث والوقائع، وبما يساعد القارئ على استلهام التاريخ واستحضار رموزه وعناصر البطولة فيه، وغرس قيم الخير وخدمة الانسانية(١١٣) ولم ينس الجومرد ان يقوي حجته بالعودة الى المصادر الاساسية والمراجع الحديثة «ويتبع منهجية البحث التاريخي، حيث حرص على تحري الموضوعية قدر الامكان في خضم الروايات المتناقضة والصور المتنوعة(١١٤)». والجومرد لم يبحث عصر الرشيد أو عصر أبي جعفر المنصور فحسب، بل مهد لهما عن الفترة التي سبقت عصرها «إلا ان الجومرد مثله مثل اي مؤرخ يتأثر بالاوضاع السائدة في عصره في العراق، كان حدياً في بعض احكامه، وربما حمل نصوصه اكثر مما تحتمل، او بالغ بعض الشيء في التفسير». ومع هذا فان لموقفه مايسوغه، ولاتزال



كتبه في السير والتراجم أفضل ماألفه العراقيون في هذا المجال[١١٥].

وللجومرد كتاب مهم في تاريخ الموصل، لايزال مخطوطاً وهو بعنوان: «الموصل والتاريخ منذ اقدم العصور حتى اليوم»[١١٦] ويتألف من (٢٠) فصلاً. وقد قدم له بما أسماه «تعريف» بقوله: «تاريخ مدينة الموصل قصة من اروع ماكتب الزمن فصولاً طوالاً، ومن امتعها خبراً، واغناها حدثاً، واغزرها فجاءة وتناقضاً. فهي من اعرق مدن الشرق الاوسط وامنعها قدما، عاشت اكثر من ثلاث الاف سنة، ذاقت خلالها حلو العيش ومره، وسعادة الحياة وبؤسها»[١١٧].

ويتطرق الجومرد الى الهدف من وضعه تاريخاً مفصلاً للموصل بقولة: إن عمله هذا ليس إلا مجهوداً اراد منه «خدمة لمن يهمه معرفة أمر الموصل، وحقيقة تاريخها، كمدينة اثرية ثمينة، ساهمت في موكب الانسانية على مختلف العصور، وقدمت في ايام عزها نماذج رائعة من ابنائها في ميادين العلم والادب والفن والفروسية، وبعثت في مواهبهم اشعة نحو طرق الحضارة قديمها وحديثها، وصمدت امام نكبات الزمن حتى اليوم»[١١٨].

وكتاب تاريخ الموصل، ليس كتاباً تسجيلياً لاحداث مرت بالموصل عبر العصور، وانما هو كتاب علمي يعتمد التحليل والنقد لذلك، فان للجومرد اراء مبثوثة في صفحاته، فعلى سبيل المثال هناك رأي في نشوء الموصل، ومناقشة لاخطاء المؤرخين القدامى في بعض الفترات الغامضة في تاريخ الموصل ورأي في اسباب سوء اوضاع الموصل خلال العهد العثماني، ورأي في سلوك الولاة العثمانيين، ورأي في سياسة الملك فيصل الرامية لاقامة «دولة عربية ذات سيادة» في العراق ورأي في انقلاب بكر صدقي ورأي في أسباب صمود الموصل بوجه التحديات، ورأي في مواجهة مجتمع الموصل المحافظ للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية منذ اواخر القرن التاسع عشر.

ويخلص الجومرد الى تأكيد أمرين يستلفتان النظر في تاريخ الموصل، اولهما صمودها وعدم تلاشيها امام كل التيارات الجارفة من الاحداث الجسام، وتمسكها باهداب الحياة امام تلك النوائب المهلكة، والأمر الثاني، وهو أكثر غرابة من سابقه، كما يقول الجومرد، ذلك ان الموصل حكمت من قبل شعوب واقوام ودول غريبة اصلاً ولغة وعادات وتقاليد زهاء ثمانمائة سنة، لكنها بقيت محافظة على عروبتها ولغتها العربية حتى اليوم.

ويرجع الجومرد صمود الموصل واحتفاظها بعروبتها الى عدة اسباب منها موقعها الجغرافي واتصالها من الجنوب الغربي بخط عربي عريض يمر بالعراق طولاً وينتهي بشبه الجزيرة العربية[١١٩].

والجومرد الذي عرف عنه اهتمامه بالسير والتراجم وماقدمه في هذا المجال، يؤكد مقدرته على التحليل ورسم صورة واضحة لمن يكتب عنه، نراه في تاريخ الموصل مولعاً بمتابعة الأسر والشخصيات الموصلية عبر العصور. فعلى سبيل المثال كتب عن الاسرة العمرية والاسرة الجليلية والاسرة العلوية، واسرة الغلامي، وأسرة ياسين المفتي وأسرة آل شويخ. كما ارخ لصفوة واسعة من علماء الموصل وادبائها امثال: الشيخ محمد الرضواني، والحاج احمد الجوادي، والحاج عبد الله النعمة، وعثمان الديوه جي، والملا عثمان الموصلي، والشيخ محمد الصوفي، والحاج محمد شيت الجومرد، والشيخ يوسف الرمضاني والسيد احمد الفخري، والشيخ محمد ضياء الدين الشعار، والحاج مصطفى البكري وسليمان بن مراد الجليلي، ومحمد حبيب العبيدي، وفائق الدبوني، ومحمود الملاح، والشيخ محمد نوري الفخري والدكتور داؤد الجلبي[١٢٠].

ان كتابات الجومرد التاريخية تتميز بسماتها القومية وبحرصها على التصدي لمحاولات الشعوبيين للانتقاص منها. فالجومرد يهدف الى كشف حقائق الاحداث، باسلوب علمي تحليلي، لذلك فانه يدافع في كل صفحة من كتبه عن العرب والعروبة، ويسعى لبعث الوعي في الحاضر، ولرسم مستقبل الامة الحضاري، وفي الوقت نفسه

يطالب الاجيال الصاعدة بالمزيد من دراسة تاريخ العراق والامة العربية ، ومن خلال اهتمامه بالسير والتراجم ، فانه رمي الى تقديم النموذج الحي ، والقدوة الصالحة ، وبذلك عبر في دراساته عن مبادئه القومية العربية ، وانتماءاته الوطنية الصادقة التي جعلت منه رائداً حياً من رواد حركة كتابة التاريخ المعاصرة ليس في الموصل وحسب ، وانما في الوطن العربي كله[١٢١] .

صالح أحمد العلي – ١٩١٨ :

ولد صالح أحمد العلي في الموصل سنة ١٩١٨ ، وأتم دراسته الابتدائية والمتوسطة فيها ثم تابع دراسته في بغداد وذلك في دار المعلمين الابتدائية ثم في دار المعلمين العالية وفي سنة ١٩٤١ نال شهادة الليسانس من قسم العلوم الاجتماعية بدرجة الشرف. وعين مدرساً في متوسطة البصرة وبعدها نقل الى بغداد ، حيث عمل في المتوسطة



د. صالح أحمد العلي

الغربية. وقد رشح ليكون عضواً في البعثة العلمية العراقية الى جامعة فؤاد الاول في القاهرة ١٩٤٣-١٩٤٥ . ثم سافر الى انكلترة والتحق بجامعة اكسفورد وحصل منها على درجة الدكتوراه بين سنتي ١٩٤٥- ١٩٤٩ عن رسالته الموسومة «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري» وباشراف المستشرق الانكليزي المعروف السر هملتون گب[١٢٢] .

عاد صالح احمد العلي الى بغداد ، وعين مدرساً في كلية الآداب ، وقد تسلم رئاسة قسم التاريخ عدة مرات ، وهو الآن رئيس للمجمع العلمي العراقي. ويعد العلي من ابرز المؤرخين العراقيين المعروفين في الاوساط العلمية في العالم. فخلال السنة ١٩٥٦ – ١٩٥٧ قضى فترة تدريس في جامعة هارفرد. كما حضر خلال السنوات السابقة معظم مؤتمرات الاستشراق التي عقدت في العالم ، ومنها على سبيل المثال مؤتمر المستشرقين الاميركيين في برنستون ١٩٤٧ ومؤتمر المستشرقين في ميونيخ ١٩٥٧ ، هذا فضلاً عن مؤتمرات علمية عدة داخل العراق وخارجه[١٢٣] .

للعلي مؤلفات كثيرة ، وقد عرف عنه اهتمامه بتاريخ صدر الاسلام والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي العربي ، وهو نمط من التاريخ ، لم ينل مايستحقه من اهتمام حتى يومنا هذا. وقد ظهر ولع العلي بهذا النمط منذ ان كان طالباً في دار المعلمين العالية ، ومقالاته وترجماته عن تراث الاسلام وانتقال العلوم العربية الى اوربا في مجلة (المجلة) الموصلية في سنة ١٩٣٩ تدل على ذلك[١٢٤] .

وفي سنة ١٩٥٤ نشر رسالته للدكتوراه. كما اصدر كتابه «محاضرات في تاريخ العرب» في السنة ذاتها. وهذا الكتاب ، هو بالاصل مجموعة محاضرات القاها على طلبة قسم التاريخ بكلية الاداب والعلوم ، بعد تعيينه فيها. ويتطرق في هذا الكتاب الذي لايزال يحتفظ بقيمته العلمية على الرغم من مضي قرابة اربعين سنة على صدوره ، الى المحاولات التي قام بها سكان الجزيرة العربية قبيل الاسلام لانشاء دول ذات نظام سياسي. كما يتتبع اثار الحضارات السابقة لظهور الاسلام على مجرى تاريخ الجزيرة العربية بصورة خاصة ، وتاريخ الانسانية بصورة عامة. ويتعرض الكتاب الى محاولات المؤرخين العرب والاجانب السابقة ويركز على الجوانب الحضارية والحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية اكثر من تأكيده على النواحي السياسية[١٢٥] .

ويبحث الكتاب في تاريخ ظهور الاسلام ، وخطوات الدعوة الاسلامية وانتشارها بتفصيل وافٍ



نسبياً نظراً لاهميتها الكبرى ، كما يقول في «كياننا الذاتي وفي تاريخ العالم». ويلزم الدكتور صالح احمد العلي نفسه بعدم الدخول في تحليل العقيدة الاسلامية ويقول ان ذلك من اختصاص علم العقائد ، أما كتب التاريخ فهي التي تتولى دراسة تاريخ نشوء العقائد وتطورها وانتشارها فحسب. ويسلك العلي منهجاً علمياً متطوراً في بحثه حين يقول انه حاول اعطاء الصورة التي اعتقد ان المصادر تصورها لتلك الفترة واضاف انه قصر عمله على «تنظيم المادة وعرضها ثم تحليلها ، ومحاولة ايجاد الصلة بينها ، وابراز ارتباطاتها مع الحوادث والمؤسسات الاخرى»[١٢٦].

ويرفض العلي ماسمي انذاك بالافكار المسبقة ، وانتقد المؤرخين المتأثرين بالمنهج الماركسي الذي يعتمد القوالب الجاهزة في التفسير والتي تؤدي بالباحث الى الاعتقاد بأن كل المجتمعات تمر بمراحل تؤول الى المصير المحتوم وهو انهيار الرأسمالية وقيام الاشتراكية ودكتاتورية العمال ! ![١٢٧]

كانت فلسفة العلي في تفسير التاريخ تقوم على أساس ان لكل حادثة تاريخية اسبابا متعددة ، ودوافع معقدة. كما ان نتائج كل حادثة قد تباين نتائج غيرها ، فقد تكون نتائجها متعددة او محدودة ، كبيرة او بعيدة المدى ، بعضها ظاهر سهل ادراكه ، وبعضها خفي يتطلب ذكاء وفطنة لكشفه واظهاره. فمعرفة العلل والاسباب والنتائج والاثار عملية مهمة ، ولكنها شاقة ، تعتمد على تفكير المؤلف وفطنته. ثم ان لكل حادثة عدة اسباب وعدة نتائج ، وهذه الأسباب والنتائج تختلف في اهميتها ، ومن واجب المؤرخ ان لايكتفي بتعداد الاسباب ، بل ان يقدر مدى اهمية كل سبب ، ويبين السبب التافه من المهم ، وكذلك النتائج وتقدير الاسباب والنتائج ومدى اهمية كل منها تتطلب ذكاءاً وفطنة وعقلاً واسعاً كما تتطلب اطلاعاً واسعاً على مجرى تاريخ الفترة او الأمر الذي يدرسه ، وكذلك تتطلب اطلاعاً على روح العصر الذي يدرسه والمقاييس السائدة فيه[١٢٨].

ولا ينفي العلي ان يكون لكل مؤرخ نظرة او فلسفة محددة ، فمن لانظرة له يكون فاقداً اهم مظاهر الانسانية وطابعها المميز ولكنه يقول انه ينبغي ان تكون نظرة المؤرخ واسعة وأفقه رحيباً وعقليته مرنة ، تقلب الامور ، وتختار ماتراه صحيحاً ، لا ماتريده ان يكون صحيحاً ، وهذه الرحابة والمرونة وحب الحق ينبغي ان تكون المعيار في تفضيل دارسي التاريخ[١٢٩].

ومع ان العلي يؤمن بان العلوم الطبيعية والعلوم التاريخية تهدف كلها الى غاية واحدة هي الوصول الى الحقيقة ، وعرضها عرضاً منظماً مترابطاً ، فانه يرى أن طريقة دراسة العلوم الطبيعية لايمكن تطبيقها بحذافيرها في دراسة التاريخ وذلك لعدة اسباب[١٣٠].

١- ان الاشياء موضوع الدراسة في التاريخ ليست امامنا لنستطيع لمسها أو مشاهدتها شأن الاشياء التي تدرسها الكيمياء والفيزياء مثلا.

٢- ان الاشياء التي تدرس في العلوم الطبيعية هي اجزاء دقيقة ، كالميتة ، فنحن عند دراستها لانحسب لبواطنها ودخائلها اي حساب ، ونقتصر في دراستها على مشاهدتها ومراقبتها من الناحية الخارجية ، فدراستها تتطلب بالدرجة الاولى الادراك دون البصيرة. اما الاشياء التي يدرسها التاريخ فهي كائنات حية ذات احساس وشعور وادراك باطني وتفكير ، ولايمكن عزلها عند محاولة دراستها شأن العلوم الطبيعية ، فلا بد من عدم الاكتفاء بظواهر الاعمال ، بل التوغل الى الاعماق ومحاولة فهم العوامل المؤثرة التي يلعب الانسان او موضوع الدراسة دوراً في تكييفه.

٣- في الدراسة الطبيعية يمكن التجرد التام ، وتجنب التأثير الشخصي للدارس في موضوع الدرس ، اما في التاريخ فمن الصعب التجرد التام[١٣١].

ان الدكتور صالح أحمد العلي يؤمن بأن الأزمنة الحديثة او العقود الأخيرة من زماننا على وجه التخصيص قد شهدت بروز العناية بدراسة التاريخ ، مع ان اهتمام الانسان بماضيه قديم ، ودراسته وتداوله ربما كانا يرجعان الى الزمن الذي وجدت فيه للانسان ذاكرة تعي وتحفظ ، ولسان ينطق وينقل مافي الفكر.. إلا ان الحاجة الراهنة قد ظهرت لاصدار كتب عامة تبحث في جوانب متعددة من التاريخ ، وعبر حقب طويلة . لذلك قاد الدكتور العلي ، في السنوات العشر الماضية ، فريقاً من المؤرخين العراقيين لاصدار سلسلة من المؤلفات العامة التي تبحث في تاريخ العراق وحضارته وصراعاته ومواجهاته للتحديات عبر العصور المختلفة . ويرى الدكتور العلي ان طبيعة مثل هذه المؤلفات تقتضي من المؤرخ ، فضلاً عن المعرفة الواسعة ، مزيداً من الفطنة والذكاء الذي يمكنه من وضع هيكل عام سليم ، يظهر فيه المجرى الصحيح للتاريخ ، وان يختار من الحقائق الكثيرة التي يعرفها ، فيثبت منها مايراه اهم من غيره ، وأقوى اثراً في مجرى الامور في عصره او في زماننا ، ثم ان عليه ان يقدر مقدار مايكتب عن كل حادث ، فيفصل في المبهم ، ويختصر او يحذف غير المهم ، او بعبارة اخرى ان يكون مؤمنا بفلسفة سليمة تستوعب عقله ، وتنظم فكره ، وتعبر عن نفسها بما يعرضه ، وهو امر غير يسير في هذا الزمن الذي تنوعت فيه الوجهات ، وتعددت فيه النظرات ومد كل منها اذرعه الى ميادين الحياة السياسية والعقائدية . واخيراً فان مثل هذا الكتاب يتطلب ان يكتب بدقة علمية وباسلوب يسمو على البساطة المسفة ، ويتجنب التعقيد ويراعي العمومية الشاملة ، ويرتفع على الاقليمية الضيقة (١٣٢) .

والدكتور العلي مشغوف بتاريخ العراق ، يدعو المؤرخين الى الاهتمام به ، ولكن وفق اطار قومي وفي مجرى المسيرة الانسانية . ويضيف ان ثمة خصائص احتفظ بها أهل العراق طوال تاريخهم المديد ، ولعل في مقدمتها السمة الانسانية التي تتجلى باهتمامهم بالانسان وحرصهم على العناية بدراسته وتيسير الحياة له . اما السمة الاخرى فهي نظرتهم الواسعة ، وأفقهم الرحب الذي يتجاوز الانانية المقيتة ، والعنصرية الضيقة والاقليمية المحدودة ، كل ذلك مع ثقة بالذات ، واعتداد بالخصائص المميزة قائم على الادراك الفطن للمفيد لأبناء الامة والانسانية (١٣٣) .

ويرى الدكتور العلي ان تاريخ العراق كان موضع اهتمام واسع منذ اقدم الأزمنة ، وان كثيراً من الامم والشعوب قد اقتبست من حضارته ، وافادت من ابداعاته ، وتناقلت اخباره ، وهم بين معجب مبالغ ، في المدح أو حاقد مندفع في القدح والتشويه . لذلك جاءت عن تاريخه ، وخاصة في عهود الحرية التي تميز بها الحكم العربي الاسلامي ، معلومات تفوق ماجاء عن تاريخ اية امة اخرى ، غير انها معلومات اختلط فيها الغث بالسمين ، والصدق بالكذب والصحيح بالفاسد مما كان له أثر في تشويش الافكار.. الأمر الذي وضع على عاتق المؤرخين المنصفين ، وخاصة من ابنائه ، مسؤولية كبيرة في مجال اظهار مكانته في التاريخ دون تميز أو تشويه (١٣٤) .

انجز الدكتور العلي مؤلفات عدة . خلال السنوات الاربعين الماضية ، كما ترجم كتباً وابحاثاً مهمة . فمن الكتب التي الفها : الدولة في عهد الرسول محمد ﷺ (١٣٥) ، ودراسات في الادارة في العهود الاسلامية الاولى (١٣٦) والمعالم العمرانية في مكة المكرمة في القرنين الاول والثاني الهجريين ، وامتداد العرب في صدر الاسلام والخراج في العراق في العهود الاسلامية الاولى ، وبغداد مدينة السلام ، وخطط البصرة ومنطقتها (١٣٧) ، والاحواز في العهود الاسلامية الاولى . كما اسهم مع الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور جعفر حضباك والدكتور ياسين عبد الكريم في اصدار كراس مهم بعنوان «تفسير التاريخ» ، اصدرته جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين سنة ١٩٥٩ ، وذلك محاولة للتصدي للتفسير الماركسي الذي شاع آنذاك بين



بعض المؤرخين العراقيين وتعبيراً عن التوجه القومي في تفسير التاريخ العربي [138].

وللعلي بحوث كثيرة في مجلات عراقية وعربية وعالمية تدور حول خطط البصرة واحكام الرسول في الاراضي المفتوحة واستيطان العرب في خراسان. كما اسهم في دائرة المعارف الاسلامية بعدة مقالات عن «عوان بن الحكم» و «البطائح» و «دير الجماجم» و «دير قره» و «عريف» [139].

وترجم العلي كتباً كثيرة عن اللغة الانكليزية، منها على سبيل المثال كتاب جفرى باركلو عن «الاتجاهات العامة في الابحاث التاريخية» وكتاب «المدنية البيزنطية» لستيفن رونسيمان وتركيا الفتاة لرامزاور وعلم التاريخ عندالمسلمين لفرانز روزنثال و «اطراف بغداد، تاريخ الاستيطان في سهول ديالى» لادامز (١٩٨٤) [140].

ويعد العلي من المؤرخين العراقيين الرواد الذين اهتموا بالتنظيم والحضارة العربية والاسلامية. لذلك قال عنه الناقد والمؤرخ هشام جعّيط انه من المؤرخين العرب القلائل الذين انتجوا بحوثاً معترفاً بها عالميا كبحوث جدية احاط بمادتها: ويضيف ان ماانتجه العلي من دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والحضاري يجعل منه مؤرخاً اصيلاً يحق للعرب ان يفخروا به خاصة «وانها تجاوزت بكثير مما كتب في السابق، كما انها تتجاوز الكثير مما يكتب الان من تاريخ مبتذل ضعيف حتى في الاوساط الجامعية» [141].

ياسين عبد الكريم آل عباس (١٩١٤ – ١٩٨٨):

ولد ياسين عبد الكريم آل عباس في تلعفر سنة ١٩١٤ ودخل المدرسة الابتدائية في تلعفر وتخرج فيها سنة ١٩٣٠ اما الدراسة المتوسطة فقد اكملها في الموصل سنة ١٩٣٣ ودخل دار المعلمين الابتدائية ببغداد وتخرج منها سنة ١٩٣٥ وعين معلماً في طوزخرماتو وحصل على اجازة دراسية وانتمى الى دار المعلمين العالية ببغداد وتخرج منه ١٩٤٠ وعمل بعد ذلك مدرساً ثم مفتشاً (مشرفاً تربويا) قرابة عشر



الدكتور ياسين عبد الكريم

سنين (١٩٤٠ – ١٩٥١) وفي سنة ١٩٥١ التحق بالبعثة العراقية الى جامعة مينسوتا بالولايات المتحدة الاميركية. وقد احرز شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث سنة ١٩٥٦ عن رسالته الموسومة: «علاقات الجمهورية التركية الخارجية بين سنتي ١٩٣٩ – ١٩٤٢» [142].

ثم عاد الى العراق في اب ١٩٥٦، وعين مدرساً في قسم التاريخ بكلية الاداب بجامعة بغداد فاستاذا مساعداً واستاذاً يدرس مادة «تاريخ اوربا الحديث» و «تاريخ الشرق الادنى الحديث» توفي في ٢٤ حزيران ١٩٨٨ [143].

وقد ساعدته معرفته للغة التركية والانكليزية في ترجمة بعض الكتب، منها الجزء الثالث من كتاب «تاريخ العالم الحديث» للمؤرخ الاميركي بالمر. كما انه كتب بحوثاً عدة باللغة الانكليزية منها «الاستعمار الانكليزي في بورما» و «الاستعمار الاميركي في الفلبين» [144].

واسهم الدكتور ياسين عبد الكريم مع عدد من زملائه وفي مقدمتهم الدكتور عبد العزيز الدوري باصدار كراس «تفسير التاريخ» سنة ١٩٥٩ وذلك بفصل عنوانه: «التفسير الاقتصادي». وقد دعا في هذا الفصل الى الاهتمام بالتاريخ الاقتصادي الذي يركز على دراسة الانتاج، وتاريخ الزراعة، والصناعة والتجارة والبنوك والاستثمار والاستهلاك وغير ذلك من نشاط الانسان. ويعد ياسين عبد الكريم من اوائل المؤرخين العراقيين الذين تصدوا للتفسير الماركسي وتبنوا التفسير الاقتصادي محاولة

للوقوف بوجه التفسير الماركسي للتاريخ الذي قال عنه بانه تفسير مثالي فلسفي لم يأت نتيجة لدراسة الاحداث التاريخية، بل افترض سلفاً تسويغ آراء سياسية لم تثبت صحتها علمياً[١٤٥] .

وضمن فصله اراء قيمة عن التاريخ وفهمه وتفسيره، واشار الى ان العراقيين القدماء من سومريين واكديين وبابليين واشوريين انشأوا حضارة اصيلة، واسهموا في تكوين الحضارة العالمية. وكان لسكان العراق القدماء معرفة واسعة بالزراعة والصناعة والتجارة وتنظيم المجتمع والدولة. كما انهم عرفوا بعض انواع العلوم. وبعد ظهور الاسلام ونشوء الدولة العربية الاسلامية اصبحت بغداد مركزاً للسياسة والثقافة والحضارة[١٤٦] .

وتطرق الى اختلاف المؤرخين على غاية التاريخ وانتقد اولئك الذين يرون بان غاية التاريخ هي الوصول الى الحقائق وعرضها بطريقة موضوعية وقال انه اذا كانت هذه هي غاية التاريخ فلا حاجة اذن للبحث في تفسيره، اذ أن عرض الحوادث لايمكن ان يكون غاية بذاته، حيث لايمكن للتاريخ ان يكون غاية في نفسه، فلا بُدَّ للباحث من اثارة اسئلة كثيرة حول تلك الحوادث[١٤٧] .

وناقش الدكتور ياسين عبد الكريم اسباب الاختلافات بين المؤرخين في كتابة التاريخ وتفسيره وقال ان ذلك يرجع الى تأثير المذاهب الفلسفية والاراء الحزبية والنظريات العلمية، وما يمكن ان يحصل عليه المؤرخ من وثائق ومعلومات جديدة. واكد بان التفسير الاقتصادي يؤمن بأن عوامل التاريخ معقدة ومتفاعلة اما التفسير الماركسي فهو تفسير ميكانيكي يؤكد اهمية العنصر الآلي، في حين يؤكد التفسير الاقتصادي على نشوء المجتمعات والمؤسسات فان التفسير الماركسي يؤمن بالجبرية الاقتصادية حيث يسير الانسان بموجبها الى مصيره المحتوم الذي فسره ماركس بانهيار الرأسمالية وقيام دكتاتورية العمال. وعلى هذا عدت الماركسية الفرد آلة في المجتمع، بينما يعد التفسير الاقتصادي الفرد انساناً له قابلية للابداع والاختراع والتكيف ويعد التملك غريزة، ومن ضروريات المحافظة على الحياة، وبذلك يمكن من دراسة الماضي فهم الحاضر ووضع الخطط للمستقبل[١٤٨] .

وكان المؤرخ ياسين عبد الكريم، في مقدمة المؤرخين العراقيين الذين دعوا الى الاهتمام بالوثائق والوثائق العثمانية بخاصة، لما لها من اهمية في فهم تكوين المجتمع العربي خلال القرون الاربعة التي حكم فيها العثمانيون الوطن العربي والتي امتدت من اوائل القرن السادس عشر حتى اوائل القرن العشرين. وقد كان له دور كبير في تأسيس دار الكتب والوثائق ببغداد (المركز الوطني لحفظ الوثائق سابقاً) سنة ١٩٦٣. كما سعى لرفد مكتبة المركز بما ابتاعه من مكتبات اهلية تركية. وقد قاد فريق العمل المؤلف من بعض الاساتذة والمؤرخين وذلك لفهرسة الوثائق وتصنيفها وتسهيل مهمة الباحثين في الوصول اليها[١٤٩] .

ولم يكتف الدكتور ياسين عبد الكريم بنشاطه في مجال البحث، وانما كان له طلبته الكثيرون وخاصة في جامعتي بغداد والبكر والمعهد الدبلوماسي في وزارة الخارجية، والذين عرفوه باحثاً ومؤرخاً يعتمد الدقة والموضوعية وكان يحث طلبته باستمرار على العودة الى الاصول ومناقشتها وتحليلها. وقد اشرف على رسائل عدة للماجستير والدكتوراه، دار معظمها عن تاريخ العراق الحديث[١٥٠] .

وقد اسهم الدكتور ياسين عبد الكريم مع زملاء له في مشاريع وزارة الثقافة والاعلام الخاصة بوضع كتب تاريخية عامة، وفي تقدم المعرفة التاريخية المتخصصة باسلوب سهل وواضح الى عموم القراء. ومن ذلك اسهامه في كتابه فصل في كتاب حضارة العراق عن «دور العراقيين في المؤسسة العسكرية العثمانية»[١٥١] . اما في موسوعة «الجيش والسلاح» فقد كتب فصلاً ضافياً وموسعاً عن «تاريخ الجيش العثماني في العراق منذ ١٨٣١ وحتى ١٩١٤»[١٥٢] . كما أسهم في تنظيم وثائق وزارة الدفاع وفي تأليف كتاب تاريخ القوات المسلحة العراقية الذي صدر الجزء الاول سنة ١٩٨٦ بفصل



عنوانه «المؤسسة العسكرية في العراق في عهد الحكم العثماني المباشر ١٨٣١ – ١٩١٨»[١٥٣].

خلاصة :

ارتبطت حركة التاريخ المعاصرة في الموصل خلال الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الاولى وظهور العراق ككيان سياسي حديث سنة ١٩٢١، بتنامي الوعي القومي العربي وتطور الحركة الوطنية. وقد اتضح هذا في كتابات ابنائها من المؤرخين المعاصرين، سواء أكانوا اكاديميين ام غير اكاديميين، إذ ادركوا اهمية (التاريخ) وسيلة من وسائل تنمية الوعي وشحذ الاذهان واثارة الحماسة الوطنية والقومية.

وقد دارت الموضوعات التي تطرق اليها المؤرخون الموصليون على تأريخ النضال القومي العربي والكفاح الوطني ليس في الموصل وحسب، وانما في العراق والاقطار العربية المجاورة. كما نالت التراجم وسير الشخصيات حيزاً كبيراً من اهتمامات المؤرخين الموصليين وذلك بقصد تحقيق هدفين: أولها القاء الأضواء على اولئك الذين كان لهم دور في بناء العراق والامة العربية. وثانيها السعي لخلق «قدوة» امام الاجيال الصاعدة وبما يُغرس قيم الخير والعروبة الصادقة في نفوسهم.

وحرص المؤرخون الموصليون على التواصل مع زملائهم المؤرخين القدامى في التأريخ لمدينتهم، وابراز تراثها وتأكيد شخصيتها الحضارية ودورها الفاعل في مجرى التاريخ الانساني وقدرتها على تحدي الغزاة والطامعين.

ولم يقتصر الاهتمام بتاريخ الموصل، وانما ظهرت دراسات عدة انتجها المؤرخون الموصليون تتناول «تاريخ العرب» ونظمهم السياسية ومؤسساتهم الادارية والعسكرية واوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية سواء أكانوا في المشرق العربي ام في المغرب العربي.

ومما يلحظ على اهتمامات المؤرخين الموصليين انها تأثرت بطبيعة المجتمع الموصلي المعروف بتعدد قومياته واديانه والتي عاشت في الموصل منذ عصور سحيقة، فانعكس هذا في وجود دراسات علمية قيمة تناولت على سبيل المثال تاريخ الاكراد واليزيديين والاقليات القومية والدينية الاخرى.

واعتنى المؤرخون الموصليون بمناهج البحث التاريخي ومسائل تفسير التاريخ، فكتبوا بحوثاً متميزة في هذا الميدان، دون ان يلتزموا بنظرية واحدة او تفسير واحد وانما اكدوا على تعددية الأسباب، وتعقد الدوافع. وانتقدوا الدراسات التي تعتمد السبب الواحد والنظريات المسبقة واكدوا ان مثل هذه الدراسات لاتعتمد الاسلوب العلمي التاريخي في الوصول الى الحقيقة وانما تفترض سلفاً تسويغ آراء سياسية لم تثبت صحتها.

كما اتسمت دراسات المؤرخين الموصليين بأنها لم تقتصر على تسجيل الجوانب السياسية من العملية التاريخية، وانما اتسعت لكي تشمل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الأمر الذي جعل النتاجات التاريخية الموصلية المعاصرة تحتل مكانة متقدمة، وتصبح موضع تقدير واعتراف العديد من الباحثين والمؤرخين، سواء في داخل العراق أو خارجه.

الهوامش

(١) انظر: عماد عبد السلام رؤوف، التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، بغداد، ١٩٨٣، ص ٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٥٤، ٢٩٧ – ٢٩٨.

(٣) انظر: ابراهيم خليل احمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، (الموصل، ١٩٨٢) ص ٤٨.

(٤) انظر: ذنون يونس حسين الطائي، الاتجاهات الاصلاحية في الموصل في اواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب بجامعة الموصل، ١٩٩٠، ص ١٠٣.

(٥) عمر محمد الطالب «سليمان صايغ : ادبه الروائي والمسرحي»، مجلة بين النهرين، الموصل، العدد(١٩)، ١٩٧٥، ص ص ٢١٣ – ٢٢١.

(٦) انظر: ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل: دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨ – ١٩٢٢، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب بجامعة بغداد ١٩٧٥، ص ص ١٢٠ – ١٢١.

(٧) ابراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩–



١٩٣٢، (البصرة، ١٩٨٢) ص ص ١٥٩ - ١٧٦.

(٨) المصدر نفسه، ص ص ١٧٩ - ١٧٧.

(٩) ظهر هذا التوجه لدى مثقفي الموصل على نحو واضح إذ عبر عنه الدكتور عبد الجبار الجومرد في مقدمة كتابه المخطوط عن تاريخ الموصل والمشار اليه انفاً وذلك من خلال مبحث عنوانه «حديث المصادر»، الورقة ٧ - ٩.

(١٠) حول هذه التنظيمات انظر: عبد المنعم الغلامي، اسرار الكفاح الوطني في الموصل ١٩٠٨ - ١٩٢٥، جـ١، (بغداد، ١٩٥٨) وكذلك نوري احمد عبد القادر، الموصل والحركة القومية العربية، ١٩٢٠ - ١٩٤١، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب بجامعة الموصل ١٩٨٨، ص ص ١٤١ - ١٥٨.

(١١) أنظر على سبيل المثال، مجلد السنة الاولى من مجلة الجلة، العدد ١ - ١٢، ١ تشرين الاول ١٩٣٨ حتى ١٦ آذار ١٩٣٩.

(١٢) انظر: ابراهيم خليل احمد «واقع دراسات تاريخ العرب الحديث ومستقبلها»، بحث قدم الى الندوة القومية لكتابة التاريخ ببغداد ٢٧ كانون الاول ١٩٨٧، مطبوع بالرونيو، ص ص ٤ - ٨.

(١٣) يظهر هذا الاتجاه واضحاً في الكتابات التالية:

1 — Stephen Hemsley Longrigg, Iraq 1900 — to 1950: A political, Social and Economic History, (London, 1953).

وترجمة سليم طه التكريتي ونشره ببغداد بجزئين سنة ١٩٨٨.

2 — Gertrude Bell, Review of the civil Administration of Mesopotamia, 1914 — 1920, (London, 1920).

وترجمة جعفر خياط بعنوان: فصول من تاريخ العراق القريب ونشره ببيروت سنة ١٩٤٩ وطبع عدة مرات اخرها ببيروت سنة ١٩٧١.

3 — Aylmer Haldane, Insurrection in Mesopotamia. 1920, (Edinburgh, 1922).

وترجمة فؤاد جميل بعنوان «ثورة العراق سنة ١٩٢٠» ونشره ببغداد سنة ١٩٦٥.

4 — Arnold T. Wilson, Loyalties Mesopotamia 1914 — 1917, (London, 1930) and Mesopotamia, 1917 — 1920 A clash of Loyalties, (London, 1931).

وترجم جعفر خياط ماتعلق بالثورة العراقية ونشره في بيروت بكتاب مستقل سنة ١٩٧١. وقام فؤاد جميل بترجمة الكتابين بعنوان «بلاد مابين النهرين بين ولاءين» ونشر بجزئين ببغداد سنة ١٩٦٢.

(١٤) للتفاصيل انظر: جريدة فتى العراق ٢ آب ١٩٣٧، جريدة فتى العراق ٢٠ حزيران ١٩٤٦ وكذلك وائل محمد علي النحاس، تاريخ الصحافة الموصلية ١٩٢٦ - ١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب بجامعة الموصل، ١٩٨٨، ص ٢٨٢ وكذلك عبد القادر، المصدر السابق، ص ٢٠٠.

(١٥) انظر: احمد، ولاية الموصل، ص ٥٩٢.

(١٦) للتفاصيل انظر: محمد امين العمري، تاريخ حرب العراق خلال الحرب العظمى سنة ١٩١٤ - ١٩١٨، جـ ١، (بغداد، ١٩٣٥)، ص ٢ - ٤.

(١٧) استاذ التاريخ الحديث بكلية الاداب، جامعة بغداد وكان ذلك سنة ١٩٧٨ وقد اضاف ان (خيري) ابن امين العمري هو الذي افاده بذلك، وانه يخطط لاعادة طبع الكتاب في بيروت باسم والده (محمد امين العمري) وقد اكد خيري العمري ذلك بنفسه حين قال: «ولدّي رغبة في إعادة طبع كتاب (مقدرات العراق السياسية) للمرحوم والدي». انظر: محاورة ابراهيم القيسي له في جريدة العراق، ١٦ تشرين الاول ١٩٨٣.

(١٨) انظر: ابراهيم خليل احمد وجعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، (الموصل، ١٩٨٩)، ص ٢٧٩.

(١٩) انظر: عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، (بغداد، ١٩٦٣)، ص ٩.

(٢٠) طبع الجزء الاول في المطبعة العصرية ببغداد سنة ١٩٢٥ وطبع الجزء الثاني في مطبعة الفلاح، ببغداد سنة ١٩٢٤ في حين طبع الجزء الثالث في مطبعة دار السلام ببغداد سنة ١٩٢٥ ويدلل طبع الكتاب في مطابع ثلاث الى الصعوبات التي واجهها المؤلف من اجل اخراج الكتاب ونشره وقد ظهر هذا واضحاً في ملاحظة اوردها في خاتمة الجزء الثالث، أشار فيها الى ظاهرة ماسماه بـ (خفوت) اصوات الوطنيين بتأثير «المورفين السياسي» الذي خدر الاعصاب ونوّم روح الحماسة الوطنية. انظر: العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية، جـ ٣، ص ٣٧٢.

(٢١) العمري، تاريخ حرب العراق، ص ٤.

(٢٢) العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية، جـ ٣، ص ٣٧٢.

(٢٣) انظر على سبيل المثال، المصدر نفسه، جـ ٣، ص ص ٣٦ - ٥٦.

(٢٤) ورد هذا التقويم في: عبد الجبار الجومرد، الموصل والتاريخ منذ اقدم العصور حتى اليوم، مخطوط، الفصل الاول، الورقة (٨).

(٢٥) الياهو دنكور ومحمود فهمي درويش، الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦، (بغداد، ١٩٣٦)، ص ٨٩١.

(٢٦) ابراهيم خليل احمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها ١٨٨٥ - ١٩٨٥، (الموصل، ١٩٨٥)، ص ١٧.

(٢٧) انظر: سليمان صايغ، تاريخ الموصل، جـ ١، (القاهرة، ١٩٢٣)، ص ٥.

(٢٨) المصدر نفسه، جـ ١، ص ٧.

(٢٩) انظر على سبيل المثال: السنة (١)، العدد (١)، ١٩٢٨، ص ١١ - ١٤ والسنة (١٢) العدد (١)، كانون الاول ١٩٥١، ص ٣ - ٨ والسنة (١٣)، الاعداد (٧ - ١٠)، ١٩٥٣.

(٣٠) انظر: سليمان صايغ، الصهيونية، لمحة تاريخية في نشوء الصهيونية، مستلة من مجلة النجم، العدد ١٩١، ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣٣، (الموصل، ١٩٣٣)، ص ص ١ - ١٤.

(٣١) انظر: الطالب، المصدر السابق، ص ٢١٥.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٢١٣ - ٢١٤ وكذلك انظر عن جرجي زيدان: احمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، ص ٣٨.



(٣٣) انظر: صايغ، تاريخ الموصل، جـ ١، ص ٥.
(٣٤) صايغ، تاريخ الموصل، جـ ١، ص ص ٥ – ٦.
(٣٥) المصدر نفسه، ص ص ٦ – ٧.
(٣٦) حققه الدكتور سليم النعيمي، عضو المجمع العلمي العراقي ونشره المجمع، ببغداد سنة ١٩٧٧.
(٣٧) النحاس، المصدر السابق، ص ١٨.
(٣٨) انظر: احمد، ولاية الموصل، ص ١٥٢، ١٥٨، ٢٠٢، ٥٨٧.
(٣٩) النحاس، المصدر السابق، ص ١٨.
(٤٠) صدر الجزء الاول من هذا الكتاب، بعنوان: «ثورتنا في شمال العراق ١٩١٩ – ١٩٢٠» وطبع بمطبعة شفيق ببغداد سنة ١٩٦٦.
(٤١) الكتاب بالاصل مجموعة «مقالات تاريخية سياسية لحوادث دامية كان لها صداها حين حدوثها وبقيت اسبابها وملابساتها غامضة على الكثيرين» نشرها عبد المنعم الغلامي في جريدة صدى الاحرار في بعض الاعداد الصادرة خلال سنة ١٩٥١ وجمعها حمادي الناهي ونشرها في كتاب طبع بمطبعة الهدف بالموصل، انظر عبد المنعم الغلامي، الضحايا الثلاث، (الموصل ١٩٥٥)، ص ص ٣ – ٤.
(٤٢) عبد المنعم الغلامي، جغرافية جزيرة العرب، (بغداد، ١٩٦٢)، ص ٣.
(٤٣) انظر: مقدمة كتاب عبد المنعم الغلامي، اسرار الكفاح الوطني في الموصل ١٩٠٨ – ١٩٢٥، (بغداد، ١٩٥٨)، ص (أ).
(٤٤) انظر تقديم معن العجلي، لكتاب عبد المنعم الغلامي، ثورتنا في شمال العراق، جـ ١، ص ص ٥ – ١٧.
(٤٥) انظر: احمد، ولاية الموصل، ص ٧.
(٤٦) انظر: مقدمة كتاب الغلامي، اسرار الكفاح الوطني، ص (ج).
(٤٧) انظر: الغلامي، ثورتنا في شمال العراق، جـ ١، ص ٧.
(٤٨) نشرت هذه المقالات في جريدة «صدى الاحرار» الموصلية التي اصدرها اخوه محمد رؤوف الغلامي معتمد فرع حزب الاحرار المؤسس سنة ١٩٤٦ وذلك في ٧ أيلول ١٩٤٨ وقد الغي امتيازها في ١٧ كانون الاول ١٩٥٤ انظر: النحاس، المصدر السابق، ص ٩٧ – ١٠٠.
(٤٩) الغلامي، ثورتنا في شمال العراق، ص ١٤.
(٥٠) انظر كتابيه: «خروج العرب من الاندلس، (الموصل ١٩٤٠)» و «مآثر العرب والاسلام في القرون الوسطى، (الموصل ١٩٤٠)».
(٥١) نشر الجزء الاول من هذا الكتاب في بغداد سنة ١٩٦٥.
(٥٢) لايزال كتاب تراجم معاصرة لبعض الشخصيات السياسية والادبية مخطوطاً، وهو محفوظ لدى أسرة آل الغلامي ببغداد.
(٥٣) لقد اتسمت مقالاته بوضوح الرؤية واصابة الهدف، وقد دار معظمها حول موضوع ابراز الدور النضالي للموصل في مواجهة المحتلين والغزاة الاجانب وخاصة العثمانيين والانكليز. انظر على سبيل المثال سلسلة مقالاته التي نشرها في مجلة المعرفة البغدادية بعنوان «اعمال الانكليز وحكمهم في الموصل» ١ تموز ١٩٦٢، ١٤ تموز ١٩٦٢.
(٥٤) للتفاصيل: انظر عبدالفتاح علي يحيى «صديق الدملوجي ١٨٨٠ – ١٩٥٨: دراسة في حياته وكتاباته التأريخية» مجلة كاروان، اربيل، السنة (٧)، العدد (٧٣)، اذار ١٩٨٩، ص ص ١٥٥ – ١٦٠ وكذلك العدد (٧٤)، نيسان ١٩٨٩، ص ص ١٤٧ – ١٥٥.
(٥٥) انظر: احمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ص ٤٧ – ٥٣ وكذلك، يحيى، المصدر السابق، ص ١٥٦.
(٥٦) للتفاصيل انظر، صديق الدملوجي، اليزيدية، (الموصل، ١٩٤٩)، ص ص (ل) و (ق).
(٥٧) انظر: صديق الدملوجي، امارة بهدينان او امارة العمادية (الموصل، ١٩٥٢)، ص ص ٥ – ١٦١.
(٥٨) انظر: صديق الدملوجي، مدحت باشا، (بغداد، ١٩٥٢).
(٥٩) انظر: صديق الدملوجي، الانقاض، (الموصل، ١٩٥٤) ص ص ٦٧ – ٧٠.
(٦٠) انظر: تقريظ الاستاذ ابراهيم الواعظ لكتاب اليزيدية في: الدملوجي، اليزيدية، ص (هـ).
(٦١) انظر: يحيى، صديق الدملوجي ١٨٨٠ – ١٩٥٨، مجلة كاروان، السنة (٧)، العدد (٧٤)، نيسان ١٩٨٩، ص ١٤٧.
(٦٢) انظر: المصدر نفسه، ص ١٥١.
(٦٣) كان الطبيب محمد الجلبي ١٧٧٦ – ١٨٤٦) جد داؤد الجلبي من ابرز افراد اسرة آل الجلبي. انظر: ابراهيم خليل احمد، العلوم الطبية والرياضية والطبيعية، في نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، جـ ١١، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ص ٢٠١ – ٢٠٤.
(٦٤) دنكور ودرويش، المصدر السابق، ص ٨٨٢ وكذلك انظر: فيصل دبدوب «الدكتور داؤد الجلبي الموصلي ١٨٧٩ – ١٩٦٠ من مجلة بين النهرين، العددان ٥٣ – ٥٤، ١٩٨٦ ص ٩٥.
(٦٥) الطائي، المصدر السابق، ص ص ٢٤٠ – ٢٤١.
(٦٦) بهنام سليم حبابة «الدكتور داؤد الجلبي الموصلي ١٨٧٩ – ١٩٦٠»، مجلة بين النهرين، الموصل، العددان (٥٣ و ٥٤)، ١٩٨٦، ص ٩٥.
(٦٧) الطائي، المصدر السابق، ص ٢٤٠.
(٦٨) أنظر: داؤد الجلبي، مخطوطات الموصل، (بغداد، ١٩٢٧).
(٦٩) المعلومات مستقاة من مقابلة شخصية معه، رحمه الله، في ٢٣ تشرين الاول ١٩٧٣.
(٧٠) ابراهيم خليل احمد، احمد الصوفي وحكايات الموصل الشعبية، جريدة الحدباء ١٧ آذار ١٩٨٥.
(٧١) كان الصوفي من ابرز مؤسسي جمعية التراث العربي بالموصل والتي تأسست في ١٦ حزيران ١٩٧٣ وكان من اهدافها تشجيع الدراسات المتعلقة بتاريخ الموصل وتراثها. انظر: نظام جمعية التراث العربي بالموصل، (الموصل، ١٩٧٣)، ص ٢٠.
(٧٢) انظر: احمد الصوفي، ارض السواد، (الموصل، ١٩٥٥)، ص ١١ – ١٢.

(٧٣) انظر: احمد الصوفي، حكايات الموصل الشعبية، (بغداد، ١٩٦٢) وكذلك ابراهيم خليل احمد، «احمد الصوفي وحكايات الموصل الشعبية»، جريدة الحدباء ١٧ آذار ١٩٨٥.

(٧٤) دنكور ودرويش، المصدر السابق، ص ٩٢٨.

(٧٥) سهيل قاشا «الدكتور محمد صديق الجليلي في ذكرى رحيله الثالثة»، جريدة الحدباء ١١ تشرين الاول ١٩٨٣.

(٧٦) قدم الدكتور محمد صديق الجليلي خدمة جليلة للباحثين في التاريخ العثماني، حينما بادر بحساب وتنظيم جدول بالسنين المالية الرومية من سنة ١٢٥٦ مالية رومية (١٨٤٠م) وحتى ١٣٩١ مالية رومية (١٩٧٥)، وما يقابلها من التواريخ في التقويمين الميلادي والهجري. وتتضح اهمية هذا العمل اذا ماعلمنا بان التقويم (المالي الرومي العثماني) كان لايستعمل في الامور المالية وحسب وانما استعمل في سائر شؤون الدولة العثمانية، وأرخت بموجبه سائر المخابرات الرسمية والوثائق وقيود الطابو وسجلات النفوس والحوادث التاريخية والسالنامات (الكتاب السنوي) التي كانت تصدر في الولايات العثمانية، ومنها سالنامات الموصل وبغداد والبصرة وغيرها. انظر: محمد صديق الجليلي «التقويم الشمسي العثماني المسمى بالسنين المالية الرومية»، مستل من المجلد الثالث والعشرين من مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٧٣، ص ٢٢٧ - ٢٣٩.

(٧٧) قاشا، المصدر السابق.

(٧٨) انظر: ياسين العمري الموصلي، غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، (الموصل، ١٩٤٠)، ص ٣.

(٧٩) انظر: محمد صديق الجليلي (محقق وناشر)، ديوان حسن عبد الباقي الموصلي، (الموصل، ١٩٦٦)، ص ص ١٠٣ - ١٣٦.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ص ١١٨ - ١١٩، ١٣٦.

(٨١) المصدر نفسه، ص ص ١١٢ - ١١٥.

(٨٢) انظر: سعيد الديوه جي يتحدث عن حياته ومؤلفاته ونشاطاته وجهوده العلمية (بالرونيو) ص ١ - ١٥ وتوجد لدى الباحث نسخة منها.

(٨٣) انظر: سعيد الديوه جي «مدينة الموصل، موقعها، نشأتها، توسعها» مجلة المجلة، الموصل، السنة (١)، العدد (١)، تشرين الاول ١٩٣٨، ص ٢٧ - ٣٢.

(٨٤) انظر: سعيد الديوه جي، الفتوة في الاسلام، (الموصل، ١٩٤٠)، ص ٣.

(٨٥) سعيد الديوه جي، سيرته ونتاجه العلمي بخط قلمه، (بالرونيو) توجد نسخة منها لدى الباحث، ص ٥.

(٨٦) نشره سنة ١٩٥٥.

(٨٧) نشره بمجلدين سنتي ١٩٦٧ و ١٩٦٨.

(٨٨) نشره سنة ١٩٦٦.

(٨٩) نشره سنة ١٩٥٦.

(٩٠) حميد المطبعي، سعيد الديوه جي، موسوعة المفكرين والادباء العراقيين، ج ٩، (بغداد، ١٩٨٨)، ص ص ١٣٣.

(٩١) الديوه جي يتحدث، ص ص ١٧ - ١٨، المطبعي، المصدر السابق، ص ص ١٨ - ٢٥.

(٩٢) اما الجزء الثاني «سير عراقية» فلا يزال مخطوطاً.

(٩٣) ومن ابرز هذه الحكايات: ناظم باشا وسارة وحزب الاتحاد والترقي، ومعركة السفور في العراق، وكتاب وأزمة، ومأساة عبد المحسن السعدون. انظر: خيري العمري، حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث، (القاهرة، ١٩٦٩).

(٩٤) خيري امين العمري، الخلاف بين البلاط الملكي ونوري السعيد، (بغداد، ١٩٧٩)، ص ١٠٧ - ١٣٦.

(٩٥) نشرت في مجلة الاقلام، بغداد، السنة (٢)، الجزء (٦)، شباط ١٩٦٦.

(٩٦) نشرت في مجلة الهلال، القاهرة، السنة (٧٦)، العدد ٧ و ٤، اول ابريل، نيسان ١٩٦٨.

(٩٧) نشرت في مجلة الاقلام، السنة (١٦)، الجزء (١)، تشرين الاول ١٩٦٩.

(٩٨) نشرت في مجلة دراسات عربية، بيروت، السنة (٦)، العدد (٤)، ١ شباط ١٩٧٠.

(٩٩) علي الوردي، تقديم لكتاب العمري، حكايات سياسية، ص ٥.

(١٠٠) انظر: سامي عبد الحافظ القيسي، ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢ - ١٩٣٦، جـ ١، (البصرة، ١٩٧٥)، ص ١٨.

(١٠١) العمري، حكايات سياسية، ص ١٠.

(١٠٢) انظر: شمس الدين موسى «ازمة الدراسات التاريخية»، مجلة قضايا عربية، بيروت، السنة (٥)، العدد (٣)، ايار - حزيران ١٩٧٨ ص ٦٢ - ٦٤.

(١٠٣) العمري، حكايات سياسية، ص ٥ - ١٠.

(١٠٤) المصدر نفسه، ص ١٢.

(١٠٥) خيري العمري، يونس السبعاوي، سيرة سياسي عصامي، (بغداد، ١٩٧٨)، ص ١٠ - ١١.

(١٠٦) المصدر نفسه، ص ١١.

(١٠٧) لتفاصيل هذه الاتجاهات انظر: احمد، واقع دراسات تاريخ العرب الحديث، ص ص ٧-٨.

(١٠٨) شهدت الدراسات التاريخية في العراق ازدهاراً واضحاً في اعقاب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وتكاملت اقسام التاريخ في جامعات بغداد والموصل والبصرة والقادسية والانبار وصلاح الدين والمستنصرية وغيرها. ويسهم اساتذة التاريخ في هذه الاقسام في رفد المكتبة التاريخية بالعديد من الكتب والبحوث. كما يتحملون مسؤولية الاشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه في التاريخ القديم والاسلامي والحديث. هذا فضلاً عن دورهم في اعداد وتدريب الاعداد الكبيرة من طلبتهم على اساليب البحث التاريخي ومناهجه. ويمكن الرجوع الى نتاجاتهم المنشورة في المجلات العلمية المختلفة، كمجلة الاستاذ ومجلة كلية الاداب، جامعة بغداد ومجلة الجامعة المستنصرية ومجلة التربية والعلم التي تصدرها كلية التربية بجامعة الموصل ومجلة المؤرخ العربي التي يصدرها اتحاد المؤرخين العرب ومجلة اداب الرافدين التي تصدرها كلية الاداب بجامعة الموصل وغيرها من المجلات.

(١٠٩) للتفاصيل انظر: عدنان سامي نذير، عبد الجبار جومرد: نشاطه الثقافي ودوره السياسي، (بغداد، ١٩٩١)، ص ص ٨ - ٣٢.



(١١٠) عبد القادر، المصدر السابق، ص ص ١٤١ – ١٥٨.
(١١١) نذير، المصدر السابق، ص ص ٢٧ – ١٢٥.
(١١٢) أحمد سامي الجلبي «أول كتاب وضعه الجومرد في باريس ومعلومات عن جمعية اصدقاء فلسطين العربية»، جريدة الاتحاد، بغداد، ٢٣ تموز ١٩٩٠.
(١١٣) للتفاصيل أنظر: نذير، المصدر السابق، ص ص ٥٤ – ٥٨.
(١١٤) انظر: فاروق عمر فوزي، دور المدرسة التاريخية العراقية الحديثة في كتابة التاريخ العباسي»، بحث قدم الى الندوة القومية لكتابة التاريخ ببغداد المنعقدة في ٢٧ كانون الاول ١٩٨٧، مطبوع بالرونيو، ص ٢١ – ٢٢.
(١١٥) المصدر نفسه، ص ٢٢.
(١١٦) الكتاب بحوزة نجله الدكتور جزيل الجومرد الاستاذ المساعد في قسم التاريخ بكلية التربية – جامعة الموصل.
(١١٧) عبد الجبار الجومرد، الموصل والتاريخ منذ اقدم العصور حتى اليوم، مخطوط، الفصل الاول، الورقة (١).
(١١٨) المصدر نفسه، الفصل الاول، الورقة (٩).
(١١٩) الجومرد، الموصل والتاريخ، الفصل (٢٠)، الورقة (٤ – ٥).
(١٢٠) المصدر نفسه، الفصل (١٦)، الورقة (١٦).
(١٢١) انظر على سبيل المثال دعوته الى المزيد من الدراسات في تاريخ العرب في: عبد الجبار الجومرد، ابو جعفر المنصور، مؤسس دولة بني العباس، (بيروت، ١٩٦٣)، ص ٨ – ٩.
(١٢٢) للتفاصيل انظر: عبد العزيز الدوري وآخرون، تفسير التاريخ، (بغداد، لا. ت)، ص ٥٦.
(١٢٣) المصدر نفسه، ص ص ٥٦ – ٥٧.
(١٢٤) كان يوقع مقالاته بـ (صالح أحمد) انظر: صالح أحمد «انتقال العلوم الاسلامية الى اوربا» للمستشرق الدكتور ماكس مايرهوف»، مجلة المجلة، الموصل، العدد (١٢)، ١٦ آذار ١٩٣٩، ص ص ١٨ – ٢٣.
(١٢٥) انظر: صالح احمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، جـ ١، (بغداد، ١٩٥٤)، ص ص ٣ – ٤.
(١٢٦) المصدر نفسه، ص ٥.
(١٢٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(١٢٨) انظر: صالح أحمد العلي، تفسير التاريخ، في الدوري وآخرون، المصدر السابق، ص ٢٧ – ٢٨.
(١٢٩) المصدر نفسه، ص ٢٨.
(١٣٠) المصدر نفسه، ص ٢٢.
(١٣١) المصدر نفسه، ص ٢٤ – ٢٥.
(١٣٢) انظر مقدمة الدكتور صالح احمد العلي في: نخبة من الباحثين العراقيين، العراق في التاريخ، (بغداد، ١٩٨٣) ص ١١ – ١٢.
(١٣٣) المصدر نفسه، ص ص ٨ – ٩.
(١٣٤) المصدر نفسه، ص ص ١٢ – ١٣.
(١٣٥) طبعه المجمع العلمي العراقي بجزئين، (بغداد، ١٩٨٨).
(١٣٦) (بغداد، ١٩٨٩).
(١٣٧) (بغداد، ١٩٨٦).
(١٣٨) انظر: الدوري وآخرون، المصدر السابق، ص ص ١٧ – ٣٣.
(١٣٩) المصدر نفسه، ص ٥٧.
(١٤٠) المصدر والصفحة نفسها.
(١٤١) حسونة المصباحي «حوار مع المفكر العربي هشام جعيط»، مجلة الوطن العربي، العدد (٣٩٨)، ٢٨ أيلول ١٩٨٤، ص ٦٩.
(١٤٢) المعلومات مستقاة من أوراق غير مطبوعة كتبها عنه إبن عمه السيد عبد الله محمود وحصل عليها الباحث في ٣٠ تشرين الاول ١٩٩١ وانظر كذلك الدوري واخرون، المصدر السابق، ص ٦١.
(١٤٣) الدوري وآخرون، المصدر نفسه، ص ٦١.
(١٤٤) المصدر نفسه، ص ٦١.
(١٤٥) انظر: ياسين عبد الكريم، التفسير الاقتصادي للتاريخ، في الدوري وآخرون، المصدر السابق، ص ٥٤.
(١٤٦) المصدر نفسه، ص ٤٨.
(١٤٧) المصدر والصفحة نفسها.
(١٤٨) المصدر نفسه، ص ص ٥٠ – ٥٤.
(١٤٩) كان من ابرز الذين عملوا معه في تنظيم وثائق المركز: الدكتور عبد الامير محمد امين (جامعة بغداد) والدكتور عبد المنعم رشاد (جامعة الموصل).
(١٥٠) من الرسائل التي اشرف عليها رسالة الدكتورة رجاء حسين حسني الخطاب الموسومة: «العراق بين ١٩٢١ – ١٩٢٧» قدمت لنيل الماجستير من كلية الاداب بجامعة بغداد ثم نشرت ببغداد سنة ١٩٧٦ وكذلك رسالة الماجستير غير المنشورة التي قدمها جاسم محمد حسن العدول بعنوان «العراق في العهد الحميدي ١٨٧٦ – ١٩٠٩» قدمت الى كلية الاداب بجامعة بغداد سنة ١٩٧٥.
(١٥١) انظر: نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، جـ ١٠، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ص ٥٣ – ٧٠.
(١٥٢) انظر: نخبة من الباحثين العراقيين، الجيش والسلاح، جـ ٥، (بغداد، ١٩٨٧)، ص ص ١٠٩ – ١٧٠.
(١٥٣) وزارة الدفاع، مديرية التطوير القتالي، تاريخ القوات العراقية المسلحة، جـ ١، (بغداد، ١٩٨٦)، ص ص ١٤٣ – ١٥٩.



الشِّعْرُ

ذوالنون الأطرقجي

مقدمة :

شهدت الموصل في النصف الأول من القرن العشرين أزدهاراً في حركة الشعر، فبرز شعراء كثيرون نشروا قصائدهم في الصحف والمجلات التي كانت تصدر في الموصل انذاك ، أو ألقوا قصائدهم في مناسبات ومهرجانات نظمت لهذا الغرض أو ذاك ، وقد اعتمد الباحث مبدأ الأختيار، تسهيلاً للدراسة والتزاماً بالفترة الزمنية للموضوع لذلك اقتصر البحث على جيل الرواد.

أما بالنسبة للأتجاهات الشعرية ، فقد حددها الباحث بخمسة أتجاهات . كما وجد كذلك أن هناك خصوبة وأبداعاً لدى أولئك الرواد الذين أصاب بعضهم قدر من النسيان. وبدون شك فأن هذا المبحث يحاول أن يفيهم شيئاً من حقهم . وعذراً لمن لم يتناولهم المبحث وخاصة جيل الشباب الذين مازال عدد منهم قيد التطور الأبداعي من جهة ، ولأنهم يمكن أن يستقلوا بدراسة خاصة مستقبلية ذات منهج مختلف من جهة أخرى.

أولاً- الأتجاه الوطني :

عنيت بهذا الأتجاه الشعر الذي يتحدث عن الأنتماء الى الوطن ، والأعتزاز بماضيه وتراثه ، أو نقد الأوضاع السياسية والهجوم على المستعمر وأعوانه ، أو تأييد الثورات والأنتفاضات الوطنية وماجرى هذا المجرى.

١ - الأنتماء الى الوطن :

نجد أن مصطلح «الوطن» كان شائعاً لدى الشعراء المواصلة قبل انعقاد مؤتمر باريس[١] وأن كان مصطلحاً غير محدّد آنذاك ، فقد يمتد ليشمل (الدولة العثمانية) أو الوطن العربي ، أو يتقلص ليخص العراق ، أو سكان وادي دجلة فحسب

ويستخدم داؤد الملاح آل زيادة (١٨٦٣-١٩١٤) المصطلح بمعناه العثماني . وأن كان نصيب المآثر والشواخص العربية فيه راجحاً :

هبوا بني وطني واستلفتوا الأنظار

ويكرر استخدام (الوطن) و (الأوطان) بمعنى سياسي جديد أو يستخدم مصطلح (بلاد) مرادفاً للوطن ، ويقصد «الأقطار العربية». ويتكرر لديه مصطلح (البلاد) و (الوطن) بمعنى الوطن العراقي أو العربي ويستعمل توفيق آل حسين أغا أغوان هذا المصطلح أيضاً بل أننا قد نجد (الوطن) وطناً محلياً يعني المدينة حيناً لدى محمد حبيب العبيدي[٢] (١٨٨٢-١٩٦٣) ، أو يعني غربي دجلة ، أو وادي دجلة ، وقد يتوسع في معنى الوطن مبتدئاً بالموصل ليشمل وادي دجلة ويعني العراق هذا في العهد العثماني ، لكن الوطن يصبح لديه في سنة ١٩١٩ هو «جزيرة العرب».

لست أرضى الجنان لي وطناً
بدلاً من جزيرة العرب

ويستخدم - بعد الأستقلال - أسم (العراق) في قصيدته «أبى الضيم» ويرد لديه مصطلح (الشعب) معنياً به (الشعب العراقي) و (البلاد) مقصوداً بها العراق وتتبلور هذه المصطلحات لديه في بداية الثلاثينات كما في قصيدته (محكمة التأريخ الكبرى) سنة ١٩٣٢ . ويبدو فيها معتزاً بالأنسان (المواطن) وبالمواطنة صفة بشرية ، وهو في العقد العشرين يراوح بين مفهومين للوطن : وطن العرب ووطن العراقيين ، وهو حين يحن الى الوطن حنين الطير فهو مسبوق في هذا بارث عريض من الشعر العربي (قصيدة أنا والطير)سنة ١٩٢٤. ويكثر منذ



الثلاثينات من أستخدام مصطلحات (الشعب) و (النظام) و (العراقي) و (الوطن المحبوب) و (البلاد) و (العراق) مبرزاً قيمة جديدة هي قيمة (الشعب) يتوعد بها المستعمرين وأذنابهم وكلها مصطلحات تتجه الى تكريس الهوية الوطنية العراقية الجديدة في معرض مهاجمة الأحتلال وأذنابه وهو يهاجم السياسة الأستعمارية الأنكليزية والأستقلال المزيف والحكام الأذناب في العراق والبلاد العربية هجوماً لاهوادة فيه.

ويتلاقى لدى فاضل حامد الصيدلي (١٨٨٢-١٩٤٩) قطبا الوطن، والقومية العربية (ذات المحتوى الأخلاقي الاسلامي)، وأن كان



فاضل الصيدلي

أهتمامه بالوطن وقضاياه قد أخذ يحتل الحيز الأكبر من قصائده تدريجياً، سواء في ديوانه «هدية الأحرار»[٣] أم في القصائد الكثيرة التي نشرها في الصحف فيما بعد. وما أن ينتهي العهد العثماني، ويبدأ عهد الأنتداب البريطاني حتى تعلو النبرة الوطنية، ويظهر أسم العراق مرادفاً للوطن في العديد من قصائد الشعراء المواصلة، الذين كانوا ذوي اتجاه عربي واضح. وقد طالبوا باللامركزية ثم بالأستقلال عن جسم الدولة العثمانية خلاصاً من سياسة التتريك لكنهم أبتلوا بما عده بعضهم ظلماً أبشع من ظلم الترك.. ويلتقي في هذا الأتجاه محمود الملاح وفاضل الصيدلي.

وكما يبدو الحب للوطن الصغير أمراً مشتركاً بين الشعراء، وكما رأينا لدى العبيدي[٤] فأن اسماعيل حقي فرج (١٨٩٢-١٩٤٨) يعبر عن انتماء الموصل الى العراق وارتباطها العضوي به، وعن رفض انفصالها عنه رفضاً قاطعاً، عند نشوء مايسمى بمشكلة الموصل:

لست ياموصل الا
دار عـز وكرامـة
أنت فردوس العراق
حبذا فيك الأقامة
أنت منه خير جزء
خاب من رام انقسامه[٥]

ويؤكد وحدة التراب العراقي وعلى رفض فصل (رأس العراق عن جسده).

ويبدو أن تأسيس الفكرة الوطنية وتعميقها في النفوس كان ديوان هذه الطائفة من شعراء مطلع القرن العشرين، اذ كانت الفكرة الوطنية لم تترسخ في القلوب والعقول بعد، وقد وجد هؤلاء الشعراء أن تعميق المشاعر الوطنية يشكل سبباً من أسباب رقي البلدان، مقتدين بالدول المتقدمة، مما دعاهم الى تناول موضوع الوطن بولهٍ يقرب من وله العشاق، ووجد يشبه وجد الصوفية[٦].

ويعبر قاسم الشعار (توفي ١٩٥٥) في مطولته اللامية «سفر كالسجنجل المصقول» عن نزعة وطنية عراقية واضحة.[٧]



قاسم الشعار

ومن الشعراء الذين برز لديهم الأتجاه الوطني قوياً مقترناً بالحس القومي العربي والعاطفة الدينية «بشير الصقال» (١٩٠٦-١٩٨٦م) وقد كان يستخدم مصطلح (الشرق) وقد كانت نبرة الصقال قاسية في نقدها الأوضاع الفاسدة، واضحة جريئة في دعوتها الأصلاحية:

تضاع برافديه حقوق بعض
كما ضاعت بساحته اليتامى
وقد أضحت مصانعه يبابا
كما أمست مصائبه رُكاما
فياليت العراق له شعور
يحس وليته بلغ الفطاما[٨]

ويتضح لدى عبد العزيز الجادرجي (١٩٠٤-١٩٤٦م) الأتجاهان، الوطني والقومي متكاملين شأنه شان شعراء هذا الجيل، والجيل السابق، فهوينقد ابناء البلاد لانشغالهم باللهوعن الأمور الجادة التي ترفع من شأن الوطن وينقد عزلة الحكام عن مطالب شعبهم[٩]

والقوم في سنة لايسمعون ندا
كأنما الشعب عنهم بات معتزلاً[١٠]

ويمدح رشيد عالي الكيلاني وياسين الهاشمي لاتجاهها الوطني، الذي يراه عاملاً في تقدم العراق ويدعو الى الوحدة الوطنية، كما يدعو الى الوحدة العربية، والى التقدم والنهوض[١١] وتبدو روح عبد الجبار الجومرد (١٩٠٩-١٩٧١) الوطنية في نقده الأصلاحي للأوضاع السياسية والأقتصادية والأجتماعية:

بلد يهلك فيه أهله
وبه كل غريب يحترم[١٢]

وقد تناول في قصائد أخرى بالنقد حال الفلاح[١٣] و (الأنتخابات)[١٤] وسخر من الأوضاع الأجتماعية والسياسية[١٥]

ويبدو الأتجاه الوطني لدى محمد وجدي الشربتي في سياق مدح الملك فيصل الأول[١٦]

ويحيي أكرم فاضل روح الفتوة التي شاعت بين الشباب دفاعاً عن الوطن[١٧] ونلمس حرصه على سلامة الوطن في قصيدته «هذا بذاك»[١٨] لكننا سنلمس تغيراً في أسلوب أكرم فاضل في تناول الموضوعات في الأربعينات ومابعدها. حيث سيقترب من البساطة والواقعية الممتزجة بطابع كاريكاتيري ساخر.

ومثلت حادثة مصرع الملك غازي لدى عدد من الشعراء صدمة وطنية جزعوا لها وبكوا الملك الوطني الذي عقدوا عليه الآمال، الى درجة أن رائحة شك بحقيقه مصرعه قد تتسرب من بعض أشعارهم.

واذا تقدمنا الى الأربعينات وجدنا فاضل الصيدلي، يصعد من هجومه على رجال الحكم:

بعتم الشعب والبلاد بمال
في جيوب منزل تنزيلا
واستكنتم للآخرين مطايا
مقودا ريضا وظهراً ذلولا[١٩]

ويفخر أسماعيل حقي فرج بماضي العراق، داعياً الى بعث هذا التراث واستعادة مجده:

وذلك عهد قد علونا به العلا
وأنا لنبغي اليوم أرجاع ذا العهد[٢٠]

ويعبر أكرم فاضل عن شوق الى الوطن وهو خارجه[٢١] ويربط عبد الغني الملاح في وقت مبكر بين حب الوطن وحب الحبيبة. فيجد هذين اللونين من الحب متكاملين:

وأنما انا صب في هوى وطن
وغادة أشبهتني في أمانيها
كلاهما وحدة لافرق بينهما
فمي يغرد طيراً اذ يسميها[٢٢]

ونجد صدى دعوة اسماعيل فرج وفاضل الصيدلي ومحمود الملاح وغيرهم من الرعيل المخضرم الى بعث مجد الوطن، لدى الشعراء الشباب أمثال عدنان الراوي وحازم سعيد، فتابعوهم في نبرتهم



الناقدة، فمنهم فئة بدأت ناقدة نقداً أصلاحياً تصاعد حتى أوشك يشني على الثورة بنقده اللاذع وعلى رأس هذه الفئة فاضل الصيدلي الذي سبق له أن ايد ثورة ١٩٤١، لكنه بات يخشى أن يؤدي سوء الأحوال الشامل الى (ثورة مستوردة) من الخارج لذا نراه يدعو الى العلاج الشامل (ذاتياً) ولكن دون مهادنة الأوضاع الفاسدة[٢٣]

ولعل الشعراء كانوا أكثر حماسة في نقدهم للأوضاع السائدة، وكان بعضهم من ذوي الفكر السياسي الواضح الذي لايكتفي بالنقد، بل يلمح أو يصرح بالبديل القادم – حسب تصوره – من حنايا المستقبل، أو يكتفي بأشارة أو نظرة تقدمية، مستقبلية، أو بنظرة تجمع الأصيل الى الجديد، وهم على اختلاف منازعهم الفكرية يشتركون في الأرضية الوطنية الثورية التي تؤمن بقلب الأوضاع الفاسدة فهذا أحدهم عدنان الراوي (١٩٢٥–١٩٦٧م) يدعو الجراح الى بتر (عقدة) الحكام بعد استفحال فسادهم وخيانتهم:

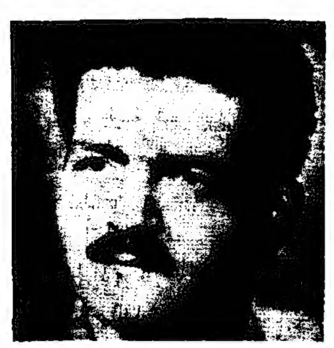
هم عقدة الداء الدفين فقل لهم

ماذا تكون جريمة الجراح[٢٤]

ب– الثورات والأنتفاضات:

تابع الشعراء أنتفاضات الشعب وثوراته مؤيدين؛ فعبد العزيز الجادرجي يشيد بقيم الحرية والأصالة في ثورة مايس ١٩٤١ مستبشراً بالتفاف العرب حولها وأسراعهم لأسنادها[٢٥]. ويرى فاضل الصيدلي في الثورة على الاستعمار ثأراً للوطن وللعرب وللمقدسات المهانة في فلسطين، ويستنفر في المواطن العراقي كل مشاعره الوطنية والقومية والدينية من أجل نصرة ثورة العراق على المستعمر.[٢٦] وتتساند معاني الوطن والعروبة والدين في معظم قصائده[٢٧] حيث استنهض العروبة لنصرة العراق[٢٨] بل أنه ليتوغل من المعاني القومية الشاملة، الى الوطنية العراقية، الى استنهاض المشاعر المحلية لدى أبناء الموصل لنصرة الثورة[٢٩]. وصدى الثورة لديه تعدى العرب الى العالم الثالث، بل شمل العالم وأن بقي الرجع العربي متميزاً[٣٠]. ويشارك فاضل الصيدلي عدد من الشعراء في الهجوم على الحليفة – العدوة أنكلترا، وعلى الأستعمار، مثل (ذنون الشهاب)[٣١].

كما هاجم عدنان الراوي في عدد من مقطوعاته الوطنية الأستعمار البريطاني وعملاءه ضمها فيما بعد



عدنان الراوي

ديوانه «النشيد الأحمر»[٣٢] وقد عبر عن أيمانه الوطني هذا في ديوانيه (هذا الوطن، ومن العراق) المنشورة كثير من قصائدهما في الصحافة الموصلية[٣٣] ولئن كنا نعد دواوينه هذه استمراراً للمرحلة الموصلية فلأن عدداً منها نظم في الموصل، وعدداً آخر من قصائدها نشر في صحافة الموصل وليس غريباً أن يستجيب الشعراء لأحداث وثبة كانون الثاني ١٩٤٨، كما فعل محمود المحروق بل استغرب خروج ذنون الشهاب عن هدوئه.[٣٤]

ويستنهض غربي الحاج أحمد الرجال الأحرار ضد الحكم الظالم:

تالله أن لم يثأروا لبلادهم

لم يخطبوا أملاً ولا استقلالاً[٣٥]

ويعرض بالأنتخابات المزيفة، ويندب حال الأحرار لكنه لايفقد الثقة بالشعب في قصيدته «قل للطغاة»[٣٦] وفي قصيدته «ليل الطغاة» يهجو عصابة الطغيان والعمالة هجاء مراً[٣٧] ويتذكر بطولات الشعب المناضل في وثبة كانون الثاني



مؤشراً الصراع بين الشعب المطالب بحريته وبين قيود الطغيان[٣٨] ويكاد شعره كله يشكل نشيداً وطنياً حماسياً متشابه الايقاع والصور والمعاني[٣٩] وهذا اللون من الشعر الحماسي يلائمه الشعر (العمودي) الصالح للألقاء في المناسبات والأحتفالات. وتختفي عيوب المباشرة والتكرار في هذا الجيشان العاطفي.

ولانجده موفقاً في شعر التفعيلة (الحر) لأنه ينحدر الى صعيد النثر في بعض مقاطع قصيدة «عقرقوف» و «رسالة الى شاذل» و «ليلة في معتقل الدبابات». وقيمة شعر غربي الحاج أحمد الآن تكمن في كونه أضحى سجلاً تأريخياً ووثيقة لمشاهد وأحداث وطنية من تأريخ العراق المعاصر؛ كمهاجمة أتفاقية النفط لعام ١٩٥٢ بقصيدة: (عبث الجراد) واستذكار ثورة العشرين قدوة نضالية (سوح الذات) وأنتفاضات الشعب العراقي بوجه النظام الملكي. وغير بعيد عن هذا الأفق، بشير مصطفى الذي يتغنى ببطاقة الشعب الثورية[٤٠] والملاحظ أن شعراء الخمسينات على أختلاف أتجاهاتهم الفكرية والسياسية قد ربطتهم رابطة الوحدة الوطنية ضد عدو مشترك هو الحكم الملكي، فهاجمه معظمهم: فأحمد محمد المختار يعلن أنتماءه للكادحين، ناقداً الأوضاع الأجتماعية والأقتصادية والصحية[٤١].



أحمد محمد المختار

كما حيا الشعراء ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. ويشارك في تحية الثورة أكثر من شاعر، فسالم الخباز (المولود سنة ١٩٤٠) يدعو زعماءها الى الوحدة العربية[٤٢] وعبدالاله حسن (المولود سنة ١٩٤٠) يدعو الى أزالة الحدود وأكمال عملية الوحدة[٤٣] كما يحيي صالح خليل العارف الثورة جيشاً وشعباً[٤٤] ويهلل لها محمود المحروق مستذكراً مآسي الماضي وعذاب الظالمين[٤٥]

لكننا مانلبث أن نقرأ قصائد الشعراء المواصلة في رثاء شهدائهم في ثورة الموصل سنة ١٩٥٩ ومن أعدم منهم في ام الطبول. فيرثي وعدالله أبراهيم؛ (المولود سنة ١٩٤١) الشهداء في الدملماجة[٤٦] ويؤبن عبدالمحسن عقراوي الشهيد هاشم عبدالسلام[٤٧] **ويمجد محمد عبدالله الحسو شهداء**



هاشم عبد السلام

الحدباء الذين سقطوا في المعركة ضد الشعوبية والحكم الفردي[٤٨] وفي القصائد الثلاث لشاذل طاقة: بعد ساعات يموت الليل، ورسالة حزينة، وبطاقة عيد الى الموصل، ثورة على الطغيان الفردي من أجل الحرية، وتمجيد لتضحية الموصل من أجل غد العراق العربي[٤٩].

ثانياً- الأتجاه القومي:

لو نظرنا بالمنظور القومي الشامل فأن معظم شعر الأتجاه الوطني يدخل في شعر الأتجاه القومي. لذا سيقتصر الحديث على ثلاثة محاور هي:

- أيقاظ الشعور القومي، والتغني بأمجاد الماضي وتراثه.
- الدعوة الى الوحدة العربية.



– الدعوة الى نصرة الأقطار العربية المستعمَرة.

١ – **يقظة الشعور القومي :**

أبتدأ الأتجاه القومي لدى عدد من الشعراء المواصلة عروبياً أسلامياً يدعو الى تعاون العنصرين العربي والتركي في أطار الدولة العثمانية حتى لنحس لونا من التمجد بالعرب وماضيهم ، وبالتعاطف الذي تمتزج فيه الحمية العربية بالعاطفة الدينية في الأحداث التي تصيبهم ، لدى محمد حبيب العبيدي ذي الأتجاه العثماني الأسلامي ، كما في العدوان الأيطالي على ليبيا سنة ١٩١١ الذي أثار مشاعر عدد من الشعراء[٥٠] فيدعو ملا شريف الموصلي (أمة الأسلام) الى نصرة (عرب ليبيا) أخوانهم في الدين والوطن.[٥١]

ونقرأ لعلي الجميل (١٨٨٩–١٩٢٨) قصيدة «نحيب الأقلام» بتوقيع (عربي) ضمن الأتجاه نفسه وسنجد الشعور القومي العربي يتبلور لديه منطلقاً من الحزن لما أصاب العرب في محاولة لأستنهاض الهمم لبعث أمجاد العروبة وأستعادتها ، فيقول :

فما ذرفت عيناي الا لنكبة
المت بمجد العرب أمتي التعسا
هم العرب هم آل الرقي ذوو العلا
بنو المجد من عاداهمو أهلك النفسا
وفاء وأقدام وحزم وسؤدد
من الشيم اللائي غرسن بهم غرسا[٥٢]

ويكرر الدعوة الى بعث مجد العرب ومآثر ماضيهم المجيد وحضارتهم العريقة[٥٣] بل أن العبيدي يدعو الترك الى أنصاف العرب ويدعو ابناء قومه العرب الى النهضة لأخذ حقوقهم :

أنصفوا القوم ايها القوم ماهم
نعم في وسط الفلاة وشاء
يابني الضاد أن للضاد حقاً
ناطحت دون هضمه الآباء
أن رضينا غير الكرامة ورداً
غص منا بشاربيه الماء[٥٤]

ولم يكن الفكر القومي متبلوراً في نهايات القرن التاسع عشر، لكن أحساساً قومياً عفوياً بدأ يتطور الى نوع من الوعي القومي ، كامن تحت الأيمان الديني ، عبر عن نفسه في التعاطف مع الحركات الأصلاحية ، والأعتزاز بالتراث والتغني بأمجاد العرب والشكوى من الفساد والدعوة الى الأصلاح والتخلص من الظلم[٥٥] لكن هذا التكامل بين (الوطنية والعروبة والأسلام) بدأ يفسح المجال بالتدريج لبروز تيار عربي مضاد لتيار التتريك. ولعل كتاب الأناشيد الموصلية للمدارس العربية ، الذي نشره محمد سعيد الجليلي سنة ١٩١٤ يشكل دليلاً على وقوف عدد من مثقفي المدينة «أعضاء جمعية العلم السرية» والمتعاطفين معها ضد نزعة التتريك ،[٥٦] ويتفاوت شعراء هذه الأناشيد في وضوح رؤيتهم القومية ، الا أنهم يلتقون عند الحد الأدنى منها ، وقد تمتزج لدى بعضهم العروبة بالوطنية بالأسلام في غير انفصال بين هذه الأعمدة الثلاثة.[٥٧]

وبعد قيام جمال باشا بحملته ضد المنتمين الى الجمعيات العربية انحاز المثقفون والمتنورون ذوو الفكرة العربية أنحيازاً كلياً ضد سياسة التتريك العنصري وقد عبر الشعراء عن هذا الموقف ، أستذكاراً وفي ذلك الوقت ، يقول فاضل الصيدلي في شهداء القضية العربية :

لو تعلم العرب ماهالوا التراب على
أجساه حزب فدوهم نفس محتسب
قاموا لتحرير أنفاس أضر بها
بغي البغاة بمشروع من الطلب[٥٨]

ولما كانت الدعوة الى بعث الأمجاد والتغني بالماضي أحدى ركائز الفكر القومي ، فقد استغل الشعراء المسرحيات والتمثيليات التأريخية ، فقدموا من خلالها مقاطع تجسد بعض شخصيات هذه المسرحيات (ذات الطابع الوطني والقومي) أو أنهم نظموا قصائد أو مقاطع توظف أحداث المسرحيات



لخدمة الأهداف القومية المعاصرة[٥٩] ويندد اسماعيل حقي فرج بالترك ومظالمهم التي أوقعوها بالعرب رامزاً الى الترك بالحرف (تاء) والى العرب بحرف (الضاد):

ايها (التاء) هل جنى الضاد ذنباً
به سيم العذاب قتلا وصلبا
وأستبيحت دياره منك غصباً
واستهينت كباره الغر سبا
وغدا يشتكي الهوان الصغير[٦٠]

ويؤكد الشعراء على الطابع العربي للمدينة هوية، وتراثاً وتطلعاً، ويكررون ذلك عند نشوء مشكلة الموصل ويؤكد اسماعيل حقي فرج انها بلدة عربية بأرادتها ولسانها وسكانها ومليكها وأنها جزء من دولة العرب ويكرر لفظة (عربية) أربع مرات في ثلاثة ابيات:

هي بلدة عربية رامت بأن
تحيا بكم عربية الاحياء
عربية بمليكها العربي بل
بامامها ذي العزة القعساء
وكتابنا المهدي، يؤيد انها
عربية السكان والانحاء[٦١]

٢ - الدعوة الى الوحدة العربية:

عبر الشعراء بصورة عفوية عن امانيهم الوحدوية، هاهو أسماعيل حقي فرج يعبر عن نزعة وحدوية قوية عند ترحيبه بالوفد السوري عام ١٩٢٧:

وبين فيحاء سوريا اذا انتسبت
وبين بغداد مايدنو به النسبُ
فالفخر بالضاد بين الناس يجمعنا
وفي العروبة منا يشمخ الحسبُ
لم لا وقد وحد التوحيد كلمتنا
وأننا كلنا - لم نفترق - عربُ[٦٢]

ويكرر الدعوة الى الوحدة العربية التي ظلت هدفاً معلناً، يتبلور في المشاعر والأفكار:

هدم الله حدوداً وضعت
بين أقطار تضم العربا[٦٣]

ويدعو محمود الملاح العرب الى الأتحاد ويهاجم الشعوبيين الذين يريدون سلخ مصر عن جسد



محمود الملاح

العروبة[٦٤] ويهيب محمد حبيب العبيدي لحرصه على تحقق النهوض والوحدة، بالمسؤولين أن يجمعوا شمل العرب[٦٥] ويدعو بشير الصقال الى وحدة قومه[٦٦]، ويدعو الجومرد الى الأنبعاث القومي والوحدة العربية غير مفرق بين فرات أو نيل أو بردى[٦٧].

اما عدنان الراوي فان خطابه موجه الى الامة العربية جمعاء[٦٨] - دائما - وهو رجل قومي وحدوي عبر عن ايمانه العميق بالوحدة العربية في عديد من قصائده[٦٩] يشاركه في هذا الايمان شاذل طاقة[٧٠] وغربي الحاج احمد[٧١] واحمد قاسم الفخري[٧٢]. وعبد الحليم اللاوند[٧٣] واحمد محمد المختار[٧٤]

ويأتي عبدالمحسن عقراوي في طليعة جيل غنى معظم شعرائه للوحدة، وحملوا فكرة البعث العربي، واستمرت اغنية عبدالمحسن عقراوي القومية اكثر من ثلاثين عاماً كانت سجلا للاحداث العربية، بغزارة لم تعهد عن شاعر موصلي من قبل. ولعل هذه الغزارة كانت سلاحاً ذا



حدين ، فهي قد زادته تمرساً ودربة من جهة ، واوقعته في السهولة والمحدودية والتكرار من جهة ثانية بحيث اضحت قصائده نشيداً واحداً متصلاً لاتكاد تختلف مقاطعه (اعني قصائده المختلفة). اما الامثلة على شعره الوحدوي فكثيرة لاداعي لذكرها ومن شاء فليرجع الى (حصاد الليالي ، وهشيم الغربة ولهيب الدم).

وسالم الخباز منذ (جراح المدينة) تدور معظم قصائده حول قيم قومية بعثية ، حتى عندما يكون الموضوع وطنياً. فهو داعية وحدوي منذ شبابه الاول عدا ديوان (حقول الصمت) الذي تقع معظم قصائده في ظل التأمل الحزين والانكسار الحزيراني[٧٥].

ويحلم ذوالنون الاطرقجي في «مهاجر في اقاليم الحضور والغياب» بالوحدة بين جناحي الامة (المشرق والمغرب)[٧٦].

٣- قضية فلسطين والاقطار العربية المستعمَرة :

يرصد محمود الملاح احداث الاقطار الشقيقة منذ ان وطأتها اقدام المستعمرين وحين شبت فيها الثورات. ابتداءً من فلسطين-الجرح الاكبر:

فتلك فلسطين تفيض جروحها
وسورية دام يسيل ودامع[٧٧]
ومصر على جمر المطال كأنها
من اليأس بحر موجه متدافع

ويبكي فاضل الصيدلي فلسطين: شهداءً واطفالاً ويتامىٰ ومشردين ، ويستنهض مواطنيه لنجدتهم في عدد من القصائد ويلقي محمود الملاح قصيدته (لاعرب بغير فلسطين ولافلسطين بغير عرب) امام المؤتمر البرلماني المنعقد في مصر لمعالجة قضية فلسطين ، وهي قصيدة طويلة نشرت (الزمان) منها نحو خمسين بيتاً ، وفيها يستصرخ العرب لفلسطين الدامية:

غدت فلسطين مرآة لاندلس
لما تطاير في انحائها الشرر[٧٨]

ويستنهض محمد وجدي الشربتي[٧٩] ، بلغته الرقيقة وقوافيه المنوعة ، قومه العرب لنصرة فلسطين الجريحة ، مهاجماً الحلفاء الخونة :

يابني قومي فلسطين غدت
بقعة حمراء من سفك الدماء
باعها (جون بول) بيعاً فانبرت
تشتري بالروح مثوى الانبياء
فأعيدوها بذياك الشراء

ويتابع شعراء هذا الجيل ومن بعدهم الاحداث والانتفاضات في فلسطين فينبه عبدالجبار الجومرد الى الخطر الصهيوني في قصيدته التي ألقاها في الجامع النوري الكبير بالموصل سنة (١٩٣٣)[٨٠] ويتفاعل مع الاحداث في فلسطين المحتلة كما في قصيدته «ذكرى ودموع» التي يرثي بها ثلاثة من الشهداء الفلسطينيين اعدمتهم عصابة صهيونية في القدس سنة ١٩٣٠.[٨١] ويتابع اكرم فاضل احداث فلسطين في ١٩٣٦ ، و١٩٣٨ شاجباً وعد بلفور منتقداً (نضال العرب الكلامي الذي لايرتفع الى صعيد نضالها الدامي) ، داعيا العرب الى نصرة ثورتها الشعبية.[٨٢]

واستمرت نبرة الشعراء الشباب في الاربعينات في التصاعد غضباً وحماساً متراوحة بين الحماس المجرد وبين التشاؤم ، كما في قصائد عديدة لعدنان الراوي ومنها قصيدته التي مطلعها :

قومي نناشد امة وطلولا
عل المناحة تستفز الجيلا[٨٣]

داعياً الى القوة لاسترداد الحق[٨٤] ويربط عبدالحق فاضل بين ثورة مايس ١٩٤١ وفلسطين[٨٥].

وبينما كان عدنان الراوي متفائلاً بمقدرة الجيش العراقي على تحرير فلسطين[٨٦] وذوالنون الشهاب محرضاً على الجهاد مستبشرا بالنصر[٨٧] اذ بالنكبة تحدث ، فيقترب عدد من الشعراء بغضبهم وحزنهم من حافة اليأس يقول عدنان الراوي :



ووجـدتـني عـبـداً وقـو

مـي في المصيبـة كـالعبيـد

ووجـدت اوطـاني تـضـيـق

وفـوقـهـا عـلـم الـيـهـود[٨٨]

ولعل عدنان الراوي كان اكثر شعراء جيله انشغالاً بقضايا الامة العربية ، لاسيما قضية فلسطين. كما في ديوان (من العراق)[٨٩] .

ويدعو حازم سعيد- ايضا- الى استخدام القوة والالتزام بمنطقها لاسترداد الحق السليب :

تـقـسم الارض انهـا لم تمـلـك

بسوى النار والدم المصبوب[٩٠]

ويتفجع احمد قاسم الفخري ، في مطولته الرائية الباكية- في عيد الفطر-لفلسطين التي باعها الطامعون ، ناقداً الانظمة العربية على لسان شيخ فلسطيني يحكي قصصاً مؤلمة عن بؤس الفلسطينيين وحالهم داخل الارض المحتلة وخارجها[٩١].

ولانزيد شيئاً اذا قلنا ان هناك نظرة متحمسة متفائلة قبل النكبة وبعدها تؤكد على الذات القومية ، ماضياً وحاضراً ، وتتوعد الصهاينة بسوء المصير، ولاتفقد الأمل في جولة او جولات قادمة تسترد الحق السليب ، نجد هذه النظرة لدى « ذوالنون الشهاب »[٩٢] وليس بعيداً عن هذه المعاني التحريضية التي لم تسقط في اليأس قصائد كل من غربي الحاج احمد[٩٣] وشاذل طاقة[٩٤] .

تستمر متابعة الشعراء في الخمسينات ومابعدها لقضية فلسطين سيما ان جراحها مازالت غضة تنزف كل يوم ، فيتابع غربي الحاج احمد مذبحة قبية ودير ياسين. وتبقى فلسطين ملاصقة لاية قضية عربية بل سابقة فحين يذكر غربي الحاج احمد الجزائر مثلاً فانه يسبق الى ذكر فلسطين بحيث اضحى هذا الأمر لونا من التقليد لدى الشعراء.

ثالثاً- الاتجاه الاجتماعي :

يشتمل هذا المبحث على ثلاثة محاور هي : الاخلاق والتقاليد والعلم ، والدعوة الى التماسك الاجتماعي ، ونقد الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدعوة الى تغييرها .

ا- الاخلاق والتقاليد والعلم :

لعل الحديث عن الاخلاق ، يؤطر احياناً ، ويوازي ويقترن احياناً أخرى ، بالحديث عن العلم والتقدم لدى الشعراء المخضرمين ، ولعل (التخلخل) الذي اصاب القيم الاجتماعية والظواهر السلوكية بعد الحرب الاولى ، وازداد بعد الحرب الثانية ، كان اكبر من قدرة هؤلاء الشعراء على الاستيعاب والتمثل سيما انهم قد نشأوا نشأة دينية ، فنرى شاعر (الفضيلة) فاضل الصيدلي يشن هجوماً متواصلاً على الفساد الخلقي بشتى مظاهره ، ويدعو الى مكارم الاخلاق ، وفق النموذج المحافظ الذي نشأ عليه ، ونادراً مانقرأ قصيدة له تخلو من التوكيد على الاخلاق الرفيعة او مهاجمة الرذيلة ، سواء في ديوانه (هدية الاحرار) ام في قصائده الكثيرة التي نشرها بعد صدور الديوان .

ونظرة فاضل الصيدلي وشعراء جيله الاخلاقية تمثل نظرة اكثرية ابناء المجتمع ، وتنطلق من معتقده الديني وفلسفته الحياتية ، وهي فلسفة محافظة بصورة عامة ، وان كانت تدعو الى الاصلاح والتجديد ، وتعتمد العقلانية اسساً عامة للعقيدة الدينية وللقيم المتوارثة ، والملاحظ ان الاخلاق لديه مفردة اجتماعية (لافردية) اذ يرتبط بها الهم الوطني والقومي[٩٥] كما انه يرى- شأن المحافظين- ان الدهر قد قلب لنا ظهر المجن لاننا انحرفنا عن النهج السوي وانسقنا وراء اهوائنا وتمسكنا بالقشور بدل اللباب فاضطربت افكارنا واذواقنا وعقائدنا وخسرنا كل شي .

ومحمود الملاح غير بعيد عن هذا التوجه ، وان كان اقل انشغالاً بهذه المعركة من فاضل الصيدلي ، فهو لايرى نفعاً من علم بلا خلق[٩٦] فهو يهاجم الظواهر الاجتماعية والسلوكية المأخوذة عن



الغرب[97] كما يهاجم النفاق والبخل والمظهرية[98] وفي قصيدته (وانما الامم الاخلاق)[99] يدعو الى التمسك بكل المفردات الاخلاقية الحميدة.

ويهاجم عبد العزيز الجادرجي «التكبر» والنفاق[100] وفي الوقت الذي يدعو فيه اسماعيل حقي فرج وفاضل الصيدلي[101] الى تعليم البنات دعوة حارة. تدخل ضمن اطار مفهومها للاصلاح الاجتماعي، فانها يهاجمان السفور والاختلاط هجوماً لاهوادة فيه، على انه مثار للمفاسد. وهذه الازدواجية لايعدانها تناقضاً (اقصد الدعوة الى التقدم في المجالات العلمية والعمرانية والصناعية والابقاء على وضع المرأة كما هو مع منحها فرصة التعلم).

ولعل في مقدمة المتعصبين ضد السفور من منطلق ديني وعرفي هو عبدالمجيد شوقي البكري حيث يقص - في احدى قصائده - حواراً بينه وبين سافرة في السوق يقنعها فيه بضرورة الحجاب[102].

ويهاجم عبدالجبار الجومرد بعض تقاليدنا الاجتماعية البالية عن طريق السخرية منها، فيسخر من غلاء المهور وتعقيدات الزواج بلغة مطعمة بالعامية الموصلية، عازياً الى هذه التعقيدات الفساد الخلقي[103] ويهاجم محمود الملاح[104] وعبدالجبار الجومرد[105] الفساد الاداري وامراض الوساطة والرشوة فيه. ونجد بين الشباب الشعراء من ينتقد الشباب السطحيين المغرورين المنساقين وراء نزواتهم، ويعدون الاسرة المسؤول الاول عن انحدارهم الخلقي.

ويتفق الشعراء على اهمية التعليم لنهضة الوطن، سواء أكان هذا العلم دينياً (كما في قصيدة العبيدي العلم والعلماء في الموصل الحدباء) التي يرثي فيها مدارس العلم وهي تندثر، ويستنهض الناس من اجل دعمها[106] او علماً دنيوياً نافعاً كما في تعريض احمد عزة آل قاسم أغا (١٨٦٩-١٩٤٢م) بمن يكتفي بدراسة التراث غافلاً عن نهضة الامم المعاصرة وتلمس دعوته الى الاقتداء العلمي بالغرب.

ومنذ تأسيس النادي العلمي عام ١٩١٩م تبارى الشعراء في عقدالآمال عليه في بعث النهضة الثقافية والاجتماعية في البلد[107].

ويدعو عبد العزيز الجادرجي الشباب الى العلم والاختراع[108] وتتصادى دعوات فاضل الصيدلي ومحمود الملاح وعلي ياسين النعيمي وبشير الصقال وغيرهم في الدعوة الى التقدم العلمي والصناعي باقامة المعامل، والاكتفاء الذاتي بالنتاج الوطني، ويدعو النعيمي الى احتذاء النموذج الصناعي الغربي وتشغيل رؤوس الاموال الوطنية في مجالات منتجة واقامة التوازن بين الصادرات والواردات وارسال البعثات العلمية[109].

ويدعو فاضل الصيدلي الى الاكتفاء الذاتي، والى المهن الحرة واقامة مدارس الصنائع[110] ويواصل الشعر في الاربعينات والخمسينات يواصل الدعوة الى العلم والتعليم، والى اللحاق بالامم المتحضرة، والى انشاء المدارس والمستشفيات ونشر الوعي الصحي.

ويشكو أحمد قاسم الفخري حال المعلم الاقتصادية التي انعكست سلباً على الوضع العلمي للعراق.

التقاليد:

لن نتحدث هنا عن التقاليد الاجتماعية، بل عن شيء من التقاليد الادبية التي لها صلة بالاوضاع الاجتماعية السائدة. فلو أخذنا العلاقات الاخوانية، والمجالس الادبية مظهراً من مظاهر النشاط الاجتماعي فأننا نلاحظ ارتباطها بالوان من الشعر كانت شائعة في مطلع القرن وبدأ شيء منها بالاختفاء التدريجي. واعني التأريخ الشعري، والتقاريظ، والتهاني، والتعازي الشعرية (وهي غير الرثاء) من انواع الشعر التي كانت سائدة في



القرن التاسع عشر وماقبله من القرون المتأخرة ، ولعل معظم مساجلات الندوة العمرية من هذا القبيل.

أ- الدعوة الى التماسك الاجتماعي :

يستخدم شعراء هذا الاتجاه الوسائل المتاحة امامهم لاثارة العطف والشفقة على الفقراء ، ولعل من افضلهم اسماعيل حقي فرج الذي يعدد المزايا الدنيوية والاخروية للعطاء فهو نجدة وشجاعة وشهامة وانسانية وفخار بين الناس وهو اجر وجنان الرحمن يوم القيامة.

وقد يستثير عواطف السامعين بقصة يتيم فقير يخاطب امه ويعرض من خلال الخطاب الوان البؤس التي يقاسيها ، ويترجح عبدالعزيز الجادرجي بين هذا الاتجاه وبين الاتجاه النقدي ، فهو يبالغ في مديح الكرم والكرماء على عادة شعراء الاحسان. وان كان ينفرد بين زملائه بذم بخلاء الاغنياء ذماً يقربه -لولا ما اسلف من مديح- من الاتجاه النقدي[111] وهو احياناً اقرب الى هذا الاتجاه الأخير حين ينتقد المحتكرين من منطلق الدين والانسانية ويهاجم اساليبهم في نهب قوت الفقراء فيقترب كثيراً من روحية فاضل الصيدلي[112] بل ان فاضل الصيدلي في بداياته كان مترجحا بين مدح شهم اعطى (اربعين طغاراً) من الحنطة لجياع القرى والزراع وقد اجتاحهم الجراد. وبين ان يهاجم الاغنياء (اكثر الاحيان) لانهم لايؤدون ماعليهم من حق للفقراء.

ب- نقد الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدعوة الى تغييرها :

وباشتداد الازمات الاقتصادية ، وانتشار الوعي بين الشعراء ، ظهر اتجاه الى الاصلاح ينحو منحى نقدياً ، يؤشر الظواهر السلبية وينتقد مسببيها ، ويدعو الى علاجها علاجاً حقيقياً. فنرى شاعراً ساخراً كعبدالجبار الجومرد ينتقد التفاوت الطبقي في المجتمع رابطا المسألة الاجتماعية بالمسألة السياسية[113].

ويهاجم محمود الملاح المستغلين الذين يمتصون دماء البائسين ليفرقوا ماجمعوا على الموبقات :

ماجمعوه من دموع بوائس
في كل موبقة له تفريق[114]

ويرثي الجومرد لبؤس الفلاح في عام شح فيه المطر وجف الزرع ولم ترحمه الضرائب[115] وتستمر الازمات في الاربعينات[116] ويستمر المستغلون في مص الدماء فيصب عليهم فاضل الصيدلي جام غضبه[117] ، ويتابعه في ذلك مجموعة من الشعراء الشباب الذين قد نجد في اشعارهم رؤية طبقية او ثورية .. اما فاضل الصيدلي فانه لايخرج عن حيز الاتجاه الاصلاحي النقدي (بحكم ثقافته العربية الاسلامية وسنه) فيواصل شن حملته العنيفة على المستغلين والمحتكرين من ولاة الامور واشياعهم. وهو مدرك لمساندة المحتكرين والمتلاعبين بقوت الناس لبعضهم ، لان في اصطراعهم ضعفاً لهم جميعاً.

وينذر اثرياء الحرب بسوء العاقبة[118] ويؤشر استغلال المناصب لسلب قوت الناس واحتكار (النفع المشاع) لهم ولاشياعهم.

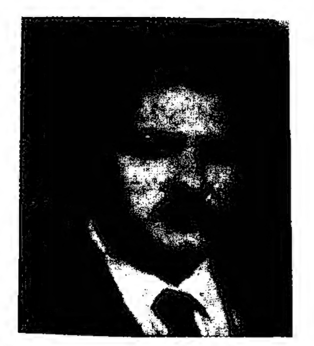
ويعد محمود الملاح من شعراء الاصلاح النقدي الواضحين ، فهو يصور بؤس الفقراء محملاً موقدي الحرب المسؤولية[119] :

كم مجرم في الارض كم من سارق
يمشي اميناً في حمى القانون[120]

فاذا تقدمنا في خمسينات القرن وجدنا معظم الشعراء يتبنون فكراً اجتماعياً واضحاً يؤشر التباين الطبقي الذي قد يصل لدى بعضهم الى درجة الايمان بالصراع ، ويؤمنون بوجوب التغيير الثوري للبنى الاجتماعية والاقتصادية ، بكل وسائل الثورة الاجتماعية والسياسية المتاحة .ونحس في (قصائد غير صالحة للنشر)ان شاذل طاقة يسقط على رمزه



التاريخي بعد التفاوت الطبقي واستغلال الحاكمين للاكثرية المحرومة «كان ياما كان»[١٢١] كما يظهر التفاوت الطبقي لدى هاشم الطعان.[١٢٢] ولدى يوسف الصائغ[١٢٣]



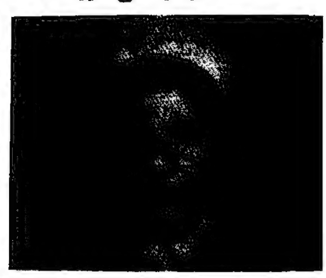
هاشم الطعّان

رابعاً: الاتجاه الديني:

أ- قصائد المديح النبوي التقليدية والاصلاحية:

يمكننا ان نعد قصيدة عبد المجيد شوقي البكري نموذجاً لقصيدة المديح النبوي التقليدية. وهو وان كان لايلتزم (خطة) ثابتة في بناء قصيدته من حيث تسلسل (موضوعاتها) الا ان هناك خطوطاً عريضة لاتكاد قصيدته تخرج عنها.[١٢٤]

ومن الشعراء الذين يمكن اعتبار قصائدهم قصائد ذات نهج تقليدي وان تضمنت احياناً شيئاً من الالتفات الى احوال العصر والمجتمع. لكن هذاالالتفات (الوجيز) لايخرجها عن طابعها الاساس ومهمتها التقليدية الشعراء اسماعيل حقي فرج ومؤيد رؤوف الغلامي ونعمة الله النعمة ومحمد علي الياس العدواني على تفاوت بينهم في الحفاظ على (تقليدية) القصيدة النبوية، بما لايكاد يخرجها عن معاني الاقدمين- ولعل مؤيد رؤوف الغلامي الذي والى النظم في المناسبة اقرب الشعراء التقليديين الى مضامين قصائد عبد المجيد شوقي البكري.[١٢٥] وقد يكون اسماعيل حقي فرج افضلهم صياغة لجملة المعاني الشائعة في قصيدة المولد النبوي واقربهم الى روح العصر وان كان لايخرج خروجاً كبيراً على اسس القصيدة (النبوية) العامة فنجد في قصيدته (البشرى بالولادة ومديح الصفات النبوية، وان كان مديحاً متسماً بالواقعية على غير عادة المداحين



محمد علي الياس العدواني

الصوفية، ثم يذكر انتصاره وصحابته، وتمتزج لديه القيم الدينية بالقيم القومية العربية، (ولم يكن هذا الجيل من الشعراء ليفرق بينها والشاعر يطل على عصره من هذه النافذة) ويمجد الذكرى ويدعونا الى احياء هذاالتراث بالعودة اليه.

ب- قصيدة الاصلاحيين النبوية:

ومن الشعراء الذين نهجوا نهجاً (اصلاحياً)، وطوروا في قصيدة المولد النبوي من هم من رجال العلم الديني-اصلا- محمود الملاح وبشير الصقال، لكن معظمهم من ذوي الثقافة (المدنية الرسمية) على اختلاف في مستويات ثقافتهم، ومنهم ذوالنون الشهاب.. الذي تبدأ احدى قصائده- في المولد- بهجاء الحرب ودعاتها، الذين تركوا القيم الروحية واستعبدتهم انانيتهم.

ويدافع في محور تال من القصيدة عن الاسلام ضد اتهامات المستشرقين، ويذكر جهاد النبي في صياغة (بدو) الجزيرة صياغة جديدة[١٢٦].

ويدعو محمود الملاح الى جوهر الدين النقي مهاجماً مستغليه ذوي المصالح المختلفة، والخرافيين، داعياً الى الاصلاح الديني، مهاجماً الجامدين وذوي الشعارات الزائفة، معلنا ان العرب هم جوهر الاسلام.[١٢٧]

ويركز فاضل الصيدلي في قصيدته النبوية،وخاصة في شطرها الثاني على معالجة اوضاع المجتمع المعاصر، مهاجماً مظاهر الفساد والتفسخ مستنهضا الهمم للنهضة والاصلاح او لنجدة فلسطين، شأنه دائماً في ربط الماضي بالحاضر، والنظر في اوضاع الناس وهمومهم. (١٢٨)

وغير بعيد عن هذا التوجه، قصيدة عبد العزيز الجادرجي، في ربطها الماضي بالحاضر ودعوتها الى الاصلاح الديني والدنيوي والى وحدة الامة العربية، ثم الاستنجاد به لاصلاح مافسد منبها الى قيمة الدرس الذي تعطيه الذكرى:

والذكريات وهن كثر خيرها
ذكرى تنبه في الشعوب شعوراً(١٢٩)

جـ- قصيدة المناسبات الدينية:

استغل الشعراء عدداً من المناسبات الاسلامية لكي يعبروا عن مشاعرهم كمناسبة الحج(١٣٠) يعبرون فيها عن شوقهم لزيارة النبي ومكة المكرمة، مهنئين من ادى الفريضة.

وينتهزون مناسبة حلول رمضان المبارك للتعبير عن عواطفهم وليدعوا الناس الى التمسك بشعائر دينهم(١٣١). او يغتنمون مناسبة العام الهجري ليتذكروا ويستوحوا قيم الاسلام في تحولها الى تشريع اويستوحون قيم القوة والتصدي للاعداء في ذكرى موقعة بدر. كما ان عدداً من الشعراء قد وسعوا من دائرة (موضوعهم) فلم يقصروا شعرهم على المناسبات الدينية فحسب، فينظم محمد علي الياس العدواني قصيدة على لسان (امهات المدن الاسلامية) و (حديث مع المنارة الحدباء) او عن «المسجد»، او يكتب قصيدة «النور في الشريعة» داعياً الى احيائها(١٣٢).

خامساً- الاتجاه الوجداني:

ان الشعر لدى احمد بن محمود الفخري (١٨٦٢-١٩٦٢) «انين الوجد» ضاق به الصدر، يقول:

فما الشعر إلاّ خاطرات متيم
يضيق بها صدراً فينفثها سحراً(١٣٣)

وهو مفهوم للشعر حاول خليل مطران، وجهدت مدرسة الديوان من بعده ان توضحه. والشعر لدى احمد الفخري تجربة شخصية تفيض عنها مشاعر وخواطر، هو «تنفيس عن نفس صاحبه»، وهذا ما قالت به الرومانتيكية(١٣٤) بل ان لنا ما نهتدي به من تأريخ النقد العربي في هذا المجال.(١٣٥) وفي قصيدته النونية المعروفة نجد الصنعة البديعية فيها تقرب من العفوية وتساهم في صعيد الايقاع الداخلي للقصيدة كاحكام المقابلة والمجانسة بين الالفاظ والجمل في (حشو) الابيات، وتتابع (الالفات المقصورة) والمدات في البيتين الاول والثاني مما يتيح ايقاعا داخليا متماثلاً، ويتيح لصوت المغني ان يمتد، بل انه ليهتم ايضا بالتقفية الداخلية احياناً مما يجعل الموسيقى والايقاع الداخلي والخارجي، تحتل الصدارة في شعر احمد الفخري، وهو معني بها اكثر- ربما من عناية بارتياد اصقاع اخيلة او معان جديدة، اما عاطفة الحب فموجودة ساعد التناغم بين المشاعر والايقاع على ابقائها حية متوهجة (على الرغم من تعبير الشاعر عنها بصور تقليدية) الا انه استطاع ان (يفيضها) على الطبيعة والاشياء وجعلها تتناغم معه (وكادت الارض تبكي من تشاكينا) (ونسيم الصبا رق لنا) (والورق تصدح شجوا من تناجينا) فان هبطت المشاعر لاغراق الشاعر في مبالغة (بالدما تجري مآقينا) او بصور تقليدية (لاح كالبدر) او المستعارة من آخرين (نسيا يحينا فيحيينا) الا ان ذلك لايطفيء احساسنا بالعاطفة الرقيقة الجائشة في اثناء القصيدة بل ربما طور الشاعر صورة من الصور القديمة وقدمها لنا وقد طبعها بطابعه الشخصي:

صرنا ننادم تمثالاً نجسمه
خيالكم فيظنونا مجانينا(١٣٦)

واخيراً فالقصيدة- على الرغم من تذكرها ابن زيدون- الا انها تنتمي الى صاحبها وتنطبع بطابعه



الخاص ومع هذا فان احمد الفخري شاعر مظلوم واقع في الظل ومن حقه على احد الدارسين ان يسلط على شعره الضوء.

أ – الغزل التقليدي :

قد نحس بعاطفة حب حقيقية لدى الشاعر، لكنه يعبر عنها بوسائله التقليدية بحكم ثقافته وطوابع عصره. كما نجد في شعر علي الجميل، على الرغم من ان صوره الكلية وجزيئات الصور (التشبيهات والاستعارات) مما هو شائع في شعر القرن التاسع عشر، الا ان بعد الشاعر عن بلده (يبدو انه كان في اسطنبول) هو الذي منح شيئا من شعره هذا الزخم العاطفي الذي يتجلى في تكرار «سلام» ثماني مرات في مقطوعة تتألف من اثني عشر بيتاً :

سلام على شمس بقلبي اشرقت
وهيهات تمحوها يد الغرب من قلبي
سلام عليكم والديار بعيدة
وهيهات من لي بالوصال وبالقرب[137]

ولعلي الجميل (قطع) أخرى في الغزل، تدور في معاني الوجد والفراق والمواعيد والوصال مدار اوصاف الحبيب منها مدار حسي معبر عنه بصور تقليدية «ولعل اصدقها عاطفة وارقها مقطوعة (انا والنسيم)[138] لكنه في قصائده ومقطوعاته الأخرى (ومعظم ماوجدته له مقطوعات) ماكان منها مستقلا بموضوعه، او موظفا في مطالع قصائد المديح والتهاني لايخرج في لغته ومعانيه وصوره عن آفاق شعر الغزل والنسيب التقليديين، ومنه مقطوعته التي مطلعها :

افدي حبيبا قد غدوت بحبه
صبا كئيبا لا افيق ولا اعي

والتي مطلعها

حرام على عيني الرقاد حرام
ومن كان مثلي في الهوى أيلام

او

حلو الشمائل يامن لااسميه
وكلما قلت شعرا كنت اعنيه

او

سجعت بوادي الاثل من نعمانه
طير بروض حف بالريحان[139]

ولغته في القصيدة الأخيرة مثلاً تستخدم الالفاظ التي اصبحت مشاعا بين الصوفية واهل الغزل التقليدي «النقا، العذيب، حاجر، الورقاء، الآرام والغزلان، العقيق، عالج الخ» وقد يكون عذر شعراء هذه الفترة انهم ابناء عصرهم وبيئاتهم، وان رياح التجديد لم تكن قد وصلتهم بعد.

وفاضل الصيدلي –على قلة ما نظم من شعر وجداني– لم يخل قلبه من هواجس وعواطف نظيفة ظهرت على استحياء مطوقة برقابة خلقية (داخلية) صارمة، لكنه لم يسمح لقلبه ان يتوغل في تجربة عميقة خاصة لكي لايخرج على حدود (الحلال والمعروف) ممارسة او خيالا، فبقي في نطاق يشبه نطاق شعر شعراء بني عذرة العفيف، يتسامى بعاطفة الشباب المكبوتة فيرى في المرأة ذكاءها وشخصيتها ويقرأ فضلاً عن جمال العيون روحها ونفسها فمقاييسه للجمال روحية :

ياعيون الملاح مهلا وعذرا
لاتساني مني فدتك عيوني
انك الترجمان للروح والقلب
واكرم بالترجمان الأمين[140]

الا أننا لانقرأ له تطبيقاً لهذا (التنظير) الغرامي، وظلت عواطف شبابه حبيسة اطارها النظري. ويشبهه في هذا الصيام عن الحب والغزل – الا ماندر– مجايله اسماعيل حقي فرج الذي لم نقرأ من (مخزون) عاطفته سوى ماباح به (لصورة) اغراه بوصفها ابراهيم الواعظ – رئيس محاكم الاستئناف آنذاك ورئيس الندوة العمرية– لكنه سرعان ماتذكر– وهو ينساح مع الصورة– واجباته الاخلاقية والاجتماعية (فينهى النفس عن الهوى)

فكيف اذن لم استجب داعي الهوى
وأن الهوى الزاكي لازكى واطهر

وان امرأ لم يستجب لدعائه

فدعه فذاك الجامد المتحجر

ولكن لهذا الحب (حد) معين

فمن جاوز المحدود في الحب يقبر[١٤١]

وقد نقرأ في رحلة قاسم الشعار ابياتا تنم عن لون من العاطفة او أبياتا هي الى السرد الوصفي اقرب تعبر عن مشاعر (سائح) عارضة :

عقدت طرفها ذهابا ايابا

حيث تخطو بموضع التحجيل

لاتؤمل تعليق عينيك في انسان

عينيها فهو كالمستحيل[١٤٢]

ب - الكلاسيكية الجديدة :

نلتقي في الثلاثينات باتجاه تجديدي في شعر الحب يحاول ان يتخلص من لغة الغزل التقليدي الى لغة تقرب من الواقع في السرد والوصف وتبقى بحكم التطور التدريجي الذي حققته (الكلاسيكية الجديدة ومن شايعها في العراق) على شيء من الصور القديمة والقوالب (المطورة) مع التخلص من المبالغة والصور المستهلكة ونحس بأن الشاعر يعبر عن تجربة معاشة يجاور فيها صدقه الشعوري الصدق الفني - قدر الامكان - كما نجد لدى عبد العزيز الجادرجي في عدد من قصائد الحب والغزل[١٤٣] .

ويرتفع الجادرجي أو يهبط ، في التعبير عن تجربة الحب لكنه يحاول شق طريق التحسس الشعري الجديد وشيء من هذه التجارب يحاول التسامي والاقتراب من تجارب (العذريين) ، او لربما من نفحات الرومانتيكية المبكرة ، ولعل للطبيعة المحافظة للمدينة اثرا في تأجيج عواطف المحبين بما تخلق من عوائق امام علاقاتهم . ان عبد العزيز الجادرجي يشكل حلقة وصل بين الكلاسيكية الجديدة «قول اشياء جديدة بقوالب قديمة» او شبه قديمة، وبين الرومانتيكية .

ج - طلائع الرومانتيكية :

لربما كان محمد وجدي الشربتي الشاعر المقل أسبق من غيره في التأثر برياح الرومانتيكية ، بل لعله من اسبق الشعراء العراقيين في هذا التوجه . اننا نلمح هذه الملامح في رهافة الحس . والانكفاء على الذات داخل اطار الكآبة ، والجنوح الى الخيال ، ومناجاة الطبيعة لاسقاط المشاعر والهموم على مجاليها ، كما نجده يلون في الاوزان والقوافي شأن المجددين من شعراء المهاجر والديوان وابوللو.

ايها الطائر في ظل الفنن

غن لي فالقلب أضناه الحزن

غن لي اني غريب في الوطن

بين قومي وذوي القربا ورفاقي[١٤٤]

ونقرأ للحب معاني جديدة لم تكن معروفة لا عند التقليديين ولا عند الكلاسيكيين الجدد بلغة ليست بعيدة عن لغة الرومانتيكيين ، فالحب هبة الله ، وهو من روحه وفي الحب والحسن آيات الله يعرفها من يعرف الحب ، وشهيد الحب خالد لايفنى.

قل هو الله حباك الحب من

روحه والله ذو فضل عظيم

ان روح الله ان حلت بقلب

حزين حل جنات النعيم[١٤٥]

واللغة - كما نرى - بسيطة خالية من الصنعة البديعية - والتراكيب متناغمة ، والقوافي منوعة ، فضلا عن هذه الحساسية الحزينة التي نلمسها في معظم اشعاره ، وان موضوعاته لاتبتعد غالبا عن موضوعات الرومانتيكيين ، وهو وان عاصر الجادرجي - وبدأ بالنشر قبله ، الا انه اقرب منه الى الرومانتيكية لغة ومشاعر وصورا ومضامين[١٤٦] .

ان آثاراً رومانتيكية - عبر مدرسة الديوان والمهاجر وابوللو- قد أثرت بنسب متفاوتة في شعراء العقدين الثالث والرابع ، كما نرى لدى أكرم فاضل وعبد الحق فاضل وذو النون الشهاب وعبد الخالق طه الشعار ومجايليهم.. ويبدو ان بدايات الشعر الوجداني ذي الطابع الرومانتيكي كانت تتألف من تأثيري الشعر التجديدي الوافد متفاعلاً مع موروث شعر الحب العربي سيما لدى العذريين والصوفية . بل ان (عوالق) من شعر الغزل الحسي التحقيقي ظلت في شيء من هذا الشعر الذي اطلقت عليه



صفة الرومانتيكية من باب التغليب (وانا استخدم المصطلحات للتقريب).

يمثل ذوالنون الشهاب ترجحا بين عالمي الكلاسيكية الجديدة والرومانتيكية صورا ولغة وتراكيب (وفي جملة الموقف الشعري) وقد بقي يترجح بينها طويلا الى ان غلبت كفة الكلاسيكية الجديدة لتقلص مساحة الاخيلة الرومانتيكية التي ظل يقتات عليها في الاربعينيات والخمسينات، بعيداً عن التجارب المثرية، ولأن محاولته الطويلة للتوفيق بين التجديد، وبين شعر المناسبات (حتى الاخواني منها) انتهى بالنصر للاتجاه الأخير المتاح بصورة تدريجية وان ظلت انفاس رومانتيكية تعبق من شعره بين الحين والحين كما في عدد من القطع التي نشرها في (الحدباء) في السنوات الأخيرة (وان كنا لانعلم تاريخ نظمها).

وحب ذو النون الشهاب حب مثالي لايكاد يلمس صفات حب حسية للحبيبة الا نادراً بل نحسها عبر خياله وعاطفته، فهي مثال للجمال والنقاء وحبه لها يجسد الطهر.

قد تنشقت من شذاك وان لم
اتردد على حماك المصون[١٤٧]

والمرأة قصيدة ربانية يحتاج حبها الى السمو فهي نور، وهي تجل الهي في الطبيعة كلما امعنت في ملامحها ازددت اعجابا، وهي الخصب والخير العميم

نظم الآلة قصيدة فوعيتها
في لحظة تسمو على اللحظات
تلك القصيدة وثبة فكرية
سطعت كبدر مشرق البسمات[١٤٨]

ولعل من الوان الحب الرومانتيكي لدى الشعراء المواصلة في اربعينيات وخمسينيات هذا القرن، الحب المنعكس على (مرآة الطبيعة)، او المتحد بها توحداً قريبا من الحلول الصوفي، والمصطدم بالعوائق الاجتماعية التي تولد الاسى والحزن ومحاولات التسامي بالمشاعر (الحسية) الى (مثال) اعلى للحب. والتكيف به وفق قيمة مثلى[١٤٩].

فالكون يرق وتتجمل الطبيعة التي يشتق محمد عزة العبيدي لحبيبته صفات من صفاتها، يغلل هذا الجمال طيف حزين يوشح الطبيعة، وتشاطر النجوم والقمر الحبيب المخزون حزنه ويرسم خياله (عالم حبه اليوتوبي) الخاص فيضرب موعداً للقاء في (وادي الجمال) يشرب فيه وحبيبته شراب الهوى العاطر

حبيبي اذا ما التقينا غدا
على مسرح الامل المنتظر
جرعنا شراب الهوى عاطرا
وهمنا بوادي الجمال الاغر[١٥٠]

ويتأثر الشاعر – محمد عزة العبيدي (باليوتوبيات) فيحاول ايجاد عالمه السعيد بعيدا عن هموم هذا العالم – في دنيا الخيال الرحبة، لايشبه الجنة ولا النار، يدخله نديما بين الندمان اذا اكتوى فبنار الشعر والسحر، يتعاطف معه الشياطين ويعلنون انهاء عصر القطيعة بين الانسان والشيطان ويهاجرون معا الى دارهم الاخرى حيث الخلود فيلتقي الشاعر بالخيام ويكون مريده الخ:

يقولون هذا مثلنا عاش في الدنى
وها نحن وافيناه في وهدة الفكر
ابى العيش في دنيا ترنق صفوها
فتاه مع الاحلام في ريق العمر
فعن بلد الاحزان قم نرتحل معا
فني دارنا الأخرى خلود مدى الدهر[١٥١]

وهو حين يصف الجمال الحسي يقيمه تمثالاً من الجمال متفاعلا مع جزيئات الطبيعة (البحر) بحيث تتعاطف الامواج الهائجة مع الجسد الرقيق، أو لنقل يطوع الجمال بسحره عنفوان الموج[١٥٢] ويتخيل الزهور تنقل رسالة من حبيبته واصفاً الطبيعة الجميلة مسرح حبه[١٥٣].

ولعل من ابرز الشباب الذين اقتفوا خطى الرومانتيكيين المثالية الحالمة، هو الشاعر محمود فتحي المحروق، الذي يشتاق الى عالم الروح والمثال، ويترفع عن عالم الطين معتليا صهوة (بساط الريح، الى حيث (اهل السماء) وتسبيحة





محمود فتحي المحروق

الملائك والانوار والنظام الالهي المستتب . ومجموعة «قيثارة الريح»[١٥٤] تمثله في طليعة الشعراء الرومانتيكيين. بل لعله اكثر زملائه الرومانتيكيين رومانتيكية – ان صح التعبير، شكلا ومضمونا ، فمن موضوعاته الاثيرة «الحب الطاهر» الذي يشيع الحياة والجمال في محراب عباده ، في محراب الطبيعة ، والاحلام والاخيلة تتوج الجبين وتغني الحب فتكمله وتقترب به من آفاق الخلود ويفصح عن تأثره بالرومانتيكيين الفرنسيين حين يثبت في ديوانه قصيدة (المساء) معلنا انها عن لامرتين (والعذراء) هي رمز مثالي للحب فهي نغمات الهوى وروح الشعر وهمسة غيبية فاتنة اما هو فحياته هيام وبحث وراء الاسرار وتكاد قصيدته «حورية الفجر» تحدد (بصورة عامة مرنة) ابعاد القصيدة الرومانتيكية لديه ولدى عدد من ابناء جيله : فالحبيب صورة مشكلة من جزيئات جمال الطبيعة ومن خيال الشاعر وهو أقرب الى الروح والحلم وهذه (الجماليات) الطبيعية الروحية موشحة بوشاح الالم والحزن الذي يكون شفيفا اوكثيفا ، وعالم الحب هو الملاذ من عالم الشقاء وهذا الحب الحلمي الطاهر اقرب الى اجواء الاساطير، والمحبوبة قريبة من الكيان الحلمي الاسطوري او الخيال الشعري (حورية) وقد ترد بصورة ملاك او طيف والشاعر لحن ودمعة وذهول وهروب الى الحب المثالي ملجأ من دنيا الهوان وهو معنى يتكرر لدى الرومانتيكيين كثيرا وهم يستعذبون – غالبا – عوالم (الميتافيزيقا) المثالية ، وربما استعذبوا الموت هربا ، او لجوءاً الى عالم الابدية ، او تحرراً من قيود الطين وتساميا عليه :

احورية الفجر لاتندمي
على حفنة من تراب السنين
افيقي في لهفة للرحيل
وبي ظمأ لرحيق المنون

ونجد اصداء مما ذكرنا يتردد في كل قصيدة من قصائد الديوان بقوة او بخفوت ويأنس الشاعر الرومانتيكي الى الصور التي تخفت حسيتها او تترجح بين الحس والمعنى في اطار الضباب والليل والفجر ، ونادراً مايؤثر الضوء الساطع بل يفضل جو الاسرار والغموض والضباب المتناغم مع طابع الحزن. ولعل من حق محمود المحروق علينا ان نسجل انه كان اسبق زملائه الموصليين الى تمثل تجربة شعر التفعيلة (الحر) الجديدة اذ نظم قصيدة «ظلام» عام ١٩٤٨ ونوع فيها القوافي ووزع فيها في التفعيلات توزيعا جديدا وان ظلت الصور واللغة والتراكيب ضمن موقفه الرومانتيكي الطاغي وشاذل طاقة شاعر رومانتيكي منذ بدايات نضجه الفني ، يجتمع لديه الحب والموت[١٥٥]، وقصائده في (المساء الاخير) متماثلة في رسم عالم الحزن والاحلام والفراق والجنون والموت ، في مشاركة للطبيعة في هذه المشاعر، ولغة الديوان تحاول ان تتأنق وان تتنقى من الغريب والخشن من الالفاظ والتراكيب فهي – على غناها – لصلة شاذل طاقة الجيدة بالتراث ، مؤطرة باطار المعجم الرومانتيكي . وتكون حبيبته – على عادة الرومانتيكيين والصوفية – مثالا خارج الزمان والمكان وتتحول قصائده في ديوان (ثم مات الليل) ومابعده الى مايمكن تسميته بالرومانتيكية الثورية ، لتصبح اكثر انضباطا من الناحية العاطفية و (الخيالية) واكثر قدرة على البناء المحكم وتوظيف الرمز كما في قصيدته (وعاد الرجال)[١٥٦] ويكاد الامر ينطبق على معظم قصائد المجموعة الشعرية الكاملة مع تفاوت سببه طبيعة بناء القصائد حيث يكون لتعدد الاصوات واللوحات وتوظيف الرمز والانشغال بالهم السياسي



الواقعي دخل في تقليص مساحة الذات الرومانتيكية المفردة ، وان ظلت الرومانتيكية تشكل ارضية لقصائده حتى النهاية .

وعبد الحليم اللاوند ، رومانتيكي منذ بداياته حيث كان «يستقطب ذاته ويناجي فتاته مناجاة الليل والهوى .. حزين مترف الحزن»[١٥٧] وقاموس عبد الحليم اللاوند لم يكن يخرج تلك الايام عن قاموس الرومانتيكين المألوف حيث تشكل الطبيعة معظم مفرداته .

والملاحظ على شعراء هذه المرحلة ومن تلاهم – ممن هم على صلة جيدة بالتراث – انهم على شيء من الازدواج اللغوي ، مفردات وتراكيب (واكاد أقول مخيلة وتصويرا وحساسية) عندما يكتبون بالنوعين (العمودي او الحر) كشاذل طاقة وعبد الحليم اللاوند وهاشم الطعان وحازم سعيد وغيرهم .. فهم الصق بالصيغ التراثية في قصائدهم العمودية وامتن تراكيب[١٥٨] بينما يحاولون لغة بسيطة دقيقة .. وتراكيب مكثفة ، او ذات نكهة شعبية قريبة من الواقع ، في قصائدهم (الحرة) .

ولابد ان نلتفت قبل مغادرة هذه المرحلة الى عدد من الأسماء كعبدالخالق طه الشعار (البصري الموصلي) الذي يمثل ارث شعر الحب العربي الذي يحاول التجدد متأثراً بشيء من اخيلة الرومانتيكيين ولغتهم احيانا وبالكلاسيكيين الجدد غالباً ، وانت تحس انه يعبر عن تجربة حب صادقة وانه يمتلك ادوات تعبير موصلة[١٥٩] ولغته متينة التراكيب على سلاستها وخلوها من الوعورة اما صوره فمألوفة والمبتكر فيها قليل[١٦٠] .

ويمكن ان نضم احمد قاسم الفخري الى هذا الاتجاه الذي يمتلك العاطفة الصادقة التي لايشط بها الخيال ، ويمتلك التصوير المنضبط العقلاني ، ويستفيد من معطيات الرومانتيكية لكنه يبقى مشدوداً الى ارضيته الثقافية العربية فهو الى الكلاسيكيين الجدد اقرب منه الى الرومانتيكيين يظهر ذلك بمتانة اللغة وفي استفادته من موروث الشعر العربي[١٦١] في شعر الحب وغيره ، وهو اقرب الى مثالية العذريين في حبه[١٦٢] .

اما وجدانيات محمد علي الياس العدواني الرقيقة فهو فيها وريث امين لشعراء الحب العذريين في صدق عاطفتهم وتساميهم[١٦٣] .

اما عبد المحسن عقراوي في قصائد حبه الحقيقية – ومن الصعب ان نفرزها – والمتخيلة – وما اكثرها – فهو شاعر رومانتيكي في الاطار العام ولكنه لم يعمق عناصر التجربة الرومانتيكية لديه ولم يطور حساسيته وادواته لربما بسبب ترجحه بينها وبين مقتضيات الالتزام الذي جعله ينحاز الى لون من (الرومانتيكية الثورية) . ويبقى السؤال :لِمَ لَمْ تكتمل القصيدة (رومانتيكيا) لديه ؟ أهي محدودية القدرة على التحليق ؟ اهو طابع الحماس الثوري الذي التزم به ووزع طاقته الشعرية في اتجاهين (ذاتي) و (خارجي) .. وعوَّدَ الشاعر على نمط من (التفكير) الشعري لغة وتصويراً تقولب في داخله فلا تنويع ولا خروج من اطاره الا نادرا .. ام هو تحول الشعر الى احتراف تجعل التحسس الشعري آليا ؟ ام هو نقص التفاعل بين التجربة والادوات الشعرية ؟

وسالم الخباز ، شاعر حسي واقعي لايبتعد عن مساحة الكلاسيكية الجديدة ، فهو يحاول التجويد والتجديد داخلها ، فهو في «جراح المدينة» حسي تقليدي في حبه[١٦٤] . ومهما يكن من أمر فان «اللغة الرومانتيكية» تلف القصيدة الوطنية والقومية .

واخيراً ، فان الموصل قدمت منذ الستينات اضافات مهمة الى خارطة الشعر العراقي الحديث ، أسهم فيها مجموعة طيبة من الشعراء امثال معد الجبوري وكامل النعيمي ، وبشرى البستاني وعبدالوهاب العدواني ، وحيدر محمود عبد الرزاق وعبدالوهاب اسماعيل وامجد محمد سعيد .. إلا اننا توقفنا في المبحث عند الخمسينات لضرورات تاريخية وموضوعية .

الهوامش

(١) انظر: محمد سعيد الجليلي (جمع ونشر وتعليق) ، الاناشيد الموصلية للمدارس العربية ، (الموصل ، ١٩٥٣) ص ص ١٥ – ٣١ .

(٢) احمد قاسم الفخري (جمع وتحقيق وتقديم)، ذكرى حبيب، (الموصل، ١٩٦٦)، ص ص ٣، ٢٤، ٤١- ٢٢١.
(٣) الجليلي، المصدر السابق، مقدمة الناشر، ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل: دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨ - ١٩٢٢، رسالة ماجستير غير منشورة، قدمت الى كلية الاداب، جامعة بغداد، ص ص ٨٢، ٨٤، ١٤٧ - ١٤٨.
(٤) الفخري، المصدر السابق، ص ٢٤.
(٥) الجليلي، المصدر السابق، ص ٤٩.
(٦) انظر: ديوان اسماعيل حقي فرج، مخطوط لدى حفيده قصي آل فرج، وكذلك نسخة ديوانه لدى ابن اخيه عاهد الملاح «وقصيدة الحنين الى الوطن» وقصائده الاخرى منها: «في طلاب دار المعلمين العالية»، «الدستور والاخلاق».
(٧) جريدة فتى العراق ٢١ آب ١٩٣٥.
(٨) جريدة فتى العراق، مايس ١٩٣٠ العدد (٢).
(٩) جريدة صدى الجمهور ٢٩ تشرين الاول ١٩٣١.
(١٠) جريدة صدى الجمهور ٣ تشرين الثاني ١٩٣١.
(١١) جريدة البلاغ ٨ أيلول ١٩٣٣.
(١٢) جريدة صدى الجمهور ٣ تشرين الثاني ١٩٣١.
(١٣) جريدة البلاغ ١٠ شباط ١٩٣٣.
(١٤) جريدة فتى العراق ١٠ تشرين الاول ١٩٣٤.
(١٥) جريدة صدى الجمهور ٢٧ آب ١٩٣١.
(١٦) جريدة العمال ٢٤ آب ١٩٣٢.
(١٧) جريدة البلاغ ١٥ ايار ١٩٣٦.
(١٨) جريدة البلاغ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٥.
(١٩) جريدة فتى العراق ٢٩ تشرين الاول ١٩٤٨.
(٢٠) جريدة فتى العراق ١٣ أيار ١٩٤٣.
(٢١) مجلة الجزيرة، العدد (١)، ١ مايس ١٩٤٦.
(٢٢) جريدة فتى العراق، ٣ أيار ١٩٤٣.
(٢٣) ينظر على سبيل المثال: جريدة الهدى ٢٧ تموز ١٩٤٧، جريدة فتى العراق ٢٣ حزيران ١٩٤٧.
(٢٤) جريدة العراق، ١٠ تموز، ١٧ تموز، ١١ آب ١٩٤٩، جريدة صدى الاحرار ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٠، «هذا الوطن»، (بغداد، ١٩٤٧)، ص ص ٢٠، ٢٥.
(٢٥) جريدة فتى العراق ٣٠ نيسان ١٩٤١.
(٢٦) جريدة فتى العراق ٧ أيار ١٩٤١.
(٢٧) جريدة فتى العراق ١٠ أيار ١٩٤١.
(٢٨) جريدة فتى العراق ١٤ أيار ١٩٤١.
(٢٩) جريدة فتى العراق ٢١ أيار، ٢٤ أيار، ٢٨ أيار ١٩٤١.
(٣٠) جريدة فتى العراق ٣١ أيار ١٩٤١.
(٣١) جريدة فتى العراق ١٧ أيار ١٩٤١.
(٣٢) «النشيد الاحمر» بغداد ١٩٥١، ص ص ١٤، ١٥، ١٨، ٢٦، ٤٨.
(٣٣) ينظر: «هذا الوطن»، ص ص ٧، ١٦، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٥ و«مَنْ العراق» بيروت، ١٩٤٩، ص ص ٢٩، ٣٠، ٣٧، ٧٤، ٧٧، ٨١، ٨٣، ٨٥، ٩٣.
(٣٤) الاهام، نشرة الاعدادية، العدد (١٠)، نيسان ١٩٤٨، ص ١٣.
(٣٥) ديوانه المخطوط.
(٣٦) المصدر نفسه.
(٣٧) المصدر نفسه، القيت في مهرجان حزب الاستقلال في بغداد بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٥٣.
(٣٨) المصدر نفسه، القيت سنة ١٩٥٤ في مهرجان انتخابي.
(٣٩) المصدر نفسه، وتنظر قصيدته: كفكف دموعك.
(٤٠) سعد البزاز (جمع) المجموعة الشعرية الكاملة، بغداد ١٩٧٧، ص ٢٦٣.
(٤١) جريدة المثال ٦ مايس ١٩٥٤، جريدة المثال، ٢٤ حزيران ١٩٥٤ قصيدة «مع الكادحين».
(٤٢) جريدة فتى العراق، ٢٠ تشرين الاول ١٩٥٨.
(٤٣) المصدر نفسه، قصيدة: نداء الابطال.
(٤٤) جريدة فتى العراق، العدد ٢١٨٢، ١٩٥٨.
(٤٥) جريدة فتى العراق ٧ آب ١٩٥٨.
(٤٦) جريدة فتى العراق ٢ أيلول ١٩٦٠.
(٤٧) جريدة فتى العراق ١٣ كانون الاول ١٩٦٠.
(٤٨) ديوانه المخطوط، زودني بعدد من قصائده الدكتور احمد الحسو مشكوراً.
(٤٩) انظر: المجموعة الشعرية الكاملة، الصفحات ٣٢٥- ٣٢٩.
(٥٠) ذكرى حبيب، ص ص ٩، ٣٣- ٣٧.
(٥١) ديوانه المخطوط: «شغف المسلوب في حياة القلوب» بحوزة حفيده احمد مجيد الملا شريف.
(٥٢) جريدة النجاح، العدد ٧٢ في جمادى الاولى ١٣٣٠هـ.
(٥٣) ديوانه المخطوط بحوزة حفيده الدكتور سيار الجميل.
(٥٤) ذكرى حبيب، ص ص ٥- ٨.
(٥٥) يوسف عز الدين، الشعر العراقي، اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، (القاهرة، ١٩٦٥)، ص ص ١٣٢- ١٤٦.
(٥٦) ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل، ص ١٢٠.
(٥٧) الجليلي، المصدر السابق: كالفارق بين «نشيد العرب سادات الامم» لاسماعيل حقي فرج وبين بعض الاناشيد الاخرى.
(٥٨) مجلة النادي العلمي، العدد ٧ في ١٥ نيسان ١٩١٩ وهي من قصائده القديمة.
(٥٩) تنظر على سبيل المثال: ديوان اسماعيل حقي فرج (المخطوط) وكذلك ينظر: عمر الطالب، المسرحية التاريخية في الموصل، مجلة الجامعة، العدد (١٣)، ١ نيسان ١٩٧٣.
(٦٠) ديوانه المخطوط.
(٦١) المصدر نفسه.
(٦٢) المصدر نفسه، ص ٣٥.
(٦٣) المصدر نفسه.
(٦٤) ديوانه المخطوط.
(٦٥) ذكرى حبيب، ص ص ٢٣٠- ٢٣١.
(٦٦) جريدة العمال، ١٩ تشرين الاول ١٩٣٣.
(٦٧) عدنان سامي نذير، عبد الجبار الجومرد: نشاطه الثقافي ودوره السياسي، (بغداد، ١٩٩١)، ص ٥٩.
(٦٨) عدنان الراوي، حياته وادبه، ص ١٦٢.
(٦٩) تنظر قصائده في جريدة فتى العراق ٢١ تموز ١٩٤٩.



(٧٠) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ص ١٣٣ – ١٣٤ .
(٧١) ديوانه المخطوط ، ص ١٥ .
(٧٢) ديوانه المخطوط ، قصيدة «حبيبتي الوحدة» .
(٧٣) «مساقط الظل» ديوانه المخطوط ، وجريدة فتى العراق ١٥ آذار ١٩٦٣ .
(٧٤) «لن تتعب البنادق» مطبعة الجامعة ، الموصل ١٩٨٣ ، مجموعة مشتركة ، قصيدة احمد محمد المختار.
(٧٥) «جراح المدينة» قصيدة اعراس تموز، ص ٥٧ .
(٧٦) «الترجل عن صهوة البراق» ص ص ١٣٣ – ١٣٨ .
(٧٧) ديوانه المخطوط : ٨ .
(٧٨) ينظر: جريدة فتى العراق ٨ نيسان ، ١٥ نيسان ، ٢٢ نيسان ، ٢٨ نيسان ١٩٣٨ وكذلك ١٤ أيار ١٩٤١ ، الملاح الشاعر: ٢٢ .
(٧٩) جريدة فتى العراق ١٧ أيلول ١٩٣٦ .
(٨٠) جريدة البلاغ ، ١ آب ١٩٣٣ .
(٨١) جريدة فتى العراق ٦ تموز ١٩٣٠ .
(٨٢) جريدة البلاغ ٢٤ تموز ١١٣٦ ، وجريدة فتى العراق ٢٠ تموز ١٩٣٧ ، ومجلة (المجلة) ، العدد (١) ، ١ تشرين الاول ١٩٣٨ .
(٨٣) جريدة فتى العراق ١٣ كانون الثاني ١٩٤٧ .
(٨٤) هذا الوطن : ٤٥ ، «مَنْ العراق» : ٧٣ ، ٧٦ .
(٨٥) مجلة المجلة ، العدد (٥) ، ١٦ أيار ١٩٤١ .
(٨٦) جريدة فتى العراق ٥ حزيران ١٩٤٨ .
(٨٧) جريدة الهدى ١٦ مايس ١٩٤٨ .
(٨٨) جريدة فتى العراق ١٠ تموز ١٩٤٩ .
(٨٩) ديوانه (من العراق) ص ص ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٩ – ٨٠ ، ٩١ .
(٩٠) صوت من الحياة : ٩٢ .
(٩١) ديوانه المخطوط : قصيدة «في عيد الفطر» .
(٩٢) مجلة الجزيرة ١ مايس ١٩٤٦ العدد (١) ، والعدد (٢٩) في ١٩٤٨ .
(٩٣) جريدة نصير الحق ٣ أيلول ١٩٤٧ ، جريدة فتى العراق ١١ أيلول ١٩٤٧ .
(٩٤) جريدة النضال ٦ أيلول ١٩٤٨ .
(٩٥) جريدة فتى العراق ١٧ تموز ١٩٤٧ .
(٩٦) مجلة المعرفة ج ٢٩ السنة (٢) ، ١٥ آذار ١٩٦٢ مقال : «جولة في شعر الملاح للشيخ جلال الحنفي» .
(٩٧) ديوانه المخطوط .
(٩٨) مجلة المعرفة ، العدد السابق .
(٩٩) جريدة العمال ١٤ تشرين الاول ١٩٣١ .
(١٠٠) جريدة الرقيب ١٨ أيلول ١٩٣٨ ، ٢ تشرين الاول ١٩٣٨ .
(١٠١) جريدة البلاغ ٣١ كانون الثاني ١٩٣٦ وينظر ديوان اسماعيل حقي فرج المخطوط : ٤٨ ، جريدة فتى العراق العدد ٣٩٠ في كانون الاول ١٩٣٧ قصيدة فاضل الصيدلي .
(١٠٢) جريدة فتى العراق ٧ تشرين الاول ١٩٤٦ قصيدة الفاتنة المفتونة .
(١٠٣) جريدة فتى العراق ١٠ نيسان ١٩٣٠ .
(١٠٤) ديوانه المخطوط ، قصيدة «الوظائف عندنا» منشورة في جريدة البلاد العدد (٢٦) ، سنة ١٩٢٩ .
(١٠٥) جريدة البلاغ ٢٨ كانون الاول ١٩٣٢ قصيدة : «الجمجمة» .
(١٠٦) الديوان : ١٠١ .
(١٠٧) تنظر : مجلة النادي العلمي ، العدد (١) ، في ١٥ كانون الثاني ١٩١٩ قصائد توفيق آل حسن اغا وفاضل الصيدلي ، وفي العدد (٣) ، ١٥ شباط ١٩١٩ والعدد (٤) ، ٢٨ شباط ١٩١٩ قصيدتان لأحمد الفخري يمجد فيها العلم وطلبه وفي العدد (٥) ، ١٥ اذار ١٩١٩ يناجي فاضل الصيدلي ، طلول العلم داعياً الى بعث عهد الازدهار العلمي والحضاري .
(١٠٨) جريدة الرقيب ، ٢٠ آب ١٩٣٩ .
(١٠٩) جريدة العمال ١ أيلول ، ٢٣ أيلول ١٩٣١ .
(١١٠) جريدة فتى العراق ٢٦ شباط ١٩٣٥ .
(١١١) جريدة فتى العراق ٣٠ كانون الاول ١٩٤٢ .
(١١٢) جريدة الهلال ٢١ أيلول ١٩٤١ .
(١١٣) جريدة صدى الجمهور ٣ تشرين الثاني ١٩٣١ .
(١١٤) مجلة المعرفة ، ١٥ آذار ١٩٦٢ مقال الشيخ جلال الحنفي .
(١١٥) جريدة البلاغ ١٠ شباط ١٩٣٣ .
(١١٦) جريدة الهدى ١٥ شباط ١٩٤٨ ، ٣١ آذار ١٩٤٨ خبرٌ عن اجتماعين لمجلس الوزراء ولممثلي الاحزاب السياسية لمناقشة الازمة المعيشية .
(١١٧) انظر على سبيل المثال : جريدة فتى العراق ١٩ كانون الاول ١٩٤٦ ، جريدة الهدى ٦ تموز ١٩٤٧ ، جريدة فتى العراق ١٧ نيسان ١٩٤٧ ، جريدة فتى العراق ١١ تشرين الثاني ١٩٤٦ ، جريدة فتى العراق ١١ آب ١٩٤٧ ، جريدة الهدى ١٦ تموز ١٩٤٧ .
(١١٨) جريدة الهدى ١٦ تموز ١٩٤٧ .
(١١٩) مجلة المجلة ، العدد (١٨) اذار ١٩٤٢ .
(١٢٠) مجلة المجلة ، العدد (١٧) ١ شباط ١٩٤٢ .
(١٢١) المجموعة الشعرية الكاملة : ٢٥٤ .
(١٢٢) «قصائد غير صالحة للنشر» مجموعة مشتركة ، مطبعة الهدف ، الموصل ، ١٩٥٦ ، ص ص ١٨ ، ٧ ، ٨٦ .
(١٢٣) المصدر نفسه ، ص ١١٦ .
(١٢٤) جريدة صدى الاحرار، ٤ كانون الاول ١٩٥٠ .
(١٢٥) تنظر: قصائده في جريدة نصير الحق ١٧ آذار ١٩٤٤ ، جريدة الهلال ٢٩ آذار ١٩٤٢ .
(١٢٦) جريدة فتى العراق ، العدد ٦٧ ، نيسان ١٩٤١ .
(١٢٧) ديوانه المخطوط . وتنظر قصيدتاه : «الرسول الاعظم» و«السيد الاعظم» . وانظر: جريدة السجل ، ١ تشرين الاول ١٩٥٠ قصيدة في رثاء الشيخ عبد الله النعمة .
(١٢٨) جريدة فتى العراق ١٧ أيار ١٩٣٨ .
(١٢٩) جريدة البلاغ ٢٠ حزيران ١٩٣٥ وينظر كذلك : جريدة العمال ، ٦ تموز ١٩٣٣ .
(١٣٠) جريدة فتى العراق ١٣ كانون الاول ١٩٤٦ . قصيدة عبد المجيد شوقي البكري «عاد الحجيج» . جريدة فتى العراق ١٦ حزيران ١٩٦٠ قصيدة عبد المحسن عقراوي «عودة النور» . جريدة فتى

العراق ١٥ نيسان ١٩٦١ «في الشوق لزيارة النبي» قصيدة محمد علي الياس العدواني ، جريدة فتى العراق ٧ نيسان ١٩٦١ «في الشوق الى مكة المكرمة» قصيدة محمد علي الياس العدواني .

(١٣١) ينظر على سبيل المثال : جريدة فتى العراق ٢٥ أذار ١٩٦٠ قصيدة ذوالنون يونس مصطفى ، وجريدة فتى العراق ١٧ شباط ١٩٦١ قصيدة احمد محمد المختار وقصيدة محمد الحسو «في رمضان» من اوراقه المخطوطة .

(١٣٢) ينظر على سبيل المثال : جريدة فتى العرب ١٦ أيلول ١٩٦٥ ، جريدة فتى العراق ١٨ أيلول ١٩٦١ جريدة فتى العراق ٣ تموز ١٩٦١ .

(١٣٣) منيف موسى ، نظرية الشعر عند الشعراء النقاد في الادب العربي الحديث ، من خليل مطران الى بدر شاكر السياب ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٨٤ .

(١٣٤) محمود الربيعي ، في نقد الشعر ، ط ٤ ، دار المعارف بمصر ، (القاهرة ، ١٩٧٧) ، ص ص ٩٦ – ٩٧ .

(١٣٥) احسان عباس ، تاريخ النقد الادبي عند العرب ، دار الامانة ومؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٩٧١) ، ص ١٧٠ .

(١٣٦) الابيات المستشهد بها من القصائد التي زودني بها مشكوراً الدكتور سيار الجميل .

(١٣٧) ديوانه المخطوط .

(١٣٨) مجلة النادي العلمي بالموصل ، العدد (٤) ، ٢٨ شباط ١٩١٩ .

(١٣٩) ديوانه المخطوط .

(١٤٠) «هدية الاحرار» ص ص ٥٩ ، ١٧٧ .

(١٤١) ديوانه المخطوط .

(١٤٢) جريدة فتى العراق ٣١ آب ١٩٣٥ .

(١٤٣) انظر : جريدة الرقيب ١٤ آب ١٩٣٨ ، ١٠ ايلول ١٩٣٩ وجريدة الرقيب ٢٨ كانون الاول ١٩٣٨ وتنظر قصائده في جريدة الرقيب العدد (٩٠) ، سنة ١٩٣٩ والعدد (٨٢) سنة ١٩٣٩ والعدد (٧) سنة ١٩٣٩ .

(١٤٤) جريدة فتى العراق ٢٢ حزيران ١٩٣٠ .

(١٤٥) جريدة العمال ١١ آذار ١٩٣٢ .

(١٤٦) للمزيد تنظر : قصائده في جريدة العمال ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٢ ، ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٣ ، جريدة فتى العراق ٩ تموز ، ٢٧ تموز ، ٣١ آب ١٩٣٦ .

(١٤٧) جريدة فتى العراق ٢٦ كانون الاول ١٩٥٧ .

(١٤٨) احمد فياض المفرجي ، المرأة في الشعر العراقي الحديث ، مطبعة الجامعة ، (بغداد ، ١٩٥٨) ، ص ٧٦ .

(١٤٩) محمد غنيمي هلال ، الرومانتيكية ، دار الثقافة والعودة ، (بيروت ، ١٩٧٣) ، ص ص ٧٨ ، ١٧٩ – ١٨٩ وينظر : البير يس ، الاتجاهات الادبية في القرن العشرين ، ترجمة جورج طرابيش ، دار عويدات ، (بيروت ، ١٩٦٥) ص ص ١٤٠ – ١٤٥ .

(١٥٠) من اوراق الشاعر محمود المحروق نقلاً عن الفجر ، العدد (٤) في ٣٠ آذار ١٩٤٩ .

(١٥١) من اوراق الشاعر محمود المحروق نقلاً عن مجلة الدنيا ، دمشق ، العدد (٩٩) في ١١ آذار ١٩٤٩ .

(١٥٢) من اوراق الشاعر محمود المحروق ، عن مجلة الفجر ، السنة (١) ، ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٨ .

(١٥٣) المصدر نفسه ، عن مجلة الفجر العدد (٢) ، ١٥ كانون الاول ١٩٤٨ .

(١٥٤) مطبعة الاتحاد الجديدة في الموصل ١٩٥٤ .

(١٥٥) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ص ١٤٢ ، ١٦١ – ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٩٤ وغيرها .

(١٥٦) ينظر : الشعر العراقي الحديث ٥ حزيران ٦٧ – تشرين الاول ١٩٧٣ ، مبحث البناء ، ص ص ٤٩٥ – ٤٩٩ .

(١٥٧) «قصائد غير صالحة للنشر» مقدمة شاذل طاقة لقصائد عبد الحليم اللاوند ، ص ص ٣١ – ٣٢ .

(١٥٨) جريدة فتى العراق ٨ كانون الثاني ١٩٦٣ وينظر المجموعة الشعرية لشاذل طاقة .. قصيدته في مؤتمر الادباء العرب القاهرة .

(١٥٩) ينظر : عدد من قصائده في جريدة فتى العرب ١٩ تشرين الثاني ، ٢٦ تشرين الثاني ، ١٧ كانون الاول ، ٣١ كانون الاول ١٩٥١ ، جريدة فتى العراق ٢٢٠ نيسان ١٩٥٣ .

(١٦٠) كذلك .

(١٦١) ديوانه المخطوط .

(١٦٢) المصدر نفسه ، قصيدة «طفولة حب» .

(١٦٣) جريدة الحدباء ١٦ تشرين الثاني ١٩٨٤ .

(١٦٤) الصبا والشقاء القرمزية» : ١١٨ ، دوامة ١٢٦ – ١٢٧ ، معبد القلب ١٣٣ وغيرها . والفصول : ظمأ ص ٧٧ ، جحود ٧٩ ، سمراء وميل ٨٤ . حداء المواكب : متى صباحي : ٨٩ احبك ٩٣ .

القصة

أ . د عمر محمد الطالب

أقمتُ مبحث القصّة في الموصل على الأسس الآتية :

(١) حددتُ الموصل بالتقسيم الجغرافي للواء الموصل سابقاً وماضمه اللواء من أقضية ونواحٍ ، بالنسبة لكتّاب القصة الذين ولدوا قبل تحديد محافظة نينوى الحالية .



(٢) عددتُ كل من ولد في الموصل موصلياً. وأن قضى ردحاً كبيراً من عمره في محافظة أخرى.
(٣) عنيت بكتّاب القصة الذين جمعوا قصصهم في كتب منشورة.
(٤) لم أقف عند عدد كبير ممن نشروا قصصهم في الصحف والمجلات لأن الدراسة لم تستوعبهم تمثلاً بعدد الصفحات التي حددت لهذا الفن في الموسوعة.
(٥) توقف عدد كبير ممن نشروا قصصاً في الصحف والمجلات عن كتابة القصة.

أما الشباب فلم تكتمل أدواتهم الفنية بعد. لذا أرجأت الكتابة عنهم الى فرصة أخرى.

العوامل التي ساعدت على نشأة القصة في الموصل:

حدث التغيير في الموصل منذ القرن التاسع عشر. فقد حكم العراق بعض الولاة العثمانيين الذين وضعوا نصب أعينهم أصلاح الأوضاع المتردية فداود باشا ومدحت باشا مثلاً عملا على تحسين الأدارة والري والأمن ثم أنتهى الأمر بأعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨، ومع هذا التغيير الأصلاحي تفتحت عقول الموصليين، فقد كانت العلاقات السياسية والتجارية وثيقة بين الموصل وبغداد واستنبول وحلب، فقد ذهب الموصليون الى استنبول للدراسة وعادوا متأثرين بما شاهدوه هناك من عوالم الحضارة والتقدم. كما كانت العلاقات الثقافية والدينية قوية بين الكنائس المسيحية في الموصل وبين الأوساط الدينية في لبنان وروما وباريس وظهرت الجمعيات السياسية القومية في الموصل تدعو الى الأستقلال بروح عربية وثابة، ومارست أعمالها في الموصل بين عامي ١٩٠٨-١٩٢١، وأثرت هذه العوامل في تعلم اللغات الأجنبية الى جانب اللغة العربية. ومحاولة تقليد الأنواع الأدبية ولاسيما فن القصص في أطاره التمثيلي. فقد كتبت أول مسرحية عراقية في الموصل من قبل (القس حنا حبش) عام ١٨٨٠ المتوفي عام ١٨٨٢ وهي (كوميدية آدم وحواء، وكوميدية يوسف الحسن، وكوميدية طوبيا) وأنتزع المؤلف موضوع مسرحياته الثلاث من الكتاب المقدس. وقد أمتلأت بالخطب والتعاليم الدينية وجدت شخوصها رذائل وفضائل مجردة لنشر المثل الدينية. وفي هذه المسرحيات قص متقن، فيه شخصيات رسمت رسماً محدداً.

وقدم الآباء الدومنيكان على مسرح مدرستهم في الموصل عام ١٨٨٩ مسرحية (نبو خذ نصر) للخوري هرمز نورسو وكان مدرساً في المدرسة ذاتها، ومثلت مسرحيته (لطيف وخوشابا) التربوية الأجتماعية على مسرح المدرسة ذاتها عام ١٨٩٣ لمعلم آخر في المدرسة هو نعوم فتح الله سحار المتوفي عام ١٩٠٠، وتوالت المسرحيات التي ألفها المعلمون في المدرسة أو التي ترجموها[1]. وقد ساعد الفن التمثيلي كتاب القصة بعد ذلك على تفهم طبيعة الحدث الذي يشترك فيه كل من فني المسرحية والقصة. وعلى أدارة الحوار ورسم الشخصيات.

على الرغم من الأختلاف البين لهذين العنصرين المهمين بين فني القصة والمسرحية فقد كثر كتاب المقامة في الأقطار العربية في القرن التاسع عشر، مقلدين فيها مقامات بديع الزمان والحريري، وقد ألتفتوا الى مافيها من عنصر قصصي ولاسيما في (حديث عيسى بن هشام) للمويلحي في مصر و (مجمع البحرين) لناصيف اليازجي في لبنان، و (سجع القمرية في ربع العمرية) لأبي الثناء الآلوسي. وكانت محاولاتهم تتراوح بين التقليد والسلاسة المبدعة.

ومن المقامات التي ظهرت في الموصل مقامة (السيد خليل البصير) عام ١٧٨١ ومقامة (ملحمة الموصل) للسيد فتح الله القادري المتوفى عام



١٧٨٩ وهما تصفان حصار (نادر شاه) للموصل عام ١٧٤٣ وأستبسال أهل الموصل وتضحيتهم في سبيل الحفاظ على مدينتهم وخضوع نادرشاه وطلبه الصلح من والي المدينة. ومقامة حسن عبد الباقي المتوفى عام ١٧٤٤ والتي تدور حول الموضوع ذاته وتصف المجاعة التي حلت في مدينة الموصل وذهب ضحيتها الآلاف من السكان ومقامة خليل بكتاش المتوفى عام ١٨٢٠ والتي تصور ما وصل اليه العلم من تدهور في مدينة الموصل على أيدي المشعوذين من طلبة العلم.[٢]

ولاينكر أن للترجمة الأثر الكبير في توجيه فن القص في الموصل، فقد تعرف المثقفون الموصليون على آثار القصصيين الغربيين أمثال (فكتور هيجو وتولستوي وأسكندر ديماس والفريددي موسيه) عن طريق الترجمة أكثر مما عرفوهم عن طريق قراءتهم بلغتهم الأصلية، وقد كانت الترجمة عن الفرنسية الأوسع أنتشاراً لأن وزارة المعارف العثمانية، جعلت اللغة الفرنسية أجبارية في جميع المدارس الرشدية والأعدادية وفي المدارس العليا. وأصبحت الأوسع أنتشاراً في أرجاء الدولة العثمانية. للعلاقات الدبلوماسية القوية بين الدولة العثمانية وفرنسا، هذا فضلاً عن تقارب التيارات الثقافية بين الشعوب في حوض البحر المتوسط، كما أن بعض كتاب فرنسا لعبوا أدواراً أساسية مهمة في حياة بلادهم وأصبح أسمهم رمزاً للحركات التحريرية وذاع صيتهم مثل فكتورهيجو على سبيل المثال لا الحصر.

وساعدت الصحف والمجلات اللبنانية والمصرية التي دخلت الموصل، على فتح أعين الموصليين على فن القص، الجديد عليهم كل الجدة، بعد أن كانت فكرة أحياء الأدب العربي القديم والأهتمام بالشعر قد سيطرا على الجو الأدبي فيها، ومن المجلات العربية التي عنيت بالفن القصصي ونشرته على صفحاتها، وقرأها مثقفوا الموصل، (البشير) ١٨٧٠، (الجنان) ١٨٧٠، (الأهرام) ١٨٧٦، (لسان الحال) ١٨٧٧، (الصفا) ١٨٨٦، (جريدة لبنان) ١٨٩١، (الكشافة) ١٨٩٥، (المقتطف) ١٨٨٧، (الهلال)، ١٨٩٢، (المشرق) ١٨٩٨، (فتاة الشرق) ١٩٠٦، (البرق) ١٩١٠، (النفائس) ١٩١٢.[٣]

وذكرت لفظة (رواية) لأول مرة في العراق في جريدة (صدى بابل) عام ١٩٠٨، حيث أوردت «فنشر لهم المقالات السياسية والخطب الأدبية والأخبار الخيالية والروايات الفكاهية مما يلذ سمعه وتلذ مطالعته» (العدد الأول) ونشر في العدد ذاته رواية ملخصة عن الأدب الغربي تحت عنوان (رواية العدل أساس الملك) وهي حكاية من نوع المغامرات التي تستهدف العبرة والعظة، وقد نشرت مسلسلة في سبعة أعداد.

وتبعت جريدة (الرقيب) عام ١٩٠٩ جريدة صدى بابل حين نشرت رواية مترجمة عن الفرنسية بقلم الأب أنستاس الكرملي بعنوان (الأصبعي). ووضح الدافع الذي دفعه لترجمتها في مقدمة طويلة نجتزئ منها قوله: «عزمنا أن نتحف قراء الرقيب ببعض هذه الروايات أطلاعاً على آداب الأفرنج وأقوالهم في هذا الصدد وتسلية القارئ وحثاً لأبناء المطالعة على تشرب حب الأدب والمناقب والمآثر من خلال تلك السطور» (العددان ١٧١، ١٧٢)، وترجم الأب أنستاس الكرملي في مجلته (لغة العرب) عام ١٩١١ قصة (ينبوع الشقاء) لـ (كزافيه ميرميه) وأطلق عليها أسم (الأحدوثة)، ونشر قصة مترجمة أخرى بعنوان (مريم) في المجلة ذاتها عام ١٩١٢.

وتمتاز هذه الروايات المترجمة بأسلوب تعليمي وعظي يدعو الى التمسك بالفضائل والخصال الحميدة في أطار رومانتيكي يستند على التضحية في سبيل الغير والعمل من أجل الآخرين ومن أوائل المترجمين عن الفرنسية (روفائيل بطي) الذي ترجم رواية (يوم زلزلت الأرض زلزالها) ونشرها في



الصحف التي أصدرها عام ١٩٢٩ . وترجم عبد المسيح وزير عام ١٩٢١ رواية (القيصرة في مقصورتها) للبارونة زينيدتانكوف ، وترجم ذنون أيوب عن الأنكليزية (المعطف) لكوكول عام ١٩٣٢ ورواية (المكفول) لجيركوف عام ١٩٣٣ و (الأم) لغوركي عام ١٩٣٤ ، وأشترك مع أكرم فاضل في ترجمة رواية (الآباء والأبناء) لترجنيف عام ١٩٥٠ ورواية (أسد الفلاندرز) لهاينريج كونيس ترجمها عن الألمانية ، كما ترجم غانم الدباغ قصصاً عن الأنكليزية بعنوان (قصص من الغرب) عام ١٩٥٠ . هذا بالأضافة الى الترجمات العربية الكثيرة للقصص والروايات .

وبعد أنتشار القصص عن طريق الترجمة والصحافة تغيرت نظرة الأدباء الى الفن القصصي وفهموا نظرته وبخاصة أولئك الذين يجهلون اللغات الأوربية . وأقبلوا على كتابة هذا اللون من الأدب ، وكان لهؤلاء المترجمين أثر آخر ، هو أنهم ذللوا اللغة العربية وأساليبها حتى أستلانت ، مما سهل الأمر على كتاب القصة ومهد لهم السبيل للخلق والأبداع .

وكان لظهور الأفكار الأجتماعية الجديدة أثر مباشر في ظهور الفن القصصي . فقد كان (الحب) خطيئة فوجد من يدافع عنه ، وكانت (الحرية) مجرد كلمة تقال فوجدت من يضحي بنفسه من أجلها ، وكانت (الطبقات الأجتماعية) قدراً مقبولاً ، والأقطاع سمة العصر فبدأ التفسخ في هذا الكيان الأجتماعي مع ظهور طلائع الطبقة الجديدة طبقة المثقفين وصغار الموظفين والعمال ، وتغير الكثير من المفاهيم والتقاليد وأساليب الحياة ، وتغيرت الملابس ، وحل السروال الغربي محل الثياب المرسلة السابقة . ولكن الجهد الحقيقي لهذا العصر يتمثل في محاولات الأصلاح الأجتماعي التي مهدت للفن القصصي لما أتسمت به هذه المحاولات من واقعية في النظرة ومحاولة تحرير شخصية الفرد من ناحية ، وأبراز الشخصية العربية من الناحية الأخرى ، ومن هذه المحاولات التي تستهدف تحرير الفرد والمجتمع ، محاولة تحرير ثقافة الفرد وتخليصه من الحصار الذي ضربه نظام التعليم القديم حوله ، فأنشئت في العراق كليتي الحقوق والطب ودار المعلمين العالية الى جانب دور المعلمين الأبتدائية وطبقت المناهج الغربية المتحررة ، ودفع المقتدرون أقتصادياً بأبنائهم الى أوربا ليستفيدوا من ثقافتها المتطورة . ودعا بعض الكتاب العرب المتأثرين بالفكر الأوربي ك(لطفي السيد) مثلاً الى أحترام العقل والتفكير وتغليب أعتبارات المصلحة القومية والنظرة الواقعية على العاطفية والحماس الخطابي ، والى دراسة علاقة الفرد بالمجتمع ، وتفسير السلوك البشري تفسيراً علمياً يخضع للتطور ويتأثر بمناهج المفكرين الغربيين ، وتتضح محاولات الاصلاح الأجتماعي في محاولة (قاسم أمين) وأمله في تحرير المرأة ، ودعوته لمشاركتها الرجل في العمل والحياة العامة ، وقد لاقت هذه الدعوات صدى في الموصل ، فمن الناحية الأجتماعية ظهرت المرأة من خدرها ، ودخلت المدرسة لتتعلم وتتثقف . بعد أن كان ينظر الى تعليم المرأة نظرة أحتقار وأستهجان ، كما دخلت الجامعة جنباً الى جنب مع الرجل وخرجت للعمل معه وخاصة في مجالي التعليم والطب . ونشطت الأقلام في الكتابة عن المرأة وزخرت القصة في الموصل بموضوعات الحب ، بل أستغرقت أكثر قصص الرواد من كتاب القصة في الموصل مثل (سليم بطي) . وتطرق القاص في الموصل الى مشكلات المرأة في المجتمع العراقي وأهتم بمشكلة الزواج والطلاق والبغاء والخيانة الزوجية والقتل غسلاً للعاركما في قصص (يوسف متي وذنون أيوب وعبد الحق فاضل) .

وقد تفاعلت الموصل مع الألوية العراقية الأخرى ومع الأقطار العربية تفاعلاً فكرياً وأجتماعياً وسياسياً ، وكانت فكرة القومية هي الفكرة التي



تبلورت في نفس المواطن الموصلي كما تبلورت في نفس المواطن العربي على حد سواء. وليست ثورة العشرين في العراق. والتي أمتد اثرها الى الموصل— وثورة ١٩١٩ في مصر إلا أنتصاراً للفكرة القومية في المجال السياسي، وبعث قيام هاتين الثورتين في نفوس المثقفين أملاً بتحقيق الشخصية العربية وأستقلال هذه الشخصية في شتى المجالات الفكرية والأدبية.

وقد أهتمت القصة في الموصل أهتماماً كبيراً بالقضايا السياسية. وعرّت بصورة مباشرة أو غير مباشرة فساد الأجهزة الأدارية وتأثير ذلك على الشعب الفقير، والفوران والنقمة والثورة التي كانت تجتاح صدور المتعلمين العارفين ببواطن الأمور. ونتج عن مواجهة الموصليين لواقعهم مواجهة أيجابية أن أصبحوا صادقين في التعبير عن أزماتهم ومشكلاتهم والأحداث التي يمرون بها والواقع الذي يعيشونه، كما أن الثورة قوت فيهم دقة الملاحظة لكي يستوعبوا هذا الواقع بتفاصيله وجزئياته، وأنعكس كل ذلك على فن كتابة القصة في الموصل فأهتم كتاب القصة أهتماماً كبيراً بالجزيئات، ورأوا

العربي الجزل الخالي من التصنع. وتعد جريدة (نينوى) الصادرة عام ١٩٠٩ أول جريدة أهلية تصدر في الموصل وتلتها جريدة (النجاح) عام ١٩١٠ ورأس تحريرها (خير الدين العمري) أحد مثقفي الموصل. وصدرت في أوائل الحكم الوطني جريدة (الجزيرة) عام ١٩٢٢ وجريدة (العهد) عام ١٩٢٥ وجريدة (العمال) عام ١٩٣١، ونشطت الصحافة الموصلية في الثلاثينات حيث صدرت ست عشر صحيفة منها: الرقيب، المعارف، الأخلاص، الحق، فتى العراق، صدى الجمهور، البلاغ، وصدرت في الأربعينات صحف أخرى منها: نصير الحق، الأديب، صوت الأمة، الهلال، النضال، الهدى، الرافدين، الأبتكار، صوت الأحرار، وصدر في الخمسينات عدد كبير من الصحف في الموصل منها: المثال، الهدف، اللواء، الراية، الحدباء، الكشكول، الفنار، الأساس، المستقبل، صدى الأهالي، لواء الحق، الروافد، صدى الأشتراكية، الأنشاء، الجداول، الحقيقة، الشبيبة، الأخبار التجارية.

العدد ٥ السنة الاولى

الأنشاء

الأنشاء

جريدة أدبية اسبوعية حرة

المدير المسؤول ... عبد المنعم الدباغ

السبت ١٨ نيسان ١٩٥٣م

تعوض لمشاركي جريدة

نصير الحق

جريدة الأنشاء

من الواجب ذكرها حتى يتم النقل الصادق عن الواقع ويكون الكاتب القصصي بذلك قد أعطى القاريء كل الحقيقة.

ولاينكر فضل التعليم على القصة، فقد التهم المتعلمون مانشر في الكتب والصحف والمجلات، وقد حملت الصحافة معها أطيب الثمرات وتركت أعمق الآثار وكانت قد صدرت جريدة (الموصل) عام ١٨٨٥ وهي جريدة رسمية صدرت باللغتين العربية والتركية، وتميزت هذه الجريدة بأسلوبها

وعنيت بعض هذه الصحف بنشر القصة على صفحاتها، الاّ أن العناية الكبرى للقصة ونشرها في كل عدد تقريباً حدث في مجلتي (المجلة) التي صدرت في الثلاثينات وأصدرها القاص الموصلي عبد الحق فاضل بالأشتراك مع يوسف الحاج الياس و (الجزيرة) التي عني بأصدارها الأستاذ ذنون الشهاب.

وعبرت الصحافة في بغداد عن أهتمامها بالفن القصصي ولاسيا تلك الصحف والمجلات التي



أصدرها أصحابها الذين هم من أصل موصلي مثل: داود صليوا الذي أصدر جريدة (صدى بابل) ١٩٠٩. وقد نشرت قصتين حواريتين الأولى (رسالة من كربلاء) (العددان ٢٨ و ٢٩، ١٠/ ١٩٠٩)، والثانية (الباحث عن الحقيقة والمخبر الصادق). ومجلة (الحرية) التي تولى تحريرها الأديب الموصلي (روفائيل بطي) وأهتم بنشر القصص فيها وجريدة (البلاد) التي أصدرها بطي بعد ذلك وأفردت حقلاً خاصاً لنشر القصص كما فسحت المجال للقصصيين الناشئين.

سليمان فيضي الموصلي (١٨٨٥-١٩٥١) وظهور الفن القصصي في العراق:

تعد (الرواية الأيقاظية) التي ألفها سليمان فيضي الموصلي ونشرها عام ١٩١٩ أول عمل قصصي متكامل ظهر في العراق، وجاءت الرواية الأيقاظية على نمط الروايات التعليمية لعدم أهتمامها بالعناصر الفنية القصصية، وأختفاء العنصر الغرامي الذي ساد القصة العربية في تلك الفترة، حرصاً على هدفها التعليمي، ونتيجة مباشرة لأحتياجات البيئة وظروفها، وقد قصد مؤلفها التعليم والنقد الأجتماعي، ويغلب في القسم الأول من الرواية الأيقاظية عنصر الحوار على عنصر السرد، في حين يغلب عنصر السرد والبناء الروائي على عنصر الحوار في القسم الثاني منها، وتتسع رقعتا الزمان والمكان، وتتوالى الأحداث سريعة عنيفة وتكثر مغامرات (سعيد) بطل الرواية الأيقاظية، ومحاولاته المستميتة لأنقاذ صديقه خضر من الموت.

يطغى الحوار في القسم الأول من الرواية الأيقاظية ويمتزج بالسرد القصصي غير أن عنصر الحركة يكاد يكون مفقوداً- يعكس القسم الثاني منها - بسبب دعوته الأصلاحية الوعظية، والأفكار التي يطرحها المؤلف بسيطة تدعو الى التعلم والى تجنب العادات القبيحة كلعب الميسر وتناول المسكرات وتعاطي المخدرات وتتعدد الشخصيات غير أنها تتصل بمحور القصة وحبكتها. وأعطى المؤلف للشخصية أهمية أكبر مما أعطى للحدث، فالصفات التي تتصف بها الشخصيات تحدد نوع الحدث وليس العكس.

والعقدة الأساسية التي أثارتها الرواية الأيقاظية، هي مشكلة التعلم وبيان أثره على مستقبل المتعلم، ومايضفيه العلم على أخلاقه وسلوكه، وقارنه بالجاهل، ورسم للجهال مصائر سيئة أودت بهم الى التهلكة، ويبطّن المؤلف روايته بالآراء الأجتماعية والأخلاقية متأثراً بدراسته العلمية والأجتماعية، غير أنه لم ينس عنصر التشويق في القسم الثاني من الرواية الأيقاظية، حيث أعتمد أساساً على عنصري المغامرة والحركة.

وقدم سليمان فيضي صوراً حية نابضة تكشف لنا عما في المجتمع الموصلي آنذاك من مظاهر الجهل والتخلف والنفاق والفوضى والأستغلال، وهي صور تشعر القارئ بالمتعة عند قراءتها. ومن الملاحظ أن هذه الصور التي يقدمها سليمان فيضي عبر النماذج البشرية الثانوية من روايته الأيقاظية، أكثر حيوية من شخصية (يقظان) التي أتخذها سلماً للتعبير عن أفكاره الأصلاحية، مما جعل وظيفتها تقتصر على المراقبة والتعليق مما أفقدها الحيوية المتمثلة في الشخصيات الأخرى.

وقد مهدت لهذه الصور الحية المنتزعة من البيئة الموصلية السبيل لأستغلال الحوار أستغلالاً طيباً فقد أجرى الحوار بما يناسب شخصياته حيث أتخذ العامية للشخصية الجاهلة، والفصحى للشخصية المتعلمة، وهو يسعى من خلالهم للكشف عن مظاهر التخلف والأنحلال في المجتمع.[٤]

ولم يقتصر التيار التعليمي على الرواية الأيقاظية، وأنما برز بروزاً واضحاً بعد ذلك في رواية (عجائب الزمان في صرح عروس البلدان) ١٩٣٨ لآكوب كبرائيل والفن القصصي في هذه الرواية

أقرب الى المحاولة البدائية منه الى الأنتاج الفني فقوام الرواية سلسلة من الأحداث والأرشادات التعليمية، وليست دراسة الشخصية وتطورها. وردود فعلها في الحياة، والشخصية فيها فكرة وليست كائناً حياً، تحمل أحياناً الأسم الذي يدل على نموذجها الأنساني وقد أمحت الشخصية أمام الظلال الأخلاقية والأجتماعية والتعليمية.

وتعتمد هذه الرواية في محورها الأساس على وصف مظاهر الحياة الأوربية ومابلغته من تقدم حضاري في جميع مجالات الحياة وعرض لما يجب أن تكون عليه المرأة العراقية والمجتمع العراقي بشكل عام. ومقارنة ذلك كله بما عليه الحال في العراق الى جانب الدعوة الى الأتحاد والتآخي بين القوميات والأديان للتمكن من أستثمار ثروة البلاد. وتعبئة جهود الشعب لمقاومة شبح الأستعمار الخفي.

وتتفق الرواية مع القصص التعليمي في شكلها الظاهري، فهي على شكل رحلة يقوم بها (سعيد) الذي يؤمن بأن الشرق مصدر الحضارة والألهام والمثل العليا مع صديقه (بهلول) الى الغرب، يبحثان فيه ويدرسان وينقبان ويشاهدان ماتوصل اليه الغرب من التقدم والتطور، وتتغير نظرة سعيد نحو الحياة ويحس بأن الشرق الأوسط متخلف عن الغرب بأشواط بعيدة، يعود الى العراق ويعمل مع صديقه بهلول على نشر حضارة الغرب وعلومه وآدابه، ويبدآن معاً ثورتها ضد التخلف والجمود.

ولاترجع أهمية هذه الرواية الى العنصر الفني فيها بل الى خطورة الآراء التي قدمتها وعرضتها بأسلوب قصصي يدفع القراء الى الأقبال على قرأتها، وهي ليست أكثر من دعوة تعليمية كتبت بأسلوب قصصي خطابي، والرواية غاية أجتماعية، لذا فهي تشرد على طولها هنا وهناك وراء اللقطات الأجتماعية نقداً أو بناء. فمن حملة على الجهل، الى دفاع عن المرأة، ومن عناية بالصحة العامة الى توجيه البناء الأقتصادي الوطني، ومحاولة الى بيان الأسس العامة للعدل والقضاء، الى غير ذلك من الأمور الأصلاحية.

ونستطيع أن نتبين من خلال الأستطرادات الكثيرة والمقالات العديدة دعوة الكاتب الى عصر جديد، فهو يحمل روايته أفكاراً معاصرة وينقد التقاليد القديمة ويدافع عن الجديد بحرارة وأيمان ويسمي أفكاره الأصلاحية (بالتمدن) في مقابل القديم الذي يطلق عليه أسم (العادات القديمة) ويضع كل مايصبو اليه على لسان شخصياته، ينطقهم بما يريد، ويمزق جو الرواية فيطل بنفسه من بين السطور وهو يتحدث حديثاً مباشراً الى قارئه.

القصة القصيرة:

القصة القصيرة: بناء سردي نثري يتخذ أسلوباً حكائياً معتمداً على حدث واحد محدد بزمان خارجي، ونفسي ومحدد بمكان. معبر عن فكرة، تلعب فيه شخصية واحدة أو عدد قليل من الشخصيات دوراً أساساً في تحريك الحدث مطورة اياه الى أمام. تقع في صفحات قليلة لاتقل عن ألف وخمسمائة لكلمة ولاتزيد على العشرة آلاف لكلمة حسب تقدير (موزلي)، أولاتزيد مدة قرأتها عن نصف ساعة، الى الساعتين قراءة دقيقة حسب تقدير (ادجارألن بو) وذهب (هـ، ج، ويلز) الى أنها تقرأ في أقل من ساعة، وتمتاز القصة القصيرة بوحدة الأنطباع.

يعد التركيز صفة أساسية في القصة القصيرة من حيث الموضوع والحدث وطريقة السرد والموقف وأسلوب التصوير أي في لغتها. ويبلغ التركيز حد أن لاتستخدم لفظة واحدة يمكن الأستغناء عنها أو يمكن أستبدالها بغيرها فكل لفظة موحية ولها دورها في القصة.

وتعد مجموعة (الضعفاء) ١٩٢٧ **ليوسف هرمز** أول مجموعة قصصية لكاتب موصلي، في حين ظهرت أول مجموعة قصصية لكاتب عراقي عام



١٩٢٢ لمحمود أحمد السيد باسم (النكبات) طبعت في مصر.

يقدم يوسف هرمز لمجموعة الضعفاء بقوله (وقد جلي هذا الكتاب صوراً تمثل الشقاء وتبدي البلاء الذي قدر على المظلومين الأذلاء فهو مرآة البؤس والمرارة في ثمالة الكؤوس) ونلمس هذا الأتجاه في أسماء القصص التي تضمنتها المجموعة مثل (مريم اليتيمة، سليمان الجميل، قلب المرأة) الى آخره. وتحدثنا القصة الأخيرة عن شاب يتزوج فتاة تحبه ولكنه مايلبث أن يفارق الحياة. فتمضي زوجته الى قبره كل يوم منتحبة باكية، يراها رجل يعجب بها ويقنعها بأن الحياة أجمل من الدموع فتتزوجه. وفي قصة (اللقيط) يعثر أحد الأغنياء على لقيط، يربيه ويعنى به، فينشأ اللقيط نشأة صالحة وتبدو عليه مخايل الذكاء، ينجح في حياته العملية غير أنه سرعان مايكتشف تكالب الناس على الحياة فيزهد بالدنيا ويعتزل في دير يسمع فيه صوتاً يعلّمه. كيف يحل مشكلات الناس، وينتحر (إبراهيم) في القصة التي تحمل الأسم ذاته بعد أن يتبين له زيف العالم. وتمضي قصص يوسف هرمز في هذا المنوال، وهي مليئة بالأنشائية والتقريرية والتضمين مثل «فتذهب الى حيث القت رحلها أم قشعم» (ص٢١) أو الأستعانة بالأمثلة العامية «واذا أعتزمت بالفضيلة فبعد خراب البصرة» (ص٦٥) أو يحتذي أسلوب ألف ليلة وليلة «هذا ماصار اليه حال مريم المسكينة، وكان من حوادث الزمان وماجريات الحدثان ان ماتت» (ص١٣، ٣٨)

وكانت مجموعة (ضحايا الآمال) ١٩٢٨ ليوسف حناني اسحق وجوري عيسى قلاب نهاية العنقود للقصص التي صدرت في العشرينات. ولم تخرج موضوعاتها عن الاطار ذاته للمجموعة السابقة، حيث يرى الراوي إمرأة تستجدي الاكف في قصة (منبتان) ويعلم منها أنها تحاول الحصول على كسرة خبز لولدها المحتضر، يصطحبها الى دارها ليجد ولدها قد مات، فتسقط على الأرض مغشياً عليها وتفارق الحياة.

ومثلها قصصه الأخرى (ليلة مقمرة، تحت شجرة السرو، شقاء امرأة، خواطر سانحة) ولايختلف عنه زميله جوري عيسى قلاب إلاّ بكثرة مواعظه وتعاليمه التي يقحمها في حبكات قصصه، وتدور جميعها حول أناس إنجرفوا في طريق الرذيلة والفسق فقادهم شرورهم الى الهلاك، كما في قصصه (غرور الدنيا، شهيد المقامرة، في عالم الأحلام، الذل بعد العز) وهي مليئة بالخطب والمواعظ.

ولايجد الدارس للقصة القصيرة في الموصل نضوجاً فنياً قبل عقد الثلاثينات فقد بدت القصة أقرب الى الموضوعات الأنشائية التي يكتبها طلاب المدارس أو هي تجميع لأحداث عدة بعيدة كل البعد عن واقع الحياة وقد أتخذها كاتبها وسيلة للهرب من مشكلاته المجتمعية لذا دار معظمها حول الحب والزواج والأنحراف، ولم ينس كتابها الوقوف موقف الناصح الواعظ سواء سنحت لهم الفرصة لذلك أم لم تسنح، ويعود السبب في ذلك الى أن كتابها كانوا من الشباب الذين لم تختمر ملكتهم الأدبية بعد. أما الأدباء الكبار فقد كانوا يتعالون على فن القص بأعتباره فناً شعبياً مُسفاً في كثير من الأحيان وقد أرتبط لديهم بالأحتقار المشبع الذي كان يلقى قصص (الف ليلة وليلة) والتي يأبى الأنسان المحترم قراءتها آنذاك. فكيف ينظر اليه بأحترام وهو يكتب القصة؟!

أما الأدباء الشبان فلم يجدوا فرصتهم أيضاً فحركة الترجمة لم تكن واعية بعد، والقصص العربي الذي يصلهم لم يبلغ بعد نضجه الفني الكامل. غير أن نهضة واضحة بدأت في الثلاثينات وخاصة عند نشر قصص ذنون أيوب وعبد الحق فاضل واذا تقصينا القصة في الموصل نجدها أخذت الأتجاهات التالية:

١ - الاتجاه العاطفي (الرومانتيكي) :

ظهر هذا الاتجاه في القصة القصيرة العراقية بصورة عامة وشمل القصة القصيرة في الموصل وذلك بتأثير ادباء المهجر الذين حملوا لواء الثورة على الادب القديم ، واستطاعوا ان يلائموا تلك الالوان الزاهية المستمدة من نعم الطبيعة في موطنهم الاصلي والذوق الجميل والروح المرهفة التي استمدوها من عالمهم الجديد. فكان ذلك حصيلة أدب جديد. وقد أثر الكاتب اللبناني (جبران خليل جبران) بالذات ونظراته المتشائمة للحياة وعاطفيته المفرقة في عدد من كتاب القصة في الموصل ، ولم يقل تأثير الكاتب المصري مصطفى لطفي المنفلوطي على وجه الخصوص ، فقد تمكن اسلوبه في القلوب وأمسى اكثر الكتاب قراء ، وسر الذيوع في ادب المنفلوطي ، قصصه التي تصف الألم وتمثل العيوب الاجتماعية باسلوب طلي وسياق مطرد ولفظ مختار. يضاف الى ذلك ماترجم احمد حسن الزيات من روائع الادب الرومانتيكي مثل (آلام فرتر) لجوته و (روفائيل) للامرتين وغيرهما من القصص الرومانتيكي.

هذا بالاضافة الى تغير مناحي الحياة نتيجة التأثير الغربي فيها ، فوقف كتاب القصة الرومانتيكية من ظلم المجتمع موقف الشكوى ووقف بعضهم موقف التمرد على المجتمع لضمان الرضا الفردي والاجتماعي ، وكانوا نقلة من الاعتدال الى التطرف الخيالي والعاطفي وساقوا على ألسنة ابطالهم صرخاتهم في سبيل التغيير دون الاقدام الفعلي حتى تلذذوا بصرخاتهم وتاهوا في أوهام اصواتهم وضاعوا في تلافيفها الحلزونية ، وقد كانت رومانتيكيتهم مشوبة بواقعية لم تستكمل جوانبها المختلفة لارتباط الكاتب الموصلي بواقعه الاجتماعي ارتباطا كبيرا ، وهو السبب في قلة القصص التي تتحدث عن الحب والهيام وكثرة القصص التي تتناول مآسي الحياة ومسراتها ، ونلمح هذه الابعاد واضحة في قصص (سليم بطي) الذي لم يتسن له جمعها في مجموعة قصصية خاصة ، وخير مثال على اتجاهه هذا قصة (بنت الطحان)[٥].

وتؤكد مجموعة (**فؤاد بطي**) القصصية (صيحات الفؤاد) على التصاق الكاتب الموصلي بالواقع مهما حوّم في الخيال ، ولم يستطع الكاتب التخلص من العيوب الشائعة في القصة العراقية آنذاك من ركاكة الاسلوب ، وشيوع الاخطاء اللغوية ، والتعليمية والمباشرة ، واطلالات الرأس لبيان رأي او قول او موعظة ، غير انه يمتاز بقدرة على التقاط الزوايا ويمكنه حبك القصة احيانا بشكل فني.

ونحا (**يعقوب بلبول**) في مجموعته القصصية (الجمرة الأولى) ١٩٣٨ المنحى نفسه ، وخير مثال على الاغراق في الاحزان المفتعلة ، القصة الأولى من مجموعته وهي باسم (الخطاط) ، ويدور حدثها حول الخادم اليتيم (قاسم) الذي يعمل لدى اسرة غنية ويحب ابنة سيده التي تعامله بشفقة ولطف ، فيظن انها تحبه مثلما يحبها ، يفاتحها في الامر ، تثور في وجهه وتطرده فيصاب قاسم بخيبة امل شديدة ، وينتقل للعمل في دار موسر آخر ، تحبه ابنة سيده ايضاً الاّ انه يغلق قلبه دونها ويترك العمل الى دار ثالثة حيث يبادل الحب ابنة سيده ، تنهش الغيرة قلب الفتاة الثانية التي احبته ولم يبادلها الحب فتسعى الى الوشاية به عند اهل الفتاة الثالثة غير انها تصاب بسكتة قلبية فجأة وتموت لشدة انفعالها ، قبل ان تبلغ غايتها. فيحزن عليها قاسم اشد الحزن لرقته وطيبة قلبه.

وقد تضمن الاتجاه العاطفي قصصا تحليلية لم ترض بالانفعال السطحي السريع وفي مقدمتهم (**يوسف متي**) الذي نشر قصصه منذ مطلع الثلاثينات في الصحف والمجلات العراقية ، فقد نشر في جريدة (الحاصد) بين عامي ١٩٣٠ - ١٩٣٢ قصصا مثل (ضحية العهد ، في القرية ، الرسالة ، جامحة ، سخرية الموت) ونشر في مجلة



عطارد قصته (حطام) عام ١٩٣٤، قبل ان يجمعها سليم عبدالقادر السامرائي في كتاب صدر ببغداد عام ١٩٧٩ تحت عنوان (يوسف متي: مقدمة ومختارات).

امتاز **يوسف متي** عن كُتّاب تلك الفترة باهتمامه بفنية القصة والعناية بالاسلوب ودقة التعبير وتحليل العواطف مما يشف عن تفهم مبكر للفن القصصي، وبشرت بتطوره الاخير في كتابة القصة القصيرة. يصور يوسف متي في قصة (عاطفة جامحة) الحرمان الذي تعاني منه امرأة محرومة من الحب والحنان تحاول اشباع حرمانها عن طريق صبي. وقد نجح الكاتب في تحليل عواطف (سعاد) وصراعها وردود فعلها، وقد تمكن الكاتب في قصة (حطام) من تصوير مشاعر الشخصية التي دارت حولها القصة ببراعة مستخدماً كل الادوات التعبيرية في الفن القصصي من اتقان السرد وحركية الحوار والكشف عن شخصياته ومحاولة رصد الحركة والفعل واستخدام اسلوب التداعي والذكريات ليسلط انوار التحليل الساطعة في الكشف عن بواطن الشخصيات.

وينزع في قصة (سخرية الموت) الى تحليل عواطف اب يتألم لمرض ابنه، وهو لايكتفي بالألم العاطفي، وانما يحلل عواطفه تجاه ابنه، مرضه وموته وعلاقته به، وقد اجاد الكاتب في هذا التحليل وخاصة في تشكيل ظلال الحدث المشحون بالتوتر، واستخدام المطر كرمز لحزنه واضطرابه، والاستعانة بالرموز الخارجية ليعمق الاحساس بالمأساة، وقد ظهر اثره التحليلي في بعض قصص ذنون ايوب وعبدالحق فاضل ولاسيما في قصص غانم الدباغ، بعد ذلك.

وقد اتجه (**يوسف مكمل**) الى العناية بالوصف الخارجي للحدث ومشاركة الشخصية نوازعها النفسية. ففي قصة (القطرات الأولى) يصور لنا القاص عن عواطف رجل احب فتاة فرنسية – وهو في فرنسا – فعزم زيارتها. وحينما يصل باب دارها يسمعها تغني تلك الاغنية التي كانت قد غنتها له فيما مضى من الزمن، تغنيها لزوجها وقد اكتنفتها السعادة، وقد عني الكاتب برسم العوالم النفسية لشخصياته معتمداً على التصوير الخارجي المباشر.

ونلمس في قصص يوسف مكمل فنية متقدمة بالنسبة لفترته – الثلاثينات – وجاءت قصصه جيدة ساعية الى انتشال القصة العراقية من براثن السرد التقليدي والنزعة التعليمية التي طغت عليها. الاّ ان هذا الاتجاه لم يتبلور الا في نهاية الاربعينات وبداية الخمسينات على يد غانم الدباغ وفي الستينات على يد محمود جنداري.

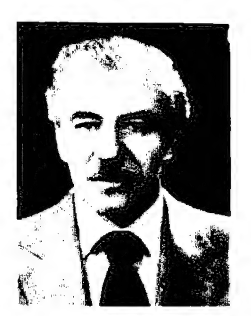
ولم تبلغ القصة في الموصل شأناً كبيراً في اتجاهها العاطفي هذا، فقد هبط (**محمود مفتي الشافعية**) في قصتيه الطويلتين (القصة القصيرة الطويلة)، (فوزية) عام ١٩٤١ و (نعمان) عام ١٩٥٣ الى مهاوي الركاكة والخطأ في تركيب الجمل والميلودراما التي تؤثر في السذج وتُقرب ذوي الوعي لبعدها عن المنطق. «في تلك المكان التي قل ان صادفت وجود احد فيها، اسمعني ياالخي فسأقص اليك حكايتي، كأنهم فرحين مسرورين»[٦].

وقد امعن المؤلف في التدخل بين السطور للتبشير بتعاليم ساذجة «ولابد لنا بعد ختام هذه القصة من مناشدة اولئك الذين يرتكبون تجاه اولادهم امثال هذه الامور التي تنخر في جسم المجتمع ان يعدلوا عن امثال هذه التقاليد البالية ليمهدوا السبيل الى الشباب الحاضر ليختار شريكة حياته ويتأكد من طيب ارومتها»[٧].

وتشترك قصته الثانية (نعمان) بجميع العيوب الفنية في قصته الأولى (فوزية) وفيها لمحات من (قصة الرواية المكثفة)[٨]. يحاول فيها المؤلف ارشاد الشباب للاقلاع عن الزواج بالاجنبيات، وقد كتبت القصة باسلوب ركيك واحداث مفتعلة مضحكة. يسافر نعمان الى الخارج ويتزوج من فتاة

اجنبية، تعمل جاسوسة لصالح وطنها، تتصل بالساسة الكبار عن طريق زوجها الذي يتمتع بمنزلة اجتماعية عالية، وفي حادث مفتعل يقتل نعمان في دار احد الساسة اثناء اجتماع سري يقام لصالح دولة اجنبية، تهرب زوجته الى بلادها بعد تأديه مهمتها على الوجه الاكمل.

وتطلع علينا الخمسينات بعدد غير قليل من المجموعات القصصية: (الآم وآمال) ١٩٥٣ **لجعفر الشيخ علي**، ولاترقى هذه القصص في مستواها عن المستوى الانشائي، و(الحان الشقاء) ١٩٥٣ **لرمضان احمد البكر**: وهي لاترقى عن مستوى سابقتها، ولم يرتفع **استارجيان** في مجموعته (آلام واحلام) ١٩٥٧ الى المستوى الفني للقصة القصيرة. ويجد **سامي طه الحافظ** في مجموعته القصصية (قطار الظلام) ١٩٥٥ ان خلاص



سامي طه الحافظ

البغايا من محنتهن خلاص للمجتمع. ويغرق في العاطفية كما في قصته (صراع مع القدر) على سبيل المثال لا الحصر، يصاب بطل القصة بمرض السل ويذهب الى لبنان للاستشفاء وعند مايعود يجد ان حبيبته قد ماتت بالمرض ذاته فينتحر. واكثر شخصياته فتيات بريئات ساقهن القدر الى الرذيلة كما في قصص (قطار الظلام، نداء آخر الليل، الحضيض).

ويغرق كل من **سامي امين**، في قصته القصيرة الطويلة (حمدي) ١٩٥١ **وفؤاد ميخائيل** في مجموعته (عيون الليل) ١٩٥٣، **ومحمود سعيد** في مجموعته (بور سعيد وقصص اخرى) ١٩٥٧، **عدنان عبدالمجيد** في مجموعته (من الحياة) ١٩٥٨ في ذكريات عاطفية وافكار ساذجة، واسلوب تقريري انشائي مجانب للحبكة القصصية الفنية ذات التوتر الأخاذ.

٢- الاتجاه الواقعي:

تطورت القصة في الموصل في مطلع الثلاثينات وتشبثت بفن القص شأنها شأن القصة في العراق عامة، نتيجة لتوسع حركة الترجمة وتطور القصة العربية ولاسيما في مصر ولبنان. وبعد ان تشرب القاص مشكلات مجتمعه وتعرف على عيوبه، وآمن ايماناً راسخاً بالتغيير، وقويت الاحزاب السياسية، ونشطت الصحافة واقبل الناس على قراءة الصحف اقبالا شديداً، وظهرت مفاهيم ودعوات جديدة كالديمقراطية والاشتراكية والتحرر واستثمار ثروات البلاد والخلاص من المعاهدات الجائرة مع الدول الاستعمارية والقضية الفلسطينية، وما الى ذلك.

ظهرت عندئذ القصة الناقدة الداعية الى الاصلاح السياسي والاجتماعي بنبرة مادة عالية اطلق عليها قصة المقال، وهي قصة اصلاحية اكثر منها قصة فنية، وهي دعوة للاصلاح اكثر من كونها فناً مؤثرا، وهي مثيرة للحماس اكثر من اثارتها للتأمل والتفكير.

ويعد **ذنون ايوب** علماً لهذا الاتجاه لافي القصة القصيرة في الموصل فقط بل في العراق كله، وهو اغزر كتاب القصة القصيرة انتاجاً في العراق فقد اصدر بين عامي ١٩٣٧- ١٩٥٧ اربع عشرة مجموعة قصصية، ويعد اكثر القصصين قراء لما في قصصه من نبرة حادة وكشف للواقع المهترئ.

انتزع ذنون ايوب موضوعاته من البيئة العراقية عامة ومن البيئة الموصلية خاصة. فهو لايكتب عن الماضي ولايهتم به لأنه متعلق بالواقع، وبعد عشرين



سنة من إنغماره في الكتابة لم يغير موضوعاته ، ولم يطرأ عليه اي تغيير في نزوعه الى الواقع المجرد ، وان حدث في قصصه نوع من التغيير فذلك قاصر على اسلوبه فقط . فقد صفا وعمق وارتفع عن الاسلوب الصحفي الذي شاع في كتاباته الأولى .

نادى ذنون ايوب بتحرير المرأة . كما نادى بالحرية كاملة للانسان ، وتمرد على جملة من التقاليد والموضعات الاجتماعية والشرائع ، ومع ان ايوباً لم يكن عالماً اجتماعياً ولا طبيباً نفسياً ولا باحثاً اقتصادياً ، الا انه بوصفه متمرداً كان يعوزه سلاح ضروري لكي يحتفظ بايمانه وفاعليته الثورية ، ذلك هو سلاح الفهم الصحيح لمنشأ الاوضاع والرذائل التي يحاربها ويطمح الى إزالتها ، والفهم الصحيح لطرق الازالة هذه . ان الثائر الذي يحتدم صدره بعاطفة الثورة وهو لايفهم منشأ الرذائل التي يثور عليها ولا طرق ازالتها لجدير بان يغني نفسه في صراخ الاحتجاج .

وقد دفعه تمرده على التقاليد والشرائع ، لأن يقف من ضحايا المجتمع وطرائده ، موقف الذي يعذرهم فيما يجترحون من آثام ، كما في قصة (ساقطة) - على سبيل المثال لا الحصر - من مجموعته القصصية الثانية (ضحايا) ، ويرى فيهم طائفة من الضعفاء سدت دونهم طرق الفضيلة ، وجرى عليهم القدر بما لاحيلة لهم فيه ، ويبين ايوب في اكثر من مناسبة طبيعة هؤلاء الضحايا الذين اندفعوا الى الشر، لقسوة مايحيط بهم من نظم اجتماعية فاسدة .

وتتسم معظم قصصه بميسم الفجيعة ، وتطبع بطابع المأساة ، ولايرى ايوب في المجتمع غير هذه الفواجع والمآسي .

ومال ايوب في قصصه الأولى - قبل الحرب العالمية الثانية - الى تلقين آرائه وعرض افكاره وابرازها في قالب تقريري جاف واثارتها اثارة مباشرة ، وامتلأت قصصه الأولى بصوته هو لا بأصوات شخصياته ، وازدحمت بالخطب والمواعظ والنصائح والاستطرادات ، وشحنت بتدخلاته واطلالات رأسه ، ليبين رأيا او يسوق دليلا ، او يرضي نفسه المتمردة ضد التقاليد البالية ، او ليوحي لنا بما يجب ان نؤمن به ، ومع ان تدخله يجعله احياناً وسيطاً مسلياً وباعثاً على التشويق والحماسة لما حوى من تمرد وانسانية ، فان تقريراته العديدة وتدخلاته المستمرة تعوق سير الحادثة ، ويقطع خيوط القصة ويشكل في حبكتها نقصا فنيا .

وبناء القصة القصيرة عند ايوب قبل الحرب العالمية الثانية ، بناء التقرير الصحفي (الريبورتاج) ، فلا حبكة لقصته ولا تصميم ولا تخطيط بل انسياب دائم في عفوية ، وذهاب وراء مسارب جانبية وحوادث هامشية ، قد يكون لها مساس بهيكل القصة ، وقد لايكون ، غير انها تفاصيل لا فضل للكاتب فيها الا انه نقلها . واسلوبه اللغوي بسيط بساطة التقرير الصحفي ، ونعثر فيه على بعض الاخطاء اللغوية ، وقد دفعه نزوعه لنقد تقاليد المجتمع الى العناية بالسرد اكثر من عنايته بالحوار . ويبهت الحوار في آثاره الأولى ، وتقوم مقامه حركة استطرادية ، ويبرز في هذه الحركة اهتمام خاص بالشخصية ، شخصية المؤلف نفسه ، وشخصيات قصصه . وكثيرا مايحس ذاته ، ويجعلها بؤرة التجربة ، ولم يكتف بذلك بل ذهب الى تقمص العديد من شخصياته ، وفي هذه الحقيقة تكمن ميزات مخلوقاته ، فهو يخلق نفسه فيها ، ويصورها كما تراها عيناه .

ذنون ايوب كاتب ذاتي كما هو كاتب اجتماعي وسياسي ، يلتقط موضوعاته ، مما يحيط به من احداث ، ومايكتنف حياته من تجارب ، ويمكننا التعرف على حياته الخاصة من خلال قصصه ، ففي حياته احداث كثيرة ، منها حبه لفتاة اجنبية تعرف عليها في احدى سفراته ، وقد جاءت معه الى



العراق، ولكنه سرعان ما ملّها، وعزم الزواج من فتاة اخرى، طلب اليها ان تعود الى بلدها، غير انها كانت متعلقة به، وصور هذه المأساة في قصته (الجريمة والعقاب) من مجموعته الثانية (الضحايا)، كما صور فشله في زواجه الأول في قصته (زوجة)، وصور فشله في زواجه الثاني في قصته (التمرد).

وترتبط كل مجموعة من مجموعات ايوب القصصية بلون موحد من الافكار يربط بين مختلف موضوعات قصص المجموعة، ففي مجموعته الأولى (رسل الثقافة) ١٩٣٧ يصور كفاح الطبقة المتعلمة من معلمين ومدرسين مع مدير المدرسة والطلاب، وصلة المدرسة باولياء امور الطلبة.

وهو يحدثنا حديث العارف الخبير- وهو مدرس ايضا- في قصته (بقلاوة) يعرض صوراً من عبث التلاميذ ويمتد هذا التشخيص الى قصص المجموعة الاخرى مثل (الدرجات النهائية، سيرة وسيرة، السيد عبيد في لهوه).

وتقدم لنا المجموعة الثانية (ضحايا) ١٩٣٨، نماذج من هؤلاء الذين يسقطون صرعى التقاليد والاوهام التي تطغى على المجتمع فتفسده، فتاة تنتحر لأن ذويها يفرضون عليها الزواج بشيخ مسن الأ انها تسلك (طريق الخلاص)، وتلك الفتاة التي لا يتردد اخوها في قتلها اذ يراها تتحدث الى جار لها في قصة (شرف). الأ ان لهجة النقد الاجتماعي تبدو اكثر ضموراً في مجموعته الثالثة (صديقي) ١٩٣٨، تضم صوراً لابطال ثائرين على التقاليد والقيود الاجتماعية، حيث تقدم لنا قصة (عندما تثور العاصفة) موظفاً برم بقيود وظيفته ومتطلباتها، حتى اذا صرف من الخدمة- وهذا ما كان ينتظره بفارغ الصبر- انخرط في العمل الحر، ولم يتردد عن العمل سائقاً في سيارة اجرة، ليكسب قوت يومه بشرف ونبل، ويعيل خمسة من العاطلين عن العمل، وفي القصة حس فكاهي دقيق يحملها طعماً خاصا. اما قصتا (النهاية) و(التمرد) فتضمان اراءه في فلسفة الثورة.

وفي مجموعته الرابعة (وحي الفن) الصادرة عام ١٩٣٨ نلتقي بشخصيات غريبة، هي شخصيات اتعبها الفساد وملأها المجتمع بالزيف، تبرما بالحياة فسعت الى التماس السلوى والهرب من الواقع والانغمار في دنيا الفن، ونقرأ فيها احدى قصص ايوب الجيدة (حلم على نغم) التي تروي قصة تكوّن حلم على نغمات مقطوعة (ريمسكي كورساكوف) (شهرزاد)، حيث تعبر حركات الموسيقى في ذلك الحلم عن مختلف مظاهر الفساد في السياسة الحكومية حتى تبلغ نهاية المقطوعة في غرق باخرة السندباد. وهي ذات مغزى بعيد: «وشعرت فجأة بان الجو قد تلبد بغيوم الفوضى، سمعت مهمهة عاصفة التمرد، وماهي الا هنيهة حتى تحول المجتمع الى كتلة هائلة مرعبة تنذر بالويل والثبور، وصرخ احد الحاضرين: موتا للطغاة، فلنحطم صاحب الشخصية البارزة! وانطلق الجميع كالعاصفة الهوجاء يصحبها بريق يعمي الابصار ورعد يصم الآذان. حتى اذا اقتربوا من البناية ذات الابراج، وقف في وجوههم صف متراص من الحرس يصوب نحو صدورهم الموت الزؤام. وكان صاحب الشخصية العظيمة واقفاً قرب النافذة لايجسر حتى على اخراج رأسه، مصفر الوجه يرتجف فرقا ويتصبب عرقاً بارداً» ويصور لنا في قصة (عظيم) كاتبا يؤمن بمثله العليا ولا ينحدر الى حمأة الخيانة على الرغم من المغريات التي تحيط به، وكأن الكاتب يصف نفسه: «وهو مغرم بالحملة على العرف والتقاليد ينتقد المقاييس الخلقية الشائعة والعادات المرعية، كذلك كان غير ماهو في الضرب على الاوتار الحساسة والنغمات المألوفة. وكان يطرد شياطين الغواية صارخاً: اليكم عني فليس هذا طريق المجد».

ويتحدث عن نفسه ايضاً في قصته (مؤامرة



الاغبياء) على لسان (نوح) بطل القصة الذي احب سماع القصص منذ صغره، ثم هوى المطالعة واحبها، وحينما بدأ حياته العملية وضع هدفه الذي استمده من مثله العليا في الدفاع عن الوطن والقيم التي يؤمن بها على الرغم من فساد المجتمع وكثرة العراقيل التي توضع امامه: «علم ان مقياس المرء مايملكه من حنكة ودهاء وان الاخلاق لامفهوم لها وان الاخلاص يدل على السذاجة والحمق، والشرف شيء مكروه، والصدق معناه الجنون، وخيانة الواجب اول شروط النجاح، والشعوذة رأس مال من يبغي التقدم، والخدمة الصحيحة تأتي بأسوأ العواقب، والوطنية إسم بلا مسمى... وحدث تبدل اساس في نفسيته وطباعه فقد انقلب من شخص رضي هادئ، الى متمرد على تلك الاوضاع السيئة التي اصبح امرها غير خافٍ على العام والخاص».

وفي قصة (النبي) هجوم على الدكتاتورية والفاشية. ويصور في قصة (اخيراً) موت شاعر فقير، وكيف بعث موته الاطمئنان في نفوس الحاقدين والالم والحسرة في نفوس الشعب وكأنه يصف وفاة الشاعر (الرصافي).

ويهاجم ذنون ايوب، في مجموعته الخامسة (برج بابل) الصادرة عام ١٩٣٩ نظام الحكم في العراق والاجهزة الادارية هجوماً عنيفاً، حيث يحدثنا في قصة (قاعدة البرج) عن (قاسم) الذي بدد ثروته ليحصل على النيابة، و(عارف) الذي امتهن الصحافة لأنها آخر مايستطيع به الاحتيال لكسب العيش، و(الشيخ حسن) الذي ادرك ان السهر في طلب العلم لايفيد شيئا. وتدور بين الثلاثة احاديث في السياسة والحياة، في مقهى اعتادوا الجلوس فيه يحيط بهم المخبُرون، ينقلون اخبارهم الى الحكومة التي تخشى مثل هذه الاحاديث، وتطالعنا قصة (انتقام) بعقارب الحسد تنهش قلب (حامد) لأن صديقه (اسماعيل) أصدر كتابا يدعو الى اصلاح اللغة وتيسيرها، واعتمد ايوب على التحليل في تصوير شخصية حامد: «حتى اذا ماقلب الصفحة الاخيرة منه باصابعه المرتجفة، احدث الورق حفيفاً كان وقعه في نفسه كوقع فحيح ثعبان مهلك، وماكاد ينتهي من قراءة الكلمة الاخيرة حتى قذف بالكتاب الى نهاية الغرفة، قرب حذائه وانكمش على الديوان، واغمض عينيه قليلاً كمن يبعد شيئاً مرعباً او يستريح من عمل متعب. لقد آلم حامد ان ينتج اسماعيل وتذيع سيرته في الآفاق، ان بلابل حامد لم يقر لها قرار حتى ينطلق الى مجلس (سيف الدين) استاذ اللغة الكبير حيث يجتمع ادباء البلد وعلماؤه، ويجر الحديث عن الكتاب جرا، فسمع من المثالب في شخص اسماعيل وكتابه ما أثلج صدره، فبارح ندي القوم وهو شاعر أن ثقلاً قد ازيح عن صدره». ويصور ايوب في قصة (عاصفة وصداها) نوازع نفس تضافرت عليها عوامل الفساد فقد وفق المؤلف في تصوير شخصية (توما) واجاد في تحليل الدوافع التي تضطر الانسان في الاوقات العصيبة، الى تغيير نظراته للحياة، وبدأ اسلوبه مؤثرا في هذه القصة خالياً من الوعظ والارشاد.

ويستأثر ايوب في مجموعته السادسة (الكادحون) ١٩٣٩ بطبقة العمال والفلاحين ويختارهم جميعاً من الريف، او من سكان شواطئ النهر، مثل صاحب المراكب الذي يعصى على اشد الاخطار ويقهرها لتموت اخر الامر اتفه ميتة في قصة (النوفدة): «ربما كانت هذه هي المرة الأولى التي ركب بها (يغور) سفينة لم يسحبها، لقد رأيته في اليوم الثاني في تابوت مصنوع من سعف النخيل، ممدداً بجانب زوجته واحد اولاده وقد تشبث بعضهم ببعض وعليهم أسمالهم البالية التي غسلتها الحياة فظهرت اكثر نصاعة وبياضا، وقد تكرم عليهم السدنة وعلى غيرهم من الغرقى الذين قذفت الامواج بجثثهم الى الشاطئ بالطواف حول ضريح

الامام زيد ليتموا زيارتهم وهم محمولون على الاعواد». ويعيش وحيد في قصته (الثائر) على صيد السمك ويهجم (بفالته) على جيش الانكليز ويفعل الافاعيل، ثم يقتله ابن عمه بغدارته، وسبب ذلك ان القبيلة اعلنت عصيانها على الحكومة لأن شيخها لم يفز بكرسي النيابة. ويدافع وحيد عن شيخه بينما يدافع ابن عمه الجندي عن الحكومة.

يطرق ايوب في قصته (عالم المعيدي) اسلوباً جديداً في الكتابة متأثراً بكاتب غربي (انساه الشيطان اسمه) وتصور القصة عاملاً زراعياً اتاه (عزرائيل) بعد اكلة نهمة لسمك متفسخ، اخذه الى العالم الآخر. وسار به على الصراط، ومثّل امام محكمة لمحاكمته، وفاز بالجنة بعد دفاع مستميت.

وتنقلنا مجموعة ايوب القصصية (العقل في محنته) ١٩٤٠ باسلوبها الرمزي الى عالم غريب لم يعودنا عليه المؤلف، ومن اليسير ان ندرك السبب الذي من اجله اكثر ايوب هذا الاسلوب لانتقاد الوضع القائم آنذاك، فهو يورد اساطير وحكايات تدلل على عبث العيش في بلاد بعيدة، وفي مثل هذه القصص يخضع العمل دائماً للتقاليد البالية والاحكام المسبقة الشائعة، ولكن هناك دائماً رجلاً شاذاً يصارع ويكافح الاّ انه ينتهي بالاخفاق لأن مفهومه يختلف عن مفاهيم الناس جميعاً غير ان الفساد ينتصر في نهاية الأمر. ومثال ذلك قصة (مصرع العقل) وتدور احداثها في الهند وقد كتبها ايوب باسلوب الحكاية، وفيها يسمع (الراجا) نصائح الانكليز بتعيين (كالاصاحب) وزيراً للثقافة والتعليم والصحافة، وهو رجل مصاب بالصرع وسلوكه شاذ غريب، فيعمل بطريقته الخاصة للقضاء على كل عمل فكري، ينهار المفكرون المتخاذلون، وترتعد فرائصهم، ومن هنا تبدأ محنة العقل. وتشابه هذه القصة قصته الاخرى (غريب في القطيع) وقد اختار لها الهنود الحمر اطاراً، ومثل ذلك القصص الاخرى في المجموعة (رقص المقابر، شيوعي في الملايو، مساومة) وتدور احداث هذه القصة الاخيرة، بين ملك يحاول شراء شاعر، الاّ ان الشاعر يفضل السجن على ان يكون بوقاً للملك، ويخاطب مليكه قائلاً: «ماانت الاّ سجين الكرسي فقد اخترت لنفسك أصغر السجون ضيقاً، لايسع سواك ولايشاركك فيه من يستمع لبلواك»، وبين على لسان شخصياته فلسفته في الحياة، وازدراءه للتقاليد والعادات.

يقول ايوب في مقدمة مجموعته القصصية الثامنة (حميات) ١٩٤١ «ان مثل من يتوهم ان الامراض الخلقية والنفسية اقل فتكا بالبشر من الامراض الجسمية كمثل رجل أطرش أعمى وسط غرفة مسدودة النوافذ مغلقة الابواب وقد حالت الجدران بينه وبين العالم تكتسحه عواصف هوج وزوابع مدمرة، ليت شعري كيف يسوغ له العقل والمنطق ان يسحب وافدات الملاريا والكوليرا خطراً لاخطر بعده، وهو يرى سيول الدماء الجارية ويسمع باذنيه هدير المدافع المهلكة ويشاهد الالوف والملايين من بني البشر اصحاء اقوياء يدخلون ابواب الفناء زمرا كل ذلك بسبب نوبة جشع قد اصابت مجتمعاً من المجتمعات او وافدة غرور انتابت عدداً من الناس»، وكأن ايوبا يريد اشعار القارئ بانه لم ينحرف عن خطته التي سلكها من قبل، وتبدو قصص المجموعة الأكثر قربا الى المقال القصصي. ولم يوفق الكاتب في كتابتها من الناحية الفنية، ومثلها مجموعته القصصية التاسعة (الكارثة الشاملة) ١٩٤٤. وهي آخر مجموعاته القصصية الصادرة قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية. وقد صور فيها مآسي الحرب وويلاتها، وقد اهداها الى «الابطال الميامين الذين يقدمون ارواحهم بكرم وسخاء للقضاء على اخطر ماابتكرته الرجعية من الشرور والآثام، الى المحاربين في مختلف الجبهات ضد قوى الطغيان». يقول ايوب



في قصة (حمى الحرب) باسلوب تقريري صحفي: «تنبأ علماء الاجتماع بالحروب العالمية العامة نتيجة دراسة الاوضاع الاقتصادية المقلقة المرتبطة بنظم سياسية واجتماعية اشد قلقا فيلتحم بعضهم ببعض في صراع جهنمي هائل يضعفهم وينبه عبيدهم الى الانتفاض عليهم للتخلص منهم، فيرفع العبيد السلاح الذي اعطوه لذبح رفاقهم من العبيد في امم اخرى في وجه غاصبي حريتهم فتمحى الفوارق بين السيد والمسود وينتفي التناحر ليحل محله التعاون».

ويصور لنا ايوب في قصة (بوق الحرب) المجاعة التي حلت بالموصل في نهاية الحرب العالمية الأولى، وفي قصة (العبء العظيم) حوار بين (رجب) المؤمن بفلسفة معينة و(حامد) العامل المتذمر من ظروف عمله.

يهب ذنون ايوب لشخصياته بعض لمحات قشرتها الخارجية دون ان يتعمق او يحلل عواطفها او نفسيتها، ولم تكن للشخصية التي يرسمها خصائص فردية تميزها من غيرها بل هي مواقف عامة وانماط بشرية عديدة لأفراد الشعب، لم يصور قلق الشخصية وتناقضاتها وردود فعلها. وصراعاتها، وانما يعرضها لمواقف متضاربة ولجملة من المفارقات المتكاملة يرجح فيها تغليب احد المواقف التي تقفها الشخصية، او يجعلها تنهزم من الحياة عموماً. وتبدو هذه الخاصية التي تتسم بطابع المأساة، في شخصياته النسائية، وشخصياته دمى خلقها الكاتب لتحقيق هدف معين او فكرة معينة، ونظراتهم الى الحياة خاصة بهم هي ذات النظرة التي يرى فيها الكاتب الحياة، بعضهم يميل الى العزلة والانزواء وآخرون يعيشون في بؤرة الحياة، يكافحون من اجل وجودهم، وهم محبوبون لأنهم صريحون لايخافون في الحق لومة لائم، وينحصر القسم الآخر من عالم ايوب في فريق رجال السياسة يحصي عليهم تصرفاتهم ويسجل مثالبهم، ويتعمق احيانا في سبر اغوارهم لكشف عنصر الشر فيهم، والتي تطبع اعمالهم بطابع الانانية والخداع واغفال المصلحة العامة التي فرض عليهم ان يسهروا عليها: وينجح ايوب في اثارة القارئ وايغار صدره عليهم، كما ينجح في اثارة الرثاء المشوب بالازدراء لشخصيات اخرى تجري في اعقاب اولئك الساسة، تنكر ماأصابت من مفاهيم بعد الدرس والتحصيل العالي وتتجاهل المثل الاخلاقية العليا، ويخلع على الابطال الذين يحبهم صفات تقربهم من القلوب وتحيطهم بهالة من الاعجاب والاحترام، وان بدوا احيانا غريبي الاطوار لايستطيعون التلاؤم مع الحياة.

ويستمد ايوب واقعيته في قصصه من تجاربه الشخصية الثرة، وعن مشاهداته وقراءاته، ولا يلعب الخيال الاّ دوراً ضئيلاً في قصصه، ويدين باقبال الناس على قراءتها الى لقطات قلمه المتمرد لا الى وثبة خياله.

يؤمن ايوب بالادب الهادف. وبأن القصة لاتكتب ولاتقرأ لذاتها وانما لابراز عيوب المجتمع ونقده، فلابد ان تكون ملتصقة بالمجتمع، والالوان المحلية التي تظهر في قصصه هي الجسر الذي يضعه بين الواقع الذي يكره والمستقبل الذي يرجو، وهو متفائل ويعتقد في قراءته ان النضال لابد ان يثمر وان الانسانية لابد ان تنتصر، لغة الكاتب معبرة بصورة عامة، وان كانت لاترتفع الا قليلا عن الاسلوب الصحفي البسيط، وقد استخدم عبارات اقتبسها من قراءاته العديدة وماحفظه من شعر ونثر، وقد تغيّر اسلوب ايوب وازداد اشراقاً وجمالاً في مجموعاته القصصية الاخيرة (قلوب ظمأى) ١٩٥٠ و(صور شتى) ١٩٥٤ و(قصص من فينا) ١٩٥٥، وتشيع السخرية في اسلوبه، يستعين بها للنيل ممن يضعه هدفاً لنقده، ويعمد الى السجع ساخراً متندراً: «والسيد افضل موظف في ديوان، له خادم واعوان، وله عقل يتسم بالرجحان، حتى

اصبح يشار له بالبنان ، من ذوي الكلمة عند الاقران» (عظمة فارغة ص ٢٩) ، واشد سخريته ايلاما تلك الصور والمفارقات التي يوفق الكاتب في رسمها احيانا : «وسهر الليالي مكباً على الكتب الصفراء حتى شحب وجهه وكلّ بصره وضعفت بنيته فاصبح يشبه بقامته النحيلة ووجهه الصغيرة وعمامته البيضاء وملابسه العصرية تحت الجبة السوداء قلما من الرصاص في رأسه ممحاة» (برج بابل ص ١٦) ، وفي هذه العبارات الساخرة تكمن المأساة ، فسخريته نابعة من الألم الذي يعيشه الشعب العراقي مقيدا بقيود اجتماعية وسياسية ثقيلة.

واستعمل ايوب في مجموعته القصصية (صور شتى) الامثلة العلمية وكأنه مدرس في فصل ، ولابد ان لعمله مدرساً الأثر الاكبر في ذلك : «عناصر الحياة في الحجيرة ثمانية فتية نشيطة قوية بعضها موجب وبعضها سالب ، وفي زاوية شريان صغير يتفرع من شريان المدينة الاكبر».

ولعل مايؤكد رؤيتنا في اتجاه ايوب نحو القصة المقال ماورد في مقدمة مجموعته الأولى (رسل الثقافة) حيث قال «في يقيني ان اعظم مهمة يجب على الادباء والقصصيين منهم على الاخص ان يضطلعوا بها ، هي اعطاء صور صادقة لما يقع تحت ابصارهم من حوادث عجيبة وشخصيات وانظمة وقوانين حكومية وشعبية ، ويدخل ضمن ذلك تلك القوانين غير المكتوبة التي يقع تحت تأثيرها المجتمع ، تلك الانظمة المتعارضة والتقاليد المرعية التي تسرب احترامها في دمه ، والتي يتعصب لها فيعمى عما فيها من حسن وقبح. لهذه الصور قيمة كلما اختلطت بشيء من التحليل يجمع بين نواحيها المتباعدة ومظاهرها المرتبكة ، فيفسر ماغمض من اسبابها وعللها» ونجد الكاتب ملتزماً بما قال في سرده القصصي مثلما ورد في (اليد والارض والماء) : «فاذا كانت الدولة لاتحمي رعاياها فعلى الرعايا ان يحموا انفسهم بانفسهم ، ولو تقدمت الزراعة العصرية لارتقى الفلاح حتما ودخل دوراً جديداً لا اثر فيه لتلكم العادات والتقاليد البالية ، الحرية تلك الكلمة المقدسة التي يحاربون من اجل تصفيتها وتجريدها من سوء الاغراض والمقاصد الفاسدة ، ليحصلوا عليها باكمل شكل وابهى صورة».

ويلجأ عبد المسيح وزير في قصصه التي نشرها في الصحف بين عامي ١٩٣٠ - ١٩٣٩ وجمعت بعد ذلك في مجموعة (الصنم المحطم) ١٩٧٢ ، الى النهج نفسه الآ انه اكثر ميلا الى السخرية مثل قصة (عجوز تتصابى) وهي قصة عجوز تتمسك باذيال الشباب وترتدي احدث الازياء الآ انها لاتجيد تنسيق الالوان فتبدو أشد قبحا.

ظهرت القصة الواقعية في الموصل صوراً تسجيلية عن الواقع ثم تطورت الى خلق جديد أعمق من الواقع المباشر بالتزامها طريقي الصنعة والاختيار. لأن الحبكة القصصية ماهي إلا عملية أختيار وتقديم وتأخير ، فالقاص الذي لايختار بحيث يجيُ السياق والتتابع موفياً بالغرض المقصود ، تفقد قصته حبكتها ، ولاتعد بالتالي قصة فنية ، وأنما نقل مباشر عن الواقع نطلق عليه القصة الصورة : حيث يصور الكاتب عادات وتقاليد المدينة وأحوال الناس فيها ، والشخصيات في مثل هذه القصص غير ناضجة ، ولم تستكمل لمحاتها الأساسية المفردة ، ولم تخلص من النموذجية الأصطلاحية المسطحة ، وفيها الى جانب بعض السمات المميزة تناقضات في التصرف وأنشطار عنيف بين الخير المطلق والشر المطلق ، والعديد منها شخصيات (بيوجرافية) تناولها الكتاب في أتساع ورحابة ، وحينما تتطور الشخصية جزئياً من الداخل فأنها لاتخضع للتطور الكلي منذ بداية القصة وحتى نهايتها ، لأن القصة الفنية لاترسم لنا شخصية كاملة ولاتعطينا أمتداداً لحياتها وأنما ترسم شريحة من هذه الحياة أو لحظة من لحظاتها ، والقصة الصورة تحت تأثير أرتباطها



التسجيلي بالواقع المباشر تصور الأخبار وماحول الأخبار، وتكتفي من الأوقات بعرض الحادثة، وقد لاتجد ارتباطاً بين بداية القصة ونهايتها، في حين يرتبط الشكل الفني في القصة بالبداية والنهاية. ويأتي الخبر في القصة الصورة منفصلاً عما حوله ولايرتكز بما قبله أو بعده، والحادثة أن وجدت ليست مقصودة لذاتها بل لدلالتها أو معناها، ولايبنى الشكل بناء محكماً بعلاقات سليمة بين أجزائه ولايتم تركيبه بنسبب معينة، في حين تمتاز القصة الفنية بوحدة عضوية يسهم كل عضو فيها بقسط كامل في سبيل الوصول الى التأثير النهائي، فالحدث أو الموضوع أو الفكرة أو الأسلوب وغيرها من الأخبار الجزئية لاتوجد لذاتها وأنما لتتفاعل مع غيرها وترتبط ببعضها بعلاقة تؤدي معنى واحداً وتشكل كلاً متميزاً وتخلق الأثر الكامل. المفروض في كاتب القصة الفنية أن يترك أثراً في نفوسنا نحتس معه واقعية الحياة، إلاّ أنه يجب عدم تركه نفس الاثر الذي تتركه الحياة وأنما على القارئ أن يشعر ويدرك أما في الحياة فتحس بأنعكاساتها أحساساً مبهماً غامضاً وناقصاً لأنه يعتمد على المصادفة العمياء، وواجب القصة أن تقدم لنا الحياة بصورة تشعرنا بها شعور كاملاً، ومن واجب القاص أن يخلق من فوضى الحياة نظاماً متسقاً في قصته.

أن الفن القصصي مع أختلافه مع عالم الحياة يتغذى منه ويتزاوج واياه في الشخصيات ويستمد منه مطلع الطريق وينتهي بعد ذلك الى خلق الأثر الذي هو في الظاهر لمثل الواقع، ولكنه في الخفاء ينفصل عنه أنفصالاً تاماً، أي ينتهي الفن القصصي الى قوانين عامة للأنسانية تعني أحتمال الواقع لا ماوقع فعلاً، ولكي يصل الفنان الى غايته في أحياء الممكن أو أحتمال الوقوع لابد أن يخضع العمل لعملية الأختيار وأن يتسم بنشاط الملاحظة والتأمل ونشاط التحليل والتمييز بحيث يشكل لنا في النهاية كلا محدوداً يتجه وجهة معينة.

يقف **ادمون صبري** في الصفوف الأمامية من كتاب القصة لا في الموصل فحسب وأنما على نطاق العراق كله. فأن عدسته اللاقطة أكثر دقة وأوسع مدى من غيره، ولانلمس تطوراً في كتاباته عبر قصصه الجمة فهي على نمط واحد من الرتابة في الشكل والمضمون، فالعرض السردي هو الشكل الغالب على قصصه، وتتحرك شخصياته بميكانيكية ملتقطة من الحياة كما هي من دون أي أختيار أو تركيز وهو مكثر في نتاجه القصصي مثل ذنون أيوب، فقد أصدر ثلاث عشرة مجموعة قصصية بدأها بمجموعة (مصادر الدموع) عام ١٩٥٢ وأنتهى بمجموعة (أقاصيص من الحياة) عام ١٩٧٠ ونحن اذا لمسنا تطوراً في قصص ذنون أيوب، وخاصة في عقد الخمسينات، فنحن لانجد أي تطوراً في فن أدمون صبري القصصي، يفيق العامل من نومه في قصة (عامل قير) من مجموعته الأولى، بعد عمل مرهق في تبليط الشوارع، وبينما هو يسير في العتمة تغوص رجله في القار حتى يغرق فيه، وما هذه النهاية الاّ مصادفة لأنهاء الحياة البائسة للعامل ويختتم القصة أيضاً.

وشخصيات قصصه طليقة الملامح، تحكمها أقدار من الحياة، وهي مستسلمة للازمة التي تمزقها وللأحداث التي تسحقها دون أن يكون في مقدورها الوقوف دونها، شخصيات سلبية غير قادرة على المقاومة، فلا يستطيع الحبيبان الزواج لفقرهما في قصة (في الحديقة)، ولايتمكن (صبيح المكداش) أن يجابه أزمة مقره وطلب أخيه منه دفع ثمن سكنه وطعامه، فيغرق في الحشيش «رفع رأسه قليلاً ونظر حوله بتبلد وحيرة، أحس بالراحة والأسترخاء ولكنه لايستطيع أن يقيم مطمئناً، لقد فعل فيه المخدر فعلاً عجيباً وسيفعل كل ليلة، وليذهب أخوه وزوجة أخيه وأولاده الى الشيطان الذي هو أرحم به وبهم».

وجاءت مجموعته الأخيرة (أقاصيص من

الحياة) أكثر التصاقاً بحرفية الواقع وهي صور التقطها من هنا وهناك، فهو تارة يصور الخيانة الزوجية في قصة (مايكل شوزوفرينيا)، ومسألة النسل في قصة (عندما يلتقي الأضداد)، أو يصور الأنتهازية تارة أخرى كما في قصة (وراء سياج المرقص)، الى أخر ذلك من صور حياتية التقطها من مجتمعه، دون تقدم بّين في المعالجة القصصية.

لقد أعطت البيئة العراقية منذ الثلاثينات من هذا القرن، والموصل التي تعد اللواء الثاني وهو الأكثر نمواً وأزدهاراً بين الألوية الأخرى، أرضاً ملائمة لكتابة القصة الواقعية الفنية، فقد ظهر التلاؤم مع الأوضاع الأقتصادية الجديدة ووظف أصحاب الأموال، أموالهم لغرض الحصول على الربح، ونمت الطبقة العاملة وتجمعت في تنظيمات نقابية تنتعش حيناً وتضمحل أحياناً نتيجة للضغط الحكومي عليها، وحدثت صراعات عدة بين

العمال والسلطة حول قانون العمل والأجور وساعات العمل، وباتت البطالة تهدد الحكومات سياسياً وأجتماعياً، وبدا الصراع بين الجديد والقديم محتوماً، ومزّق القلق نفوس الشباب نتيجة للتطور السريع، فهو أحياناً صراع ضد الأجنبي أو صراع ضد الحكام، وهو في حين آخر صراع ضد التخلف، وتبلورت الحركة الوطنية، وقامت أنتفاضات ضد المعاهدات الجائرة، وجاءت القضية الفلسطينية لتغرس سكيناً في كرامة كل عراقي، وتبلور الفكر القومي تبلوراً جديداً ظهر أثره في الأحداث التي أجتاحت العراق ومنها الموصل عام ١٩٥٦ ابان الأعتداء الثلاثي على مصر كل ذلك قاد الشعب الى ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨.

خلال هذه المسيرة الطويلة من النضال، عبر القاص في الموصل عن هذه الصراعات بأشكال متباينة وقد أرسى **عبد الحق فاضل** دعائم القصة الواقعية عبر قصص مجموعته (مزاح وما اشبه) ١٩٣٦ ثم أصدر مجموعته (طواغيت) ١٩٥٨ و

(حائرون) ١٩٥٩ وفيها قصص كتبها قبل نشرها بكثير غير أنه آثر السلامة وأحتفظ بها في درجه. وأتم عبد الحق فاضل اللوحة الرائعة التي رسمها للمجتمع العراقي، وأختلف في منحاه عن المنحى الذي سلكه ذنون أيوب، فهو يلائم بين المضمون والشكل، وينسى أفرازاته النفسية، ولايحتدم ويغضب ويدع شخصياته تسير في مسارها الطبيعي دون تدخل منه. ولاتهمه ملامح شخصياته الخارجية الاّ بقدر ماتساعده على فهم طبيعة الشخصية وتبرير سلوكها، وأكثر شخصياته فردية وأنسانية في طبيعتها ورسمها، ولايتخذ المؤلف موقفاً واحداً في عرض شخصياته فهو يعرضها في موضوعية تامة حيناً، ويكون الراوي لأفعالها حيناً آخر، فمحمود في قصة (مزاح) شديد الغيرة على زوجته، لايريدها أن تخرج كي لايراها أحد، وقد وفق عبد الحق فاضل في تحليل غيرة الرجل، غير أنه اسرف في الوصف في تلك المحاضرة الطويلة عن الأعتراف بالأخطاء وطلب المغفرة.

و (ايلا) في القصة التي تحمل الأسم ذاته، طفلة صغيرة. لم تتحمل وجود أخيها الى جانبها، فقتلتها الغيرة، وقد وصفها القاص وصفاً رائعاً على لسان أمها، ويؤخذ على الكاتب اسرافه في وصف الطفلة، وخلع صفات الكبار عليها، وجاءت مناقشاتها في مستوى أعلى من المستوى العقلي لمثيلاتها، وهو مجيد في أكثر قصصه القصيرة من الناحية الفنية، فقد خلق شخصياته خلقاً موضوعياً فأكتسبت طابع التبرير والأقناع الفني الى جانب سعيه لحل مشكلات مجتمعه، فلجأ الى التعليل والتفسير ووصف الدواعي الدافعة لتصرف الشخصيات. وحّرك أحداثه وشخصياته في جو مقنع وأسلوب مشرق، أكسب قصصه طعماً خاصاً.

وقد أستعار عبد الحق فاضل جو الأساطير في قصة (اله الحكمة) بطلها (جانيس) وهو شاب دميم



عوضته الآلهة مقداراً كبيراً من المعرفة والحكمة وحسن الخلق ، ضاق جانيس بكره النساء له ، فذهب الى مجلس الآلهة يطلب اليهم أن يسووه مخلوقاً جميلاً ، فأحسنت الهة الجمال تسويته رجلاً جميلاً حتى وقعت صانعته بحبه ، ففقد جانيس نصف حكمته ، وطفق وراء الغواني الحسان يستنزف وقته مما جعله يضيق بحياته فطلب الى الآلهة أن تمسخه حماراً فأستجابت له ، وكان اله الحكمة قد ضاق ذرعاً بالألوهية . فسعى اليها جانيس ونصب الهاً للحكمة بدلاً منه .

وهكذا يقع عبد الحق فاضل على الرتق الكبير الذي كان يعاني منه الأنسان الذكي في مجتمع تعقد ألوية الحكمة فيه للحمير . وهو مصدر القلق الذي عانى منه شباب ماقبل الحرب العالمية الثانية ، والمواجهة التي وقفوا فيها أمام السلطة التي قدمت العراق لقمة سائغة للأستغلال الأستعماري ، وقد أفاد المؤلف أفادة بينة في أستعانته بالرمز للأمعان في السخرية من الحكام ، وبدت الأبعاد الأسطورية في القصة أكثر قوة مما لو أستلهم الكاتب الأتجاه الواقعي لعرض المشكلة واذا رجعنا الى قصص عبد الحق فاضل نتبين أنه يصدرها عن تجربة يعانيها ويعيشها فتكون رؤيته أكثر عمقاً ، لأنه وشخصياته يعيشون في مجرى الشعور بوعي أكثر ، ويكونون تجربته الفنية ، على أن هذا الأمر له خطورته ، لأن التجربة الشخصية وحدها قد تحدد الطاقة البشرية ، مما يؤدي الى عدم قيام حياة نفسية غنية واسعة ومنوعة ، وأنما على الفنان أن يتحول بها الى تجربة تضع الأنسان مكان الفرد وتهتم بالعام بدلاً من الخاص . وشخصياته من البرجوازية الصغيرة ، يعطف عليها ويصورها بنبل وطهارة ، ولاتهمه صراعاتها إلا بقدر بناء ملامحها الخارجية ، وفي هذا القدر الضئيل من الصفات المادية يستخدم اللمحات التي تساق على فهم طبيعة الشخصية وتبرير سلوكها ، وهو يبنيها بتتابع من نمو القصة وتطورها . وأكثر شخصياته فردية أنسانية في طبيعتها وسلوكها: هشام في قصة (زواج عصري) واسماعيل في قصة (مشروع طلاق) وأم ميخائيل في قصة (حسرة ام ميخائيل) ، وهو لايتخذ موقفاً واحداً في عرض شخصياته ، فتارة يعرضها بموضوعية تامة كما في قصص (نصيب ، البيك ، لقمان الحكيم ، مشروع طلاق) ، وتارة يحملها أراءه الخاصة كما في قصتي (زواج عصري والرائد) وتارة نحس بأنه شخصيته في القصة كما في (أبراهيم وسندية ونبيذ) ورابعة يكون هو الراوي لبعض أفعالها كما في قصة (حسرة أم ميخائيل) .

ويعتمد عبد الحق فاضل على الفنية القصصية وعناصرها الأساسية في الحوار والسرد والشخصية ، ويعبر بأسلوب مرح يشيع فيه جو من الألفة والحرارة .

ويعد غانم الدباغ أمتداداً واعياً لعبد الحق فاضل في تحليله لشخصياته وعنايته بفنية القصة ، وملاءمته بين الشكل والمضمون ، ويستقي مضامينه من الغرائز المكبوتة وفوران الشباب والحرمان من لذاذات الحياة ، كما في قصتيه المتميزتين (الماء العذب ، والظلام المخمور) من مجموعته الأولى (الماء العذب) ١٩٦٩ وقد كتبت جميعها في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات ولم تجمع في كتاب الا في وقت لاحق ، وتعكس قصصه ذلك القلق الفني الذي أنتشى به المثقفون بعد الحرب العالمية الثانية ، ولم يقدم المؤلف فلسفة معينة في قصصه ولاشربت سطوره من ذلك الحنين الأنساني الذي يصبي ويوجه ، الاّ أنه عبّر فيها عن تلك النظرة الفنية القلقة التي كانت الطبقة الجديدة من المثقفين تهرب اليها ، من الواقع النضالي ، وقد تمثّل غانم الدباغ معنى التجربة القصصية الفنية ، وأستطاع بتمكنه من الخلق الفني أن يفرغ تجاربه في قوالب فنية جديدة ، فجاءت متحررة من كل مايقيد فنيتها . ولاتفرض شخصياته على القصة من

خارجها ، وأنما ترسم لمحة من خلالها ، فلا نجد لشخصياته ملامح أو أوصافاً خارجية ، الاّ أننا نعرف كلا منها شيئاً فشيئاً من خلال تصرفاتها الأنسانية التي تبرز في القصة وتملأها بالحياة ، وهو مجيد في تحليل رغبات شخصياته والكشف عن غرائزهم وآمالهم ، الاّ أنه يحصر الشخصية في نطاق الذات ، فهي خاضعة لرغباتها المكبوتة ، وتنظر الى الحياة من خلال هذه الرغبات. فالراوي يكره العيش في القرية التي يشتغل فيها معلماً ، في قصة (الماء العذب) ، لابسبب أن أهل القرية لايحترمون المعلمين كما يحترمون الموظفين الأداريين فحسب ، ولابسبب حرمانه من الماء العذب ولذات الحياة التي ينعم بها زملاؤه في المدينة ، بل لأنه محروم من المتعة ، ينظر الى فتيات القرية عن بعد ولايستطيع الأقتراب منهن خوفاً من تقاليد القرية التي لاترحم ، وعند ماتأتيه (ترفة) بالماء العذب وتستسلم له يتبدل كل شيء في نظره ويحب القرية ولايهتم للماء العذب المراق ، غير أن هذه الذاتية المتصلبة ماتلبث أن تتفجر عن منابع أنسانية في نفس بطل قصة (الظلام المخمور) الذي يغرق نفسه في الحانة العاجة بشتات مختلفة من البشر: سكارى ، باعة متجولون ، باعة صحف ومذياع يقذف بأغانيه وأنباءه ، يلتقط البطل كل ذلك بحس مستفز تتجسد صوراً في عقله وتنبعث الكلمات متداعية مضطربة حيناً ومنسقة حيناً آخر على لسانه : «الراتب ضئيل ، الحكومة وعدت بتعديل القانون ، تكلم النواب في المجلس ، وخطبوا بالعامية ونشرت أقوالهم بالفصحى ، حذفت من المحضر فقرات جريئة أرادوها حصيلة للأنتخابات القابلة ، ثرثرة لايؤمنون بها ، مسكينة طلقها زوجها قبل ربيعها الثلاثين ، أبي لم أعرفه الاّ زمن الطفولة ، ذكريات سحيقة ، له لحية كثة ، رأيت مثله في الأفلام المصرية... العالم يضطرب وزير صرح بهذا ، الوزير واقعي ، مذكرات ، أزمة وزارية لتسقط الوزارة ، أمتلأت الشوارع ، شباب ، فتيات ، نريد الجلاء ، يسقط الوزير ، فلسطين ، الموت للأنكليز ، للصهاينة ، خوذ فولاذية ، أضرابات ، رشاشات ، دماء ، جرحى ، قتلى ، مواضيع دسمة للجرائد... أنصرفوا الى دروسكم ، الحكومة أدرى بواجبها ، اضراب ، تأجيل الدراسة ، أحكام عسكرية ، سجون ، ألم نقل لكم أن أعطاء الحريات لهذا الشعب ليست من صالحه ، صرح الوزير ، أيده المجلس ، أكثرية ، تصفيق». أن سيادة الجنس في قصص غانم الدباغ لايتأتى عن أفتعال أو أقحام ، وأنما يأتي الجنس معادلاً موضوعياً للخيبة التي تمسها الشخصية في داخلها ، أنه نوع من الهروب من الواقع ، فرغبته بالماء العذب يعني رغبته بترفة ، وما رغبته هذه الاّ بديل عن تأزمه النفسي والأجتماعي في تلك القرية التي تحترم القوة ولاتحترم العلم ، وموقف الكاتب من الجنس موقف ايجابي وغير سلبي ، فهو يدين الشباب الهاربين من الصراع مع السلطة ، ويدين الأنغماس في الجنس بدلاً من النضال ضد التسلط وقمع الحريات ، وتعاني شخصياته من السلبية على الرغم من تقدميتها ، فالفكر يملي عليهم الكثير ويدفعهم الى الصراع مع كل ماهو بال وعتيق الاّ أن سلاسل قوية تقيد حركتهم وتربطهم بواقعهم وتدفعهم اما الى الثرثرة كما لاحظنا في قصة (الظلام المخمور) أو الى الفعل السلبي وأغراق الذات في الخطيئة كما فعل بطل قصة (سوناتا في ضوء القمر) أو الى الحلم كما فعل بطل قصة (الأعمدة) ، وقد أخترت القصص الثلاث من مجموعاته القصصية الثلاث على سبيل المثال لا الحصر، واذ يجد غانم الدباغ البديل الذي يهرب اليه من مجابهة الواقع في موضوعات قصصه الثلاث يختار أشكالاً جديدة لأستيعاب هذه الموضوعات الجديدة بديلة عن الأسلوب التقليدي المورباساني أو التشيخوفي ، فهو لايتحمل المسؤولية في فن القص التقليدي كما

لاتتحمل شخصياته المسؤوليات الكبيرة الملقاة على عاتقهم ، فبطل قصة الظلام المخمور يثرثر بكلام لارابط له يستنزف وعيه عبر الأزمة الضيقة الشبيهة بأنفاق الموت والوحول والقذارة ، ولم يصارع غير كلب ذليل وقع عليه نظره ليقبر نفسه في سجن داره ، وكان أسلوب التداعي هو الاسلوب الأنسب لهذه القصة الجيدة التي فازت بالجائزة الثالثة في مسابقة مجلة الآداب للقصة عام ١٩٥٤ ،

وهل يجد الأنسان المهزوم وسيلة أفضل لأستنزاف كل طاقاته غير الثرثرة ؟! . ويدور الحدث في (سوناتا في ضوء القمر) حول نزوة مرت بالراوي في ليلة قمراء من ليالي الصيف ، ويتوسل بجميع الوسائل حتى يظفر ببغيته وبينما هو في أقصى نشوته يستيقظ أهل الدار غير أنهم لايلتفتون اليه وانما ينشغلون بالقطة الجائعة التي تحرشت بالطفل وجعلته يبكي ، وقد أحسن الكاتب في استخدام القطة رمزاً للشبق الذي أرّقه ، وكانت الخيبة حليفة بطل القصة على الرغم من حصوله على بغيته لأن الهدف المنشود لم يكن الاّ وسيلة للهروب من الواقع . ولم يستطع الصمود أمامه فأضحى كل شيء بالنسبة اليه عبثاً وقبض الريح ، وشاركه القمر كآبته ، وفعلت الطبيعة في نفسه مافعله في نفوس الرومانتيكيين ، فأضفى قتامته وحزنه عليها ، وبدت هاربة مثله من وجه الصعاب ، كل مافي القصة يدل على الهروب : الخوف ، الحلم ، الخطيئة ، الطبيعة الحزينة ، التلصص ، الخجل ، الخيانة الزوجية) والخيبة التي تنتهي بها القصة . وقد أختار غانم الدباغ لقصته ثوباً جديداً كل الجدة على القصة العربية ، تكونت القصة من ثماني عشرة مقطعاً ، كل مقطع يتكون من فقرتين ، الأولى تمثل حدث القصة ، والفقرة الثانية تعليق على الفقرة الأولى وأحداثها ، تعليق أقتبسه من قراءاته وحاول جهده أن يأتي مناسباً لما تورده الفقرة في المقطع ، وقد أستغل الكاتب ثقافته في هذا التعليق الذي اقتبسه من قراءاته ، وحاول جهده أن يأتي مناسباً للجزيئة التي يوردها في الحدث الأصلي ففي المقطع الخامس مثلاً يصور الحالة النفسية التي كانت عليها (سعاد) من خلال نزوتها ، يعلق على هذه الفقرة مشبهاً اياها بنواح موسيقى (جايكوفسكي) وعذاب (بودلير) ورغبة (بايرون باوغستا) ، ويسير على هذا النمط في جميع المقاطع .

ويحدثنا غانم الدباغ في قصة (الأعمدة) من مجموعته الأخيرة (حكاية من المدينة القديمة) ١٩٧٤ عن أنسان محبط في جميع تصرفاته . ويشرح لنا عبر سقطاته المختزنة وركام الجمل الموحية عن علاقة هذا الأنسان المضادة للعالم ، حتى ابعده هذا التضاد عن كل ماحوله ، عن مشاعره وحبه .

أما السمة الثالثة لقصصص غانم الدباغ فهي رصد الأحداث التي مرت بها مدينة الموصل ورصد العادات والتقاليد والمعتقدات ، وهو في هذه السمة قاص واقعي أجتماعي ، ينحدر أحياناً الى مستوى التسجيلية كما في قصة (السكون) ، أو يرتفع الى مستوى عال من الفن كما في قصتي (السوق الكبيرة ، وحكاية من المدينة القديمة) .

وسار غانم الدباغ وراء الأشكال الجديدة في كتابة القصة . فأتبع اسلوب تيار الوعي في الظلام المخمور . واسلوب همنغواي في الماء العذب ، وكتاب الرواية الجديدة في قصتي (مثلث الرغبة والشلال) . وأعطى لقصته (سوناتا في ضوء القمر) شكلاً جديداً كل الجدة على القصة العربية القصيرة في السبعينات ، وفقدت قصص المجموعة التي تحمل الأسم ذاته ، خطى القصة الموباسانية ذات البداية والذروة والنهاية . وأتبع الاسلوب السريالي في قصة (رجال بدون ملامح) واسلوب المذكرات في قصة (من أسبوعيات فتاة نصف متعلمة) . ويظهر تأثير كافكا وأجواءه الخانقة في العديد من قصصه (الموت والضجر ، الخيوط

والشبح ، الطوطم ، السكون) .

وأسلوب غانم الدباغ جميل ومشرق ويحسن استخدام الحوار الخارجي (الديالوج) والداخلي (المونولوج) بشكل مترابط أخاذ مليء بالحركة . وقد يأتي الحوار بالفصحى أو بلغة فصيحة محلاة بكلمات عامية ، أو بالعامية فقط ، وذلك حسب مستوى الشخصية الأجتماعي والفكري .

ومهما يكن من أمر ، فقد شهدت القصة في الموصل تطوراً وازدهاراً إبّان الفترة اللاحقة لحقبة الخمسينات ، وبرز قصّاصون مجيدون أغنوا عالم القصة الموصلي ، وهم جديرون بأن تكتب عنهم دراسات مستقلة تالية نذكر منهم عمر محمد الطالب ، ومحمود جنداري وحمد صالح وأنور عبد العزيز وحسب الله يحيىٰ وسالم العزاوي ونجمان ياسين وثامر معيوف .

الهوامش

(١) ينظر عمر الطالب ,,القصة في الأدب العربي'' ، مجلة آداب الرافدين ، العدد الأول ، ١٩٧١ .

(٢) أنظر: عمر الطالب ، "المسرحية العربية في العراق ١٩٧١ ، بدايات المسرحية العربية في العراق"، مجلة المسرح المصرية ، العدد ٤٤ ، ١٩٦٧ .

(٣) ينظر: عمر الطالب ، الرواية العربية في العراق ١٩٧١ ، القصة القصيرة الحديثة في العراق ١٩٧٩ ، ورسالة الماجستير (القصة القصيرة بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٦٥ ، ورسالة الدكتوراة (الفن القصصي في العراق) ١٩٦٧ .

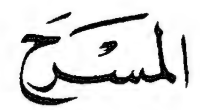
(٤) للاستزادة ينظر: عمر الطالب ، الرواية العربية في العراق ١٩٧١ ؛ القصة القصيرة الحديثة في العراق ١٩٧٩ وكذلك عمر الطالب "فن القص عند سليمان فيضي" ، مجلة الجامعة ، ٩ ، ١٩٧٣ .

(٥) مجلة الاديب اللبنانية ، العدد ١٠ ، ١٩٤٦ ، والجريدة العراقية عام ١٩٤٣ .

(٦) محمود مفتي الشافعية ، فوزية ص ١٣ ، ١٦ ، ١٩ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٦٣ .

(٨) ينظر: عمر الطالب ، القصة القصيرة الحديثة في العراق ، ص ٣٩-٤٦ .



المسرح

أ . د . عمر محمد الطالب

مقدمة :

يعد خيال الظل[1] من ابرز الظواهر التشخيصية التي ظهرت في الموصل والمعتمدة على الحركة والفعل في اطار حكائي يستند الى الحوار المكون من الشعر والزجل والسجع . ويعد ابن دانيال الموصلي اهم من كتب مسرحيات خيال الظل في الأدب العربي .

ولد الشيخ شمس الدين ابو عبدالله محمد بن يوسف الحراني الموصلي في الموصل عام١٨٣٣م وتوفي عام ١٨٩٣م عرف باسم ابن دانيال الموصلي وكان طبيباً كحالاً وشاعراً والمبدع الأول لخيال الظل ، واشهر مسرحياته (طيف الخيال) وعجيب وغريب ، والمتيم) وتدور المسرحية الاخيرة حول حادثة عاطفية ، اشتملت على مشاهد ممتعة مثل تحريش الديوك على القتال ، ونطاح الكباش والثيران بقصد الفرجة والتسلية ، وكان يرافق مسرح خيال الظل ، اثنان على الايقاع ، واحد على المزمار وواحد على الطبل .

واستمد ابن دانيال مسرحيات خيال الظل من احداث واقعية صورت شخصيات معاصرة لتلك الفترة ، فقد جسدت مسرحية (غريب وعجيب) ثلاثين شخصية لأصحاب الحرف الذين زخرت بهم الاسواق ، وجسد كل منهم مهنته باسلوب فكاهي ساخر .

ودارت مسرحيته (طيف الخيال) حول الأمير (وصال) وتابعه طيف الخيال الاحدب ، قصير القامة ، ويحلل ابن دانيال هاتين الشخصيتين تحليلاً طريفاً مبيناً جوانب الضعف في شخصية الامير ، والشذوذ المستحكم في شخصية طيف الخيال . في اطار اجتماعي مستمد من البيئة التي عاش فيها .



وتتلخص المسرحية في خداع الخاطبة للامير وصال حول عروس ذات جمال ومال، وبعد ان يتزوجها الامير يجدها شوهاء قبيحة.[٢]

وتعد هذه المسرحيات ذخيرة شعبية في موضوعها، بسيطة في تشخيصها، طريفة في حوارها، لتلائم الذوق الشعبي حيث اقبل الجمهور اقبالاً شديداً على مشاهدة خيال الظل آنذاك.

وقد هدفت (بابات) خيال الظل - وهو الاسم الذي كان يطلق عليها آنذاك بدلاً من كلمة مسرحية - من حيث المبدأ الى الاضحاك والتسلية. غير ان هذا الهدف لم يمنعها من التعرض للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. والحياة اليومية المعاشة، تعرضاً مباشراً، تعرض كل ذلك بشكل مباشر وصريح لايخلو من جرأة شديدة. واكثر ما تعرضت له بابات خيال الظل، النقد الاجتماعي والمشكلات والعيوب التي يتعرض لها بأسلوب فكاهي ساخر.

واذا كانت السياسة والنقد الاجتماعي هدفين من اهداف خيال الظل فانها لم يكونا هدفين مجردين موضوعين في قالب نصح ووعظ ممجوجين، وانما في قالب من الهزل والنكتة والسخرية والموسيقى والغناء، مع نمو في الحدث وتطور له حتى النهاية.

واصطنع ابن دانيال لغة بين الفصحى والعامية، مستغلاً التورية والجناس والمقابلة وسائر انواع الزخارف اللفظية والمعنوية، فحقق بذلك شاعريته وساير في الوقت نفسه أمزجة الاوساط الراقية والعامة معاً، وكان يترخص في قوانين الاشتقاق والتصريف، ويتحرر الى حد ما من قواعد النحو واصول النظم، ولعله جرب المزاوجة بين الأطر الفصيحة وبين الاشكال العامية الغالبة في عصره.

ونجد في المقدمات التي وضعها ابن دانيال الموصلي ما ينبيء بأنه لم يغفل عن التدوين أي ان باباته يمكن ان تقرأ وأن تمثل في آن واحد، واصبحت باباته المدونة ادنى الى المسرحيات المكتوبة.

وظهر (القرقوز) في الموصل أيضاً، وهو اقرب الى التهريج الشعبي من خيال الظل، وتمثيلياته مرتجلة وليست مدونة كما في خيال الظل، لأثارة الضحك والتسلية، ولم يسع مثل خيال الظل الى تحريك المشاعر وتنبيه الأفكار.[٣]

بدايات النشاطات المسرحية في الموصل:

لقد كانت العلاقات السياسية والتجارية والفنية وثيقة الصلة بين الموصل وبغداد من جهة وحلب ودمشق من جهة أخرى، وقد عرفت بلاد الشام التمثيل في منتصف القرن التاسع عشر[٤]. وكانت ترد من بلاد الشام الى الموصل وبغداد فرق تقوم بالرقص والغناء وتقدم المشاهد التمثيلية[٥]. وكانت مثل هذه العلاقات قوية ايضا بين الموصل وتركيا. وكان الرقص والغناء يتم في المقاهي والملاهي. وكأن رواد المقاهي سئموا الرقص والغناء فأدخل اصحاب المقاهي المشاهد التمثيلية القصيرة بين فقرات الرقص والغناء من أجل التنويع وضمان زيادة الرواد على نحو ما يحدث في مقاهي تركيا وملاهيها والاقطار العربية التي كانت خاضعة للاحتلال العثماني.

وقد قامت هذه التمثيليات على الحوار الهزلي وتبادل الكلمات الساخرة والملح، وهي لا تعتمد على موضوع معين بل هدفها الأساس هو الاضحاك والامتاع، وكانوا يعمدون الى الملابس المضحكة والازياء الساخرة التي تناسب الموقف الذي يقومون بعرضه، وقد سمي هذا النوع من المشاهد التمثيلية (بالاخباري)، وهو لايعتمد على نص مكتوب او حركات موجهة مدروسة، بل يقف المشخصون امام الجمهور من دون اعداد سابق، ويتكلمون حسب هواهم من دون مراقبة او تنبيه. فيكثر الكلام العامي المقذع، وتعم السطحية والضحالة مثل هذه المشاهد التمثيلية. وقد

في اواخر القرن التاسع عشر وكن في الغالب من غير العراقيات.

وقد أطلق العراقيون على الشخص الذي يقوم بتقديم هذه المشاهد الهزلية في المقاهي والملاهي اسم (الشانو) وهو محرف عن التركية ومأخوذ من اللفظة الفرنسية Scene بمعنى مشهد[٦]. والاخباري في الاصل شكل شعبي محض فحواه ان شاعراً أو فناناً يأتي مع زميل له، فيقفان في ساحة القرية أو المدينة فيجتمع حولها الناس ويسردان خبراً ثم يبدآن بالتعليق عليه شعراً او نثراً مقلدين اصحاب الخبر وأبطاله.

وقد استمر تقديم الاخباري في المقاهي والملاهي العراقية الى ما بعد الحرب العالمية الأولى ثم أخذ في الاندثار.

ظهر الى جانب هذا النوع من النشاط التمثيلي في الموصل، المسرحيات التعليمية التي كان يقدمها المعلمون في المدارس الدينية المسيحية، في العطل والمناسبات الدينية والمدرسية ويقوم بتمثيلها طلبة هذه المدارس، والغرض منها بثّ التعاليم الدينية والاخلاقية بين رعاياهم، وقد استمدوا أحداث مسرحياتهم من العهدين القديم والجديد لغرس الايمان في نفوس هؤلاء الرعايا وتنويرهم بالتعاليم المسيحية. وقد كانت العلاقات الثقافية والدينية قوية بين الكنائس والمدارس المسيحية في الموصل وبغداد وبين الأوساط الدينية المسيحية في لبنان وروما وباريس[٧].

وكانت المدارس المسيحية ترسل بعض رعاياها من المتفوقين والنابهين في اوربا للدراسة هناك، ثم يعودون للتدريس في المدارس المسيحية في الموصل وبغداد، يضاف الى ذلك ان العراق كان تحت السيطرة العثمانية، وكان العثمانيون قد عرفوا المسرح ومارسوا التمثيل منذ أواخر القرن الثامن عشر، كما شهدت استنبول في القرن التاسع عشر نشاطاً مسرحياً ملحوظاً. وكان العراقيون يذهبون للدراسة هناك ثم يعودون وقد تأثروا بمشاهداتهم وضاع معظم هذا النتاج المسرحي لعدم اهتمام الكنائس بطبعه في كتب، وربما يعود ذلك الى عدم توفر وسائل الطباعة في الموصل آنذاك على نطاق تستطيع معه الكنائس طبع نتاج رعاياها.

وقد ظهر أول عمل مسرحي في الموصل عام ١٨٨٠ م للأب حنا حبش[٨]، ثم طبع في كتاب يضم ثلاث مسرحيات قصيرة (كوميدية آدم وحواء، كوميدية يوسف الحسن، كوميديا طوبيا)، والمسرحيات الثلاث ليست كوميدية بالمفهوم الحديث بل هي مسرحيات مأساوية، ويبدو ان المؤلف قصد بالكوميدية معنى المسرحية لجهله بالمصطلحات الفنية للمسرح.

وتوالت المسرحيات التي ألفها القسس والمعلمون في العراق في هذه المدارس الدينية منذ ذلك التأريخ، وتعد هذه المسرحيات البذرة الأولى في التأليف المسرحي والعمل المسرحي في العراق، ولكنها لم تخرج عن نطاق التمثيل في المدارس الدينية.

وتعد مسرحيات حنا حبش مسرحيات أخلاقية. وشخصياتها عبارة عن نماذج تمثل الرذائل والفضائل المجردة وحوارها طبيعي انساني شبيه بالحوار المعاصر، ويتجلىٰ ذلك في العرض الحي لزوجة العزيز في مسرحية (يوسف الحسن) التي تظهر كامرأة شبقة لايوقفها شيء عن تحقيق رغباتها. وقد أظهر الكاتب براعة وتوازنا في فقرات الحوار بين يوسف وشخصيات المسرحية، ومهارة في استخدامه للمقاطع الشعرية. وقد راعى فيها مقتضيات المسرح آنذاك. فقد خلت من المناظر الكثيرة وامتلأت بنصوص من الكتاب المقدس، وتناول في هذه المسرحية قصة يوسف كما وردت في الكتاب المقدس، واختار منها الحوادث التي تعينه على اقامة هيكل المسرحية كما وردت فيه. واخذ موضوع مسرحية (آدم وحواء) من سفر التكوين،

وهي من نوع مسرحيات الأسرار التي انتشرت في اوربا في القرون الوسطى ، وقد بناها على حدث بدء الخليقة ، وادخل ابليس كي يبعث فيها الحياة ويبرزها للنظارة واضحة المعالم قوية الملامح بحيث تستبان العظة ويتضح المغزى الذي رمى اليه الكاتب ، في مسرحيته.

أمّا المسرحية الثالثة (طوبيا) فقد تمسك فيها المؤلف بالتقاليد الدينية التي لم تكن تسمح للكاتب آنذاك بالاختراع او الخروج على النصوص الاصلية. ولم ينجح المؤلف في اشاعة الحياة في الجو التأريخي بل اكتفى بايراد الحوادث كما وردت في «الكتاب المقدس» ولم يحاول احياء شخصيات وتقديمها لنا على انها شخصيات حيّة لامجرد اسماء تأريخية مندثرة، وكان هدفه نشر تعاليم المسيح الداعية الى التسامح وترك الاحقاد. وقد عرف الموصليون ثقافة الغرب عامة ومسرحه خاصة عن طريق الترجمة الى العربية او التركية وكانت المصادر التركية تعد من اهم المصادر نتيجة لارتباط العراق بالدولة العثمانية، واتقان المتعلمين للغة التركية. حيث كانت التركية لغة المدارس آنذاك ولغة الصحافة ودواوين الدولة. وكان عدد لابأس به من العراقيين يدرسون آنذاك في أستنبول.[9]

وقد ظهر لنا من تتبع حركة الترجمة انهم لم ينقلوا لنا مدرسة مسرحية بعينها، حيث كان رائدهم في الاختيار شهرة الكاتب أو شهرة المسرحية أو ملاءمتها للذوق العربي في تلك الفترة[10].

وقد تباينت اساليب الكتّاب في الترجمات فمنهم من كان يحاول تقريبها الى الذوق الشعبي، فيعنى بابراز حوادثها الرئيسية ويتناول الحوار بالتلخيص او الحذف او يغير النهاية احيانا لكي تلائم ذوق الجمهور الذي كان يطلب في المسرحية صفات خاصة تتفق وتجاربه وثقافته، وكان بعضهم ينتحل المسرحيات التي يترجمها بعد التغيير فيها ويدعيها لنفسه[11]. ومن الكتّاب من كان يعنى بالناحية الأدبية في هذه المسرحيات ولا يهتم بالشروط التي تقيده بها طبيعة المسرح العربي. لذا كان يبذل الجهد في سبيل المحافظة على الأصل ونقله نقلاً أميناً دون حذف أو تشويه.

وبفضل الترجمة على اختلاف انواعها ومراحلها ذللت العربية ومرنت على أداء الأغراض المسرحية الحديثة، فنشأت فيها تعبيرات جديدة، وقد ظهر النشاط المسرحي في كنيستي الآباء الدومنيكان والكلدان والمدارس التابعة لها.

لقد عنيت المدارس المسيحية في الموصل ولاسيما المدارس التابعة للآباء الدومنيكان، ومنها المدرسة الاكليركية التي أنشئت في الموصل عام ١٧٥٠م، بالفن المسرحي في نطاق الاطار الديني اول الامر ثم التربوي والتعليمي. وأول عمل مسرحي قدّم في هذا المجال مسرحية (نبوخذنصر) التي ألفها الخوري هرمز نورسو الكلداني الماردينلي عام ١٨٨٦، ومثلت على مسرح المدرسة الاكليركية في الموصل عام ١٨٨٨. وقد تمخضت هذه الحركة المسرحية الناشئة عن ظهور رواد المسرحية في العراق[12] وهم: نعوم فتح الله سحار(توفي في الموصل ١٩٠٠) وتلميذه سليم حسون (١٨٧٣-١٩٤٧) وتلميذهما حنا رسام (١٨٩٠-١٩٥٨)، وقد درس الثلاثة في المدرسة الاكليركية ثم اصبحوا مدرسين فيها. وقد مثلت مسرحية (لطيف وخوشابا) لنعوم فتح الله سحار على مسرح الآباء الدومنيكان عام ١٨٩٠م، وطبعت في كتاب عام ١٨٩٣م، وهي مترجمة بتصرف عن أصل فرنسي بعنوان Fam Fam Et Colas لمدام دي بوفوار، وتقع مسرحية لطيف وخوشابا في فصل واحد مقسم الى اربعة وعشرين مشهداً، وتبدأ بمقدمة قصيرة يحدد فيها سحار هدف المسرحية وهو ذو شقين: الأول انها مسرحية تربوية، والثاني اللغة التي أستخدمها في الحوار وهي اللغة العامية السائدة في القرى المسيحية القريبة من الموصل.[13] وقد عالج سحار مشكلة



الحوار بطريقة مماثلة لمعالجة رائد المسرح العربي (مارون النقاش) الذي لجأ الى العامية اللبنانية لتمييز بعض شخصيات مسرحيته (البخيل) التي قدمت على المسرح في لبنان لأول مرة عام ١٨٤٧.

وقدم نعوم فتح الله سحار مسرحيته الثانية (الأمير الاسير) على مسرح الآباء الدومنيكان في الموصل عام ١٨٩٥. وقد لجأ سحّار الى أسلوب الترجمة بتصرف كامل للنص الاصلي لكي يلائم الزمكان بالنسبة للعرض والمشاهدين وكأنه يكتب مسرحية جديدة ولايقوم بعملية الترجمة فقط. وهذا لايقلل من جهده الكبير ويبقيه الرائد الحقيقي للمسرحية العراقية الحديثة.

وبينما كان نعوم فتح الله سحار يقدم مسرحياته النثرية على مسرح الآباء الدومنيكان، قدم (اسكندر زغبي) مسرحيات غنائية في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر، وجاءت مسرحياته الغنائية شبيهة بالأوبريت الغربي ولاقت اقبالاً جماهيرياً كبيراً وحفظتها الصدور مثل: (بزونتي، ببالي وزوجها، البناء، الخردة فروشي) وقد كتبها باللهجة العامية الموصلية. ويلعب الكورس دوراً مهماً في العرض، وقام بتمثيلها طلبة المدرسة الاكليركية [١٤].

وقد سار حنا رسام في مسرحياته الكثيرة، [١٥] على نهج استاذه نعوم فتح الله سحار ومثلت أولى مسرحياته (البريْ المقتول) على مسرح المدرسة الاكليركية عام ١٩١١ واعيد تمثيلها بعد سنة بأسم (لوجه الله الكريم) بعد أن أجري عليها بعض التعديلات. وقد نوّع رسام في شخصياته وجعل كل شخصية تتكلم لهجتها العامية المحلية المتأثرة بالبيئة وعاداتها، فجمع بين لغة عربية فصحى مبسطة استخدمها على ألسنة المتعلمين من شخصيات المسرحية، ولهجة عامية موصلية أجراها على السنة غير المتعلمين.

وقدم حنا رسام عددا من المسرحيات التربوية مثل (رسول الاكواخ) عام ١٩٢٥ و (والقرط الذهبي) ١٩٢٩ و (فلسطين المجاهدة) ١٩٣٦ و (احدوثة الباميا) ١٩٣٠ و (العواطف) ١٩٢٩. وقدم ستاً وعشرين مسرحية تربوية ذات فصل واحد، كما قدم اربع عشرة مسرحية دينية أهمها: (ــ عيدبات الميلاد) ١٩٣٠ و (شعيلة عيد الميلاد) ١٩٥٢. وقدم عدداً من المسرحيات التأريخية أهمها (ثمن الكلمة) ١٩٢٥ و (مثال الوفاء والوطنية) ١٩٢٦ و (الرجل النموذجي) ١٩٣٠ و (ماوراء الستار) ١٩٣٠ و (الزباء) ١٩٣٧ و (أسامة) ١٩٣٧.

أعتمد حنا رسام في جميع مسرحياته على الصراع الذي يولد الحركة المسرحية، وهو أصل من أصول الكلاسيكية الثابتة، حيث يلاحظ أن المسرحية ليست عرضاً لحياة الشخصيات أو تحليلاً لها أو نقداً، بل هي قطاع محدود من تلك الحياة، فالستار يرفع عن المسرحية وعناصر المسرحية قد تجمعت وتأهبت للأشتباك، وما تلبث أن تشتبك وتصل الى القمة ثم تأخذ بالأنفراج أو التطور نحو نهايتها المحتومة. وهو يوفر لها وحدتها ويولد فيها الحركة المسرحية. ولايجد القارئ أو المشاهد غموضاً في مسرحيات حنا رسام لأنه أهتم بالجانب التوجيهي وحرك شخصياته نحو الأهداف السامية وطعّم الحوادث بالنصائح التوجيهية، مما أضعف الجانب الفني فيها، وهذا هو السبب في جفافها وأرتفاع نبرتها الخطابية. كما ترجم حنا رسام ثلاث عشرة مسرحية عن اللغتين الأنكليزية والفرنسية ذكر أسماء مؤلفي القليل منها وأغفل ذكر اسماء الكثير من المؤلفين.

ظهرت مسرحيات شعرية الى جانب المسرحيات النثرية المؤلفة والمترجمة وأول من جرب المسرحية الشعرية في العراق (سليمان غزالة ١٨٥٣ - ١٩٢٩ م) في مسرحيته (لهجة الأبطال) ١٩١١ و (علي خوجة) ١٩١٣. ثم قدم مسرحيته الشعرية الثالثة عام ١٩٢٩ بأسم (رواية الحق



والعدالة). ويعلن غزالة في مقدمة مسرحيته لهجة الأبطال بأنه كتب هذه المسرحية ليؤكد بزوغ العدالة أثناء حكم محمد رشاد السلطان العثماني. وعندما نقرأ مسرحياته الثلاث ندرك بأننا أمام ناظم لايهتم كثيراً بالفنين الشعري والمسرحي، بل يسعى الى أبراز فكرتي الديمقراطية والعدالة بالدرجة الأولى فجاء الحدث في المسرحيات الثلاث مبعثراً مفككاً خالياً من الوحدة الموضوعية، فهو يتشعب ويتفرع وينزلق في مهاوٍ وجانبية لاتخدمه بقدر ماتبعثره وتشتته، كما فقدت مسرحياته وحدة المصلحة التي تعد أساساً في المسرح الكلاسيكي، ولا تتمكن شخصياته لكثرتها وتسطحها من خلق الصراع، فخلت مسرحياته من وحدات الحدث (البداية والذروة والنهاية)، وبدت وكأنها حدث واحد ينتهي عادة بمفاجأة يتكلفها كوسيلة لأنهاء مسرحيته، ونتيجة لذلك أصبح من العسير تقديم مسرحياته على المسرح لذا لم تمثل مطلقاً، ولو رفعنا الأسماء برمتها من مسرحياته لما أثر ذلك على المنظومة في شيء، لأن البناء في مسرحياته لايتعدى النظم التقليدي. وقد سعى بعد نظمها الى تقسيمها بين الشخصيات التي أراد أدارة الحوار على لسانها، ويميل المؤلف الى المبالغة المفرطة والخطابية[١٦] بالأضافة الى التعليمية والتقريرية عند عرضه لحالة يريد أبرازها، فهو يميل الى أقحام الكلام على لسان الشخصية لتخدم غرضه من دون مراعاة لطبيعة الشخصية ومستواها مع تكسر في الأوزان الشعرية وركاكة في النظم وأنعدام الجزالة. ولاتخلو مسرحياته من رؤية ثورية اذا قسناها بالنسبة لفترة ظهورها، فهو يدعو الى الثورة ضد الأستبداد والظلم والقهر. وتظهر فيها دعوة قومية للأتحاد والأستقلال بجمع شمل الأمة للوقوف ضد الطغيان، وهي دعوة تناسب روح العصر الذي عاش فيه.

بدأت الترجمة في الأقطار العربية جهداً فردياً منذ منتصف القرن التاسع عشر، تنصب على مايقع بين يدي المترجم من نصوص مسرحية تروق له وتناسب ذوق العصر، وكان الأتجاه نحو الترجمة عن الفرنسية، الأتجاه الغالب، والسبب الذي أعان اللغة الفرنسية على الأنتشار بالأضافة الى البعثات التبشيرية ومدارسها التي فتحتها في الأقطار العربية ومنها العراق ومدينة الموصل بالذات، أن وزارة المعارف العثمانية جعلت اللغة الفرنسية أجبارية في جميع المدارس الرشدية والأعدادية وفي كثير من المدارس العالية، وأصبحت تقارب التيارات الثقافية بين شعوب البحر المتوسط، وجاءت الترجمة عن الفرنسية في بادئ الأمر في الموصل بتأثير الآباء الدومنيكان الذين عنوا بالمسرح عناية خاصة. وأول مسرحية ترجمت في العراق صدرت في الموصل عام ١٨٩٣ هي مسرحية (لطيف وخوشابا) لنعوم فتح الله سحار والتي سبق ذكرها، ترجمها عن مسرحية فرنسية بعنوان Fam Fam Et Colas لمدام دي بفوار، ومسرحية (الأمير الأسير) عام ١٨٩٥ لمؤلف فرنسي لم يذكر أسمه.

وقد تدرب (سليم حسون ١٨٧٣–١٩٤٧) في ترجمة المسرحية على يد أستاذه سحار في مدرسة الآباء الدومينيكان فقدم مسرحيتي (أستشهاد مارترسيسيوس) عام ١٩٠٢ ومسرحية (شعو) عام ١٩٠٥ على مسرح مدرسة الآباء الدومنيكان في الموصل. وقد طبعت المسرحيتان في مطبعة الآباء الدومينيكان في الموصل. وتقع المسرحية الأولى في ثماني عشرة ومائة صفحة من الحجم المتوسط وهي من المسرحيات الدينية الفرنسية. وتدور المسرحية حول محاولة ترسيسيوس أنقاذ المسيحيين من الموت في العصر الروماني والقاء القبض عليه وتعرضه للتعذيب، وقد تحمل كل ذلك بشجاعة من دون أن يبوح بأسراره حتى قطع إربا من قبل جلاديه. أما مسرحية (شعو) فتدور حول الصياد شعو الذي



عثر على خاتم الأمير في جوف سمكة فأراد الأمير أن يجزل العطاء للصياد ولكن الصياد ابى العطاء، ودعا الأمير الى أعتناق المسيحية بعد أن تكشفت أمامه المعجزة.

ولم يلتزم سليم حسون الترجمة الدقيقة بل تصرّف كثيراً في الحوار، يغلب على حواره الوعظ والأرشاد، ولايناسب أحياناً روح العصر الذي دارت أحداث المسرحية فيه. وهو ينهي كل فصل من الفصول بشعر ترده الجوقة، وهو شعر رديئ لايقل رداءة عن شعر أستاذه نعوم فتح الله سحّار. وقد جاءت الترجمة غير دقيقة، وكتب سليم حسون المسرحيتين بأسلوب متعثر، تقترب تراكيبه من التراكيب العامية. وقد قصد من ترجمة المسرحيتين غرضاً تعليمياً دينياً من أجل عرضها على طلبة المدرسة الأكليركية. وهذا الهدف المحدد صبا اليه معظم مترجمي المسرحيات في المدارس الدينية في الموصل.

وقد أتجه (القس يوليوس جرجس قندلا ١٨٨٩-١٩٧٨) الى الترجمة عن المسرح الكلاسيكي الفرنسي، فترجم مسرحيتي موليير (المثري المتنبل) و (الطبيب رغما عنه) بين عامي ١٩١٤-١٩١٨ وترجم مسرحيتي (ماركاسان بائع الخنازير والطيور الصغيرة) وألف مسرحية (الأميران الشهيدان) التي عرضت على مسرح مدرسة الأرمن عام ١٩٣٧ وتدور حول شهادةماربهنام وسارة. كما قام بأدارة عرض مسرحيات مترجمة عن الفرنسية مثل (جنفياف والزهور) على مسرح مدرسة مارتوما في الموصل.

وتمتاز ترجمة قندلا بشكل عام بالجودة بالنسبة للفترة التي ترجمت فيها، وتمكن من ترجمة الأغاني في المسرحية الأصلية بأسلوب شعري مقبول. وهو يلجأ أحياناً في ترجمته الى المبالغة والحذلقة، ولاتخلو جمله أحياناً من الركاكة. ويستخدم في بعض الأحيان ألفاظاً وتراكيب عامية يبثها هنا وهناك في حنايا الترجمة، وقد تأتي الترجمة أحياناً غير دقيقة حيث يعمد الى الأختصار والحذف وقد يلجأ الى الأضافة للنص الأصلي ولكن في حدود ضيقة ويرد في حنايا النص أحياناً ترجمة غريبة وغير مفهومة للقارئ ولايقصدها المؤلف في نص المسرحية. وتعد مسرحيات قندلا المترجمة نموذجاً جيداً للمسرحيات المترجمة في الموصل منذ بداية الحرب العالمية الأولى وحتى مطالع الحرب العالمية الثانية.

وترجم حنا رسام عدة مسرحيات قدمت على مسارح المدارس المسيحية في الموصل مثل (الكونت سيلبونسكي) ١٩٢٥ و (الرجل النموذجي) ١٩٣٠ و (ثمن الكلمة) ١٩٢٥ و (الغرباء) ١٩٣٦ وكذلك (موريس الجندي، المحامي باتلان، الأمير هيريكلد أو التاجان، البخيل، في سبيل التاج، ضحية سر الأعتراف، البر في السر، يوم الصدف، المدعي بالشرف أو النصابون، المرسل، صاحب زورق الموت، اليتيم المنتقم).

وقدمت على المسارح المدرسية والعامة في الموصل عدد من المسرحيات المترجمة التي ترجمها مترجمون عرب مثل مسرحيات موليير (الطبيب رغما عنه، المثري المتنبل، مدرسة الأزواج، دون جوان، عدو البشر) ومسرحيات شكسبير (هاملت، ماكبث، عطيل، روميو وجوليت، تاجر البندقية، ومسرحية سوفوكلس (اوديب ملكا) ومسرحيات تشيخوف (أغنية التم، الدخان، الخال فافيا، بستان الكرز، الدب) ومسرحية (حلاق اشبيليا) لبومارشيه، ومسرحية (ايولف الصغير) لأبسن، ومسرحية (الرسالة المفقودة) لكارجياله ومسرحية (بيت برنارد ألبا) للوركا ومسرحية (وراء الأفق) ليوجين أونيل ومسرحية (في أنتظار اليسار) ليكليفورد أودتيس ومسرحيتي (جوهر القضية، وهل كان لايفان ايفانوفيتش وجود) لناظم حكمت ومسرحية

(الساعة الأخيرة) لميخائيل سيبستيان ، ومسرحية (في أنتظار كودو) لصموئيل بيكت و (فئران ورجال وأفول القمر) لجون شتاينبك و (الايدي القذرة ، وموتى بلا قبور) لسارتر. (كوريولان ، حياة غاليلو غاليليه) لبريخت وغيرها من المسرحيات. وقد خفتت حركة الترجمة في الموصل بعد الحرب العالمية الثانية فترجم القس كوركيس كرمو مسرحية (اراجون الملك) التي أصدرتها مجلة النجم الموصلية ضمن منشوراتها عام ١٩٥٥ وتقع المسرحية في تسعين صفحة من الحجم المتوسط وهي في ثلاثة فصول ولم يذكر المترجم اسم مؤلفها وكتب على غلافها (تعريب وتعليق وترتيب) بدلاً من ترجمة ، وحسناً فعل لأنه تصرف في تعريبها تصرفاً تاماً كما يبدو عند قراءة المسرحية ، وكتب عنها بأنها «مأساة تمثيلية تأريخية عن فوز الكثلكة في المكسيك ، جرت حوادثها في مدينة المكسيك في ١٢-٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٧ من ظهر ١٢ تشرين الثاني حتى صباح ٢٢ منه». وتتلخص أحداث المسرحية في تقلد (ايليا كالليس) رئاسة جمهورية المكسيك وهو يساري الأتجاه يسعى الى أضطهاد الكاثوليك وأستئصال شأفتهم ، وتتعرض شرطته الى مجابهة قوية من الكاثوليك الذين يقودهم القس (ميخائيل برو اليسوعي) ، ويمضي الصراع قوياً حتى يقبض على القس ويعدم في النهاية. ويبدو الأفتعال واضحاً في المسرحية من خلال المواقف الدرامية التي تعج بها ، والتعليمية والدعائية والمباشرة والخطابية. وضعف التراكيب اللغوية. وتمثل هذه المسرحية أنحداراً في الترجمة اذا ماقارناها بترجمة جرجس قندلا لمسرحيتي موليير آنفتي الذكر على الرغم من البعد الزمني بين الترجمتين.

أختلف الباحثون في طبيعة الجنس الأدبي (للرواية الأيقاظية) ١٩١٩ لسليمان فيضي الموصلي (١٨٨٥ - ١٩٥١) فمنهم من عدها أول مسرحية عراقية وأنها كتبت لتقرأ لا لتمثل لتعدد فصولها مثل جميل سعيد في كتابة (نظرات في التيارات الأدبية في العراق) وقد جاراه في ذلك علي الزبيدي في كتابه (المسرحية العربية في العراق) وجعفر الخليلي في كتابه (القصة العراقية قديماً وحديثاً) وعدها حسين الرحال رواية في المقدمة التي كتبها لرواية (في سبيل الزواج) لمحمود أحمد السيد وذهب محمود أحمد السيد هذا المذهب في كتابه (السهام المتقابلة). ونحن نخالف السادة الباحثين من أن الرواية الأيقاظية مسرحية ، ونرى فيها مزيجاً من الفنين الروائي والمسرحي مع غلبة السرد على الحوار في القسم الثاني منها[١٧] ، وبذا تكون الرواية الأيقاظية أول (مسرواية) كتبت في الأدب العربي على الرغم من أدعاء توفيق الحكيم بأنه أول من كتب في هذا الجنس الأدبي في الأدب العربي في مسروايته (بنك القلق). ولاأريد الحديث عن الرواية الايقاظية لأنها في نظرنا ليست عملاً مسرحياً على الرغم من أن مؤلفها ذكر في المقدمة أنه كتب (رواية) ويقصد بها مسرحية فقد كان يطلق على المسرحية أسم الرواية في بدايات القرن العشرين.

الحكم الملكي والمسرح في الموصل:

أن أول مسرحية أنشئت بشكل رسمي في العراق أنبعثت من (نادي الأنتباه العربي) في الموصل عام ١٩٢١ الذي أسسه محمد رؤوف الغلامي ، والمنبثق عن (مقهى الحمراء) الذي أسسه الأدباء الموصليون بعد الأحتلال الأنكليزي للعراق والذي أصبح بصفة رسمية المنهل السائغ لرواد الأدب ومأوى للوطنيين ومعهداً عاماً لسائر أفراد الأمة من مختلف الطبقات[١٨] . وتشكلت اللجنة الأدارية للتمثيل من السادة: رؤوف الغلامي وحسيب السعدي وفاضل الصيدلي وأسماعيل حقي فرج وعبد المجيد شوقي البكري. وقررت لجنة أدارة التمثيل ، تقديم مسرحية (فتح عمورية) أولاً وعهد الى عبد المجيد شوقي البكري وضع هذه المسرحية والى فاضل الصيدلي نظم



الأشعار. وعرضت في الموصل عام ١٩٢٢، كما مثّل أعضاء نادي الأنتباه العربي مسرحيتي (فتح الأندلس وشهداء الوطنية الهولنديين) بعد تغيير طابعها الى طابع عربي وعهد الى فاضل الصيدلي وضع الأشعار اللازمة لها.

وتمخضت هذه الحركة عن مسرح وليد أستمد موضوعاته من التراث القومي بحيث تناسب الوعي العربي الجديد محاكية بذلك المسرح العربي في مصر وبلاد الشام، وقدمت مسرحيات ذات موضوعات مقتبسة من التأريخ الأسلامي ومن حياة العرب ومثلهم العليا، وعنيت بأبراز الهدف الأخلاقي عناية خاصة. وقد غلب الأتجاه التأريخي على المسرحيات التي قدمها نادي الأنتباه العربي لبعث روح اليقظة القومية في نفوس الشباب ولتطلعهم على سير أجدادهم. ومواقفهم البطولية ومساهماتهم الحضارية العظيمة لتحفيز الهمم وأشعال الشعور القومي للوقوف ضدّ الأستعمار الأنكليزي، وضد التبعية التي أنتهجها الحكم الملكي تجاه الأستعمار البريطاني.

تدور أحداث المسرحية الأولى (فتح عمورية)[19] حول فتاة عربية تقع في أسر قائد روماني يحبها ويعرض عليها الزواج لكنها ترفض الزواج منه لأنها لاتحسّ بأنجذاب اليه ولاتبادله الحب، وأنما تكرهه وتمقته لأنه عدو مغتصب، تغلظ له القول فيسجنها في بلدة عمورية ويأخذ في تعذيبها ولا يتورع عن قتل طفلها أمام عينيها نكالاً بها فتستغيث بالخليفة المعتصم صائحة (وامعتصماه) فيسخر منها القائد الروماني ويشمت بها قائلاً: سوف يأتيك المعتصم على جواده الأبلق وينقذك من يديّ يا مجنونة.

وعندما يبلغ خبرها المعتصم ينهض من ساعته غاضباً وملبياً. يأمر بأن يجلب له كل حصان أبلق من نواحي البلاد، ويسير في جيش لجب على خيول بلّق الى بلاد الروم، وتتسع الثغور ويتوغل في البلاد حتى يصل الى عمورية فيحاصرها حصاراً شديداً حتى يتم له النصر وينقذ الفتاة من أسرها، ويعود جيش المعتصم مثقلاً بالغنائم ومكللاً بالنصر.

والموضوع هو الحرب والمؤامرات والنصر، موضوع حماسي وطني، وقد جاء الحوار قوياً سلساً معبراً وهو يتراوح بين الحماسية والتقريرية، وتضم المسرحية الى جانب ذلك أشعاراً وأناشيد حربية. وقد أستخدم الشعر الذي وضعه فاضل الصيدلي على شكل مقطوعات صغيرة وبأسلوب تقليدي يعج بالألفاظ الرنانة والنبرة الخطابية، يقول المعتصم بعد أن يصله خبر المرأة:

لبيك يامن دعتنا وهي تنتحب
تذري الدموع أسى والقلب يضطرب
لبيك ياربه العون التي جرحت
به حشا ملك لم يدرك ما الرهب
لبيك يامن دهاها الأسر في بلد
ساءت مقاما وقوم ماهم العرب
هاقد أتينا على بلق مطهمة
تجري مع الريح للبيداء تنتهب

ويقول بعد أن يتحقق له النصر:

أبى العدل الاّ أن يكون لنا النصر
وللمعتدي الباغي المذلة والقهر

وينهي المقطوعة الشعرية بقوله:

فترى فتاة العرب عيناً ومهجة
فقد زال عنك اليأس وأنكشف الضر

وتقع المسرحية في ستة فصول، وينقسم الفصل الى مشاهد: يدور الفصل الأول في عمورية عندما يأخذ القائد الروماني الأسرى ومعهم المرأة وأبنها وعنوانه (حب غير متبادل).

وسمى الفصل الثاني (العفاف درع حصين) وفيه يحاول القائد الروماني أستمالة المرأة بعد أن وقعت في نفسه موقعاً حسناً، ويعرض عليها أن تكون جاريته فترفض، ويهددها بقتل ولدها فلا تستجيب له وترده رداً شديداً، فيقتل ولدها أمام



ناظريها.[20]

وقد أطلق على الفصل الثالث أسم (فجر الأمل) ويدور في السجن وقد أشفق حارس السجن على المرأة وقدم لها المساعدة لأنه كان يميل للعرب، وفيه يسمع الخليفة المعتصم بأستغاثة المرأة الهاشمية فيقرر أنقاذها. ويعّد العدة لحصار عمورية على خيول بلّق.

ويحاصر المعتصم عمورية في الفصل الخامس الذي أسماه (صدق العزيمة) ويستمر الحصار بضعة أشهر ويسمع الخليفة غلام حداد يقول: (لو كنت مكان المعتصم لفتحت هذا السور في يوم واحد)، يسأله المعتصم عن الأمر، فيدله الغلام على طريقة يحرق بها ألواح الخشب التي بنى عليها السور. ويطبق المعتصم الخطة ويفتح المدينة.

ويدور الفصل السادس والمسمى (العفو عند المقدرة) حول محاكمة الروم في داخل القصر التابع للقائد الروماني، ويقف ابو تمام بين يدي المعتصم ليلقي قصيدته المشهورة.

ويؤخذ على المسرحية ضعف بنائها، ويرجع الى ضعف الخيال فيها، وعدم العناية بأصول البناء المسرحي وقد تسبب ضعف البناء في أضعاف القيم الفكرية والعاطفية التي تضمنتها المسرحية فالبناء المفتعل خليق بأن يضعف من قوة القيم الأنسانية التي تنطق بها الأحداث.

أما الأحداث التي أختارها المؤلف تأريخية كانت أم مخترعة فتبرز أمامنا كأنها مواد أولية تحتاج الى يد صناع تهذبها وتنقيها مما علق بها من شوائب، وقد أبى المؤلف أن يبيح لنفسه حق الأختيار الذي يباح لكل كاتب، ثم يتبعه بعمليتي التصفية والتنسيق، وعندما تقدم الى تخطيط المسرحية لم يحاول عرض الأحداث التي أختارها عن الحوادث التي عاشتها المسرحية ووقعت من حولها، ثم عكف على هذه الحوادث وركزها بطريقة منطقية متسلسلة في الجو التأريخي الذي عاشت فيه. وكان عبد المجيد شوقي حريصاً على أن يضع أمام المخرج والممثلين كل مايلزمهم من معارف لأداء المسرحية إداءاً أميناً ناجحاً داخل أطاريها الزماني والمكاني فوصف في كل فصل من مسرحيته المكان والزمان والأطار (الديكور) والاثاث والملابس وما إليها وصفاً دقيقاً مفصلاً عن جهد صادق في دراسة الفترة التأريخية والمكانية التي تجري فيها أحداث مسرحيته.

وقدم نادي الأنتباه العربي بعد ذلك مسرحيتي (ابو مسلم الخرساني وهارون الرشيد والبرامكة) وقد شجع نجاح مسرحية فتح عمورية شباب الموصل على السعي لتنمية هذا الفن، فقام يحيي ق العبد الواحد عام ١٩٢٢ متعاوناً مع بعض الشباب بتقديم مسرحية (وفود النعمان الى كسرى) لمنفعة (المعهد العلمي)الذي أنشأه في بغداد (ثابت عبد النور الموصلي).

أنشأ يحيي ق العبد الواحد (دار التمثيل العربي) في الموصل بالأشتراك مع بعض الهواة، ولاجدال في إن هذه الدار هي أول دار تمثيل ظهرت في العراق، لأن الحركة التمثيلية في بغداد كانت في هذه الفترة بالذات ضعيفة ومقتصرة على نشاط موسمي في مدرستي (التفيض والجعفرية) الأهليتين.

وقد قدمت على مسرح دار التمثيل عدة مسرحيات تأريخية لاقت نجاحاً كبيراً منها: (العفو عند المقدرة) عام ١٩٢٣. وتدور حول عفو أمير عربي عن قاتل ابيه، وجرت أحداثها في الحيرة عاصمة المناذرة قبل الهجرة بنحو ثمانين عاماً، وهي حادثة الأسود بن المنذر ملك الحيرة مع النعمان بن الحارث ملك الغساسنة. وقدمت على هذا المسرح كذلك مسرحية (شهداء الوطنية) في العام ذاته، وهي مسرحية ملخصة عن مسرحية (ضحايا الوطنية الهولنديين) والتي ترجمها سلامة حجازي. ومثلت كذلك مسرحية (وفاء العرب) عام ١٩٢٤.

وتدور حول أمرئ القيس والسموأل.

وقدم يحيي ق العبد الواحد (١٩٠٠ - ١٩٦٦) ثلاث مسرحيات من تأليفه (فتح مصر) عام ١٩٢٤، (فتح الشام) عام ١٩٢٦ و (القادسية) عام ١٩٣٥.

تقع مسرحية فتح مصر في اربعة فصول، ينقسم كل فصل فيها الى عدة مشاهد تختلف طولاً وقصراً بأختلاف المشاهد. يدور موضوع المسرحية حول فتح المسلمين لمصر بقيادة عمرو بن العاص وتعاون الأقباط مع المسلمين في اجلاء الرومانيين عن مصر، وضعف الرومان على الرغم من قوتهم أمام العرب.

يدور الفصل الأول في مخيم العرب وعمرو بن العاص حائر بين السير الى مصر لفتحها أو الأنتظار وحين يأتيه رسول (بنيامين) يحثه على فتح مصر ويقدم له كل مساعدة ممكنة، ويأتيه رسول الخليفة عمر بن الخطاب ويسلمه رسالة منه يطلب اليه فيها السير الى مصر لفتحها، ويظهر القادة العرب فرحتهم بفتح مصر وتتحد الكلمة للقيام بالعمل الجليل.

وتدور أحداث الفصل الثاني في قصر (المقوقس) الحاكم الروماني، وتظهر (أرمانوسة) قلقة حزينة لأن اباها يعدّها للسفر الى القسطنطينية لتتزوج من (قسطنطين) ابن الأمبراطور الروماني. في حين تفضل عليه القائد الروماني (اركاديوس) الذي يبادلها الحب.

تصل الأنباء بتقدم العرب نحو الأسكندرية ومحاصرتهم لها فيضطرب المقوقس ويشاور قواده مما يفسح المجال أمام ارمانوسة للقاء حبيبها، ويهتم الكاتب بأبراز المواقف العاطفية بينها وبين حبيبها، ويستعين المؤلف بالشعر الذي وضعه فاضل الصيدلي في الحوار لتأجيج العواطف وأعطائها مجالاً أكبر للأثارة.

ويعود المؤلف في الفصل الثالث الى مضارب المسلمين وهم يحاصرون الأسكندرية ويعرض لنا القادة العرب (حذيفة وقيسا ومسلمة والمقداد والزبير وشريكا) ومادارت عليه المعارك وماأبداه العرب من شجاعة نادرة في ميدان القتال. ثم ألقى الجند العرب القبض على أرمانوسة وأعادوها الى أبيها بأمر من القائد عمرو بن العاص. وأرسل من قبله وفداً الى المقوقس يعرض عليه شروط الصلح.

وتجري أحداث الفصل الرابع والأخير في قصر المقوقس، وقد مني الجيش الروماني بالهزيمة وأنهارت عزائم قواده بعد أن رفضوا الشروط التي تقدم بها العرب وأنهزموا شر هزيمة في معركتهم الأخيرة. ويحاول اركاديوس أن يلّم شعث الجيش ويعود للقتال ثانية ولكن أرمانوسة تتوسل اليه الا يفعل. ولكن توسلاتها تذهب هباء، فتخرج معه لقتال المسلمين عندما يسمعون صوتهم مكبرين وقد أستولوا على المدينة. وبعد أن يستتب الأمر للمسلمين يعفو القائد عمرو بن العاص عن الرومان ويكافىء الأقباط على مساعدتهم للعرب وينصب بنيامين القبطي حاكماً على مدينة الأسكندرية.

وتستمد مسرحية (فتح الشام) موضوعها من التأريخ العربي الأسلامي البطولي، وهو فتح بلاد الشام على يد خالد بن الوليد ومادار في اليرموك، وكيف تنازل خالد عن قيادة الجيش الى عبيدالله بن الجراح بعد أن جاءته رسالة الخليفة عمر بن الخطاب تطلب اليه ذلك، ومادار في حصار دمشق وفتح العرب لها.

ودارت مسرحية (القادسية) ١٩٣٥ في نفس الأطار العربي الأسلامي البطولي، يستند موضوعها على فتح سعد بن أبي وقاص للعراق، وأستعداد العرب لذلك الفتح بعد مقتل المثنى بن حارثة الشيباني، يستعين الفرس بالمكائد لكسر شوكة العرب لتأخير الفتح، فيرسلون العيون والجواسيس لوضع السمّ في المياه والطعام، ولكن هذه الدسائس تكشف عن نفسها وتحاول



(شيرين) حبيبة (بيريام) القائد الفارسي واخت (يزدجرد) أن تستميل قابوسا أمير الحيرة للوقوف الى جانب الفرس ضد العرب وتعده بالملك على بلاد المناذرة فيقابل مكرها بمكر مثله، ويظهر للفرس بأنه حليفهم بينما يرسل قومه لمساندة العرب ضد الفرس. وبعد أن يدخل سعد الى المدائن يهرب الملك يزدجرد ويخرج بيريام لقتال العرب والى جانبه حبيبته شيرين، وعندما يدخل الجيش العربي الى (المدائن) يعفو سعد عن الفرس بعد أن يقدموا الطاعة والخضوع ويأمر بقتل (هرمز) المعتمد السياسي الفارسي وزوجته (بانو) لدسها السمّ في طعام القادة ومياه الشرب.

وقد عنيت مسرحيات يحيي ق العبدالواحد بالتأريخ عناية كبرى حتى أنها قصرت العمل المسرحي على عملية الفتح، ويوضح المؤلف عملية الفتح بفساد الحكام في البلاد المفتوحة وأنقسام أهلها ومحاربتهم بعضهم لبعض ليرينا أثر الزحف العربي على بلاد الروم في مسرحيتي فتح مصر وفتح الشام وعلى العراق في مسرحية القادسية. وقد وصف المؤلف عدة مشاهد وأحداث عن فساد الروم والفرس وأضطهادهم لغيرهم من عرب وأقباط في البلاد المفتوحة، ثم عزم العرب على الفتح والقتال فمشاهد الغزو والقتال فالنصر. وقد وفق الكاتب في تنسيق الأحداث وبسطها على رقعة مسرحياته بدقة ونظام، يؤخر ويقدم ماشاء له فنه ويعزل الأحداث الرئيسية عما كان يشوبها من الحوادث التافهة التي لم يكن لها فائدة ملحة في رسم الجـو أو أتمـام الـسـيرة الـعـامـة للأحـداث والشخصيات. وقد أنسابت الأحداث أنسياباً طبيعياً وتطورت تطوراً متصلاً، كما يتبين أن المؤلف قد ألمّ بأصول صناعته وعرف كيف يختار من أحداث التأريخ ما يلائمه ويخدم هدفه، كما عرف أنه لاضير عليه في أن يضيف الى التأريخ ما لايتنافى مع منطقه وروحه كما لايتنافى مع منطق الحياة، وفي الوقت نفسه يعينه على خلق الحركة الدرامية في مسرحه، وان يستخدم عنصر التشويق والمفاجأة ويوفر الصراع الداخلي والخارجي فيها على نحو بالغ المهارة والتوفيق. وأوجد الكاتب بين الأحداث حباً ثانوياً كان له أثر في تطوير مسرحياته الثلاث، حب أرمانوسة وأركاديوس في مسرحية فتح مصر، وحب شيرين وبيريام في مسرحية القادسية.

وقد أجاد الكاتب في تصوير الأنفعالات العاطفية وأستخدم الشعر لأبراز هذه الأنفعالات والعواطف، كما بنى مسرحياته على طريقة تعدد المناظر فينقلنا من منظر الى آخر من دون تمهيد أو حرص على الأطارين الزماني والمكاني في بعض الأحيان. وقد أحسن الكاتب رسم الشخصيات في مسرحه رسماً دقيقاً، وحلل أخلاقها وعكس دواخلها وأنفعالاتها عن طريق الحوار أو عن طريق المونولوج فظهرت الشخصية الأنسانية بكل أبعادها وعبرت التعبير الحر المنطلق عن خبيئة نفسها ومكنون عواطفها، وابرزت الشخصية الأنسانية الحية التي تتحرك وتنفعل وتقدم وتحجم وتتردد بدوافع خفية أو ظاهرة ولأسباب واضحة أو مبهمة. ويؤخذ على الكاتب انزلاقه في بعض المواقف الخطابية والمونولوجات الطويلة التي كانت تضعف من تأثير الحوادث وتلقي برشاش من الكلام الغث الفاتر على الجو الحماسي، كما يؤخذ عليه أسلوبه التعليمي الواعظ في بعض المواقف المسرحية. وعلى الرغم من هذه الهفوات وملابساتها فأن اسلوب مسرحه يشفع بقوته ورشاقة حواره وجميل شعره. وكانت لديه حاسة مسرحية دقيقة فأحس باهمية الأخراج وطريقة فهم المخرج للمسرحية، ونفث الحياة فيها وأبرزها في الأطار الصحيح الذي يقربها للجمهور من دون أن يخون النص أو يعبث به أو يمحو طابعه الخاص. وهذه حاسة بالغة الأهمية لكل مؤلف مسرحي لأنه لايكفي المؤلف أن يتصور الأحداث والشخصيات وأن يدون الحوار الذي

تقتضيه طبيعة تلك الأحداث والشخصيات بل يجب أن يتصور أيضاً أطار تلك الأحداث الزماني والمكاني وأن يحدد أمام بصره كافة الأبعاد الجسمية والنفسية والأجتماعية والفكرية لشخصياته في داخلها وخارجها ويبدو أن السلطات الرسمية قد ضاقت بنشاط دار التمثيل وبالروح القومية والوطنية العالية التي كانت تضطرم في نفوس أعضائه وتظهر واضحة في نشاطهم المسرحي ، فبادرت الى تجميد نشاطه عن طريق نقل أعضائه النشطين ومعظمهم من المعلمين والموظفين ، الى المدن الأخرى البعيدة عن الموصل.

ولكن شباب الموصل سرعان ما أندفعوا لإقالة عثرة دار التمثيل فقام (عبد العزيز القصاب) عام ١٩٢٦ بتشكيل فرقة جديدة مثلت عدة مسرحيات منها : (حرب البسوس) تأليف محمد عبد المطلب ومحمد عبد المعطي ، و (ابو عبدالله الصغير، وعنترة العبسي) تأليف سليمان القرطاجي ، ولكن أعضاء هذه الفرقة نقلوا الى وظائف في مراكز بعيدة وخمدت الحركة المسرحية في الموصل لتنشط في بغداد وتعطي ثماراً يانعة [٢١]

أنتشر تأليف المسرحية في العراق ، والموصل خاصة في الربع الأول من القرن العشرين فأستوحوا المواقف القومية التي تدعو الى الفخر والأعتزاز من التأريخ العربي الأسلامي ، والتي تثير في النفوس الحمية والحماس كرد فعل لدعاة الأخذ بالحضارة الغربية ، وأخذت الحضارة العربية المتوارثة تبعث ماكان قد ضعف منها ، وقاومت الحضارة الغربية الوافدة ونشأ بينها صراع عنيف أنعكس على الحركة الأدبية والثقافية فولد التيار التأريخي الذي دفع أدباءنا الى البحث عن الموضوعات التأريخية سعياً وراء أمجاد العرب المسلمين وبطولاتهم ليجابهوا بها دعاة الأخذ بالحضارة الغربية لأسباب قومية وسياسية وأجتماعية ، ورغبة في أستنهاض الهمم وتخفيف الشعور بالخذلان على اثر استبدال السيطرة العثمانية بالأستعمار الأنكليزي السافر أو المقنع.

والعودة الى الماضي نزعة رومانتيكية يمس فيها الكاتب الواقع مساً خفيفاً ليتجاوزه الى الحلم بالماضي الذي يربط الحلم بالمستقبل المثالي هرباً من الواقع المجهد. أو هي حركة نفسية تعود على الواقع بالنقد والتقويم نشدانا لمستقبل متحرر، ذلك أن التاريخ يدعم الحاضر ويساعد على الأقناع بما يثار فيه من قضايا.

وتختلف المسرحيات التأريخية قوة وضعفاً حسب قدرة كتابها وتمكنهم من الفن المسرحي فقد قدم حنا رحماني مسرحية (غفران الأمير) عام ١٩٢٧. وقدم القس سليمان صائغ مسرحياته (مشاهد الفضيلة) عام ١٩٣١ و (الأمير الحمداني) عام ١٩٣٧ و (الزباء) عام ١٩٣٣ و (يمامة نينوى) عام ١٩٤٨. وقدم عامر الدبوني مسرحية (متى استعبدتم الناس) عام ١٩٥٣ وقدم عمر ليث الخفاف مسرحية (كلكامش) عام ١٩٦٢ وقدم يوسف امين قصير مسرحيتيه (عامر وأسماء) عام ١٩٥٠ ومسرحية (كلكامش في العالم السفلي) عام ١٩٧٣. وهما مسرحيتان شعريتان. وقدم المطران بولص بهنام مسرحية (تيودورا) عام ١٩٥٦ ، وقدم كوركيس كرمو (اراجون الملك) عام ١٩٥٥. وقدم بولص بهنام مسرحية (مارن اشموني) عام ١٩٤٥ وقدم نديم الأطرقجي (الحاجب المنصور ووضاح اليمن عام ١٩٣٧) وقد أولى الكتاب المسرحيون في الموصل المسرحية التأريخية عناية خاصة فمنهم من أختار لمسرحياته أبطالاً يتسمون بالجرأة والشجاعة مثل عمرو بن العاص في مسرحية فتح مصر وخالد بن الوليد في مسرحية فتح الشام وسعد بن ابي وقاص في القادسية والزباء في المسرحية التي تحمل هذا الأسم وحمدان في مسرحية الأمير الحمداني وسمير أميس في مسرحية يمامة نينوى وابوذر الغفاري في مسرحية (متى أستعبدتم الناس) وكلكامش وانكيدو في مسرحيتي كلكامش وكلكامش في العالم

السفلي والنعمان بن المنذر في مسرحية (غفران الأمير). ويختارون لقطات مهمة في سيرتهم يمتزج فيها الواقع التأريخي بمحن وأعاصير تجتاح حياتهم الأجتماعية والسياسية، ومن خلال صراعهم مع الأحداث والأعداء تعمر المسرحيات بالحركة وتنبض بالحياة. ولايترك سليمان صائغ ابطاله يسيرون ببساطة في الطريق الذي أختاروه لأنفسهم ويكتفي بموقف التسجيل التأريخي لأنه لو فعل ذلك لخرجت المسرحيات من نطاق الفن والأدب الى مجال التأريخ كما في مسرحيات ليث الخفاف وعامر الدبوني وبولص بهنام وكوركيس كرمو.

ومنهم من اوجد شخصيات ليس لها أثر في كتب التاريخ كما فعل نديم الأطرقجي وحنا رسام وسليمان الصائغ وعامر الدبوني، فوجدت هذه الشخصيات مجالها في سير الأحداث بحيث يخيل للقارئ أن هذه الشخصيات قد وجدت وعاشت فعلاً هذه الأحداث.

وشخصيات هذه المسرحيات كثيرة مما يصعب تمثيلها على المسرح في تلك الفترة ففي مسرحية الزباء مثلاً عشرون شخصية وفي مسرحية متى أستعبدتم الناس أثنتان وعشرون شخصية على سبيل المثال لا الحصر، وهذه الشخصيات أقرب الى النماذج لأختلافها في الخَلق والخُلق وطراز التفكير الاّ أن بعض المؤلفين لم يبذل الجهد الكافي في سبيل بناء النموذج وتركيبه، ومنهم من لم يستطع سبك هذا الأختلاف والأستفادة منه في أحكام الصراع الذي كان ضعفه واضحاً في مسرحياتهم وتوارت الشخصيات وراء ستار الحوادث الكثيفة والمونولوجات الطويلة مما أضعف الحركة المسرحية في مسرحياتهم، فخرجت الشخصيات من بين ايديهم دمى تتحرك وفي أيديها خيوط الحوادي تمضي في حبكها وتعقيدها حتى تجعل منها نسيجاً متشابك الخيوط مختلف الألوان الاّ أنه ملتحم فيحتار المؤلف في جمعه وتنسيقه ويضطر الى أصطناع المفاجآت. ويكثر من صور الصراع الحسي وهو صراع سطحي ضعيف بينما يكتفي من صور الصراع النفسي بالقليل وتمضي الحوادث متعثرة مضطربة حتى تبلغ نهايتها المؤلة كما في المسرحيات التالية: (مشاهد الفضيلة، متى أستعبدتم الناس، كلكامش، كلكامش في العالم السفلي، اراجون الملك، تيودورا، وضاح اليمن). ويحافظ الكتاب على جلال شخصيات الأمراء والحكام والقادة في مسرحياتهم.

وهي مقسمة الى فصول ومشاهد، معظمها ينسجم مع أمكانيتي الزمان والمكان للمسرح ولايستغرق زمن عرضها أكثر من ثلاث ساعات ومناظرها قليلة لاتتغير بسرعة وخاصة في مسرحيات يحيي ق العبد الواحد وسليمان صائغ ونديم الأطرقجي وقد عرضت جميع مسرحياتهم على المسرح في الموصل وبغداد. أما المسرحيات التأريخية الأخرى فلم تعرض على المسرح لا في الموصل ولا في بغداد فيما عدا مسرحية (تيودورا) لبولص حنا التي عرضت على مسارح المدارس الدينية في الموصل ملخصة.

وقد بسط بعض هؤلاء الكتاب العقدة شأن الكلاسيكين وعمدوا الى تصفية الحوادث من الحشو والشوائب ومن كل ما من شأنه أن يضعف وحدة التأثير فيها، معتمدين على القص والأخبار متجنبين تصوير الحوادث بصورة مباشرة شأن الرومانتيكين. كما زحموا لوحات مسرحياتهم بالحوادث المحزنة والحروب الطاحنة وحافظوا على وحدة التأثير. ومن معالم ضعف هذه المسرحيات أعتمادها على السرد في مواطن كثيرة، وكثرة الوعظ والارشاد فيها، والحشو الذي ظهر في إقحام الأشعار في مناسبات كثيرة. وأدخلوا عنصر الحب مجارين العرف المسرحي والقصصي الذي يفرض على الكاتب المبتدئ أن يتعرف على الحقائق الرئيسية في حياة الأنسان وأن يقدم الحب على هذه جميعاً.

لأنه مخرج لطيف للمسرحية يستطيع الكاتب أن ينفذ منه الى أحيائها وتطويرها على خير الوجوه وأعلقها بالنفس الأنسانية. ولكن عنصر الحب لم يطغ في اية مسرحية من هذه المسرحيات على الألوان الغنية الاخرى. وبقيت عناصر التاريخ وحقائقه صامدة أمام هذه الحادثة بالرغم من عنايتهم بوصف الأرادات المتعاكسة والعواطف المتنافرة فيها، وأضفوا على الحوادث مسحة رومانتيكية بأدخال حادثة الحب ومايحيط بها من حوادث التنكر والدسائس والخطف وبما قيل فيها من الشعر العاطفي والبطولي، وكان سليمان صائغ أول رجل دين يقحم الحب في مسرحياته بعد أن ضرب الآباء المسيحيون حوله سوراً منيعاً في مسرحياتهم، فجعل الحب بين زليخا ويوسف يستغرق جزءاً ليس بالقليل من مسرحية (مشاهد الفضيلة) عام ١٩٣١. وأستعانوا بالشعر لصبغ المأساة بالصبغة البلاغية التي تلائم العصر وتتفق وروح المأساة، فمنهم من أستخدم شعر شعراء محدثين لأضفاء القوة الى المواقف في مسرحيته كما فعل عبد المجيد شوقي في مسرحية فتح عمورية ويحيي ق العبد الواحد في مسرحياته الثلاث حيث أستعانا بشعر فاضل الصيدلي في المواقف التي تحتاج قوة وتأثيراً على الجمهور كمواقف القتال والأنتصار والهزيمة والمواقف العاطفية. وقد أقتبس سليمان صائغ وحنا رحماني من دواني الشعر العربي وأدخلوه في مسرحياتها ونظم سليمان صائغ وعامر الدبوني بعض هذه الاشعار. وختم سليمان صائغ مسرحياته بنشيد اسماه نشيد الختام تنشده جوقة مستترة وهو من جملة مانظمة من شعر في مسرحياته كما أنهى فصوله بمثل هذا النشيد في مسرحيته (الزباء). ومنهم من أمتاز حواره بالخفة والتركيز وحسن التوزيع ومجانبة الاطالة والأستطراد في المونولوج كما فعل يحيي ق وسليمان صائغ ونديم الاطرقجي. ومنهم من لم يبذل كبير جهد في أختيار الفاظه وعباراته ولم يحاول المحافظة على الزي اللغوي للعصر التأريخي. وشاعت فيها الركة والأخطاء اللغوية. ومنهم من أستخدم العامية وسط الحوار الفصيح كما فعل سليمان صائغ في بعض الأحيان في مسرحيتيه مشاهد الفضيلة والزباء. ومنهم من أجرى على لسان شخصياته حواراً لايناسب الشخصية أو لايناسب الموقف كما فعل حنا رحماني وعامر الدبوني. وتتكلم الشخصيات أحياناً بلسان المؤلف كما فعلت الخنساء في مسرحية (متى استعبدتم الناس). وقد ترجم سليمان صائغ مسرحية هوراس لكورني ومثلت على مسارح الموصل وخاصة مسرح مدرسة الصفا عام ١٩٤٥، وطبعت مسرحية (المجزرة الأولى) للأب يوسف سعيد عام ١٩٥٧ وهي مسرحية تأريخية دينية تدور حول الصراع بين هابيل وقابيل وقد مثلت على المسارح المدرسية في الموصل.[٢٢]

لقد اكتسحت المسرحيات الأجتماعية ذات البناء الميلودرامي خشبات المسارح في العراق وكان من أبرز كتاب هذه المسرحيات (سليم بطي) المولود في الموصل عام ١٩١١ والذي بدأ التمثيل عام ١٩٢٧ عندما شارك فرقة جورج ابيض التي زارت العراق في مسرحية لويس الحادي عشر ثم اصبح عضواً في الفرقة التمثيلية الوطنية التي أسسها حقي الشبلي ومارس الكتابة للمسرح فقدم مسرحيته (تقريع الضمير) عام ١٩٣١ و (المساكين) عام ١٩٣٣ ومسرحية (الأقدار) عام ١٩٣٤ و (خدمة الشرف) عام ١٩٣٥ و (طعنة في القلب) عام ١٩٣٦.

وقد عاصر (نديم الاطرقجي) المولود في الموصل عام ١٩١٥. سليم بطي وشغف بالتمثيل المسرحي وقدم للمسرح عدة مسرحيات (العائلة المنكوبة) عام ١٩٣٢، (الثورة العربية) ١٩٣٥، (أفندي من جذب) ١٩٣٦، (الاعتراف) ١٩٣٨، (الحاجب المنصور) ١٩٣٧ و (وضاح اليمن) ١٩٣٧، والأخيرتان مسرحيتان شعريتان،



وقد مثلت مسرحيات نديم الاطرقجي وسليم بطي على مسارح بغداد بعد ان انتقلا للعمل في الفرق التمثيلية ببغداد وتوفيا هناك وهما في ريعان الشباب.

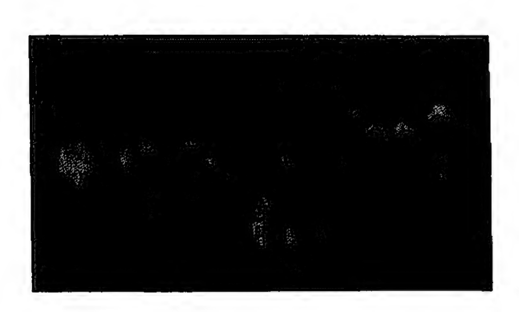
وتتضمن هذه المسرحيات نقداً لاذعاً للعادات الاجتماعية الفاسدة وتكشف ضحايا هذه العادات وتشير الى استمرار الصراع بين الحضارة الغربية الوافدة والحضارة العربية الاسلامية المتوارثة. هذا بالاضافة الى تأثرهم بالمسرحيات المصرية التي قدمتها الفرق العربية والعراقية منذ بداية الحكم الملكي في العراق. وجلها من النوع الاجتماعي الميلودرامي. والغرض من هذه المسرحيات الميلودرامية الكشف عن الامراض الاجتماعية وايجاد العلاج الناجع لها، وهم في سبيل هذا الالتزام الاخلاقي يضحّون بالمثل الفنية ولايلقون بالاً لشروط كتابة المسرحية، وقد قصدوا في كتاباتهم المسرحية تصوير الفساد الذي عمّ المجتمع العراقي وما كان للتقاليد البالية ولليد الأجنبية من اثر في خلق هذا الفساد فاقتنصت هذه المسرحيات جانب الشر والضعف الانساني فصورت النواحي المظلمة في الشخصية البشرية. ويلذ لهما ان يؤكدا على واقعية مسرحياتهما وانها حدثت فعلاً وأنهما انتزعاها من الحياة، ودفعهما تمسكهما الحرفي بالواقع الى تصوير البيئة العراقية تصويراً فوتغرافياً بنقل صور الحياة في المسرحية كما هي في الواقع. ويبدو انهما وقعا تحت تأثير الحركة الاجتماعية القوية التي شهدها الوطن العربي في اوائل القرن العشرين، فطغى الاتجاه الوعظي وجاءت اكثر المواقف المسرحية عبارة عن مقالات وعظية أو خطب اجتماعية تقطع السياق والحبكة المسرحية وتزيد اجزاءها تفككاً وانحلالاً، كما تنكرا لشخصياتها في سبيل تحقيق هذه الغاية الاجتماعية واهملا رسمها وعرضاها عرضاً خارجياً اكثر منه تحليلياً موضوعياً وذلك بحسب قربها من مزاجيهما وتمثيلها لنظرتيهما الاجتماعيتين، تركاها تمثل الدور الذي ارادها لها ولم يشعران بأنها تحيا على المسرح. وقد اثر كل من سليم بطي ونديم الاطرقجي في تبلور الاتجاه الاجتماعي الميلودرامي في المسرح العراقي حتى قيام ثورة ١٤ تموز.

وكتب الموصليون مسرحيات اجتماعية من نوع الملهاة، وهو النوع الذي يستخدم عادة في نقد العيوب والاخلاق الاجتماعية بواسطة اثارة الضحك والسخرية من العيوب الاجتماعية واهم هذه المسرحيات مسرحية (المعلم عبدالقدوس) ١٩٤٨ لعبدالغني الملاح وكتب ايضا مسرحيات تعليمية شعرية قصيرة اسماها (مجد الزهور) ١٩٤٩. ومسرحية (حمودي يتزوج) ١٩٤٨ لعبد المسيح بلايا. وهي تعالج مشكلة الزواج بين فردين من طبقتين مختلفتين بأسلوب يثير النقمة والشفقة والضحك معاً.

ضعفت الحركة المسرحية في الموصل بعد غلق دار التمثيل العربي في أواخر العشرينات، ولم تقدم غير مسرحيات قليلة في المدارس الموصلية)حتى تشكلت عام ١٩٣٧ (جمعية التهذيب التمثيلية) التي ترأسها سليم عبد العزيز داؤد السليم، وقدمت هذه الجمعية عدداً من المسرحيات المترجمة منها، (فران البندقية) و (زوال الحب والملك) لبيرون. وأنحلت هذه الجمعية عام ١٩٤٣ لأسباب سياسية، وتشكلت على أثرها عام ١٩٤٣ (جمعية اليقظة التمثيلية) التي تشكلت من (جميل رزو، سيف الدين شوكت، أنور حسن الأمام، عز الدين ذنون، عبد القادر الحلو، عباس الحلو) وغيرهم. وقدمت عدة مسرحيات منها (الفندق المسحور، الزباء، في سبيل التاج، هاملت) واعدت الجمعية مسرحية (حمدان) عن مسرحية الأستعباد ليوسف وهبي وأخرجها عز الدين ذنون. وأنحصر نشاط هذه الجمعية بين عامي ١٩٤٧ - ١٩٥١، وأنحلت جمعية اليقظة للتمثيل عام ١٩٥٤. وأنحصر النشاط المسرحى في المدارس

إذ قدم على مسرح المدرسة الاعدادية مسرحية (المروءةالمقنعة) سنة ١٩٥٠ والتي شارك في تمثيلها المدرسون والطلبة منهم هاشم سليم وذو النون الشهاب. وقدم على مسرح الأعدادية الشرقية مسرحيتا موليير (المثري النبيل) عام ١٩٥٥ و (البخيل) عام ١٩٥٧ وقدمت المدرسة القحطانية مسرحية (بدر الكبرى) لأحمد زيتون عام ١٩٥٢[٢٣] هذا على سبيل المثال لا الحصر.

حقاً، لقد شهدت الموصل منذ أواخر الخمسينات، حركة مسرحية نشيطة، سواء كان ذلك على صعيد الفرق المدرسية والجامعية ام على صعيد الفرق العاملة في المدينة. وقد كان لهذه



المشاركون في مسرحية المروءة المقنعة في المدرسة الاعدادية (لجنة احياء الفن ١٥ نيسان ١٩٥٠)

الحركة اثرها في تطوير مسرح الموصل وبرز من خلالها كتاب مسرحيون جيدون و دون شك، فان هذه الحركة بحاجة الى دراسات مستقلة لاحقة.

الهوامش

(١) للاستزادة ينظر/ عمر الطالب، ملامح المسرحية العربية الاسلامية، ص ١١٧-٢٢٤، دار آفاق الجديدة، المغرب، ١٩٨٧.

(٢) ينظر/ عمر الطالب، نشأة المسرحية العربية، مجلة آداب الرافدين، العدد الثاني ١٩٧١.

(٣) ينظر/ ملامح المسرحية العربية الاسلامية/ المصدر الآنف ذكره.

(٤) محمد يوسف نجم المسرحية في الأدب العربي الحديث، ص ١٩٥، بلا، بيروت، ١٩٦٠.

(٥) عبدالكريم العلاف، بغداد القديمة، ص ١٢٠، م. المعارف، بغداد، ١٩٦٠.

(٦) علي الزبيدي، المسرحية العربية في العراق، ص ٢٥-٢٩، معهد الدراسات العربية العليا، القاهرة، ١٩٦٧.

(٧) علي الزبيدي، المسرحية العربية في العراق، مجلة الاقلام، العدد ٩، ١٩٦٥.

(٨) ولد حنا حبش في قره قوش، ولم نعرف سنة ولادته، ودخل منذ طفولته في سلك رجال الدين، وتدرج فيه حتى أصبح قساً، وبقي يعمل في الموصل وضواحيها حتى توفي في ٢٨ نيسان عام ١٨٨٢ في زاخو حيث كان يعمل في كنيستها الكلدانية.
للاستزادة ينظر: عمر الطالب المسرحية العربية في العراق، حنا حبش رائد المسرحية في العراق، مجلة الفكر المسيحي، العدد ٢٥، ١٩٧٣.

(٩) ينظر: عبدالرزاق الهلالي، تأريخ التعليم في العراق، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد، ١٩٥٩ ص ١٧.

(١٠) محمد يوسف نجم، المسرحية في الأدب العربي الحديث، دار بيروت، بيروت، ١٩٥٦، ص١٦٥

(١١) المصدر نفسه، ص ١٦٥.

(١٢) ينظر: عمر الطالب، المسرحية العربية في العراق، م. النعمان، النجف ١٩٧١.

(١٣) ينظر عمر الطالب، ظلال فوق الخشبة، دار عكاظ، المغرب ١٩٨٧.

(١٤) للاستزادة ينظر: عمر الطالب، المسرحية العربية في العراق.

(١٥) د. عمر الطالب الرائد المنسي حنا رسام، مجلة بين النهرين، العدد ٣، ١٩٧٣.

(١٦) للأستزادة ينظر عمر الطالب سليمان غزالة والمسرح الشعري، مجلة بين النهرين العدد ٢٠، ١٩٧٨ وعمر الطالب سليمان غزالة وبدايات المسرح الشعري في العراق، مجلة فنون، العدد ١٦٠، ١٩٨١.

(١٧) للأستزادة ينظر عمر الطالب الرواية العربية في العراق م. النعمان، النجف، ١٩٧١، عمر الطالب، بدايات المسرحية في العراق، مجلة السينما والمسرح، القاهرة، ١٩٦٨، عمر الطالب، فن القصص عند سليمان فيضي الموصلي، مجلة الجامعة، العدد ٩، الموصل، ١٩٧٣.

(١٨) للأستزادة ينظر عبد المنعم الغلامي أسرار الكفاح الوطني في الموصل، م. شفيق، بغداد، ١٩٥٨ ص ص١٤٩-١٥٠.

(١٩) قال لي عبد المجيد شوقي في أثناء مقابلتي له عام ١٩٦٦: قمت بتأليف مسرحية فتح عمورية عام ١٩٢٠ وأعتمدت على تأريخ ابن الأثير ومعجم البلدان وأخبار الدول وآثار الأول وكتب أخرى وقمت برسم ستائر الديكور وجاء تمثيلها رائعاً متقناً وقد أعدنا تمثيلها أربع مرات.

(٢٠) قال لي المؤلف: أن القائد لم يكن غير المستعمر الأنكليزي، وأنه

كان رمزاً لعلوج ذلك العصر

(٢١) للأستزادة ينظر عبد المنعم الغلامي، اسرار الكفاح الوطني في الموصل، وكذلك، عمر الطالب: المسرحية التأريخية في الموصل، مجلة الجامعة العددان ١٣، ١٥ لعامي ١٩٧٣-١٩٧٤.

(٢٢) للاستزادة ينظر: المسرحية العربية في العراق؛ عمر الطالب، بدايات المسرحية العربية في العراق، مجلة المسرح، (القاهرة)، العدد ٤٤، ١٩٦٦؛ عمر الطالب، سليمان صائغ، اديبه الروائي والمسرحي، مجلة الجامعة العدد ٩، ١٩٧٥؛ عمر الطالب، المسرحية التاريخية في الموصل، مجلة الجامعة، الاعداد ١٣، ١٥ عام ١٩٧٣ و ٥ عام ١٩٧٤.

(٢٣) للأستزادة ينظر/ المسرحية العربية في العراق، وكذلك: عمر الطالب، (المسرحية الاجتماعية في العراق، عمر الطالب، مجلة المثقف العربي، العدد الأول، ١٩٧١ وكذلك: خضر جمعة حسن، (حصاد المسرح في نينوى، م. الجمهور، ١٩٧٢، الموصل ص ٣٤-٣٥.

الأمثال

سعد علي الجميل

تمهيد:

المَثَلُ: الشيءُ يُضربُ للشيء فيجْعَل مِثْلَه والمَثَلُ: الحديث نفسه واكثر ما جاء في القرآن الكريم نحوَ قوله - جَلَّ وعزَّ - «مثل الجنّةِ التي وُعِدَ المتَّقون».. فمثلها هو الخبر عنها وكذلك قوله تعالى: «ضُرِبَ مَثَلٌ فاستمِعوا له»، ثم أخْبَرَ: أن الذين تدعون من دون الله، فصار خبره عن ذلك مثلاً، ولم تكن هذه الكلمات ونحوها مثلاً ضُرِبَ لشيء آخر كقوله تعالى: «كمثل الحِمار يحمل أسفاراً»، و «كمثل الكلبِ».

والمثَلُ: شبه الشيء في المثال والقدر ونحوه حتى في المعنى ويقال: مالهذا مَثيلٌ. والمثالُ: ما جُعِلَ مقداراً لغيره، وجمعُه مُثُل، وثلاثة امثلة[١] وذهب الرازي في الصحاح: مِثْل كلمة تسوية يقال: هذا (مِثْلُه) و (مَثَلُه) كما يقال: شِبهُهُ وشَبَهُهُ. و (المثَلُ) ما يضرب به من (الامثال). و (مَثل الشيء صفته).[٢]

وجاء ذكر (المثل) في القرآن الكريم في تسع وستين موضعاً و (الامثال) في أحد عشر موضعاً.

والامثال: كلام موجز اللفظ واضح المعنىٰ، حسن التشبيه، لطيف الكناية، وهي خلاصة تجارب الأمم ومستودع خبراتها ومنار حكمتها وذكرياتها، ومرجع عاداتها ووقائعها وترجمان أحوالها ومصدر تراثها ومتنفس احزانها، تعكس واقعها الفكري والأجتماعي بصفاء ووضوح.[٣]

وهي من بعدُ: بلاغة ترسم الصورة المعبرة للحياة والسلوك والتقاليد ومنها نستخلص الحكم والتجارب والنزعات، وتستوضح الظواهر الاجتماعية للبيئة والعلاقات.. مكوناتها وانعكاساتها سلباً كانت أم ايجاباً، انها الفلسفة الشعبية المنطلقة عن افرازات التفكير الشعبي المعُبر عن واقع المجتمع. وبذلك تكون أحد مكونات وحدة التراث الداخلة في الأدب والفكر والفلسفة، لأنها نشأت وتطورت عبر احقاب طويلة لاتعرف بدايتها ضمن اطار المجتمع الانساني الطبقي التكوين والتفكير والتجارب حيث تعكس صور الحياة الأجتماعية التي واكبت كافة المتغيرات الأقتصادية والسياسية والأجتماعية التي مَرّ بها الانسان وهو يعيش في كيان شعبي واسع على الرغم من أنها قد جاءت من منطلق فردي.

الأمثال والشعر:

ومن المعلوم أن الشعر كان، وكما هو اليوم، انطلاقةٌ فردية تصدر من الشاعر الى المجموع الذي يسوده تذوق واحساس مُوحد؛ فالشاعر بنظرته

الفاحصة وقدرته الحسية يكشف بشعره عن الصورة التي تمثل المستقبل وذلك بادراكه العميق للمعاناة الحقيقية التي تصارع النفوس بالنوازع البشرية.. وهو بهذا كالمثل في ولادته، ودلالته الصادقة في توضيح آراء المجتمع وتجديد أعرافه وقيمه السلوكية، كما كان من المثل والأمثال ما هو موزون ومُقفىً أو مسجوع أو مشحون بالكناية والتورية.

فقد اعتمد بعض الشعراء طرح الأمثال المُرددة والشائعة من خلال تضمين وتلميع أشعارهم بها لتوكيد مضامينهم الفكرية المودعة في تلك الامثال ونلمح هذا، على سبيل المثال عند شعراء ما قبل الاسلام والشعراء الآخرين كالشافعي وابي تمام والبحتري والمتنبي ومن المعاصرين: الرصافي والزهاوي والكاظمي وغيرهم.

كما دخلت الامثال الأغاني الشعبية والأهازيج والموال.[٤] ولما كانت الأمثال مستخلصةً من العادات والتقاليد والقيم والنزعات والتجارب التي يحياها الناس فهي نتاج شعوري ولدته الحاجة الجماعية التي تتجلىٰ فيها أيضاً آثار الرواسب القديمة وتترجم علاقات الناس وتناقضات الاحداث التي مرت بها، وبذلك تحكي إنفعالات الأنسان اليومية بأزاء التجارب والأحداث والنزعات والأعراف والقيم الأخلاقية للمجتمع.

وليس من بدّ اتجاه تناسخ الاجيال وتطور مجتمعاتها في مسار الحضارة الانسانية أن تترك بعض العادات والتقاليد لتحل مكانها تقاليد وعادات اخرى مضافة أو منتزعة من عادات الجيل الجديد وفق تقاليده وعاداته المتطورة حيث تنطلق أمثال جديدة على وفق ذلك التطور. وتهمل حتى النسيان اخرى لأنها لاتلبي حاجة التوكيد لغياب مثيلها في مجتمع الجيل الجديد فيبدو الفارق الحضاري بين امثال الجيل الاول والجيل الجديد، والجيل الذي سيليه بالتتابع.[٥]

عناية معاجم الأمثال بالأمثال العامية:

لقد بدأ العرب القدامىٰ بتسجيل أمثالهم في بداية القرن الثاني للهجرة (الثامن للميلاد)، وكثر المعنيون بجمعها وتنسيقها وشرحها على مرّ الزمن، وكانت هذه المجموعات أمثالاً فصحىٰ روعيت فيها قواعد اللغة.. ومن يطلع على مدوناتهم يلمس دقة التقصي وعمق البحث. وربما كان هذا الاهتمام من منطلقات المحافظة على اللغة وقواعدها عندما اختلط العرب بغيرهم من الاقوام وظهرت (لغة المولدين) ثم (كلام العامة) الذي إبتعد عن قواعد اللغة الفصحىٰ فكانت امثال المولدين ثم امثال العوام التي لم يشجع العرب على العناية بها في حينه حذراً من نساء الذوق ايضاً.[٦] ويرغم ذلك فقد وردت امثال العوام في مجاميع عديدة[٧]. دلت على ان الأمثال تمثل تراثاً إضافياً لترجمة الحقائق التأريخية والأجتماعية والأدبية والقيم السائدة في بيئتهم ومجتمعاتهم يومئذ وطبيعة العلاقات الانسانية بأعتبارها عملة يومية تعبر عن موقف في زمن محدد.

هذا وقد اتبع المعنيون بجمع الأمثال (الفصحىٰ والعامية) في تبويبها بالشكل التقليدي المعجمي «الف باء»، فكانت المعاجم اللغوية التي أمست أغلب مفرداتها اليوم (حوشية) غير معتمدة في الأسلوب والحس الذوقي السائد عدا ما تقتضيه الضرورة عند الكتابة والبحث في الأدب القديم والوقائع التأريخية الثابتة.. وكان نصيبها أن تنضد مع المعاجم مادةً، لغة موروثة حسب خالية من الدلالات التحليلية التي تكشف عن الاعراف والقيم والمواقف الاجتماعية التي تعكس واقع الصراعات في مسارات التطور الحضاري للمجتمع الذي انطلقت عنه تلك الأمثال بمجاميعها العامية منها والمقارنة من دون الأشارة أو الأخذ بعامل الزمن او التسلسل التأريخي الذي يساعد الباحث من خلاله على معرفة العصر الذي نشأت فيه والبيئة



والمجتمع الذي ولدت فيه أيضاً.

مجاميع امثال الموصل الشعبية وأصحابها:

انها كغيرها من المجاميع التي اعتمدت اللهجة في تشخيصها فكانت البغدادية والبصرية ومنها الموصلية التي تحمل بوجه عام معالم البيئة والعادات والقيم والتقاليد وتتقارب في مضامينها ومعانيها إلاّ في لهجتها التي ميزتها. وجميعها تتجاوز قواعد الفصحىٰ والأعراب والضبط. واعتمدت الجهد الفردي بدافع الهواية لا التخصص، وكانت واحدة في تبويبها. العجمي التقليدي أُسوة بمعاجم الامثال الفصيحة، خالية من الدراسات التحليلية وهي:

جميل شوريز ومجموعة امثال الموصل:

وكان قد تصدى في مستهل هذا القرن جماعة من الأدباء لجمع الامثال العامية الموصلية فلم يوفقوا، عدا «مجموعة» صغيرة الحجم ألفها جميل شوريز وطبعها في بغداد سنة ١٩٣٧ فقد حوت ما ينوف على مائة والف من الأمثال، مجردة من غير شرح أو تعليق مَزَجَ فيها بين الامثال الفصحىٰ والعامية غير أنه إبتعد عن الأصل الذي تصدى له، فهاجم العامية وأراد صهرها في الفصحىٰ فضاع عليه القصد، ومع ذلك كان له في هذا فضل السبق.

لقد إستهل شوريز (مجموعة امثال الموصل) المنسقة حسب الأبجدية بالأهداء الى (الشاب العصري) قائلاً: أقدم كتيبي هذا راجياً منه أن يهتم به اهتمام ما يقتضيه منه المثل القائل: «علقها شَعرة بشاربك».

وجاء في مقدمة المجموعة . ولما أصبح الزمن بتفننه وتجدده يكر الحملة على العادات والتقاليد، ونحن على بعد من بلدتنا العزيزة خشينا أن نفقد نحن ابناء الموصل «امثالنا» وحكمنا فاسرعنا الى جمعها وتدوينها. معتقدين اننا نقوم بخدمة ولو صغيرة الى ابناء جلدتنا. ولذلك نؤمل منهم ان يقبلوها منا بفرح.

وبعد مغادرته العراق الى اميركا أعاد طبع مجموعته ثانية سنة ١٩٧٧ وحمل غلافها إسمه القس الدكتور الفونس جميل شوريز، طبعت في مطبعة جريدة (الأصلاح) في نيوريوك وقدم لها قائلاً: يوم رأيتني في بغداد بعيداً عن مدينة الموصل مسقط رأسي شعرت بمرارة في حلقي لم اتمكن من التغلب عليها الا بمضغ «حبوب حِكم» الموصل الحدباء فكانت مراجعي الوحيدة امي وابي واخوتي وجيران بيتي ورفاق مدرستي والشوارع وبكلمة كل المجتمع الموصلي فجاء هذا الشهيق وهذا الزفير متجسماً في ما أسميته «أمثال الموصل» غير عالم انني أقوم بخدمة وطنية اذ ابقي – منها ولها – أرثاً لجيل يعقبني واليوم – وانا بعيد ليس عن الموصل وبغداد بل عن العراق كله – أراني أزداد حنيناً وشوقاً الى بلادي، ولهذا اجيُ بطبعة ثانية لتلك الامثال ذاتها راجياً قبولها مني ذكرى صادقة لوطن أحببته قرباً وبعداً.

وذُيّلت هذه المقدمة بكلمة (المؤلف) في نيويورك وبتأريخ ٦ كانون الثاني ١٩٧٩ وقد وقعت المجموعة بـ (٨٩) صفحة، قياس ١٥ × ١١ سم، تضمنت (١١٣٨) مثلاً بترتيب معجمي وكان من بينها الكثير من الأمثال الفصيحة والحكم كما جاءت الامثال العامية خالية من الحس والذوق الشعبي الا القليل منها التي دونت كما هي متداولة ومرددة في التعامل اليومي بغية أن يصهر العامية بالفصحىٰ هذا ما يتعارض والأمانة العلمية التي تلزم بالمحافظة على النص وتدوينه كما هو متداول دون أي صقل او تغيير فيه بإجتهاد شخصي يلغي كونه نتاجاً جماعياً كان قد أقره وأرتضاه بحسه وذوقه، وتحمل مخاض ولادته جيل هو غير هذا الجيل وفي مجتمع غير هذا المجتمع.

فالمتداول: كلْ شي لوّا تالي حتى الطحين لوّا

انخالي/كبّ الشغّبي على ثمّا تطلعَ البِنتْ على إمّا أُورده على الصفحة ٦٦ : كل شيء له تالي حتى الدقيق له نخالي/كب الشربة على فمها تطلع البنت على أمها وكذلك :

ثِم يسَبح وايد تذبح وتقبّح/ خذا الفال من ثِم لطفال فم يسبح ويد تذبح وتنبح/ خذ المال من فم الاطفال الغوزني اليجيك منّا ريح سدًا وأستريح أورده على الصفحة ٢٤ : الروزنة اليجيك منها الهواء ، اشلح حواسك وسدها.

وجميل شوريز من مواليد ١٨٩٧ ولد في سعرد ودرس في الموصل واكمل الابتدائية فيها سنة ١٩٠٨ ثم التحق بالمعهد الكهنوتي ورسم كاهناً وسافر الى باريس حيث التحق بمعهد سان سولفين للدراسة الفلسفية وبعد إنهاء دراسته اللاهوتية الفلسفية عاد الى الموصل بداية ١٩١٩م وعمل في مجالي الكهنوت والموسيقىٰ ، كان احد دعاة التجديد في كل شيء.. ترك الكهنوت وتزوج من سيدة اجنبية تعمل في احدى الارساليات التبشيرية البروتستانتية ثم سافر معها الى سوريا فتركيا حتى استقر في نيويورك وانشأ مطبعة وجريدة الاصلاح التي كانت تصدر بين آونة واخرى وفق ما تسمح له ظروفه المالية وفي المناسبات. وتميزت صحيفته بخدمة الجالية العراقية في نيويورك وغيرها من المدن الامريكية وهو اديب متمكن كان يعلم اللغات الفرنسية واليونانية والعربية والسريانية.. حقيقي الانتماء الى تربة وطنه الذي زاره مرات عدة توفي سنة ١٩٩١ .[٨]

عبدالخالق خليل الدباغ ومعجم امثال الموصل العامية :

وفي سنة ١٩٥٦ أصدر عبدالخالق خليل الدباغ الهذلي «معجم أمثال الموصل العامية» بجزئين عن مطبعة الهدف في الموصل وكان الناشر لها عبدالرحمن الكركجي صاحب المكتبة العربية في الموصل وهي أقدم وأوسع مكتبة فيها تأسست سنة ١٩٢٥.



عبد الخالق خليل الدباغ

يقع المعجم في ست وستمائة صفحة ، مستدركة بملحق يقع في مائة صفحة ومما جاء في مقدمتها «وصلتني بعض الأمثال الموصلية العامية وقد قطعنا شوطاً في طبع الكتاب ، فما وسعني إلاّ أن أجعلها ملحقة به وقد رتبتها على حسب المعجم أيضاً. واني لاتوقع أن اجد امثالاً اخرى قد فاتتني ، لأن الأحاطة بها كلها غير ممكن ولا متيسر وسأحتفظ بها واسجلها في طبعة اخرى».

وفي بداية الجزء الاول من الكتاب وضع جدولاً بما تضمنه من تقديم للدكتور داود الچلبي ثم ما كتبه محمود الملاح «نظرة عابرة في الامثال السائرة والكنايات» ، وبعدها مقدمة للناشر. ومما جاء في تقديم الدكتور داود الچلبي قوله : بعد أن عرّف المثل «ان لكل قوم وقطر وبلدة امثالها... وقد قام عندنا قبل سنوات أحد ابناء الموصل بجمع شيء من امثالنا ، [يريد بذلك مجموعة أمثال الموصل لجميل شوريز] لكنه كان جمعاً مقتضباً وبلا شرح...» ثم يعود ليثمن الجهد الذي بذل في المعجم الذي استغرق سنين عدة كان ترتيبه معجمياً فسرت فيه كل مفردة غريبة جاءت في المثل اوكانت نتيجة حادثة ، والقصد منها أو أنها وردت في القرآن الكريم او الحديث الشريف او في الاشعار المشهورة والحكم المأثورة او الامثال القديمة.

كما أشار الى أنه قلما

يقتبس قطر او بلدة امثالها من بلدة او قطر آخر.. وبذلك لايتفق مع محمود الملاح الذي قال في نظرته العابرة في الأمثال السائرة والكنايات... منها ما يكون مشتركاً بين عدة بلاد ومنها ما هو سائر لايصده صاد كالامثال الفصيحة بين المثقفين في اللغة الفصحىٰ المنتشرة في العالم مجاوزة حدود الاقطار العربية.

وهنا لابد من الأشارة الى أن محمود الملاح يرى وجوب التساهل في مسألة إملاء اللهجة الموصلية في كتابة أمثالها لأن إملاء العامية لايشبه إملاء الفصحى لما بينهما من التباين، ولأن الأملاء الصوتي يُضيع أصل الحرف، فهو بذلك يقصر في أعطاء المعنى. ويتساءل عن الحروف والأشارات التي تني بالمرام وعن كيفية معالجة الأمالة وهي غير قياسية واذا وقعت في الألف مثل (على نيس ونـيـس) = (عـلى نـاس ونـاس) والـواو مـثـل: (عوقو نجس) أي (عرقه) وهو تصرف غريب. ومثل: (مثل كلب الغجلو محغوقه) = (الكلب الذي رجله محروقة) وهكذا في الراء المقلوبة الى غين وهي غير قياسية أيضاً. وكذلك عن تاء التأنيث المقلوبة ياء مثل: (البزوني والشحمايي) والضمير الذي تقلبه اللهجة واواً مثل: (مايسوى لو فلس) وفي المؤنث (مايسوى لافلس) بواو وألف غير مقروءين بل كتبا للدلالة على الحركة. واسكان أوائل الكلمات مثل: (أمحمد تعال) وهذه تحتاج الى النطق بهمزة وصل تثبت في الأبتداء وتسقط في الدرج، وأبتلاع لام التعريف لألف تأتي بعدها مثل: (غوح فهّم لغا) أصلها (الأغا) نقلت حركة الهمزة الى اللام الساكنة فسقطت الألفان المكتنفتان للام وهو مما ورد في القراءات السبع. ومنه (مثل لوادم) أصلها (الأوادم) جمع آدمي كنايةً عن الاجادة و (يَلبعَيد) وأصلها (ياالابعد) كناية عن (المحاشاة).

ويفيدنا الناشر عبد الرحمن الكركجي بكلمته أن الأفعال ركن مهم من أركان الأدب، يقف القارئ فيها على مختلف نواحي الثقافة والحضارة وعادات القوم وأخلاقهم لايستغني عنها كل متابع ثم يثني على جهد المؤلف ويبارك عمله.

وقبل الفصل التمهيدي الذي كتبه المؤلف أهدى كتابه الى أبيه ثم استفتح بقوله تعالى: «أن الله لايستحي أن يضرب مثلاً ما، بعوضة فما فوقها». وبحديث للرسول الأعظم محمد المثل الأمثل والرسول الأكمل صلى الله تعالى عليه وسلم: (مثل الجليس الصالح مثل العطار أن لم يعطك من عطره أصابك من ريحه).

وبين ما للأمثال من الأثر العميق في تربية الناس على الأحساس والشعور الرقيق وأسلوب الحياة وطرق التعامل وماتكلف به من جهد في أستقصاء الأمثال التي تضمنها كتابه هذا ومطابقتها بما تيسر له من أمثال العرب وحكمهم وأقوالهم من نظم ونثر ومن آي من الذكر الحكيم أو حديث شريف. وذهب الى أن المثل إما أن يكون حقيقياً وهو المحكي عن أصل معروف ينقل عنه.. أو يكون فرضياً وهو الذي يمثل على السنة الحيوانات والجمادات والنباتات كما أستعرض ما قاله الأدباء والبلغاء والمهتمون ومن الفوا فيها المجاميع والمعاجم.

ونبّه المؤلف على أختلاف الأمثال بأختلاف أخلاق الشعوب وعاداتها وأمزجتها وفلسفة الحياة فيها وضرب لنا مثلاً على ذلك الترك واليابان والروس والأنكليز والفرنسيين والألمان والبلغار. وخلص الى أن أمثال الموصل العامية من الأدب اليومي المتداول وقد نجد فيها من المفردات الأعجمية التي دخلتها بعاملي المجاورة أو المهاجرة أو الغزوات أو الفتوحات وأنتهى الى أن خصائص اللهجة العامية الموصلية كثيرة منها:

١- الأمالة، عقبي، الأصل عقرب: مثل العقبي تلدغ وتجغ غاسا.

٢- دخول (ال): الذي: اليعمل مليح يلتقي



قبيح وهذا يشبه دخول (ال) على أسم الفاعل في الفصيح : كالقاتل وأسم المفعول : كالمقتول .

٣- صيغة فاعول مثل : شاغول وحاصود وسارود .

٤- ابويا ، أخويا عوض أبي وأخي هي اثر من لغة بلادنا القديمة خاص باللغة الأكدية .

٥- التصغير المختلف عما في الفصحى : عبد القادر= قدو، مصطفى= صفو، جرجيس=ججو.

٦- الأبدال كما هو في الفصيح، فمن المضعف يقولون : (حكيت غاسي ، شميت ريحه طيبه) من حككت وشممت . ومثل (وُجو مايتنقع) أي وجهه لاينتقع . وعلى السماع يقال : (جرية) بدلاً من (قرية) ، وصام بدلاً من سام ، وفخد بدلاً من فخذ وبسمار بدلاً من مسمار. . الخ .

٧- القلب مثل الفصيح فيقال (فشاحة بدلاً من فحاشة) و (مهغم بدلاً من مرهم) و (معلقة بدلاً من ملعقة) و (دحق بدلاً من حدق) و (هص بدلاً من صه) الى غيرها من الألفاظ الكثيرة ، كما أن المواصلة في الأغلب يقلبون الهمزة ياء اذا كانت في الوسط فيقولون : (بدايي وقرايي) بدلاً من (بداءة وقراءة) أو يحذفونها أن كانت في الأخير فيقولون : (قرا وبدا) بدلاً من قرأ وبدأ .

٨- وفي لهجة الموصل أتباع كما في الفصحى للأشباع والتوكيد وهي أن تتبع الكلمة كلمة على وزنها ورويها كقولهم : شكر مكر، خبز مبز، حاصود ماصود صاموط لاموط ، عبد جبد دون التقيد أن كانت المفردة التي أتبعت تدل على معنى أو بدونه .

٩- وكما هو موجود في الفصيح «القلب في القصة» مثل (أُدخلت الخاتم في إصبعي) وأنما هو أدخال الأصبع في الخاتم ، كذلك في العامية يقولون : (عصي البيغ بالدلو) وأنما الدلو يعصى في البئر.

١٠- هناك أمالة واضحة في لهجة بعض أحياء الموصل حيث يقلبون الألف الى ياء (واحد=ويحد)و(واقف=ويقف)و (قاعد=قيعد) (ويحد يعمل واللاخ يبتلي) =(واحد يفعل والآخر يبتلي) من البلوى .

١١- ومن خلال بحثه في هذا المجال تبين له أن في لهجة الموصل الكثير من مفردات لهجات القبائل التي كانت قد نزلت الموصل .

١٢- وهناك أفراد الكلمة بالألف والياء الظاهرة الكسرة فيقولون : تمغايي وعجوايي بدل تمرة وعجوة .

وتعود الى ماأورده محمود الملاح في وجوب التساهل في مسألة الأملاء حسب بل في أمر تفسير الأمثال ؛ لأننا نجهل كثيراً من أصول الأمثال ودواعيها ومناسباتها وأن كنا نستعملها في مواضعها المناسبة بالفطرة ولكنا نعجز عن تشريحها كما كان أسلافنا يفعلون بالأمثال الفصيحة . . وليكن عمل المؤلف الشاق الشوط الأول ككل شيء مبتكر، بعد أن كان قد أستكثر عليه جمع الأمثال بالنسبة الى سنة ونوع تحصيله وعلى الرغم من بذله مجهوداً في أقتناص الأمثال ومهما كان ذلك الجهد فأنه لايوفي الموضوع حقّهُ ويوم صدر المعجم كان المؤلف عبد الخالق خليل الدباغ قد بلغ الثامنة والأربعين من عمره حيث ولد في الموصل سنة ١٩٠٨ وأنهى دراسته الأبتدائية في مدرسة الوطن (الخضرية) سنة ١٩٢٥ وتخرج في دار المعلمين في بغداد سنة ١٩٢٩ وكان أول تعيينه في أبتدائية سنجار بقي فيها سنتين ثم أنتقل بعدها الى المدرسة القحطانية في الموصل ١٩٣١ ومنها الى مدرسة باب البيض الأبتدائية ومنها نفي الى حمام العليل ليقضي فيها سنتين أثر ثورة ١٩٤١ بعدها أنتدب للعمل مدرساً



في متوسطة المثنى. وفي سنة ١٩٦٥ أنتدب للعمل في الحجاز وبقي سنة واحدة.. ورحل عن الدنيا عام ١٩٦٧.[٩]

لقد شرع الدباغ في أستقصاء الأمثال وتسجيلها منذ كان شاباً.. وكثيراً ما كان يجلس في المقاهي الشعبية التي يؤمها ارباب الحرف والأصناف. ليستمع أو يلتقط مثلاً يهرع الى تسجيله.. وقد تضمن كتابه (المعجم) (٢٩٠١) مثلا بضمنها (٤٧٢) مثلاً أحتواها الملحق وبذلك يكون هذا المعجم من أوسع وأكبر المعاجم التي صدرت للأمثال العامية الموصلية لحد الآن. وجاءت الأمثال مشكلة بحركات بارزة وكثيراً ماربط بين المثل العامي والفصيح اللفظ وفسره وأوضح الغرض منه إلاّ أنه لم يعتمد التسلسل الزمني للمثل وذلك من الصعوبة بمكان لعدم وجود المصادر فضلاً عن عامل التناسخ في العادات والوضع الأجتماعي والأقتصادي والسياسي وغيره التي ينطلق عنها المثل. أي لم يعتمد مبدأ النشوء والتطور الزمني، كما أستبعد بعض الكتابات والمفردات من الأدب المكشوف واستعاض عنها بنقط ذاكراً أحرف بداية المفردة للتعرف على معناها والتي لايعرفها إلا المواصلة.

أما في الملحق فقد أورد مثلاً واحداً في حرف الكاف الناشيء عن محاصرة نادرشاه للموصل. سنة ١٧٤٣م ولزيادة كره أهل الموصل للغزاة وقذائف مدافعهم من القنابر التي رموا بها الموصل نشأ المثل: كنيكي قنبرة طهماز=كأنك قنبرة طهماسب وطهماسب هو نادرشاه ويضرب المثل لدميمة الخلقة التي لايرتاح اليها كما كانت المدينة يوم الحصار وماخلفته الحملة من دمار للأسوار والقلاع والأبراج ودور السكن حيث عاشت زمناً صعباً ومعاناة شديدة الوطأة فشوهت منظر المدينة وجعلته دميماً لايجلب المسرة لناظره كالوجه الذي شبه به المثل فضلاً عن ثقل القنابر التي كانت ترمى بها البلدة والتي أدركنا بعضها التي لم تتفجر في حنيه حتى نهاية الثلاثينيات.

محمد رؤوف الغلامي والمُردد من الأمثال العامية الموصلية:

وفي سنة ١٩٦٤ صدر كتاب المردد من الأمثال العامية الموصلية، التي جمعها وبيّن مقاصدها محمد رؤوف الغلامي الذي ساعدت وزارة التربية على نشره وطبع على مطبعة شفيق في بغداد وكان قد عني بطبعه ونشره مؤيد الغلامي أكبر أنجاله فقدمه بمقدمة تصدرت الكتاب أشار فيها الى أن الأمثال التي تضمنها الكتاب مازالت حاضرةً تردد على السنة المواصلة. أن والده كان قد بدأ بجمعها منذ أكثر من عشرين سنة ثم بوبها وبين أغراضها وحفظها في خزانة مخطوطاته. وكان أن أطلع عليها بعض المعنيين والحوا على وجوب طبعها ونشرها وفي مقدمتهم الشيخ جلال الحنفي الذي اشار اليها في مقدمة كتابه (الأمثال البغدادية) الذي أصدره سنة ١٩٦٢. مشيراً الى أن هذا الكتاب كان بالأمكان أن يكون أكبر حجماً وبأجزاء متعددة لو أعتمدت طريقة التوليف بالرجوع الى المصادر في تفسير المقاصد لكن مؤلفه حرص على أن يكون أنتاجه هذا خالصاً لما حفظته الذاكرة مما يتردد على السامع وتنطق به الأفواه في أحياء مدينة الموصل وبلهجتها العامية المحذلقة. وكان جهده الحفاظ على واقعه الذي قيل فيه وتلفظ به دون أي تغيير يُخرجه عن طابعه المحلي الخاص. كما أشار الى نمطه الخاص في التنسيق والتبويب مستهدفاً الأيضاح المُوجز قدر المستطاع في توريد المقاصد، وشّرح ماغمض من المعاني.

ثم تطرق الى مايميز اللهجة العامية الموصلية باعتبارها غير قياسية متمثلاً ببعض الشواهد كما فعل صاحب معجم أمثال الموصل العامية عبد الخالق خليل الدباغ الهذلي:

١ - فيما يتعلق بقلب (الراء الى غين)



رماد=غماد. حجر=حجغ ولا ينطبق ذلك على اسماء الله الحسنى (جل وعز) ولا على انبياء ورسل الله (عليهم الصلاة والسلام) وبقاء الراء كما هي أيضاً في مفردات أخرى مثل: بقرا، يرجع، نور، يعبر، يشكر.. ومن الراء مايقلب الى واو مثل عُوق من عرق وخوقه من خرقة.

٢- قلب (تاء) المؤنث الى (ياء) فاطمة= فاطمي، دابة= دابي، سنه=سني. وفي مفردات أخرى يكتفي بقلب (الراء الى غين) والابقاء على (التاء) مثل بقغة= بقرة، قصيغة=قصيرة. وفي جميلة ومليحة وفصيحة تبقى من غير ابدال لا في (الراء ولا في (الياء).

٣- إبدال الذال بالضاد مثل: يضوقو=يذوقه، يضغ=يذر ولاتستبدل في يذبح ويذم ويذوب.

٤- وفى الإمالة قلب الالف الى ياء مثل: كتيب: كتاب، جميل=جمال ومنها لاتستبدل مثل: قلام، عظام.

٥- قلب السين الى صاد مثل: حصغة= حسرة، قوص= قوس، ناقوص=ناقوس ولاتقلب في: نفس، جاموس، ناموس كما تقلب احياناً الصاد الى سين في: يسفق=يصفق.

٦- وقلب (ها الضمير للغائبة) الى (الالف) و (ها الضمير الغائب) الى (واو) فكاد ان يكون قاعدة مطردة على مافي بعضها من تحوير مثل: إلسينا بدلا من لسانها وقلمو بدلا من قلمهُ وفي (معه) يقولون (معانو).

٧- الامالة في لفظ الواو والياء اذا جاءتا ساكنتين وماقبلها مفتوح مثل: عون وحول وقول ولون. وعند ضم ماقبل الواو وكسر ماقبل الياء تلفظان كما هما مثل: طول وعجول وإيقول وقوم (من القيام) وفي الياء نقول: غَفيغ (رفيع) وسمين وغبيع (ربيع) وحشيش وطويل وقصيغ (قصير) بيد ان على ذلك شذوذاً أيضاً مثل: غوح وسوق وايبوق (يسرق) قبل الواو مضموم وتقرأ بالامالة وضو وعوجي (ضوء وعوجة) قبل الواو مفتوح وتقرأ بدون امالة. والياء تقرأ بدون امالة وماقبلها مفتوح مثل: جيني ونيمي وقيمي واصلها (جائفة ونائمة وقائمة).

٨- الهمزة تدخل على الفعل المضارع مثل: (ايغيد وايغوح وانقول وانحط وانشيل وكلها اولها متحرك. ولاتدخل على الأفعال المضارعة التي اولها ساكن مثل يكتب ويأخذ ويعطي ونقبل وندفع وندرس ونقرأ وغيرها. وندخل على الاسماء مثل: السين (لسان) واجميل (جمال) واحصان واكثيغين (كثيرين) وغيرها ولاتدخل على الاسماء التي اولها حركة مثل: تفاح وباب وقفل وحجل وغيرها.

٩- وتدخل الهمزة على الاسماء المجرورة بحرف الباء مثل: ابجيبو واذا كانت الاسماء المجردة لم تدخل عليها الهمزة. اما اذا دخلت فتحذف عند جرها بالباء مثل: بعيونو، بحصانو، بسنانو، وغيرها. ويجوز احياناً ان تظهر الهمزة المضافة في اول الكلمة اذا كان فيها همزة اصلية وعندئذ تدخل عليها همزة اخرى مع ياء الجر مثل: بيدو، ابايدو، بعيونو، باعيونو، بجزيمو، وباحزيمو، وبغاسو، ابغاسو.

١٠- اما المفردات الشاذة عن كل ماتقدم والتي يصعب ربطها بقاعدة او مقياس فكثيرة الى حد لايمكن فيه احصاؤها.. فتظهر بعض الحروف الاصلية.. كأخوني وابوني في اخي وابي. واداة الجر (على) تدخل على الاسماء كاملة مثل: على كيفك وعلى حظك وعلى جسمو وقد تحذف الالف المقصورة واللام



منها وتتصل بالكلمة مباشرة اذا كانت معرفة بأل مع حذف الف التعريف ايضاً مثل : علبيت (على البيت) وعلحخامي (على الحرامي) وعلجسغ (على الجسر)... الخ .

ثم يشير الى ان في الامثال العامية الدارجة الفاظاً نابية او طابعاً متبذلاً رأى بعض المؤلفين وجوب إدرجها في مواضيعها باعتبارها من التراث الحي مهما سادت عباراتها او تبذلت !

لذلك فقد تحاشى المؤلف ادراج تلك الامثال وان كانت تعد بالمئات الا بعضها التي لاتتجاوز الثلاثة والاربعة التي وردت على صفحات ذلك الكتاب ويضيف: ومع انها ليست ممجوجة او مبتذلة بدرجة غير مقبولة.. فان مقاصدها لاتمت الى الفاظها بصلة ! !

ويصف المؤلف الامثال العامية في الموصل بأنها اكثر من الكثير يتداولها أهل البلدة رجالاً ونساء ويتمثلون بها في الكثير من المناسبات ، ويذكر ان لكل حي من أحياء المدينة أمثالاً خاصة به حسب لهجة ساكنيه وأحوالهم وعاداتهم . كما اقتبس المواصلة أمثالاً من غير لغتهم أيضاً ويضيف الى أن مجموعته التي اصدرها في كتابه الذي أسماه المردد من الامثال العامية الموصلية. قد حوت الانواع الثلاثة من الامثال : من التعريض ، والكناية ، والتشبيه... واعتبرت كلها (حسب العرف) امثالاً وسميت بها دون تمايز او تفريق كما احتوت من الامثال الفصحى والامثال غير العربية كالتركية والاعجمية لم يشأ ان يباعدها عن المجموعة لكثرة استعمالها وترديدها ، وحيث إن المحادثات لاتخلو عن ضرب الامثال التي إمّا ان تأتي عفوية دون ان يشعر المتكلم انه يورد في حديثه مثلاً ، أو تأتي به المناسبة او الفكاهة أو التندر الأمر الذي يصعب معه استقصاء كل مايتردد على السنة اهل البلد من الامثال. وهكذا تبقى الامثال العامية الموصلية كغيرها طريدة الحصر والاحصاء.

يقع الكتاب باربع وثمانين ومائة صفحة وحوى الكتاب (٢٣٤٧) مثلاً وجاءت فهرست الكتاب تختلف عن فهرس معجم الامثال حيث ذكر الامثال المبدوءة بالهمزة وبعدها الهمزة الداخلة عليها «أل» المعرفة ثم الهمزة الداخلة على الباء حتى الهمزة الداخلة على الياء ، ثم حرف الباء ، والباء الداخلة عليها «أل» المعرفة ثم حرف التاء وهكذا حتى حرف (الميم) حيث اورد امثالها ثم اتبعها بالامثال التي اولها (ما) ثم (من) ثم (مِن) والتشبيه بكلمة (مثل) اما في حرف الياء فبعد ان اورد الباء الداخلة عليها «أل» المعرفة اورد «أل» الداخلة على المضارع موصولة بمعنى الذي ، ثم «يا» كأداة تعجب يليها «يا» كأداة للتخيير بمعنى «اما» ثم «يا» كأداة للنداء.

كما تميزت المجموعة بورود امثال لم ترد في المجموعتين السابقتين ويفسر بسعة اطلاع المؤلف الذي ادرك مالم يدركه كل من شوريز والدباغ .[١٠]

ومن الجدير ان نذكر في محاولة كل من الدباغ والغلامي بيان ماتميزت به لهجة اهل الموصل وما اختصت به وذلك ليتسنى لقراء الامثال من غير المواصلة التعرف على ان هذه اللهجة ليست قياسية ولاتنطبق عليها قواعد معينة في ابدال بعض الاحرف بغيرها عن أصلها الموضوعة فيه كما هو واقع في بلاد العرب وسواها من الامصار. وفيها من القلب والابدال والاعلال والتغيير الذي يحصل بتأثير مخارج الحروف او تجاورها فضلاً عن بعض المفردات الفصيحة التي لاكتها الالسن فتغير لفظها ولكنها بقيت واضحة في صورها ومدلولاتها عند الناس وقد ورد في الصفحة الثامنة من الجزء الاول من كتاب معجم امثال الموصل للدباغ قوله :

الذي يلاحظ في اللغة العامية الموصلية : انها ترد على انها من خصائص لغة اهل الموصل. والصحيح ان يقال اللهجة الموصلية لان اللهجة كما جاءت في معجم لسان العرب لابن منظور وغيرها

من المعاجم كتاج العروس في شرح القاموس للزبيدي والقاموس المحيط للفيروز أبادي هي طرف اللسان وجرس الكلام. ويقال فلان فصيح اللهجة، واللهجة : وهي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها. اما كلمة اللغة : فتعني اللغة العربية الفصحى بلفظ حروفها وقواعدها واشتقاقاتها. كما ورد ذلك في عنوان كتاب داود الجلبي الذي اشار اليه مصدراً لبحثه (الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية) وترددت كثيراً بين سطور الفصل التمهيدي.(١١)

ان المجموعات الثلاث جاءت نتيجة جهد جمع ميداني دون شك استغرق فترات طويلة وذهب الدباغ الى تقصي مصادرها واصولها وظروفها من كبار السن من الناس واعتمد أيضاً على المصادر العربية القديمة. كما بين الغلامي مقاصد أمثاله بشرح مقتضب لايخلو من فائدة.. فكان لهذين المعجمين قيمة علمية كبيرة. ولايفوتنا ان نذكر ان الاب انستاس ماري الكرملي (١٨٦٦-١٩٤٧م) ألف كتاباً في الامثال الشعبية اسماه (امثال بغداد والموصل العامية النصرانية مع حكايات عامية ايضاً) وقد حافظ الكرملي كما اورد في المقدمة على لهجة الامثال دون تبديل واشار أيضاً في المقدمة الى انه بدأ بجمع امثال كتابه وقصصها منذ سنة ١٨٩٥ وانتهى منها سنة ١٩٣٢ وهو مرتب على حروف المعجم ولازال مخطوطاً وهو محفوظ في مكتبة المتحف العراقي ببغداد(١٢).

كما جمع سليمان فيضي الموصلي (١٨٨٥-١٩٥١م) أمثالاً بلهجة الموصل وضمنها كتاباً اسماه الف كلمة وكلمة في المواعظ والامثال والحكمة طبعه في البصرة سنة ١٩١٨.(١٣)

ولكوركيس عواد معجم أسماه (امثال الموصل العامية) لم ينشر لحد الان.(١٤)

ونتبين من المجموعات التي صدرت ان الاهتمام اقتصر على الجمع حسب، دون اية دراسات تحليلية. ويبدو ان المثل الشعبي دون اهتمام الدارسين لألوان المأثورات الشعبية الاخرى كالحكاية والاغنية مثلاً حيث نجد وفرة كبيرة فيها. أما الأمثال الشعبية فلم تلق اي اهتمام دراسي علمي تحليلي لكي تكشف القيم والمواقف الاجتماعية التي ترسمها الامثال الشعبية الموصلية... ودون شك انها كالامثال البغدادية والبصرية ومثلها في الوطن العربي الكبير، وكانت العناية منصبة على المثل الفصيح وحده دون النظر الى لهجة العامة التي كانت في اعتقاد العلماء مجرد انحراف فاسد يجب القضاء عليه.(١٥)

ولنا بعد ذلك وطيد الأمل ان نلقى امثال الموصل الشعبية اهتمامات جدية في بحوث اكاديمية علمية كأحد فروع التراث، واهتمام الادباء وكتاب القصة والشعراء باعتبار اللهجة الموصلية خالية من معظم العيوب اللفظية التي يعيبها علماء اللغة ولايزال بعضها موجوداً في بعض اللهجات المعروفة.. وانها من افصح اللهجات، ولاغرابة في ذلك اذا ماعلمنا حرص المواصلة على لغتهم العربية وعنايتهم بها منذ استيطانهم هذه المدينة. ونعني بذلك سكان المدينة نفسها.. حيث يقول ابن جني «غير ان كلام اهل الحضر مضاهٍ لكلام فصحاء العرب في حروفهم وتأليفهم، إلا انهم اخلوا بأشياء من إعراب الكلام الفصيح».(١٦)

الهوامش

(١) الخليل بن احمد الفراهيدي : كتاب العين، دار الحرية. بغداد : ١٩٨٥ جـ٨، ص ٢٢٨.
(٢) محمد بن ابي بكر عبدالقادر الرازي : مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت : ١٩٨١، ص ٦١٤.
(٣) عبدالرحمن التكريتي : الامثال البغدادية المقارنة، مطبعة العاني، بغداد : ١٩٦٦، جـ١، المقدمة ص ٩.
(٤) ابن خلدون : المقدمة، بغداد : اوفسيت، ص ٨. وكذلك : ابن حجة الحموي : خزانة الادب، مطبعة بولاق، القاهرة ١٢٣٨ هـ، ص ١٠٣.
(٥) ابن خلدون : المصدر السابق.
(٦) التكريتي : المصدر السابق.



(٧) انظر على سبيل المثال المصادر الآتية :
أ- ابو هلال العسكري : جمهرة الامثال، بومبي : ١٣٠٤هـ. جـ١.
ب- ابن عبد ربه : العقد الفريد، القاهرة : ١٩٤٠.
جـ- حمزة الاصبهاني : الدرة الفاخرة، القاهرة : ١٩٧١.
د- ابو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر : تحقيق : د. ابراهيم الكيلاني، دمشق : جـ١، ١٩٦٤، جـ٢، ١٩٦٦.
هـ- الميداني : مجمع الامثال، القاهرة : ١٩٥٩.
و- الابهيشي : المستطرف من كل فن مستظرف، القاهرة ١٩٥٧.

(٨) مقابلة شخصية مع الدكتور لويس ساكو في يوم ١٨/كانون الثاني/١٩٩٢.

(٩) د. عمر محمد الطالب : عبدالخالق خليل الدباغ، جريدة الحدباء : ٢٦/ايلول/١٩٨٩.

(١٠) احمد محمد المختار : تاريخ علماء الموصل، ط٢، مطبعة الزهراء الحديثة. الموصل ١٩٨٤.

(١١) محمود الجومرد : اللهجة الموصلية. مطبعة الجامعة. الموصل ١٩٨٨.

(١٢) د. مزهر الدوري : اهمية دراسة الامثال. مجلة التراث الشعبي. بغداد. العدد (١١) و(١٢)، ١٩٨٤.

(١٣) الدوري : المصدر السابق.

(١٤) المصدر نفسه.

(١٥) ابراهيم ابو ستة : فلسفة المثل الشعبي، القاهرة : ١٩٦٨، ص ص ٣، ٤.

(١٦) الجومرد : المصدر السابق، ص ص ٢٢-٢٤.

الشِّعْرُ الشَّعْبِيُّ

عبدالحليم عبدالمجيد اللاوند

مقدمة :

الموصل إحدى المدن الكبرى في الجزيرة المنعزلة بعيداً عن خطوط التماس؛ فهي وان كانت تقع على مسار القوافل من الشمال الجبلي والغرب البدوي فإن اتصالها ظل محدداً بالبدو القادمين من الجزيرة في اوائل الربيع وأواسط الخريف يبادلون نتاج الاغنام من صوف ودهن بما يحتاجه البدوي من متاع قليل كالقسب والتمر والحلو والطحين، وما يلبسه البدوي من عباءة وأثواب، وما لابد منه من حبال وأوتاد وشَعْر يُصنع للخيام المنصوبة أو المطوية في الحِّل والتّرحال. كما ظل اتصالها محدداً أيضاً بالشمال والشمال الشرقي بالأكراد ينزلون إليها بعد انحسار الثلج ونضج الثمار يبادلون نتاج الجبال من فاكهة كثيرة وأعناب وعسل وثلج - يسمونه ثلج القدرة - وأخشاب وفحم للتدفئة والوقود، ثم يخلد الجميع الى سبات عميق ما أن ينزل المطر أو تطرز السماء ببُقع الغيوم فتقع السكين، فلا يذبح القصاب لأن أهل المدينة قد ذبحوا ربائطهم وكبسوا اللحم أو صنعوا منه قلية تكفي لهزيمة الشتاء مدّخرين ايضاً الجوز والزبيب والتمر والحلو المصنوع من الزبيب والدهن والحمص والعدس واللوبياء ومشتقات الحنطة والحنطة والرز. يُعبأ هذا كله بالبراني والسدود المصنوعة من الخزف. أما مشتقات الحنطة والحنطة فتفرغ بالكوائر جمع كُوارة مصنوعة من الطين غير المفخور. كل ذلك يرصف بالسراديب رصفاً منتظماً، فاذا احتاجوا الى شيء من هذا أخذوه من الرواج وهو فتحة مستديرة أسفل الكوارة تسد بكرات من الخرق. هذا الانعزال طبع المدينة بطابع الثبات او الحركة البطيئة، ووسم أهلها بشيء من التحفظ والاحتراز فلم تتفتح الا بعد الهجرة من والى بغداد في الخمسينات من هذا القرن والاتصال بالفكر المستحدث في الغرب والشرق على نحو مكثف وجدّي، إذ بدت المدينة وكأنها هاجرت كلها الى بغداد. فقد كان هناك قبل هذا تبادل تجاري مع مدينة حلب وبغداد وغيرها من الأمصار، ولكن ذلك كان على نطاق ضيق لصعوبة المواصلات فيما كان يذهب الى التجارة الرجال الأشداء والأقوياء. وعلى المرأة ان تلتزم البيت التزاماً فلا تخرج منه الا



الى بيت أهلها او الى الحمام او الى نُزهات قصيرة ومتباعدة فهي تكرس نفسها لأعمال البيت الكثيرة.

لهجة أهل الموصل :

إن لهجة الموصل تعتمد على الإمالة بقلب الألف الى صوت الياء يقولون : (ويحد) بدلاً من واحد.[1] و (نيس) بدلاً من ناس و (فيس) بدلاً من فاس. ويقلبون الراء عيناً فيقولون : (غاخْ) بدلاً من راخ. و (غماذْ) بدلاً من رماذْ. و (غاسْ) بدلاً من رأس. كما تلفظ القاف بصوتها قافاً فلا تبدل بحرف آخر فيقولون (قَلّي) بدلاً من قال لي. و (قلتولو) بدلاً من قلتُ له و ذلك بأشباع الضمة وتحويلها الى واو.[2] هذه اللهجة القديمة تبدو وسط لهجات العرب المحيطة بالمدينة غاية في الاثارة ومدعاة الى التندر. يتكلم بهذه اللهجة جميع النصارى وهم يمثلون القبائل العربية التي كانت مستقرة في الموصل والجزيرة قبل الفتح وهي قبائل تغلب وأياد والنمر والشهارجة. والموصل كغيرها من أراضي وادي الرافدين سكنها العرب قبل الفتح العربي الاسلامي وكانت ديارهم تسمى بديار ربيعة. ويبدو أن تأثير هؤلاء كان كبيراً في تغليب لهجتهم على لهجات القبائل الاخرى بدخول كثير منهم في الاسلام فاللهجة الموصلية وهي أقدم لهجة عربية معروفة قبل الاسلام خارج الجزيرة العربية، لم تتطور عما كانت عليه إلا قليلاً. يتكلم بلهجة الموصل الحضرية المحلات القديمة كرأس الكور والمكاوي وباب النبي وعمو البقال وباب العراق وسوق الصغير وشهر سوق وباب السراي و «باب لكش» وباب المسجد في حين تختلف لهجة الحزام الخارجي للمدينة عنها. وهي لهجات محلات المشاهدة وخزرج والمياسة ودكة بركة والجوبة بفرعيها البقارة (البكارة) وجوبة النبي شيت وهم يتكلمون بلهجتين مزدوجتين : لهجتهم الأصلية ولهجة الموصل الحضرية على أن هذه المحلات تخصصت بمفردات لغوية تختلف من محلة الى أخرى. هذه اللهجات المتعددة كانت لقبائل سكنت الى جوار بعضها في المدينة فبنت مساجدها وعبّدت طرقها وأقامت اسواقها، فكأن كل محلة وحدة اقتصادية وثقافية وبشرية واحدة يعزز هذا الأنفصال الليل المظلم الطويل والخوف من اللصوص وقطاع الطرق والغارات المتبادلة بين المحلات بعضها ضد بعض، لاينهض بها الأطفال حسب بل يشارك فيها الرجال ايضاً بالرمي بالحجارة باليد او بالمقلاع، يسمون هذا دَغشا *. كانوا يهزجون في هذه المواجهة «هذي إمحلتكم دسناها» والدوس : هو الوطء الشديد كما تقول المعاجم فإذا تراجع المهاجمون هزج المنتصرون «عليهم دقت النوبا» * أي عليهم دارت الدائرة. لذلك كانت تبنى البيوت متساندة متلاصقة على دروب ضيقة يحس المارُّ بها مقدار الخوف المتأصل والمتربص من شيء مجهول هو قادم حتماً؛ ليس هو الخوف من الغارات العدوانية بين محلاتها حسب بل الخوف من غارات الأقوام الأخرى ضد المدينة القابعة داخل السور والخندق المحيط بها.

الشعر الشعبي وأغراضه :

لم يكن الشعر إلا زاد العربي في حِلّه وترحاله وهو كنز حكمته يلجأُ اليه إما حَزَبه كَربٌ أو استخفه طرب فإذا نظم الشعر الفصيح وبثه على ألسنة الرواة بقصد الشهرة والمجد فهو ينظم الشعر ايضاً بلهجة قبيلته ليكون أكثر التصاقاً بحياتها وأدق تعبيراً عن نزوعه الروحي لها. اذ اكتسب لغته او لهجته من محيطه طفلاً بعدما ورث مفاتيح اللغة إرثاً فطرياً مبرمجاً يبدأ بها حياته وهو يدرج بين أبويه واخوته او بين لداته واترابه في ملاعب طفولته الاولى.. هذا الأرث اللغوي الفطريّ يُعمقُ خطه المكتسب التكرارُ المصقولُ والتهذيب المحكي لبنية الكلمة وجرسها الموسيقي. فهذه الكلمة بنغمها الصوتي هي أجمل لديه من كلمة أخرى ذات دلالة واحدة على معنى واحد، هو ايقاع الكلمة



وتأكيد معناها مغروساً في الذات عبر اهتزازها صوتا مُدوياً في الهواء وهي تنتقل في ذبذباتها الى الأذن فتهتز الطبلة لتضرب المطرقة السندان. فيكون الايقاع حفراً متواصلاً يأخذ مجراه في المصب العام للكلام. فتمتزج الكلمة بطرب الألفة وحنان الطفولة ونقائها وسلطان العادة المتحكمة التي تحافظ على سلطان المجتمع وسطوته. هذا الايقاع المحفور في أعماق الذات هو الذي يمنح الاصوات معناها في توصيل الفكر أو توصيل الارادة الانسانية من شخص الى آخر. فجهاز الارسال هو نفسه جهاز الاستقبال - الانسان - ولما كان الانسان لايعيش الا وسط جماعة فتكون لغته تعبيراً عن حاجة نفسية هي فك الحصار عنه ووصله بالمجتمع. فهي ظاهرة اجتماعية تتمم وجوده الفردي وتمتد به بين الجماعة المحيطة به ليكون منتظماً فيها معنياً بآمالها وافراحها واحزانها لانه جزء منها لا يستغني عنها. ولأن جهاز النطق مصمم لهذا الانسان ليتكلم به فهو جزء مبرمج فيه يرثه من أبويه ويطوره فيه ايقاع المجتمع اللغوي. ماذا لو كان الانسان أخرس؟ وكانت المجتمعات الانسانية خُرساً كلها؟ إذن لفقدت الحياة كثيراً من معانيها ومباهجها على حد سواء. لغلف الصمتُ انتظام ضوضائها. والصخبُ كما يتراءى لي حاجة انسانية ايضاً، فالبيت دون ضجيج الأولاد بيت أبكم. من هنا كان الكلام المنطوق تأكيداً للوجود الانساني، اذ كان قبل الكلام المكتوب يُوثق به الانسان وجوده ويسجلهُ والتسجيل نظم المبعثر وتزيينه وتحسينه، لذلك كان الشعر هو الأداة الأكثر تحسيناً لشتات الكلمات ومعانيها. وايقاعه هو الذي يحفز الذاكرة على استرجاع مخزونها منه. وما كان الأنسان الا أمياً وان الكتابة شأن الكهنة تحتكر أسرارها وتمارس بها طقوس السحر ليبقى سلطانها قائماً على أكتاف الجهل. ولان الكتابة جهد منظم يحتاج الى الوقت والتفرغ والمال، لذلك كانت المجتمعات الانسانية أمية وسيبقى فيها كثير من الاميين يسمعون ولا يقرأون ويتحدثون ولا يكتبون. إذن ليس غريباً ان ينشأ الى جوار اللغة الفصيحة لغة شعبية او لغة العامة من الناس يكرسها الجهل والعزلة والبعد عن الأصول المكتوبة يتضح ذلك في الفترات المظلمة من تاريخ الامة. كل مدينة استقلت بلهجة بل كل محلة في المدينة الواحدة انفردت بتعابير معينة، ولا عبرة بمن يقول بأن اللغة العامية فقيرة المفردات. ان غنى اللهجات العربية يتأتى من اتكاء بعضها على بعض وعلى تراث عريض من أساليب العربية الفصيحة. ومن الامتداد المتطاول في الزمن وهي تصارع المتغير الحضاري في الحياة وتبقى قادرة على الاستيعاب، ولذلك تُحسُّ البلاغة في التعابير الشعبية، كما تحس ذلك في الفصيح منها، بل إنّ فيها من البلاغة مايدهش المتأمل ولكن أي الاغراض أدى الشعر الشعبي؟

والشعر الشعبي ادى كل اغراض الشعر الغنائي، اذ هو شعر غنائي قبل كل شيء، هو مُعَدٌّ للغناء أولاً وللرقص مع الغناء ثم تأتي بقية الاغراض بعد الغناء والرقص، فأوزان الشعر فيه كل الأوزان الراقصة، المتدارك، الرجز، البسيط، الوافر. والكلمات لاتعني شيئاً كبيراً إزاء اللحن والايقاع. لذلك تجد الكلمات في الأغاني بسيطة خالية من التعابير البلاغية تختصر ماتريد بأسرع زمن لتدخل الى الموضوع، فاذا أرادوا جلوة الختن وصفوه بأبسط مايدل على الترف والغنى والرفعة - **الأمارة** - (يابن الاميغ محمد). واذا أرادوا جلوة العروس وصفوها فوراً بالحسن والجمال وذكروا اسمها مقروناً بالصفة (يلغاليا صفيا يلغاليا) وضربوا على آلات الايقاع ماكان منها ميسوراً عندهم ليس شرطاً ان تكون آلة موسيقية ايقاعية، فأي طشت نحاسي او قدر او قعّادة [٣] هو آلة إيقاعية لافرق بينها وبين الرق والدف والنقارة والطبل مادام يؤدي الغرض وهو الايقاع لضبط اللحن وإبرازه. والأيقاع لايعدو



إيقاع الجورجينا[٤] وهو الأغلب في الأغاني الموصلية أو إيقاع الوحدة الصغيرة وهو القليل، وإيقاع الوحدة البسيطة وهو الاقل وهذا يكفي لاغاني النساء المحدودة في الافراح. ويأتي في مقدمة اغراض الشعر الشعبي معاني الطفولة لدى المرأة وهي تحمل طفلها أمنية حلوة قبل الزواج وجنينا بعده تتلهف لمعرفة شكله. وطفلاً مقمطاً تضعه في السلة وطفلاً تهزه بالمهد لينام وطفلاً زاحفاً وطفلاً ماشياً ويكبر الطفل ويشب كل طور من اطوار حياته تتابعه المرأة بحب وشغف واعجاب وتغني له غناء متصلاً حتى يشيب ويهرم ويموت وهي تغني له حتى في الموت المرأة تغني ولا تفتر عن الغناء والرقص للطفولة والحياة، اما الرجال فلهم معه مواقف اخرى هي كل مواقف الحياة بكل تناقضاتها وابعادها.

المرأة والطفولة والشعر: هي محور الفكر الانساني وهي الدوحة التي استظل بها الانسان طوال وجوده، فليس غريباً لذلك ان يقترن هبوطه على الارض باغوائها. ذلك التفسير القديم لعله الوجود ولمبدأ الخطيئة الذي شاء إن يركز على شفاء الانسان، وان يحمل المرأة بالذات كل عذابات البشرية، وان تتحمل هي نفسها آلام الحمل والولادة جزاءً وفاقاً لما فعلت جدتها حواء فيكون وزر جدتها هو وزرها ذاته ويظل عذابها إرثاً متصلاً لاينقطع حتى يوم الدينونة، فلا مهرب لها منه، لذلك ايضاً يتصل الأغواء فيتصل العذاب، فحنين آدم الى حواء وحنينها إليه حنين أبديّ ليكون الثمر دائماً من الجنس ذاته أشجار التفاح تحمل تفاحاً والنخيل أرطاباً والعرائش أعناباً، ولان الأنثى هي الأصل في ديمومة الحياة كان الأنجاب هو الثمر الحلو المرّ والسبب الأساسي في وجودها فلا معنى لها دونه كالشجرة ان لم تثمر يفنى جنسها ويموت، فالطفولة فيها هي الحياة المتصلة في أعماق الزمن ماضياً والممتدة فيه حاضراً ومستقبلاً فاذا كانت إحداهن عاقراً وتتظاهر بأنها منجبة تهزّ المهد كأن إبنها نائم فيه والمهد فارغ الا من الخرق البالية رقعت بالتزييف والكذب لان عيونهن أقدر على اكتشاف الحقيقة فيبهت ذلك الحلم الذي تريد تحقيقه في الواقع فلا يتحقق الا أمانيّ كاذبة وأوهاماً:

اتهـز بـالمـهـدْ وتـگـولْ نـايـمْ
أو مامشْ بالمهدْ غيرْ الجلايلْ[٥]

وإذا رأت امرأة متصابية زَمتْ شفتيها وامتعضت من سلوكها إذ عليها أن تكون أكثر تهذيباً وحكمة فلا تخلط العجوزُ الفانية نفسها بالصبايا فتعلي بطنها زهواً وتتصور انها في مثل أعمارهن قدرة على الحبل والانجاب وليس في بطنها المُعلاّة سوى الحشية الفارغة، والنسوة إذ يفخرن بصغرهن يفخرن بقدرتهن على الأنجاب:

عجوزْ الما بُگى بيها بُگيّا
تخلطْ نفسها ويا الصبيّا[٦]
إتعلّي ابطنها وتگولْ حبلى
أو مامشْ بالبطن غير الحشيّا

فإذا حملت فعلاً شعرت بالزهو يهزُّ وجودها وفاض على غيرها من النساء فغرن منها وحسدْنها، ورأين في سلوكها المثير واللافت للنظر ضعفاً لاينسجم وما يجب ان تتحلى به المرأة من جمال الصبر وطول البال ومكابدة أثقال الحمل في كتمان وتجمل يقلن عنها:

حـبـلـتْ إبـيـومْ أولـيلي
أوغادتْ من ألالاّ الفرجْ[٧]

فإذا وضعته أعجبت به ورأته قمراً أو غزالاً لأنه جزء منها فمن لاتراه جميلاً لاتراها هي جميلة ايضاً. فإذا داعبته لتعبر عن حبها واعجابها به صرخت بصوت ممدود وملحن، تمدُّ وتلحن كل حروف المدِّ فيه:



ولْ مـا تِـگـلـكْ عـيـني
تِـعـمـى مـنْ الـثـنـتـينِ [٨]
ويمـوتْ رَجـلْ إصـبـاهـا
أويعلى عـلـيـهـا الديـنِ

هي صرخة فرحة تعبر عن حب مفرط فالتي لاتقول لطفلها ياعيني تعمى عيناها الاثنتان لانها لاتحتاج اليها، هي لاتقدر ان ترى بها موطن السحر والفتنة وأن يموت زوج صباها لأنها فتحت عينيها على الأفتنان بقوته وشبابه. وان يعلوها الدين فتبيت في هم وغم، وعلى الرغم مما في هذه الدعوات من الأذى البالغ فاننا لانحس بها سوى المداعبة المرحة، اذ أن المعنيّ بالمداعبة هو الطفل وأولاً وأخيراً فهو يُحسُّ بالزهو لهذا الثناء الكبير وأن أمه هي التي توجه له هذا الثناء وأن الاخريات غير معنيات به الا من باب المشاركة الوجدانية لما تُحسُّ به إزاءه.

فاذا داعبت بنتها قفز الى ذهنها البيع والشراء فهي غالية غير رخيصة راجعة في تداعي ذكرياتها الى البنات بصورة عامة وما يتحلين به من حنو وحدب على أهليهن في شبابهم وكبرهم وشيخوختهم ويتداعى الى ذهنها فوراً أم الابن وفرحها بابنها فتغار منها ثم تُهدأ من غيرتها باختصار الزمن فتتخيل الأبن قد كبر وشبَّ وتزوج وان بنتها هذه او بنات الأخريات سيسرقن هذا ألابن ومن بعد فان يد أم الأبن ستصبح خالية منه فيما ستظل البنت خيمة حانية على أهلها:

يـمّـا ألـبـنـيـا غـالـيـا
خـيـا أوعـلـيـنـا حـانـيـا [٩]
لاتـفـرحـيـنْ يـام الأبـنْ
إيـدجْ مـن ابـنـجْ خـالـيـا

ويلاحظ اللحن في حروف المدِّ

وتصف جمال بنتها وما تتحلى به، شعرها المنسرح وراء ظهرها المضفور جدائل كالقصب لوناً وطولاً، خطبها لهذه الأوصاف شيخ العرب فعزت على أبيها فما أعطاها له:

بِـنـتـنـا مـنْ حـلاهـا
گـصـايـبـها وراهـا [١٠]
شيـخْ العربْ خطبها
وبـوهـا مـاعـطـاهـا

ثم يكبر الطفل ويمشي فتفرح إذ يمشي وتسجل فرحها هذا إذ تشتري له حذاء صغيراً كانوا يسمونه «زغبول» ولكن الزغبول اذ يمشي ينقطع فتأتي أمه تشد له حذاءه الصغير فترى الريحان قد شب كطول ابنها فهو كشتل الريحان فتنة وطيباً.

يـاأولادْ وقـفـوا لـو
كـنْ انـقـطـعْ زَغـبـولـو
جـتْ أمـو دَتـشـدو
شـبْ الغيحان ابطـولو [١١]

ويتوجه اليها ماشياً فتتساءل بتعجب هذا امنين؟ ثم تكرر السؤال هذا من أين؟ وكأنها لاتعرفه ثم تتذكر. هو من عرب الحسين. ساقاه الطويلتان وهو يمشي تسحقان لها شتلات اللوبياء – العوين.

هـذا امـنـين؟ هـذا امـنـين؟
هـذا مـن عـرب الحـسـينْ
سـاگـاتـو هـلْ الـطـوالْ
دَتسحگك النا العوينْ [١٢]

هاهو الان قد اشتدت ساقاه وأصبح قادراً على المشاركة في اللعب وترى الأولاد يلعبون فتناديهم «ياأولادْ الملعبْ» وكأنما تسمعهم يستجيبون للنداء فتطلب منهم ان يصيحوا على ولدها ليلعب معهم. واذا لم يلاعبوه وهو افتراض لايجوز لأنه محبوب وصغير فانها ستخرب لهم ملعبهم:

يـاأولادْ الـمـلـعـبْ
صـيـحـوا وَلـدْنـا يـلـعـبْ
ولـكـانْ مـاتـلـعـبـونـو
دنخـربـوا لـلـمـلـعـب

وتهز المهد هزاً وئيداً اذ يبكي يريد أن ينام وهي تغني مقطعة أبيات المديحة الصوفية الى تفعيلاتها المنتظمة والموقعة فينام:

لاإلــــــــــه إلا الله
بــالملــكْ أو مــالــو ثــاني
دَ أمدحْ لك ياسيدْ أحمد
يــابــازْ يــاســلــطــاني
شــيــلــوني ابــعــبــاني
ودوني لي ســـــــــاداتي
ســاداتي هــل صــوفــيــا
بــلــگــي يحضــر عــليّــا
ياقنديل النوراني
شــفــت الــنــبي بــالحــضــرا
لابــسْ لــو جــبــا خــضــرا
بــيــدو الــقــران اويــقــرا
يــاقــنــديــلَ الــنــوراني

فاذا ظل الطفل يقظاً باكياً ولم ينم بالهز الرتيب وبالصوت الموقع غنت له بصوتٍ شجيّ وباكٍ وهزتْ مهده هزاً بطيئاً منسجماً مع صوت الترنيمة الحزينة المليئة بالشجا والشجن :

دللْ لوي عيني الولد يابني دللْ لوي
عدوكْ عليلْ او ساچن الجول[13]
مَدري زماني ضم لي هاي يما
يما صَيفتْ مدري اشتاي يما[14]

تريده أن ينام وتدعو على عدوه بالعلة والسكن في القبور. هي لاتدري بأن زمانها ضمّ لها هذا الحزن وهي في الصيف ولا تدري أين سيكون مشتاها. ويغيب القمرُ ويظلم عليها الليل يكتنف المهد والطفل والبيت فلا يتسرب اليها قطرات من نور فتحس بالوحشة وهي مازالت ساهرة تريد أن ينام طفلها كنوم القط أوكإغفاءة الحمام لتنام هي ايضاً وليهدأ هو لتهدأ هي معه وتغريه بالنوم العاجل وكأنها تخاطب فيه بشراً سوياً ، إنها جللت له المهد بجلال منسوج من ابريسم هندي هو أحسن مالديها. ولكن أنى يهدأ وكيف ينام؟ ومن يدري ماذا يكابد من آلام وأوجاع وقد عزّ الطبيب ولا طبيب :

دِلــلْ لــيّــا دِلــلْ لــيــا
غــاب الــگــمر وظلمْ عليّا
دَنــيــمــك ونــا دَنــام
نــوم الــگــطا وغوفْ الحمامْ
دَنــيــمــك وتــنــامْ تهــدي
وجللك بجليل هندي[15]
دِنــيــمــك نــومــتــيــنْ
وحــــــــــدي دلالْ
أو وحدي نومة العينْ

هذا الحبُّ الغامر للاطفال هو امتداد المرأة واستقرارها في بيت الزوجية ، فكل ولد بوتدٍ كما يقول النسوة والمرأة التي لاتجد لها أوتاداً سرعان ماتهب عليها الرياح العاصفة فتقتلعها من الجذور. والزوابع أسرع عصفاً بالأزواج الذين لم تثقلهم بعد الأفواه الأكلة ومتطلباتهم على قلتها آنذاك. وما تنسج لهم عاطفة الأبوة من حبال تربطهم بأوتاد أمهاتهم دون العصف والعسف. لذلك يكون الأبن مطلب المرأة أكثر من البنت ليكون لها محامياً ضد أبيه الذي قد ينقلب حبه لها الى بغضٍ وكرهٍ وضد الآخرين الذين يشاركونها في البيت والزوج. ولكن الموت كان ينتظر الأطفال للجهل بقواعد الصحة وقلة او انعدام المنظفات وهو ماكان يشمل العالم بأسره. ومشكلة المياه وتلوثها ايضاً وهو مارسخ الاعتقاد بأن على المرأة ان لاتسقّي طفلها المولود ماء حتى يمرض فإذا مرض أعطي الماء لأن الماء سبب في موت الاطفال وهو استقراء صحيح وأكيد ، لأن الماء كانوا يغرفونه من النهر غرفاً ثم يضعونه في مزملة منحوتة من الحجر ، فتنمر فيه الطحالب والديدان والعلق فيكون مرتعاً خصباً لكل الجراثيم. وهذا ماكان يجهله هؤلاء اذ لم يكن الماء قد صُنع وسُيّل الى الدور فكان يصل اليهم على ظهور السقاة يحملونه بالراوية او الغاوي ، ولذلك كانت ظهور هؤلاء موصوفة بالبرودة ولقلة الاطفال وموتهم يكون الأحتفاء بهم والخوف عليهم من المرض والموت

كبيراً ، ولأن الأولاد حاجة حياتية مادية يصبحون أماني تتمناهم الأمهات ليسعوا في البراري وراء الابقار يجولون. اذ كان في كل بيت من اطراف المدينة تقريباً بقرة يأتي الجوال صباحاً يجول بالابقار ويعود بها مساء لتعود هي وحدها الى البيت. فالاطفال مطلوبون لأدامة الحياة بكل معانيها ولكن اذا ضاق البيت بهم فلم يتسع لألف أو مئة منهم ماذا تفعل الأمهات؟ تبني لهم أمهاتهم علالي في السطح أو يجلسهم على رؤوسهن على القناع واللفة – العمامة:

ياريتْ منكم ميّا
يسعون بالبريا
ولْ ماوسعكمْ بيتي
دَبني إلكم عليّا
ياريت منكم ألفِ
علْ الجولْ لمنْ يلفي
ولْ ماوسعكم بيتي
علْ المقنعا واللّفي[16]

أو يأتي الأبن وقد ذهب الى السوق طائعاً مختاراً دون عناءٍ منها. يبين عليه التعب والجهد ، شعفة شعره تنكث مطراً قد تحزم على ثوبه وملأ عبوبه بما اشتراه لأمه من كده وتحصيل يده فَتُقرِبنُ له

ياقربانو كن جاني
جاني أو ماعَنّاني
شعفتو تنكث مطغ
واعبوبو مليانى[17]

فاذا شارف البلوغ حذرت بنات المحلة منه فهو أنيق ثري دراعته حشوها ريش النعام. ويظهر أن النعام كان موجوداً بكثرة وهو ينام تحت حائط بيتهم دون أن تنام عيناه:

دراعتو غيشْ القطا
أوجَوّا حايطنا لَطا
يَلاّ احفظوا بناتكمْ
اوعينْ ابنا مِبلطا[18]

دراعتو غيشْ النعام
اوجَوّا حايطنا ينام
يَلاّ احفظوا بناتكمْ
أو عينْ ولدنا ماتنام

فإذا أُحستْ المرأة بالأحباط صرخت بيأسٍ مستغلة حروف المدِّ الى أقصاها والطاقة الصوتية للكلمات ووقفت فجأة على الدال والميم الساكنة الذي يتكون منها لفظ دَمْ فكأنها تقطعت أنفاسها ولم يبق بها من طول النزف بقية سوى الدردمة بإطباق الشفتين الساكنتين:

إتعبنا أوحفينا الجدمْ
او ماصابنا غير الندمْ

تقول انها تعبت ولكي تركض مسرعة أكثر فأكثر خلعت حذاءها ومشت حافية القدمين ولكنْ لم يصبها من الركض كله سوى الندم. ان الحزن والفرح واليقظة والنوم والاغتراب والأحباط واللغب ينتظمه الايقاع والموسيقى الراقصة يوزن الكلام وزناً راقصاً ملحناً ويؤدى باللحن الراقص تعبيراً وأداءً ويمكن ان نلاحظ الكم الغزير من الشعر المعبر عن الطفولة تدليلاً وتصويراً لخلجات الأمهات وهن يتابعن مراحل طفولة ابنائهن وبناتهن حتى اذا كبروا وتزوجوا بدأت رنة الأسى تعبر عن الأحباط شعراً. كأن تدين كنتها او حتى بنتها بالاستعلاء الكاذب أو بالغباء فتصورها بأنها اذ تمشي الى الامام ترجع الى الوراء وهي تمسح الأرض بذيلها اهمالاً يتسم بقلة الذوق وعلى غباء لايحتمل.

تمشي أو ترجع لي ورا
والذيلْ يسحلْ بالثرى

فاذا رأت بيتاً مهملاً وسخاً صرخت بامتعاض ويما يشبه المناحة:

هيلنْ ياغوالي مِنْ ترابْ الدارْ

تطلب منهن أن يُهلن ترب الدار على رؤوسهن مما حلّ بهن من أسىً وشجن. اذ كانت معظم الدور والى وقت قريب غير مرصوفة فاذا هبّ الهواء



دَوّمت الأتربة في صحن الدور، ولا أدري لماذا خصت المرأة بالمناحة والتراب تُهيله على رأسها. المرأة اذن شاعرة بها من رهافة الحس ماتحيل به الكلمات جملاً راقصة ذات تنغيم موسيقي عالٍ وليست المرأة وحدها تفعل هذا بل تفعله الصبايا ويفعله الصبيان وهنّ أو هم يمارسون ألعابهم كأن اللعب دون ايقاع الكلمات الموزونة خروج على قانون الحياة، تأمل ترقيص الاطفال وان كان ماقدمنا سابقا يدخلا تحت باب الترقيص ولكن هنا تبدأ الكلمات بالأمر بفعل الرقص اي هي ارادتها تمليها على الطفل استجابة لما تراه منه من رغبة باللهو واللعب :

گوم اركَص   گوم اركَص [19]
عُمركْ زايد لاينگص [20]
حب اللولو اسنيناتو [21]
حَبْةّ السودا اعويناتو [22]
قرع اسلاحي ازنيداتو [23]
گومْ اركَصْ   گوم اركَص

الألعاب والشعر: ولكن هل كل النساء نظمن هذا الشعر أو هن قادرات على نظم مثله أم هو حصيلة تراث عريض من التجارب المشتركة بينهن أملته واحدة منهن وعبرت به عن تلك التجارب المشتركة والمتكررة عبر مثات السنين ذلك بأنهن يتزوجن وينجبن ويسهرن على أطفالهن منهن في تجارب مشتركة واحدة، اذن هي قوالب شعرية جاهزة انحدرت اليهن عبر حقب متطاولة، وهذا ينطبق ايضاً على ألعاب الاطفال فهي شعر موقع يبدأ بالموسيقى وينتهي بها إيقاعاً ورقصاً وتمثيلاً ففي لعبة الخيل: يتحلق الأولاد في دائرة ويقف خلف كل لاعب لاعب آخر وكأن الجالس حصان والواقف فارس وبعد أن يعطى كل حصان اسماً رمزياً كأن يكون الأسم الرمز مثلاً حزام الذهب ينادي اللاعب الأول :

هبابتْ الهبابا
سدوا اعيونْ الخيلْ يارَكّابا [24]

فيضع الفرسان أيديهم على عيون الخيل حتى لايروا شيئاً مما يدور حولهم. ثم يتابع اللاعب الأول ويقول :

أمي عجوزْ ومّكْ عجوزْ
امركّبا علْ الجاموسْ [25].
قومْ قومْ ياحزامْ الذهبْ

امشي مشيتك واخطي خطوتك أو دكْ دكّتك لايحس عليك الواوي ترى ها. فيمشي حزام الذهب ويخطو ويدق على الأرض بحجرة مرة أو مرتين ويرجع الى مكانه ثم يقول اللاعب الاول اسرجوا خيلكم بالمقلوب فيقف الفرسان امام الأحصنة. فمن يحزر من هو حزام الذهب يكون هو اللاعب الأول.

ولعبة السير: فيها نجد التعبير الشعري الملحن، والرقص التمثيلي بعده. واللعبة للبنات. تبدأ اللعبة بالتماسك بالايدي والتباعد بالسير خطوات قليلة ثم تقول عريفة اللعبة وهي من نغم العشيران وايقاع الوحدة الصغيرة :

مـــدْ أو مِـــدْ أو سِـــيـــغ
والـعـصـالي بـالـديـغْ [26]

ثم تقول الاخرى :

سكينْ الحادا   تقطعْ المادا [27]

ثم تقول عريفة اللعبة :

امنينْ اتفوتْ العروس؟

فيجيب اللاعبون بصوت واحد:

من هينا

فتدخل لاعبة من بين الايدي المتماسكة حتى يصبحن خطاً واحداً، الواحدة وراء الاخرى.

ولعبة القمر: فيها يتشكل خطان من اللاعبين يمشون في رتلين متقابلين وهم يتمايلون مترنمين على ايقاع الوزن الراقص :

ياقمرْ يادَحلجي   جيبْ أبوي ديجي



جيبْ النا سلة عنبْ دِنقسما على النبي

ويبدو ان هذه اللعبة قديمة يلعبها الاطفال اذ أشار اليها صاحب لسان العرب وقال : الدعلج بالعين الشاب الحسن. وهي لعبة الاطفال يذهبون ويجيئون يمشون مشية الجرذ يجيْ ويذهب. وفي الموصل يلفظونها دحلج والاطفال يمشون كما ذكر صاحب اللسان مشية الجرذ.

ولعبة العدس : لعبة البنات يتحلقن في دائرة ويدرن في خفة وهن ينشدن من نغم البيات وإيقاع الجورجينا :

كشكْ أو عدسْ ماأحبو[٢٨]

الأخريات وهن يدرنْ :

يويا

المنشدة : يغلي غلوي وصبو[٢٩]

الأخريات : يويا

المنشدة : أصبو بالبواطي[٣٠]

الأخريات : يويا

المنشدة : أطعموا لخواتي[٣١]

الأخريات : يويا

المنشدة : خواتي مايغيدونو

الأخريات : يويا

المنشدة : أصبو بالسواقي

الأخريات : يويا[٣٢]

وهكذا تتكرر الأدوار حتى يتعبن فيما يكون العدس غير المحبوب قد صبنه في السواقي وتخلصن منه.

وأم الغيث : اللعبة الساحرة حين ينحبس المطر فيصنع أهل الصبية لهم لعبة كبيرة من قماش يمسكها طفلان احدهما يمسكها من يدها اليمين والآخر من يدها الشمال وكلهم يصرخ مناشداً اللعبة – الدمية :

أم الغيث غيثينا

لوما المطغ ماجينا

صبوا اِلنا بالطبشا

صبّخ ولدكمْ يمشا

فيخرج النسوة من بيوتهن وبأيديهن آنية الماء يصببونها على اللعبة صباً حتى يسيل الماء منها كأن صب الماء على رمز الآلهة تذكير للآلهة ذاتها بمهمتها في صناعة الماء وسكبه من السماء وهي العلاقة الرمزية السحرية بين الفعلين لدى الشعوب القديمة.

الزواج والشعر والغناء : حين يصعد الفرح هلاهل وينفض البيت عنه الصمت ليستقبل حدثاً جميلاً فإنّ النسوة يبحثن عن أغنيات يعبرن بها عن ابتهاجهن في تعب اخر لذيذ يتوج آلامهن عبر سنين مضت في كفاح آتى ثماره بصيرورة طفل الأمس رجل اليوم فتكون كلمات الاغنيات إما بلهجة أهل الموصل أو بلهجات اطرافها. هاهي الليلة ليلة الحناء. الليلة التي تجبل فيها الحناء لتوضع على أكف واصابع العروس بل واقدامها ايضاً. توضع الحناء داخل نقشات العجين وتُشَد الأقدام والأيدي المنقوشة بقطع الحرير الملونة لكي تظل ملفوفة حتى صباح اليوم التالي فاذا غُسلت الحناء صباحاً بانّ مقدار الفن الجميل للبارعات من النسوة اللائي نقشن الأكف والأقدام هكذا يغنين وبصوت عال لكي يسمعوا أبعد من في الكون ماهن فيه من فرح عارم ينادين من يحببن ليشاركنهن بجبل الحناء فيغنين من نغم البيات وايقاع الجورجينا:

الحنا الحنا ماأجمل الحنا

وطلَعْ ولالي ابروس العلالي

زكيا تعالي دنجبل الحنا

ثم ينادين أمه لتتباهى به وبجلوته فغدا يدخل على عروسه الجميلة فيغنين بايقاع الجورجينا وبنغم البيات :

دقـومـي يـامـيـمـتـو

وتـبـاهـي ابجـلـوتـو

هــذا محـمـد المـدلـلْ

لـيـلـةْ غـدا دخـلـتـو

فتذرف الام دموع الفرح وتغني معهم من نغم البيات وايقاع الجورجينا:

ألـلاَّ مـعـو ألـلاَّ مـعـو

أو يانجمة أم سهيل سيري معو

وتزف العروس على حصان اوحساويّ جميل ويهزج أقرباء زوجها بأهزوجة من نغم السيكاه وايقاع الجورجينا:

يـاجـمّـال الحـكّـك بانْ الـنا

شـوفْ الـزودْ الـهمْ لـو إلـنـا

فيكون الجمّال هو الحكم فيما يرون أنه حق بان لهم وأنهم في المطاولة أقدر من اعدائهم واشد مراساً ولانهم كذلك فتعتقد العروس بان حماتها من رجال زوجها كثر فتطلب منهم بصيغة الامر ان يحملوها لأنها دمية من دمى الأفرنج تخاف ان يلمسها احد الغرباء، وإمعاناً في تدليل ذاتها تريد أن يرفعوا ذيل دُواخها فإنه طويل لئلا يتسخ بالماء فيغنون على لسانها من نغم السيكاه وعلى إيقاع الوحدة الصغيرة:

شـيـلـوني يـابـيـت إحـمايْ

ونــا لعبي افــرنجـيـي

ودواخي لاينوشْ المايْ

ويغنى في أفراح العرس هذه ألوان الأغاني ويسمون هذا سماعاً، والأغاني لاتختلف في ايقاعها إلا قليلاً لان الذي يغني هن النساء فلا يحتجن إلا للايقاع يضبط اللحن السهل. على أن التلوين يصحب الكلمات وهي تدور في شتى المعاني وأكثرها يصب في المنحى الضاحك الساخر وتجد في بعضها الملامح الشخصية:

اتغيدينْ بطرسْ!

ماغيدْ

لفتو تنطزْ

ماغيدْ[٣٣]

أو يــاسمــاق يــاسمــاقْ

أكلي دهيني أو خبزْ إقّاقْ

طـبـخـنـا الـشـونـدغـي

وخـذنـاهـا لـلـبـغـي

والـعـغـوص عـاقلي أوحـي

والـخـتـن يـرقـص بـصـقـاق

الاغنية تدور حول السماق الحامض في أكلةٍ دسمةٍ دهينةٍ مع خبز الرقاق إذ طبخوا الشوندر وأخذوا ماطبخوا الى البريّة. كانت العروس عاقلة مؤدبة ذات حياءٍ أما الختن فيرقص في الزقاق. وهي من نغم البيات وايقاع الجورجينا:

أو بــلا لـومْ بـلا لـومْ

خـلّـي الحـلـوي تـشـبـعْ نـومْ

شــال ايـدو حـط إيـدو

عـلى شـعـغـا حـطْ إيدو[٣٤]

شــال إيـدو وحـطْ إيـدو

مـشـط الـذهـبْ جـابـيـدو

زعلتْ منّو أو عافا النومْ

وهكذا تسير يده صاعدةً نازلةً تنتقلُ فوق جسدها وهي في كل مرةٍ تفز وتزعل:

أو لاخ لحلحني ونا لحلحتو

داغ دغـدغـني ونـا دغـدغـتـو

داغ دغــدغــنـي الــفــلاخْ

وهذه دغدغة ولحلحة أخرى تشبه اليد الصاعدة النازلة:

أو ببــالي مـاعـبـالي يـاببـالي

حيفن على شبابي ضيعتو ببالي

واذا أضاعت بَبالي شباب هذا الشاب النِكد فان نغمة هذه الأغنية من البيات وبإيقاع الجورجينا. تتحدث الاغنية الاخرى عن الطريقة التي احتالت بها بَبالي أو غيرها من الماكرات في سرقة الأبن المدلل من أحضان أمه دون تعب وجهد فضاع التعب به والشقاء أدراج الرياح:

عفاكِ عفاكِ على فند العملتينو

أنا تعبتُ ونا أشقيتُ علْ الخاضع أخذتينو[٣٥]



وتحظى ضابطة الأيقاع بما تستحق من التكريم فتختص بأغنية تطالبها ان يكون دقُّها مليحاً وتدعو المغنيات لها بعطاءٍ سخيٍّ من الله وحتى ترضي بذاك العطاء ، وانّ الايقاع الجيد الذي توقع به سيكون ديناً في أعناقهن فهو واجب الوفاء

دقي مليخ ألـلا إيـعافيـكِ
يـعطيـك ألاّ يـومْ الأوفيـكِ

ويجلى الختن فيغنى له

هـذا المـنـسـف مـالْ مـن؟
يـلـعـب عـلى طـاغـو
هـذا مـالْ أبـو محـمـدْ
يـاهـلا ابخـطـاغـو

لمن المنسف النحاسي سمي به لانه ينسف الطعام من القدر الكبير فكأن الطعام تل أو جبل اما إطار المنسف فعريض واسع يلعب أي يرقص عليه ومحمد ابن الامير ورث الإمارة عن أبيه فاذا احتفى بضيوفه ضرب لهم خيمة واسعة في صحن داره الكبيرة على عادة العرب في نصب الخيام في الأفراح والأحزان. ومحمد يلبس عقالاً ميّالاً ينكسه فوق رأسه كِبراً وبتهياً ويتحزم على خنجر. يلبسه وينزعه. وهو واحد ولكنه بألف رجل شجاعة وقوة.

يـاهـلْ الـعـگـلْ المـيّـالا
جنلتوني [٣٦]
عـلـيـكـمْ دمـعـي سـالا
بـعـد اعـيـوني
يـامـنـهـو لابـسْ خـنـجـرْ
نـازعْ خـنـجـرْ
يمـحـمـد لابـس خـنـجـرْ
نـازعْ خـنـجـرْ
واحـدكـمْ بـلـف أو اكـثـرْ
بـعـد اعـيـوني

فاذا انتهى الحفل ليلاً وهموا بالرحيل طلبوا من هذا القوي ألامير الذي هو شيخ العشاير ان يحمي الظعن المسافر من النسوة المغادرات يوصلهن الى اهليهن.

دشـيـلـوا ظـعـنـا
دنـرحـلْ لهلـنـا [٣٧]
يـامنـهـو هـلْ شـايـلْ
يمـحـمـد هـلْ شـايـلْ
يـاشـيـخ الـعـشـايـر
وصـلـنـا لهلـنـا

ويظل الأرث البدوي في التنقل والرحيل مسيطراً ومهيمناً على حياة المدينة ولا يزال كذلك.

ان الشعر الشعبي بلهجة الموصل الدارجة يقتصر في كثير من نظمه على الأضحاك والنقد الاجتماعي اذ أن لهجة الموصل المتحضرة تنتقد نقداً مراً ممن ينزح إليها من القبائل العربية فتضيق بها السبل ويأخذ المتحضرون كثيراً من أهازيجهم وغنائهم من هؤلاء النازحين اليها المزاحمين لسكانها.

ومما هو جدير بالملاحظة ان المواطنين المسيحيين في مدينة الموصل يعتمدون اللهجة الموصلية الدارجة ، بشكل واضح في اغانيهم الشعبية ومن قبيل ذلك :

عَلْ الجنجلي الجنجلي
«سكغان» أو عقلو گري [٣٨]

ولانعرف معنى كلمة «جنجلي». وقد تكون ، لفظة افتتاح لطاقتها الصوتية المعبرة عن شئ يأتي مضحكاً من انسان فقد صوابه من فرط ماعب من الخمر.

ويذهب الأمر الى اكثر من ذلك .. حين تصبح الاغنية الشعبية نقداً لبعض العيوب الممارسات الخاطئة في المجتمع.

وثمة اغانٍ شعبية تسود في الافراحِ المناسبات وخاصة «حفلات الزفاف» التي غالباً ماتتم يوم الاحد.

ومن قبيل ذلك الاغنية الشعبية التالية التي تمتلأ بالصور والتخيلات وتنطوي على اشياء مضحكة.

اليومْ السبتْ أوغدا الأحدْ
أشقدْ اكويسي مغت ابلحد[٣٩]
جابلا الحبْ أو قَلاّ دلبسي
وتمشي بالحوشْ أو ماكش أحدْ[٤٠].
جابلا الحب أو قلاّ دلبسي
وتمشي بالبيعا أو ماكش أحَدْ[٤١]

ويغنون للعروس
سَبعْ ليالي او ليلتين أوليلي
لِمنْ أوصلن داغ أبوكِ العيلي[٤٢]
سبع ليالٍ وليلتين اخرى احتاجوا للوصول الى دار أبيها العالي ويغنون

يامرحبا بالساعتين أوساعا
وجْ الصبيخ أو كَصتْ اللاعا
يامرحبا ابحنا لمنْ يغكبْ
طيغْ السعد من فوق غاسو يلعب
صلوا على مريم أوكلمن يسمع
عميت اعيونا التبغضا هل الساعا
مرحباً بأجمل الساعات تلك التي تحل بها اجمل الفتيات وجهاً صبيحاً وجبيناً لامعاً ثم انتقالة الى الختن والترحيب به عندما يركب فرسه طير السعد يلعب فوق رأسه ثم الصلاة على مريم من كل من يسمع اسمها والدعاء بالعمى لمن تبغض ساعة الفرح هذه .

ولما كانت معظم مهنهم فنية وبخاصة فن البناء فكانوا يغنون ايضاً من نغم البيات وايقاع الوحدة الصغيرة.

طاف البنا بالشطْ طافْ
والمعبغْ بلا مجذافْ[٤٣]
وعندما يفرغ البناء من بناء الغرفة يغنون من نغم البيات وايقاع الجورجينا
بنيناكِ ياأودا
بنيناكِ بالعزِ[٤٤]
بناكِ أبو حنا
أبو مَحزمْ الجزي

أما الأهازيج فتنحو منحى البنّاء فهو نقار للحجر مهندم لها عيون كبيرة وصدره منقب بفعل البارود لانهم كانوا يفجرون مقالع الحجر بالبارود
نقاغْ وعيونو كباغْ
أو صدغو امن الباغودْ امنقبْ[٤٥]
حتى في الأهازيج نلاحظ روح السخرية فكأن لهجة الموصل وقف على الاضحاك والسخرية. وهذا كما أرى سلوك منعكس عن حدة أهل الموصل وجديتهم وبعد أيام الفرح هذه تأتي ايام مليئة بالأحباط وكأنهم سعوا بأيديهم سعياً الى الحرب وتفجير معاني الحقد والكره ، فيحل مع العروس داءُ النحس منها والتوجس مما تفعل ولما كان الأمن الغذائي الذي تمارسه الأسرة مجتمعة لعام كامل وقد يمتد عامين لايعطى الزوجين استقلالاً وإنما هو استقلال بزوجته واولاده داخل غرفته لان قدر الطعام يبسط سلطانه عليه الاقوى وفي العادة تكون السيطرة للحماة وتمارس من خلاله سلطاناً لاحد له. ومن هنا تبدأ متاعب المرأة في بيت زوجها فتبدأ

الكراهية والبغضاء بين المرأة الجديدة وسكنة الدار القدامى، فأما الحماة فتفقد بمجيء القادمة الجديدة سلطانها على الابن فينقلب فرحها الى حزن وقهر. وتكتشف في كنتها من العيوب مالا يعد ولا يحصى فتمتم مع نفسها او تصرخ بصوت عالٍ.

اتعبنا أوضاغ التعبْ كلو

وصغنا مثلْ شيّالْ جلو(٤٦).

أو اتعبنا أو غاغ التعب ضايعْ

وطلعنا مثلْ خيلْ الودايعْ(٤٧)

كل التعب راح سدى وضاع كالوديعة من الخيل يأخذها اصحابها بعد حين، أو كالذي لايملك الا جله يحمله على ظهره ويعطي به. ثم تندب الحظ العاثر فمن لم يكن محظياً بصباه الأول ينكسر منجله ويفوته الوقت وكذلك من لم يحظ بما يطلب والشمس في أول شروقها يبقى مظلوماً الى يوم القيامة.

الما حـظـي بَـوّلْ إصبـاتـو

انكسر منجلو والوكت فاتوا(٤٨)

والما حـظـي والـشـمـس قـامـا

مـظـلـومْ لِي يـوم الـقـيـامـا

ويبدو ان الظلم الأشد تعاني منه امرأة الحائك لانها سجلت تعاسة هذا الظلم وحدها دون غيرها من النساء. وقد علل هذا الظلم الفادح لها بما تعانيه من زوجها المرهق بالعمل اذ يُنفّس عن تعبه وارهاقه بضرب امرأته التي تعمل معه خلف جومته بدولابها. ففضلاً عن تعبها هي بمعاونتها اياه بعمله وعمل البيت ايضاً فهو يجعلها هدفاً ومتنفساً لالامه وأتعابه. متناسياً أتعابها هي.

مـرتْ الحـايـكْ مـظـلـومـي

دولابـا خـلـفْ الجـومـي

كـلـما ايـسـدي أم يـلـحـمْ

يـضـربْ مـغـتـو قـدومـي

وقد تغص بالألم او يغصصن بالآلام فيندبن حظهن صامتات مثقلات بالحزن فيبكين ولكن دون عويل إذ هن مسبيات مملوءات ضيماً لَمهّن الحزن واضطرهن الى الصمت الساكت. تلك العزلة والاغتراب المفروض عليهن فرضاً كما هو مفروض على الانسان بحكم تكوينه الشخصي المتفرد فلا يستطيع قهر عزلته فيتجرع أساه صامتاً يائساً. ذلك ان تحقيق طموحاته تصطدم بجدار المجتمع فيتراجع تحت ضغطه مثخناً بالجراح نادباً حظه فيُصّعد جراحه بتجارة رائجة او رسم جميل ونغم بديع او نواح حزين منتظراً يوم الخلاص يوم يحقق الانسان مايريد.

لاتشوفينا ياخيتي ساجناتْ ابيوتْ

سبانا الضْيم أُو للمنا الحزنْ بسكوتْ

الفرح والحزن: الهلاهل والنواح: الحق ان المرأة تختص بتصعيد الفرح وتصعيد الحزن ولها من طبيعة صوتها ذي الطبقات عالية التردد مايجعلها قادرة على تفريغ مشاعر الفرح والحزن بطاقة صوتية متفردة لايعرفها الرجال، فالهلاهل أصوات نسائية لاتفارق الفرح اي فرح تهلهل المرأة الموصلية اذا حضرت عرساً او جاءها خبر سار أو رأت منظراً مفرحاً وهن يتبارين في أيهن اندى صوتاً وأبعد مدى واطول نفساً من الاخرى، إنك ان كنت هنا فأنت تستطيع ان تسمع الهلاهل في ايام الصيف تأتيك من أبعد بيت في المدينة وكأنما هو مصعد الى السماء او كأنه يصل بسبب من الاسباب مابين الارض والسماء كما تستطيع في الوقت ذاته سماع صوت الحَربي أو صوت الحزن، فالصوتان متجاوران ومتناغمان يعبران عن وجهي الحياة. والمرأة الموصلية بسبب من عراقتها في الحضارة كانت تضع على رأسها الاكليل عروساً يقولون للعروس: كللوكِ وفي لغة تميم وأسد يقلبون الكاف الى شين فتصير كللوشْ. اذ أن الأكليل هو نوع من التاج تشبيهاً للمرأة بالملكة ونسوة الموصل حين يبدأن بالهلاهل يقلن ك ل ل وش حيث يعطى حرف اللام التكرار المناسب للمباراة في الترجيع المستمر وعند الواو التي هي حرف مد تتبارى المهلهلات بتمويج أصواتهم

ومدها ليقوم حرف الشين الساكن مقام عتلة التوقيف لهذا الهدير المستمر والمتدفق. والأكليل عصّابة مزينة بالجواهر قال حسان بن ثابت يمدح الغساسنة.

قد دنا الفصح فالولائد

ينظمن سراعاً أكلة المرجانِ

والاكليل منزل من منازل القمر وهي اربعة نجوم مصطفة. وانكل الرجل ضحك وسحاب مُكلل ملمع بالبرق. يشترك اللفظ الشعبي واللغوي في أن الكل تعني الأحاطة والرقة والتبسم والزينة والازهار المتورة المرصوفة ولذلك يرتبط الاكليل بلباس العرس المرصع باحجار براقة والاكليل تتخذه عرائس الأمس واليوم. ويبدو ان هذا التقليد ظل متبعاً وظلت الاخريات ينظرن الى من تكلل وتلبس تاج العرس نظرة ملؤها الغبطة والبهجة والغيرة والرجاء فتنطلق اصواتهن حادة صارخة: كللوكِ: أصحيح هذا؟ احقاً كللوك؟ وتشترك الغيرة والغبطة والحسد والبهجة والرجاء اشتراكاً وجدانياً وتآلفاً كل واحدة تعبر وبصوتها المديد الطويل عما يختلج في نفسها من معان، ولكنها كلها تصب في معنى واحد هو الاحساس بأن الاكليل حلم جميل يستحق الاستهلال وعلى ذلك فان (كلل وش) ابداع موصلي فريد. فيما تكون الزغردة لدى المصريات صوتاً فيه معنى التوجع اذ ينتهي بصوت «أوى» ويسمونها زغردة ، والزغردة هو صوت ترجيع الأبل.[٤٩]

وتعدد المرأة في الحزن وتصعد الحزن بالنواح يقول أهل الموصل ناحت اذا هي غنت بصوت حزين تسيل له دموعها، وما أكثر ماتبكي النساء اذا احسسن بالضيق وما أكثر مايضحكن من خلال الدموع غير ان النواح يلازم عادة التعديد والتعديد هو ذكر مناقب الميت، والمعددة: امرأة تحترق إبكاء النساء في العزاء وتذكي مواجدهن، والمعادة حلقة تنظم النسوة الباكيات وهن واقفات يضربن وجوههن ضرباً منتظماً وموقعاً على ايقاع المعددة المثير للشجى والبكاء. وتضبط المعددة الايقاع بالتصفيق بيديها وبحركات موقعة هي بالرقص أشبه حيث تقف النسوة في دائرة شبه مغلقة ويدرن دورات متتابعة ويراهن الرائي وكأنما يؤدين رقصة من هذه الرقصات الجماعية ذات الايقاع المنتظم لولا ذلك الصوت الباكي «وُي. وُي» ولا عجب فالطرب لفظ مشترك المعنى للحزن والفرح، ولا تستطيع كل النساء القيام بهذا الجهد الشاق بل تندب اليه من كان وجهها معلماً على اللطم. والتي تعطى المعادة بغداً متوتراً وحزيناً يقولون عنها «شدت المعادة» وتقف المعددة وسط حلقة المعادة تشدها وكانت أحسن معددة بنت جربوع وهي شاعرة ترتجل الشعر بداهة في الاحزان ماتت منتصف هذا القرن او قبل ذلك بقليل. وتعطى المعددة عطاء سخياً. وكنموذج على مايغنى في المعادة من شعر

حَربي على شكَر الشُوارِبْ حَرْبي[٥٠]

جيتْ أدور علْ عجيدْ أو مالكَيتو[٥١]

الدستْ وِجْي والذلول امعكلْ[٥٢]

الدلاً امهَيلا والفحمْ غاشيها[٥٣]

هلايا كَبت اكروكي هلايا

عربْ وشوامْ لي باب السرايا[٥٤]

ابساطهم أحمرْ أوشامي

هربانْ من دوس الاجدامِ[٥٥]

هل يعد الزهيري شعراً شعبياً؟ المتعارف عليه ان الآداب الشعبية نتاج جماعي، والفرد ينطوي تحت جناح الجماعة طياً فلا يعرف من صاغ المثل او نظم الزجل او حكى الحكاية. ولكن هذا يختلف تماماً في مالدينا من زهيريات إذ دوّن كثير منها باسم ناظمه وسجل في كراريس اوكتب. وتباهى شعراء الفصحى في نظم الزهيري. حتى ان المتأخرين من الشعراء عدوا الزهيري او الموّال غرضاً سامياً من اغراض الشعر فأعملوا فيه اقلامهم وكتبوه في دفاتر اشعارهم. وكان الدكتور عبدالجبار الجومرد من



الجيل المعاصر آخر من نظمه. وقد روى للباحث عدة زهيريات من نظمه. والحق ان الموّال فن شعبي على الرغم من تدوينه ومعرفة قائله. ذلك ان قراء المقام ظلوا في حاجة اليه في غنائهم واذا عرفنا ان المقامات الاصلية اثنا عشر مقاماً: راست. عراق. أصفهان زيرافگند. بزرك. زنكولة. راهوي. حسيني. حجازي. بوسليك. نوى. عشاق[٥٦]. وأن مايقرأ من المقامات الفرعية بالزهيري يزيد على ضعف هذا العدد بكثير، وان المناقب النبوية لاتتلى الا بالمقامات الى جانب غناء المقام في المقاهي والمجالس الخاصة، عرفنا مقدار شعبية الزهيري وتساميه ايضاً وعدد هواته. والذين يتبارون في حل جناسه فهو بهذا الاعتبار من اكثر الفنون شعبية وعراقة، ولكنه تخلى عن مكانته بفقدان اهم مرتكزاته وهو المقام الذي إنحسر ظله ليحل محله هواة الاغاني الخفيفة ذات الكلمات والصياغات السهلة، وبقي المقام مقصوراً على القرآن الكريم وتجويده. وما دمنا في المقام والغناء فان مدرسة الموصل الغنائية الأدائية ذات وضوح نغميّ خاص بها فهي ليست متأثرة بالفرس او الترك والسبب هو التخصص في اداء المقامات. فكل قارئ مقام في حرفة من الحرف يختص باداء مقام يجيد غناءه اجادة تامة، وهذا يدل على المباهات في تجويد الفن ومن بعد على مايتمتع به القارئ من ذوق فني رفيع. وقد اثرت هذه الخواص النغمية في قراء المقام البغاددة وبخاصة بعد عودة الملا عثمان الموصلي المقرئ والموسيقار والشطرنجي والمغني المعروف من استنبول وسكناه في بغداد حتى وفاته[٥٧] سنة ١٩٢٣. وكان حضور الملا عثمان واضحاً في محافلها الفنية ومناقبها الدينية وانتقل الى قراء بغداد فيما انتقل مقام الناري الذي كان يغنيه الحاكة عند أداء اعمالهم اليومية الرتيبة والمملة. اذ كانت الموصل مصنع نسيج تعمل فيه طاقة بشرية كبيرة رجالاً ونساءً. ومعروف ماتعانيه امرأة الحائك من عنت.

وما بقي من المقام الموصلي مسجلاً في اشرطة قليلة اشهرها ماغناه من مقامات سيد أحمد بن سيد عبدالقادر الموصلي وأخيه سيد أمين عبدالقادر وللأخير مقام مشهور يؤديه هو مقام الناري. ويعرف سيد أحمد بأنه اشهر قارئ مقام في الموصل وقد سجل في بيروت اكثر من ستين اسطوانة وقد سجلت اسطواناته على اشرطة تسجيل ولا تزال مبثوثة لدى محبي المقام توفي في ٦ أيلول سنة ١٩٤١. وكان العازف على الكمنجا في ماسجل العازف الشهير سامي الشوا[٥٨]. ومن أراد ان يعرف الاداء النغمي الموصلي فعليه ان ينصت الى بعض قراء القرآن الكريم من الذين لم يتأثروا بالقراء المصريين او البغداديين. وفي أدناه
نماذج من الموالات- الزهيريات- لشعراء موصليين:

١- مدح عبو المحمد علي الملا عثمان الموصلي فقال:

عثمان ينبع لسانك ماي عذبن يجر[٥٩]
بلفاظ حسنات يربح من شراهن يجرْ[٦٠]
لوچان مطلوب من رام الأماني يجرْ[٦١]
چنت اندعي لاتحولْ إعن الهنا وصفاكْ[٦٢]
واصيرْ إلكْ عونْ خِلْ اموالفك وصفاكْ[٦٣]
يامونسْ الأنسْ وطيورْ السما وصفاكْ[٦٤]
جوهر عزيزْ اللي اضيعكْ ألفِ حسرا يجرْ[٦٥]

٢- ملا حسن البزاز (١٨٤٥-١٨٨٧م) وكما هو معروف فإن ملا حسن البزاز تخصص في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وله ديوان شعر مطبوع.[٦٦]

على باب جودكَ الهي نوخت راحلي[٦٧]
مهموم دهري أبد ماشفتْ أنا راحلي[٦٨]
كم أجرع الصبر مرن وصفكن راحلي[٦٩]
واصِحْ من لوعتي ياعونْ يابن الحسنْ[٧٠]
معلومْ أصلكْ اوفعلكْ دومْ دايمْ حسنْ[٧١]
إن چان اسمي أوفعلي في هواكمْ حسنْ[٧٢]
مدّاح طه النبي إيش الذي راحَ لي[٧٣]



٣- علي الصفو في ذم الزمان : [٧٤] توفي في حدود سنة ١٨٩٥ وكان علي الصفو من قراء ومنشدي التكية القادرية في الموصل واشتهر بنظم الزهيري

إنرومْ حلو الليالي بالزمانْ أو نحبْ [٧٥]
لِما يزولْ العمر ويّا المنيا أو نحبْ [٧٦]
مَ نهابها لو مشينا بالثلاثا أو نحسبْ [٧٧]
ذِي دنيتك غادرا چمْ شيبتْ كمّا [٧٨]
هِيِ والدهرْ چَمْ فلّكت للخلكْ لمّا [٧٩]
جَتنا ليالي بجينا مِنّها لمّا [٨٠]
صرنابغيرهاعليها عاد نبجي أو نحبْ [٨١]

الهوامش

(٥) الدَغَشْ : الاختلاط في حرب أو صخب. ودغش عليهم : هجم وأهل الموصل يقلبون الغين جيماً مصرية دِگَشْ.

(٥٥) وقد شُجَّ رأسي وأنا خارج من باب البيت إذ كنت صغيراً بحجر طائش من المهاجمين لمحلتنا شيخ أبي العلا

(١) للتفاصيل انظر: المطلبي - غالب فاضل ، في الاصوات اللغوية ص ١٦٣ .

(٢) وحول الخصائص الاخرى للهجة الموصل انظر : اللاوند ، عبد الحليم ، نظرات في الأدب والزجل الشعبي الموصلي ص ٤٣ حول صيغ التحبيب في اللهجة الموصلية .

(٣) قعادة : إناء نحاسي تجلس عليه المرأة في الحمام

(٤) ابراهيم - زكي ، الأغاني الشعبية الموصلية - نشرة غرفة تجارة الموصل السنة الرابعة سنة ١٩٧٨.

(٥) تهز المهد وتقول : نائم. مامش. لايوجد (الجلايل) الخرق البالية.

(٦) مابقى فيها بقية ، إتعلّي : تُعلّي. وتقول حبلى. غير الحشا

(٧) بيوم وليلة وأرادت من الله الفرج.

(٨) والتي لاتقول لك ياعيني تعمى عيناها ويموت زوجها ويعلوها الدين.

(٩) ياأماه : البُنية غالية هي خيمة حانية علينا. لاتفرحين يأم الأبن فيدك خالية من ابنك.

(١٠) بتنا حليتها القصائب وراءها. خطبها شيخ العرب ولم يعطها له أبوها.

(١١) الفيحان : الريحان

(١٢) امنين : من أين. ساگاتو : ساقاه. دتسحگ : تسحق. النا : لنا. العوين : اللوبياء.

(١٣) الجول : القبر ويلفظه أهل الموصل بجيم مثلثة.

(١٤) صَيّمَنْ : اصطافت. غنت هذه الأغنية جليلة أم سامي وهي مغنية موصلية ماتت سنة ١٩٢٤ ولها تسجيل بصوتها لهذه الاغنية باكٍ وحزين.

(١٥) بجليل : بجلال هندي : صناعة الهند

(١٦) العُلية : الغرفة الصغيرة فوق السطح. الجول : البقر يجول به الجوّال لفى يلفي حضر : جاء. المقنعا : القناع . اللني : العامة.

(١٧) الشعفة : مقدمة شعر الرأس. العِبُّ : زيق الثوب يملأ بدل الجيب بما يشتري.

(١٨) الدّراعة : مايلبس فوق الثوب أشبه بالسترة جوّا : تحت لَطا : لَبَد بالمكان. وعين بليطة : وقحة. حادة.

(١٩) قومْ. ارقص.

(٢٠) لاينقص

(٢١) أسنانه حبُّ اللؤلؤ.

(٢٢) عيونه حبة السوداء.

(٢٣) زنوده : قرع سلاّحي. وهو القرع الطويل ويمتاز بالطول والبياض.

(٢٤) شدوا عيون الخيل ياراكبون

(٢٥) راكبة على الجاموس

(٢٦) امتدَّ وسرْ. العصا. بالدير.

(٢٧) المادةُ : القيح : السكين الحادة تقطع القيح.

(٢٨) الكشك : شلغ يكبس مع الحبية فيصير حامضاً ثم يطبخ. والشلغ، خضار الشلغم ينزع بأوراقه إبان انباته لتكون كثافة الباقي منه ملائمة لتمام نضجه.

(٢٩) يغلي غلوة وتصبه.

(٣٠) البواطي جمع باطية تصنع من الخزف ليكال بها الحليب وتكون وحدة قياس للبن.

(٣١) تطعمه لأخواتها.

(٣٢) يويا : تأتي يو بمعنى لو يقولون : تجي يوما تجي وسياق الجملة يحددها بمعنى أم أي تجيْ أم لاتجيْ. وتأتي (يا) بمعنى لابقلب الياء لاماً فيكون المعنى أم لا

(٥) الحساوي : حمار أبيض سريع نشيط ينسب الى الأحساء

(٣٣) أتريدين بطرس؟ لَفتّو تنطز: عمامته تقفز. هي ماتريده.

(٣٤) حط يده على شعرها ولكن المشط جاء بيده ففزت من النوم وعافها.

(٣٥) الفَنَدُ : الكذب والاحتيال وفي التنزيل (إني لأجدُ ريح يوسف لولا أن تفندون)

(٣٦) يأهل المُقل المائلة قتلتموني

(٣٧) شال : حمل. الظعن : النسوة

(٣٨) انظر على سبيل المثال : اللاوند ، نظرات في الادب والزجل الشعبي ، المشار اليه آنفاً.

(٣٩) اليوم هو السبت وغدٌ هو الأحد. أش قد : كم. كُويس : جميلة زوجة أبلحد.

(٤٠) جاب الحب : جلب لها اللؤلؤ قال لها : البسي تمشي بالحوش فلا يوجد فيه أحد.

(٤١) البيعة : بيعة النصارى.

(٤٢) سبع ليالي. دار أبيك العالي

(٤٣) المعبَغ : المعبر.

(٤٤) أودا : الغرفة. أبو محزم الجزّي : أبو حزام الصوف المصنوع من جزة كاملة من الصوف

(٤٥) نقاغ : نقّار. صدغو: صدره. الباغود : البارود. امنقب : مُنقب.



(٤٦) صغنا : صرنا. جلّو: جلّه : الخلق من الثياب
(٤٧) طلعنا صرنا.
(٤٨) الذي لم يحظ بأول صباه ينكسر منجله ويفوته الوقت.
(٤٩) زغرد : الزغردة : هدير يردده الفحل في حلقه لسان العرب ج٣.
(٥٠) حربي على شقر الشوارب حربي.
(٥١) جئتُ أفتش عن العقيد ولم أجده.
(٥٢) القدر متروك والجمل معقول.
(٥٣) دلة القهوة فيها الهال والفحم قد غشيها.
(٥٤) الكرك : فرو الواوي. ويسمى الصنصار. تصنع منه معاطف رجالية ونسائية. ويسمى سابقاً. سمّور وهو ضرب من الثياب يتخذ من جلد حيوان يشبه السِنّور وهو فراء ثمين يتخذ للينه وخفته وإدفائه. هلايا : صوت نداء وتبنيه. هبت رجال تلبس السمّور هم عرب ومن أهل الشام توجهوا الى محلة باب السراي حيث يوجد نعش الميت.
(٥٥) يوصف البساط بأنه أحمر من صناعة الشام تهرأ من دوس الأقدام كما توصف المرأة بالعفة والحياء فيكون رأس اهلها مرفوعاً بها وهي وردة والهواء قد حنى رأسها.
(٥٦) محفوظ – حسين علي. معجم الموسيقى العربية ص١٣٧.
(٥٧) اللاوند – عبدالحليم نظرات في الزجل والأدب الشعبي الموصلي ص١٥٨.
(٥٨) اللاوند – عبدالحليم نظرات في الزجل والأدب الشعبي الموصلي ص١٥٥.
(٥٩) لسانك ينبوع ماءٍ عذب يجري.
(٦٠) بألفاظ حسان يربح أحداً من اشتراها.
(٦١) لو يجاب من رام الأماني ويجار.
(٦٢) كنت أدعو أن لايحول صفاؤك عن المناء.
(٦٣) واصير لك خلاً متآلفاً وصفياً لك.
(٦٤) يامؤنس الأنس وطيور السماء تصفك.
(٦٥) من أضاعك أضاع جوهراً عزيزاً فيجر حسرات على ماأضاع.
(٦٦) اللاوند عبدالحليم نظرات في الزجل والأدب الشعبي الموصل ص١٦٤.
(٦٧) على باب جودك إلهي أنخت راحلتي.
(٦٨) قضيت دهري مهموماً لاأجد يوماً راحة لي.
(٦٩) كم أجرع الصبر مراً وأصفق راحاً براح.
(٧٠) وأصيح من لوعتي ياابن الحسن أغثني.
(٧١) أصلك وفعلك دائماً أبداً حسن.
(٧٢) فاذا كان اسمي حسن وفعلي كاسمي.
(٧٣) فن يمدح طه النبي ماذا يروح له.
(٧٤) السامرائي عامر رشيد ، موّالات بغدادية ص٣١٩.
(٧٥) نروم حلو الليالي بالزمان كله ونحبها.
(٧٦) لما نقض نحبنا بالمنية ويزول العمر.
(٧٧) لانهاب الحياة بل نحبها ولو مشينا على عكاز او حبونا حبواً.
(٧٨) هذه الدنيا غادرة كم أشابت الشعر– اللمة– .
(٧٩) هي والزمن كم مزقت الشمل.
(٨٠) جاءتنا ليالي بكينا منها.
(٨١) فلما صرنا بغيرها عدنا نتحب ونبكي عليها.

حركة نقد الشعر في الموصل منطلقاتها واتجاهاتها

د. عبد الرضا علي

مقدمة :

النقد الأدبي جهد انساني ، يرقى الى مصاف الابداع إن كان يصدر عن نفس تتجلى فيها الموهبة والاكتساب دربةً وممارسةً . وقد حاول هذا المبحث تأصيل القول في الجهد النقدي الذي أسهم فيه أناس عايشوا الهم النقدي في مدينة الموصل ، لاسيما في حركة نقد الشعر في الحقبة المعاصرة من خلال استقراء معظم مانشر من كتابات نقدية في الصحف والمجلات في مرحلة البداءات .

وهذه المحاولة لم تكن خلواً من المعاناة التي عايشت الهم النقدي حقيقة ، واجتهدت في دراسته وتوصيفه ، وعرض نتائجه . غير أن تلك المعاناة كان يذللها أصحاب المواقف العلمية الكريمة الذين لم يبخلوا على كاتب هذا المبحث بمصادرهم ومراجعهم أو بما يملكونه من صحف ومجلات (*) .

لقد صحبت العملية النقدية الشعر قبل غيره من الفنون ، فارتبط بها وجودياً . وإن بدا قبلها ولادة .. ، فهي بداءة صاحبت الإبداع ، وارتبطت به ، قبل ان تنفصل عنه نهاية . وتوضيحاً نقول : إذا كان صانع الشعر هو نفسه صانع النقد حين تولى بنفسه تقويم الإبداع راضياً ، أم ساخطاً من غير تعليل (١) في مرحلة طفولة النقد ، فإن صانع النقد في مرحلة نضجه قد انفصل عن الشاعر حين علل رأيه ، ودلل عليه بالشرح



والتحليل. ولم يكن ذلك ممكناً من غير ان يرتقي سلالم الثقافة والخبرة، وما كان في دائرتيها.

ولما كانت مهمة النقد تكمن في خدمة أطراف العملية النقدية برمتها المتمثلة بالقارىء، والمبدع، والأثر الأبداعي، فإن نقد الشعر يعد اكثر التصاقاً بهذه المهمة من غيره، لذلك فإن مبحثنا هذا سيحاول أن يؤصل القول في حركة نقد الشعر في الموصل على وجه عام، ويبين أثرها على اطراف العملية النقدية، سواء أكانت منصبة على المناقشات التي أفرزتها كتب خصصت لنقد الشعر والشعراء من القدامى والمحدثين؛ وهو ما يدخل ضمن باب نقد النقد أحياناً، أم كانت منصبّة على نقد النص الإبداعي (الشعر) وتقويمه معيارياً، أم كانت تدور في التنظير النقدي الذي يعرض الفكر النقدي للناقد، أو جهده المتميز، او منهجه الذي يصدره في الحقبة المعاصرة، وصولاً الى تثبيت ملامحها عبر مراحل تكوينها: ولادةً ونضجاً، رأينا أن يكون منهجنا على وفق التفريعات الآتية:

البداءات: حركة نقد الشعر في الصحافة الموصلية وغيرها

كانت بداءة حركة نقد الشعر في الموصل في العصر الحديث قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بنشوء الصحف والمجلات التي صدرت في المدينة، وأسهمت إسهاماً فاعلاً في تكوين ملامح عامة لحركة نقدية في جميع مجالات الإبداع الفني، والدراسات الإنسانية المختلفة. ولما كنا بصدد نقد الشعر ليس غير، فإن هذا المبحث سيحاول الوصول الى تلك الملامح من خلال استقراء الأفكار النقدية لما نشر في تلك الصحف والمجلات من مناقشات جادة، أو دراسات حصيفة، او عروض ناقدة لدواوين شعرية عديدة، سواء أكانت لشعراء من العراق، أم من الأقطار العربية الأخرى.

ان مهمة الوصول الى تلك الملامح ليست سهلة إذا ما عرفنا كثرة المجلات والصحف التي شاركت في تكوين الوعي النقدي، ثم بشرت بتلك الاسماء التي رسمت تلك الملامح. ولعل احداً لايجادل في أن مدينة فيها مجلات مثل: «المجلة» و«الجزيرة» وصحف عديدة مثل: «الجداول» و«الوميض» و«فتى العرب» و«الرافد» و«الراية» و «العاصفة» و «المثال» و «المساء» و «صوت الأمة» و «وحي القلم» و «الفنار» و «المثال» و «صدى الروافد» و «الأساس» و «الواقع» وغيرها لا تسهم فقط على نحو أكيد في بناء الانسان ثقافياً، ومعرفياً، وحضارياً. بل انها ستجعل من اشعاعها الثقافي مناراً لا للقريبين اليها حسب، إنما للبعيدين أيضاً، فكيف الحال إذن في جانب واحد هو من صميم الأدب الوصني؟!

لقد وجد الباحث بعد الفحص ان تلك البداءات النقدية تمثلت بالآتي:

١) المناقشات:

ونعني بها المقالات النقدية التي خصصت لمناقشة كتب، او دراسات تناولت شعر شاعر، او تجربته، او سيرته الادبية بالنقد والتقويم. وهي مايمكن وصفها أحياناً بـ «نقد النقد». ولعل ما كتبه (عبدالحق فاضل) بعنوان «طه حسين.. مع المتنبي» خير ما يمثل هذا اللون[٢].

فقد لاحظ (عبدالحق فاضل) في كتاب (طه حسين) مع المتنبي على وفق ما يقول: «كثيراً من الخلط الفني... وكثيراً من التلاعب بالحقائق، والاستهتار بمدلولات الألفاظ، مما يدل على حذق موهوب، ومقدرة فائقة»[٣]. كما وجد «غير قليل من التحامل على المتنبي، ومحاولة هدمه في رفق وبراعة وانسجام»[٤]. فكان أن سجّل ملاحظةُ تلك التي كونت كتاباً في نقد كتاب طه حسين نقداً منهجياً لا يخلو من قسوة، او شدة في الطرح.

أما أهم المآخذ التي رآها حرية بالنقد فتتلخص

بالآتي :

١ – ان كتاب طه حسين لم يكن كتاباً علمياً بقدر ما كان كتاباً اصطنعه طلباً للراحة وإيثاراً للفراغ الذي يخلو فيه الى نفسه.

٢ – إن المؤلف لم يرجع فيه الى المصادر الكثيرة التي يركن الى صحتها وسدادها «التي ألفها في المتنبي المتقدمون والمتأخرون، والمستشرقون، والشرقيون، ولا رجع فيه الى شيء من كتب التاريخ، ولا احتاج حتى الى هذه الشروح التي كتبها القدماء والمحدثون يفسرون بها شعره، ويعللونه، وانما اكتفى بديوان المتنبي... وبأيسر طبعةٍ من طبعاته»(٥).

٣ – لم يستعن كذلك بالمراجع التي يستعينُ بها من يتوخى الحقيقة(٦).

٤ – اطنب كثيراً، وتوسع في اماكن ما كان عليه أن يطيل فيها، فضلاً عمّا في كتابه من استطرادات، وما فيه من استدراكات، وجمل اعتراضية(٧).

٥ – إنّ المؤلف سعى للنيل من شعر المتنبي الذي كان يتكلف نظمهُ تكلفاً حين تدعوهُ المناسبات وضرورات الحياة، تاركاً شعره الذي يبرأ من العيوب البلاغية والبيانية، ويسمو الى الذروة من الفن والجمال، والعمق في التفكير والسداد جانباً(٨).

٦ – إنه حاول ما استطاع أن يأتي بكل طريق جديد من أخبار المتنبي واشعاره، لالشيء إلا لكي يفند هذه الاخبار، ويضحك من اعجاب الناس بتلك الاشعار.

٧ – إنّ طريقة المؤلف طريقة وعرة، خطرة الوعورة، ملتوية شديدة الالتواء، لكثرة مافيها من مغالطات(٩).

٨ – إن المؤلف لايمهد للأفكار، ولايقررها حيث ينبغي تقريرها من سياق الموضوع، ولكنه يوزعها في كل مقالة، ويشيعها في اثنائه من أوله الى اخره(١٠).

٩ – إنّ طريقة المؤلف في ايراد الشك ليست للوصول الى اليقين، بقدر ما هي طريقة للالتواء «ليقرر مايشاء، ويخترع مايشاء ووسيلته الى هذا التكرار الذي يحذقهُ، والسحر الذي ينفثه فيعيد عليك مايروم في صيغ جذابة متنوعة، وانغام لذيذة مختلفة تلذ الاذن، وتطرب النفس، وتخدع البصر، وأعني البصيرة، فيطبع في ذهنك بالايحاء ماأراد من غير ان تريد أو تشعر، وبذلك يفرض عليك رأيه فرضاً وانت تحسبهُ إنما يعرضهُ عرضاً»(١١).

١٠ – وإذا أراد المؤلف أن ينقض رأياً عمد أحياناً إلى أوهى الأدلة، وأضعفها عن الدفاع عنه، فيدنو منه في حيطةٍ ورفق.. ثم يضربه ضربةً كافرةً يطير لها قلب الادلة الشجاعة»(١٢).

١١ – إنّ المؤلف قد تمّحل كثيراً في نسب المتنبي، وهذا ينافي الدراسة العلمية التي تبتعد عن التمحل، لذلك يحاجج آراءه محاججةً دقيقة في شكّهِ في نسبه، وامهِ، وأبيه(١٣).

١٢ – إن طه حسين يعجب بأبيات للمتنبي يراها من أروع ماقال من الشعر، في حين ليست هي في رأي الناقد من أبيات المتنبي التي تقبل في اعجاب «لاحدّ له» ولا هي من «أروع» ماقال من الشعر، ثم يورد تلك الابيات التي يمدح فيها أبا العشائر ليبين بعد ذلك أنّ بعض الناس قد لايقبلها في شيء من الاعجاب، سواء أكان ذلك كثيراً، أم قليلاً، وإن لم تكن من اسوأ شعره(١٤).

وعلى وفق هذا يقف مناقشاً تحليل المؤلف لبعض شعر المتنبي، لاسيا مايخصّ تغرّبه :

تغرّب لا مستعظماً غير نفسه
ولا قابلاً الاّ لخالقهِ حكما

ورثائه لجدته :

ولو لم تكوني بنت اكرم والدٍ
لكان أباكِ الضخمَ كونُكِ لي أمّا

وفخره :

وإني لمن قوم كأنّ نفوسَهم
بها أنفٌ أن تسكنَ اللحمَ والعظما

وقوله :

لا بقومي شرفتُ بل شرفوا بي
وبـنـفـسـي فـخـرتُ لا بجـدودي

وبهم فخرُ كل من نطقَ الضا
د وعوذُ الجاني وغوثُ الطريدِ

فيخالفه فيما ذهب إليه من زعم في نسب المتنبي ومعرفته لامّه وأبيه ، مخالفةً فيها شدّة وقسوة في المناقشة الى حدّ السخرية والاستهجان (١٥) .

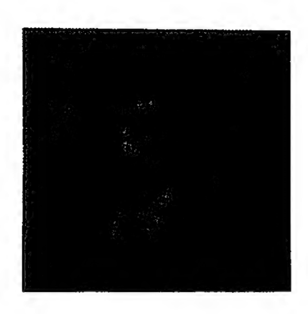
تلك كانت أهم الملاحظ النقدية التي وجهها عبد الحق فاضل الى مؤلف طه حسين (مع المتنبي) وواضح أن تلك الملاحظ كانت تصدر عن رؤية نقدية تمتلك كل مسوغات الاعلان عنها منهجياً ، فملحظ الاحاطة بمصادر الموضوع الواحد ، واستقراء جميع الدراسات التي تناولتهُ شرط اساس في منهج البحث الأدبي اليوم . كما أن انتقاء الامثلة بما يناسب الموقف الذي يسعى إليه الباحث سلفاً ، ويترك ماعداها لكونها تتقاطع مع موقفه يبعد الباحث عن العلمية ، ويفرغ بحثه من الموضوعيّة ، وبذلك يصلح البحث مجرّداً من الحيدة . وهو شرط آخر من شروط الناقد أو الباحث العلمي .

أما اتخاذ طرق الالتواء في العرض ، وايراد أوهى الأدلة ، وترك ماسواها ، والاسراف في التمحل في محاججة الآراء ، فلعلها أيضاً تنضوي تحت شرط الموضوعية في النقد .

إن مثل هذه الملاحظ النقدية التي يأخذها ناقد شاب على أحد عمالقة الأدب العربي تعدّ ملاحظ نقدية كبيرة آنذاك ، تستحقُ الاشادة ، أو التنويه ، وإن تقاطعنا معها في بعض مواقفها رأياً ، لأنّ مفرداتها تدل على ملكةٍ نقدية ناضجةٍ ، واتجاهٍ حصيف .

٢) نقد النصّ :

كثيراً مايتصدّى الدارسون لنصوصٍ شعريةٍ ، أو دواوين محقّقة ، أو حديثة بالمراجعة ، والتقويم ، أو بالعرض والتحيّة ، فيثيرون جملةً من الملاحظ النقدية التي تفيد أطراف العمليّة النقدية من جانب ، وتؤكد حضور المنطلقات الناقدة للكتّاب من جانب ثان ، فعبد الحق فاضل لم يكتف بنقد النقد ، انما كان يسهمُ في نقد النصوص الشعرية ، وتوصيف شاعر العصر الراهن موقفاً ، واسلوباً .



عبد الحق فاضل

ففي مقالته النقدية « شاعر عراقي » عني بموقف الشاعر (أحمد الصافي النجفي) من المغريات التي أحاطت به ، فأثنى على إبائه ، وبقائه نظيفاً لايتقبل منّة أحد ، ولايدين بمعروف لمخلوق « وفضله مع هذا على العراق كثير بما أضافه الى ثروته الأدبية من شعره المبتكر المطبوع ، ومنتهِ عليه كبيرة بما أضفاهُ على سمعة العراق من سمعته في الشعر والكرامة والإباء » (١٦) .

أما عن اسلوب الشاعر ، فانّ الدراسة وقفت عند النصوص الساخرة التي أثارها الشاعر في ديوانه منتقداً حالات اجتماعية عديدة ، فضلاً عن مواقف الشاعر الكثيرة التي تتسم بالمفارقات الشعرية ، مثل قوله :

أنتم نظرتُم ظاهري فضحكتُمُ
ونظرتُ باطنكمْ فعدتُ ضحوكا

وقوله :

وأعجبُ للحيوانِ إن كان بائساً
أتاني كأنّي كنتُ أعرفُهُ قبلا

فكم جاءني قطّ ينوءُ ببؤسِهِ
فشاطرتهُ همّاً وشاطرني أكلا

وقوله :

وسائلٍ قال لي : هبني لتسعدني



فلساً من المالِ يُنجيني وينجيكا
فقلتُ : لامال عندي كي أجودَ به
فقلْ لربكَ يُعطيني لأُعطيكا

أمّا المفارقة الكبرى فهي اتخاذه الأدب مهنةً ! للعيشِ المر الذي لم يحقّق لهُ شبعاً ، ولا دفئاً ، ولا سكناً .. وهو بهذا يريد أن يشير الى أهمية موقف الشاعر في الحياة :

ياصاحبيّ اثأرا لي واحرقا كتبي
أو حصّلا ديّتي من مهنة الأدبِ
بنيتُ للشعر أبياتاً مشيدةً
وما بنيتُ بها بيتاً من القصبِ

ويستشهد الدارس بعدة أبيات تصوّر بؤس الشاعر ، لكنّها تقف في الوقت ذاته معلنة انتصاب قامته :

أنا حسبي ثروةٌ من أدبِ
قد كفتني من طلاب الذهب
فليعش جيبي فقيراً إنما
فقر جيبي ثروة للأدبِ

منتهياً الى تحديد موقف الناقد من الشاعر اسلوباً، وفكراً قائلاً : «فلا نجد في شعره جلجلة ، ولا جعجعة ، ولا بهلوانيات في التعبير ولا عناية ولو ضئيلة بالمحسنات اللفظية ، ولاتجد عنده قوالب مسبوكة محفوظة كالتوابيت ، ولابهارج مزخرفة كالزهور المصنوعة من الورق»[١٧] . ثم يجدّد موقفه ناقداً من الشعر قائلاً : «أنا من الذين لايرون للشعر- الحديث على الأخص- معنى مالم يكن منطوياً على فكرة جديدة أو قديمة معروضة عرضاً جديداً ، وإلاّ فإني لا أحبُّ الوجوه المتشابهة تشابه .. فلا أميز بين واحدة واخرى ، المتحجبة بالاصباغ والمساحيق ، فلا أتبين من وراء ملامحها نفوس أصحابها وخفايا اسرارها ونواياها»[١٨] .

ويشارك عبد الحق فاضل، في تمجيد موقف الشاعر الذي يأبىٰ الانحناء للمغريات ،الباحث (وصفي البنّي) في مقالته «حديث عن الصافي» مفيداً أنه كثيراً ماكان قد صحب الشاعر في سورية ، ولبنان ، ووقف على حقيقة موقفه شاعراً وانساناً[١٩] .

على أنّ الدارس لايعدم وجود صورةٍ من صور النقد اللغوي في المجلات آنذاك ، وإن ضمّ ذلك النقد بين جوانحه بعضاً من الملاحظ العروضيّة ، وبناء التقفية ، والوقوف على المفردات الشعبية كما في الملاحظ التي قدمها «**محمود الملاح**» على ديوانه «ابن غنين» الذي حققهُ ونشرهُ (خليل مردم)[٢٠] .

إنّ مراجعة محمود الملاح تلك اتسمت بالشمول ، والاتساع ، والقراءة الفاحصة ، إلا أنها لم تصل الى نتائج نقدية بقدر ما أشارت الى الخلل أو الخطأ اللغوي ، أو الضبط بالشكل ، فهي خلوٌ من المنطلقات الناقدة .

وعلى وفق هذا فانّ معظم التحيات التي كانت تكتب على أنها عروض نقدية هي من هذا اللون الذي لايثير ملاحظة يمكن عدّها في محصلتها النهائية منطلقات نقدية ، مثل عرض **ذي النون الشهاب** لـ «ديوان التيمي»[٢١] الذي حقّقهُ ونشره علي الخاقاني ومحمد رضا السيد سلمان المحامي ، فهو تحية أدبية يزجيها أديب لناشرين ليس غيرا . وليس معنى هذا أنّ الشهاب لم يكن يكتب نقداً جاداً ، انما أردنا أن نشير الى أنّ بعض العروض كانت بمثابة تحيات للمؤلفين لا للأثر الأدبي الابداعي .

أما النقلة الكبيرة في نقد النص الشعري التي وقفنا عليها في الصحافة الموصلية وغيرها ، فهي ماساهم بها (**محمود فتحي المحروق**) وزملاؤه من الشعراء المجدّدين ، فقد كانوا يؤسسون لتجديدهم الشعري (حداثتهم) تنظيراً ، سواء أكان ذلك في مقالاتهم التي ينشرونها في الصحافة الأدبية ، أم في مقدماتهم لدواوينهم أو مجموعاتهم الشعرية ، أم في نقدهم لتلك الدواوين والمجموعات نقداً فنياً لايخلو من منطلقات واضحة .

في نقد محمود المحروق لديوان **شاذل طاقة** «المساء الأخير»[٢٢] الصادر سنة ١٩٥٠م عرض





شاذل طاقة

لكثير من الأفكار الجديدة التي يراها الناقد حرية بالتصدي للأفكار العقيمة التي لا تؤمن بالتطور، والحداثة. فمنذ البداءة يرفض تعريف القدامى للشعر بأنه «الكلام الموزون المقفى» لأنه يجد أن هذا التعريف يقود الى «ان الكلام ما دام يخضع لدائرة الأوزان والقوافي فهو شعر.. حتى لوكان لغواً» (٢٣).

في هذه المقالة النقدية يدلل المحروق على وعي نقدي مبكر بدور الشعر في الحياة، وقدرته على تجاوز حالات التردي والعقم الى حالات إبداعية تقود الأدب الى مدارج الرقي والتقدم، وتجعله قادراً على التعبير عن هموم العصر؛ ومشكلاته. وفيما يأتي أهم الملاحظ النقدية التي يثيرها المحروق، وأبرز منطلقاته فيها:

١ - إن الحداثة في الشعر ثورة صاخبة على الأساليب القديمة، والأخيلة العادية، والآفاق الضيقة. لذلك فإن إصرار بعضهم على تقديس الأسلوب القديم في استيحاء الأطلال، وبكاء الأجداث يجعلهم يعيشون في عقلية القرون الوسطى (٢٤).

٢ - ليس كل من هبّ ودبّ يقال له شاعر.. فما يخرج من القلوب يدخل اليها، ويتغلغل في دمائها، وما يخرج من اللسان لا يتعدى الآذان.

٣ - لايمكن للشعر في أية حال من الأحوال أن يكون بوقاً للتهريج، والتلاعب بالعواطف.. ومتى لبى الشعر رغائب الناس وسار في ركبهم هوى الى الحضيض، وكان نظماً، بل لغواً لا يمت الى الشعر بأي سبب.. وحينذاك يكون خلواً من العواطف التي تجيش بقلب الشاعر الصادق التعبير.. بل تكون في بعد شاسع عن روحية الشعر الذي هو لغة انسانية صافية.

أما نقده التطبيقي لشعر شاذل طاقة فقد دلّل فيه على ان أفكاره التنظيرية في العملية الابداعية كانت تصدر عن ملكة شاعرة، ومن شأن هذه الملكة أن تتفق مع عواطف نص وأخيلته وأفكاره، ثم تتقاطع مع غيره، على وفق المعيارية التي تؤمن بها تلك الملكة.

لهذا وجدناه قد تقاطع كثيراً مع نصوص الديوان في الملاحظ الآتية:

١ - وجد في بعض الأبيات مفردات زائدة كان يجب حذفها، لأن الصورة الشعرية توحي بالمحذوف.. ويلاحظ هنا اهتمام المحروق بالصورة اهتماماً واضحاً (٢٥).

٢ - وجد ان الشاعر لم يوفق في بعض تجاربه الشعرية، إذ كانت مضطربة، مثل قصيدة «لقاء» و«ليل الصب»، اما الاضطراب ففي قول شاذل:

نتحاشى اللقاء خوفَ افتضاحٍ
وعلى الوجه ألفُ ألف دليلِ

لأنّ المحروق وجد في «هذه الآلاف الزاخرة من الأدلة قد أضفت على البيت صورة سمجة تافهة» (٢٦).

أما «ليل الصب» التي يعارض بها قصيدة الحصري القيرواني:

يـاليـل الـصـبُّ مـتى غـدهُ
أقـيـامُ الـسـاعـةِ مـوعـدهُ؟

فقد رفضها الناقد، لكونها ليست تجربة حقيقية، انما تقوم على التقليد، فقال: «إنّ زمن المعارضات قد مات كما مات أهلهُ.. كما أنّ فكرة المعارضة اصبحت أمراً تافهاً غير ذي قيمة أدبية وفنية.. إن لم نقل هي تقليد وتشويه للصور الرثة التي فاضت بها مخيلة الشاعر القديم» (٢٧).

٣ - إن بعض أبيات شاذل كانت بمثابة اعادة



صياغة لأبيات سابقة في قصائد أخرى «وهذا مما لايستحب أبداً»[٢٨].

٤ - انّ الشعر السياسي على وفق مايرى المحروق «شعر مناسبات يموت مع موت الحوادث الطارئة التي نظم بمناسبتها» ،بخلاف الشعر الوجداني الخالد مع الدهر، المنبثق من أعماق النفس.

٥ - لم يجد في الديوان صورة صادقة واضحة المعالم عن حياة الشاعر كما ذكر في المقدمة، فقد وجده مختلف الأغراض والمقاصد، متباين الاتجاهات، فمن قديم الى حديث، ومن اسفاف الى سمو.. ويرجع ذلك الى السرعة التي كانت ترافق الشاعر بالحاح في اخراج ديوانه الأول[٢٩].

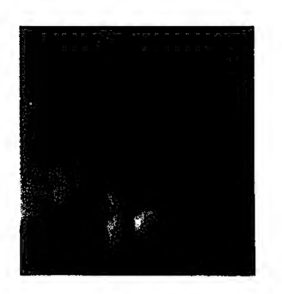
إنّ نقد المحروق لشعر شاذل وإن كان نقداً لاذعاً في بعض جوانبه، الاّ أنه كان يصدر عن نفس صادقة، فهو صديق حميم لشاذل، لكنّ وجهة نظره النقدية لم تتأثر بتلك الصداقة، فكانت موضوعية فيما تؤمن به، وإن تقاطع المتلقي معها. لأنّ أول شرط في النقد الجاد هو قول الحقيقة، والابتعاد عن الضغينة، واللؤم، والمحاباة والمداهنة. وليس هذا غريباً على المحروق، فهو شاعر قبل أن يكون ناقداً، وهو من جيل الروّاد الأوائل الذين بشروا بالشعر الحر، وان نسيه النقد، فقد كان مع زميله شاذل يسهمان في حركة الحداثة منذ نهاية الاربعينات[٣٠].

إنّ منطلقات المحروق النقدية منطلقات جريئة، قال فيها مايؤمن به على نحو من الصراحة والوضوح، من غير أن يخشى في نقده احدا، فكان أن سار على نهجه هذا في كل ما كتبهُ من نقد بعدئذ، وهو كثير، إلاّ أنه لايخرج عن هذه المنطلقات التي تدعو الى الحداثة، والابتعاد عن التقريرية، واجترار الصور القديمة، وتقليد الاقدمين، لأن الشعر الجيد هو ماكان صورة صادقة لهموم العصر الذي يعيشه الشاعر، واشكالاته الراهنة، بعد أن يكون تعبيراً عن تجربةٍ صادقة تحمل عواطف قائلها وأخيلته، وافكاره، بايقاع مناسب، ومن تلك المقالات: «أغاني الربيع»[٣١] و «اجنحة النور»[٣٢] و «رياح وشموع»[٣٣] و «زامر الحي.. لايطرب»[٣٤] و «لحظات قلقة»[٣٥] وغيرها.

أمّا زملاء المحروق، ومجايلوه فقد شاركوا في نقد النص الشعري الحديث على مستويات. فالشاعر منهم ينظر الى النص الذي يتصدى لهُ على وفق أفكاره هو، وموقفه الذاتي من الموضوع المطروح، والناقد اللغوي يقف عند مفردات أو عبارات يراها تزري بالنص، في حين يغلّب بعض دارسي النصوص الشعرية انطباعاتهم النقدية الخاصة على عموم التجارب، وإن تقاطعت منطلقاتهم مع منطلقاتها في حقيقة الأمر.

فأحمد محمد المختار (وهو شاعر ملتزم) كان يريد من الشعراء أن يقتربوا من مجتمعهم، والاّ يستغرقوا في الحسرات، والآهات، لأن تلك الاتجاهات مرغوب عنها، لذلك دعا في نقده لديوان «قيثارة الريح» الشاعر الى الالتفات الى أهمية الشعر الاجتماعي الذي «يعكس صورة الحياة وواقع الانسانية المتردية.. تحت صخور العذاب والهلاك، والمتقلبة على الشقاء والعناء» كما دعا الى الابتعاد عن التشاؤم والحيرة[٣٦].

أما «جلال الخياط» فحين تصدى للديوان نفسه حاول أن يجعل من النصوص الشعرية دليلاً له في منطلقاته. ومثل هذا النقد يخدم جميع أطراف العملية النقدية، لأنه لايرسل الكلام جزافاً، لكونه يستقري النصوص وصولاً الى الملاحظ النقدية، فكانت ملاحظتهُ تشير الى أنّ حياة الشاعر كانت مليئة بالألم، لذلك كانت صورة هذه الحياة في الشعر سوداء قاتمة مرعبة، وخلص الى أنّ الشاعر كان متأثراً بشعراء المهاجر، ودفع عنه التهمة القائلة «شعره ذاتي لايعبر عن روح العصر» بقوله: «إنّ الأدب الصحيح الصادق سيحيا ويخلد سواء أكان ذاتياً أم معبراً عن الحياة، ولكن على الاّ يكون الأديب متطرفاً مغالياً في تطرفه»[٣٧] وخلص أحمد قاسم الفخري حين تصدى لـ «قيثارة الريح» ناقداً الى النتائج الآتية:



أحمد قاسم الفخري

١ - قدرة الشاعر الفنية في التصوير.

٢ - تأبى مخيلة الشاعر أن تكرّر الصور، أو تقيدها.

٣ - جدد الشاعر في الاساليب، وانطلق في الاوزان.

٤ - عاب على صور الشاعر مايكتنفها من ضبابية ورمزية.

٥ - خلص الى أنّ حرمان الشاعر من السعادة هو الذي قاده الى البؤس.

وكل تلك الملاحظ النقدية كانت حصيلة نقده التطبيقي، واخضاع شعر الشاعر الى التحليل والتفسير. غير أنّ مايستحقّ الاشارة في تلك الملاحظ ماذكره في قضية الصورة الفنية، الى جانب اشارته الواضحة الى التجديد في الشكل، والايقاع، لكون الشاعر كان قد نظم قصيدتين من الشعر الحر، وإن لم يصّرح بذلك، فضلاً عن أنّ الناقد كان يرى ذلك (انطلاقاً)، أي هو أقرب الى مصطلح الشعر المنطلق منه الى الحر في قوله «وستجد فيه تجدّداً في الأساليب وانطلاقاً في الاوزان، واختياراً دقيقاً للألفاظ الموسيقية الملائمة»[٣٨]. لأنّ المصطلح لم يكن آنذاك قد استقر.

أمّا سامي طه الحافظ في مقالته النقدية «مع المحروق في قيثارته» فقد اختلف مع الجميع، منطلقات ونتائج، يمكن أن تتلخص فيما يأتي:

١ - حكم على الشاعر بالذاتية المجرّدة، أو بالأنانية.

٢ - رفض فكرة «الفن للفن» ورآها قد ماتت، لأنه يعيش في عصر يسعىٰ الى التحرر والانطلاق والحرية، ولايكون ذلك على وفق مايرى الاّ إذا قدمنا أرواحنا ومواهبنا فداءً في سبيله. ثم رأى في تراجع) الشاعر نزار قباني والشاعر عبد الوهاب البياتي [!؟] عن شعرهما الذاتي نحو تصوير المجتمع ماذهبَ اليهِ من منحى.

٣ - إنّ الشاعر كان متأثراً بعمر أبي ريشة، لكنّ هذا التأثر كان الى حدّ الوقوع تحت طائلته صوراً وقوافي، كما أنه كان قد تأثر تأثراً واضحاً بالشاعر «فؤاد بليبل» في ديوانه «أغاريد الربيع» الى حدّ التشابه أحياناً.

٤ - عاب على الشاعر تركه الوطن نحو الحب، والجمال[٣٩].

ولّما كان هاشم الطعان قد خصّ «قيثارة الريح» بملاحظ نقدية لاتخلو من احتفاء ببعض صوره الشعرية، وفي فحص النص، ودراسته، وتبيين ماله، وماعليه[٤٠]، فقد رأى في نقد الحافظ تجنياً على الشعر، فكتب ردّاً على نقد الحافظ رجاه فيه الاّ يقضي باعدام البلبل (كناية عن الشاعر) لأن الحياة تصبح جافة دون أغاريده[٤١].

على أنّ المتلقي يجد في مقالة الطعّان النقدية الأولى ماينم على موضوعية علمية واضحة. فهو بعد أن حيّا الديوان، واسهم في عرضه، وتبيين مؤثرات الشاعر، وقف على بعض صوره مناقشاً، رافضاً مالا ينم على براعة في البناء، فضلاً عن أنه رأى في قبول الشاعر للسناد في «روح ونوح» و «الموج والهوج». في قوله:

بـــــل أنـــــا روحٌ
مــــفــــعــــمُ الاسرارْ
وأنـــــا نَـــــوْحٌ
رجــعُــــةُ اعــــصـــارْ

وقوله:

خـــافقي المـــســـعـــور
كـــهـــديـــر المـــوجْ[٤٢]

هـــل وعـــىٰ المـــقـــدور
صرخـــــــــاني الموجْ؟
مايعيبهُ في التقفية . كما رأى في ايراد (عرضاً وطولاً) قافيةً مبتذلةً في قوله :
أيّـها الـشاعرُ الـذي يـتـغنّـى
تهتَ في الكائناتِ عرضاً وطولا[٤٣]
مختتماً مقالته النقدية بالطلب الى الشاعر أن يئد قصيدة (ملهمتي)[٤٤] لأنّ المطلع :
حـــبـيـبـتي لاتحـجـمـي
عـن الـلـقـاء.. وأقـدمـي
لاينم على أيةِ براعة ،... وايراد (المعدم) في قوله :
فـقـيـل لي : حـوريـةٌ
تـأسـرُ قـلـب المـعـدمِ
قلقة في البيت ، أمّا (النيسم) في قوله :
وبـسـمـة الأكـمام في
روضٍ زكـي النيسم
فهي من مهجور اللغة[٤٥] .

وهي ملاحظ نقدية جوهرية في بناء القصيدة معنى ومبنى .

إنّ نقد النص لم يكن ليخرج عمّا ذكرناه من ملاحظ ، ولم يكن نقداً من غير تجليةِ فكر ، أو وجهات نظر ، وإن بدا فيه أحياناً ماينمُّ على تبرم ، وقسوةٍ ، لأنه نقد كان يتصف بالموضوعيّة والامانةً ، ومحاولة خدمة الابداع وصولاً الى تحقيق صورةٍ مثلى لما ينشده الشاعر الحديث من تجديد ، وتجاوز ، وعلى وفق هذا كانت دراسات «أكرم فاضل»[٤٦] و «بشير حسن القطان»[٤٧] «سامي أمين»[٤٨] ، وغيرهم .

٣) التنظير النقدي :

وهو محاولة ايجاد مسوّغ نظري للأفكار النقدية ، وجعل تلك المسوّغات أحكاماً منهجية يلتزم بها صانعو الابداع من جانب ، ويتخذها النقد معياراً له من جانب ثان .

ومثل هذه الأفكار لن يتأتى لها الذيوع والانتشار قبولاً او رفضاً إن لم تكن وراءها خبرة انشائية في مجال الابداع ، وممارسة ميدانية في حقول النقد التطبيقي ، ودراية واسعة بالمعايير ، والأحكام قديماً ، وحديثاً .

وقد وجدنا دراستين فقط تتصفان بكونهما تنظيريتين في نقد الشعر مما نشر في الصحف والمجلات في مرحلة البداءات ، وهما : دراسة شاذل طاقة الموسومة بـ «في جنة عبقر»[٤٩] ، ودراسة محمود المحروق الموسومة بـ «في سماء الشعر»[٥٠] .

في أفكار شاذل طاقة منطلقات نقدية ترقى الى الأصالة في التنظير في بداية الخمسينات ، لكونه يطرح امام المتلقي مجموعة من الآراء التي تجد صداها عند المتلقي بيسر وهو يستقبل عرضها الجميل من لدن شاعر موهوب يحمل سمات الناقد العارف ، ومن هذه الآراء ، أن الشاعر عنده هو الرائد الذي يكشف للنفس الإنسانية آفاقاً روحية فسيحة تحوم فيها تلك النفس ، وتنسى واقعها وأشجانها.. لذلك لاينكر عليها حاجتها الى غذائها الروحي ، فيشير الى أن هذا الغذاء لن يكون بغير الفن أبداً ، ، مع أنه يؤكد ، أن الشعراء هم روّاد هذا العالم الروحي ، وأن لكل واحد منهم عالماً خاصاً به تعارف النقاد أن يشبهوه بنبع كبير هو نبع الحياة[٥١] .

ويقف شاذل منبهاً الى أهمية التجربة في حياة الشاعر ، لأنها تنقله الى عالم روحي سام فسيح الجنبات ؛ ويمثل للتجربة الناجحة بقصيدة طاغور (في السوق) التي تسجل خواطر بستاني وهو يعود الى زوجه في المساء . ويرى ان سبب نجاح هذه القصيدة وغيرها ، كونها تعبر عن تجربة شعورية موحدة ، لأن العربي وغيره يشتركان مع الشاعر في هذه التجربة .

وعلى وفق هذه الأفكار يعلن أن الطبيعة والحياة شيء واحد . وإذا كان الفن تصويراً للطبيعة فهو تصوير للحياة بعبارة أعم.. لذلك يرفض الفكرة القائلة ان الفن انما هو تقليد للطبيعة ، لأن التقليد يوحي بالفناء أكثر مما يوحي بالحياة ، ويرد على

القائلين إن الفن انما هو تقليد للطبيعة قائلاً: «ولو قالوا إن الفن تصوير للطبيعة أو بالأحرى خلقٌ للطبيعة في نفس مبدعة شاعرة، لكانوا قد أدركوا الحق، وبلغوا الصواب»[٥٢].

ثم يعالج قضية الصراع بين القديم والجديد، فيرى أن الموسيقى في أي عصر من العصور تكون منسقة مع طبيعة الحياة في ذلك العصر، لذا فإن موسيقى الشعر العربي المعاصر يجب ان تكون متسقة مع الذوق العربي المعاصر، ومنبثقة من صميم حياتنا الراهنة.. ويعلن أنه لايدعو في هذا الى هدم العروض العربي القديم، ولكنه يشير الى امكانية الاستفادة من هذه الاعاريض القديمة وتحويرها الى ما ينسجم مع هذه الحياة المعاصرة، ويذكّر بما فعله الاندلسيون حين انسجموا مع الحياة الاندلسية الجديدة الجميلة، مذكراً في الوقت نفسه بأن المهجريين أفلحوا في هذا المضمار أيضاً حين ساروا على نهج الاندلسيين مسوّغاً نجاح المهجريين بالقول: «لأن تجديد الاندلسيين كان منحصراً في قوافي الشعر على الأكثر، وفي أوزانه على الأقل، ولكنهم لم يحاولوا التجديد في جوهر الشعر: في معانيه، وأخيلته وأساليبه، بينما فطن المهجريون الى كل هذا، فهجروا المسالك العروضي القديمة، وحوّروها، وبدلوا فيها، وجدّدوا في أساليب الشعر وأخيلته ومعانيه»[٥٣].

ثم يدعو الى التلاقح الثقافي، فيقرر وجوب اتصال الأديب العربي المعاصر بالآداب الاجنبية الأخرى، مدللاً على أنّ العرب قديماً عرفوا ذلك، وافادوا منه، وفي شعر أبي العلاء والمتنبي مايفصح عن أثر تلك الثقافات قديماً «وتستطيع أن تجد الفروق واضحة بين كل من شوقي والرصافي مثلاً من حيث تأثير الثقافة الاجنبية في كل منها».

على أنه يجد أن تجديد شعرائنا الشباب كان من نتائج تأثرهم بآثار الغربيين من جهة، وآثار المهجريين من جهة ثانية.. وهو بهذا انما يشير الى حركة الشعر الحر، لكن المصطلح آنذاك لم يكن قد استقر بعدُ. لذلك يسميه بـ «المنطلق» واصفاً اياه بانه لم يكن ضرباً مبتكراً ولا مبتدعاً، ولكنه تجديد مبني على الاصول العربية القديمة في العروض، فيه يتحرر الشاعر من قيود القافية الموحدة، ولايكتفي بذلك، بل يتحرر من قيود الوزن بعدد التفعيلات العروضية الموجودة في كل بيت.

إنّ تلك الاراء في الشعر «المنطلق» هي عينها التي بشرت بها نازك الملائكة انذاك، وهذا مايؤكد ريادة شاذل الى جانب الروّاد الاخرين تنظيراً وتطبيقاً.

وشاذل لايكتفي بالتنظير لمنطلقاته النقدية، انما يشفعها بالتطبيق، فيقف محللاً قصيدة السياب «في السوق القديم» تحليلاً نقدياً رصيناً يصل فيه الى أن هذا الضرب من الشعر يستطيع أن يحلق بالقارئ الى عالم روحي سام، ويشركهُ في تجربته الشعورية الحالمة، ثم يذكر أن هذا الضرب من الشعر مزجٌ بين الوعي واللاوعي في التعبير عن التجربة الشعورية، وهذهِ الاشارة «بين الوعي واللاوعي» لم ترد عند أي ناقد، أو دارس قبله، مما يؤكد على رصانة آرائه، وأصالتها.

وحين يدعو إلى الاهتمام بالصورة الشعرية فانّ دعوته تلك تعدُّ بكراً أيضاً في المعيار النقدي، كما أنه حين يقرر أنّ عهد القافية الواحدة قد مضى، أو أنه أوشك أن يمضي، وانّ هذا النسق المعبر ملائم لطبيعة الحياة المعاصرة، يشارك نازك الملائكة في منطلقها النقدي المتمثل في الخروج على وحدة القافية (الآلهة المغرورة) في شظايا ورماد، وهو منطلقها النقدي الذي تراجعت عنه بعد حين من الزمن**.

إنّ منطلقات شاذل النقدية ناقشت قضايا عديدة في عملية الخلق الشعري، والموقف من ذلك الخلق، لذلك عالجت تلك المنطلقات: الشعر والنثر، والشعر والمجتمع، والشعر والسياسة، ثم موقف الفن من المجتمع، وقضيّة الخلاف بين من يقول بـ «الفن للفن» والذي يقول بـ «الفن



للمجتمع» منتهياً الى القول: «إنّ الفن الرائع هو التصوير الصادق للحياة والتعبير عن آثار احداثها ومشاهدها في النفس الانسانية بطريقة فنية تضمن المشاركة الوجدانية بين الكاتب أو الشاعر، وبين السامع أو القارئ.. وإذا كان الامر كذلك فانّ الفن الرائع هو الحياة، ولانستطيع أن نقول حينذاك إن هذا الفن لايثير المتعة الفنية الخالصة، ولا يعمل على ترقية الذوق وتقويم الطباع المعوجة.. وإنّ صاحب هذا الفن نبي بين قومه، وهو لايؤدي لهم خدمة اجتماعية محسوسة مباشرة، ولكنه يربي أذواقهم، ويثير متعتهم الفنية الخالصة، ويبصرهم بالحياة. ويكفي الفنان هذا لأن يكون نبياً ذا رسالة روحية بين الناس».

وهو بهذا يقف مع دعاة الفن للفن في تلك المرحلة، معلناً صراحة أنّ كثيراً من الشعر السياسي قد مات، وأنّ أصحابه الشعراء قد طمرهم النسيان «وإذا أردت الافصاح فاني اعتقد أن كثيراً من شعر الزهاوي والرصافي وشوقي وحافظ والجواهري سيدرجه التاريخ الأدبي في أطمار النسيان، وسوف لايعرف الناس عن هؤلاء الشعراء إلا أنهم شعراء عاديون لم يكونوا امراء شعر ولا سلاطينه»[٥٤].

انه بهذا أجرأ ناقد في بداية الخمسينيات يعلن مثل تلك المنطلقات ويبدو أنّ معظم آرائه الخاصّة جداً قد أخذت طريقها اليوم الى الشيوع، حتى وجدنا من يقول: إنّ حداثة الروّاد أضحت قديمة.

إن شاذلاً لم ينسَ شواعر العراق المجيدات وهو يقرر معيارية القصيدة الجديدة، لذلك استشهد بقصيدة نازك الملائكة (ثورة على الشمس) وقصيدة لميعة عباس عمارة (شهرزاد) واجداً فيها نتاجاً رائعاً يستحق الذكر والاستشهاد.

على أن ايمان شاذل بالحداثة جعله يشيد بقصيدة نثر كتبتها (سراب) وهو اسم ربّما يكون غير صريح، فاثبتها وأشار الى أنه يميل الى وصفها بالشعر على رأي الغربيين الذين يطلقون لفظ (القصيدة أو الشعر) على كل قطعة فنية فيها خلقٌ للحياة، وتصوير للمشاعر والأحاسيس[٥٥]، وهو بهذا يكون قد سبق بعض نقادنا اليوم الذين بدأوا يروّجون لقصيدة النثر التي بشّرت بها قبلهم الناقدة (سوزان بيرنار)[٥٦] ودرست تطوّرها الفني.

أما دراسة **محمود المحروق**: «في سماء الشعر» فقد نظّرت لثلاثة منطلقات في نقد الشعر: كان الأول خاصاً بالماهيّة، في حين كان الثاني خاصاً بالاجتماعية، كما كان الثالث لصيقاً بالفنية.

في المنطلق الأول يقف على عنصرين اساسيين للشعر، هما: الموسيقى الشعرية أولاً، والدفقة النفسية ثانياً، لأنه يرى أنّ الموسيقى هي من أهم مقوّمات الشعر اطلاقاً، لذلك لايتردد حين يجعلها «هي الشعر نفسه»[٥٧].

أما (الدفقة النفسية) فهي الطاقة المتغلغلة في أرجاء الألفاظ، ولتوضيح مايعنيه بتلك الطاقة يقول: «في عملية الانفعال الشعري تنتقل الافكار والاحاسيس الى الورق خاضعةً للألفاظ، مشحونة بالخلجة النفسية المنبثقة من أعماق الشاعر.. وتبقى هذه الخلجة النفسية مخزونة في الألفاظ الشعرية حتى تجد لها محكاً من نفس اخرى.. وحينئذ فلابدّ من انفعال.. ولابد من انجذاب.. ولابدّ من انتقال، فتتدفق الخلجة النفسية متنقلة من الألفاظ الى النفس المنفعلة منساقة بتيار الخطوط (المغناموسيقية) المنبعثة من المجال الموسيقي اللفظي»[٥٨].

والمحروق في هذا المنطلق يؤكد على ماذهب اليه محمد مندور في فكرته عن «الشعر المهموس» الذي يمسُّ أعماق النفوس بايقاعه، وايمائه».. فضلاً عن آراء (برجسون) التي ترى أن أساس الكون موسيقىً خفية المبّة، وما على الشاعر إلا أن يقبس من هذه الموسيقى فيعمر بها النفوس، إلى جانب ماذهب إليه (كارليل) من أنّ الشعر الحقيقي هو الموسيقى الازلية التي يسمعها الشاعر من وراء الوجود[٥٩]!

أمّا منطلقهُ الثاني «اجتماعية الشعر» فيدعو الى رفض الفكرة القائلة بربط الشعر بالمجتمع، لأنه

يرى في تلك الدعوة كذباً، ورياءً تحجب وراءها ليالي حمراء، واكؤساً دهاقاً، وغواني حساناً، ثم يشدّد على الرفض قائلاً: «من منهم آوى شريداً في بيتهِ، ليلة واحدةً فقط؟ من منهم لايهرب الى كل سرداب أو مغارة لو دعا الداعي الى سوح الوغى؟ بم يختلف عنهم الشاعر ليحمل كل هذه الأعباء الثقال؟ أفي انسانيته؟ أفي تركيبه؟ كلا.. فليست هناك مثل هذه الفوارق».

وهو يرى أن نظم القصائد الاجتماعية يحيل الشاعر الى مصلح أجتماعي، أو واعظ ديني، وليس ذلك هدف الشعر، فيقول: «أمامنا الرصافي، وغيره كثيرون من دعاة الشعر الاجتماعي، والسياسي. لقد نظم الرصافي وتلامذته عشرات القصائد في الارامل، واليتامى، والفقراء، والعميان والمقعدين والمساجين، وسوء الحالة الاجتماعية والوطنية، والاقتصادية، فكانوا بذلك وعاظاً واخلاقيين، ومشرعين، وساسة اكثر منهم شعراء؟ ثم ماذا كانت النتيجة؟»[٦٠]. وهو في هذا المنطلق يذهب الى ماذهب اليه قبله شاذل طاقة من أنّ غاية الشعر ليست اصلاحية، وبالتالي فانّ الفكرة القائلة بانّ الفن للمجتمع لاتحظى بتأييده مطلقاً.

أما منطلقهُ الثالث «فنية الشعر» فيؤكد فيه على أهمية الخيال في النص، واثر التجربة الشعورية في الابداع، وغاية الفن في محصلته النهائية. فيرى أن التجربة الشعورية «واحدة في كل الحالات، إلاّ أنّ كل فنان ينفعل بها من زاوية معينة، فيعبر عنها بطريقته الخاصة شريطة أن يكون هذا التعبير موحياً مثيراً للانفعال في نفوس الآخرين، ليعيشوا تجربة الفنان فيتمثلوها... فقيمة الاثر الفني ليست بمدى تحقيقه للنظريات العلمية والفلسفية، أو القضايا الاجتماعية والاخلاقية، أو الاغراض الوطنية والسياسية.. كلا.. انما الغاية الاساسية الأولى والأخيرة من كل أثر فني، أن يصوّر لنا تجربة شعورية حية تصويراً موحياً مثيراً للأنفعال، فينقلنا من عالم جامد ملؤه الجفاف والألم، الى عالم ندي رقيق ملؤه الأخيلة والمشاعر والاحلام». ثم ينتقل الى غاية الفن فيراها غاية خاصة ذاتية، لذلك يرفض ادخال المنطق في الفن، منتهياً الى نتيجة موضوعيّة جريئة منطلقاً، ومعياراً هي «انّ الفن والمنطق على طرفي نقيض، فكثير من الآثار الفنية إذا ماحوكمت محاكمة عقلية رياضية؛ فقدت كل قيمة فنية، وسقطت من كل حساب، ثم أن رسالة الفن ليست وعظية، ولا أخلاقية، ولا يقف الفنان مع النبي على صعيد واحد في نظرتها الى الكون والحياة الانسانية والمسائل الكبرى.. ولكنها يفترقان في طريق أداء رسالتيها»[٦١] مختتماً منطلقاته بالكلام على الفن من أنه اعلاء للنفوس، وخلق للحياة، وتصوير للمثل العليا، وتحقيق للرغبات المكبوتة، وتلهف نحو الحقائق وارتواء من معين الجمال، ودفع للانسان نحو الخلود، (وتكامل) في نقص الحياة.

وهو بهذا يضع معياراً في نقد الشعر، وهذا المعيار هو فن الشاعر ليس غيرا.

إنّ هذه المنطلقات التي وقفنا عندها في البداءات هي التي قادت الى تكوين الاحكام النقدية الرصينة في مرحلة نضج النقد، وكونت اتجاهاته، فتبدت منها نظرات فكرية، ونظرات نقدية، وتكاملت بها شخصيات ناقدة بعد ذلك.

الهوامش

- يقدم الباحث شكره وتقديره للاساتذة الذين لم يبخلوا عليه بما يملكونه من مصادر ومراجع، ويخص بالذكر الدكتور إبراهيم خليل احمد رئيس قسم التاريخ بكلية التربية - جامعة الموصل والاستاذ الشاعر الرائد محمود المحروق.

(١) ينظر: في النقد الادبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، د. عبد الرضا علي و د. فائق مصطفى احمد (ص ٩٣) منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٩م.

(٢) نشرت مناقشاته متسلسلةً في مجلة «المجلة» الموصلية، تنظر الاعداد: (١ - ٥) المؤرخة في (١/١٠، و١٦/١٠، و١/١١، و١٦/١١، و١/١٢/١٩٣٨م).

(٣) مجلة المجلة ع ١: ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.
(٧) نفسه.
(٨) نفسه، ع ٢ : ٨٠، ٨٢.
(٩) نفسه.
(١٠) نفسه، ع ٣ : ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦.
(١١) نفسه.
(١٢) نفسه.
(١٣) نفسه ع ٤ : ١٧٦ - ١٧٩.
(١٤) نفسه ع ٥، ٢٠٨، ٢١٢ - ٢١٤.
(١٥) نفسه.
(١٦) مجلة «المجلة» ع ١٣ : ٥٩٣، ٥٩٨، ٥٩٩، في (٢١ نيسان، ١٩٣٩م).
(١٧) نفسه.
(١٨) نفسه.
(١٩) مجلة المجلة ع ١٥ في ١٦ حزيران ١٩٤٠.
(٢٠) مجلة «الجريدة» ع ٢٦ - ٢٧، حزيران - تموز ١٩٤٨م، (٣٥ - ٣٨)، كذلك العدد ٢٨ في آب ١٩٤٨م.
(٢١) مجلة «الجزيرة» الموصل، ع ٢٦ - ٢٧، حزيران - تموز ١٩٤٨ (٤٥).
(٢٢) المساء الأخير، جريدة الجداول، الاعداد : ٦٢، و٦٣، و ٦٤، ٦٥، ٦٦ الصادرة في ٧، ١٤، ٢١، ٢٨/١١/ ١٩٥٠)، والعدد الصادر في ٥ كانون الاول ١٩٥٠م.
(٢٣) نفسه ع ٦٢ : في ٧ تشرين الثاني ١٩٥٠م.
(٢٤) نفسه.
(٢٥) نفسه ع ٦٤ : ٢.
(٢٦) ع ٦٥ : ١، ٤.
(٢٧) نفسه.
(٢٨) نفسه.
(٢٩) نفسه ع ٦٦ : ٣.
(٣٠) ينظر للباحث : «ظلام القيثارة - نصٌ لرائد منسي آخر، دراسة نقدية» وقائع بحوث ندوة (نقد النص الأدبي) ٢٢ - ٢٥ كانون الأول ١٩٩١م التي أقامها قسم اللغة العربية في آداب المستنصرية، كذلك : شاذل طاقة الشاعر المنسي : جريدة الحدباء ٢٧ تشرين الاول ١٩٨٧م.
(٣١) أغاني الربيع، للشاعر بشير حسن القطّان، جريدة «فتى العرب» الموصل، في ١٦ حزيران ١٩٥٢م.
(٣٢) أجنحة النور، شعر موسى النقدي، نقد محمود المحروق، جريدة «الروافد» الموصلية، العدد الصادر في ١ تموز ١٩٥٢م.
(٣٣) رياح وشموع للشاعر كمال نشأت، نقد محمود المحروق، مجلة «الثقافة» القاهرة، ع ٧٠٦، في ١٧ تموز ١٩٥٢م.
(٣٤) زامر الحي.. لايطرب، جريدة «الراية» الموصل، ع ٥٣، في ٣٠ نيسان ١٩٥٣م.
(٣٥) لحظات قلقة، شعر هاشم الطعان، جريدة «الواقع» الموصل، ع ١٥ في ٢١ ايار ١٩٥٧م.
(٣٦) قيثارة الريح، جريدة (فتى العرب) ع ١١٤، في ٣ آذار ١٩٥٤م.
(٣٧) لمحات عابرة، قيثارة الريح، ديوان الشاعر محمود فتحي المحروق، جريدة «أخبار المساء» بغداد، ع ١٩٧ في ٩/ آذار/ ١٩٥٤م.
(٣٨) قيثارة الريح، ديوان شعر لمحمود المحروق، جريدة «البيان الجديد» بغداد، ع ٣ في ٢٠ آذار ١٩٥٤م.
(٣٩) مع المحروق في قيثارته، جريدة «وحي القلم» ع ٣ في ٢٥ آذار ١٩٥٤م.
(٤٠) قيثارة الريح لمحمود المحروق، جريدة «الفنار» الموصل ع ٧ في ٢٦/ آذار/ ١٩٥٤م.
(٤١) ردّ على نقد، التجني على قيثارة المحروق، جريدة «وحي القلم» ع ٤ في ١/ نيسان/ ١٩٥٤م.
(٤٢) قصيدة (أغلال) ديوان المحروق «قيثارة الريح» ٩٤ - ٩٦، ط ١، مط الاتحاد الجديدة بالموصل، ١٩٥٤م، واليه سنحيل بكلمة (الديوان).
(٤٣) قصيدة (في لجة الصمت) الديوان، ٤٨.
(٤٤) الديوان، ١١٨، ١١٩.
(٤٥) قيثارة الريح لمحمود المحروق، هاشم الطعان، جريدة (الفنار) ع ٧، في ٢٦ آذار ١٩٥٤م.
(٤٦) الشاعر محمود فتحي المحروق، جريدة (صدى الروافد) الموصل، ع ١٣٦ في ١٣ نيسان ١٩٥٤م:
(٤٧) قيثارة الريح، جريدة «المثال» ع ٨٦ في ١٥ نيسان ١٩٥٤م.
(٤٨) قيثارة الريح، ديوان للشاعر محمود فتحي المحروق، مجلة «الآداب» البيروتية ع ٨، آب ١٩٥٤م.
(٤٩) نشرت في مجلة «الثقافة» المصرية، الاعداد : ١٦ يونيو (حزيران) و ٢٣ يونيو، و ٣٠ يونيو، سنة ١٩٥٢م. واليها سنشير في الهوامش التالية متخذين رقم العدد والصفحة في الاحالة.
(٥٠) نشرت في جريدة «العاصفة» الموصلية في الاعداد : ٢، ٦، ١١، في ٨ حزيران، و ١٣ تموز، و ٣١ آب ١٩٥٣م، في ثلاثة محاور هي : «ماهية الشعر» و «اجتماعية الشعر» و «فنية الشعر» واليها سنشير في الهوامش التالية متخذين رقم العدد تمييزاً عند الاحالة.
(٥١) في جنة عبقر، ع ٧٣ : ٩.
(٥٢) نفسه ٧٣ : ١٠.
(٥٣) نفسه ٧٤ : ١١.
(٠٠) ينظر د. عبد الرضا علي، نازك الملائكة دراسة ومختارات، مبحث القافية ٤٥، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧م.
(٥٤) في جنة عبقر ٧٤ : ١٠ - ١١.
(٥٥) نفسه : ١٢.
(٥٦) قصيدة النثر من بودلير الى أيامنا، ترجمة : زهير مجيد مغامس، مجلة (الأديب المعاصر) البغدادية، ع ٤١، كانون الثاني ١٩٩٠م.
(٥٧) ماهية الشعر، ع ٢ في ٨/ حزيران/ ١٩٥٣م.
(٥٨) نفسه، ٤.
(٥٩) ينظر: استشهادات المحروق، نفسه ٢ : ٤.
(٦٠) نفسه، ع ٦ : ٢ في ١٣ تموز ١٩٥٣م.
(٦١) نفسه ع ١١ : ٤ في ٣١ آب ١٩٥٣م.



النهضة الفنية المعاصرة للخط العربي في الموصل

إدهام محمد حنش

مقدمة :

مثلما أثرت الاحداث السياسية والعسكرية والطبيعية وتطوراتها المتلاحقة داخل الدولة العثمانية وخارجها (وبالذات انقلاب ١٩٠٨م وعزل السلطان عبدالحميد ١٩٠٩م وقيام الحرب العالمية الاولى ١٩١٤م وغيرها ، فضلاً عن سنوات القحط التي مرّت بالموصل بين عامي (١٩١٥ – ١٩١٨م) في الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي للموصل ، أثرت هذه الأحداث كذلك في الحياة الثقافية والعلمية تأثيراً سلبياً بحيث أصابت الخطّ ايضاً بالتراجع والنكوص خصوصاً في بدايات القرن العشرين.

واللافت للنظر ان اخبار الخط في الموصل في بضعة العقود الأولى من هذا القرن كانت يتيمة ومفردة ومتفرقة ، وهي بذلك مجرد اخبار لاتعكس الاهتمام بهذا الفن إلا على النطاق الفردي والذاتي لبعض المعنيين الذين كان لهم اهتمام به على انحاء وغايات شتى منها الهواية والفن والثقافة والوسيلة التجارية للرزق. وبذلك فالأمر هنا لايرقى الى ان يكون تيار اهتمام ثقافياً او علمياً واضحاً.

ويمكن القول ان جيل هذا القرن من الخطاطين المواصلة كان وريثاً للجيل الذي سبقه في تقليد الصورة الواحدة المتشابهة للاداء والاسلوب الفقيرين في قواعد فن الخط وضبطها ، إذ كان اغلب المشتغلين بالخط والكتابة من افراد هذا الجيل نساخين جيدين اكثر من كونهم خطاطين مجيدين ضالعين في فن الخط ، ولكن لايمكن ان نعدم وجود خطاطين ذوي دراية ودربة وممارسة ، في العقدين الاولين – في الأقل – من هذا القرن. فقد برز مَنْ اهتم بالخط وعمل فيه جهده العلمي والفني من امثال عبدالله الصائغ (ت : ١٨٩١م/ ١٣٠٩هـ) وابنه محمد طاهر (ت:١٩١٨/ ١٣٣٧هـ) وحفيده أحمد ، وحسن حسين الرمضاني (ت:١٩٠٧م/ ١٣٢٥هـ) ومحمد علي الفخري (ت: ١٩١٣م/١٣٣٢هـ) وصالح افندي (ت:١٩١٣م / ١٣٣٢هـ) ومحمود حمّوشي (ت:١٩١٦م/ ١٣٣٥هـ) ومحمد الأسمى (ت : ١٩١٩م/ ١٣٣٨هـ) وقد عاصرهم توما قندلا وبهنام لويس[١] .

وفيما بعد عشرينات هذا القرن ، إزداد الاهتمام بالخط في ظل الدولة العراقية الجديدة بسبب سياسة الملك فيصل العربية وانتشار المنتديات والجمعيات الثقافية العربية.

وصارت العناية بالخط واضحة في المدارس ومؤسسات التعليم الرسمية والشعبية. وامتدّ هذا الاهتمام بالخط فناً عربياً وأصيلاً يمثّل هوية الأمة وشخصيتها القومية الى الصحف والمجلات الصادرة في الموصل خلال تلك الحقبة التي نرى فيها الخطاط محيي الدين (ت ١٩٣٢م/ ١٣٥١هـ) ومحمد حمدان السويدي (ت:١٩٣٤م/ ١٣٥٣هـ) ومحمد سعيد القاضي (ت:١٩٣٩م/ ١٣٥٨هـ) وسعيد امين ابراهيم أغا (ت:١٩٥٣م/ ١٣٧٣هـ) وفائق الدبوني (ت:١٩٦١م/ ١٣٨١هـ)[٢] .

وظهر في هذه الحقبة ايضاً مهتمون آخرون بالخط ، عرفوا به على المستوى الشعبي والتجاري ، ومنهم : ملاّ محمد البيغمبرلي وخيرالدين بن امين



افندي الخطاط وصالح الرفاعي وآخرون.

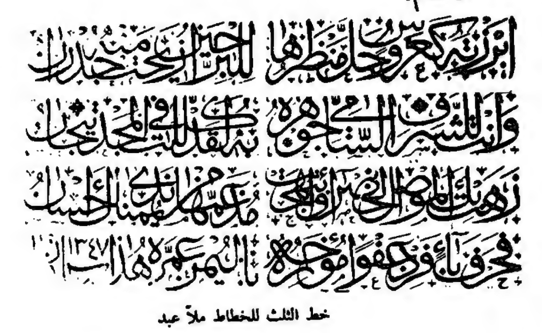
وبالرغم من كثرة اولئك الخطاطين، فان اثارهم الخطية التي انجزوها كانت محدودة جداً. وربما كان ذلك بسبب طبيعة الاحداث والتطورات والتحولات السريعة التي تمت في النصف الأول من هذا القرن، وآثارها اللاّحقة المؤثرة سلباً على الخط، فقلّ شأن هذا الفن وتحدد الاهتمام به. لذلك نكاد نرى مدينة الموصل شبه خالية من الخطاطين الفنانين إذا ما استثنينا الخطاط محمد صالح الشيخ علي بخاصة، الى جانب جهود فردية واضحة ومأثورة لخطاطين استخدموا الخط للاغراض الاعلانية والتجارية، مثل عبدالهادي صالح الموصلي او لأغراض فنية مثل صديق الشيخ علي. وربما لذلك كله يظل أبرز خطاطي الموصل في هذه الحقبة هو الملا عبد ومحمد صالح الشيخ علي.

الملاّ عبد[٣] : هو الملا عبد بن حسين المعروف بالخطاط أو الحكّاك. مجهول الولادة. مارس الخط منذ أوائل هذا القرن، واشتهر في الموصل خلال الثلث الأول منه على انه واحد من أبرز خطاطي المدينة المجيدين والبارعين في خط الالواح الفنية،



ملا عبد

وخصوصاً في خطوط الثلث والتعليق والرقعة، ولكن اداءه في خط النسخ يبدو ضعيفاً، كما عرف خط الطغراء، وبخاصة في عمل الاختام (الرسمية وغير الرسمية) التي اشتغل فيها طويلاً منذ ايام الدولة العثمانية حتى وفاته سنة ١٩٣٢م/ ١٣٥١هـ، إذْ ان بعض هذه الاختام التي خطها وعملها يعود تاريخه الى سنة ١٩٠٥م / ١٣٢٣هـ. ومن صنعة الاختام هذه لحقه لقب «الحكّاك» الذي هو صانع الاختام.



خط الثلث للخطاط ملاّ عبد

له آثار خطية مشهورة على الرخام ورقائق الألومنيوم ماتزال حتى اليوم منتشرة في كثير من جوامع الموصل، ولعل أبرزها كتاباته على الرخام في جامع العباس المؤرخة في سنة ١٩٢٧م/ ١٣٤٦هـ.

محمد صالح الشيخ علي[٤] : أبو عبد الهادي محمد صالح بن الشيخ علي بن الشيخ سليم الطائي. ولد في الموصل سنة ١٨٩٤م/١٣٠٩هـ، وتوفي فيها سنة ١٩٧٥م/ ١٣٩٥هـ. درس القرآن الكريم واجيز في تجويده سنة ١٩١٠م/ ١٣٢٨هـ ومبادئ العربية.. أحب الخط منذ صباه وعاش في اجواء قريبة منه عند الخطاط محيي الدين ودرس الخط على محمد سعيد



محمد صالح الشيخ علي

افندي القاضي رئيس كُتّاب المحكمة الشرعية في الموصل قبل الحرب العالمية الاولى، ومشق قواعد هذا الفن وأصوله على لوحات الخطاطين صالح السعدي (ت: ١٨٢٩م/ ١٢٤٥هـ) ومحمد درويش البروشكي (ت بعد ١٨٠٥م/ ١٢٨٦هـ)، وكذلك وضع نصب عينيه كراسة الخطاط التركي المعروف محمد عزت (ت:١٩٠٢م/ ١٣٢٠هـ) معلم الخط في المكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا

خط الثلث للخطاط محمد صالح

السلطاني باستانبول واخيه الخطاط الحافظ تحسين (ت:١٩١٢م/ ١٣٣٠هـ)، حتى منحه فائق الدبوني (ت: ١٩٦١م/ ١٣٨١هـ) اجازة في الخط.

كان على صلاتٍ شخصية عميقة ببعض الخطاطين الكبار المعاصرين له، ومنهم: الخطاط محمد بدوي الديراني (ت: ١٩٦٧م/ ١٣٨٧ هـ) اشهر خطاطي سوريا الذي التقى به في دمشق عام ١٩٣٤م/ ١٣٥٣هـ، والخطاط محمد طاهر الكردي المكي (ت: ١٩٨٠م/ ١٤٠١هـ) خطاط بلاد الحجاز المشتهر بكتابه «تاريخ الخط العربي وآدابه» والذي التقاه في بغداد وأجازه. كما أجازه ايضاً الخطاط التركي الكبير حامد الآمدي (ت:١٩٨٢م/ ١٤٠٣هـ). أما في بغداد فكانت له علاقات فنية مع الخطاطين ماجد الزهدي (ت: ١٩٦١م/ ١٣٨٠هـ) ومحمد علي صابر (ت: ١٩٤١م / ١٣٦٠ هـ) وصبري الهلالي (ت:١٩٥٣م/ ١٣٧٢هـ) والخطاط الكبير هاشم محمد البغدادي (ت:١٩٧٣/ ١٣٩٣هـ).

اشتغل في الخط قرابة ثلث قرن، واشتغل معه أولاده فبرز منهم الخطاطون عبدالهادي وزهير وحليم وعبدالقدوس. وكان قد اتخذ من الخط مهنة له منذ وقتٍ مبكر من عمره في الموصل، ولكن عندما بارت هذه المهنة في أواخر العشرينات انتقل بها الى بغداد سنة ١٩٣٠م/ ١٣٤٩هـ، وقد عدّه بعض الباحثين المطّور الاول لفن الاعلان والدعاية في العراق.

النهضة الفنية المعاصرة:

توجد الآن في الموصل نهضة فنية للخط العربي قلّ نظيرها في أية بقعة من الوطن العربي والعالم الاسلامي. وتتمثل هذه النهضة في اكتظاظ المدينة بعدد كبير جداً من الخطاطين، وفي الآثار الخطية الكثيرة العدد والمتنوعة المواد والاحجام التي تطالع الناظر في كل مكان تقريباً من واجهات عمائرها المدنية والدينية والثقافية والعلمية والرسمية والتجارية وفي حركة التعليم المستمر للخط بالدورات الرسمية المتخصصة والمجانية او التعلّم الطوعي في الجوامع والمساجد، وفي المعارض المتوالية الشخصية والجماعية، وفي مظاهر اخرى عديدة.. وباختصار: تتمثل هذه النهضة الفنية المعاصرة في هذا الانتشار الفني والجمالي، الأفقي والعمودي، الشعبي والرسمي، لفن الخط في الموصل الحالية. حتى يمكن القول مع هذا الانتشار انه مثلما يمتاز المجتمع الياباني بسمة حب الزهور وتنسيقها، يمتاز المجتمع الموصلي بسمة حب الخط وتجويده وتذوقه.

ويمكن العودة بجذور هذه النهضة الى بداية العقد السابع من القرن العشرين، وبالتحديد الى عام ١٩٦٢م/ ١٣٨٢هـ، والى معهد المعلمين بالموصل، حيث بدأت النواة الأولى لهذه النهضة على يد الباحث والخطاط الكبير يوسف ذنون الذي طُلِبَ اليه تدريس فن الخط لطلبة الصفوف الأولى بالمعهد(٥).

واستطاع يوسف ذنون إنبات هذه النواة



وتطويرها التدريجي من خلال رعاية نخبة من طلبة المعهد وغيرهم من الذين كانت لديهم الرغبة والموهبة معاً في مجال هذا الفن، حتى صارت هذه النخبة فيما بعد النخبة البارزة من الخطاطين ليس في الموصل حسب، بل في العراق ايضاً. ومضى يوسف ذنون وتلامذته الخطاطون في نشر فن الخط بالموصل، رسمياً وشعبياً، حتى توجت جهودهم باقامة أوّل معرض ضخم وشامل ومعاصر للخط في المدينة عام ١٩٧١م/ ١٣٩١هـ، ثم انتقل الى بغداد سنة ١٩٧٢م / ١٣٩٢هـ، فكان تجمعاً «لم يسبق ان عرف العراق ولاكثر من خمسين عاماً تجمعاً فنياً مثله في مجال الخط، ويمكن اعتبار هذا المعرض هو الأول من نوعه[٦]»، مما جعله يحظى باهتمام اعلامي وفني وشعبي كبير دفع الحكومة الى تكريم المشاركين في هذا المعرض، وادراك اهمية هذا الفن العربي الاصيل ووجوب رعايته في عموم القطر العراقي من خلال نقل تجربته الموصلية الى بقية المحافظات.

لقد دفع هذا المعرض ونتائجه الى توسيع قاعدة الخط وتعميق نهضته الفنية في الموصل، فنشطت الجهود التعليمية والفنية والثقافية المتعلقة به، كدورات تعليم الخطوط العربية والندوات العلمية والمحاضرات الثقافية والمعارض الفنية ونشر الكتب والمطبوعات والكراريس والكتابة في الصحف والمجلات وغير ذلك من الجهود المتيسرة في المؤسسات الرسمية والشعبية في المدينة كمديرية النشاط المدرسي للتربية في محافظة نينوى[٧]، وجمعية التراث العربي[٨] الموصلية الملغاة، وجمعية الخطاطين العراقيين، والمساجد والجوامع والمقاهي الشعبية.

وهنا، لابد ان نؤكد: ان الفضل الكبير في إحداث هذه النهضة الفنية المعاصرة للخط في الموصل يعزى الى الباحث والخطاط يوسف ذنون.

يوسف ذنون: ولد في الموصل سنة ١٩٣٢م/ ١٣٥١هـ. ودرس في مدارسها الابتدائية والثانوية



يوسف ذنون

وتخرج في دار المعلمين سنة ١٩٥١م/ ١٣٧١هـ. حرص منذ وقت مبكر من حياته على بناء نفسه بناءً ثقافياً ومعرفياً شمولياً، ولكنه ركز في ذلك على الفنون عموماً والخط والزخرفة والآثار وما يتعلق بها خصوصاً، معتمداً على جهوده الشخصية في المتابعة والبحث والتحصيل. فنال معرفة عميقة وواسعة بالخط: ثقافة وفناً، أهّلته هذه المعرفة لان يكون واحداً من أبرز الباحثين المتخصصين في شؤون الخط وقضاياه التاريخية والفنية.. وواحداً من ألمع الخطاطين المعاصرين في العراق والوطن العربي والعالم الاسلامي، فقد حصل على الاجازة من الخطاط المعروف حامد الآمدي سنة ١٩٦٦م/ ١٣٨٦هـ، وحصل منه ايضاً على تقدير خاص بالتفوق في مختلف الخطوط سنة ١٩٦٩م / ١٣٨٩هـ.

مارس تدريس الخط: تاريخاً وفناً. على المستويين الرسمي الأكاديمي الجامعي في اقسام الدراسات العليا والاولية لكليات الآداب (الآثار والمخطوطات) والهندسة ومعاهد المعلمين والفنون الجميلة والمعاهد الفنية... والشعبي في دورات تعليمية مجانية خاصة ومفتوحة في المدارس والجوامع والمقاهي، لنشر الخط على نطاق عام في العراق.

وفي هذا المضمار، صار له بعد ذلك تلامذة كثيرون يعدون بالعشرات داخل العراق وخارجه، أجاز خمسة منهم وكثير منهم في طريق الحصول على الاجازة في الخط منه، لكن مايزيد على خمسة عشر خطاطاً منهم قد حصل على الاجازة من الخطاط حامد الآمدي.

ويظهر ابداع يوسف ذنون التشكيلي واجادته الفنية في مجال الخط في آثاره الخطية الكثيرة جداً والمنتشرة في مايقرب من مئة وخمسين مسجداً وجامعاً عدا العمائر الاخرى في جميع انحاء العراق، فضلاً عن خطوطه على اغلفة ما لايحصى من الكتب والمجلات، ولوحاته التي عرضت في معارض خاصة ومشتركة في العراق وبعض الدول العربية والاجنبية مثل تركيا وانكلترا واميركا واسبانيا وفرنسا. وقد شارك في اكبر التظاهرات الثقافية - الفنية الدولية الخاصة بفن الخط او المتعلقة به، إمّا عضواً فاعلاً في لجان الاعداد والتقويم كالمسابقة الدولية الاولى لفن الخط (حامد الآمدي - ١٩٨٥م) والمسابقة الدولية الثانية لفن الخط (ياقوت المستعصمي - ١٩٨٩م) اللتين اقامتها اللجنة الدولية للحفاظ على التراث التابعة لمنظمة المؤتمر الاسلامي، وكذلك مهرجان بغداد العالمي للخط العربي والزخرفة الاسلامية الذي اقامته وزارة الثقافة والاعلام العراقية في بغداد عام ١٩٨٨م/ ١٤٠٩هـ.. أو فناناً خطاطاً عارضاً لاعماله كما في المعرض الفرنسي العالمي المقام في باريس عام ١٩٨٩م/ ١٤١٠هـ تحت عنوان «سحرة الارض».. أو باحثاً محاضراً وخطاطاً عارضاً ومعداً كما في مهرجان المغرب الأول للخط والزخرفة المقام في المغرب عام ١٩٩٠م/ ١٤١١هـ.

كُتِبَ عن يوسف ذنون وخطّه وابداعه الكثير، سواء في المؤلفات الخطية العامة والمعاصرة التي لاتكاد تخلو من الإشارة اليه أو الحديث عنه، او في المؤلفات الخاصة، ماصدر منها مثل كتاب الباحث عبدالعزيز عبدالله محمد الموسوم بـ «يوسف ذنون: مدرسة الابداع في الخط العربي»، وما لم يصدر بعد مثل مخطوطات كتب الباحثين فوزي سالم عفيفي (طنطا - مصر) وباسم ذنون وادهام محمد حنش (الموصل).

إسهاماته الفنية: تتلخص اسهامات يوسف ذنون الهادفة الى تأسيس اتجاه فني متميز في الخط العربي بنقطتين اثنتين، هما:

أولاهما - معالجة اشكال الحروف، مفردة ومركبة، في عدد من انواع الخط، تشريحاً واختزالاً وتيسيراً، لاستنباط أشكال اساسية محددة وميسرة منها، يؤدي اتقانها الى إتقان الخطوط العربية بجميع اشكالها وتفاصيل الاداء فيها، بما يحافظ على اصالة الحرف العربي اللغوية وهويته الفنية.

الثانية - الانطلاق من محدودية الاشكال الفنية الجديدة الى ايجاد طرق فنية وتربوية لتعليم انواع الخط العربي. تكون اكثر يسراً واجدى منفعة واسرع اداءً واقل جهداً ووقتاً، وتسهم في انتشار الخط على نطاق شعبي واسع.

وقد طبق[٩] يوسف ذنون هاتين النقطتين على خطي الرقعة والديواني من الخطوط المنسوبة، والخط الكوفي الموزون[١٠]، لكونها ايسر الخطوط التي تمهد امام الخطاط طريق الكشف عن اسرار هذا الفن:

خط الرقعة[١١]: انصبّتْ جهوده على معالجة اشكال حروفه وتحليلها بغية ردّها الى اشكال اولية واساسية تكون الاساس في الانطلاق الى دراسة اشكاله الاخرى كافة، من الحروف والمقاطع، بما يسهّل تحقيق المشق الفني السليم لحروفه. وقد اعتمد في عملية التحليل هذه على المسارات الهندسية الاساسية، العمودية والافقية والدائرية، في توصيف هذه الاشكال بصفتها وحدات



هندسية. وقد تمثلت هذه الوحدات عنده في اشكال الحروف الاساسية الآتية :

أ ، ب ، م ، ى ، ق ، ص ، هـ ، ح

الأخير[١٣] الذي يتسم عموماً بانكماش اشكال حروفه على نفسها والشائع على نطاق محدود لدى خطاطي سورية ومصر[١٤] والعراق[١٥] ، واسلوب

حروف خط الرقعة الاساسية والمستخرجة من بقية الحروف.

وجاء ترتيب هذه الاشكال على وفق تدرج محسوب من السهولة الى الصعوبة والتعقيد في الهيئة والتعلّم والتنفيذ. ومن اشكال هذه الحروف الثمانية تستخرج الاشكال الفنية الاخرى كافة لبقية الحروف في خط الرقعة ، وذلك من خلال عمليات التجزئة والحذف والاقتباس والتركيب التي تُجرى على الاشكال الاساسية.

وتكشف لنا محاولة يوسف ذنون هذه عن طريقة ميسرة وذاتية لتعلّم هذا الفن واتقانه ، كما تكشف عن إمكان انتاج اسلوب فني آخر في خط الرقعة ، متأتٍ من وضوح مسارات رسم حروفه وتوحيد حركتها على اتجاهات معينة واجراء بعض اضافات تصويرية على حروفه للحصول على اشكال متميزة لهذا النوع من انواع الخط العربي.

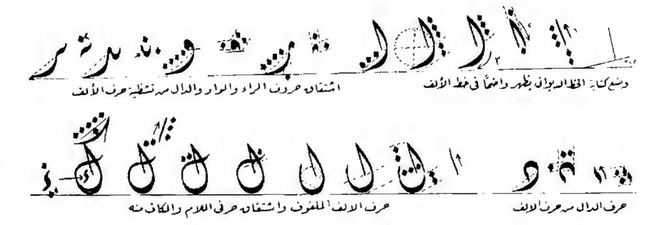
الخط الديواني[١٢] : اخضع يوسف ذنون الاساليب الفنية الشائعة في الخط الديواني لعمليات الاختبار والتحليل والتيسير والحذف والاضافة ، للتوصل الى اسلوب آخر، يخرج من هذه الاساليب التي تكاد تكون شخصية بحسب الخطاطين، وينضاف اليها. ومن أبرز هذه الاساليب : اسلوب الخطاط محمد عزت مصطفى غزلان (ت : ١٩٣٨م/ ١٣٥٧هـ) الذي يتسم بانفتاح اشكال حروفه وسعتها[١٦]، وينتهجه اغلب خطاطي مصر وبعض الأقطار العربية.

ومن معالجة هذين الاسلوبين ، استخرج يوسف ذنون اسلوباً آخر يجمع محاسنها الفنية والادائية ويفيد منها ، ولكنه يخضع اشكال حروف هذا الخط لعملية التحليل الى المكونات الاساسية والمباشرة. على وفق المسارات الهندسية المعروفة مع طغيان صفة الليونة الفائقة عليها ، وبخاصة في زيادة تقويس بعض اشكال الحروف ومتابعة المسار المنظم هندسياً سواء في الانبساط الأفقي على السطر او في ارسال اشكال الحروف الخاضعة للمسار الدائري الكامل المنطلق من مسارات قطرية مثل حروف الألف والألف الملفوفة والراء والواو والدال واللاّم والكاف وسواها.

الخط الكوفي : حاول يوسف ذنون تيسير الاداء في هذا النوع الصعب والمتعدد الاشكال من انواع الخط العربي ، من خلال اقتراح قواعد ابتدائية عامة فيه ، تقوم على ضبط ثمانية اشكال رئيسة ، ستة منها في الحروف المفردة ، هي :

أ ، ک ، ق ، ح ، ع ، ي



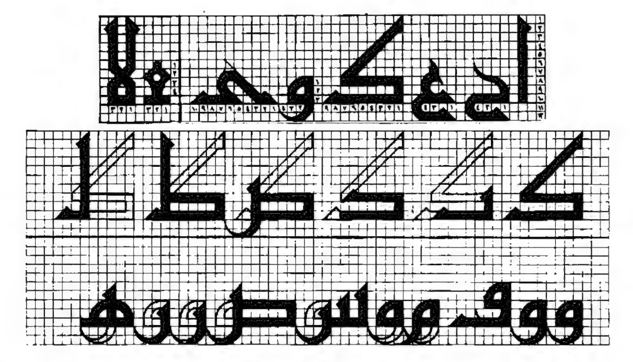



من اسلوب يوسف ذنون في الخط الديواني.

واثنان في الحروف المتصلة، هما العين الوسطية واللآم ألف؛ كما يظهر في الشكل ادناه.

مع الاستعانة بالادوات الهندسية المتيسرة واستعمال المربعات في تتبع الرسم الخطي على نظام العدّ البدائي على وفق النسبة العشرية في ضوء القياس الاساس لحرف الألف المفرد (١٠ : ١)، وفي ضوء فراغ النقطة الواحدة المتكرر لضمان صلة الحروف، بعضها مع بعضها، في النص الخطي.

يوسف ذنون لها المربع المفتوح المسمى احياناً «المربع السحري» اداةً للضفر الزخرفي المتواصل بلا حدود، او بالوحدات الزخرفية الغصنية والتوريق العربي (الأرابسك) التي يسّر يوسف ذنون تنفيذها باعتماد طريقة جديدة في تحليل التوريق العربي وتحديد منطلقاته التي تعتمد على الاساس ثم التوريق بدءاً بالقوس وانتهاءً بالحلزون على خط الاساس ورسم الورقة النباتية وتحويراتها ثم



الحروف المفردة والمتصلة وما يشتق منها من بقية الحروف الكوفية.

وبعد التمكن من الاداء على هذه الطريقة، يصار الى الانتقال الى طريقة نصف النقطة المعيارية في قياس الفراغ الواصل بين الحروف المرسومة على السطر وما فوقه، مع الأخذ بعين الاعتبار استثمار الفراغات المتاحة والمحتملة في الشريط الكتابي الكوفي بالوحدات الزخرفية الهندسية التي استخدم

توزيعها على الاساس وصولاً الى الوحدة الزخرفية التي تتكرر لانتاج الشكل النهائي للتوريق والتي يمكن استخدامها على نحو محدود في أرضية الشريط الكتابي الكوفي أو فراغاته.

الخطوط الاخرى: وعالج يوسف ذنون بقية الخطوط معالجة اخرى نابعة من رؤياه الفنية للخط



لوحة جامعة لخمسة عشر خطاً من الخطوط العربية من تصميم وخط يوسف ذنون



العربي التي يرى فيها ان الخط فن محكوم بضوابط وقواعد وأصول تمثل الاساس العلمي والمعرفي والحرفي له ، ولكن الاداء المتقن والمجود فيه يمتد في مساحة واسعة ومفتوحة من الابداع والتجديد في الاساليب والتكوينات .

وفضلاً عن ذلك ، يتوفر فضاء الخط العربي على بعدين : يتمثل البعد الأول في الناحية الوظيفية الخاصة بالتعبير البَصَري- اللغوي الواضح ، ويتمثل هذا البعد خطياً في خط النسخ لما له من صفات الثبات الشكلي والوظيفي التي استقرت على خلاصة اختيار احسن اساليب الاداء فيه وصولاً به الى الوضع الأمثل من الكمال الفني الذي بلغ فيه مستوى لايدانيه فيه أيُّ خط آخر، سواء من حيث خصائصه الشكلية والجمالية أو من حيث استيعابه للحركات واضافات التشكيل الاخرى المهمة في التعبير اللغوي التام. امّا البعد الآخر فهو البعد الفني والجمالي المحض الذي تمثله الخطوط الاخرى التي تستجيب للابداع الفني شكلاً واداءً واسلوباً ، وبخاصة خط الثلث الذي هو النموذج الفني الأرقى ، لما يمتاز به من جمالية فائقة ومطواعية فذة على التركيب والتكوين اللذين هما من ابرز خصائص اساليب الثلث في مدارس الخط الفنية المعروفة.

وعلى الرغم من ان الخطاط يوسف ذنون حاول الاستفادة كثيراً من اساليب خط الثلث في المدرسة الخطية العثمانية ، فانه استطاع كذلك تنميط اسلوبه الفني في الثلث على الوضوح والتسلسل (اللغوي والمعماري او الانشائي) في التركيب ، وعلى الدقة والنظافة والجلي والعفوية في التكوين. وهكذا قدّم يوسف ذنون من خلاله لوحات خطية مدهشة في ادائها اليدوي العفوي وفي مساحاتها الكبيرة جداً ، سواءً مانفّذه منها على الحجر في الاشرطة الكتابية (التذكارية والارشادية) للجوامع كما في جامع العوجة (تكريت) الذي تبلغ بعض اشرطته الكتابية (١١٣) متراً طولاً و (١,٢٠) متراً عرضاً ، وجامع العدنانية وجامع فخري شنشل (بغداد) وجامع صديق رشان (الموصل) وغيرها ، اومانفذه منها على الورق والمواد الاخرى لعرضها في الصالات والمعارض ، كما في لوحته الرائعة التي عُرِضَتْ في معرض «سحرة الأرض» (باريس : ١٩٨٩) ، والتي نفذها بالحبر الصيني على الورق بطول (١٢) متراً وبعرض (١,٢٠) متراً ، مستخدماً قلماً خاصاً صنعه بنفسه ذا عرض خمسة سنتيمترات.

إسهاماته الثقافية : إن النهضة الفنية الموصلية المعاصرة للخط والتي يرجع الفضل الاساس في احداثها الى اسهامات يوسف ذنون الفنية في مجال الخط ودوره التربوي الذي باشره في سبيل نشرهذا الفن على أوسع نطاق ممكن . إن هذه النهضة لم تستند في انطلاقتها الى الاساس الفني حسب ، بل استندت ايضاً الى الاساس العلمي والمعرفي الذي جعلها نهضة حقيقية ، اصيلة وراسخة ، من خلال مامّهد له يوسف ذنون الباحث- قبل كونه الخطاط- من النظر العلمي المتعمق والفاحص في الخلفيات الفنية والتاريخية والآثارية للخط العربي ، والذي ساعده على تقديم صياغة مُهْرى للشكل الخطي الخاص بالحرف العربي ، وطريقة اداء ايسر، ومبادىء مهمة لتعلم الخط ذاتياً بواسطة التعلم المنهجي المنظم بالتدرج في دراسته من الاسهل حتى الأصعب من سلسلة الخطوط بطرق سريعة وميسرة تحقق اكتساب المهارات المعرفية الاساسية لاداء هذا الفن.

إنّ هذا النظر العلمي المتعمق في خلفيات الخط المختلفة ولّد عنده آراءً واقتراحات جديدة ومهمة في الميدان الثقافي والعلمي للخط : نشأة وتطوراً ووجوداً فنياً وتاريخياً ، بل ان بعض هذه الآراء والاقتراحات من الخطورة في مجال الخط بحيث يستدعي التوقف واعادة النظر والتأمل في الكثير من الحقائق الفنية والتاريخية للكتابة العربية عموماً والخط العربي خصوصاً ، إذ يتصل بعض هذه الآراء بأصل الكتابة العربية ونشأتها الاولى كنظريته

في الأصل الحضَري[١٧] للكتابة العربية[١٨]، ويتصل بعضها الآخر[١٩] بالتطور الفني – التاريخي للخط، كآرائه في أصل الخط الكوفي، وتطور خط الثلث وانتشاره الفني، والواقع التاريخي لخط النسخ، وحقيقة الدور الرائد لأبن مقلة الوزير (ت: ٩٤٠م/ ٣٢٨هـ) في مسيرة الخط، وغير ذلك من المسائل الاصلية والفرعية التي تتعلق بالخط العربي: تاريخاً وثقافةً وفناً.

تلامذته: ومن ملامح هذه النهضة الفنية المعاصرة للخط كثرة المشتغلين بهذا الفن والمتعاملين معه، حباً وتذوقاً وممارسة ثقافية واداءً، من خطاطين مجيدين وباحثين متخصصين ونقاد معنيين في الموصل. وعلى الرغم من ان اغلب هؤلاء هم تلامذة، على نحوٍ ما، للخطاط والباحث يوسف ذنون، برزوا في رفقته ورعايته واشرافه، فانهم يمثلون جزءاً مهماً من هذه النهضة الخطية لانهم يسهمون في حركتها الحالية بأدوار مختلفة ومتواصلة. ومن أبرز هؤلاء الخطاطين والباحثين والنقاد المعاصرين نذكر:

علي حامد الراوي، وعباس حسين الطائي، واياد حسين الحسيني، وعمار احمد قاسم الفخري، وباسم ذنون السبعاوي، وسالم عبدالهادي، والأختان فرح وجنة عدنان احمد عزت، وطالب احمد بكر العزاوي، وعبدالغالي عبدالرزاق، وعمار عبدالغني النعيمي، ومروان الحربي، وحسن قاسم حبش، ومؤيد محمود، وقصي حسين، وطارق طه الشبلي، ووعدالله محمد داوْد، ومظفر مجيد خطاب، واحمد اسماعيل احمد، وفريال فاضل العمري، وعلي احمد حسن السبعاوي، وعبدالغني الجوالي، وحيدر زكر المهتدي، وابراهيم فاضل المشهداني، وخزعل الراوي، واكرم ذنون يونس، ومحفوظ ذنون يونس والباحثان عبدالعزيز عبدالله محمد، وإدهام محمد حنش. ومن تلامذته الآخرين في العراق والبلاد العربية عدد غير قليل من الخطاطين منهم: عبدالخالق الربيعي (المثنى)، ومحسن حسن بيروت (السليمانية)، واحمد عبدالرضا الغرباوي (واسط)، وفاضل شهاب داوْد (البصرة)، وصفوت نديم (صلاح الدين)، وعلي حسن محمود العلوان (الانبار). ومنهم في الأقطار العربية: منتصر فتحي سليم الحمداني (الاردن)، واحمد عبدالرحمن (مصر)، وعبدالله عبدالرزاق الصائغ (السعودية)، والسملالي حسن (المغرب)، وعبدالله الوزاني (المغرب)، وحميدي بلعيد (المغرب)، واحمامة محمد (المغرب) ومصطفى الجيلاني الغربي (تونس).

الهوامش

(١) يوسف ذنون: الموصل والخط العربي (عرض وتمهيد). مجلة الربيع: عدد خاص لمناسبة مهرجان الربيع القطري الثاني – الرابع عشر بالموصل (١٩٨٢). ص٦٦.

(٢) يوسف ذنون: المصدر نفسه.

(٣) استعنا بوثائق الاستاذ يوسف ذنون في الترجمة لهذا الخطاط.

(٤) يوسف ذنون: «محمد صالح الشيخ علي الخطاط الموصلي»، بين النهرين (مجلة فصلية حضارية تراثية. الموصل) السنة الثالثة، العدد الثاني عشر (١٩٧٥)، ص٢٧٧– ٢٨٣. وينظر: وليد الاعظمي: جمهرة الخطاطين البغداديين (جزءان). دار الشؤون الثقافية العامة بغداد: ١٩٨٩) الطبعة الاولى، ٢: ٥٧١.

(٥) لأول مرة في العراق يُصار الى تدريس فن الخط في المؤسسات التعليمية درساً فنياً خاصاً ومستقلاً، بعد ان كان شائعاً في المدارس تدريس (الخط والاملاء) جزءاً من مادة اللغة العربية، ويهتم فيه بكيفية الاملاء الصحيح وتحسين الكتابة العربية.

(٦) باسم ذنون: من آفاق الخط العربي. دار الشؤون الثقافية العامة. الطبعة الاولى، (بغداد: ١٩٩٠). ص٧٣.

(٧) زاد عدد دوراتها في تعليم الخط على الثلاث مئة دورة، درس الخط فيها عدد كبير جداً من الراغبين في دراسة هذا الفن.

(٨) وهي جمعية ثقافية تعنى بتاريخ مدينة الموصل وآثارها واحياء التراث العربي الاسلامي فيها، وبخاصة المخطوطات والخط العربي. تأسست عام ١٩٧٣م واغلقت عام ١٩٨٦م. نظمت هذه الجمعية الكثير من النشاطات الثقافية والعلمية. اما في مجال الخط فقد اقامت دوراتٍ كثيرة لتعليم الخط والزخرفة يزيد عددها على العشرين دورة في مختلف الخطوط، وكذلك اقامت عدداً من المعارض في هذا الفن. وقد أصدرت لجنة الخط فيها نشرة داخلية خاصة ذات طابع ثقافي يُعنى بفن الخط العربي.

(٩) اصدر يوسف ذنون عدداً من كراريس الخط بعنوان «سلسلة

الخط الجديدة : تعلّم بنفسك». كان منها : الخط الكوفي- قواعد عامة للمبتدئين- (١٩٦٢)، وقواعد خط الرقعة (١٩٧٨) وقواعد الخط الديواني (١٩٧٨).

(١٠) تصنّف الخطوط العربية استناداً الى خواص اشكال الحروف وصفاتها العامة بين التقوير والبسط (= اليبوسة والليونة) الى خطوط موزونة تطغى عليها صفات التقوير واليبوسة كالكوفي بكل انواعه، والى خطوط منسوبة تطغى عليها صفات البسط والليونة كالثلث والنسخ والمحقق والريحان وغيرها.

(١١) خط الرقعة من الخطوط الحديثة نسبياً، إذ بدأ الاهتمام به في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. يمتاز بالبساطة والسرعة في الانجاز وتؤديه حركة اليد الطبيعية. وهو خال من التشكيل والتزيين. برز نتيجة الحاجة الى خط سريع وعفوي الاداء. من ابرز الخطاطين فيه محمد عزت.

(١٢) الخط الديواني هو نوع من الخطوط العربية التي استخدمت في كتابة الفرمانات والمنشورات والأوامر السلطانية في دواوين الدولة العثمانية. وقد كانت صوره معقدة تزدحم فيها الكلمات ازدحاماً مقصوداً لايترك بينها فراغ بسبب طبيعة الاغراض التي يكتب لها. ينسب وضع القواعد الاولى فيه الى الخطاط التركي ابراهيم منيف بعد سنوات من فتح القسطنطينية واتخاذها عاصمة عثمانية سنة ١٤٥٤م/ ٨٥٩هـ.

(١٣) أصدر محمد عزت كراستين فيها الخط الديواني، الأولى سنة ١٨٧٥م/ ١٢٩٢هـ، والثانية سنة ١٨٨٨م/ ١٣٠٦هـ. وبين الاثنين اختلافات واضحة في الشكل واسلوب الاداء، انتهت الى انضاج اسلوبه الشائع في كراسته الثانية.

(١٤) وضع الخطاط المصري محمد ابراهيم (مؤسس مدرسة تحسين الخطوط بالاسكندرية سنة ١٩٢١م/ ١٣٤٠هـ) كراسة على طريقة محمد عزت، لغرض استخدامها في تدريس الخط الديواني في هذه المدرسة.

(١٥) أشاعه في العراق، بعد تهذيبه، الخطاط صبري الهلالي (ت : ١٩٥٣م/ ١٣٧٢هـ) والخطاط هاشم محمد البغدادي (ت : ١٩٧٣م/ ١٣٩٣هـ).

(١٦) حاول الخطاط محمد عبدالقادر تخليصه من المبالغة في قياس سعة حروفه وانفتاحها، وسارت عليه مدرسة تحسين الخطوط بالقاهرة.

(١٧) الحضر: مدينة عربية تاريخية، كانت عاصمة لمملكة عربية انشئت في بادية الجزيرة بالقرب من وادي الثرثار، كانت تفصل بين الامبراطوريتين الرومانية والفارسية اشتهرت بكثرة معابدها وتماثيلها المرمرية للآلهة والملوك. سقطت على يد الملك الساساني سابور الأول (٢٤١م). وتقع اطلالها الحالية على بعد (١١٠)كم الى الجنوب الغربي من مدينة الموصل.

(١٨) عرضت في ندوة «اللغة العربية والوعي القومي» التي أقامها مركز دراسات الوحدة العربية ومعهد البحوث والدراسات العربية والمجمع العلمي العراقي، خلال الفترة ٢٨- ٢٩/ ٩/ ١٩٨٣ في بغداد. ونشرت مع ابحاث الندوة في كتاب خاص بنفس العنوان في بيروت (١٩٨٤). ص٣٠٧.

(١٩) نشير مثلاً الى بحثه الشامل الموسوم بـ «قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة» المنشور في مجلة المورد، مج : ١٥، ع : ١٩٨٦/٤ [عدد خاص بالخط العربي]. ص٧- ٢٦.

الحركة التشكيلية

ستار الشيخ

مقدمة :

هناك شحة في المصادر المتعلقة بالمرحلة الاولى من تاريخ الفن العراقي عموماً، والفن التشكيلي في الموصل بوجه خاص، وعلى التحديد في تلك الفترة التي تمتد من اواخر القرن التاسع عشر الميلادي وحتى بدايات تأسيس الدولة العراقية الحديثة.

ومهما يكن من أمر، فان البداية كانت مع المجموعة الاولى من الفنانين الذين كانوا، بالاصل، ضباطاً عراقيين في الجيش العثماني.. حتى أن بعضهم أسهم في عدد من المعارض التي أقيمت في استانبول وكان لبعضهم حضور متميز وفي مقدمتهم الفنانون سليم الموصلي وعاصم حافظ وعبد القادر الرسام. وكان للطبيعة تأثير كبير على جيل الرواد حيث أن طبيعة الموصل، وهي غنية جداً بموضوعاتها، تحتضن قمم تلولها الخضر تلك الكتل الصخرية من حجر الحلاّن تتوزع بعفوية بين تلك المساحات الملوّنة بأيقاعات متعددة تخلق تنغيماً للعين وتثير انطباعات عديدة، أغنت هذا التصور عند الفنانين وخلقت لهم أرضية لونية اعطت لاعمالهم الأثارة وكانت الاساس في شحن خبراتهم البصرية والوانهم المشرقة والتي لازمت الكثيرين الى الوقت الحاضر ومن ابرز هؤلاء الرواد التالية اسماؤهم :

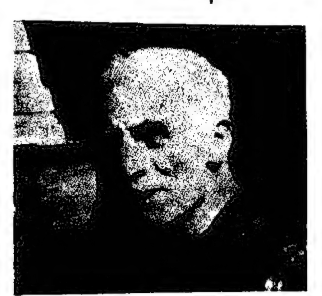


محمد سليم علي الموصلي[1] ١٨٨٣ - ١٩٤٢م :

عميد أسرة سليم المعروف افرادها بالفن : سعاد وجواد ونزار ونزيهة. يعد من أوائل الرسامين العراقيين. أمتازت رسومه بالرّقة والحساسية، منها صورته الشخصية، وصورة السراي وبعض صور المناظر الطبيعية. وعند عودته من تركيا عام ١٩٢٤ درّس الرسم في بعض المدارس ومنها مدرسة التفيض الاهلية. والده موصلي ولازال الكثيرون من اقربائه في الموصل وفي تواصل مستمر مع عائلته في بغداد في أواخر خدمته في الجيش العثماني ألقي القبض عليه بتهمة مشاركته بالحركة القومية العربية وحكم عليه بالاعدام وكاد الحكم ان ينفذ به الاّ أنه أستبدل باللحظات الاخيرة بالنفي وعاد الى العراق لكي يساهم في ارساء اسس الحركة التشكيلية.

عاصم حافظ[2] ١٨٨٦ - ١٩٧٨م :

ولد في مدينة الموصل واثناء خدمته العسكرية في تركيا، درس الرسم على يد الفنان (عبدي بك). درسه بعد ذلك في باريس على يد استاذه (انطوان رينول) وتخرج عام ١٩٣١ وعند عودته الى الموصل عين مدرساً للرسم في المتوسطة الشرقية واول



عاصم حافظ

مشاركاته في المعارض كانت في الموصل عام ١٩٣٢ في المعرض الصناعي الزراعي الذي خصص فيه جناح للرسم وقد حاز على المرتبة الاولى بين المحترفين. وكثيراً ما كان يحث طلابه على النقل من الطبيعة. كما كان يهتم كثيراً برسم الحياة الجامدة وقد نفذ اعماله بأسلوب كلاسيكي رصين بقي ملازماً له، وهذا الاهتمام يمثل نفسيته المشبعة بحب كل ماهو جميل. والفاكهة كانت موضوعه المفضل والمفردات التي دارت حولها اكثر اعماله لما فيها من تنوع بالاشكال وثراء لوني يشبع تطلعاته للجمال الخالص، واعظم فائدة قدمها لطلابه كانت تتمثل في تدريس مادة الرسم على اساس الاهتمام بالمنظور وقد كان له الفضل الكبير في سنة ١٩٣٥ باصدار أول مؤلف نظري عن الرسم في القطر هو: «قواعد الرسم على الطبيعة».



فواكه : عاصم حافظ، من مجموعة المتحف الوطني للفن الحديث ببغداد

وكان عاصم حافظ مولعاً برسم الوجوه في بداية اعماله الفنية، لكنه اتجه بعد ذلك الى رسم الطبيعة. وكان لاختياره هذا الإتجاه والابتعاد عن تصوير الانسان سبب خاص يتعلق بموقفه في التركيز على نماذج من الطبيعة البنائية والاشياء الاخرى من اجل اكتشاف بعض عناصر التصوير فيها خلال الظل والضياء والبناء مع دراسة امكاناته اللونية في فهم حجمية الاشكال ومادتها وخصائصها، ومن الواضح ان عاصم حافظ كان يتجنب الاجسام البشرية وفقاً لمبدأ اخلاقي كذلك. لهذا حاول التأثير، خلال النور والظل، وعن طريق استخدامات لوحية موحية للاشكال المرسومة[3].

ومن تلاميذه : صبيح نعامة، وصديق احمد وفرج عبو.

صديق احمد (١٩١٥ -) :

ولد في محلة رأس الكور في الموصل وتتلمذ على يد عاصم حافظ وأكمل دراسته في دار المعلمين

الابتدائية عام ١٩٣٥ ، وبقي معلماً في المدارس الابتدائية لغاية ١٩٣٨ تقدم بعدها الى الكلية العسكرية وقبل فيها وتخرج ضابطاً في الجيش وخدم في القوات المسلحة حتى تقاعد عام ١٩٦٣ وبداية تأثره كان الجو العائلي فأخوه الكبير كان يحب الرسم وكان يملك آلة موسيقية وقد اكد في اعماله على الاتجاه الواقعي واهتم كثيراً بالطبيعة واستخدم الألوان المائية لتحقيق تلك اللحظات التي تفيض بعواطف جياشة تجاهها وكثيراً ماكان يستعمل في اعماله الوان (البوستر) لأنها سريعة الجفاف.



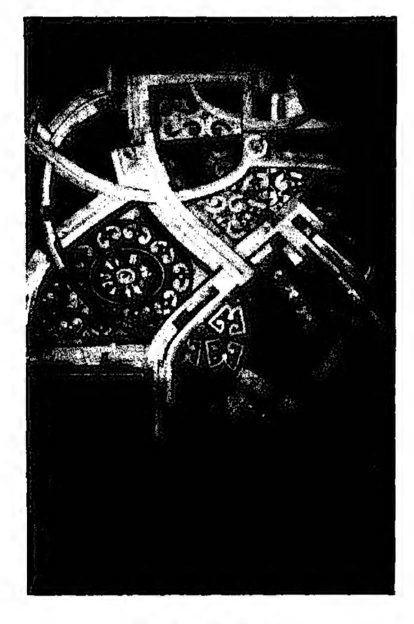
صديق أحمد : لوحة تمثل موضوع اشخاص ضمن منظر طبيعي عن : شاكر حسن آل سعيد ، فصول من تاريخ الحركة التشكيلية في العراق ، ص ٩٢.

كذلك بحكم مهنته كعسكري متنقل.. كان يستعمل الفرشاة بمساحات عريضة وواسعة لتخدم تلك الفضاءات المفتوحة للطبيعة لذلك يعد في اوائل الرسامين الانطباعيين في العراق آواخر الثلاثينات واهتم كثيراً بالمواضيع الشعبية ومشاهد الحياة اليومية والازقة والجوامع وكل ماله مساس بالمعالم التراثية ومن ابرز اعماله عن الموصل لوحة جسر الموصل الحديدي التي نفذها عام ١٩٣٥ وقد حاول فيها ان يركز على الناحية التخطيطية بالدرجة الاولى واستخدم الالوان المائية لابراز الحس الجمالي للبيئة.

يقول الناقد شاكر حسن آل سعيد عن صديق احمد «ان صديق أحمد كان يدرك باحساسه المرهف جمال الربيع ... فكان يميل معظم الاوقات في لوحاته الى مايمثل فصل الربيع . وقد تسنى لي ان أطلع في داره على انتاجه الغزير لهذه الفترة من حياته الفنية وان ادرس عن كثب (موضوعيته) في اختيار الموضوع الانطباعي بحصانة وشاعرية من تمرس في تأمل الطبيعة العراقية بعين ثاقبة وروح جذلى»[٤] .

فرج عبو النعمان[٥] (١٩٢١ - ١٩٨٤) :

ولد في الموصل وكان أبوه نجاراً وحينما كان يرسله الى السوق لشراء الاصباغ يأخذ قسماً منها ليرسم بها . تأثر كثيراً بأستاذه عاصم حافظ وكان يشجعه على رسم الآثار القديمة وقد انتبه منذ بداية حياته الى مايجسده الفن وما فيه من قيم عليا.



تجريد اسلامي : فرج عبو

وعند أنشاء سينما الملك غازي عام ١٩٣٨ (الفردوس فيما بعد) قام برسم لوحات (فولكلورية) وتراثية لتزيين جدران السينما.. فرسم (٤) لوحات كبيرة ، اثنتان قرب الشاشة وعلى الجانبين واثنتان نهاية الصالة في الموقع الممتاز وقد رسمها بالزيت وعلى الحائط مباشرة ووضع لها اطارات من خشب الصاج . وللأسف لم تصور هذه اللوحات ولم توثق





فرج عبو

واندثرت مع هدم السينما في بداية الستينات.

اكمل دراسته الاعدادية في بغداد عام ١٩٣٩. وفي عام ١٩٤١ انتمىٰ الى جمعية اصدقاء الفن ثم سافر الى القاهرة عام ١٩٤٥ وتخرج من كلية الفنون الجميلة عام ١٩٥٠ قسم التصوير وبعد عودته عين مدرساً للرسم ثم اكمل دراسته الفنية في روما وتخرج من اكاديمية الفنون هناك عام ١٩٥٤ وقد اهتم بالطبيعة ومعالمها الجمالية، ففي اعماله عن شمال العراق والتي تصور الغابات والجبال والوديان ثمة شعور بالسعادة تمنح العمل الفني موسيقاه وبحس انطباعي فيه للمسة الفرشاة تأثير مهم.

في الجانب الثاني اهتم بالاتجاه التجريدي يستلهم فيه البعد الآخر للواقع بدلالته الرمزية. وقد مهد لهذا الاتجاه بدراسته للمعمار العراقي بطابعه المميز بالبساطة والزخرفة كذلك تراثيات البيئة الموصلية بأفريزاتها المرمرية والجصّية.. الزخرفة الجمالية وعلاقتها بالمعمار كبناء هندسي يتجلى فيه التراث العربي الاسلامي وبهذا اعطىٰ تبريراً مباشراً للانتقال من الاساليب الواقعية الى التجريد واجتهاده في البحث عن قيم الفن العربي الاسلامي. يقول شوكت كريم في كتاب «لوحات وافكار» ان الفنان فرج عبو، يتحول، ضمن المفهوم التجريبي، من الاتجاه الاكاديمي الى الواقعية التسجيلية فالتحويرية المبسطة ثم التجريدية الهندسية. وبعبارة أخرى، تلك التي تدخل ضمن بناءات هندسية معمارية احياناً وزخارف إسلامية يعتمد على حركتها المرنة والحادة احياناً. ويضيف بان عبو تحول بعد ذلك الى تجريدية اعتمدت الشكل من خلال اللون واثره في الحركة العامة للبناء او التكوين العام، وبتكنيك مختلف وبمواد متنوعة. وهنا لابد من الاشارة الى ان عبو، كان يمارس واقعيته بروح اكثر حيوية وبألوان اكثر رصانة وحرارة.. ولم يكن هذا الاتجاه غريباً عن منطلقات زملائه من الرواد الاوائل للحركة التشكيلية في العراق امثال فائق حسن (١٩١٤- ١٩٩٢).

صبيح نعامة (١٩١٣-)[٦]:

ولد في الموصل حيث كان والده يعمل خياطاً للالبسة المحلية المعروفة بـ (الدمير) والتي تتطلب مهارة فنية واستخدام للزخرفة لتطريز حافاتها بخيوط لماعة وترك عمل والده تأثيراً كبيراً على بداياته الفنية وفي المتوسطة الشرقية درس الرسم على يد الاستاذ



أزهار: صبيح نعامة

عاصم حافظ. استفاد من بعض الفنانين امثال فتحي صفوت وفائق حسن. عين مدرساً للرسم في ثانوية الناصرية عام ١٩٣٩. وفي عام ١٩٤٦ نقل



الى الموصل مدرساً للرسم في متوسطة الحدباء، وأشرف على تنظيم اول معرض عام لمدارس اللواء.

اهتم كثيراً باعمال الديكور المسرحي حيث أنتج (ديكورات) لمسرحية (هوراس) في مدرسة شمعون الصفا عام ١٩٣٩ بجدارية كبيرة حجم ٤ × ٥م. كذلك رسم ديكورات مسرحية (يمامة نينوى) قاعة الثانوية الشرقية بحجم ٥ × ٦م وكواليس جانبية عدد (٤) بحجم ١ × ٦م عام ١٩٥١.

اعماله تتميز بالألوان المائية، وله مجموعة اعمال جيدة عن الطبيعة في شمال العراق يؤكد فيها مقدرته. اما اعماله بالزيت فكلها تقع ضمن اسلوب واقعي يلجأ فيه الى تفاصيل دقيقة بقيت تلازمه الى الوقت الحاضر واول اعماله هي صورة بالألوان الزيتية للقديس مار قرداغ حجم ١٠٠ × ٧٠ سم رسمها عام ١٩٣٧ وموجودة الآن في ألقوش. وثقافته الفنية كانت واسعة وقام بزيارات عديدة خارج القطر ولسنوات مختلفة وزار العديد من المتاحف مما اسهم في اغناء تجربته الفنية بشكل واسع. واستفاد من خبرته الكثير من فناني الموصل والذي كان له الفضل في تدريسهم ومن تلاميذه: ضرار القدو، راكان دبدوب، عبد الحميد الحيالي، ستار الشيخ ومخلد المختار.

تطور الحركة التشكيلية في الموصل:

تكاد تتفق اكثر الاراء على أن مرحلة الاربعينات كانت الاساس العريض للبناء الذي ترسخ في الخمسينات، وأن قمة الهرم كانت قاعدته العريضة في المراسم المدرسية والمعارض السنوية التي تقيمها المدارس المتوسطة والثانوية في الموصل، فصبيح نعامة مدرس الرسم في متوسطة الحدباء، مثلاً، كان ملماً بشكل واسع وثقافته الفنية تكمل مستواه العملي المتقدم وكان يرسم امام طلابه ويعلمهم الرسم عن الطبيعة، وكان يهتم كثيراً بالتخطيط بالقلم الرصاص واقلام الفحم. كذلك كان ليوسف بطرس دور رائد في اعطاء دروس متقدمة في التربية الفنية اثناء عمله في الاعدادية الشرقية. ثم جاءت الخمسينات التي تعد البداية الأولى لازدهار حركة الفنون التشكيلية في المدينة فعلى أثر تصاعد الحركة الوطنية والنشاط المتميز للصحافة المحلية ظهرت الحاجة الى خلق اهتمامات فنية وثقافية تساهم في اغناء الوعي الوطني. وبالرغم من كون المدينة تعتبر من المدن المحافظة والاكثر تمسكاً بالتقاليد الاّ ان غلبة الطابع الحضري كان واضحاً في الزي ونظافة المدينة وحركة الناس في الشارع وخلال المناسبات الشعبية والدينية. كذلك ساهم انتشار المطبوعات في توسيع أفق الرؤية عند المتذوقين وشحنت في ذهنهم الرغبة في حب الأعمال الفنية والشعور بأهميتها كمتعة بصرية، كذلك كانت أولى المطبوعات من الاعمال الفنية قد غزت جدران المقاهي الشعبية وخاصة نسخ مطبوعة بالالوان لبعض لوحات فنانين عالميين تمثل الحياة الجامدة وخاصة الفاكهة والازهار وكل ماله مساس بالطبيعة.

ثم التحقت مجموعة من الطلبة الموصليين بمعهد الفنون الجميلة في بغداد عام ١٩٥٣ وتخرجت عام ١٩٥٦. وجاءت الى المدينة مُحملةً بثقافة العاصمة بغداد ونشاطها المتصاعد بقاعات العرض الداخلية واحتكاكهم المباشر مع اساتذة الرسم في العراق المحملين بخبرات غنية أثر دراستهم في اوربا امثال فائق حسن وجواد سليم واسماعيل الشيخلي وغيرهم وقد أسهم ذلك في تطوير قابلياتهم وأول عمل قرروا القيام بتنفيذه هو اقامة معرض للرسم اطلقوا عليه اسم معرض خريجي معهد الفنون الجميلة. وقد ساهم فيه (٨) فنانين وافتتح في ١٥ تموز ١٩٥٦ على قاعة مدرسة الارمن الابتدائية.

اما ابرز الذين شاركوا فيه فهم: لقمان محمد علي، حازم محمد احمد، خالد احمد حمدي، ابراهيم الحفوظي، حنا عبد الاحد، ابراهيم حيدران، اديب متي، وقدري حيران. وبعد النجاح الذي تحقق في هذا المعرض تضافرت الجهود لغرض تحقيق معرض شامل لفناني الموصل وفعلاً



افتتح معرض الرسم والنحت والفخار لفناني الموصل في بناية روضة الاطفال الرسمية يوم ٢٥ في آب ١٩٥٧ وكان عدد المشاركين (٢١) فناناً وعدد اللوحات (١٣١) لوحة وقد نسقت اللوحات على الجدران تنسيقاً يدل على الذوق السليم وقوة الفكرة.

لقد اشترك في المعرض عشرون فناناً هم: نجيب يونس، خالد حمدي، حازم محمد احمد، لقمان محمد علي، يوسف الصائغ، ابراهيم حيدران، راكان دبدوب، شاكر محمود الياس، جنان يوسف، حنا عزيزة، حسام يعقوب، طارق الخيلاني، ضرار محمود القدو، قدري حيران، فوزي اسماعيل، عزيز السناطي، هشام سيدان، هاشم سمرچي، لطيف بطرس، هاشم محمود الياس [٧].

إن استمرار جهود فناني المدينة في العمل المتواصل والمشترك، أدى الى تصاعد حركة الفنون التشكيلية في المدينة، والى تحقيق مستوى من الأداء متقدم جداً من حيث الأسلوب والبداية في خلق شخصية متميزة لكل فنان مما يعطي للحركة حضوراً. وما مساهمة فناني المدينة في المعارض الرئيسية في العاصمة الاّ دليلاً على هذا المستوى المتقدم، ففي معرض بغداد للرسم والنحت المقام في نادي المنصور عام ١٩٥٦ شارك من الموصل كل من الفنانين نجيب يونس، ابراهيم عبو النعمان، لقمان محمد علي. وفي المعرض التالي المقام عام ١٩٥٧ شارك من الموصل كل من الفنانين: نجيب يونس بـ (اربع لوحات) وهو الحد الاعلى للمشاركة. وهذه اللوحات هي: (دبكة اليزيدية، مطعم في شقلاوة، حرية وليل، بائعة اللبن)، وشارك لقمان محمد علي بلوحة واحدة (العودة من البستان). وقد اختيرت لوحات الفنان نجيب يونس الاربع ضمن معرض الفن العراقي المعاصر في بيروت (قاعة اليونسكو). وفي معرض بغداد للرسم والنحت المقام للفترة من ١٤ – ٢٨ شباط ١٩٥٨ شارك من الموصل كل من الفنانين: نجيب يونس، ابراهيم عبو النعمان، لقمان محمد علي.

كذلك شاركت مجموعة كبيرة من فناني الموصل في أول معرض أقيم بعد ثورة ١٤ تموز (١٩٥٨) سمي بمعرض الثورة على قاعة النادي الاولمبي في بغداد وللفترة من ١١ – ١٢ أيلول ١٩٥٨ والفنانون المشاركون هم:

حازم محمد احمد، خالد حمدي العسكري، طارق الخيلاني، لقمان محمد علي، هشام سيدان، ضرار القدو.

واثر الاحداث السياسية الوطنية والقومية، وخاصة احداث السويس عام ١٩٥٦ وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ شحنت طاقات الفنانين الموصليين، مما اعطى زخماً لبلورة اعمالهم الفنية. وكان الفن التشكيلي احد هذه الوسائل المهمة والسريعة لايصال افكار الثورة الى الناس واهم النشاطات وأوسعها هي: الجداريات الأربع التي نفذها مجموعة من فناني المدينة البارزين انذاك وهم: نجيب يونس، لقمان محمد علي، خالد احمد العسكري، حازم محمد احمد. ونفذت هذه الجداريات جميعها بالزيت وعرضت في الساحة المقابلة للمكتبة العامة سابقاً، اي في الحديقة التي تتوسط واجهة المتحف الحضاري الآن.. وثبتت على شكل مكعب ذي أربعة وجوه كل وجه يحمل جدارية لأحد الفنانين.

أما ابرز فناني مرحلة الخمسينات فهم:

نجيب يونس (١٩٣٠ –) [٨]:

ولد الفنان نجيب يونس شريف عام ١٩٣٠. وقد زاول الرسم وهو في التاسعة من عمره وكان متقدماً على أقرانه كثيراً، وبالرغم من قلة الخبرات المعطاة للتلاميذ من قبل معلمي الرسم انذاك الاّ أنه لاينسى ان يذكر بأعتزاز جهود معلميه في المدرسة الابتدائية وخاصة الاستاذين (سعد الله جردق)، و (علي رفعت الملا افندي). كذلك يذكر جهود أساتذته يوسف بطرس وعبد الخالق الدباغ الذين قدموا له خبرات نظرية وعملية ساهمت في تطوير امكاناته. وكان المرسم المدرسي يشحن خيال





نجيب يونس

الابداع ويقدم الأغراءات لما يحتويه من امكانيات. كذلك منافسات الابداع المستمرة والطموح للحصول على الجوائز.

في نهاية عام ١٩٤٩ قُبِلَ في كلية الفنون الجميلة العليا في القاهرة بعد ان قدم لهم نماذج من اعماله وقد أشرف على تدريسه هناك كبار الفنانين المصريين ممن كان لهم حضور واسع على الساحة العربية امثال: يوسف كامل، واحمد صبري، وحسين بيكار كذلك زامله في الاكاديمية الكثيرون من وجوه الحركة الفنية والثقافية في مصر منهم رسام الكاريكاتير والشاعر الشعبي (صلاح جاهين)، (وجورج البهجوري) و (آدم حنين).

أن هذه الفترة من الدراسة في مصر تركت تأثيراً كبيراً على أسلوبه والذي لازمه الى الوقت الحاضر. وكان تأثير الفنان (احمد صبري) مهماً جداً وخاصة في مجال معالجته للصور الشخصية (البورتريت) والذي اشتهر به واصبح من أساتذته الكبار في العراق. إن اعماله تتميز بثراء لوني مشبع بموسيقية ضوئية تثير الأنبهار وباستعماله الفرشاة بتلك العفوية التي تختزن خبرة عميقة.

تخرج نجيب يونس عام ١٩٥٣ - ١٩٥٤ من الكلية المذكورة ورجع الى الموصل ليعمل مدرساً للتربية الفنية في العديد من المدارس المتوسطة في المدينة. ومن هنا بدأت مرحلة التأثير على العديد من طلبته واستطاع من خلال مقدرته الأكاديمية الجيدة أن يعطي خبرات متقدمة في أوليات الرسم، فأسلوبه المتضمن اهتماماً كبيراً بالموضوع وبتفاصيله الدقيقة وتأكيده المستمر على المنظور ونظافة اللمسة اللونية، مكن تلاميذه من السيطرة على ادواتهم الفنية بشكل متفهم وبطريقة سليمة تزامنت مع فترة الازدهار للواقعية والانطباعية في الخمسينات والستينات، رسختها تلك الامكانيات اللونية النابعة من اخلاص عميق للبيئة ولطبيعة المدينة التي أغنت عيون الفنان بتنوع المناخات بتلك الطراوة اللونية للأرض والاشجار، والتي اصبحت سمة مميزة لفناني المدينة عموماً.

وفي عام ١٩٦٥ أسس الفنان نجيب يونس (بيت الفن) من خلال عمله في جامعة الموصل ليصبح اول مركز في تاريخ المدينة يستقطب الهواة من مختلف القطاعات. وكان لجهود راكان دبدوب وزميله ضرار القدو أثر كبير ومتميز في تطوير عمل (بيت الفن) والذي أثمر النواة الاولية لتأسيس (متحف جامعة الموصل) للفنون التشكيلية والذي يُعد من المعالم الفنية المهمة في المدينة.

لقد تنقل الفنان نجيب في اعماله بأساليب متنوعة ولم يستقر على اسلوب او مبدأ معين في الرسم وكان يمقت الاسلوبية وقد عزا ذلك الى ان «الفنان يجب أن يكون كالطائر الذي تكون ملكه كل الحدائق وكل الجنائن يحط حيثما يشاء ويغرد كما



رقصة الزيدية: نجيب يونس

يشاء لا أن يحصر نفسه في سجن ليبنيه لنفسه ومعتقل يخترعه لعقله». وتعد لوحته (بناء سور

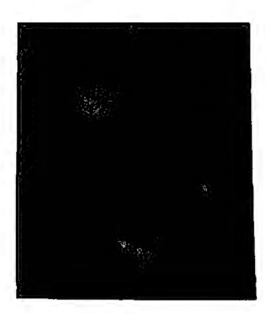


نينوى) التي نفذها لحساب مرسم جامعة الموصل عام ١٩٦٧ وبحجم يفوق تقريباً ٣ × ٥ م من اهم اعماله المدرسية والتي قدم فيها تجارب بالمنظور المتحرك واستخدام عدة زوايا للرؤية وذلك لأعطاء المتفرج مدىً واسعاً للرؤية. اذ لابد أن تكون هناك عين ترتفع فوق عين المتفرج وهو يقطع اللوحة من جهة الملك يساراً الى جهة الفنانين العاملين في تزيين السور يميناً حيث تصعد الرؤية تدريجياً دون ان تشعر بالصعود. أي اشبه «بحركة الكاميرا البطيئة بالمشهد السينمائي». وقد تمثل ذلك بأيجاد منظور آخر للمشاهد مرتفع اكثر من المنظور الأول. تطلّب خطوطاً أخرى حاول مزجها بالخطوط الاولى مستغلاً طول اللوحة فتشابكت الرؤية وعندها اصبحت الاشكال تتسع للعين حيثما وقفت امام اللوحة، وهكذا حقق أضافة جديدة للمنظور اسماها (الازدواجية المحورية).

كذلك استعمل في اعمال أخرى المساقط الرأسية مع متضاداتها لغرض الأثارة وليخلق رؤية جديدة ضمن تكوين محكم وغريب يخضع الاشكال الى ايقاعات موسيقية متناوبة وغير مكررة، يخدمه في هذا العمل براعته اللونية وبهذا أضفى على واقعيته ضفافاً لاحدود لها مليئة بالدهشة والانبهار. والملاحظة التي تثير الأنتباه هي أستفادته الكبيرة من الفوتغراف لكنه يوظف هذه الاستفادة من خلال خبرته الطويلة لأفكاره الخاصة فتتحول عنده عين الكاميرا الى عين الرسام. وفي عام ١٩٧٧ افتتح في الموصل (معهد الفنون الجميلة) واختير الفنان نجيب يونس رئيساً لقسمي (الرسم والخط والزخرفة) وبقي مدة خمس سنوات أحيل بعدها على التقاعد بناء على طلبه عام ١٩٨٣ وهو يعمل الآن وبجديّة ومثابرة في مرسمه الخاص في بيته كفنان محترف كرمته الدولة بأقامة معرض شامل لأعماله على قاعة المتحف الوطني للفن الحديث عام ١٩٨٥ أثار أعجاب الكثيرين من نقاد ومشاهدين وأحدث صدى واسعاً في الاوساط الفنية. وقد كتب أحد النقاد عن لوحاته بانها تمثل «براعة عجيبة ... في عصر تملؤه المآسي، استطاع فنان واحد أن يصرّ على أن الحياة بوسعها أن تضج ايضاً بالفرح وروعة الوجود.. أننا نشعر أزاء ضوضاء جموعه القروية مرآى العمامات الكثيرة التي تتناثر على اللوحة تناثر الأزهار على مرج أخضر أن علينا أن نعيد تدريب العين على الرؤية، علينا أن نتجه بالنظر نحو أُفق كادت ثقافتنا الفنية أن تنساه لشدة ما أتجهت اعيننا الى دواخل النفس المضطرب». ثم يسترسل ويقول «لقد احكم سيطرته على رؤيته وجازف في الدخول بفنه في منطقة خطرة ماأسهل لغير المتمرس أن ينزلق فيها نحو السطحي والمباشر، واستطاع نجيب يونس أن يدرك تلك الأنجازة الصعبة التي تؤكد أنه واحد من اعظم واكبر فناني العراق»[٩].

يونس الحمطاني (١٩٣٢ - ١٩٨٧):

ولد الفنان يونس ذنون الحمطاني في الموصل. ظهرت موهبته منذ المرحلة المتوسطة، وكان يرسم



يونس الحمطاني

الشخصيات التأريخية عن طريق النقل وقد تركت هذه المرحلة تأثيرها في اسلوبه وبقي ينفذ لوحاته بواقعية فوتغرافية أقرب الى الكلاسيكية في معالجته للسطح والأنارة كذلك الاهتمام الواضح بالتفاصيل الدقيقة. وفي المرحلة الاعدادية درس على يد الفنان عبد الخالق الدباغ ونفذ اعمالاً عديدة منها: البؤساء والاطفال السعداء.

وبعد تخرجه من الدورة التربوية عام ١٩٥٢ عين في الحلة مدرساً للتربية الفنية في الاعدادية هناك وبقي سبع سنوات عاد بعدها الى الموصل ثم





لوحة زيتية قام برسمها يونس الحمطاني في ١٤ كانون الاول ١٩٥٠

عين في مدرسة الحكمة مدرساً للتربية الفنية واستمر محافظاً على اسلوبه القريب الى الكلاسيكية وبمواضيعه نفسها. كما اهتم بالحياة الصامتة بشكل واضح ودقيق ويبدو ان لجذوره العائلية أثراً بالغاً في محافظته على هذه الدقة في التفاصيل في مجمل لوحاته أذ كان والده مشهوراً بنقش ياقة العباءآت الرجالية بمادة الأبريسم (السرمه). ومن مساهماته اشتراكه في معرض نادي الفنون على قاعة المكتبة المركزية العامة في الموصل عام ١٩٦٢.

ضرار القدو (١٩٣٥-) :

ولد الفنان ضرار محمود القدو في الموصل. وخلال الدراسة المتوسطة كان يخطط بالقلم مواضيع الحياة الجامدة ويداوم في مرسم المدرسة باستمرار والذي كان يشرف عليه الفنان صبيح نعامة. وفي عام ١٩٥٤ دخل معهد الفنون الجميلة وتخرج منه عام ١٩٥٧. وخلال دراسته استفاد بشكل جيد من اساتذته في المعهد امثال جواد سليم وفائق حسن، وكان يهتم كثيراً بالمواضيع الدراسية ورسم الموديلات. وبعد تخرجه نسب للعمل في دار المعلمين الابتدائية بمدينة الموصل واستمر بمزاولة العمل الفني وبشكل خاص دراسة الطبيعة في شمال العراق. وفي عام ١٩٦٣ رشح الى البعثة العلمية فالتحق باكاديمية روما لدراسة التصميم والزخرفة. وأهتم بمتابعة اتجاهات معارض الفن الحديث وتأثر بتعبيرية استاذه الايطالي (ماركو مكاّي) وحصل على الدبلوم ١٩٦٥- ١٩٦٦ وعند عودته من ايطاليا عين في مديرية النشاطات الطلابية في



ضرار القدو

جامعة الموصل. ثم عمل في متحف (جامعة الموصل) للأزياء وساهم في تصميم قاعاته وفي عام ١٩٧١ نقل الى مرسم الجامعة ورسم عشرات اللوحات التي تمثل الحرف الشعبية الموصلية.

لقد قدم ضرار القدو عند عودته من ايطاليا أعمالاً تمتلك تقنية عالية بالتنفيذ واستعمال المادة جاءت من تأثيرات دراسته في قسم التصميم. وكانت اعماله تقترب من اسلوب الكرافيك او اللينو غراف.. ثم بدأ يتجه نحو اضفاء رموز محلية على أعماله فأتجه الى المدينة ببيوتاتها القديمة المتآكلة الجدران وذات النوافذ الصغيرة التي تفتقد الضوء وذلك لأضفاء صفة التناقض مع الواقع الحضاري وكانت اعماله هذه تؤكد انتماءً اكثر من كونها احياءً لواقع تراثي معين.

واهتم بالشكل واستطاع ان يطوره باستمرار. كما أبتعد عن الخط وأتجه الى التعبير بواسطة الكتلة والبقع اللونية. ثم استمر لتطوير هذا الاسلوب ضمن تجارب متعددة قادته الى تنفيذ اعماله بتلقائية لونية تستند الى خبرة طويلة، وهذه التلقائية تتشعب احياناً وتتداخل فيها الاساليب محاولة منه لخلق أثارات متنوعة للعين والابتعاد عن التكرار في

الاسلوب لكن هذه التلقائية أوقعته احياناً في ميكانيكية غير مستحبة. وقد حاول ضرار القدو تجاوز هذا التأثير بتنوع المفردات التي يستلهمها من البيئة لأغناء جو اللوحة، كذلك التنغيم المتنوع للجزيئات لشد المتفرج للبحث بين تلك الجزيئات اللونية عن متعة بصرية تدفعه اكثر للتوغل في أسرار العمل.

وكان للمرأة حضور واضح في اعماله فالمرأة عنده بهيئتها الانسانية مكملة للجو العام واعتبرها عنصراً مهماً في لوحاته في الوقت الذي قلل من العناصر الاخرى. وهكذا فان ثقافته الفنية اكسبته فهماً متقدماً لطبيعة العمل.

فوزي اسماعيل (١٩٣٥ - ١٩٨٦):

ولد في الموصل واكمل الدراسة المتوسطة والتحق بمعهد الفنون الجميلة في بغداد، وتخرج عام



فوزي إسماعيل اثناء تنفيذ نصب الحزب: حزب البعث العربي الاشتراكي

١٩٦١. وفي عام ١٩٦٣ سافر في بعثة دراسية الى ايطاليا وتخرج من قسم النحت/ اكاديمية الفنون الجميلة في روما عام ١٩٦٧، ودرس السيراميك كذلك في اكاديمية سان جاكومو وبعد عودته من ايطاليا عين مدرساً للرسم في جامعة الموصل وعمل في متحف التراث الشعبي فيها وكان من اول الاعمال التي كلف بتنفيذها في المدينة هو تمثال (الملا عثمان الموصلي) الذي نفذه معتمداً على استشارات قدمت له من قبل الدكتور محمد صديق الجليلي والدكتور عادل البكري وينتصب التمثال اليوم قرب محطة قطار الموصل.

اما العمل الثاني فهو تمثال (ام الربيعين). لقد خلد هذا العمل حضوره الدائم في هذه المدينة التي تغفو بظلال جدرانها الجصيّة البيضاء عصر كل يوم حينما تدب حركة الناس.. تتسلل روح فوزي اسماعيل من هذا الحشد المتزاحم والذي يتدافع للخروج من زحمة شارع النجفي قلب الموصل الذي لايعرف التوقف، يتداخل الرمز وتتوحد المدينة الموصل: ام الربيعين مع المرأة المعطاء، الحنونة العطوفة، والمتطلعة ابدا نحو المستقبل.. المندفعة ضد الريح والمخترقة كل الحواجز للوصول الى سموها وألقها..

أنها أم الربيعين يشد عودها وقامتها الكبرياء، مليئة بالثقة تحمل ازهارها وطيبها وأريجها القدسي. ماضي هذه الامة وحاضرها تفيض بالخبر.. بهذه الزهرات المقدسة التي تحملها (زهرة البيبون).

وفي عام ١٩٧٤ باشر العمل لتنفيذ تمثال (حاملات الجرار) وهو عمل تزييني (فولكلوري) يبلغ طوله (٤) أمتار وقد أقيم فوق قاعدة على شكل هرم مقلوب. وضعت امرأتان وسط حوضين متصلبين وتوجد في اطراف الحوض الاصغر فتحات جانبية ينسكب منها الماء على هيئة شلالات صغيرة ويبلغ قطره (٤) امتار. اما الحوض الكبير فيبلغ قطره (٨) أمتار يتجمع فيه الماء المنسكب من الجدار لينتقل الى الحوض الاصغر. كما ان في قعره اربع مضخات تدفع الماء الى ارتفاع مترين. ولقد نفذه وأنهى العمل فيه عام ١٩٧٤ وأزيح عنه الستار في احتفالات نيسان عام ١٩٧٧ ووضع في الساحة التي تلي جسر الخوصر، اي مدخل شارع النصر في الجانب الايسر، الاّ انه رفع عند تطوير الشارع.

اما عمله الآخر والذي كان يعتز به كثيراً فهو نصب الحزب: حزب البعث العربي الاشتراكي ويتكون النصب من قاعدة ضخمة بارتفاع ٧,٥م وطول ١٢م وقد تم الانتهاء من العمل ووضع أمام قيادة فرع نينوى في مدخل جسر الحرية من جهة الجانب الايسر للمدينة، والعمل يتكون من ثلاثة

أقواس منحنية الى الداخل ومتدرجة بالارتفاع ترتكز عليها ثلاثة أشكال.. اي كل قوس يستقر داخله شكل معين يمثل أحد أهداف الحزب الثلاثة: وهي الوحدة والحرية والاشتراكية وبأسلوب ايقاعي متناوب ومتصاعد نحو الاعلى ويبلغ طول كل نموذج (٣,٧٠) م ويعلو السطح النهائي قاعدة يرتكز عليها رمز السابع من نيسان المرقم (٧) يوم تأسيس الحزب.

لقد أختار فوزي نماذجه الواقعية بتلك الدلالات الرمزية البسيطة ليكون النصب سريع الايصال لقطاعات كبيرة من الناس كما اختار البساطة في الفكرة والتنفيذ.

فالوحدة رمز لها بفتاة ترفع يدها مؤشرة بسبابتها، والحرية بفتاة تحمل المشعل كرمز تاريخي، أما الاشتراكية فرمز لها بفتاة تحمل حزمة من السنابل، والمضمون الداخلي لفكرة الحزب فسّره بجداريتين على جانبي النصب طول كل منها (٦) م من النحت البارز تمثل الاولى نضال الحزب قبل ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨ والثانية تمثل منجزات الثورة. لقد جاء التكوين المعماري للنصب متكاملاً مع النماذج المحمولة والمتممة له، بسيطاً ومعبراً وخالياً من التعقيد. وفي عام ١٩٨٤ نفذ تمثال المؤرخ ابن الاثير لحساب جامعة الموصل، وقد أبتعد فيه عن كثير من الجزيئات وأتجه نحو البساطة لتحقيق الوحدة الموضوعية المتجانسة للتكوين الكلي وجاءت الألتفاتة الجميلة مع حركة اليد المستقرة على الكتب كتفسير رائع لمضمون المعرفة والتواصل معها. ابن الأثير مفكراً متأملاً بهذه الجلسة المستقرة التي توحي بالانتباه، انه تفسير دقيق لشخصية النموذج.. أبن الاثير هذه الروح المنطلقة دائماً نحو مصدر الالهام.

هشام سيدان (١٩٣٦-   )[١٠]:

ولد الفنان هشام سيدان عام ١٩٣٦ واكمل الدراسة الاعدادية عام (١٩٥٤) وتركت الأجواء العائلية التي نشأ فيها تأثراً كبيراً في ميوله التراثية واهتماماته بالمفردات الشعبية واستخداماتها في اعماله حيث كان والده واخوه الكبير من أبرز قراء (المولد) والمقام في المناسبات الدينية. وكان عضواً في فرقة الملا عثمان الموصلي المعروفة ابداعاتها في اللحن، كما كان والده يهوى الخط العربي ويمارسه.

بدأ نشاطه في الخمسينات وشارك في المعرض الاول لفناني الموصل عام ١٩٥٧ بـ (٧) لوحات زيتية. بدأ رساماً لكن اهتماماته التراثية وتعامله مع رموزها البصرية المباشرة بمفرداتها التشكيلية كالأهلة والاقواس والافريزات الجصية البارزة لزخارف الأبواب الموصلية والمساحات الهندسية لمفردات الزخرفة الاسلامية ضمن تجريد روحي يخدم جذور تفكيره الديني، دفعه لدراسة النحت في معهد الفنون الجميلة (القسم المسائي) وتخرج منه عام ١٩٦٤.

منذ البداية حاول هشام سيدان تحقيق خصوصيته في الاسلوب ضمن تعامله مع الرموز التراثية ضمن محاولة فردية جادة لتحقيق هذا التفرد، وتواصلاً مع الجهود السابقة لفنانين آخرين وبتجربة مستمرة بأعتماد التراث كمبدأ عام وكمادة قابلة للصياغة، وهي عملية ليست سهلة. وقد استطاع ان يعطي لتجربته هذه تلك الخصوصية بالرغم من كون المفردات التراثية ملكاً للجميع، واستعملها العديد من الرواد ضمن تجاربهم.

في معرضه الاول عام ١٩٧٢ في بغداد قدم لأعماله تنظيراً نقدياً لتوثيق نظرته الفنية وتوصلاته الأسلوبية في العمل ودخل مرحلة القلق الجاد لتفهم اعماله بعمق ولشعوره بوجود شيء سحري وغامض فيها. وفي هذا الصدد يقول: «علماً بأن الفراغ من مميزات أعمالي ويغلب على الكتل كماً ومساحةً بأسلوب مخالف لأسلوب (هنري مور) وبنظرة تبصرية وعياً وحساً، لمستُ عنصر الصدمة وقوة الرنين الذي تحسّه ولا نسمعه، المنبثق من أعمالي المعدنية وقطع الخزف والبلول الملصق بتماثيلي الفخارية».

أن هشام سيدان قد استطاع تحقيق هذا



الأيقاع الموسيقي لمفرداته التراثية وبذلك الأقتراب من وعي المشاهد بشكل دقيق ومؤثر وبالرغم من الاختلاف بالمستوى الثقافي لقطاعات كبيرة من المشاهدين أي استطاع ان يمسك بمفاتيح اللغز، لغز الدهشة الأولى أو الأثارة البصرية التي تثير الداخل وتجعله يتفاعل مع المرئيات بمختلف تناقضاتها وأن هذه الفوضى بأستعمال المواد المختلفة ومن فترات متباعدة وبهذا التوليف المتقن «الشيش، البليت، البوري المخرم بالاوكسجين مع رمانة المحجلات او كوالين الابواب الحديدية المتروكة» تخلق هذه المتعة البصرية المستقرة التي تعيد التوازن لتلك الفوضى الداخلية المحمل بها الأنسان ويخلق عنده هذا الفهم الجاد لحرية الداخل الملىء بالفوارق مع هذا الاستقرار السلوكي الذي بالخارج ولكونها مسألة انسانية شديدة التعقيد بالتنظير، او التفسير لنظريات علم النفس.

أن اعمال النحت الفخاري الذي أنجزه سيدان ونماذج متنوعة اكمل فيها هذا التواصل بين حلم الطفولة والدهشة المستمرة لأحلام اليقظة وبين

أهلة العيد : هشام سيدان

خيالات القصص الشعبية أو الحكايات الخرافية للتراث الملىء بالحكم والامثال والتفسيرات الوراثية وبهذا التنغيم المدهش للكتل والفراغات، وضمن رؤية شرقية.

من هذا المنطلق تناول الفنان التراث من جانبه الزمني اضافة الى جانبه الشكلي والنفسي فحقق عن طريق استعارته للقطع المعدنية القديمة التي أزيحت من مجال التداول، كذلك النقود القديمة التي تمتلك عامل الزمن مُحنطاً– انطباعات ومناخات قديمة اكسبتها بعداً جمالياً معاصراً دون الوقوع بالتكرار الممل او الاشتقاق من الشكل القديم ليحصل على اشكال تجريدية معاصرة حافظت على جوها التراثي والشعبي المزدوج، كل ذلك مساهمة حادة منه في أخصاب التجربة التشكيلية الهادفة الى خلق صيغة شكلية شمولية مرتكزة على أرضية من الفكر والتكنيك لفن عربي أصيل.

بشير طه (١٩٣٦–   ):

ولد بشير طه علي في الموصل وتخرج من قسم الرسم بمعهد الفنون الجميلة عام ١٩٦٠ واشرف على تدريسه الاستاذان فائق حسن واسماعيل الشيخلي. تخرج من المعهد وتنقل في مدارس عديدة معلماً للتربية الفنية بعدها نسب للعمل في اعدادية المستقبل لتدريس التربية الفنية وفي عام ١٩٧٠–١٩٧١ نسب مشرفاً للفنون التشكيلية في مديرية النشاط المدرسي التابع لمديرية تربية نينوى. وفي عام ١٩٧٣ أقام معرضاً شخصياً في الموصل[١١].

طيلة عمله في المدارس المتوسطة والاعدادية بقي اميناً على اسلوبه الانطباعي وتأكيد على لمسة الفرشاة، يحرك المساحة اللونية من خلال ضربات سريعة يكون من خلالها هذا الانسجام (الهارموني) اللوني المحبب الى العين وخاصة عند لجوئه الى الطبيعة عالمه المفضل وموضوعه المحبب للرسم والذي استطاع من خلال هذا الحب العميق لها ان يحقق تلك الرؤية المستقرة لمساحات واسعة من الخضرة، يقتطع جزءً من الفضاء الواسع ويتعامل معه كوحدة مستقلة. ونلاحظ في اعماله الواقعية بساطة التكوين، واختزال التفاصيل، والتعامل مع الشخوص القليلة بنفس اسلوب الجو العام للوحة. وهو يحاول احياناً الخروج من أسر الطبيعة





غابات الموصل : بشير طه



عبد الحميد الحيالي

ببعض الاعمال القليلة التي تتضمن موضوعات من البيئة الشعبية الاّ ان اعماله تاتي بشكل لايشبع رغباته ولا رغبات المتفرج فنراه يعود الى الطبيعة ميدانه المفضل مانحاً نفسه هذا الاطمئنان للمستوى الذي يقدمه.

له مساهمات كبيرة وجادة في اغناء دروس التربية الفنية في مدارس المحافظة. ونفذ العديد من (الديكورات) المسرحية للنشاط المدرسي وله اهتمامات متميزة في رسوم الاطفال.

عبدالحميد الحيالي (١٩٣٩ - ١٩٧٩):

ولد عبدالحميد خليل الحيالي في الموصل، وتخرج من الدورة التربوية عام ١٩٥٨. تعلم الرسم بالممارسة وبأمكانياته الذاتية بعد تخرجه عين معلماً على الملاك الابتدائي. ثم نسب مدرساً للرسم في المتوسطة المركزية عام ١٩٦١ وكان اول مشاركاته هو معرض نادي الفنون عام ١٩٦٢. ثم لازم الفنان نجيب يونس واشتركا معاً في تهيئة قاعة عرض صغيرة في الدواسة بداية الستينات بأسم المرسم الحر وكلفت تستقطب اعمال الفنانين لعرضها في واجهة القاعة وقد تركت ملازمته للفنان نجيب يونس تأثير على اسلوبه وخاصة في استعمال اللون.

اول مساهماته الواسعة في المحافظة هو الجدارية التي رسمها عن ثورة الموصل عام ١٩٥٩ بالألوان الزيتية وتضمنت اسلوباً تعبيرياً قاسياً وقد وضعت في حينه على واجهة محافظة نينوى.

لقد كان الفنان عبدالحميد الحيالي يمتلك امكانية فنية جيدة رغم عدم تخرجه من معهد



الموصل : عبد الحميد الحيالي



للرسم ، ألوانه تمتاز بحرارتها ويلجأ لاستعمال الفرشاة بأسلوب يقرب الى التعبيرية.

عمل في قسم التصميم والمونتاج بمطبعة جامعة الموصل وخلال عمله اعطى لمجلة «الجامعة» التي كانت تصدرها جامعة الموصل حضوراً متميزاً على مستوى التصميم، ومنح اغلفتها إثارة بصرية ممتازة نافست في ذلك حتى المجلات الفنية والادبية التي تصدر في بغداد. وكانت له اسهاماته في مجال تنفيذ العديد من الصور الشخصية لاعلام الفكر والثقافة العربية الاسلامية زينت بعض جدران معارض الكتب التي اقامتها مطبعة جامعة الموصل.

راكان دبدوب - (١٩٤٠-)[١٢]

ولد الفنان راكان عبدالعزيز دبدوب في الموصل واكمل دراسته في معهد الفنون الجميلة عام ١٩٦٠ - ١٩٦١ بتفوق وبدرجة الامتياز، بعدها أكمل دراسته العليا للفن في قسم النحت باكاديمية الفنون الجميلة في روما وتخرج منها عام ١٩٦٤ ، درس الرسم في الاكاديمية نفسها لمدة سنة واحدة حيث قبل في الصف الثاني بعد اجتيازه امتحان القبول وتخرج من اكاديمية الفنون في روما عام ١٩٦٥ وعاد الى الوطن في العام نفسه.

أثناء دراسته في ايطاليا كان كثير الاطلاع على تراث الفن العالمي واعمال فناني عصر النهضة ودرسها بشكل جيد مما ساعده على تقوية أُسسه الاكاديمية. واثناء اقامته في روما شارك في العديد من المعارض السنوية عند عودته الى العراق عين نحاتاً في متحف الأزياء الشعبية ثم نقل مدرساً للرسم في قسم الهندسة المعمارية بجامعة الموصل.

يُعد راكان دبدوب اكثر رسامي العراق اثارة واكثرهم استفزازاً للجمهور والنقاد فهو دائم البحث ، يتجدد بأستمرار بطاقة سحرية لاتعرف الحدود أنه لايعرف للزمن حدوداً.

يتعامل مع كل المواد التي يستطيع ان يخلق منها



راكان دبدوب

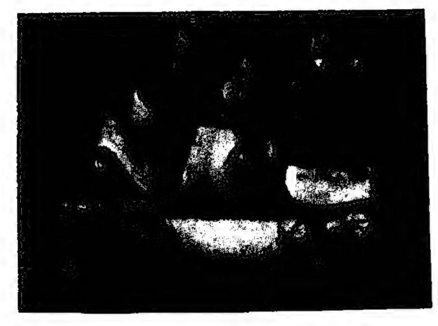
تشكيلاً فنياً يخدم تطلعاته.. أنه يشعر بأنه يمتلك ذلك العالم المرسوم بالذهن بخصوصية عذبة تتحقق عند المتفرج نتيجة تسرب الانفعال او التعاطف الوجداني مع تلك الاعمال بأثارة فكرية وبصرية لايستطيع التخلص منها.

لقد بدأ تجريدياً وقدم أعماله في المعرض الاول على قاعة الواسطي في عام ١٩٦٦ بهذا الاتجاه وبقي اهتمامه بالشكلية يلازمه زمناً طويلاً حولته الى مزخرف واضعفت فيه تدريجياً ذلك الوعي المتدفق للتجربة الحياتية التي يحرص على اكتسابها بأستمرار لعلاقته الحتمية مع مفرداتها الجمالية. بقت هذه التجريدات تلازمه امتداداً لفترة التعلق ضمن واقع لاتربطه معه علاقة جدلية او علاقة تفاعل يدخل في صلب كيانه الثقافي او الاجتماعي وضمن موروث حضاري. الاّ ان تلك الفترة غذّت خيالاته وتصوراته من ناحية ومنحته فرصة دراسة تكنيك الشكل واللون واكتشاف ثراء تنغماته الموسيقية، فتحول عنده من أداة لتفسير المضمون الى مضمون بحد ذاته.

وهنا اكتشف ان محاولاته تلك بتجريداته الشكلية ذات الأنتشاء الصوفي زادت من قيوده للتحرر اكثر من عالم اللوحة ، وانه يمتلك الكثير من التركيبات الجديدة ذات الارتباط الموضوعي.. أنه

يستطيع اكتشاف معطيات هذا الواقع والوصول الى امتداداته الحلمية المشروعة والمستقبلية فأتجه الى التشخيص ، لكن هذا التشخيص لم يأت مباشرة ودفعة واحدة ، لأنه لاينظر الى الانسان كهيئة او كنموذج بل كشعور ودلالة وفعل.. كطاقة داخلية ، لكن الأنسان هنا ونتيجة اسلوب التقطيع بقي جزءاً من الشكل كباقي الأجزاء الاخرى دون تحقيق كيان خاص به فبقى ضائعاً مختنقاً ضمن واقع مليء بالتناقضات يحاول جاهداً الخروج لتحقيق حضوره الانساني المسلوب.. التجأ راكان دبدوب الى هذا الاسلوب في محاولة واعية ليعكس واقع التوزع الداخلي للانسان وتأكيداً على الدلالة الداخلية للاشياء كذلك جاءت نتيجة ممارسته الطويلة للوحة الشكل والذي ينفذها ضمن تصميم واع وبناء محكم يخضع لتوازن العلاقات خلاف الاعتباطية التي تطبع اعمال الكثيرين.

وهنا بدأت محاولاته تتصاعد باستمرار للسيطرة على التداخل بين الشكل الخالص والمضمون الذي يحاول التنفس من خلال بناء الوحدات التشكيلية التي يستعملها كأضافات جمالية.. البلورات النحتية التي توحي بالكتلة والعمق ، كذلك الثقوب المجسمة التي استطاع من خلالها ايضاً تحقيق ذلك



لوحة : راكان دبدوب

الشاهد او الزمن الداخلي للحدث.. لقد استطاع الوصول الى الخارج من خلال هذا الممر السرّي الذي يجذب المتفرج ويغريه بالتوغل عميقاً لأكتشاف خفايا الموضوع ودلالاته. لقد أوقعه حب النحت وممارسته الطويلة له في الامتزاج بين الكتلة النحتية والسطح في بناء اللوحة وفي الاونة الاخيرة أخذ دبدوب يستمد افكاره ، بشأن اللون والنسيج والشكل ، حتى الجدران الرخامية القديمة ، من بيوت مدينة الموصل وقلاعها المهدمة. وقد أدخل راكان دبدوب الحرف العربي بدلالاته البصرية كمفردة تشكيلية وضمن غنائية لونية تعطي للّوحة جمالية خالصة وهذه المفردات رسخته اكثر واعطت له هذه السيطرة ضمن جذور تاريخية تمتد وتتواصل مع الحاضر بصياغة متقنة وتنطلق تجربته نحو الوضوح والتميز في البناء المعماري الذي أستعار من شموخ المعمار العربي الاسلامي سموه وروحيته فأمتاز بتجريد وحدات ومفردات الموضوع في اطار الشكل وبتناظر جميل بين الكتل والمساحات واجزاء البناء. وكما أخذ كذلك من الوان بيئته حرارتها وثراء رموزها.. من درجات الاخضر والازرق الفيروزي والرمادي والأحمر والاصفر واستخدام مشتقاتها بشيء من الرصانة والصنعة الماهرة.. حقق ذلك في اغلب لوحاته المتأخرة عن مدينة الموصل وخاصة اشكال ابوابها ونوافذها واقواسها ومساجدها.. هذه هي وحدات وعناصر الموضوع لديه وهذا ماجعل لجهوده اثراً كبيراً في اغناء مسيرة الفن التشكيلي في العراق(١٣).

الهوامش

(١) انظر: وزارة الثقافة والاعلام ، دائرة الفنون التشكيلية ، مركز صدام للفنون ، الارشيف التشكيلي ، نزار سليم يتحدث عن والده. وسنشير اليه لاحقاً ب (الارشيف التشكيلي). كذلك انظر: شاكر حسن آل سعيد ، فصول من تاريخ الحركة التشكيلية في العراق جـ١ ، بغداد ١٩٨٣ ، ص١٨.

(٢) انظر: شاكر حسن آل سعيد ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ص٧٤ ، ٨٠ وكذلك الارشيف التشكيلي ، صديق احمد يتحدث عن عاصم حافظ ، شوكت كريم ، لوحات وأفكار، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ص٢٣ – ٢٤.

(٣) انظر: كريم ، المصدر السابق ، ص ص٢٣ – ٢٤.

(٤) انظر: شاكر حسن آل سعيد ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص٩٢.

(٥) الارشيف التشكيلي ، من حديث مسجل للفنان فرج عبو. وكذلك انظر: عادل كامل ، فنانون عراقيون ، فرج عبو،



١٩٨٢ ؛ كريم ، المصدر السابق ، ص ص٩٧ - ٩٨

(٦) جريدة فتى العراق ، (صبيح نعامة) ، في آب ١٩٥٦ وكذلك ٢٦ آب ١٩٥٧.

(٧) جريدة فتى العراق ، ٥ أيلول ١٩٥٧

(٨) انظر: مجلة الف باء ، العدد (٨٥٧) في ٢٧ شباط ١٩٨٥ ؛ جريدة الجمهورية ٤ شباط ١٩٨٥.

(٩) جبرا ابراهيم جبرا ، في جريدة الجمهورية ٤ شباط ١٩٨٥

(١٠) انظر: المتحف الوطني للفن الحديث ، دليل المعرض الشخصي ١٩٧٠.

(١١) جمعية التشكيليين العراقيين ، معرض البوستر السياسي لجمعية التشكيليين فرع نينوى ، (كراس) الملحق الفني لمجلة الجامعة ١٩٧٧ ، ص٩

(١٢) انظر: جبرا ابراهيم جبرا ، جذور الفن التشكيلي

(١٣) انظر: شوكت الربيعي ، الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي ، ص٦٨.

التربية والتعليم

د. جمال اسد مزعل

المقدمة :

وجه الباحثون في مختلف أقطار العالم قديماً وحديثاً اهتماماً ملحوظاً لتطور المدن ، وبيان أوجه تقدمها ؛ ومنهم الباحثون العرب بعد تأسيس الدولة العربية الاسلامية ، وقد تحملوا عناء الرحلات للحواضر العربية والاسلامية في سبيل الكتابة عنها ، غير ان هذا الاهتمام قد فتر الى درجة كبيرة في التاريخ الحديث ، وانقطع في ميادين عدة منها ، التربية والتعليم وخاصة في قطرنا فلا نجد بين الأدبيات والبحوث التربوية - عدا التقارير الوثائقية - دراسات تربوية متخصصة تتعرض لتاريخ التربية والتعليم في المدن العراقية بصورة شاملة ، ولما كانت لمدينة الموصل مكانة خاصة في تاريخ تطور التربية والتعليم في العراق آثرنا لذلك الكتابة في هذا الميدان ، أملاً منا في تقديم صورة عنه في تاريخ الموصل المعاصر.

اعتمد الباحث حيثما كان ذلك ممكناً على المصادر والوثائق التاريخية والرسمية ، وعلى المراجع عندما لم يكن بالمستطاع الوصول الى المصادر لأي سبب ما ، ويتعرض الباحث الى التربية والتعليم في المدينة استناداً الى الحقب التي شهدها التاريخ السياسي المعاصر للعراق . ويغطي البحث زمناً يمتد من الاحتلال البريطاني لمدينة الموصل مروراً بعهود الاحتلال والانتداب البريطاني ، ثم الاستقلال .

التربية والتعليم بعد الاحتلال البريطاني ١٩١٨- ١٩٢٠ :

لم تختلف حالة التعليم في الموصل عما كانت عليها مناطق العراق الأخرى في زمن الحكم العثماني ، حيث اهمل العثمانيون شؤون التعليم في جميع أرجاء امبراطوريتهم بما فيها العراق لثلاثة قرون ، ولم تظهر بوادر الاهتمام بالتعليم الا في النصف الاول من القرن التاسع عشر وبتأثير التيارات التجديدية في اوربا ، إذ أظهر السلطان عبد المجيد، بعد توليه شؤون الحكم بعد السلطان محمود الثاني، اهتماماً للتجديد والاقتباس من البلاد الغربية . ونتيجة لذلك أصدر (خط كلخانة) الذي تضمن اتجاهات خاصة للاصلاح في الامبراطورية العثمانية ، واستناداً اليه اجريت محاولات لاصلاح حالة التعليم في الولايات العثمانية ، وشكلت سنة ١٨٤٥م لجنة خاصة لهذا الغرض قررت الاقتباس من اجراءات الاصلاح التعليمي في البلاد الأوربية . وفي سنة ١٨٤٦ قدمت اللجنة تقريراً تضمن منهاجاً مفصلاً يتناول اوضاع التعليم[1] وقد طبق هذا المنهاج ابتداءً من سنة ١٨٦٩ ، حيث أنشىء في السنة نفسها عدد من المكاتب الرشدية ، والمدارس الفنية لتخريج الموظفين المدنيين والعسكريين في مناطق مختلفة من الامبراطورية العثمانية .

أما في العراق فلم تشهد البلاد بولاياتها الثلاث بغداد والموصل والبصرة اصلاحات ذات أهمية الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وكانت اولى محاولات الاصلاح في عهد مدحت باشا في سنوات ١٨٦٩ - ١٨٧٢ وشمل الاصلاح مجالات متعددة في الحياة العامة بما فيها التعليم، وقد استند مدحت باشا الى قانون الولايات العثمانية الذي صدر سنة ١٨٦٤ لتنظيم إدارة البلاد. فعرف العراق في عهده لأول مرة تنظيماً إدارياً محكماً ارتبطت بوساطته انحاء العراق كافة بمراكز ادارية رئيسة، فأرسى بذلك دعائم الادارة الحديثة في العراق متمثلة في إدارة مركزية مركزها بغداد تتولى شؤون البلاد كافة ؛ ونالت التربية والتعليم اهتماماً خاصاً عند مدحت باشا، وكان اول وال عثماني يعمل على تحديث التعليم ضمن اهتمامه باصلاح الأوضاع العامة، ولم يكن في العراق قبل ولاية مدحت باشا الا بضع مدارس ابتدائية تابعة للارساليات التبشيرية او تلك التي كانت عائدة للطوائف المسيحية في الموصل وبغداد[٢].

لم تكن هناك أية مدرسة ابتدائية رسمية في الموصل الى سنة ١٨٨٩ ** غير انه كانت هناك ثلاث مدارس رشدية تحوي صفوفاً ابتدائية، وبلغ عدد المدارس الابتدائية في ولاية الموصل سنة ١٩٠٥ (٣٠) مدرسة[٣] كانت مدة الدراسة في المدارس الابتدائية الموجودة في الموصل في نهاية الحكم العثماني اربع سنوات، وكانت تقبل الاطفال الذين لا تقل اعمارهم عن ست سنوات، اما المدارس الرشدية فقد بلغ عددها في سنة ١٩٠٥ (١٤) مدرسة[٤] وكانت مدة الدراسة في المدارس الرشدية ثلاث سنوات بعد اتمام الدراسة الابتدائية، وترى بعض المصادر ان عدد مختلف انواع المدارس التي كانت موجودة في الموصل في اثناء الاحتلال البريطاني للعراق اي في عام ١٩١٥، (٥١) مدرسة ابتدائية فيها ٤ مدارس للبنات، ومدرسة ثانوية واحدة بدرجة (اعدادي) ودار واحدة للمعلمين، ومدرسة اهلية واحدة هي مدرسة الدومنيكان[٥].

دخلت القوات البريطانية مدينة الموصل واحتلتها في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ وأصبح الكولونيل ليجمن G. E. Leachman حاكماً عسكرياً وسياسياً فيها. وبعد ان تولى الميجر همفري بومان H. E. Bowman نظارة المعارف العمومية في بغداد أناط مهمة تنظيم التعليم في الموصل الى الكابتن بيس E. H. Base وعينه وكيلاً لناظر المعارف في الموصل في مطلع كانون الأول ١٩١٨.

عندما تولى كابتن بيس إدارة التعليم في الموصل، وكانت في الموصل (٦) مدارس ابتدائية للبنين، وهي مدارس: الوطن، ودار العرفان، وجامع الخضر وشمس المعارف، ودار الآداب، ورهبر ترقي، و(٣) مدارس للاناث خاصة بالبنات المسلمات وهي مكتب الاناث المركزي، ومكتب تدريس نمونة، ومكتب هداية العرفان. وكان لطائفة الكلدان (٣) مدارس للبنين، وللدومنيكان مدرستان للبنات واربع مدارس في القرى المحيطة بالموصل خاصة بالبنين، وكان لطائفة السريان الكاثوليك مدرستان واحدة منها للبنات بأسم المدرسة التوماوية والثانية للبنين بأسم مدرسة الطاهرة[٦].

وكان في الموصل ايضا في هذا الوقت دار للمعلمين اشغلتها القوات العثمانية في اثناء الحرب ثم اشغلتها القوات البريطانية بعد احتلال الموصل وكان فيها (٧) طلاب وعدد قليل من المعلمين كما كان هناك مكتب اعدادي ملكي واحد[٧].

لقد اغلق الكابتن بيس المدارس الموجودة في الموصل بحجة ان معظم معلميها من الاتراك او من ذوي الثقافة التركية عدا مدرسة واحدة هي مدرسة الوطن، والغى (مكتب الاعدادي ملكي) ووزع طلابه بين مدرسة الوطن ومدرسة الخضرية التي حلت محله[٨] واستغنى عن عدد كبير من المعلمين



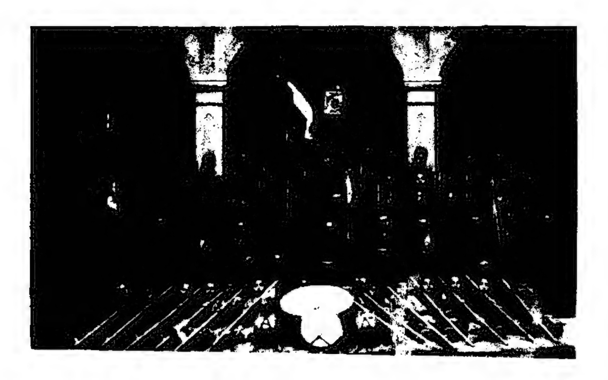


المدرسة الخضرية ١٩١٩

غير المؤهلين او الذين لم يرغبوا في الاستمرار بمهنة التعليم.

واستمرت ثلاث مدارس ابتدائية خاصة بالطوائف المسيحية بتدريسها وهي مدرسة شمعون الصفا، وكانت مدرسة خاصة بالكلدان، ومدرسة الطاهرة وكانت خاصة بالسريان، ومدرسة مارتوما وكانت خاصة باليعاقبة. ووافق بيس على فتح

اتفقت نظارة المعارف في الموصل في نيسان عام ١٩١٩ مع رؤساء الطوائف المسيحية وعدت مدارسهم بموجب هذا الاتفاق مدارس شبه حكومية. تشرف عليها نظارة المعارف وتتولى صرف رواتب معلميها، واشترطت نظارة المعارف على تلك المدارس على ان لاتستخدم المدارس الا لاغراض تعليمية وان تحافظ على مستواها العلمي وان تدرس



مدرسة الطاهرة في الثلاثينات

(مجموعة بهنام حبابه)

مدرسة لليهود، واستحدث بيس مدرسة ابتدائية لابناء المسلمين سميت بالمدرسة الخزرجية، وقام ايضا بفتح مدرستين ابتدائيتين للبنات المسلمات ابتداء من مطلع عام ١٩١٩ سميت الاولى بمدرسة حديقة المعرفة والثانية بالمدرسة الخزامية.

اللغتين العربية والانكليزية[٩].

اتخذ الكابتن بيس اجراءات لاعادة فتح مدرسة البروستانت التابعة لبعثة الكنيسة الانكليزية، وقرر ايضا فتح مدرسة اولية في قرية سنجار لتعليم ابناء اليزيدية القراءة والكتابة، وقام

بفتح عدد من المدارس الاولية في بعض القرى المسيحية مثل تلكيف، وقره قوش، وبحزاني، والقوش، وتللسقف، وكرمليس[10] واقدمت السلطات البريطانية كذلك على فتح واعادة فتح بعض المدارس الابتدائية في مناطق اخرى تابعة للموصل ففي كانون الثاني ١٩١٩ فتحت مدارس محلية في تلعفر ودهوك وعقرة[11].

وضع بيس في تموز ١٩١٩ شروطا للقبول في المدارس الابتدائية وحدد سن القبول في هذه المدارس بأن لايقل عن ست سنوات ولايزيد على ثلاث عشرة سنة، وفرض اجراء امتحان للطلبة قبل قبولهم لتحديد الصفوف المناسبة لهم. كما قرر فرض اجرة شهرية على الطلبة بأستثناء الذين لاتسمح ظروفهم المادية من دفع الاجرة، وبناء على ذلك استثنى طلاب المدرسة الخزرجية من الاجرة الشهرية والتي كان قدرها روبية واحدة.

عندما تسلم الميجر همفرى بومان ادارة المعارف في العراق بتاريخ ٢٢ آب ١٩١٨، وكان خبيرا تربويا عمل في وزارة المعارف المصرية مدة طويلة مع المستشار دوكلاس دنلوب D.Dunlop عمل على احداث تغييرات في بنية النظام التعليمي في العراق مستفيدا من نظام التعليم العثماني ونظام التعليم في مصر ووضع خطوطا عامة لسياسة تعليمية اثرت فيما بعد في طبيعة النظام التعليمي في العراق، وبعد احتلال الموصل والحاق الموصل بالادارة المدنية في بغداد طبقت عليها نفس المبادئ العامة للسياسة التربوية التي تبناها بومان، وعمل على تنفيذها واصبحت اساسا لسياسة التعليم في فترة الانتداب البريطاني، وقد عمل بومان على اعادة تنظيم مجلس المعارف وزاد عدد اعضائه وعمل على تنشيط دوره في مناقشة وتنفيذ مخططه في مجال التعليم، وبعد احتلال الموصل نظم المعارف على اساس تقسيم العراق الى اربع وحدات ادارية، كانت الوحدة الاولى لمنطقة معارف بغداد وشملت لواء الدليم، وسامراء، والكوت وديالى فضلاً عن بغداد، والوحدة الثانية كانت لمنطقة معارف الموصل وشملت هذه الوحدة ادارة المعارف في المنطقة الشمالية، الموصل وضواحيها، ودهوك، وتلعفر، واربيل والكوير، وعقرة وزاخو والسليمانية، وكركوك، وكانت الوحدة الادارية الثالثة لمنطقة معارف الحلة، أما الوحدة الادارية الرابعة فكانت لمنطقة معارف البصرة.

استهدفت السياسة التعليمية التي وضعها بومان كما جاء في المذكرة الخاصة التي رفعها في ١٢ آب ١٩١٩ الى الحاكم الملكي العام البدأ بالعمل على تحسين وضع التعليم الابتدائي والمباشرة بفتح مدارس ابتدائية في الاماكن التي هي بحاجة ماسة اليها على الرغم من الصعوبات التي كانت تجابه السلطات التعليمية الناتجة عن النقص الكبير في عدد المديرين والمعلمين الاكفاء، وقد انعكست هذه السياسة على حالة التعليم في الموصل، فقد وجه بومان الكابتن بيس بالمباشرة بأعادة وفتح مدارس في مناطق مختلفة من الموصل والمدن والقصبات والقرى التي تتبع ادارة المعارف في منطقة الموصل، وبدأ بيس فعلا كما بينا سابقا بفتح عدد من المدارس في الموصل واطرافها والمناطق التابعة لمعارف الموصل، اذ اعيد فتح المدارس الابتدائية في كل من اربيل، والكوير، وتلعفر ودهوك، وعقرة، وزاخو، واعيد فتح مدرسة السليمانية وقرر اعادة فتح المدرسة العلمية ومدرسة ابتدائية في مدينة كركوك[12].

اصبح سلم التعليم في المدارس العاملة في الموصل- كما هو الحال انذاك في مناطق المعارف الاخرى في العراق- في ضوء السياسة التي وضعها بومان يتكون من: المدرسة الاولية، والمدرسة الابتدائية، والمدرسة الاعدادية، حددت مدة الدراسة في المدرسة الاولية بأربع سنوات، وجعل في المدارس الابتدائية قسما يعرف بالقسم الاولي



يقضي فيه الاطفال مدة سنتين قبل انتقالهم الى القسم الابتدائي في المدرسة الابتدائية، ومدة الدراسة في القسم الابتدائي كانت اربع سنوات، واصبحت مدة الدراسة في المدرسة الابتدائية بقسميها ست سنوات، وقد استوحى بومان هذا النظام من نظام التعليم في مصر حيث كانت المدارس الاولية مدارساً للقرى والمدن الصغيرة، وكان منهج الدراسة فيها بسيطا قياسا على منهج المدرسة الابتدائية وساعات الدراسة فيها اقل ولا تعلم فيها اللغة الانكليزية. وكان من الممكن ان تتحول المدرسة الاولية في بعض الحالات وتصبح مدرسة ابتدائية ان كانت هناك ظروف ملائمة لذلك، أما المدرسة الابتدائية فكانت اقرب الى (المكتب الرشدي) الذي كان في العهد العثماني، وكانت ارقى من (المكتب الابتدائي) في العهد العثماني.

أقر بومان مدة الدراسة في المرحلة الثانوية اربع سنوات غير انه رفض البدء بأنشاء مدارس ثانوية مبرراً ذلك بعدم توافر المعلمين الاكفاء، وأرجأ النظر في امر التعليم الثانوي ريثما يتوافر العدد الكافي من المعلمين واكتفى في الموصل بالصف الثانوي الذي فتح في بناية (مدرسة الوطن) الابتدائية وبوشر في ١٥ أيلول ١٩١٩ التدريس في هذا الصف. وفي السنة اللاحقة استقدمت نظارة المعارف العمومية بعض المدرسين من لبنان ومصر وعينت بعضا منهم للتدريس في ثانوية الموصل وقد بقيت هذه المدرسة في مكانها حتى سنة ١٩٢٢ حيث اصبحت تشغل الطابق الثاني من المدرسة الخضرية[١٣]. واكتفى ايضا بالصفوف الثانوية التي فتحت في مناطق اخرى من العراق في بغداد والبصرة كما واكتفى ايضا بالمدارس الاهلية والاجنبية التي كانت تقدم تعليماً ثانوياً في مناطق مختلفة من العراق. غير ان بومان اوضح في مذكرته التي سبقت الاشارة اليها أنه يعمل على تطوير هذا النوع من التعليم بفتح مدارس ثانوية بالتدريج في المدن الرئيسة في العراق لتصبح المدرسة الثانوية المخرج الرئيس للعاملين في خدمة الحكومة.

حاول بومان النهوض بالتعليم النسوي، ورأى من الضرورة استحداث مدارس لتعليم البنات الموصليات، وفعلا تم افتتاح مدرستين رسميتين للبنات في الموصل عام ١٩١٩، وكانت هناك مدارس قائمة آنذاك في الموصل لتعليم بنات الطوائف الاخرى، وكانت تابعة لمؤسسات أهلية.

لم يفرض بومان دواما الزاميا على الطلاب بل جعله اختياريا كما كان سائدا في العهد العثماني، غير انه اقترح فرض اجور على التعليم والذي ظهر فعلا في شروط القبول التي وضعها الكابتن بيس في مدارس الموصل عام ١٩١٩، واقترح بومان ايضا فرض غرامة على آباء الطلبة الذين ينقطعون عن الدوام اسلوبا لتنظيم الدوام والحفاظ على استمراره في المدارس الحكومية.

طبع بومان في وقته منهج للمدارس الاولية والابتدائية باللغتين العربية والانكليزية، وأناط بالحاكم السياسي في منطقة الموصل مهمة التأكد من تطبيق المنهج، وكان منهج الدراسة في المدارس الاولية الذي طبق في الموصل اعتبارا من السنة الدراسية ١٩١٩/ ١٩٢٠ يحتوي على المواد الدراسية الآتية خلال السنوات الاربع التي هي مدة الدراسة فيها وهي: القرآن الكريم والتعليم الديني، واللغة العربية، والخط العربي، والحساب والجغرافية، والتاريخ، والرسم، والاشغال اليدوية، والهندسة، والمساحة، ومبادئ الزراعة، والارشاد، والرياضة البدنية، وبمجموع (٣٤) ساعة اسبوعيا لكل صف من الصفوف الاربعة. اما المنهج الدراسي للمدرسة الابتدائية ذات السنوات الستة والتي اشتملت على سنتين للدراسة الاولية واربع سنوات للدراسة الابتدائية فكان يشتمل على المواد الدراسية الاتية: القرآن والتعليم الديني، واللغة العربية، والخط العربي،

والحساب ، والجغرافية ، والتاريخ ، والرسم ، والاشغال اليدوية ، والهندسة ، ودروس الاشياء ، والترجمة ، واللغة الانكليزية ، والخط الانكليزي ، والرياضة البدنية ، وبمجموع (٣٤) ساعة اسبوعيا لكل صف من الصفوف الستة. وكان دوام المدارس يبدأ من الساعة الثامنة صباحاً وينتهي الساعة الرابعة عصرا تتخلله فترة استراحة في اثناء الظهر من الساعة الثانية عشر والنصف الى الساعة الواحدة والنصف ويتعطل الدوام مساء يوم الخميس ويوم الجمعة من كل اسبوع. واخضع جميع المدارس غير الحكومية في منطقة معارف الموصل لتفتيش نظارة المعارف وجعل هذه المدارس مشمولة بالمساعدات المالية ، وجعل مقدار المساعدة يختلف باختلاف اهلية كل مدرسة وأهميتها. اذ تم الاتفاق في شهر نيسان سنة ١٩١٩ بين نظارة المعارف في الموصل ورؤساء الطوائف الكاثوليكية في الموصل (الكلدان والسريان واللاتين) وسُميت هذه الاتفاقية بأسم الكونكورداتو واستنادا الى هذه الاتفاقية عدت المدارس الخاصة بالطوائف الكاثوليكية مدارس شبه حكومية تتولى نظارة المعارف الاشراف عليها وصرف رواتب معلميها مع محافظة هذه المدارس على طابعها ، وعندما عين الكابتن جيروم فارل Farrell وكيلا لناظر معارف الموصل خلفا للكابتن بيس اراد ان يضفي على هذا الامر صفة الاستمرار ، اذ وضع مشروعا وارسله الى بغداد لمصادقة الميجر بومان عليه وبعد اجراء تعديلات على المشروع وافق عليه بومان وقد تضمن المشروع تقديم مساعدات مالية الى مدارس الطوائف المسيحية ، ومن أبرز المدارس التي شملتها الاتفاقية مدرسة شمعون الصفا للكلدان ، ومدرسة مار توما لليعاقبة ومدرسة الطاهرة للسريان[١٤].

أما فيما يتعلق بالمدارس الاهلية في الموصل فيرجع ظهورها الى قيام دائرة المعارف التركية بانشاء مدرسة ابتدائية في الموصل بأسم (دار الاداب مكتبي) واستمرت بعملها حتى أيام الحرب العالمية الاولى ، وقد وضع مدير هذه المدرسة السيد محمد رؤوف الغلامي «نظاماً اقتصادياً» لهذه الدار سماه (صندوق الاقتصاد) ثم فصله عن (دار الاداب مكتبي) وجعله مؤسسة مستقلة بذاتها سميت (دار الاداب) وفي سنة ١٩١٧ وضع لها منهاجا خاصا يشمل على شعبتين هما الشعبة العلمية والشعبة الاقتصادية ، وقد بدل السيد الغلامي اسم (دار الاداب) قبيل احتلال القوات البريطانية لمدينة الموصل الى (جامعة الاداب) كي تكون مؤسسة شبه علنية ووضع مع منتسبي الدار نظاماً لجامعة الاداب.

وقد أخذ فيما بعد اعضاء الجامعة يعملون على تطوير الشعبة العلمية وتحويلها الى معهد علمي ووضعوا نواته على هيئة مدرسة ابتدائية سميت بدار النجاح ، وقد اصبحت مدرسة كاملة ذات ستة صفوف في سنة ١٩٢٢. غير ان سلطات الاحتلال البريطاني الحقت هذه المدرسة بمدارسها الرسمية.

وفي تشرين الاول من سنة ١٩١٩ تم فتح مدرسة اخرى سميت بالمدرسة الاسلامية وقد خطط لمناهجها ان تكون مدرسة متكاملة تشتمل على اربع مراحل (دورة) اولية ومتوسطة ، وتالية وعالية ، وتمتد الدراسة في كل مرحلة (دورة) لثلاث سنوات ، وقد اعتمدت هذه الدراسة في انشطتها على التبرعات الاهلية غير انها شملت بالمساعدة المالية التي اقرتها نظارة المعارف العمومية في الموصل وفق «القانون الخاص بالمساعدات المالية»[١٥].

عمل بومان على اصدار انظمة وتعليمات مدرسية طبقت في الموصل وفي المناطق الاخرى من العراق ، وتبنت هذه الانظمة والتعليمات اسساً مرنة واعطيت فيها الحرية لمدير المدرسة للعمل على ادارة مدرسته وفق كفاءته وابداعه الذاتي ، واعد بومان هذه الانظمة بمثابة (دليل حفظ النظام والانضباط) وليست انظمة صارمة في سبيل ان تكون مقبولة لدى المعنيين ، وقد وضع بومان ايضا حدودا لصلاحيات الحاكم السياسي ونظم العلاقة بينه وبين ناظر المعارف ، واكد على ضرورة



التعاون بين الحاكم السياسي وناظر المعارف[١٦].

وطبق بومان في الموصل وفي المناطق الاخرى من العراق قرارا حدد فيه اعمار الطلاب الذين يقبلون في الصفوف الاولى من المدارس الاولية، وحدد فيه ايضا ضوابط انتقال الطلاب من مدرسة الى اخرى، فقد حدد القرار بعدم قبول الاطفال الذين اعمارهم تقل عن ٦ سنوات او الذين تزيد اعمارهم عن ١٣ سنة في المدارس الاولية والابتدائية كما تضمن القرار عدم قبول الطالب بعد مضي شهرين على افتتاح المدارس الا اذا اقترن بتصديق من نظارة المعارف والذي يسّون في احوال خاصة، واجاز القرار نقل الطلاب المقيدين في المدارس الى مدارس اخرى وكذلك قبولهم في اي وقت كان على ان يبرزوا شهادة نقل.

العمري في مطلع سنة ١٩١٩ لفتح صف للهندسة الغرض منه تخريج مهندسين مساحين، غير ان عمل هذا الصف لم يستمر طويلاً[١٧].

التربية والتعليم في فترتي الانتداب والاستقلال (١٩٢٠ - ١٩٥٨):

كان تطور التعليم في الموصل في فترة الانتداب من ٢٦ نيسان ١٩٢٠ ولغاية الثالث من تشرين الاول ١٩٣٢ جزءً من حالة تطور التعليم في العراق، الذي كان متأثرا بالوضع العام الذي نشأ بسبب تغيير السياسة البريطانية في كيفية حكم العراق من حكم مباشر الى حكم غير مباشر وذلك بربطه بالاحلاف والمعاهدات التي تضمن استمرار النفوذ البريطاني، فقد شهدت فترة الانتداب كما



ملاك اعدادية الموصل ١٩٢٧ - ١٩٢٨ ويظهر فيها رشيد الخطيب وعبد الرحمن صالح ودرويش المقدادي وداؤد سليم (المدير) والمستر مارتن مدرس اللغة الانكليزية.

ومن المسائل التربوية المهمة التي قام بها بومان في مجال تنظيم التعليم والتي طبقت في الموصل هي اصدار تعليمات لتنظيم الامتحانات العامة الحكومية (البكلوريا) في سنة ١٩١٩، وقررت اجراء هذه الامتحانات في الموصل فضلا عن بغداد والبصرة.

اما فيما يتعلق بالمدارس الصناعية فلم تؤسس في هذه الفترة اية مدرسة صناعية رسمية، غير انه كانت هناك محاولة قام بها في مدينة الموصل امين بك

هو الحال في فترة الاحتلال تدخلا واضحا من المستشارين الانكليز في شؤون التربية والتعليم وتحديد معالم السياسة التعليمية وتوجيهها في الاتجاه الذي ينسجم مع سياسة سلطات الانتداب، وشهدت الفترة من جانب اخر اهتمام العراقيين بوضع الاسس العامة لنظام تعليمي وطني قومي يهتم بالتاريخ العربي واللغة العربية، وكان لساطع الحصري (١٨٨٢- ١٩٦٨)، المربي



ساطع الحصري

والمفكر العربي القومي المعروف ، والذي تولى ادارة التعليم بين ١٩٢١ - ١٩٢٧ ووضع أسسه الجديدة القائمة على النظريات التربوية الحديثة والاعتبارات القومية ومتطلبات المرحلة الجديدة ، اثر كبير في تطور التعليم الوطني في العراق ، فعلى المستوى الرسمي عبّر منهاج الوزارة النقيبية الثانية في ١٢ ايلول ١٩٢١ (وزارة عبد الرحمن النقيب) عن هذا الاهتمام بتأكيده ان الوزارة الجديدة تسعى الى ترقية العلوم والمعارف في العراق واشراك الاهلين في الاسهام بهذا العمل ، واخذت الحكومة تعمل على تهيئة مستلزمات اعداد العراقيين ليسلم مقاليد الامور بعد انتهاء الانتداب ، وتحملت وزارة المعارف مهمة هذا الاعداد لذلك نلاحظ محاولات كثيرة بذلتها السلطات التربوية العراقية في فترة الانتداب لتوسيع خدمات التعليم بجميع مراحله في جميع الوية العراق بما فيها لواء الموصل .

شهد التعليم في الموصل بجميع مراحله كما هو الحال في الوية العراق الاخرى نموا ملحوظا في فترة الانتداب ، وقبل صدور قانون المعارف العامة رقم ٢٨ لسنة ١٩٢٩ متمثلا بنمو نسبي في حجم الخدمات التعليمية في المرحلة الابتدائية والثانوية وتحسن نسبي في نوع التعليم ، واتخذت السلطات التربوية في اللواء تدابير في توفير التعليم الثانوي للتلاميذ الذين يكملون الدراسة الابتدائية ، واتخذت اجراءات استهدفت تنظيم التعليم بصورة افضل في هذه المرحلة اذ نظمت امتحانات عامة للدراسة الثانوية سنة ١٩٢٥-١٩٢٦ وطبقت المنهج الجديد للدراسة الثانوية سنة ١٩٢٦ بقسميها المتوسطة التي كانت مدة الدراسة فيها سنتين والثانوية ومدة الدراسة فيها ايضا سنتان ، وفي سنة ١٩٢٩ أصدرت وزارة المعارف منهجاً مؤقتاً للدراسة الثانوية زيدت بموجبه مدة الدراسة سنة واحدة واصبحت مدة الدراسة فيها خمس سنوات خصصت السنوات الثلاث الاولى للدراسة المتوسطة والسنتان الاخيرتان للدراسة الاعدادية ، وبقي هذا الهيكل معمولا به في المرحلة الثانوية لفترة طويلة بعد هذا التاريخ[١٩].

وهكذا تم في فترة الانتداب استكمال الجزء الاعظم من الاسس العامة لنظام التربية والتعليم الحديث في جميع الوية العراق بما فيها لواء الموصل. ولم تشهد فترة الاستقلال،التي بدأت في الثالث من تشرين الاول سنة ١٩٣٢ وحتى اعلان الجمهورية سنة ١٩٥٨،الا تغييرات طفيفة في مجال البناء الهيكلي للنظام التعليمي وخاصة في مرحلة التعليم العام . فقد كان النظام التعليمي في الموصل،كما هو الحال في الوية العراق الاخرى عند اعلان استقلال العراق،يتكون من مرحلة ابتدائية فيها نوعان من التنظيم ، الاول هو المدارس الاولية التي كانت مدة الدراسة فيها اربع سنوات ، والمدارس الابتدائية التي كانت مدة الدراسة فيها ست سنوات ، وتتكون من حلقتين الاولى اولية ومدتها سنتان والثانية مدتها اربع سنوات تشتمل على خصائص التعليم الاولي والتعليم المنظم ، اما فيما يتعلق بالتعليم الثانوي فقد طبق في الموصل سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ المنهج الجديد حيث اصبحت مدة الدراسة في التعليم الثانوي خمس سنوات بعد ان كانت اربع سنوات ، موزعة على مرحلتين تفصيليتين الاولى متوسطة ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات ، والثانية ثانوية ومدة الدراسة فيها سنتان تشتمل على فرعين ادبي وعلمي . أما فيما يتعلق بالمدارس المهنية فقد كانت هناك في عهد الاستقلال مدرسة صناعية واحدة في الموصل . احتوت على فروع قليلة وكان عدد طلابها سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ (٨٠) طالبا[٢٠] . ولم تكن في الموصل في هذه الفترة اية





بناية الاعدادية الشرقية : تصوير حسين احمد عيد

مؤسسة تعليمية عالية. واستمر التعليم ينمو بعد الاستقلال في الموصل تدريجياً وبصورة بطيئة نسبيا قياسا لحاجة البلاد الفعلية للخدمات التعليمية ولم تحصل تغييرات كبيرة في انساق النمو الا بعد ثورة ١٩٥٨.

التربية والتعليم بعد ثورة ١٩٥٨ :

وجهت جهود كبيرة لاصلاح الواقع التربوي بعد ثورة ١٩٥٨ وصدرت على مستوى القطر تشريعات نظمت بموجبها شؤون التربية والتعليم[٢١]. فقد صدر نظام وزارة التربية رقم ٥٧ لسنة ١٩٥٩، اذ حدد النظام هيكل وزارة التربية ومسؤولية الوزير والوزارة في مجال التعليم العام والمهني، وتضمن مواد لتنظيم مراحل التعليم مستندا الى الاسس السابقة لتنظيم التعليم في القطر[٢٢]. وشهدت سنوات الستينات اهتماما نحو تخطيط السياسة التربوية، وانعكس هذا الاهتمام على نشاط اجهزة التربية والتعليم في الوية العراق بما فيها الموصل، وتعد سنة ١٩٦٣ بداية للنشاط التخطيطي للتربية على مستوى القطر، فقد تم تشكيل اول مجلس اعلى للتخطيط التربوي وحددت وظائفه بوضع فلسفة تربوية للعراق، ووضع الاهداف التربوية لكل مرحلة من مراحل التعليم، ورسم الخطط وايجاد الاساليب المناسبة لتنفيذها.

التربية والتعليم بعد ثورة ١٩٦٨ :

صدر بعد ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨ عدد كبير من القوانين والانظمة التي عالجت مسائل ذات اهمية كبيرة في مجال تطوير النظام التعليمي في العراق، ومعالجة معوقات اساسية كان يعاني منها النظام التربوي والتعليمي في الفترات التي سبقت ثورة تموز سنة ١٩٦٨، ومن بين هذه التشريعات التي صدرت بعد الثورة وتركت آثارها على حالة التربية والتعليم : قانون وزارة التربية رقم ٢٤ لسنة ١٩٧١ ونظام وزارة التربية المعدل رقم ١٣ لسنة ١٩٧٢ ونظام الامتحانات العامة المعدل رقم (١٩) لسنة ١٩٧٢، ونظام محو الامية رقم ٣ لسنة ١٩٧٣، وقرار مجلس قيادة الثورة القاضي بمجانية التعليم رقم ١٠٢ لسنة ١٩٧٤، وقانون التعليم الالزامي رقم ١١٨ لسنة ١٩٧٦، ونظام التعليم الثانوي رقم ٢ لسنة ١٩٧٧، ونظام اعداد المعلمين رقم ٣٧ لسنة ١٩٧٧، ونظام رقم ٣ لتعديل نظام وزارة التربية لسنة ١٩٧٨، ونظام رياض الاطفال رقم (١١) لسنة ١٩٧٨ ونظام الحملة الوطنية الشاملة لمحو الامية الالزامي (٢) لسنة ١٩٧٩،

وقد جعلت التشريعات المذكورة التعليم متاحا لجميع ابناء المجتمع في العراق بكافة محافظاته، وتبعا لذلك تطور التعليم في محافظة نينوى تطورا لم تشهده الفترات السابقة، وبدأت في المحافظة منذ بداية ثورة ١٩٦٨، خاصة بعد ان وضعت وزارة التربية خططها بعد الحلقات الدراسية التي عقدت حول تطوير التربية والتعليم في العراق في عام ١٩٧٠،

حركة نشطة في تطوير مؤسسات التربية والتعليم في المحافظة سواء في مجال توسيع خدماتها لتشمل فئات واسعة من المتعلمين أو من حيث تحسين نوعية الخدمات التعليمية والتربوية، ومن بين اهم الاحداث التربوية التي شهدتها المحافظة محو الامية الالزامي والزامية التعليم الابتدائي والتوسع الكبير في التعليم الثانوي بمرحلتيه المتوسطة والاعدادية، ونمو التعليم المهني واعداد المعلمين، فضلا عن التطور الكبير في مجال نمو رياض الاطفال وتطوير اساليب التربية فيها.

الهوامش

(*) يشكر الباحث السيد علي سلمان حسين المساعد الباحث في قسم العلوم النفسية والتربوية بكلية التربية جامعة الموصل لما قدمه من جهد في جمع بعض البيانات الاحصائية.

(١) مزعل، جمال أسد، نظام التعلم في العراق، مطبعة التعليم العالي الموصل ١٩٩٠، ص ٢١.

(٢) أحمد، ابراهيم خليل، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢، الطبعة الاولى، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٢، ص ٤٩.

(**) هناك اشارة واحدة الى وجود مدرسة ابتدائية واحدة اسست في الموصل سنة ١٨٦١ انظر: احمد، ابراهيم خليل، المرجع السابق، ص ٤٩.

(٣) فيضي، سليمان، في غمرة النضال، بغداد ١٩٥٢، ص ٥٨- ٥٩، انظر: احمد، ابراهيم خليل، المرجع السابق، ص ٤٣.

(٤) احمد، ابراهيم خليل، المرجع السابق، ص ٤٥- ٤٦.

(٥) الحصري، ساطع، مذكراتي في العراق، ج ١، بيروت ١٩٦٧، ص ١١٥.

(٦) قاشا، سهيل، تاريخ ابرشية الموصل للسريان الكاثوليك، بغداد ١٩٨٤، ص ٤٠٨.

(٧) الهلالي، عبد الرزاق، تاريخ التعلم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤- ١٩٢١، مطبعة المعارف بغداد ١٩٧٥، ص ١١٢.

(٨) الهلالي، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص ١١٣.

(٩) الهلالي، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص ١١٧.

(١٠) احمد، ابراهيم خليل، المرجع السابق، ص ١٠٤.

(١١) احمد، ابراهيم خليل، المرجع السابق، ص ١٠٤.

(١٢) الهلالي، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص ١١٦.

(١٣) الهلالي، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص ١٦٤.

(١٤) Diskin, John, J., The, "Genesis" of the Government Education System in Iraq, Pittsburgh University 1971, p. 332.

وكذلك انظر: احمد، إبراهيم خليل، المرجع السابق، ص ١١٥.

(١٥) الهلالي، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص ١١٩- ١٢٤.

(١٦) مذكرة ميجر همفرى بومان في ١٢/ آب/ ١٩١٩، انظر: الهلالي، عبد الرزاق ص ١٥٤- ١٥٧.

(١٧) الهلالي، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص ١٨٦.

(١٨) مزعل، جمال أسد، المرجع السابق، ص ٤٢- ٢٣.

(١٩) رضا، محمد جواد، دراسات في التعلم الثانوي المقارن، مطبعة المعارف بغداد، ١٩٦٢، ص ١١٤.

(٢٠) الحكومة العراقية. وزارة المعارف، التقرير السنوي عن سير المعارف للسنوات الثلاث ١٩٣٠- ١٩٣١، ١٩٣١- ١٩٣٢، ١٩٣٢- ١٩٣٣، بغداد، ١٩٣٤.

(٢١) وزارة التربية، المديرية العامة للتخطيط التربوي، قسم التوثيق والدراسات تطور التربية والتعليم في العراق خلال السنين ٧٢/ ١٩٧٣- ٧٣/١٩٧٤، تقرير مقدم الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد ٧٨. بغداد ١٩٧٤، ص ٣.

(٢٢) وزارة التربية، المديرية العامة للتخطيط التربوي- قسم المتابعة والتقويم، حولية الثقافة العربية، تطور التربية والتعليم ومحو الامية في العراق للفترة ١٩٦٣- ١٩٧٠، تقرير مقدم الى المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٧٠، ص ٤- ٨ (طبع بالرونيو).

جامعة الموصل

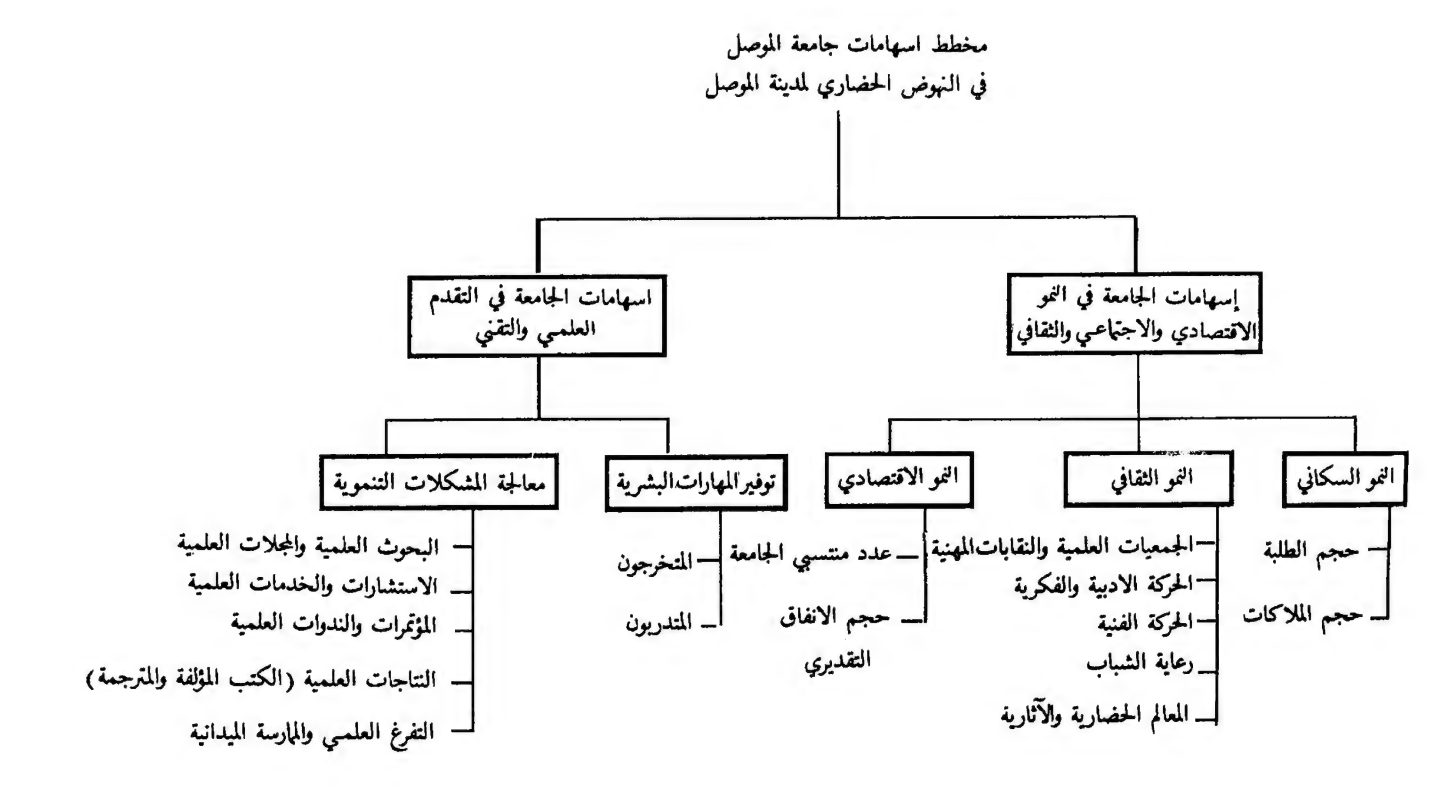
د. محمد حربي حسن

تمهيد:

تعد جامعة الموصل واحدة من أهم المظاهر الحضارية للمجتمع ليس على صعيد اقليمها (مدينة الموصل) فحسب بل وعلى صعيد القطر العراقي ايضاً. فقد كانت هذه الجامعة منذ تأسيسها ولاتزال مناراً علمياً يغدق بعطاءاته المعرفية والمهنية المتنامية التي اسهمت في النهوض الثقافي والحضاري للمجتمع ومن ثم تقدمه وتنميته.

ويسعى البحث الى توثيق حالة التواصل بين الجامعة وبين بيئتها وذلك بهدف التعريف بدورها في مسيرة النهوض الحضاري التي عاشها العراق في العقدين السابقين. ويعتمد البحث في ذلك على تقديم صورة عن الجامعة بوصفها مؤسسة ثقافية عريقة جزءاً من مدينة الموصل التي كانت ولاتزال تمثل جانباً جوهرياً لحضارة العراق وشاهداً من شواهد الحضارة العربية والاسلامية. هذه الصورة عن جامعة الموصل تتجه لتحديد اسهاماتها في الحفاظ على تلك الشواهد فضلاً عن ترصين الفعاليات التنموية في المدينة وتوفير عوامل نهوضها





مخطط اسهامات جامعة الموصل
في النهوض الحضاري لمدينة الموصل
إسهامات الجامعة في النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي
اسهامات الجامعة في التقدم العلمي والتقني
النمو السكاني
النمو الثقافي
النمو الاقتصادي
توفير المهارات البشرية
معالجة المشكلات التنموية
حجم الطلبة
حجم الملاكات
الجمعيات العلمية والنقابات المهنية
الحركة الادبية والفكرية
الحركة الفنية
رعاية الشباب
المعالم الحضارية والآثارية
عدد منتسبي الجامعة
حجم الانفاق التقديري
المتخرجون
المتدربون
البحوث العلمية والمجلات العلمية
الاستشارات والخدمات العلمية
المؤتمرات والندوات العلمية
النتاجات العلمية (الكتب المؤلفة والمترجمة)
التفرغ العلمي والممارسة الميدانية

الحضاري والثقافي. وسيتناول البحث جامعة الموصل: النشأة والنمو واسهامات الجامعة على صعيد التقدم العلمي والتقني وكذلك في جوانب النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمدينة.

جامعة الموصل، النشأة والنمو:

التعريف بجامعة الموصل مدخل ضروري لفهم علاقتها بالبيئة (مدينة الموصل) فضلاً عن الحديث عن اسهاماتها في النهوض الحضاري للمدينة.. فالجامعة جزء منها.. وجزء حيوي له مكانته وأهميته.

نواة الجامعة وتأسيسها:

بدأت الجامعة نواةً بكلية الطب عام ١٩٥٨ ضمن الهيكل التنظيمي لوزارة الصحة (مديرية



كلية الطب

صحة نينوى) وبدأت التدريسات فيها العام الدراسي ١٩٥٩/ ١٩٦٠. ثم ألحقت الكلية بجامعة بغداد عام ١٩٦٠ وكان نجاح كلية الطب محفزاً في استحداث كليات اخرى وهي كلية الهندسة وكلية العلوم في العام ١٩٦٣ ولذلك استحدثت دائرة لنائب رئيس جامعة بغداد في الموصل، ثم استحدثت كلية الصيدلة وكلية الزراعة والغابات في العام ١٩٦٤ وكلية الدراسات الانسانية في العام ١٩٦٦. كما أضيف اليها معهد المحاسبة العالي في سنة ١٩٦٤. وكما موضح في المخطط التنظيمي للجامعة (الشكل/ ١). فالنواة الاولى للجامعة تكاملت في أمد قصير يقارب ست سنوات. وهذا يعبر عن موقف حضاري رصين للبيئة (مدينة الموصل) فبدون امكانات أصيلة متاحة فيها وبدون وعي اجتماعي وثقافي مساند واستعداد اقتصادي لدعم أنشطتها وتوفير مستلزماتها ماكان لهذه الجامعة ان تنمو وتستمر على النحو الذي نجدها فيه.

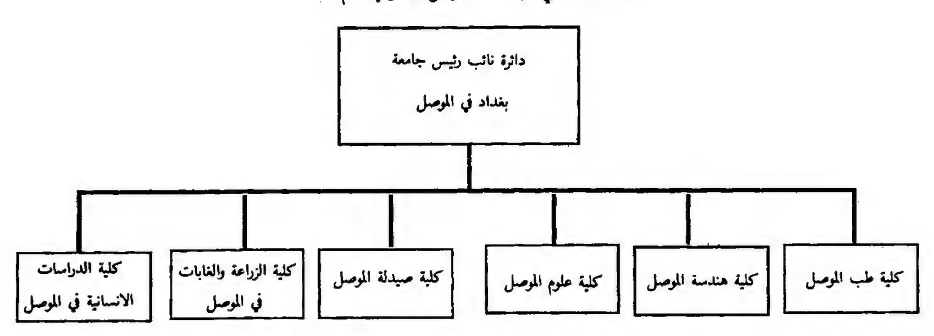
فبدايات جامعة الموصل عكست علاقات صميمية بينها وبين مدينة الموصل بما وفرته لها من مستلزمات متاحة اصلاً في بنائها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، فقيم التميز والاقدمية أساسية في المجتمع الموصلي، وتراث ثقافي تلمسه المؤرخون ويتلمسه الباحثون والمتواصلون مع ابنائها. وقد كانت هذه السمات القاعدة الجوهرية لنشأة الجامعة ونموها والمحفز الداعم لديمومتها واستمرارها. وقد ساعد ذلك كله على استقلال الجامعة عن جامعة بغداد في الاول من نيسان عام ١٩٦٧ بصدور القانون ذي العدد (١٤) لسنة ١٩٦٧ الذي حدد الهيكل العلمي للجامعة بخمس هيئات علمية وكما هو موضح في المخطط التنظيمي (الشكل/ ٢).

بعد مرور حوالي ثلاثة أعوام صدر قانون التعليم العالي والبحث العلمي ذو الرقم (١٣٢) لسنة ١٩٧٠ تم بموجبه إعادة هيكلة الجامعات العراقية بصيغة كليات. وأصبح بذلك الكيان العلمي لجامعة الموصل يتألف من خمس كليات وعمادة للدراسات العليا والبحث العلمي. أما الكيان الاداري لها فضم مجلس الجامعة ومجالس للكليات ومجالس للاقسام العلمية هيئات عليا لادارة الجامعة وكلياتها واقسامها العلمية، كما ضم الكيان الاداري، على مستوى الادارة المركزية للجامعة (ديوان رئاسة الجامعة)، تشكيلات متخصصة بادارة المهمات



الشكل (١)

المخطط التنظيمي لنواة جامعة الموصل كما هو في العام ١٩٦٦



الشكل (٢)

المخطط التنظيمي لجامعة الموصل كما هو في العام ١٩٦٧ بموجب القانون (١٤) لسنة ١٩٦٧.

- رئيس جامعة الموصل
  - مكتب رئيس الجامعة
  - هيئة الطب
    - كلية الطب
    - كلية الصيدلة
  - هيئة الهندسة
    - قسم الهندسة الميكانيكية
    - قسم الهندسة المدنية
    - قسم الهندسة الكهربائية
    - قسم الهندسة الزراعية
  - هيئة العلوم
    - قسم الفيزياء
    - قسم الكيمياء
    - قسم الرياضيات
    - قسم علوم الحياة
    - قسم علوم الارض
  - هيئة الزراعة والطب البيطري
    - قسم الغابات
    - قسم الانتاج الحيواني
    - قسم الانتاج النباتي
    - قسم الطب البيطري (أضيف عام ١٩٦٨)
  - هيئة الانسانيات
    - قسم اللغات
    - قسم التاريخ والآثار
    - قسم ادارة الاعمال (معهد المحاسبة) (أضيف عام ١٩٦٨)



الخدمية والمساعدة وكذلك المهمات المتصلة بشوون الطلبة فضلاً عن دائرة لمساعد رئيس الجامعة. وكما هو موضح في المخطط التنظيمي (الشكل/ ٣).

١٩٧١- ١٩٨٥/ ١٩٨٦) استكمال كيانها العلمي والتربوي والاداري وعلى النحو المفصل في ملامح نمو هيكلها وكما يلي:

الشكل (٣)

المخطط التنظيمي لجامعة الموصل كما هو في العام ١٩٧٠

مجلس جامعة الموصل

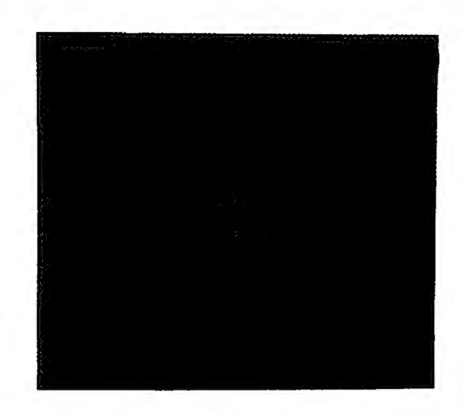
رئيس الجامعة

- كلية الطب: فرع الجراحة، فرع الطب، فرع الباثولوجي، فرع النسائية والتوليد، فرع الصحة العامة والطب العدلي، فرع الاحياء المجهرية، فرع وظائف وكيمياء الانسجة
- كلية الهندسة: قسم الميكانيك، قسم المدني، قسم الكهرباء، قسم الزراعية
- كلية العلوم: قسم الفيزياء، قسم الكيمياء، قسم الرياضيات، قسم علوم الحياة، قسم علوم الارض
- عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي
- كلية الزراعة والغابات: قسم الغابات، قسم الانتاج الحيواني، قسم الانتاج النباتي، قسم الطب البيطري
- كلية الاداب: قسم اللغات الاوربية، قسم التاريخ، قسم الآثار، قسم اللغة العربية، قسم الجغرافية
- مساعد رئيس الجامعة: المكتبة المركزية، مطبعة الجامعة
- المفتش العام: مديرية الانشاءات، مديرية التجهيزات المختبرية، مديرية الحسابات، مديرية الخزينة، مديرية الذاتية، شعبة الحقوق، شعبة الاحصاء، شعبة العلاقات الثقافية، شعبة العلاقات العامة
- المسجل العام: القبول، الشهادات، الملفات

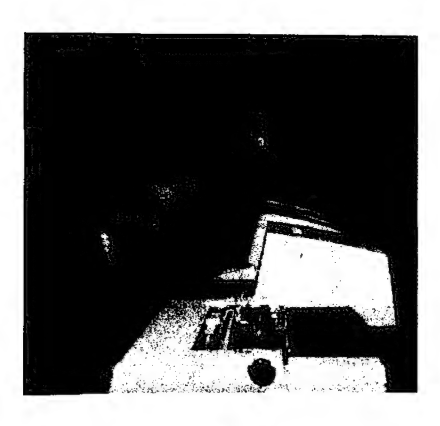
وجاءت العناية بالجانب الاداري للجامعة ضرورة لازمة لتوفير مستلزمات النمو السريع في الكيان العلمي للجامعة على مدى السنوات الخمس عشرة اللاحقة .. حيث استطاعت الجامعة في السبعينات والى منتصف الثمانينات (١٩٧٠/

أ. نمو عدد الكليات من (٥) الى (١١) كلية بما حقق التكامل في كيانها العلمي من حيث تغطية معظم التخصصات المعرفية الرئيسة وقد اقترن النمو في التخصصات المعرفية الرئيسة بنمو موازٍ في التخصصات





كلية التربية



الحاسبة الالكترونية

العلمية العامة والدقيقة تمثل بارتفاع عدد الاقسام العلمية او الفروع العلمية من (١٩) قسم أو فرع أساسي الى (٦٥) قسم أو فرع أساسي وعلمي. وهذا يعكس قدرة الجامعة على تقديم ملاكات مهنية تقع في (٥٠) تخصص مهني او معرفي، وكما مفصل في المخطط التنظيمي (الشكل/ ٤). وبذلك تكامل الهدف الرئيس الاول للجامعة (الهدف التعليمي).

ب. استحدثت الجامعة مراكز للخدمات العلمية المتخصصة بهدف توفير المستلزمات الاساسية لممارسة البحث العلمي والتواصل مع التقدم المعرفي ومن أهم هذه المراكز مايأتي:
١. المكتبة المركزية ومكتبات الكليات.
٢. مديرية دار الكتب للطباعة والنشر.
٣. مديرية مركز الحاسبة الالكترونية.
٤. مركز طرق التدريس والتدريب الجامعي.
٥. وحدة الخرائط.
٦. متحف الجامعة ومتاحف متخصصة (التشريح/ الطب العدلي/ التاريخ الطبيعي.

وبذلك استطاعت الجامعة توفير الخدمات المطلوبة لدعم حركة البحث العلمي هدفاً رئيساً ثانياً للجامعة (دعم حركة البحث العلمي).

جـ. تم استحداث المراكز البحثية المتخصصة في الكليات وعلى مستوى الجامعة بهدف توفير الفرص المناسبة للباحثين لانجاز بحوثهم وبنحو خاص التطبيقية منها وتوظيف البحث العلمي لمعالجة المشكلات الميدانية التي تواجه مؤسسات المجتمع وافراده. وبذلك استطاعت الجامعة توفير الاطر العملية لتحقيق هدفها الرئيس الثالث (خدمة المجتمع) حيث بلغ عدد المراكز البحثية في الجامعة (٩) مراكز وكما موضح في المخطط التنظيمي (الشكل/ ٤).

د. لم تقف الجامعة عند حدود اهدافها الرئيسة الثلاثة بل امتدت جهود ادارتها الى توفير البيئة الايجابية لعمل منتسبيها وذلك باستحداث ادارات متخصصة بتقديم الخدمات لمنتسبيها وعلى النحو الآتي:
١. عمادة شؤون الطلبة والشباب (الاقسام الداخلية/ صندوق تسليف الطلبة/

المركز الطلابي).
٢. المديرية العامة للتسجيل (قبول الطلبة/ التعليمات الوثائق).
٣. مديرية الاسكان (ادارة دور الجامعة).
٤. مدرسة ابناء الاجانب.
٥. حضانة الجامعة.

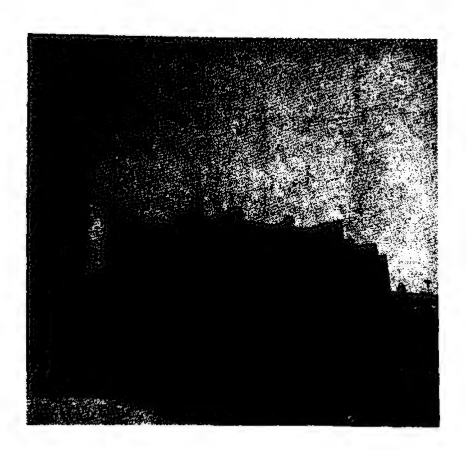


حضانة الجامعة

٦. قاعة صدام الكبرى.
٧. المركز الثقافي والاجتماعي.

هـ. هذا التوسع في انشطة الجامعة فرض توسعاً في اداراتها المركزية بما يضمن لها القدرة على توجيه هذه الانشطة والاشراف عليها. ومن اهم هذه الادارات:

١. دائرة مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية.
٢. دائرة مساعد رئيس الجامعة للطلبة والشؤون الادارية.
٣. عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي والتي أصبحت فيما بعد دائرة مساعد رئيس الجامعة للدراسات العليا والتعليم المستمر. ثم دائرة المشرف العام للدراسات العليا.
٤. ادارة ديوان رئاسة الجامعة.



قاعة صدام الكبرى

٥. مديرية انشاءات الجامعة.
٦. مديرية المركز الجامعي.

وبذلك حققت الجامعة التكامل بين الاهداف وبين الهيكل التنظيمي سواء في مستوى بناء المهمات (التشكيلات الادارية) وفي مستوى بناء العلاقات (توزيع الصلاحيات على مجالس الاقسام والكليات والجامعة) واتجهت ادارة الجامعة منذ عام ١٩٨٥ نحو إعادة ترتيب التصميم التنظيمي وصولاً الى الاستقرار النسبي بما أولت الانشطة التطويرية الهادفة من اهتمام لمعالجة المشكلات الميدانية القائمة والمتوقعة.. فمنذ هذا العام بدأت سياسات جديدة لبلورة تقاليد مميزة لها تحقق النمو العمودي في إنشطتها وفي مهارات ملاكاتها (وبخاصة العلمية) حيث تمكنت الجامعة في السنوات الخمس الأخيرة تحقيق ما يأتي:

١. الوصول بالعبء التربوي (نسبة تدريسي/ طالب) الى أقرب نسبة للمعدلات المقررة من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
٢. رفع المستوى المهاري للملاكات العلمية بزيادة نسبة حملة الدكتوراه وكذلك نسبة حملة لقب الاستاذ والاستاذ المساعد.



الشكل (٤)

المخطط التنظيمي لجامعة الموصل كما هو في العام الدراسي ١٩٨٥ / ١٩٨٦

- مجلس جامعة الموصل
- رئيس الجامعة
  - المكتب
  - أمانة المجلس
- مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية
- مساعد رئيس الجامعة لشؤون الطلبة والادارية
  - ادارة ديوان الجامعة
  - مديرية المركز الجامعي
  - المركز الطلابي
  - الشعبة الهندسية
  - (مديرية انشاءات الجامعة)
- المشرف العام للدراسات العليا

كلية الطب
- فرع الطب
- فرع الجراحة
- فرع النسائية والتوليد
- فرع الاشعة
- فرع طب المجتمع
- فرع علم الامراض
- فرع الاحياء المجهرية
- فرع التشريح
- فرع الفسلجة
- فرع الكيمياء الحياتية
- فرع الادوية
- شعبة الطب العدلي
- متحف الطب العدلي
- متحف التشريح
- المركز الطبي

كلية الهندسة
- قسم الميكانيكية
- قسم الكهربائية
- قسم المدنية
- قسم الري والبزل
- قسم المعمارية
- المكتب الاستشاري الهندسي

كلية العلوم
- قسم الكيمياء
- قسم الفيزياء
- قسم علوم الارض
- فرع الحيوان
- فرع النبات
- فرع الاحياء المجهرية
- قسم علم الارض
- قسم الرياضيات
- فرع الرياضيات
- فرع الاحصاء
- قسم علوم الحاسبات
- متحف التاريخ الطبيعي

كلية الزراعة والغابات
- قسم الغابات
- قسم الثروة الحيوانية
- قسم المحاصيل الحقلية
- قسم البستنة
- قسم التربة
- قسم وقاية النبات
- قسم الصناعات الغذائية
- قسم الاقتصاد الزراعي
- قسم اعداد المدرسين والارشاد الزراعي
- شعبة العلوم الاساسية
- مركز البحوث الزراعية والتطبيقية

كلية الآداب
- قسم اللغة العربية
- قسم اللغات الاوروبية
  - الانكليزية
  - الفرنسية
  - الترجمة
- قسم التاريخ
- قسم الخدمة الاجتماعية
- فرع الفنون
- مركز البحوث الاثارية والحضارية

كلية الادارة والاقتصاد
- قسم الادارة
  - فرع الاعمال
  - فرع المحاسبة
  - فرع اعداد المدرسين التجاريين
- قسم الاقتصاد
- قسم الاحصاء
- مركز البحوث الادارية والاقتصادية

كلية التربية
- قسم الكيمياء
- قسم الفيزياء
- قسم علوم الحياة
- قسم الرياضيات
- قسم اللغة العربية
- قسم اللغة الانكليزية
- قسم التاريخ
- قسم الجغرافية
- قسم العلوم التربوية والنفسية
- مركز الوسائل التعليمية
- وحدة الخرائط

كلية الطب البيطري
- فرع علم الامراض
- فرع الاحياء المجهرية
- فرع التشريح والانسجة والاجنة
- فرع الفسلجة والكيمياء الحياتية والادوية
- فرع الطب والجراحة والتوليد
- فرع صحة ورعاية الحيوان
- مركز البحوث البيطرية

كلية التربية الرياضية

كلية طب الاسنان
- مديرية التخطيط والمتابعة
- قسم التطوير الاداري
- دار الكتب للطباعة والنشر
- المكتبة المركزية
- مركز الحاسبة الالكترونية
- مركز الدراسات التركية
- مركز التحسس النائي
- مركز بحوث سد صدام
- مركز طرق التدريس والتدريب الجامعي
- المركز الثقافي الاجتماعي
- قاعة صدام الكبرى
- حضانة الجامعة

كلية القانون والسياسة
- قسم القانون
- قسم السياسة



٣. تحسين مستوى الأداء الجامعي في جوانبه التعليمية بتحسين نسب النجاح وفي جوانبه العلمية بتحسين نسب إنجاز البحث العلمي والتأليف والترجمة. وفي جوانبه الاستشارية بتحسين حجم الاستشارات والخدمات العلمية المقدمة الى مؤسسات المجتمع وافراده.

٤. تحسين الاداء الاداري في الجامعة بتقليص اجراءات العمل وترشيد استخدام القرطاسية ومكننة العمل الاداري وتطوير نظم المعلومات في الجامعة.

٥. تنمية الملاكات بالتوسع في البرامج التدريبية واعادة توزيع العاملين ووضع اسس للتحفيز وخلق الدوافع نحو الابداع والابتكار في العمل.

وبعد ماتحقق من إضافات في الهيكل التنظيمي بصيغة وحدات أو لجان متخصصة بالتطوير الاداري والترقيات العلمية واعداد الادلة والتقارير الخاصة بتقويم الاداء، كل ذلك يعد شواهد على عناية الادارة الجامعية برسم سياسات تطويرية هادفة.

نمو حجم الجامعة:

عكست شواهد النمو في الهيكل التنظيمي للجامعة إستجابة عالية لحاجة المجتمع. فما تم إستحداثه من كليات وأقسام علمية وفر فرصاً عالية للتعليم العالي وبما يتناسب وتزايد اعداد خريجي الثانويات واقبالهم على الدراسة الجامعية. كما كان استحداث المراكز البحثية والخدمات العلمية إستجابة لحاجة المجتمع، في مؤسساته وأفراده، الى الاستشارات العلمية والفنية. فالنمو المتحقق في هيكل الجامعة كان إستجابة متميزة لحاجات البيئة.

نمو حجم الطلبة:

إقترن نمو الهيكل التنظيمي بنمو موازٍ في حجم الطلبة وكما يتضح من الجدول (١) حيث نلاحظ نمواً متصاعداً في اعداد الطلبة، فقد كان عدد الطلبة عام تأسيس الجامعة ١٩٦٧ / ١٩٦٨ حوالي (٣٣٦٣) طالباً موزعين على هيئاتها العلمية الخمس. في حين بلغ عدد الطلبة بعد خمسة أعوام (٤٩٨٧) طالباً. وبعد عشر سنوات من تأسيس الجامعة تضاعف عدد الطلبة فيها ليصل الى (١٠٥٨١) طالباً وبذلك يكون نمو حجم الطلبة بنسبة (٣١٥٪) من سنة التأسيس أي اكثر من ثلاثة أضعافه. ثم يتواصل نمو اعداد الطلبة في العقد الثاني من عمر الجامعة ليصل في منتصف العقد الى (١٥٨٣٦) طالباً ثم في نهاية العقد الى (١٩٧٨٥) طالباً. وهكذا استمر النمو متزايداً بنسبة (٤٧٠٪) في العام ١٩٨٢/١٩٨٣، ثم بنسبة (٥٨٨٪) في العام ١٩٨٧/١٩٨٨ ويتضح من الجدول بأن السنوات (١٩٧٢ - ١٩٧٨) تمثل أعلى نسب النمو في حجم الطلبة حيث كان النمو بمعدل (٢١٢٪) او بمتوسط نمو سنوي قدره (٤٢٪) فيما إنخفضت معدلات النمو السنوي في السنوات اللاحقة لتكون بمتوسط نمو سنوي (٣٠٪) في النصف الاول من العقد الثاني من عمر الجامعة، ثم انخفض متوسط النمو الى (٢٥٪) سنوياً في النصف الثاني من العقد، أما السنوات الخمس الاخيرة من عمر الجامعة (١٩٨٧/١٩٨٨-١٩٩١/١٩٩٢) فقد إتجهت الجامعة الى الاستقرار النسبي نتيجة تقليص حجم القبول فقد إنخفض عدد المقبولين من (٧٩٧١) طالباً في العام ١٩٨٥/١٩٨٦ الى (٤٨٩٥) طالباً في العام ١٩٨٦/١٩٨٧ ثم ارتفع الى(٥٢٩١) مقبولاً في العام ١٩٨٧/١٩٨٨ وانخفض الى (٣٩٠٥) مقبولاً في العام ١٩٨٨/ ١٩٨٩. وبذلك استقر حجم الطلبة في الجامعة بحدود (١٩٠٠٠) طالب وهو الحجم الذي تسعى الجامعة الى الابقاء عليه.

من الجانب الأخر يمكن ان نلاحظ من



الشكل (٥)

المخطط التنظيمي لجامعة الموصل كما هو في ١٩٩٢

- مجلس جامعة الموصل
  - رئيس الجامعة
    - المكتب
    - مقررية المجلس
    - مديرية دار الكتب للطباعة والنشر
    - المكتبة المركزية
    - مركز الحاسبة الالكترونية
    - التدقيق
    - لجنة الترقيات العلمية
    - لجنة الاصلاح الاداري
    - مركز الدراسات التركية
    - مركز صدام لبحوث السدود والموارد المائية

كلية الطب
- فرع الطب
- فرع الجراحة
- النسائية والتوليد
- فرع طب المجتمع
- فرع علم الامراض
- فرع الاحياء المجهرية
- فرع التشريح
- فرع الفسلجة
- فرع الكيمياء الحياتية
- فرع الاشعة
- فرع علم الادوية
- الطب العدلي
- طب الاطفال
- المركز الطبي (العيادة الاستشارية الطبية)

كلية الهندسة
- قسم المدنية
- قسم الكهربائية
- قسم الميكانيكية
- قسم الري والبزل
- قسم المعمارية
- المكتب الاستشاري الهندسي

كلية العلوم
- قسم الكيمياء
- قسم الفيزياء
- قسم الرياضيات
- قسم علوم الحياة
- * الاحياء المجهرية
- * علوم الحياة
- قسم علوم الارض
- قسم علوم الحاسبات

كلية الزراعة والغابات
- قسم الغابات
- قسم الثروة الحيوانية
- قسم المحاصيل الحقلية
- قسم البستنة
- قسم التربة
- قسم وقاية النبات
- قسم الصناعات الغذائية
- قسم الاقتصاد والتعاون الزراعي
- قسم الارشاد الزراعي
- قسم المكننة الزراعية
- المكتب الاستشاري الزراعي

كلية القانون

مساعد رئيس الجامعة
- مديرية دار الكتب للطباعة والنشر
- المكتبة المركزية
- مركز الحاسبة
- مركز طرق التدريس والتدريب الجامعي
- قسم الشؤون القانونية والادارية
- قسم الشؤون المالية
- قسم الشؤون الهندسية
- قسم الشؤون العلمية والدراسات العليا
- قسم شؤون الطلبة (المركز الطلابي) (الاقسام الثقافية)
- المركز الثقافي الاجتماعي
- قاعة صدام الكبرى
- دار حضانة الجامعة

كلية التربية الرياضية
- فرع العلوم الرياضية
- فرع الالعاب الرياضية

كلية الاداب
- قسم اللغة العربية
- قسم اللغة الانكليزية
- قسم اللغة الفرنسية
- قسم الترجمة
- قسم التاريخ
- قسم الخدمة الاجتماعية

كلية الادارة والاقتصاد
- قسم الادارة
- * ادارة العمال
- * التسويق
- * الادارة الصناعية
- قسم الاقتصاد
- * الاقتصاد
- * التخطيط الاقتصادي
- قسم المحاسبة
- قسم الاحصاء
- المكتب الاستشاري الصناعي والتجاري

كلية التربية
- قسم الكيمياء
- قسم علوم الحياة
- قسم الفيزياء
- قسم الرياضيات
- * الرياضيات
- * الحاسبات
- قسم اللغة العربية
- قسم اللغة الانكليزية
- قسم التاريخ
- قسم الجغرافية
- قسم العلوم التربوية والنفسية
- وحدة علم الخرائط

كلية الطب البيطري
- فرع علم الامراض
- فرع الاحياء المجهرية
- فرع الطب الباطني والوقائي
- فرع الفسلجة والكيمياء الحياتية والادوية
- فرع الجراحة والتوليد
- فرع صحة ورعاية الحيوان
- فرع التشريح والانسجة والاجنة
- العيادة البيطرية الاستشارية

كلية طب الاسنان
- فرع علوم طب الاسنان الاساسية
- فرع العلاج التحفظي
- فرع صناعة الاسنان
- فرع جراحة وامراض اللثة
- العيادة الاستشارية لكلية طب الاسنان

الجدول (١) نمواً جيداً في عدد طلبة الدراسات العليا ورفع نسبتهم الى حجم الطلبة في الجامعة فقد ارتفع عددهم من (٢٠) طالباً عام التأسيس ليصل الى (٣٣٥) طالباً بعد عشرة أعوام ثم (٣٠٥) طالباً في العام ١٩٨٢/١٩٨٣ وينخفض العدد قليلاً في السنوات العشر الاخيرة بسبب سياسات القبول المتشددة الهادفة الى رفع مستوى الدراسات العليا (المتمثلة بشرطي القبول : امتحان الكفاءة في اللغة وتحديد المعدل الادنى بتقدير جيد).

المؤهلات التعليمية أم في طبيعة المهمات والمسؤوليات التي يتحملها هذا الملاك او في الامتيازات التي يستحقها سواء الرسمية او التربوية.. لذا فان الملاك العلمي يمثل عنصراً جوهرياً من عناصر تأثير الجامعة في بيئتها.

لقد تنامت اعداد التدريسيين لترتفع من (١٦٣) تدريسياً عام التأسيس الى (٢٨٧) تدريسياً في العام ١٩٧٢/١٩٧٣. في حين ازداد العدد في النصف الثاني من العقد الاول من عمر الجامعة ليصل الى (٦٦٠) تدريسياً في العام ١٩٧٧/

الجدول (١) نمو اعداد الطلبة في الجامعة للسنوات (١٩٦٧ - ١٩٩٢)

السنوات	اعداد الطلبة في الجامعة - الدراسات الاولية - العدد	الدراسات الاولية - ٪	الدراسات العليا - العدد	الدراسات العليا - ٪	المجموع	نسبة النمو	متوسط النمو السنوي
١٩٦٧ / ١٩٦٨	٣٣٤٣	٩٩,٤٪	٢٠	٠,٦٪	٣٣٦٣	١٠٠	—
١٩٧٢ / ١٩٧٣	٤٩٣٧	٩٩٪	٥٠	١٪	٤٩٨٧	١٤٨	٩,٦٪
١٩٧٧ / ١٩٧٨	١٠٢٤٦	٩٧٪	٣٣٥	٣٪	١٠٥٨١	٣١٥	٤٢,٤٪
١٩٨٢ / ١٩٨٣	١٥٥٣١	٩٨٪	٣٠٥	٢٪	١٥٨٣٦	٤٧٠	٣٠٪
١٩٨٧ / ١٩٨٨	١٩٤٩٣	٩٨,٥٪	٢٩٢	١,٥٪	١٩٧٨٥	٥٨٨	٢٥٪
١٩٩١ / ١٩٩٢	١٨٩٨٠	٩٨,٢٪	٣٤٥	١,٨٪	١٩٣٢٥	٥٧٥	-٢,٣٪

بعامة يمكن القول إن نمو حجم الطلبة كان متوافقاً في النمو الكبير الحاصل في هيكلها التنظيمي وعلى نحو خاص في العقد الثاني من عمرها الذي تميز باستحداث كليات جديدة فضلاً عن نمو عدد الاقسام العلمية والفروع العلمية كما تم تأشيره.

نمو ملاكات الجامعة :

يعد الملاك العلمي للجامعة واحداً من المكونات الاساسية لحجمها وعاملاً جوهرياً في تحديد طاقتها الاستيعابية. والملاك العلمي يمثل عادة شريحة مميزة بين الملاكات الأخرى سواء في

١٩٧٨. وكان النمو بنسب أعلى في العقد الثاني من عمر الجامعة ليصل العدد الى (١٢٢٣) تدريسياً في العام ١٩٨٧/١٩٨٨. أما النمو في السنوات الخمس الاخيرة من عمر الجامعة فقد كان بمعدلات أقل نسبياً ليصل عدد الملاك العلمي الى (١٦٠١) تدريسي في العام ١٩٩١/١٩٩٢ والذي يمثل اكثر من تسعة اضعاف الملاك العلمي في عام التأسيس ٦٧/ ١٩٦٨ (انظر الجدول/ ١).

من الجانب الاخر لابد من الاشارة الى ان الملاك العلمي للجامعة ضم نسبة كبيرة من



التدريسيين غير العراقيين في السنوات العشر الاولى من عمر الجامعة ، فقد كانت نسبتهم عند التأسيس (٥٤٪) من الملاك العلمي وانخفضت الى (٣٢٪) عام ١٩٧٣/١٩٧٢ ثم إنخفضت الى (٢٩٪) عام ١٩٧٨/١٩٧٧. واستمرت نسبتهم بالانخفاض لتصل الى دون (٢٪) في السنوات الأخيرة من عمر الجامعة. وكان معظم هؤلاء من المتخصصين في مجال اللغة الفرنسية وعلوم الحاسبات وطب الاسنان والهندسة وهكذا استطاعت الجامعة تعريق ملاكاتها أي تقليص نسبة غير العراقيين فيها.

أما الملاكات الادارية والفنية في الجامعة فقد مثلت نسباً عالية عند التأسيس في ملاك الجامعة ، وكما يوضح الجدول (٢) نجد ان هذه الملاكات نمت بمعدلات أقل من نمو الملاكات العلمية بما جعل نسبتها تنخفض من (٨٢٪) من اجمالي الملاك عام ١٩٦٨/١٩٦٧ الى (٦٥٪) في العام ١٩٩٢/١٩٩١.

إسهامات الجامعة في النمو الأقتصادي والأجتماعي والثقافي للمدينة

تعد الجامعات عاملاً مهماً من عوامل نمو المدن وتوسعها بما تستقطبه من اعداد كبيرة من الطلبة ومن الملاكات العلمية والأدارية. ومن الطبيعي ان يكون لهذا الأستقطاب تأثير فاعل في النمو السكاني لمدينة الجامعة ليس على المستوى الكمي فحسب بل وعلى المستوى النوعي ايضاً. فهناك تدفق مستمر ومتجدد لأفواج الطلبة المتخرجين والمقبولين سنوياً وهناك تدفق مستمر في الملاكات الجامعية. ويحمل هذا التدفق السكاني سمات نوعية مميزة في الهرم السكاني تقترن بتحسين بنائه العمري والتعليمي والثقافي والقيمي وما يعنيه ذلك من تحسن في السلوك الأستهلاكي والحضاري والأجتماعي. فالقادمون الى الجامعة هم من فئة الشباب المتوثب للحياة المليء بالطاقات والمتعطش للمعرفة كما يتسم هؤلاء بمستوى تعليمي وثقافي عالٍ ومتميزون بأنماط

الجدول (٢) نمو الملاكات في الجامعة للسنوات (١٩٦٧ - ١٩٩٢)

السنوات	الملاكات التدريسيون العدد	التدريسيون ٪	الاداريون والفنيون العدد	الاداريون والفنيون ٪	المجموع العدد
١٩٦٧ / ١٩٦٨	١٦٣	٪١٨	٧٦٥	٪٨٢	٩٢٨
١٩٧٢ / ١٩٧٣	٢٨٧	٪٢٢	٩٩٤	٪٧٨	١٢٨١
١٩٧٧ / ١٩٧٨	٦٦٠	٪٢١	٢٤٢١	٪٧٩	٣٠٨١
١٩٨٢ / ١٩٨٣	٩٠٢	٪٢٩	٢١٦٩	٪٧١	٣٠٧١
١٩٨٧ / ١٩٨٨	١٣٢٣	٪٢٧	٣٦٥٧	٪٧٣	٤٩٨٠
١٩٩١ / ١٩٩٢	١٦٠١	٪٣٥	٣٠٠٨	٪٦٥	٤٦٠٩

إستهلاكية عالية ويحملون قيماً وعادات إجتماعية متباينة.

كل ذلك يعني بالضرورة نمواً أكيداً في الجوانب الأقتصادية والأجتماعية والثقافية للمدن الجامعية يمكن توضيحها في ما يأتي :

أ- نمو سكاني اجتماعي ناجم عن الأضافة السكانية المتمثلة بالطلبة الملتحقين بالدراسة الجامعية من خارج المدينة وكذلك الملاكات العاملة في الجامعة التي تكون نسبة منها من مناطق مختلفة بل ان نسبة منها من جنسيات مختلفة.

ب- نمو ثقافي ناجم عن وجود اعداد كبيرة من ذوي المؤهلات التعليمية والثقافية المميزة بخبراتها الثقافية (خاصة الملاكات العلمية) فضلاً عن الطاقات الشابة الراغبة بممارسة هواياتها وتنمية مواهبها في شتىٰ فعاليات قضاء اوقات الفراغ وممارسة الهوايات.

جـ- نمو اقتصادي ناجم عن ارتفاع حجم الطلب على السلع والخدمات وما يعنيه ذلك من أزدياد فرص العمل والأستخدام ثم نمو الناتج القومي وتحسن الدخل القومي.

د- نمو البناء المهاري والمهني الناجم عن اتساع الأنشطة الأقتصادية وكذلك التعليمية والخدمية الأخرى. وما يعنيه ذلك من تطور مهارات العاملين في هذه الأنشطة فضلاً عن التنوع المهني المطلوب لتغطية هذه الأنشطة المتنوعة.

ولتتضح الصورة عن إسهامات جامعة الموصل في النمو الأقتصادي والأجتماعي والثقافي لمدينة الموصل يمكن اعتماد مؤشرات حجم منتسبي الجامعة في إحتساب حجم تلك الأسهامات وبشواهد كمية مفصلة كالآتي :

النمو السكاني :

أدى النمو السريع في حجم الجامعة الى نمو سكاني كمي ونوعي في مدينة الموصل يمكن أن نتلمس أبعاده في الجدول (٣). فقد كان عدد منتسبي الجامعة من الطلبة ومن الملاكات العلمية وافراد أسرهم حوالي (٧٠٧٥) فرداً في العام ١٩٦٧ وهم يمثلون حوالي (٢,٦ ٪) من سكان المدينة فيما ارتفعت النسبة الى (٥,٣ ٪) في العام ١٩٧٧ حيث أصبح عدد منتسبي وأسرهم حوالي (٢٢٩٠٠) فرداً أما في العام ١٩٨٧ فقد أرتفع عدد منتسبي الجامعة وأسرهم الى أكثر من (٣٩٧٠٠) فرداً ويمثلون اكثر من (٦,٥) من سكان المدينة.

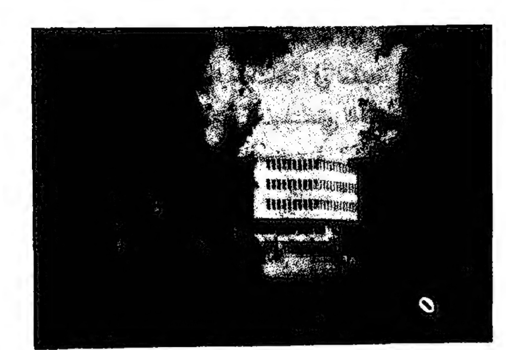
الجدول (٣) نسبة منتسبي الجامعة الى السكان[1]

السنوات	حجم السكان	حجم منتسبي الجامعة			النسبة الى السكان
		الطلبة	الملاكات وأسرهم*	المجموع	
١٩٦٧	٢٧٣٩١٤	٣٣٦٣	٣٧١٢	٧٠٧٥	٢,٦
١٩٧٧	٤٢٩٨٨٣	١٠٥٨١	١٢٣٢٤	٢٢٩٠٥	٥,٣
١٩٨٧	٦١١٦٧٨	١٩٧٨٥	١٩٩٢٠	٣٩٧٠٥	٦,٥

• تم احتساب حجم الملاكات وأسرهم على أساس (٤) أشخاص معدلاً لحجم الأسرة مع ملاحظة ان الأرقام أخذت لاجمالي منتسبي الجامعة سواء كانوا من اهل المدينة اومن خارجها بأعتبار انه في حالة عدم وجود الجامعة في المدينة فان هؤلاء يكونون خارج المدينة (في جامعة ما)

مما تقدم ندرك كيف أسهمت الجامعة في زيادة السكان زيادة كمية واضحة بلغت في نهاية العقد الثاني من عمرها (٦,٥ ٪). ومما لاشك فيه أن هذه الزيادة الكمية تقترن بنمو نوعي في السكان حيث ان الغالبية العظمىٰ من منتسبي الجامعة يتمتعون بتأهيل علمي جامعي أو من الطلبة الجامعيين، فضلاً عن حملة الشهادات العليا من الملاكات العلمية.





جانب من منشآت الجامعة

ومن المسلم به ان وجود هذه النسبة من الجامعيين في المدينة يعني نمواً نوعياً في الهرم السكاني لها فهذه النسبة الاضافية يقع اكثرها في الفئة الشابة من السكان)الفئة العمرية ١٨-٢٥). كما ان الغالبية من هذه النسبة الأضافية تحمل سمات إيجابية في الأنشطة الثقافية والفنية بما تضمه من مواهب فكرية وأدبية وفنية تساهم في إنضاج هذه الأنشطة وحفزها ، وكذلك تنميتها ورعايتها بما يتوفر لها في الجامعة ومؤسساتها من مستلزمات. وهذا ما سنوضح شواهده الميدانية في فقرة قادمة.

النمو الأقتصادي :

خلقت الأعداد الكبيرة المضافة الى سكان المدينة (بسبب وجود الجامعة) نمواً واضحاً يمثل نسبتها الى السكان في حجم الطلب على السلع والخدمات. واذ ما تطلعنا الى أرقام الجدول (٤) نجد أن حجم الأنفاق الشهري التقديري لمنتسبي الجامعة كان عند التأسيس عام ١٩٦٧ حوالي (٢٠٥١٧) ديناراً فيما أرتفع الأنفاق في العام ١٩٧٧ الى حوالي (٤٠٢٣٤٩) ديناراً ويقفز حجم الأنفاق في العام ١٩٨٧ الى (٢٣٦٢٤٤٧) ديناراً.

وهكذا يمكن ان نتصور حجم اسهامات الجامعة في زيادة الطلب على السلع والخدمات الأساسية في المدينة وما يعنيه ذلك من إنعاش

الجدول (٤) نمو حجم الأنفاق الشهري على السلع والخدمات الأساسية لمنتسبي الجامعة

السنوات	متوسط إنفاق الفرد الشهري (بالدينار)*	عدد منتسبي الجامعة وأفراد أسرهم	الحجم التقديري للانفاق (بالدينار)
١٩٦٧	٢,٩٠٠	٧٠٧٥	٢٠٥١٧,٥٠٠
١٩٧٧	١٧,٥٦٦	٢٢٩٠٥	٤٠٢٣٤٩,٢٣٠
١٩٨٧	٥٩,٤٤٦	٣٩٧٠٥	٢٣٦٢٤٤٧,٥٠٠

* أعتمدت بحوث ميزانية الأسرة للاعوام (١٩٧٢- ١٩٨٤) في تقدير متوسط الأنفاق الشهري للفرد علماً ان السلع والخدمات المحسوبة هي (المواد والاثاث والسكن والطاقة والتعليم والثقافة والسلع وخدمات متفرقة)

للنشاطات الأقتصادية والخدمية المختلفة المعنية بتوفير هذه السلع والخدمات ، هذا فضلاً عما تتطلبه أنشطة الجامعة من خدمات وسلع لايمكن التغاضي عنها ومنها وعلى سبيل المثال لا الحصر، الأبنية وادامتها والطاقة والكتب والمطبوعات المختلفة والقرطاسية والاثاث الدراسي والمختبرات ومستلزماتها وخدمات النقل والأتصالات... الخ.

ومن الملاحظ ان الجامعة تنفق مبالغ كبيرة جدا للحصول على هذه السلع والخدمات.

وكما هو واضح في موازناتها السنوية حيث بلغت تخصيصاتها باستثناء نفقات الأفراد العاملين (أجور ورواتب ومخصصات) حوالي (٧) ملايين ديناراً.

وبعامة ينعكس هذا الانفاق العالي على الخدمات والسلع بصيغة فرص عمل إضافية في النشاط الاقتصادي فضلاً عن فرص العمل المتاحة في ملاك الجامعة والذي يقارب الخمسة آلاف وظيفة دائمية.

ومن المؤكد ان ازدياد او نمو فرص العمل وانتعاش الأنشطة الأقتصادية والخدمية في المدينة ينعكس إيجابياً على البناء المهاري والمهني لسكان

المدينة وما يعنيه ذلك من نمو في الناتج القومي وتحسن الدخل القومي من جهة وكذلك تحسن المستوى المعاشي لابناء المدينة من جهة أخرى.

فضلاً عن ذلك فان وجود اعداد كبيرة من ذوي المهارات العالية وحملة الشهادات العليا في مجالات علوم الطب والهندسة والزراعة والبيطرة والآداب والعلوم الأقتصادية والأدارية والقانونية والأجتماعية، يعني بالضرورة تميزاً للبناء المهني والمهاري للمدينة مقارنة بأية مدينة غير جامعية. مما يوفر فرصاً أفضل للنمو الأقتصادي حيث تكون فرص مواجهة مشكلات ومصاعب هذا النمو أوسع وأفضل وهذا ماسنعرض له في فقرة قادمة بشواهد كمية.

النمو الثقافي:

يقترن النمو السكاني والأقتصادي عادة بنمو ثقافي وعلى وجه الخصوص عندما يتميز هذا النمو بجوانب نوعية تؤدي الى تحسين البناء التعليمي والعلمي والمهني والمهاري في المجتمع. فالأضافات الكمية التي تحققها الجامعة هي اضافات نوعية عالية ومتميزة سواء على المستوى العمري والصحي او المستوى الاقتصادي والاستهلاكي او المستوى الثقافي والاجتماعي؛فالشباب هم اضافة الجامعة ثم أنهم شريحة عمرية مندفعة وناشطة في اسهاماتها اليومية كما انها فئة إستهلاكية في السلع والخدمات وفئة سكانية مليئة بالافكار والطاقات التي تجد في الجامعة بيئة مناسبة لتوظيفها في تنمية مواهب متنوعة تغني الجوانب الثقافية في المجتمع. من الجانب الآخر يتسم الملاك العلمي بروح التنويع والتغيير وبالمهارات العالية والثقافة المميزة وكل ذلك يوفر فرصاً عالية لاسهامهم في الأنشطة الثقافية والأجتماعية ويمنح مدينة الجامعة قيادات فاعلة وطاقات محفزة في اغناء الأنشطة الثقافية والفنية وكذلك في النهوض الحضاري لها.

وليس ادل على هذه الحقيقة مما نجده من أنشطة وفعاليات ثقافية متنامية في مدينة الموصل ومظاهر حضارية متميزة كان لمنتسبي الجامعة الدور المبرز في تحققها ويمكن التعرض لهذا الدور ضمن الفقرات الآتية:

أ- الجمعيات العلمية والنقابات المهنية: لقد كان لوجود أعداد كبيرة من الملاكات العلمية في الجامعة اثر واضح في زيادة عدد اعضاء الجمعيات العلمية والنقابات المهنية في مدينة الموصل ويمكن القول بان الجامعة تمثل في نقابة المعلمين باكثر من (١٥٠٠) تدريسي. كما تمثل في نقابة الاطباء ونقابة الحقوقيين والمحامين ونقابة المهندسين واتحاد الادباء والكتاب وجمعية المؤرخين والآثاريين وغيرها من النقابات والجمعيات بأعداد موازية لعدد المتخصصين العاملين في الجامعة. ويكون لانتساب هؤلاء الجامعيين تأثير ايجابي نوعي فضلاً عن التأثير الكمي والمالي في دعم أنشطة هذه الجمعيات والنقابات.

ومن الشواهد على التأثير النوعي لمنتسبي الجامعة ما حققته هذه الجمعيات والنقابات والأتحادات من أنشطة ثقافية ممثلة بمواسمها ومحاضراتها العامة فضلاً عن عقدها للندوات والمؤتمرات ومشاركتها الواسعة في المهرجانات.. هذه الأسهامات الثقافية لم تكن لتتحقق بالمستوى الكمي والنوعي الحاصل دون منتسبيها من الملاكات الجامعية.

ب- الحركة الادبية والفكرية: تبنت الجامعة ومنذ تأسيسها الحركة الادبية والفكرية في المدينة بما وفرته من فرص الدعم المادي للنتاجات الادبية فضلاً عن توفير المناخ الايجابي للقاءات الأدبية والفكرية. فقد كان المركز



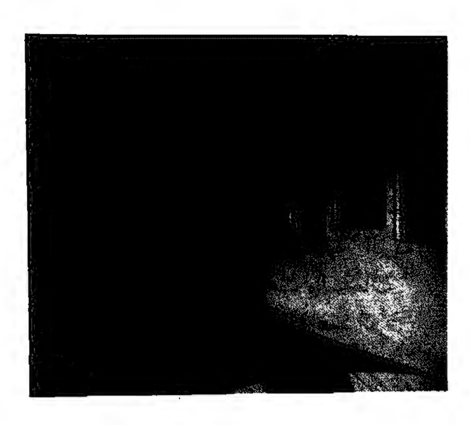
الثقافي والاجتماعي لجامعة الموصل مكاناً مميزاً في إحتضانة لكثير من هذه اللقاءات بل الدعوة لها وتنظيمها ، كما تولى نشر عدد وافر من الكتب والدواوين لمفكري المدينة وشعرائها. فضلاً عن التراجم التي تبناها والمخطوطات التي تم تحقيقها مثل عقود الجمان لابن الشعار (في عدة مجلدات)

كما تعد موسوعة الموصل الحضارية هذه واحدة من اسهامات الجامعة المتميزة التي أرخت الحركة الفكرية والادبية الى جانب تاريخ مدينة الموصل بأبعاده الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

من الجانب الأخر كان للمركز الثقافي دور مبرز في نشر الوعي الادبي بما وفره من فرص لتعلم اللغة الانكليزية واللغة الفرنسية للراغبين من ابناء المدينة وذلك بما ينظمه من دورات تعليمية تعتمد التقنيات التعليمية المتقدمة وباعتماد اساتذة متخصصين.

وقد كانت مطبعة الجامعة ودار النشر فيها الاداة الفاعلة في دعم الحركة الادبية والفكرية سواء بما وفرته من فرص متميزة لطبع النتاجات الفكرية والادبية أو فرص متميزة في توفير المطبوع الثقافي بما تنظمه من معارض دورية لبيع الكتب وباسعار مخفضة .

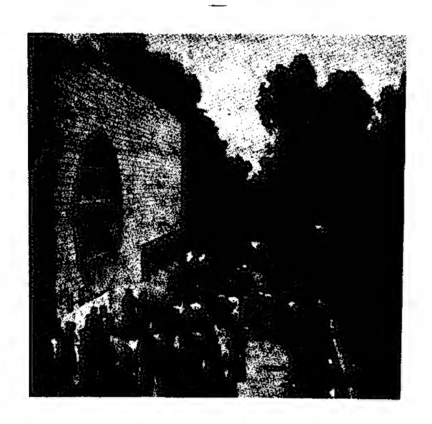
جـ - الحركة الفنية : إحتضنت الجامعة الحركة الفنية في مدينة الموصل بما قدمته من دعم ناشط لفناني الجامعة والمدينة وماوفرته من فرص التعلم والتدريب ضمن البرامج التعليمية التي كانت تنفذها للهواة من الطلبة في ورشها الفنية ، وكذلك في مواسمها الثقافية واحتفالاتها السنوية . لقد تبنت الجامعة إقامة المعارض الفنية والعروض المسرحية على قاعاتها في المركز الطلابي وفي الكليات مع



متحف الفنون التشكيلية

توفير مستلزمات النجاح لها. وقد اعتمدت المناسبات الخاصة بتأسيس الجامعة (يوم الجامعة) وإحتفالات التخرج وتوديع الخريجين واستقبال المقبولين والاحتفاء بهم فضلاً عن المناسبات الوطنية فرصا لتوفير البيئة للانشطة الفنية تلك ودعم الفنانين.

د- رعاية الشباب : تفخر جامعة الموصل بأنشطتها المتميزة في مجال الارشاد والتوجيه التربوي لطلبتها فضلاً عن الرعاية التي كانت تقدمها لهم في الاسكان والاطعام والاشراف الحريص على النوادي والاكشاك التابعة



المركز الطلابي



للجامعة. ويعد المركز الطلابي واحداً من شواهد عناية الجامعة واهتمامها بتوفير الخدمات الاساسية والترويحية للطلبة. كما تفخر الجامعة بعنايتها الفائقة في توفير المستلزمات للانشطة الرياضية وتبني الحركة الرياضية ومن شواهد ذلك ملعب الجامعة الرئيس والقاعات المغلقة لكلية التربية الرياضية وغيرها من الملاعب والساحات.

ومن المؤكد ان يكون بتوفير هذه الفرص لممارسة الانشطة الرياضية مقترناً عادة باستقطاب اهتمام الشباب الرياضي في المدينة وبناء علاقات بين الفرق الرياضية للجامعة وفرق النوادي الرياضية في المدينة فضلاً عن الفرق الجامعية الأخرى. كما ان إهتمام الجامعة باستضافة المباريات المختلفة والفرق الرياضية العراقية والعربية أعطى



مسبح الجامعة

فرصاً أفضل للحركة الرياضية في مدينة الموصل للتفاعل الايجابي والنشيط مع الآخرين وتطوير المهارات الرياضية لأبطال المدينة. كما تنظم الجامعة اسبوعاً ثقافياً لدعم الحركة الابداعية للطلبة في مجالات الشعر والقصة والخطابة والرسم والنحت والسيراميك والخط والزخرفة والتصوير الفوتوغرافي والمسرح والموسيقى.

هـ- المعالم الحضارية: أسهمت جامعة الموصل إسهاماً كبيراً في تنمية الوعي الثقافي لابناء مدينة الموصل وذلك بدعم التراث الموصلي ومحاولة الحفاظ عليه وتوثيقه وتجديده.. فقد كان للآثاريين في الجامعة إسهامات بارزة في التنقيبات الآثارية داخل مدينة الموصل وفي المناطق المحيطة بها، وكذلك في اعادة الترميم والتجديد للمعالم الحضارية وللتراث الثقافي. فقد كان لمتحف الجامعة دور كبير في تجميع واعادة الحياة لكثير من الجوانب الثقافية التي غابت عن مسرح الحياة كما تم توثيق اللهجات والنوادر والقصائد والاشعار والمأثورات الشعبية المعبرة عن حياة أبناء المدينة عبر عصورها المختلفة، فضلاً عن الأزياء والطقوس والوقائع التاريخية التي يضمها متحف الصور الدائم في الجامعة.

وتعد المتاحف الأخرى للجامعة مثل متحف التاريخ الطبيعي ومتحف التشريح ومتحف الطب العدلي جهداً إضافياً للجامعة في توثيق الكثير من الاحداث والنماذج الخاصة بالمدينة، وتعريف مادي لجوانب من إرثها الثقافي والحضاري. ولابد من القول اخيراً بأن متحف الفنون التشكيلية في الجامعة يعد عملاً رائداً في الحفاظ على النتاجات النادرة لفناني المدينة.

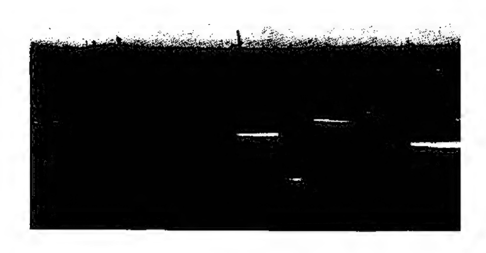
أسهامات الجامعة في التقدم العلمي والتقني للمدينة:

تعد جامعات اليوم القاعدة الأساسية للتقدم العلمي والتقني في المجتمع فهي الميدان الخصب لأنشطة البحث العلمي ولها تتاح أفضل فرص التواصل مع مصادر المعرفة المتقدمة والتقنية المتجددة، كما أن مختبراتها ومعاملها وحقولها وما يخصص لتغطية نفقات البحث العلمي، كل ذلك عوامل إيجابية دافعة في العمل الجامعي يزيد من قدرتها في تقديم الأستشارات العلمية والخدمات



الفنية لأنشطة المجتمع ولأفراده، وعلى نحو خاص على مستوى المدينة الجامعية.

وللتعرف على مدى أسهامات الجامعة في التقدم العلمي والتقني للمدينة لابد من وضع



جانب من منشآت الجامعة

معايير لقياس هذا التقدم. وأفضل المعايير تلك التي تؤشر النتائج الأيجابية المترتبة على التقدم والملموسة ميدانياً في واقع الأنشطة الأقتصادية والثقافية.

وهكذا إتجهت الجامعات نحو هدف مضاف جديد هو خدمة المجتمع وهي بذلك تضع جهدها العلمي وإمكاناتها الفنية في خدمة الأنشطة التنموية وتوظف مخرجاتها الأساسية لدعم فعاليات التنمية وإداراتها.

وضمن هذا التصور تكون شواهد اسهام الجامعة في تحقيق التقدم العلمي والتقني ضمن محورين رئيسين هما:

أ- توفير المهارات المتخصصة القادرة على ترجمة الأطر النظرية للمعرفة إلى فرص ومنافع تتصل بتحسين واقع الأنسان والمجتمع.

ب- معالجة المشكلات والمصاعب التي تحد الفعاليات التنموية وتعوقها أو تحرفها عن المسار الصحيح وتجديد عناصر التنمية وإبتكار تقنيات أفضل لها.

توفير المهارات وتنميتها: تعد المهارات المتخصصة مهنياً والمؤهلة علمياً أو معرفياً، العنصر المحرك والفاعل في إدارة الأنشطة التنموية ونجاحها. وقد أسهمت جامعة الموصل في رفد المجتمع بدفعات متواصلة من المتخرجين المؤهلين في تخصصات معرفية ومهنية مختلفة، كما إسهمت بتواصل في تجديد المعلومات والمهارات للملاكات العاملة في مؤسسات المجتمع. وسيتم تأشير حجم هذين الأسهامين كالآتي:

المتخرجون: تميزت جامعة الموصل بتقديم مهارات مؤهلة حققت نمواً ملموساً في البناء المهني والمهاري لمدينة الموصل. وبذلك وفرت المورد البشري المتنامي القادر على قيادة الأنشطة الأقتصادية والأجتماعية والثقافية في المجتمع، وهذا مانجده واضحاً في أرقام الجدول (٥) فقد أستطاعت الجامعة عبر ربع قرن تقديم (٥٥٨٠٣) متخرجاً

الجدول (٥) أعداد المتخرجين من جامعة الموصل للسنوات (١٩٦٧ - ١٩٦٨ - ١٩٩١/ ١٩٩٢)

السنوات	أعداد المتخرجين من الدراسات الأولية	العليا	المجموع
١٩٦٧/١٩٦٨ - ١٩٧١/١٩٧٢	٢٦٩٠	١٠	٢٧٠٠
١٩٧٢/١٩٧٣ - ١٩٧٦/١٩٧٧	٦٠٣٧	١٢١	٦١٥٨
١٩٧٧/١٩٧٨ - ١٩٨١/١٩٨٢	١٠٩٢٨	٦٤٢	١١٥٧٠
١٩٨٢/١٩٨٣ - ١٩٨٦/١٩٨٧	١٣٦٠٧	٤٧٦	١٤٠٨٣
١٩٨٧/١٩٨٨ - ١٩٩١/١٩٩٢	٢٠٤١٥	٨٧٧	٢١٢٩٢
المجموع	٥٣٦٧٧	٢١٢٦	٥٥٨٠٣

وبمعدلات سنوية متنامية كماً ونوعاً. فقد كانت حصيلة السنوات الخمس الأولى حوالي (٢٧٠٠) متخرج في مجالات الطب والهندسة والعلوم والزراعة والغابات والأداب وبضمنهم (١٠) من حملة الماجستير. في حين تضاعف هذا العدد في السنوات الخمس الثانية إلى (٦١٥٨) متخرجاً بينهم (١٢١) من حملة الماجستير والدبلوم العالي.

أما في العقد الثاني من عمر الجامعة فكان حجم المتخرجين كبيراً وموازياً لتزايد عدد كليات الجامعة حيث بلغ عدد المتخرجين في النصف الأول من العقد (١١٥٧٠) متخرجاً بينهم (٦٤٢) من حملة الماجستير.

وقد زاد العدد في النصف الثاني من العقد إلى (١٤٠٨٣) متخرجاً بينهم (٤٧٦) من حملة الشهادات العليا.. وكانت حصيلة السنوات الخمس الأخيرة من عمر الجامعة (٢١٢٩٢) متخرجاً بينهم (٨٧٧) من حملة الشهادات العليا.

ولابد من التذكير هنا بأن حوالي نصف هذه الأعداد هم من ابناء مدينة الموصل ويعدون مورداً بشرياً متدفقاً من الجامعة ومتاحاً للاسهام في الأنشطة التنموية للمجتمع.

أما في الجانب النوعي لمخرجات الجامعة هذه، فقد تميزت بتفوق ميداني ملحوض على مخرجات الجامعات الاخرى، حيث يحرز متخرجو جامعة الموصل فرصاً تنافسية أفضل باستمرار في القبول بالدراسات العليا وفي التعيين أيضاً.

وبعامة يمكن القول بأن جامعة الموصل رفدت المجتمع وبنحو رئيسي مدينة الموصل بدفق متواصل من الملاكات المؤهلة علمياً ومهنياً تمثل في إجماليها نسبة من النمو في البناء التعليمي والثقافي لهذه المدينة، فضلاً عن كونها توفر فرصاً مشجعة للراغبين في رفع مؤهلاتهم التعليمية.

ب- المتدربون: بذلت جامعة الموصل جهوداً متميزة للتواصل مع الملاكات العاملة في الأنشطة التنموية المختلفة بما يضمن تجديد المعارف المهنية وتطوير المهارات التخصصية لهم ومواكبة للتقدم التقني والعلمي المتحقق في مجالات العمل المختلفة. وقد كانت برامج التعليم المستمر في الجامعة المدخل العملي لتحقيق هذا التواصل. فقد بدأت الجامعة ومنذ تأسيسها تنظيم دورات تدريبية متخصصة وذلك في اطار السعي المتواصل للكليات في تدعيم علاقاتها مع مؤسسات المجتمع وتقديم الخدمات العلمية له. وتعكس أرقام الجدول (٦) صورة واضحة عن حجم الدورات التدريبية المقامة في كليات الجامعة للسنوات ١٩٦٧-١٩٩١ وعدد المشاركين (المستفيدين) منها. حيث نجد من الجدول أن الجامعة وهي في مراحل النشأة والتأسيس أستطاعت تنظيم (١٢) دورة تدريبية كان عدد المشاركين فيها (٧٢) مشاركاً فيما تضاعف عدد الدورات في النصف الثاني من العقد

الجدول (٦) برامج التعليم المستمر المتمثلة في الجامعة وعدد المستفيدين منها

السنوات	عدد الدورات	عدد المشاركين
١٩٦٧/١٩٦٨-١٩٧١/١٩٧٢	١٢	٧٢
١٩٧٢/١٩٧٣-١٩٧٦/١٩٧٧	٤٩	٢٩٤
١٩٧٧/١٩٧٨-١٩٨١/١٩٨٢	١٥٣	٩١٨
١٩٨٢/١٩٨٣-١٩٨٦/١٩٨٧	١٧٥	١٠٥٠
١٩٨٧/١٩٨٨-١٩٩٠/١٩٩١	٤٣٥	٢٦١٠
المجموع	٨٢٤	٤٩٤٤

الأول أربع مرات ليصل الى (٤٩) دورة تدريبية ويرتفع عدد المستفيدين منها الى (٢٩٤) مشاركاً. أما في العقد الثاني من عمر الجامعة وبعد تأسيس المراكز العلمية المتخصصة فقد إرتفع عدد الدورات التدريبية فيها الى (١٥٣) دورة ثم الى (١٧٥) دورة تدريبية وبلغ عدد المستفيدين من هذه الدورات مايقارب الألفين (١٩٦٨) مشاركاً. اما في السنوات الخمس الاخيرة من عمر الجامعة وبعد أن أستقرت هياكلها العلمية، فقد حققت نمواً كبيراً في عدد الدورات التدريبية بلغ (٤٣٥) دورة وكان عدد المستفيدين حوالي (٢٦١٠)

مشاركاً. وبذلك تكون الجامعة قد أسهمت اسهاماً مباشراً وفاعلاً في تأهيل واعادة تأهيل الملاكات المهنية العاملة في مؤسسات المجتمع حيث بلغ أجمالي المشاركين في دوراتها التدريبية (٤٩٤٤) مشاركاً وقد تم تدريبهم في برامج متخصصة بلغ عددها (٨٢٤) دورة تدريبية شملت جميع التخصصات المهنية بدءاً بالمجالات الطبية ومروراً بالعلوم الصرفة والطبيعية وكذلك الزراعية والبيطرية وأنتهاءاً بالمجالات الأنسانية والأدبية والأدارية.

ومن الجدير بالأشارة هنا الى اسهامات اقسام اللغات في كليتي الاداب والتربية وبالتنسيق مع المركز الثقافي الأجتماعي لجامعة الموصل في تنظيم دورات تدريبية سنوية لتعليم اللغة الأنكليزية واللغة الفرنسية وكذلك اسهامات مركز الدراسات التركية في تنظيم دورات تعليم اللغة التركية.

من الجانب الآخر لم تكن الاستفادة من البرامج التدريبية للجامعة تلك محصورة بمدينة الموصل أو بمحافظة نينوى بل تجاوزت الفائدة الى المحافظات الاخرى ايضاً وبخاصة الشمالية منها.

مما تقدم يمكن القول بأن برامج التعليم المستمر في جامعة الموصل إستطاعت تطوير مهارات الملاكات الوظيفية المتخصصة العاملة في ادامة المشاريع التنموية بالقدر الذي توفرلها من أمكانات وبالقدر الذي تحقق من رغبة المشاركة في برامجها التدريبية.

معالجة المشكلات التنموية: لما كانت التنمية تغييراً متواصلاً في الواقع القائم نحو الأفضل والمرغوب، فإنها تعني بالضرورة معالجة حالات غير مرغوبة ومغادرتها للتخلص من اثارها السلبية. وهذا التوجه في النشاط التنموي يدعى عادة بالتنمية العلاجية. كما قد يتجه النشاط التنموي الى الأهتمام بالحالات غير المرغوبة مستقبلاً والسعي لتوقع مثل هذه الحالات وتحجيمها وتقليص آثارها المحتملة وهذا التوجه يدعى بالتنمية الوقائية أو بالتطوير. وبعامة يبرز دور الجامعة في كلا التوجهين: العلاجي والوقائي، حيث تستطيع الجامعة بما هو متوفر لها من علماء وباحثين وكذلك من مختبرات وحقول ومراكز استشارية وعلمية، تقديم استشاراتها وخدماتها المساعدة الى مؤسسات المجتمع وأفراده في مواجهة المصاعب والمحددات التي تعوق مسار التنمية آنياً أو مستقبلاً. ومن أهم الصيغ المعتمدة في تقديم الجامعات عونها وأسنادها الى المجتمع وخططه التنموية الآتي:

أ. البحوث العلمية والمجلات العلمية.
ب. الاستشارات والخدمات العلمية.
ج. المؤتمرات العلمية والندوات المتخصصة.
د. النتاجات العلمية.

وقد اعتمدت الجامعة هذه الصيغ واستطاعت ان تدعم بها مسيرة التنمية ليس في المدينة فحسب بل وعلى صعيد القطر ايضاً ان لم نقل ان اسهاماتها أمتدت الى الوطن العربي. وسنعرض شواهد كمية لهذه الاسهامات في الفقرات الآتية:

أ. **البحوث العلمية**: تعد البحوث العلمية ونشرها أداة فاعلة للتواصل العلمي بين الاكاديميين من جهة وكذلك بينهم وبين الواقع الميداني من جهة أخرى، حيث تسهم البحوث العلمية وبخاصة التطبيقية منها في توجه الباحثين الى الواقع العملي لكشف الأبعاد التطبيقية لافكارهم وطروحاتهم



مختبر علمي

النظرية ، كما تسهم هذه البحوث في أثناء انجازها وبعد نشرها في تعريف المنفذين الميدانيين (التقنيين) بكل جديد يطرأ في مجال عملهم ، لأن البحوث تقدم لهم خبرات الآخرين وتجاربهم وبصيغ مكيفة للواقع الميداني الوطني .

ومما لاشك فيه ان البحوث العلمية المنجزة في جامعة الموصل والمجلات العلمية الصادرة عنها تمثل فعلاً ميدانياً محركاً للتقنيين وادارات الأنشطة التنموية ، وعلى وجه الخصوص في مدينة الموصل . ويوضح الجدول (٧) الشواهد الكمية لهذا الفعل ، حيث نلاحظ فيه ان حجم هذه البحوث بلغ (٦٤١٠) بحوث علمية بواقع (٤٢٨٤) بحثاً منشوراً لأساتذة الجامعة و (٢١٢٦) رسالة علمية أجيزت في الأقسام العلمية لكليات الجامعة ومنحت بموجبها شهادات الماجستير والدكتوراه .

الجدول (٧) البحوث العلمية والمجلات العلمية

السنوات	البحوث العلمية	الرسائل العلمية	مجموع البحوث	المجلات العلمية
١٩٦٧- ١٩٧٦	٩١	١٣١	٢٢٢	١٢
١٩٧٧- ١٩٨١	٨١٢	٦٤٢	١٤٥٤	٣٤
١٩٨٢- ١٩٨٦	٨٨٦	٤٧٦	١٣٦٢	٣٨
١٩٨٧- ١٩٩١	٢٤٩٥	٨٧٧	٣٣٧٢	٤٩
المجموع	٤٢٨٤	٢١٢٦	٦٤١٠	١٣٣

ولتتضح أهمية هذا العدد الكبير من البحوث والرسائل العلمية ، لابد من التذكير بأنها موظفة في أغلب الأحيان لمعالجة مشكلات ميدانية في الواقع اليومي لمؤسسات المجتمع وأفراده ، وتضمنت العديد من المقترحات والتوصيات المفيدة والنافعة ، بل ان الكثير من هذه البحوث والرسائل العلمية أسهم في خلق توجهات متقدمة على مستوى المشاريع التنموية الاقليمية والقطرية على السواء ؛

ومن الجدير بالذكر هنا ان معظم هذه البحوث إتخذت من المؤسسات العاملة في مدينة الموصل أو محافظة نينوى ميداناً تطبيقياً لها وبذلك كانت النتائج والمعالجات المطروحة فيها لخدمة هذه المدينة أولاً . وهذا واضح من عناوين تلك البحوث والرسائل العلمية الموثقة في جامعة الموصل .

ولابد من التأكيد هنا على ان معظم هذه البحوث والرسائل كانت متميزة ، حيث تم تعضيدها بعد أن تم تقويمها من خبراء متخصصين ، ناهيك عن العدد الكبير من البحوث التي حصلت على درجة الاصالة والابتكار في التقويم وتم تسجيل عدد منها ابتكارات ومخترعات علمية لعلماء الجامعة . فقد تم تسجيل (٣١) براءة إختراع بأسماء هؤلاء العلماء في مجالات العلوم الصرفة والطبيعية وكذلك في المجالات الهندسية والتطبيقية وكذلك الزراعية . بل يكفي الجامعة فخراً ان يحظى علماؤها بالتكريم عامين متتاليين (١٩٩٠/ ١٩٩١ و ١٩٩١/ ١٩٩٢) وذلك بإنتخاب الاستاذ الأول في الجامعات العراقية منها .

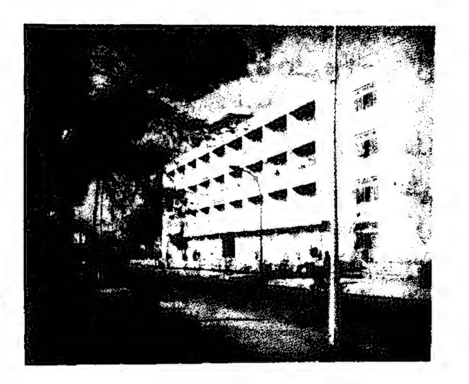
من الجانب الآخر سعت الجامعة الى توفير أفضل الفرص لايصال هذه البحوث ونتائجها الى أكبر عدد من المستفيدين وذلك بإصدار مجلات علمية متخصصة مثل طب الرافدين وزراعة الرافدين وعلوم الرافدين وهندسة الرافدين وآداب الرافدين وتنمية الرافدين والتربية والعلم . فضلاً عن مجلات ثقافية (مجلة الجامعة) ومطبوعات تعريفية أخرى . وقد بلغ عدد المجلات العلمية الصادرة عن الجامعة (١٣٣) عدداً ضمت ما لايقل عن (١٧٠٠) بحث علمي .

ب . الاستشارات والخدمات العلمية : كانت جامعة الموصل ومنذ تأسيسها سباقة الى تحقيق مفهوم الجامعة في خدمة المجتمع وذلك باهتمامها الفائق بتقديم الاستشارات والخدمات العلمية لمؤسسات المجتمع وافراده عن طريق مراكزها العلمية



ولتحقيق ذلك اهتمت الجامعة بتنويع المراكز العلمية والبحثية فيها ورعايتها ودعمها. حيث تمت هيكلة أعمال هذه المراكز على النحو الآتي :

١ . مراكز متخصصة بالدراسات الاقليمية : حيث تسعى الجامعة بحكم موقعها في المنطقة الى التخصص بدراسات نوعية مميزة لها ومن هذه المراكز :



بناية رئاسة جامعة الموصل

- مركز صدام لبحوث السدود والموارد المائية .
- مركز الدراسات التركية .

٢ . مراكز متخصصة بتقديم الاستشارات : حيث تسعى الجامعة الى توظيف جهود علمائها لخدمة مؤسسات المجتمع وأفراده وذلك عن طريق المراكز والمكاتب الاستشارية المتخصصة وهي :

- المركز الطبي (العيادة الاستشارية لكلية الطب) .
- المكتب الاستشاري الهندسي .
- المكتب الاستشاري الزراعي .
- المكتب الاستشاري الصناعي والتجاري .
- العيادة البيطرية الاستشارية .
- العيادة الاستشارية لكلية طب الأسنان .

٣ . مراكز الخدمات العلمية : حيث حرصت الجامعة على توفير الخدمات العلمية لأساتذتها وباحثيها وطلبتها وكذلك للباحثين من خارج الجامعة وقد استحدثت الجامعة لهذا الغرض المراكز الآتية :

- مديرية دار الكتب للطباعة والنشر.



دار الكتب للطباعة والنشر

- مركز الحاسبة الألكترونية .
- المكتبة المركزية .
- مركز طرق التدريس والتدريب الجامعي .
- وحدة الخرائط .



جناح في المكتبة المركزية

وتعكس لنا السجلات الرسمية والتقارير الدورية للجامعة صورة تقريبية عن حجم

الاستشارات والخدمات العلمية الموثقة في الجامعة ، حيث نجدها في السنوات الخمس الاولى من عمر الجامعة (٢٢) استشارة علمية فيما نمت هذه الاستشارات الى (٤٦١) استشارة في السنوات الخمس الأخيرة. وقد بلغ عدد الاستشارات الموثقة لغاية عام ١٩٩١ مايزيد عن (٩٠٠) استشارة علمية ، أسهمت بكل تأكيد في دعم التقدم العلمي والتقني لمدينة الموصل ومن أمثلة هذه الاسهامات : نظام المرور والاشارات الضوئية في المدينة ومعالجة مشكلات العمل الصناعي في عدد من المعامل والمصانع الانتاجية في المحافظة مثل صناعة الكبريت في المشراق ومعامل الاسمنت ومنشآت النفط والطاقة الكهربائية ، ومعامل النسيج والألبسة وغيرها من الصناعات في القطاع الحكومي.

اما على صعيد الاستشارات الفردية فقد تميزت جامعة الموصل بجهود استثنائية كبيرة في تقديم الخدمات الطبية سواء على مستوى عمل اساتذتها في المستشفى التعليمي وغيره من مستشفيات المدينة او على مستوى المركز الطبي والعيادات الاستشارية الطبية. حيث تستقبل هذه العيادات اعداداً كبيرة من المرضى لأغراض الفحص والتشخيص وبمعدلات سنوية تتجاوز عشرين ألف مراجع. وبذلك تكون الجامعة قد أسهمت أسهاماً فاعلاً في توفير فرص الفحص والتشخيص لنسبة كبيرة من المرضى ليس على مستوى المدينة فحسب بل على مستوى المدن القريبة منها أيضاً ، هذا الى جانب اسهام الأساتذة المتخصصين في توفير فرص علاج أفضل للمرضى بما يقدمونه من خبرات ومهارات في اثناء عملهم أو اشرافهم على العمل في مستشفيات المدينة.

كذلك الحال بالنسبة للعيادة البيطرية الاستشارية ، حيث تقدم فرص الفحص والمعالجة بمعدلات لاتقل عن (١١) ألف حالة سنوياً يتم من خلالها معالجة الثروة الحيوانية في المدينة والمناطق المحيطة بها والاسهام في المحافظة عليها ووقايتها من الأمراض وبخاصة الدواجن والمواشي.

ج ـ **المؤتمرات والندوات العلمية** : تهدف المؤتمرات والندوات العلمية المتخصصة الى تحقيق التواصل بين المتخصصين وبين التقنيين (المنفذين الميدانيين) لتبادل الآراء حول سبل توظيف المعرفة العلمية لخدمة ميادينها التطبيقية ، وبما يسهم في معالجة المشكلات والمحددات المعوقة لمسيرة التنمية في المجتمع.

وقد كان لجامعة الموصل دور مبرز في هذا الجانب فقد حرصت منذ تأسيسها على تنظيم المؤتمرات العلمية المتخصصة أو إستضافتها في رحاب الجامعة، وتوفير الأجواء المناسبة لانعقادها



إحدى ندوات جامعة الموصل

والمشاركة الفاعلة في تغطية نفقاتها فضلاً عن ادارتها ، وذلك بالتعاون المستمر مع المؤسسات او الهيئات او الجمعيات ذات الصلة والرغبة بعقد هذه الندوات أو المؤتمرات.

لقد استطاعت كليات الجامعة منذ تأسيسها ولغاية عام ١٩٩١ تنظيم حوالي (٨٢) مؤتمراً وندوة علمية فضلاً عن الندوة العلمية التربوية الدورية لجامعة الموصل.

وأسهمت هذه المؤتمرات والندوات العلمية في



معالجة عدة من المشكلات البيئية التنموية حيث تمت مناقشة عشرات البحوث المتخصصة في كل مؤتمر وتصاغ التوصيات والمقترحات المناسبة للمشكلات او الظواهر التي يعنى بها المؤتمر.

من الجانب الآخر تعد المؤتمرات واحداً من ابواب التواصل والاعلام الثقافي بمدينة الموصل باستضافة علماء وباحثين للمشاركة من خارج العراق ومن الجامعات العراقية أيضاً. وتوفر هذه الاستضافات فرصاً لهؤلاء للتعرف على المدينة وتاريخها الثقافي والحضاري بما يعد اعلاماً متميزاً لهذه المدينة يتجاوز حدود الوطن الى الأجانب المشاركين، إذ يحمل هؤلاء معهم ذكريات مشاهداتهم الى اصدقائهم وذويهم ومعارفهم في بلدانهم فتتسع شهرة الموصل ونينوى باستمرار.. وكل ذلك اسهام إضافي في التعريف بالمدينة حضارياً وثقافياً.

د. النتاجات العلمية في التعريب: يعد التعريب (التأليف والترجمة) نشاطاً جوهرياً في عملية التنمية وتطوير المهارات في مواجهة مشكلاتها ومحدداتها.

وفي هذا المنحى حققت الجامعة رفداً مستمراً من الكتب المؤلفة والمترجمة الى المكتبة العربية في الميادين المعرفية المختلفة وفي المجالات الثقافية وقد كان لمطبعة الجامعة ودار النشر فيها دور كبير في إسناد الجامعة وتوفير فرص النشر للنتاجات العلمية لأساتذتها وباحثيها حيث بلغ عدد الكتب المطبوعة في المطبعة لصالح الجامعة (١١٩٩) كتاباً لغاية عام ١٩٩٠. وبذلك يمكن القول بأن الجامعة وفرت عدداً كبيراً من فرص النشر العلمي لأساتذتها، هذا فضلاً عن توفير فرص النشر الثقافي لعدد كبير من المؤرخين والمؤلفين والأدباء في مدينة الموصل.

وبعامة نهضت الجامعة بدور واضح في نشر الثقافة والعلوم بتوفيرها عدداً كبيراً من المطبوعات العلمية والثقافية ليس لأبناء المدينة فحسب بل للقارئ العراقي والعربي ايضاً حيث امتدت مطبوعات جامعة الموصل على مساحة الوطن العربي، فكثير من النتاجات العلمية لاساتذة الجامعة اعتمد كتباً منهجية في الجامعات العربية وبذلك إمتد اسم مدينة الموصل شهرة بين أوساط المثقفين والمتعلمين العرب وهذا الأمر يمثل جانباً مهماً في دور الجامعة الثقافي للتعريف بمكانة هذه المدينة الثقافية والحضارية.

من الجانب الآخر تعد هذه النتاجات العلمية وفرص نشرها واحداً من العوامل الأساسية في نشر الوعي العلمي والثقافي ومن ثم اتاحة أفضل الفرص للتقنيين وكذلك للادارات التنموية للاطلاع على التقدم العلمي والتقني الحاصل في مجالات عملهم ومن ثم حفزهم على تطوير مؤسساتهم التنموية في اهدافها وتقنياتها وكذلك في معالجة مشكلاتها. وبذلك كان اسهام الجامعة في التقدم التقني والعلمي للمدينة اسهاماً مركباً في فعله ونتائجه.

هـ- التفرغ العلمي والممارسة الميدانية: تعتمد الجامعة نظام التفرغ العلمي والممارسة الميدانية لأساتذتها بهدف تدعيم الجوانب المهنية والتطبيقية لهم. وذلك لضمان إغناء مهاراتهم المعرفية بمهارات تطبيقية مهنية تؤهلهم لتوظيف البناء النظري لصالح الأنسان والمجتمع وكذلك توظيف النتائج الميدانية والتطبيقية لبحوثهم لصالح تطوير المعرفة العلمية.

ومن أبرز ممارسات الجامعة في هذا التوجه نظام التفرغ العلمي الذي يشجع التدريسيين على التفرغ في مؤسسات أخرى لمدة عام دراسي لأغراض البحث الميداني والتطبيقي وتوظيف مهاراته العلمية لخدمة المؤسسة التي يتفرغ فيها، وبذلك تضع الجامعة جزءاً من طاقاتها العلمية في خدمة مؤسسات المجتمع وتسهم في أسناد الأنشطة التنموية فيه. ومن الطبيعي أن تحظى مدينة الموصل بنصيب متميز في هذا الجانب.

من الجانب الآخر تلزم الجامعة التدريسيين المعنيين فيها بالعمل سنة واحدة على نحو متصل أو في أثناء العطل الصيفية – في وظائف مهنية مقاربة لتخصصهم العلمي لضمان الممارسة الميدانية وأغناء البعد التطبيقي لمهاراتهم المعرفية وبذلك تسهم الجامعة في مدى التفاعل بين مؤسسات المجتمع وبين ملاكاتها العلمية وتحفز عملية التواصل لضمان أعلى تحقق لمفهوم الجامعة في خدمة المجتمع.

وليتعمق هذا المفهوم على نحو أفضل ولتضمن الجامعة تقديم متخرجين مؤهلين للأسهام في



مختبر علمي في كلية الهندسة

الأنشطة التنموية، تم إعتماد نظام التدريب الصيفي والممارسة الأسبوعية الميدانية لطلبة الصفوف قبل المنتهية، حيث يتم التنسيق مع مؤسسات المجتمع لتدريب الطلبة في مجالات عمل مناسبة لتخصصهم الدراسي وبأشراف علمي من التدريسيين وأشراف عملي من الموظفين. وبذلك تم تهيئة هؤلاء الطلبة قبل تخرجهم مهنياً وبالمقابل يوفر هؤلاء الطلبة لتلك المؤسسات فرصة الأفادة من طاقاتهم لادامة العمل وتنفيذ عدد من المهات النمطية.

وأخيراً لابد من الأشارة الى تجربة رائدة بدأتها الجامعة منذ أعوام قليلة في مجال الممارسة الميدانية تقوم على مفهوم العمل الأجتماعي التنموي. حيث بدأت الجامعة تنفيذ برامج عمل جماعي مشترك في العطل الصيفية تتولاها فرق عمل من المتخصصين في مجالات الطب وعلم النفس وعلم الأجتماع وغيرها من التخصصات بهدف إقامة مخيم عمل في منطقة ريفية مختارة لأغراض أجراء مسوحات تنموية تقدم صورة متكاملة عن المصاعب والمحددات التي تواجه تلك المنطقة وتعيق الفعاليات التنموية فيها وكذلك الأمكانات الميدانية المتاحة فيها ومن ثم تقديم الصيغ العلاجية الممكنة لمثل هذا الواقع. ويقترن عمل الفريق الميداني هذا عادة بتقديم الخدمات والأستشارات والمساعدات الميدانية المباشرة الى أبناء المنطقة والأدارات المسؤولة فيها طوال فترة إقامة المخيم مع التأكيد على التوعية الصحية والأجتماعية والأقتصادية والثقافية اللازمة.[٢]

الهوامش

(١) انظر: جمهورية العراق، الجهاز المركزي للاحصاء، التعداد العام للسكان.

(٢) للتفصيل ينظر كتابا جامعة الموصل:

- دكتور أحمد الخفاجي وآخرون. الممارسة الميدانية الثانية لجامعة الموصل، (الموصل، ١٩٨٩)
- دكتور أحمد الخفاجي وآخرون. التجربة التعليمية الميدانية لجامعة الموصل، (الموصل، ١٩٨٨).



VOLUME 5
CONTENTS



Mosul In Modern History

Mosul From British Occupation To 1958

Political Development



VOLUME 4
CONTENTS

Mosul in Modern History

History of Mosul between Ottoman Occupation and British Occupation

922 – 1336 A. H. A. D. 1516 – 1918

Political Developments



VOLUME 3

CONTENTS

Mosul in Arab Islamic History
(2)

Sciences, Literature and Fine Arts in Mosul from Its Liberation by the Arabs to the Ottomann Occupation

Arabic Islamic Sciences



VOLUME 2

CONTENTS

Mosul in Arab Islamic History

(1)

Political and Cultural Developments in Mosul from its Liberation by the Arabs to the Ottoman Occupation

The Cultural life of Mosul from its Liberation by the Arabs to the Ottoman Occupation



VOLUME 1

CONTENTS

Mosul in Ancient History

Geography of Mosul Region



East, from Egypt in the West to Ilam in the East, and from the Mediterranean in the north to the Arabian Gulf in the South.

In the periods of decline and political deterioration, the borders of the region shrank very much and included only the city and its surrounding villages. Such was the case during the periods of foreign rule from the fall of Babylon to the rise of the Arab Islamic state.

This observation is not only true of Mosul borders during the Islamic and modern eras. These borders have expanded and now include northern Iraq and Al-Jazira region. The cultural influence of the area extends farther and has now become an integral part of Arabic Islamic culture, as it was in the old days part of the ancient culture of Iraq. Thus Mosul culture is an important tributary of the main stream of Arab Islamic culture.

The studies included in this Encyclopedia aim at bringing out the main characteristics of the culture of Mosul area within the larger framework stated above. They state the main contributions of the scholars and eminent thinkers in the cultures which flourished within Arabic Islamic culture and discuss the arts and architecture in the area and analyse its main properties which distinguish this culture from the cultures in this part of the world.

The Encyclopedia comprises three parts: part one is devoted to the cultural history of Mosul in the ancient times, starting from the old to middle and modern stone ages when man lived in caves These studies also discuss the administration, political, economic and cultural organizations. This part also traces the political development which the area witnessed under the Assyrian Empire, the Chaledean rule and the foreign occupation.

Part two studies the political and cultural developments witnessed by Mosul region from the rise of the Arab Islamic rule and the liberation of the city from Byzantine occupation during the Caliphate of Omar ibn Al-Khattab, in the Umayyad and Abbasid rules, then the occupation of the city by the Mongols, their rule and other foreign rulers to the rise of the Ottoman state. Special attention is given to the city's achievements in economy, social and cultural life, architecture, arts within the frame of Arabic Islamic Culture of the period.

Part three deals with the political and cultural conditions of the city under the Ottoman rule. Special attention is given to efforts of the citizens to assert their own identity and defy all the attempts which aimed at effacing their cultural personality. This part concludes by studying the political and cultural conditions of Mosul under the national rule to the present day.

In conclusion, the chairman and the members of the Committee would like to thank the President of Mosul University, Professor Abdul Ilah Al-Khaahab for his enthusiasm in promoting the project and seeing it through to a successful end.

The chairman would like to thank the members of the Committee, Professor Amer Sulayman, Dr. Ibrahim Khalil, Dr. Ahmed Abdullah Al-Hassu, and Professor Ahmed Qassim Juma'a for their timeless efforts and fruitful cooperation during work in the project. Without their efforts the present work would not have been possible.

My thanks are also due to all those who contributed to the material included in the Encyclopedia, to the members of the sub-committees, above all Dr. Tawfiq Al-Yozbaki and Dr. Jabir Khalil, to Mr Ahmed Najim Al-Sabha, Director of Dar Al-Kuttub, Mosul University Printing and Publishing House and all those who contributed in one way or another to the project of the Encyclopedia. I am grateful to Mr. Yousif Dhanoon, for designing the cover.

Prof. Hashim Yahya Al-Mallah, Ph. D.
Editor - in - chief

February 1992



University representing various fields of interest. A committee was formed comprising three sub–committee , each specialized in one field of history. The task of the first sub–committee was to supervise the part of the Encyclopedia of Mosul covering the ancient and the pre–Islamic period, chaired by Professor Amer Sulayman. The second sub–committee, chaired by Hashim Al–Mallah, supervised the work covering the Islamic period. The third sub–committee, chairedby Dr. Ibrahim Khalil Ahmed, had the task of supervising the remaining part of the Encyclopedia which dealt with modern cultural history of Mosul. Dr. Ahmed Al–Hassu was chosen as secretary of the project.

The Committee prepared an outline of the Encyclopedia ., including details of the chapters, the sections and subsection and laid down the procedure and the guidelines which should be followed by the contributors.

In arranging the material of the Encyclopedia, the Committee did not follow the usual procedure followed by ency - clopedias, which arrange their material alphabetically. Such a procedure would have sacrificed the thematic unity of the work and made it difficult for the reader to trace the chronological development of cultural phenomena. Instead, it adopted the historical procedure which studies a cultural phenomenon and its development across various successive periods of history. It also studies its relations to other phenomena.

Following this procedure is not without difficulties and drawbacks, especially if the number of the contributors exceeds one hundred and they belong to different universities in Iraq.

These writers have different styles and approaches, which may be overlooked in the interest of the efforts to overcome the stumbling blocks in the way of coherence and thematic unity to which the Committee aspires.

The Committee worked hard to overcome these difficulties and have had considerable success in this respect. The Encyclopedia is a team work which comprises various fields of interest written by scholars from the University of Mosul and the other universities of Iraq. It is characterized by a considerable degree of homogenety in style and approach.

However, the Encyclopedia is not without its drawbacks. A work of this type is never perfect; nevertheless, the present work, it is hoped, represents a step in the right direction.

A procedural point is worth mentioning here, the Committee has found it necessary that the cultural phenomena in Mosul region should be studied in the con–text of the political development of the area throughout various periods. This method would bring out the role each of these areas played in the service of civilization and humanity in general. This is followed by a detailed study of various aspects of the cultural phenomena concerned. Such an approach may result in some repetition; but it is a repetiton which helps to bring out the important points of the work and provide the project with a certain degree of cohesion.

Perhaps, it is also necessary to mention here that cultural phenomena cannot be studied in a narrow geographical frame–work isolated from surroundings. Thus studying the cultural aspects of Mosul area does not mean isolating this region from the rest of the country; the study often extends to other parts of Iraq and beyond , to discuss cultural interactions between this region and the outside world.

Moreover, the borders of Mosul region have not been always the same. Historical and archeological evidence indicate that the region expanded or shrank in accordance with the prevailing political conditions. Thus the political and cultural borders of Mosul expanded considerably after Nineveh became the capital of the Assyrian Empire. The borders encompassed the whole of Iraq, "Babylon and Assyria", but the influence of the region went beyond that to include the ancient





Civilization as a composite of economic, social, political, cultural and artistic achievements by a society over a period of time,is closely linked with a long settlement at a certain location for considerable time enabling the members of that society to interact with their natural environment and meet its challenges in various creative ways.

The Arab scholars recognized this link between civilization and settlement a long times ago. They said: 'Civilization is contrary to nomadic life: it is city–dwelling Therefore,they named the person who lived in a city al–hadari (city dweller) from which the Arabic 'al–hadaratu' (civilization) is derived. On the other hand, they named a person who lived a nomadic life 'al–badawi' (nomad).'

Thus, the Arabs viewed cities as centres of creativity and cultural heritage, where every generation inherits what his predecessors have achieved and adds its own achievements to it. Great cities grow, where learning, arts and architecture flourish, if these cities are not plagued with catastrophic events which would ruin them and scatter their inhabitants. This phenomenon is discussed and its causes analysed by Ibn Khaldun in his Muqaddima (Prolegomena). (2)

'To establish settlements and build cities', says Ibn Khaldun,' it is necessary to have a state and a king. After the city has been built and its buildings completed in accordance with the plans designed by its founder and with atmospheric and geographic conditions of the location. The age of the city is the same as that of the state. If the state had a short life, the conditions in the city would come to a standstill as soon as the state ceased to exist. The city would deteriorate and fall into ruins. If the state had a long period of life its workshops and big houses would continue to increase and its market would grow bigger until its area would become larger and distances between its vartious parts longer, as in the case of Baghdad and similar cities.'(3)

Many cities, which were built a long time ago, have been part of several states and civilizations, and have witnessed ups and downs but they have survived and are evidence of civilizational changes through which humanity has passed. Among these cities is the city of Mosul, which came into existence in the Assyrian era and has survived to the present day.

This fact led some of the historians, including the committee of the present encyclopedia, to think that the story of the civilizational history of a study starts with the history of the cities which participated in formulation of that civilization, since these cities were the centres in which the seeds of the civilization grew. The city of Mosul is one of the most ancient cities of Iraq, and has carried the torch of civilization since the first millennium B.C.

The best qualified establishment to study the history of this city is the University of Mosul. Such an idea occurred to the writer of this preface some time ago; he discussed it with the President of the University, who supported the idea unreservedly and did his best to see the project through to a successful end. The plans of the project were discussed thoroughly in a meeting attended by eminent scholars of history at the





Since it was founded a quarter of a century ago, The University of Mosul has worked tirelessly to open up new academic paths and build for itself well defined traditions. In this the University has achieved considerable success both horizontally and vertically.

Among its well-establised traditions is the practice of setting up educational and scientific plans covering fairly long periods, and preparing the required facilities which will gurantee carrying them out in the best way possible, and then enabling the various University Establishments to fulfil these ambitious aims.

Within this framework, a five year plan was envisaged ending in 1990, which covered various research fields: pure science, the humanities, cultural heritage, modern studies, the civilization of Iraq and the Arab Homeland, and other fields which may strengthen these links between the University and the Society. In all these efforts, special attention was given to the deep rooted culture of the University location and surroundings.

Thus the idea of an encyclopedia of the city of Mosul was conceived five years ago, which would uncover to the reader some of the glorious aspects of the history of this ancient city: For Mosul is a legitimate heir to a number of great civilizations some of which have deep roots which can be traced to the earliest stages of history. The city has produced some of the most eminent thinkers, who have enriched the cultural heritage of humanity. However, the city has had its ebbtides as well. On several occasions it had to face fierce invaders, but was always able to survive. The project of an encyclopedia aims at revealing these facts.

A committee was set up to see the work through: appropriate funds were allocated and a number of eminent scholars from various universities in the country were recruited. The five years have now passed and the first volume of the Encyclopedia has just been comp-leted. This year the University will celebrate the twenty-fifth anniversary of its foundation.On this happy occasion, it gives me pleasure to announce the success of the project represented by publishing the five volumes.,The Encyclopedia is a modest intellectual achievement present-ed to the community of readers, scholars, and Students by the University which has received generous support from his excellency our leader President Saddam Hussein .

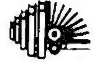
Finally, I would like to thank the Commettee,the contributors and all those who participated in one way or another to bring this work to a fruitful end.

Prof. Abdul -illah Al-Khashab, Ph.D.
President of the University



Artificial supervisor : Mr. Yousuf Dhannoon

First Published 1992



Printed and Published By

Dar AL-Kuttub Organisation for Printing and Publishing. University of Mosul.

IBN AL- ATHEER STREET - MOSUL - IRAQ
Tel. 763231

Telex. 8092





University of Mosul
Ministry of Higher Education
and Scientific Research

Cultural Encyclopedia of Mosul

Dar Al-Kuttub Organisation for Printing and Publishing
Mosul 1992



رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١١٦ لسنة ١٩٩٢



دار الكتب للطباعة والنشر
جامعة الموصل



موسوعة
الموصل الحضارية

صدرت

بمناسبة اليوبيل الفضي
لجامعة الموصل
١٩٦٧ - ١٩٩٢



